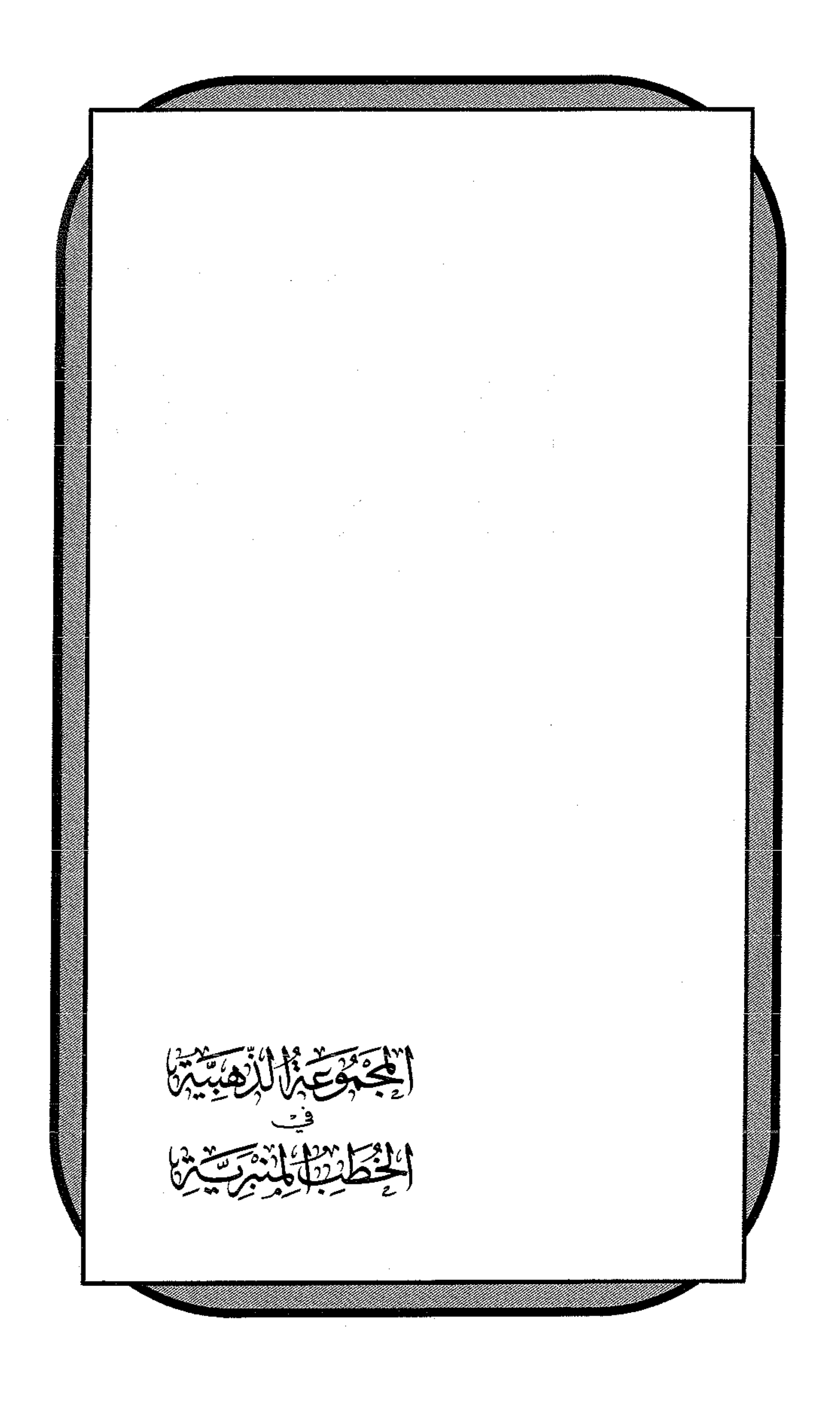
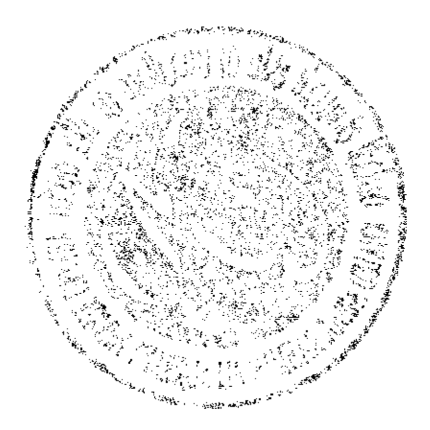


المجموعة الذهبية
في
الخطب المنبرية



الطبعة الثانية

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار طيبة الخضراء

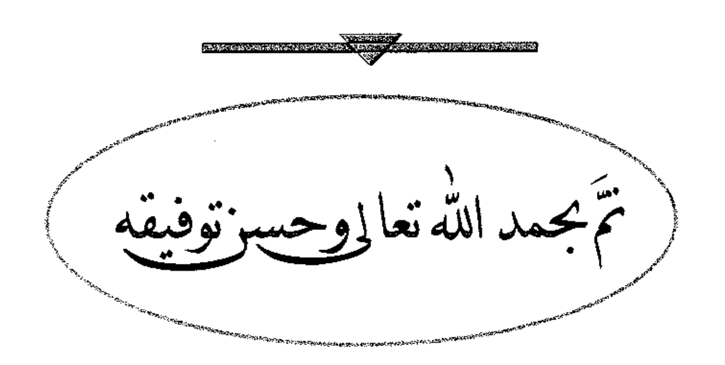
مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٥٥٨٩٠٢٧ - فاكس: ٥٥٨٩٧٨٠ - ص.ب: ٦٩٥٨

الفهرس

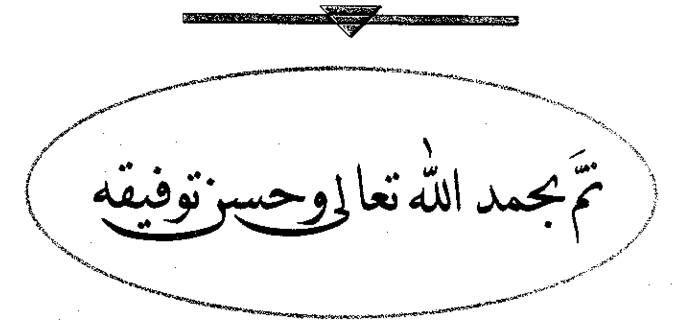
م	موضوع الخطبة	رقم الصفحة

م موضوع الخطبة	رقم الصفحة

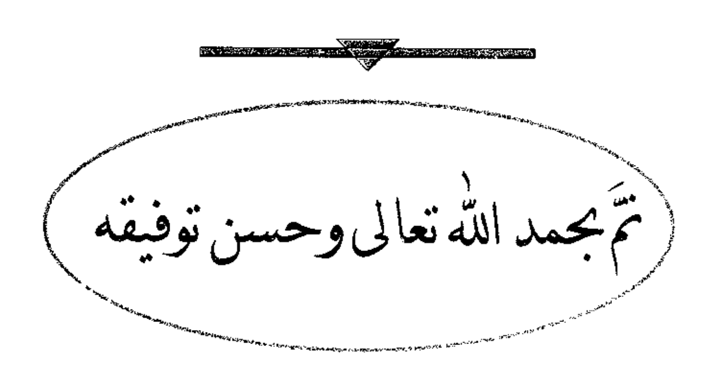


الفهرس

م	موضوع الخطبة	رقم الصفحة



الفهرس


تمّ بحمد الله تعالى وحسن توفيقه



بقلم

ناصر بن محمد بن مشري الغامدي

عضو هيئة التدريس بقسم القضاء
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

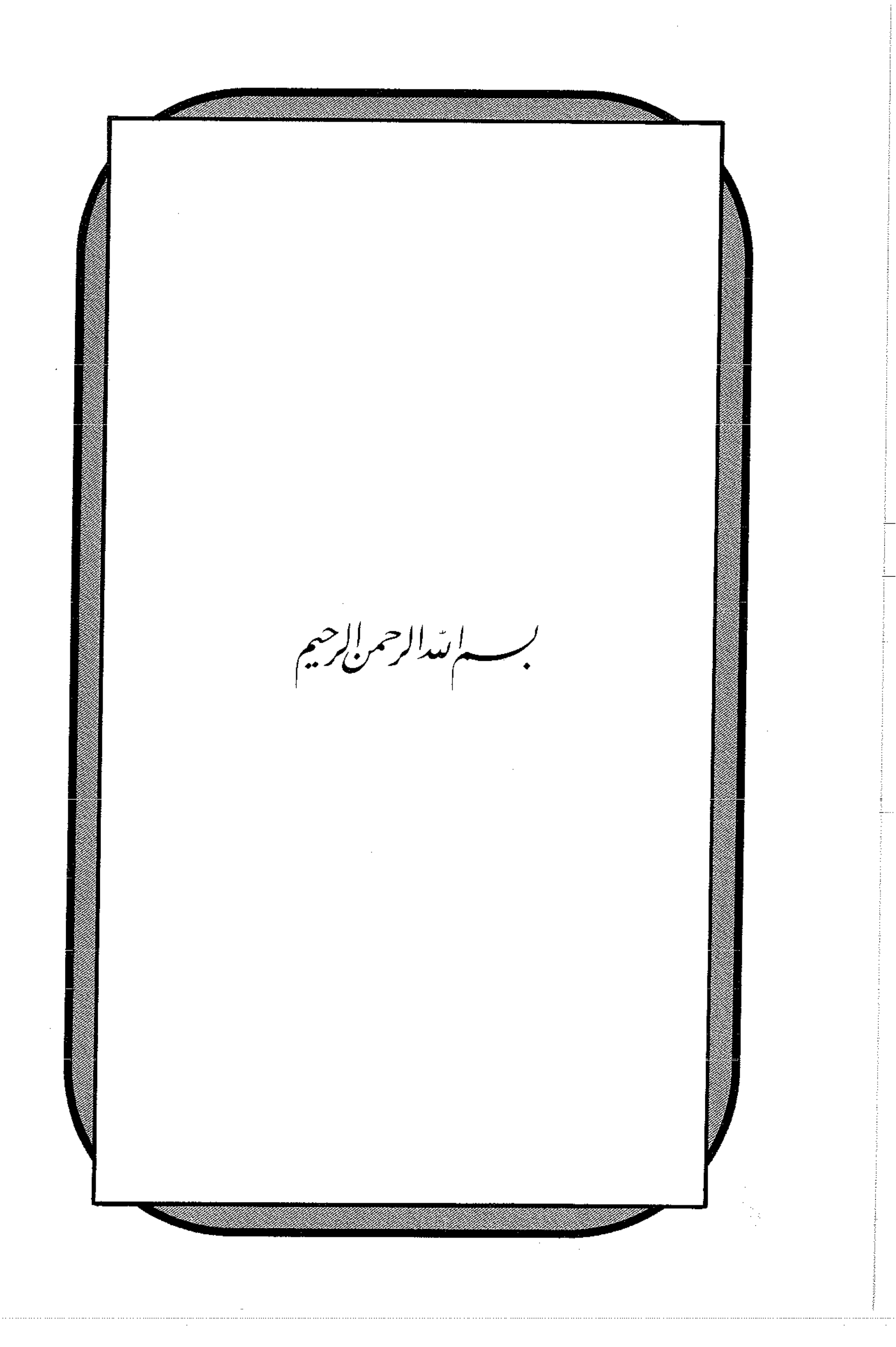
قدم له فضيلة الشيخ

سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم

إمام وخطيب المسجد الحرام
وعضو هيئة التدريس بقسم القضاء

المجموعة الأولى

دار طيبة الخضراء
مكة المكرمة


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمةُ الطبعةِ الثانية

الحمدُ للهِ وحدَهُ، والصلاةُ والسلامُ على مـن لا نبيَّ بعـدَهُ؛ محمَّـدِ بـنِ عبدِ اللهِ، وعلى آلهِ وصحبِهِ ومن سارَ على نَهْجِهِم واتَّبـعَ هداهـم إلى يـومِ الدينِ،، وبعدُ:

فقد قضَت حِكمةُ اللهِ تعالى أن لا عِصْمَةَ لكتـابٍ مـن الخطـأ والنقـصِ والخَلَلِ والسهوِ إلاَّ لكتابه العزيزِ الذي لا يأتيه الباطِلُ من بينِ يديه ولا مِـنْ خلْفِهِ تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ، ولا لبشرٍ من خلقِهِ إلاَّ لِمَنْ عَصَمَه اللهُ تعـالى من أنبيائِه ورسُلِه عليهم الصلاةُ والسلامُ.

وقد صدرَت قبل ثمانيـةِ أشـهُرٍ الطبعـةُ الأولى مـن المجموعـة الأولى مـن كتابي: (المجموعةُ الذَّهبيَّةُ في الخُطَبِ المنبَرِيَّة) ، وانتهَت بحمدِ اللهِ تعـالى؛ إلاَّ أنَّه قد وقَعَ في هـذه الطبعـة مـن المجموعـة الأولى -كغيرِهـا مـن أعمـالِ البشَـرِ- بعـضُ الأخطـاءِ المطبعيَّـةِ، وكـذا أخطـاءٌ يسـيرَةٌ في عـزو بعـضِ الأحاديث النبَويَّةِ الشريفَةِ إلى مصادرِها الصحيحةِ؛ نظَـراً لتعـدُّدِ الرِّوَايَـاتِ للحديثِ الواحدِ -غالِباً- مع الاختلافِ في بعضِ الألفـاظِ فيمـا بـين هـذه الرِّوَاياتِ، وهي كلها ثابتةٌ، ولكن العزو فقط هـو الـذي حصـل في بعضِه أخطاءٌ، وهذا كلُّه وقَعَ -عَلِمَ اللهُ- دونَ قصْدٍ. وقـد كتـب القـاضي عبدُ الرحيم بنُ عليٍّ البيسانيُّ إلى العمادِ الأصفهـانيِّ الكـاتبِ المشـهورِ -رحمـةُ اللهِ عليهما – قائلاً: « إنِّي رأيتُ أنَّه لا يكتبُ إنسانٌ كتاباً في يومٍ إلاَّ قال في غده أو بعد غـده: لـو غُـيِّرَ هـذا لكـان أحسـن، ولـو زيـدَ كـذا لكـان

يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِكَ هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبَرِ، وهو دليلٌ على استيلاءِ النقصِ على جُمْلَةِ البَشَرِ » .

وإنّي إذْ أُقَدِّمُ للطبعةِ الثانيةِ من هذه المجموعة الأولى -والتي حَرِصتُ فيها على تصويبِ ما عَلِمتُ بوقوعِه من أخطاءٍ، وعلى الاعتناءِ بضبطِ نصوصِ الحديثِ النبويِّ الشريفِ وصِحَّةِ نسبَتِها إلى مصادرِها حسبَ الروايَةِ المُسْتَشْهَدِ بها- لأَعتَذِرُ لإخواني الدُّعاةِ وطُلاَّبِ العلمِ وغيرِهم من سائرِ القُرَّاءِ عَمَّا وقع في الطبعة الأولى، وما أظنُّهم - إن شاءَ اللهُ- إلاَّ وقد إلتَمسوا لِيَ العُذْرَ في ذلك؛ فإنَّ المؤمنين - نسألُ اللهَ أن نكونَ منهم - نصَحَةٌ، بعضُهم أولياءُ بعضٍ. عِلْماً بأنَّ المجموعتين الثانيةَ والثالثةَ من هذه السلسلةِ قد تَمَّت العنايَةُ بتصحيحِها قبلَ خروجِها للطبعِ للمرَّةِ الأولى، فسَلِمَتْ مِما وقعَ في المجموعةِ الأولى، فللهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

وأستغفِرُ اللهَ تعالى من الخطأ والزَّلَلِ والنسيَان، وأسألُهُ سبحانه وتعالى بمَنِّه وفضلِه أن يرزُقَنا الحقَّ واتِّباعَه، وأن يهدِيَنا لِما اخْتُلِفَ فيه من الحقِّ بإذنِه، هو وليُّ المتَّقينَ ، ونِعْمَ المولَى والنَّصِيْر.

سبحان ربِّك ربِّ العزَّة عمَّا يَصِفُونَ، وسلامٌ على المرسلين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

ناصر بن محمد بن مشري الغامدي

مكة المكرمة حرسَها الله

٦/١٠/١٤٢٠هـ

تقديم فضيلة الشيخ
سعـود بن إبراهـيم بن محمـد الشـــريم
إمام وخطيب المسجد الحرام

الحمدُ للهِ وحدَهُ والصلاةُ والسلامُ على من لا نَبيَّ بعدَهُ، وبعد:-

فقد قرأتُ مواضعَ متعدِّدَةً من الكتاب الموسوم بـ: (**المجموعة الذهبيَّة في الخطب المنبريَّة**) ، والتي رَقَمَها خَطّاً ، وألقَاهَا مُشَافَهَةً أخونا في الله **الشيخُ: ناصرُ بنُ محمد الغامديُّ** ، في مسجدِهِ الجامع بمكةَ حرَسَها الله ، وألفيتُها خُطَباً قيِّمَةً ، تَطَرَّقَ من خلالِها إلى مواضيعَ شتَّى تَتَعَلَّقُ بشئون المسلمين الحياتيَّةِ واليوميَّةِ ، وكان القِدْحُ المُعَلَّى فيها وقَصَبُ السَّبْقِ لِمَا يَمَسُّ الجانِبَ العَقَدِيَّ ؛ حيث أكدَّ على التمسُّك بالعقيدة السلفيةِ منهجَاً وسلوكاً في غير ما خطبة ، مُدَعَّمَةً بنقولاتٍ ومقولاتٍ للسلفِ الصالِحِ أئِمَةِ الهُدَى أَهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ ، والجامعُ بين الخُطَبِ المودَعَةِ كتابه سهولَةُ العبارةِ ووضوحُ المعنى ، بين الإطْنَابِ والإسْهَابِ ، قَشِيْبَةُ المظْهَرِ ، لا أشكُّ أنَّها ستكونُ ضِمْنَ قَائِمَةِ المراجعِ لبعض الخُطَباءِ الذين يحرصون على تَمَامِ خُطَبِهِم من خلالِ كثرةِ مراجعِهِم ، لا سِيَّمَا فيما هو من صَمِيْمِ الاختصاصِ ؛ وهو الخُطَبُ الجَوامِعُ.

فجزى الله مؤلِّفَها خيرَ الجزاءِ ، ونَفَعَ به وبخطَبِه المسلمين ، وزادَهُ من العلمِ والهُدَى والنورِ ، وجعلنا وإيَّاه وعمومَ المسلمين مِمَّن يستمعون القولَ فيتبِعُونَ أحسنَهُ ، وآخرُ دعوانا أَنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

قاله مُقيِّدُه

سعود بن إبراهيم بن محمد الشـريم

مكة المكرمة في ١٤١٩/٦/٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

سعود بن إبراهيم الشريم

إمام وخطيب المسجد الحرام

التاريخ: ________

الرقم: ________

المشفوعات: ________

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده   وبعد

فقد قرأت مواضع متعددة من الكتاب الموسوم بـ "المجموعة الذهبية في الخطب المنبرية"
والتي تمثل خطباً ألقاها متتابعة أخونا في الله الشيخ ناصر بن محمد الغامدي
في مسجده الجامع بمكة حرسها الله، وألفيتها خطباً قيمة تطرق من خلالها إلى
مواضيع شتى تتعلق بشؤون المسلمين الحياتية واليومية، وكان القدح المعلى فيها
وقصب السبق لما يمس الجانب العقدي، حيث أكد على التمسك بالعقيدة السلفية
منهجاً وسلوكاً، فهي تعد مادة خصبة مدعمة بنقولات ومقولات للسلف الصالح
أئمة الهدى أهل السنة والجماعة، مع الجمع بين الخطب المودعة كتابه سهولة
العبارة ووضوح المعنى بعيدة عن الإطناب والإسهاب المتشعبة المطولة، لذا لا شك أنها
ستكون ضمن قائمة المراجع لبعض الخطباء الذين يحرصون على تمام خطبهم من خلال كثرة
مراجعهم، ولا سيما فيما هو من صميم الاختصاص وهو الخطب الجوامع، فجزى الله مؤلفها خير
الجزاء، ونفع به وبخطبه المسلمين، وزاده من العلم والهدى والنور، وجعلنا وإياه
وعموم المسلمين ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قاله وكتبه

سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم

هاتف: ٥٢٨٢٥٥٠ - فاكس: ٥٢٨٢٥٥٠ - ص.ب: ٧٥٤٥ مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

المقدِّمة

الحمدُ لله رب العالمين ، ولا عدوان إلاَّ على الظالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له إله الأولين والآخرين ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسوله المصطفى الأمين ، بعثه الله رحمةً للعالمين وحجةً على الهالكين ، فصلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه والتابعين.

أمَّا بعد:

فهذه مجموعة من الخطب المنبريَّة المنتقاة من خطب ثمانية أعوامٍ متتالية من الخطابة ، حملني على إخراجها - بعد أن استخرتُ الله عزَّ وجلَّ - رغبةُ بعض الإخوة الفضلاء ممن سمعوا بعضَها فألحوا عليَّ في إخراجها علَّ الله أن ينفعَ بها المسلمين. وشجَّعَ ذلك رغبةٌ منيِّ في الإسهام بالدعوة إلى الله تعالى على نطاق أوسع من منبر الجمعة ؛ فقد يطَّلِعُ على هذه الكلمات من يستفيد منها وينتفع بها من المسلمين ، فلا أحرم من دعوةٍ منه بظهر الغيب ليحظى بمثلها.

وقد حرصت في هذه المجموعة - المجموعة الذهبية في الخطب المنبريّة - على تنوُّع الموضوعات ومعالجتها لقضايا تمسُّ حاجة المجتمع إليها. واكتفيتُ فيها بعزو الأحاديث عزواً مباشراً مع ذكر الحكم مختصراً -ما أمكن ذلك- ، ولا أعلم أنيَّ أوردتُ فيها حديثاً ضعيفاً لا تقوم به الحجة على المراد. كما حرصتُ على ضبطها قدر المستطاع من الناحية اللغوية ؛ تتميماً للفائدة.

وقد نوَّعتُ النقلَ في هذه الخطب ما بين آيةٍ محكمةٍ ، وحديثٍ بليغٍ، وقطوفٍ من الشعر والحكمةِ ، وأقوال السلف الصالح رضي الله عنهم.

وليس بالضرورة أن تكون جميع الموضوعات مناسبةً لفنِّ الخطابة ؛ فإنَّ خطبة الجمعة إنَّما هي موعظةٌ وتذكيرٌ بقضايا يحتاج إليها المجتمع ، والخطابة صعبة الإجادة ، والخطيب تمرُّ به أوقاتٌ ومناسبات ، وليس كلُّ موضوع يحظى منه بالاهتمام المطلوب ؛ فقد يقوى موضوعٌ عند الخطيب فيعبِّرُ عنه

تعبيراً وافياً صادقاً يُخرجه مخرجاً حسناً ، وقد لا يحظى موضوعٌ بذلك ولا بدَّ له من طرقِه فلا يُعبِّرُ عنه كما ينبغي مِمَّا يُضعفُ إخراجه.

ولا يفوتني أن أذكِّرَ المطَّلِعَ على هذه المجموعة باغتفار الزلَّة ، وستر الهفوة ، والتماس المعذرة ، وتقديم النصيحة والمشورة ، فالمؤمنون نصحة بعضهم أولياءُ بعضٍ ، والمنافقون غشَشَة بعضهم من بعض.

والنقصُ في أصل الطبيعة كامنٌ   فبنوا الطبيعة نقصُهم لا يُجحدُ

وحسبه أن يوقن في قرارة نفسه أنَّ طلب الكمال نوعُ وهمٍ ؛ فالكامل هو الله وحده ، وبنو آدم خطَّاؤن وخيرُ الخطَّائين التوَّابون. وليعلمْ أنَّ القصدَ من إخراج هذه المجموعة: النصحُ والإرشادُ للمسلمين فإن حصل ذلك بها -وأرجو أن يكون- فهو الذي أردتُ ، وأسأل الله أن لا يحرمني الأجرَ والثواب ، وإن كان غير ذلك فأستغفرُ الله منه وأتوبُ إليه.

كمالا يفوتني في نهاية هذه المقدمة أن أسأل المولى القدير جلَّ شأنه أن يُجزلَ مثوبة من أعان على نشر الخير وسعى فيه ؛ نفعاً للمسلمين ، وكسباً للخير لهم ، وأشكرُ جزيل الشكر فضيلة الشيخ/ سعود بن إبراهيم الشريم ؛ إمام وخطيب المسجد الحرام على تفضله مع كثرة مشاغله بقراءة هذه المجموعة والتقديم لها جعل الله ذلك في موازينه.

سبحان ربِّك ربِّ العزَّة عمَّا يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

كتبه: **ناصر بن محمد بن مشري الغامدي**
عضو هيئة التدريس بقسم القضاء
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
وخطيب جامع سعد الحربي
١٤١٩/٦/٧هـ

كلمة التوحيد ؛ مقتضاها ومدلولها

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى عليه وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله سبحانه وتعالى حقَّ التقوى ، اتَّقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله، يومَ يُنفخُ في الصورِ ، ويُبعثُ من في القبور ، ويظهرُ المستورُ ، يوم تُبلى السرائرُ ، وتُكشفُ الضمائرُ ، ويتميَّزُ البَرُّ من الفاجرِ.

عباد الله:

يقولُ اللهُ تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لآ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥] ، ﴿وَمَآ أُمِرُوَاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُوَاْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

معاشرُ المسلمين:

التوحيدُ أولُ شيءٍ بَدَأت به الرسلُ أقوامَها ، فما من نبيٍّ أُرسلَ لقومه إلاَّ قال: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٥٩] ، وكلمةُ التوحيد: لا إله إلاَّ اللهُ ، محمدٌ رسولُ الله ، هي الأصلُ الأصيلُ الذي أرسلَ اللهُ به رسلَه ، وأنزل به كتبَه ، وشرعَ لأجله شرائعَه ، من أجلها نُصبت الموازينُ ، ووضعت الدواوينُ ، وانقسمت الخليقةُ إلى مؤمنين أتقياء، وفجَّارٍ أشقياءٍ ، وقامت سوقُ الجنة والنار.

أخذَ اللهُ بها الميثاقَ على الناس يوم خلَقَهم: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:١٧٢].

إنَّها كلمةُ الإسلامِ ، ومفتاحُ دارِ السلام ، وهي كلمةُ التقوى والإخلاص ، والعروةُ الوثقى الباقية ، والعهدُ والأساس ، والمفتاحُ الذي يُدخلُ منه في الدين ، وبها تكون النجاةُ من الكفر والنار ، من قَالَهَا عصمَ دَمَه ومالَه ، وحسابُهُ على الله تعالى ، فإن كان مؤمناً بها من قلبه نَجَا من النار في الآخرة ، ودخلَ الجنةَ ، « فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ ».[متفقٌ عليه]

وهي الركنُ الحصينُ الذي تبدأُ به المسيرةُ مع الله ، قال المصطفى ﷺ لمعاذٍ -رضي الله عنه- حين بعثَه إلى اليمن معلِّمَاً ومُرْشِدَاً وحاكماً: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمَاً أَهْلَ كِتَابٍ فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ ». [متفقٌ عليه]

عباد الله:

لا يستقيمُ بناءٌ على غير أساس ، ولا فرعٌ على غير أصل ، والأصلُ والأساسُ لهذا الدين هو كلمةُ التوحيد الخالدةُ: لا إله إلاَّ الله محمدٌ رسولُ الله.

قال سعيدُ بن جُبيرٍ والضحَّاكُ في قول ا لله تعالى: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِـي الدِّيـنِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِا للهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَا للهُ سَمِيعٌ عَلِيـمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦] ، قالا: (هي كلمةُ التوحيدِ).

وقال ابنُ عباسٍ -رضي ا لله عنهما- في قول ا لله تعالى: ﴿لاَّ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾ [مريم:٨٧] ، قال: (العهدُ: هو شهادةُ أن لا إله إلاَّ ا لله، والبراءُ من الحول والقوَّة إلاَّ بـا لله، وأن لا ترجو إلاَّ ا للهَ عزَّ وجلَّ).

قال رسولُ ا لله ﷺ : « أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَـهَ إِلاَّ ا للهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَـهُ ».[رواه مالكٌ في الموطأ]

وعند ابن حبَّانَ والحاكمِ وصحَّحَهُ من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ- رضي ا لله عنه- أنَّ رسولَ ا لله ﷺ قال: « قَالَ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَا رَبِّ عَلِّمْنِي شَيْئَاً أَذْكُرُكَ بِهِ ، قَالَ: يا مُوْسَى قُلْ: لاَ إِلَـهَ إِلاَّ ا للهُ. قَالَ: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُوْلُوْنَ هَذَا. قَالَ: يَا مُوْسَى لَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي ، وَالأَرَضِيْنَ السَّبْعَ فِي كِفَّةٍ ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ ا للهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِـنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ ا للهُ».

عباد ا لله:

على كلمةِ التوحيدِ الجليلةِ بنى الرسولُ ﷺ دعوتَه ، وربَّى أمَّتَه ، وأنشأ جيلاً مُوَحِّداً يعبدُ الله تعالى حقَّ العبادَةِ ، ويتبرَّأُ من كلِّ شريكٍ مزعومٍ ووثَنٍ معبودٍ. ولقد كان الجاهليّون قبل البعثة في ضلالٍ وجهلٍ عميقٍ ، يَتَخبَّطُون في فوضى التَدَيُّن ، وأوْحَالِ الخُرافَةِ اتّخذوا لأنفسهم معبوداتٍ مُزَيَّفَةً ، وأصناماً هامدةً من حجرٍ وطينٍ وتمرٍ وعجينٍ ، يقصدونها في الرَّخاءِ ، وينبذونها في الشدَّةِ ، يَتَوجَّهُ إليها عابدُها حتّى إذا جاعَ أكَلَهَا ، وإذا ادْلَهَمَّ به خطبٌ أو أصابه ضرٌّ لم يرَ إلاَّ سَرَاباً لامِعاً ، وتراباً هَامِداً ، ﴿ وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ آلِهَةً لاَّ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَمْلِكُونَ لأنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلاَ حَيَاةً وَلاَ نُشُوراً﴾ [الفرقان:٣].

ولكنَّ المصطفى ﷺ حينَ جدَّدَ المِلَّةَ الحنيفيَّةَ السمحةَ ، وصدعَ بكلمة التوحيد الخالص أبطلَ كلَّ هذه الفوضى وهو يدعو الناس جميعاً إلى التوحيد قائلاً: ((أُرِيْدُهُمْ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَدِينُ لَهُمْ بِهَا الْعَرَبُ، وَتُؤَدِّي الْعَجَمُ إِلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ؛ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ)). [رواه الترمذيُّ وحسَّنَهُ وأحمدُ]

ولم يزلْ على ذلك حتّى اقتلعَ جذورَ الوثنيَّةِ من نفوس القوم ، وقامَ بعضُهم يُردِّدُ:

أربٌّ واحدٌ أم ألفُ ربٍّ ... أدينُ إليه إذا تقاسَمتِ الأمورُ
تركتُ اللاتَ والعُزّى جميعاً ... كذلك يفعلُ الرجلُ البصيرُ

وأجلُّ من ذلك وأعظمُ قولُ الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف:٣٩].

بل لقد جاءَ القرآنُ كلُّه لبيان معنى شهادةِ التوحيدِ ، وما تقتضيه ، وما يناقِضُها.

عباد الله:

إنَّ هذه الكلمةَ العظيمةَ ليست كلمةً مجرَّدةً تُقالُ باللسان فقط دون أن يكون لها أثرٌ في الجوارحِ والأعمالِ والسلوكِ ، بل هي كلمةٌ عظيمةُ الدلالة ، واسعةُ المعنى كبيرةُ المقتضى ذاتُ شروطٍ وأركانٍ وآدابٍ وأحكامٍ ، إذ تعني هذه الكلمةُ نفيَ الألوهيَّةِ عَمَّا سِوَى اللهِ عزَّ وجلَّ من سائر المخلوقات ، فلا عبادةَ لأصنامٍ وأضرحةٍ وأشجارٍ ، ولا طوافَ بقبورٍ وأولياءٍ ومزاراتٍ ، ولا طاعةَ لمخلوقٍ كائناً من كان في معصية الخالق سبحانه ، كما تعني هذه الكلمةُ إثباتَ الألوهيَّةِ للهِ بالبراءةِ من الشرك وأهله ، وإخلاصِ العبادة لله ، وخلوصِ القلب من التعلُّقِ بغير الله وحده. إنَّها تعني: إفرادُ الله تعالى بالعبادة ، والحبِّ ، والإجلالِ ، والتعظيمِ والخوفِ ، والرجاءِ ، والتوكُّلِ ، والرغبةِ ، والإنابةِ ، والرهبةِ ، فلا يُحبُّ غيرُ الله ، ولا يُخافُ سواه ، ولا يُرجى غيرُه ، ولا يُتوكَّلُ إلا عليه ، ولا يُرغبُ إلاَّ إليه ، ولا يُرهبُ إلاَّ منه ، ولا يُحلفُ إلاَّ باسمه ، ولا يُتابُ إلاَّ إليه ، ولا يُطاعُ إلاَّ أمرُه ، ولا يُسجدُ إلاَّ له ، ولا يُستعانُ عند الشدائد إلاَّ به ، ولا يُلجأُ عند المضائقِ إلاَّ إليه ، ولا يُذبحُ إلاَّ له وباسمه ، لا تصديقَ

لساحرٍ ، ولا ذهابَ لكاهنٍ ، ولا طاعةَ لعَرَّافٍ ومشعوذٍ يزعمُ أنَّه يعلمُ الغيبَ ويدفعُ الضُرَّ، ويجلِبُ النفعَ ، ﴿ **قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ ا للهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴾ [النمل:٦٥] ، ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِا للهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَا للهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة:٢٥٦].

إذْ معنى الكفرِ بالطاغوت: خَلْعُ الأنداد والآلِهَةِ التي تُدعى من دون ا لله من القلب ، وتركُ الشركِ بها ، وبغضُه وعدوانُه. ومعنى الإيمانِ بـا لله: إفرادُه بالعبادة التي تتضَّمنُ غايةَ الحبِّ مع غايةِ الذُّل والانقياد لأمره ، وهذا هو الإيمانُ با لله المُستلزِمُ للإيمان بالرسل عليهم الصلاةُ والسلامُ ، المُسْتَلْزِمُ للإخلاصِ لله في العبوديَّة. فمعنى لا إله إلاَّ ا لله: الإقرارُ بها علماً ونُطْقَاً وعملاً.

وإنَّ من الفهمِ السقيمِ يا عباد ا لله: أن تُفهم كلمةُ التوحيدِ على أنَّه لا خالقَ إلاَّ ا لله ، ولا رازقَ إلاَّ هو في مَعْزِلٍ عن توحيد العبادة ، فإنَّ هذا هو الفهمُ الذي أقرَّ به الكفارُ والمشركون في عصر النبوَّةِ ، فلم يُغنِ عنهم شيئاً ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ا للهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ [العنكبوت:٦١].

ولقد كان المشركون على جهلِهم وضلالِهم يُدركون المعنىَ العظيمَ لهذه الكلمة ، ولكنَّ ا للهَ تعالى لم يُردْ بهم خيراً ، إذْ لو أرادَ ا للهُ بهم خيراً لأسمَعَهم ، ولكنَّ حكمتَه تعالى اقتضت أن يكفرو برسوله ويعادوا أولياءَه ، ﴿ **وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ**

الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:١٤] ، وقالوا : ﴿ **أَجَعَلَ الاَلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُواْ وَاصْبِرُواْ عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ** ﴾ [ص:٥-٧].

وعلى شاكلتهم المنافقون الذين تلهثُ ألسنتُهم بهذه الكلمة في مجامع المسلمين ، وعباداتهم ، وغزواتهم ولكنَّ قلوبَهم مُشْرَبةٌ بضدِّها؛ وهو الكفرُ والجحودُ والعصيانُ ، فصاروا في الدَرْكِ الأسفلِ من النارِ ، ولن تجدَ لهم نصيراً ، ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾** [البقرة:١٦].

فأينَ هذا المعنى الناصعُ لكلمةِ التوحيد الجليلة من أحوال كثيرٍ من المسلمين الذين طالَ عليهم الأمدُ ، وغابَ عنهم الوحيُ ، فاندثرت عندَهم معالمُ الحنيفيَّةِ السَّمْحَةِ ، وسَرَتْ فيهم شوائبُ الشرك ، وتنازَعَتْهم الشهواتُ الفاسدةُ التي لوَّثَتْ عقيدةَ التوحيد الخالص في قلوبهم ، وكدَّرَتْ صفاءَ العقيدة المشرقِ في نفوسهم ، فصرفوا أنواعاً من العبادة لغير الله ، وألقوا زِمَامَ أَعِنِّتِهم إلى الشيطان يقودُهم في مناسبةٍ وغير مناسبةٍ إلى أضرحة الموتى ، يطلبون المدَدَ من الأولياء والصالحين ، ويذبحون للقبور ، ويُصدِّقون السحرةَ ، ويَلْهَثُونَ وراءَ المُشَعْوِذِينَ والكَهَنَةِ ، مُسْتَصْرِخينَ بهم، يرجون منهم كشفَ الضُرَّ ، وجلبَ النفع ، وشفاءَ المرضى ، وردَّ الغوائب، تعالى الله عن ذلك عُلُوّاً كبيراً.

بل أينَ هذا المعنى الناصعُ لكلمةِ التوحيد -كما أرادَه الله- مِمَّن ضَيَّعُوا مقتضياتِها ، لا يقيمون الصلاةَ ، ولا يؤتون الزكاةَ ، ولا يخافونَ

يوماً تتقَلَّبُ فيه القلوبُ والأبصار ، ثمَّ يطمعون بعد ذلك في أن يدخلوا الجنةَ ، ويُكرموا بما فيها من النعيم المقيم ، ويُزحْزَحوا عن النار.

قِيْلَ للحسن البصريِّ -رحمه الله-: إنَّ أُناساً يقولون: من قال لا إله إلاَّ الله دخل الجنة. فقال: (من قال لا إله إلاَّ الله ، فأدَّى حَقَّها وفَرْضَها دَخَلَ الجَنَّةَ).

أيُّها المسلمون:

لقد ضَلَّ كثيرٌ من المنتسبين إلى الإسلام الطريقَ ، وأساءوا العملَ ، تعَلَّقَ المؤمنون بربٍّ خالقٍ مُدَبِّرٍ ، إلهٍ واحدٍ ، ينفعُ ويضُرُّ ، ويثيبُ ويُعاقب، وتَعَلَّقُوا هم بعظامٍ فانيةٍ ، وأشلاءٍ باليةٍ ، وقبورٍ خاويةٍ ، ومخلوقاتٍ ضعيفةٍ ، لو كانت تملكُ شيئاً ما لبث أصحابُها في التراب ، وتَعَرَّضُوا لصنوفِ الأذى والدمار.

وقفَ المسلمون بين يدي إلهٍ كريمٍ يُجيبُ دعوةَ المضطرِّ إذا دعاه ويكشفُ السوءَ ، يرفعون أكُفَّ الضَّرَاعَةِ إليه ، ويطوفون ببيته ، يرجون رحمَته ويخشون عذابه ، ووقفَ أولئك التائهون أمامَ أوثانٍ جامدةٍ ، وطافوا حول أضرحةٍ خاويةٍ لا تعرفُ من عبدَها مِمَّن لم يَعْبُدْها ، بل لا تعدو أن تكون هشيماً تذروه الرياح ، وتراباً يملأُ العيونَ قذاً.

فهل يستوي يا عباد الله من تتوزَّعَه الأهواءُ ، وتتنازعَه الشهواتُ ، لا يدري أينَ يَتَوَجَّهُ ، ولا لِمَنْ يكون له الرضا والخضوعُ مع مَنْ خَضَعَ للواحدِ الفردِ الصَمَدِ سبحانه وتعالى ، فَنَعِمَ بِبَرْدِ اليقين ، وراحةِ

الاستقامة، ووضوحِ الطريقِ. الحمدُ لله بل أكثرُهم لا يعلمون ، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله تعالى فاستغفروه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

*** ** ***

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله الواحدِ الأحدِ الفردِ الصمدِ ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ لـه ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبِه وسلَّمَ تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله أيُّها الناس ، واعلموا أنَّ التصديقَ بكلمة التوحيد يجعلُ المسلمَ ينفي أربعةَ أمور ، ويُثبتُ أربعةً أخرى ، فينفي الآلِهَةَ والطواغيتِ ، والأندادَ ، والأربابَ.

والآلِهَةُ: هي ما قُصد بشيءٍ من العبادة من دون ا لله من جلب خيرٍ أو دفع ضُرٍّ. **والطواغيتُ**: هي من عُبِدَ وهو راضٍ أو رُشِّحَ للعبادة. **والأندادُ**: هو ما جذبَكَ عن دين الإسلام من أهلٍ أو مسكنٍ أو عشيرةٍ أو مالٍ. **والأربابُ**: من أفتاكَ بمخالفة الحقِّ فأطعتَه ، قال تعالى: ﴿**اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ ا للهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [التوبة:٣١].

وأمَّا الأمورُ التي يُثبتَها: فهي قصدُ ا للهِ تعالى بالعبادة ، وتعظيمُه ، ومحبَّتُه ، وخوفُه والرجاءُ له.

وقد ذكرَ أهلُ العلم: شروطاً سبعةً لكلمةِ التوحيد ، لا تنفعُ صاحبَها إلاَّ باجتماعها فيه ، جمَعَها الناظمُ في قوله:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقُكَ معْ ... محبَّةٍ وأنقيادٍ والقبول لَهَا

وزيدَ ثامنُها الكفرانُ منكَ بما ... سوى الإلهِ من الأوثانِ قد أُلِهَا

فأولُ هذه الشروط: العلمُ بمعناها المراد منها ؛ وهو عبادةُ ا لله وحده ، والبراءةُ من عبادة من سواه ، قال الرسولُ ﷺ : « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ ا للهُ دَخَلَ الجَنَّةَ ».[رواه مسلم]

وثانيها: اليقينُ المنافي للشكِّ ؛ بأن يكون قائلُها مستيقناً بمدلولها يقيناً جازماً ؛ لقول الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ بِا للهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ا للهِ أُوْلَـئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ [الحجرات:١٥].

وقال رسولُ الله ﷺ : « أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلا الله وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ لاَ يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلا دَخَلَ الْجَنَّةَ ».[رواه مسلم]

قال الإمامُ القرطبيُّ -رحمه الله- في شرحه على صحيح مسلم: (بابٌ لا يكفي مجرَّدُ التلفُّظِ بالشهادتين ، بل لا بُدَّ من استيقانِ القلب، وهذه الترجمةُ تنبيهٌ على فساد مذهب غُلاَةِ المرجئَةِ القائلين بأنَّ التلفُّظ بالشهادتين كافٍ في الإيمانِ ، والأحاديثُ تدلُّ على فساده ، بل هو معلومُ الفسادِ من الشريعةِ لمن وقفَ عليها ؛ ولأنَّه يلزمُ منه تسويغُ النفاقِ ، والحكمُ للمنافق بالإيمان الصحيحِ وهو باطلٌ قطعاً).

والشرطُ **الثالث**: القبولُ لِمَا اقتضته هذه الكلمةُ بقلبه ولسانه. والشرطُ **الرابع**: الانقيادُ التامُ لِمَا دَلَّتْ عليه ، ﴿ **وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾ [لقمان:٢٢]، وقال المصطفى ﷺ : « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ ». [رواه الطبرانيُّ وأبو نُعيمٍ وصححَه النووي]

والخامسُ: الصدقُ المنافي للكذب ، وهو أن يقولها صدقاً من قلبه يواطيءُ قلبُه لسانَه عليها ، لا كما فعلَ المنافقون الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة:٨-٩].

والسادسُ من شروطها: الإخلاصُ لله ، وهو تصفيةُ العملِ بصالِحِ النيَّةِ عن جميع شوائبِ الشرك ، قال رسولُ الله ﷺ : « مَنْ قَالَ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ

اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ ، وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ مُخْلِصاً مِنْ قَلْبِهِ ، يَصَدِّقُ بهَا لِسَانُهُ إلاَّ فَتَقَ اللهُ لَهَا السمَاءَ فَتْقَاً حَتى يَنْظُرَ إِلَى قَائِلِهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ ، وَحُقَّ لِعَبْدٍ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ».[رواه النسائيُّ وإسنادُه صحيحٌ]

وأمَّا **السابعُ** من شروطها: فهو المحبَّةُ لهذه الكلمة ، ولِمَا اقتضته ودلَّتْ عليه ، وكذا الحبُّ لأهلها الملتزمين بشروطِها ، العاملين بها ، وبُغْضُ ما يُناقضُ ذلك ، ولاءً وبراءً لله وفيه ، قال ﷺ : « ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إلا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».[متفقٌ عليه]

ومن علامةِ حبِّ العبدِ لربِّه تقديمُ مَحَابهِ وإن خَالَفَتْ هَوَاهُ ، وبغضُ ما يبغضُه اللهُ وإنِ مالَ إليه هواهُ ، ومـوالاةُ مـن والى اللهَ ورسولَه ، ومعـاداةُ من عاداهُمَا ، واتِّباعُ رسولِه ﷺ ، واقتفاءُ أثره ، وقبولُ هديه.

اللهُم صلِّ وسلِّم على عبدِكَ ورسولِكَ محمدٍ وعلى آلهِ وصحبِه.....

ﻫ ﻫ ﻫ



الغلوّ وعبادة القبور

● الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى عليه وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا ا للهَ سبحانه وتعالى حقَّ التقوى فبتقوى ا لله تبارك وتعالى تزكو الأعمالُ وتصلحُ الأحوالُ ، وما تقدِّموا لأنفسِكُم من خيرٍ تجدوه عند ا لله.

عِباد ا للهِ:

لَمَّا خلَقَ ا للهُ آدمَ أبا البشرِ استخرجَ ذُرِّيَّتَه من ظهره أمثالَ الذرِّ ، وأخذَ عليهم العهدَ والميثاقَ على تحقيق التوحيد الخالصِ لله تعالى في أسمى صوره ، وأبهى حُلَله ، وأشهدَ عليهم ملائكتَه أن يعبدوه وحده لا يشركونَ به شيئاً.

﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوَاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣].

وهكذا خلقَ ا للهُ تعالى الخلقَ يميلون بفطرهم إلى التوحيد الذي خلقَ ا لله الخلقَ لأجله ، وأنزلَ به كتبَه ، وأرسلَ به رسلَه ، ديناً قِيَماً مِلَّةَ إبراهيمَ حنيفاً وما كان من المشركين.

فكلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرة ، ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ ا للهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ا للهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الروم:٣٠].

وبِمُجَرَّدِ خروجِ الإنسانِ مولوداً إلى هذه البسيطةِ ، وتدرُّجِهِ في الحياةِ يبدأُ تحديدُ الاتجاه العقَديِّ له بتأثير آبائه ، وبيئتِه ، ومجتمعه ، وأقرانِه ؛ «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ». [رواه البخاريُّ] ؛ أو يُبقيانِه على فطرَةِ التوحيدِ.

وما أكثرَ الشُّبَهِ والأسبابِ التي تصرفُ الناسَ عن التوحيد إلى الضلالِ في القديمِ والحديثِ.

عباد الله:

وتَحقَّقَ هذا العهدُ والميثاقُ للبشريَّةِ من لَدُنْ آدمَ إلى نوحٍ -عليهما السلام- ؛ حيثُ طرأ الشركُ على الناسِ ليُطفيء نورَ التوحيد الساطعِ ، ويُخفي ضياءَ العقيدةِ اللامعِ.

قال سفيانُ عن أبيه عن عِكْرِمَةَ -رضي الله عنه-: «كان بينَ آدمَ ونوحٍ عشرةُ قرونٍ كلُّهم على الإسلامِ». [رواه البخاريُّ]

وقال ابنُ عباسٍ -رضي الله تعالى عنهما-: في قول الله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً**﴾ [نوح:٢٣] ، قال: «هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ؛ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنِ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمِ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ

أَنْصَابَاً وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ ». [رواه البخاريُّ]

وقد قيلَ: إنَّ إبليسَ -عليه لعنةُ الله- دَبَّ إليهم فقال: إنَّما كانوا يعبدونَهم ، وبهم يُسقونَ المطرَ. فعبدوهم. وفي روايةٍ: أنَّهم قالوا: ما عظَّمَ أوَّلُنا هؤلاءِ إلاَّ وهم يرجونَ شفاعتَهم عند الله. فعبدوهم.

قال ابنُ القيِّمِ -رحمه الله-: (قال غيرُ واحدٍ من السلف: لَمَّا ماتوا عَكَفُوا على قبورِهم ، ثمَّ صوَّرُوا تماثِيلَهم ، ثمَّ طالَ عليهم الأمدُ فعبدوهم).

عباد الله:

وضلَّت رسلُ الله تَتْرَاً ، ونُذرُه تتوالى على البشريَّةِ ، كلَّما انطمست معالُم التوحيدِ في أمَّةٍ من الأمم أرسلَ الله إليها من يُجدِّدُ شَرْعَه ، ويدعوهم إلى الصراط المستقيم ؛ صراطِ اللهِ الذي له ما في السموات والأرضِ.

وبقي هذا حالُ البشريَّةِ حتَّى بدايةِ ظهورِ نبوَّةِ المصطفى ﷺ ، وقد بعثَه الله سبحانه وتعالى بالشريعةِ الخاتمةِ ، والحنيفيَّةِ السَمْحَةِ ، بعد أن مقتَ أهلَ الأرضِ عربَهم وعجمَهم إلاَّ بقايا من أهل الكتاب المتمسِّكِيْنَ بدينِهم الذي جاءَتْ به أنبياؤُهم.

فلمَّا بُعثَ النبيُّ ﷺ فتحَ الله به أعيناً عُمياً ، وآذاناً صُمَّاً وقلوباً غُلْفَاً ، وحصلَ ببركةِ نبوَّتِه الخيرُ العظيمُ ، وأشرقت الأرضُ بنور ربِّها.

وحَرِصَ المصطفى ﷺ وهو يدعو الناسَ إلى التوحيد على أن يُزيلَ كلَّ رواسبِ الجاهليَّةِ المتحكِّمَةَ في جزيرة العرب بحكمةٍ وَرَوِيَّةٍ ، مقتفياً أثرَ التوجيه الربَّاني الكريم: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [النحل:١٢٥].

حتَّى كان أخرَ الأمر أن قضى على كلِّ شعارات الجاهليَّةِ في فترةٍ وجيزةٍ .

ثمَّ حذَّرَ بعد ذلك من إحياءِ الجاهليةِ أو التشبُّه بأهلها ، أو موافقتهم في ذلك ؛ تجريداً للتوحيد ، وتحقيقاً للعقيدة التي هي حقيقةُ هذا الدين الذي لا يقبلُ الله من أحدٍ ديناً سواه.

ومن تلك الرَّوَاسِبِ الجاهليَّةِ والأمور الشركيَّةِ التي حرَّمَها الإسلامُ وحرصَ المصطفى ﷺ على تخليصِ الناسِ منها: الغلوُّ ؛ الغلوُّ في الصالحينَ والعُبَّادِ ، والغلوُّ في الأنبياءِ والمرسلين ، والغلوُّ في العبادةِ ذاتِها؛ لأنَّ الدينَ يُسْرٌ ولن يُشَّادَّ الدينَ أحدٌ إلاَّ غَلَبَهُ.

أيُّها المسلمون:

إنَّ الغلوَّ في الصالحين من العلماء والأولياء والعُبَّادِ والزُّهاد مصيبةٌ عُظمى ، وبليةٌ كبرى ، وهو مفتاحُ البلاءِ العظيم ؛ كما حَدَثَ في قوم نوحٍ. وهو أصلُ الشركِ قديماً وحديثاً ؛ لقُرْبِ الشركِ بالصالحين من النفوس ؛ فإنَّ الشيطانَ يُظهرُه في قالبِ المحبَّةِ ، كما هو حالُ أهلِ الأَضْرِحَةِ والمزَارَاتِ الشِرْكِيَّةِ ؛ الذين يزورون قبورَ الأولياء المزعومين يَسْتَجْدونَهم ، ويَسْتَنصرونَهم ، ويسألونَهم قضاءَ الحوائجِ من دون الله تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

والغلوُّ في أصله: هو مجاوزةُ الحدِّ في مدحِ شيءٍ أو ذَمِّه. وضابطُه: تَعَدِّي ما أمرَ الله تعالى به ، وهو الطُغيانُ الذي نهى الله تعالى عنه في قوله: ﴿ **وَلَا تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ** ﴾ [طه: ٨١].

والغلوُّ من مُمَيِّزَاتِ اليهودِ والنصارى التي نعاها عليهم القرآنُ الكريمُ في أكثرٍ من موضع. فقد غلا النصارى في عيسى عليه السلام حتَّى نَقَلُوه من صِفَةِ النبوَّةِ إلى أن جعلوه إلَهاً من دون الله تعالى ، يعبدونَه كما يعبدون الله ، بل أفردوه بالعبادةِ من دون الله ، وغَلَوا فيمن زَعَمَ أنَّه على دينه من أتباعِه ؛ فادَّعَوا فيهم العِصْمَةَ ، واتَّبَعُوهم في كلِّ ما قالوه سواءٌ أكان حقّاً أم باطلاً.

وعلى النقيض من ذلك اليهودُ ؛ إذ غَلَوا في عيسى عليه السلام فحطُّوه عن منزلته التي جعله الله تعالى عليها حتى جعلوه ولدَ بغيٍّ ، تعالى الله سبحانه عن أن يجعل رسالتَه إلى ولدِ زِنَا ، قاتلَهم الله أنَّي يؤفكون.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ -رحمه الله-: (ومن تشبَّهَ من هذه الأُمَّةِ باليهودِ والنصارى ، وغَلاَ في الدين ؛ بإفراطٍ فيه أو تفريطٍ فيه ، وضَاهَاهُمْ في ذلك فقد شَابَهَهُم ؛ كالخوارجِ المَارِقِيْنَ من الإسلام الذين خَرَجُوا في خلافةِ عليٍّ بن أبي طالبٍ ، فقاتلَهم حتَّى رجعَ أغلبُهم إلى الحقِّ ، وأحرقَ الغاليَة من الروافض الذين غَلَوا فيه فأمرَ بأخاديدَ خُدَّتْ عندَ بابِ كِنْدَةَ ، فقذَفهم فيها ، واتَّفَقَ الصحابةُ -رضي الله عنهم- على قتلِهم، لكنَّ ابنَ عباسٍ كان يرى أن يُقتلوا بالسيف من غير تحريقٍ، وهو قولُ أكثرِ العلماء).

عباد الله:

ولقد حَرِصَ المصطفى ﷺ على سَدِّ الطُرُقِ المؤدِّيَةِ إلى الشركِ ، وحَذَّرَ الأُمَّةَ من صنيعِ اليهودِ والنصارى ؛ فقال: « إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ ». [رواه أحمدُ والنسائيُّ وابنُ ماجه، وهو صحيحٌ]

وعن ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ : ((هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ؛ قَالَهَا ثَلاَثاً)). [رواه مسلم] ؛ والمُتنطِعونَ: هم المُتَعَمِّقُون ، الغالونَ في الكلام ، المُتكَلِّفُونَ في العبادةِ ، الخارجونَ عن قواعد الشريعة.

قال ابنُ عباسٍ -رضي الله عنهما-: جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ. فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ : ((أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلاً ! بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ)). [رواه البخاريُّ في الأدب المفرد ، وأحمدُ ورجالُه ثقاتٌ]

وقال ﷺ : ((إنّه لاَ يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ)). [رواه أحمدُ والبيهقيُّ]

وقد ذكرت أمُ سلمةَ للنبيِّ ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشةِ ، وما فيها من الصورِ ، فقال: ((أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ)). [رواه البخاريُّ ومسلم]

قال الإمامُ القرطبيُّ -رحمه الله-: (وإنّما صَوَّرَ أوائِلُهم الصورَ ليتأسَّوا بها ، ويتذَكَّرُوا أفعالَهم الصالحةَ ، فيجتهدونَ كاجتهادهم ، ويعبدونَ اللهَ عندَ قبورهم ، ثمَّ خلفَهم قومٌ جَهِلُوا مُرَادَهم ، ووسوسَ لهم الشيطانُ أنَّ أسلافَكم كانوا يعبدونَ هذه الصور ، ويُعظِّمُونَها ، فَحَذَّرَ النبيُّ ﷺ عن فعلِ ذلك سَدّاً للذَّرِيْعَةِ المؤَدِّيَةِ إلى الشركِ).

وقالت عائشةُ -رضي الله تعالى عنها-: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا. [متفقٌ عليه]

وهذا التحذيرُ واللعنُ عن مشابهةِ أهل الكتابِ في بناءِ المساجدِ على قبور أنبيائهم وصالحيهم صريحٌ في النهي عن المشابَهَةِ لهم ، وفيه دليلٌ على وجوب الحذَرِ من جنسِ أعمالِهم ؛ إذ لا يؤمنُ في سائرِ أعمالِهم أن يكون من هذا الجنس.

قال ﷺ : « اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنَاً يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ». [رواه مالكٌ في الموطأ وأحمدُ وإسنادُه صحيحٌ]

عباد الله:

ومع حِرْصِهِ ﷺ على سدِّ أبواب الشركِ ، وحثِّه على إخلاص التوحيد لله تعالى وإفرادِه بالعبادَةِ ، وبيانِ منزلَتِه الحقيقيَّةِ المتمثِّلَةِ في كونهِ عبدُ اللهِ ورسولُه ، لا يعلمُ الغيبَ ، ولا يملكُ التصرُّفَ في شيءٍ من أمور الكون ، إلاَّ أنَّ عُبَّادَ القبور أبوا إلاَّ مخالفةَ أمره ، وارتكابَ نهيه ، ومناقضَتَه أعظمَ المناقضة ، زاعمينَ أنَّهم إذا وصفوه بأنَّه عبدُ الله ورسولُه ، وأنَّه لا يُدعى ، ولا يُستغاثُ به ، ولا يُنذرُ له ، ولا يُطافُ بقبره وحجرتِه ، وأنَّه ليسَ له

من الأمر شيءٌ ، ولا يعلمُ من الغيبِ إلاّ ما علّمَه الله -زاعمين- أنَّ في ذلك هَضْمَاً لجنَابِهِ ، وغَضَّاً من قَدْرِه ، فرفعوه فوقَ منزلتِه ، وادَّعوا فيه ما ادَّعَتْهُ النصارى في عيسى بن مريم عليه السلام أو قريباً منه ، فسألوه مغفرةَ الذنوبِ ، وتفريجَ الكروب ، حتّى قال بعضُهم مُنَاقِضَاً للتوحيدِ ، وكافراً با لله تعالى ، مُستغيثاً بالنبيِّ ﷺ استغاثةً شركيةً مُبتدعةً:

يا أكرمَ الخلقِ ما لي من ألوذُ به ... سِوَاكَ عندَ حلولِ الحادثِ العَمِمِ

فإنَّ من جودكَ الدُّنيا وضرَّتَها ... ومن علومِكَ علمَ اللوحِ والقلَمِ

مناقضين بذلك الأدلةَ الصريحةَ التي ثبتت عنه ﷺ ثبوتاً متواتِرًا لا شكَّ في صحته ، والتي بيَّنَ فيها منزلتَه ومكانتَه ، وأنّه عبدُ الله ورسولُه ، وأنَّ الله وحده هو الذي يُستغاثُ به ، ويُستنصرُ به ، ويُطلبُ منه تفريجُ الكروبِ ، ومغفرةُ الذنوبِ ، لأنَّه وحده القادرُ على ذلك ، ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوَاْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ الله فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ الله وَلَمْ يُصِرِّواْ عَلَىَ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران:١٣٥] ، ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوَءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ الأرْضِ أَإِلَـٰهٌ مَّعَ الله قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النمل:٦٢].

﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىَ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ الله شَيْئاً وَسَيَجْزِي الله الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران:١٤٤].

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللهِ وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ۞ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٧٩-٨٠].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعنا بسُنَّةِ سَيِّدِ المرسلين أقولُ ما تسمعونَ وأستغفرُ اللهَ فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

٭٭ ٭ ٭٭

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى اللهُ عليه وعلى آله وصحبِه وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا ا لله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه ، واعلموا أنَّكم ملاقوه.

عباد ا لله:

إنَّ اتِّخاذَ أحبار الناس أرباباً يُحلِّلون ويُحرِّمونَ ، ويُدَّعى لهم التصرُّفُ في الكون ، ويُنادون من دون ا لله تعالى في دفع ضُرٍّ أو جلب نفعٍ من جاهليَّةِ أهلِ الكتاب ، وقد سَرَى ذلك إلى غيرِهم من جُهَلاءِ العربِ قديماً وحديثاً ، ولهم اليومَ بقايا في مشارق الأرض ومغاربِها ؛ تصديقاً لقول النبيِّ ﷺ : « لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرَاً شِبْرَاً وَذِرَاعَاً بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ ا للهِ! الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ: « فَمَنْ ؟! ». [رواه البخاريُّ وغيرُه]

قال المُنَاوِيُّ -رحمه ا لله-: (وهذا الحديثُ كِنَايَةٌ عن شِدَّةِ الموافقةِ لَهُمْ في المخالفات والمعاصي والكفر ، ثُمَّ إنَّ هذا لفظُ خبرٍ معناه: النهيُ عن أتِّباعِهم ، ومَنْعِهم من الالتفاتِ لغيرِ دينِ الإسلامِ).

﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ ا للهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ ا للهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ ا للهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ ا للهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة: ٣٠-٣١].

وإنَّ المسلمَ يا عباد ا لله: ليرى أُناساً في هذه الأزمان مُعرضين عن ا لله تعالى ، وعن دينه الذي ارتضاه للعالمين ، متوَغِلين في البدع ، تائهين في

أودية الضلال ، معادين للكتاب والسنّةِ ومن قامَ بهما ، وهذا هو الغالبُ على عُبَّادِ القبورِ والأَضْرِحَةِ ؛ فإنّهم عظَّموا الأمواتَ تعظيماً شركيّاً مُبتدعاً، فألقى الشيطانُ إليهم أنَّ البناءَ على القبورِ ، والعكوفَ عليها من مَحَبَّةِ الصالحين وتعظيمِهم ، وأنَّ الدعاءَ عندها أرجى من الدعاء عند المسجدَ الحرام.

وسرى ذلك في نفوس كثيرٍ من الجُهَّال والطَغَامِ وكثيرٍ مِمَّن ينتسبونَ إلى العلم و الدين من المسلمين حتى عادوا أهلَ الإيمانِ ورموهم بالعظائم ، ونفَّرُوا الناسَ عنهم ، ووَالَوا أهلَ الشرك والفِسق ، وعظَّمُوهم ، وزعموا أنَّهم أولياءُ لله تعالى وأنصارٌ لدينه ورسولِه ، ويأبى الله ذلك ، ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٣٤].

عباد الله:

وربُّمَا تبادَرَ لذهنِ السامعِ لأولِ وَهْلَةٍ أنَّ ذلك ضربٌ من ضروب الخيال المُبالغ فيه ، لكنَّه -وبالشديدِ الأسفِ- هو واقعُ كثيرٍ من الناس في بلادٍ شَتَّى من العالم ، اتَّخَذُوا من المزاراتِ البدْعِيَّةِ ، والأَضْرِحَةِ القبوريَّةِ ملاذاً وملجأً من دون الله تعالى ، يلجأون إليها في قضاء الحاجات ، ويُقسمونَ بها وبأهلها من دون الله ، وليس هذا فحسبُ؛ بل إنَّ كثيراً من تلك المزارات والأضرحةِ يُعكفُ عليها ، وتُعلَّقُ عليها القناديلُ والستورُ ،

ويُطافُ بها ، ويُحجُّ إليها -على حدِّ زعمهم- ويُذبحُ عندها ، وتُنفقُ عليها الألافُ المؤلفةُ من الأموال.

وهذا كلُّه بسببِ الغلوِّ في أصحاب تلك القبور والأضرحةِ ، واعتقادِ أنَّها تنفعُ وتضرُّ من دون الله تعالى ، وهل بعد هذا -عباد الله- من كفرٍ وضلالٍ عياذاً بالله ؟!

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف:٥].

فاتقوا الله تبارك وتعالى أيُّها الناس ، واحذروا من الغلوِّ في أحدٍ من البشرِ أو المخلوقات كائناً من كان ، أفردوا الله تعالى بالعبادة ، وتضرَّعوا إليه بصالح الأعمال ، وافعَلُوا الخيرَ لعلَّكم تُرحمون ، ثمَّ صلُّوا وسلِّموا رحمكم الله على محمدِ بنِ عبدِ الله عليه الصلاةُ والسلامُ....

التوكلُ على الله تعالى فضله وثوابه

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ للهِ ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالنا ، من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى عليه وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليماً كثيراً ، اللَّهُمَّ لكَ أسلمنا وبكَ آمنا وعليكَ توكَّلْنَا وإليكَ أَنَبْنَا وإليكَ المَصِيْرُ.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

أوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ عزَّ وجلَّ فاتَّقوه رحمكم الله فإنَّ تقوى الله هي العصمةُ من البلايا والمَنَعَةُ من الرزايا ، بها السعادةُ في العاجل والآجلُ ، وعليها مناطُ النجاةِ في الأولى والآخرةِ ؛ ﴿ **ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً** ﴾ [الطلاق:٥].

عباد الله:

يقولُ اللهُ تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣]. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان:٥٨]. ﴿ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

أيُّها المسلمون:

التوكلُ والإنابةُ هما الدين كلُّه ، ومنزلةُ التوكلِ في الإسلام أوسعُ المنازلِ وأجمعُها ، ولا تزالُ إلى يوم القيامة معمورةً بالنازلين ، ومشغولةً بالصالحين.

والتوكلُ في حياة المسلم عملٌ وأملٌ مع هدوءِ قلبٍ وطمأنينةِ نفسٍ، واعتقادٍ جازمٍ بأنَّ ما شاءَ اللهُ كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنَّ اللهَ لا يُضيعُ أجرَ من أحسن عملاً ، وأنَّه لن تموتَ نفسٌ حتَّى تستكملَ رزقَها وأجلها. فكم من عاملٍ كادحٍ لم يأكل ثمرةَ عمله وكدحه ، وكم من زارعٍ لم يحصد ما زرع.

وحقيقةُ التوكل: هو اعتمادُ القلب على اللهِ عزَّ وجلَّ في اسْتِجْلاَبِ المصالحِ ودفْعِ المفاسِدِ.

قال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ -رحمه اللهُ-: (التوكلُ جِمَاعُ الإيمانِ).

والتوكلُ في الإسلام -معاشرُ الإخوةِ- أصلٌ لجميع مقامات الإيمان والإحسان ، ولجميع أعمال الدين. وهو فريضةٌ من فرائضِ الإسلام التي

يَجِبُ أن تُخلصَ لله تعالى ؛ لأنَّه من أفضل العبادات ، وأعلى مقامات التوحيد ، لا يقومُ به على وجه الكمال إلاَّ الخوَاصُّ من المؤمنين المتقين.

من أجل ذلك أمر الله به عباده ، وحثَّهم على إخلاصِه ، وجعلَه شرطاً في الإسلام والإيمان ، يَنْتَفِيَانِ عن العبدِ عند انتفائِه ، ﴿ **يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ**﴾ [يونس:٨٤].

عباد الله:

لقد جمعَ اللهُ في كتابه بينَ التوكلِ والعبادةِ ، وبينَ التوكلِ والإيمانِ، وبينَ التوكلِ والتقوى ، وبين التوكلِ والإسلامِ ، وبين التوكل والهدايةِ؛ مِمَّا يدلُّ بوضوح على أنَّ التوكلَ أصلٌ لجميع مقامات الإيمان والإحسان ، ولجميعِ أعمالِ الإسلامِ.

قال سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال:٢].

قال ابنُ عباسٍ -رضي الله عنهما-: (المنافقون لا يدخلُ قلوبَهم شيءٌ من ذكرِ اللهِ عندَ أداءِ فرائِضِهِ ، ولا يؤمنون بشيءٍ من آيات اللهِ، ولا يتوكلونَ على اللهِ ، ولا يُصلُّون إذا غابوا ، ولا يؤتون زكاةَ أموالِهم ، فأخبرَ سبحانه أنَّهم ليسوا بمؤمنين ، ثمَّ وَصَفَ المؤمنين بهذهِ الآيةِ ، فأدَّوا فرائضَه واعتمدوا عليه بقلوبِهم ، مفوِّضِيْن إليه أمورَهم وحدَه لا شريكَ له فلا يرجون سواه ، ولا يقصدون إلاَّ إيَّاهُ ، ولا يرغبون إلاَّ إليهِ ، يعلمون

أنَّ ما شاءَ اللهُ كانَ ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنَّه المتصرِّفُ في الملكِ وحده لا شريكَ له).

عباد الله:

والإسلامُ -وهو يحثُّ أتباعَه على تحقيق التوكل على الله بأسمى صوره يريدُ منهم أن يعتزُّوا بربِّهم الذي منه العزةُ ، وأن يكونَ الواحدُ منهم في عمله الذي اعتقده نافعاً وصواباً ، وعزم عليه مقداماً جريئاً ، بعيداً عن التردُّد ، لا يخشى الصِّعابَ ، ولا يَهابُ إلاَّ الله ، ﴿ **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [آل عمران:١٥٩].

إنَّ عزَّ المسلم الحقيقيَّ هو استغناؤه عَمَّا في أيدي الناس ، والبعدِ عن سؤالِهم ، وعلى هذا بايعَ الصحابةُ رسولَ الله ﷺ ؛ بايعوه على السَّمْعِ والطاعةِ في العُسْرِ واليُسْرِ والمَنْشَطِ والمكره ، وعلى أن لا يسألوا الناس شيئاً ، فكان سوطُ أحدِهم يسقطُ على الأرض من على رحله ، فلا يسألُ أحداً أن يُناوله إيَّاهُ.

ومن جرَّبَ سؤالَ الناسِ حاجتَه رجعت عليه نفسُه باللوم إن كانت عزيزةً ، وأنَّبَهُ ضميرُه إن كان حيَّاً لِمَا يَجِدُه من تخاذُل الناس عن قضاء حوائجه ، ومنَّتهم عليه.

لا تَسْألَنَّ بُنيَّ آدمَ حاجةً ... وَسَلِ الذي أبوابُه لا تُحجبُ
اللهُ يغضبُ إن تركتَ سؤالَه ... وبُنيَّ آدمُ حين يُسألُ يغضبُ

إنَّ التوكلَ الصادقَ على الله هو قطعُ اليأسِ من الناس بصدق الإلتجاءِ إلى الله ، والاعتقادُ الجازمُ أنَّ شيئاً لن يكونَ إلاَّ بأمره وتقديره.

وقد ورد أنَّه لَمَّا أُلقي إبراهيمُ الخليلُ -عليه السلامُ- في النار اعترضَه جبريلُ -عليه السلامُ- فقال: يا إبراهيمُ أَلَكَ إلِيَّ حاجَةٌ. قال: أمَّا إلَيْكَ فلاَ، ولكن حسبي اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ ، فَفَرَّجَ اللهُ عنه ما به من كربٍ ، وجَعَلَ النارَ بَرْدَاً وسَلاَماً على إبراهيمَ.

قال رسولُ الله ﷺ : « لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصَاً، وَتَرُوحُ بِطَانَاً ». [رواه الترمذيُّ وأحمدُ]

والمتأملُ لهذا الحديثِ المُنْبَثِقِ من مشكاةِ النبوَّةِ يَجدُهُ مؤكِّداً لعقيدة الإيمان بأنَّ الرزقَ بيدِ اللهِ ، يرزقُ من يشاء بغير حساب. إضافةً إلى ما فيه من الحثِّ على صدقِ التوكلِ على اللهِ الذي يقودُ المسلمَ إلى الثِّقَةِ بالمقادير الإلهيَّةِ ، ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ [هود:٦]. ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [العنكبوت:٦٠].

كما يجبُ على المسلم أن يعلمَ أنَّ الله عزَّ وجلَّ فَضَّلَ بعضَ الخَلق على بعض ، ورفع بعضهم فوق بعضٍ درجاتٍ ؛ لِحِكَمٍ إلَهِيَّةٍ ، منها امتحانُ الناس بعضِهم ببعضٍ ، ومنها امتحانُ الغنيِّ أيشكرُ أم يكفر ؟ ومنها امتحانُ الفقير أيصبرُ أم يضجر ؟ ، فمن رضي فله الرضا ومن سَخِطَ فله السُخْطُ.

عباد الله:

وكثيرٌ من الناس يدَّعونَ التوكلَ على الله تعالى ، لكنَّ دعواهم باطلةٌ ؛ لأنَّها خاليةٌ من مقتضيات التوكلِ ؛ من رِضىً ، وطُمأنينةٍ.

قال بِشْرُ الحَافِيُّ -رحمه الله-: (يقولُ أحدُهم توكلتُ على الله ، يكذبُ على الله ، ولو توكلَ على اللهِ لرَضِيَ بما يَفْعَلُ).

وقد ذكر النبيُّ ﷺ أنَّه يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ سَبْعُونَ أَلْفاً قُدَّامَهُمْ، لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ عَذَابَ، ثُمَّ قَالَ: « هُمُ الَّذِيْنَ لاَ يَكْتَوُونَ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». [أخرجاه في الصحيحين]

وإذا خرجَ المسلمُ من بيته فقال: « بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ وَوُقِيتَ وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ ».
[رواه أبو داود والترمذيُّ ، وحسَّنَهُ]

زادَ أبو داودَ: « فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ ».

أيُّها المسلمون:

لقد بُليت المجتمعاتُ الإسلاميَّةُ بطائفتين اثنتين ، كانتا بمثابةِ مَعَاوِلِ الهدم لبنيانه ؛ فطائفةٌ: عطَّلوا الأسبابَ الشرعيَّةِ بحُجَّةِ أنَّهم متوكلون على الله ، وهم في الحقيقة متواكلون ، قعدوا عن الأخذ بالأسباب المباحةِ ، ينتظرونَ السماءَ أن تُمطرَ عليهم ذهباً وفضَّةً ، يجلسُ أحدُهم في بيته عن طلبِ الرِّزقِ ويتعَلَّلُ بالقدر وبأنَّ الرِّزْقَ بيدِ الله.

وطائفـةٌ: تركـوا العمـلَ ، وقطَعـوا علـى أنفسِـهم بـالفقر والضعــف ، يَتَكَفَّفُونَ الناسَ على أبوابِ المسـاجدِ ، وفي الطرقـات والأسـواق ، يشـكو أحدُهم الفقرَ ، وربَّما كان من أغنى النـاس ، ويتعَلَّـلُ بـالعَجْزِ عـن العمـل والكسبِ ، وهو من الأصِّحَاءِ القادرينَ ، ولكـن لا حيلـةَ في إصـلاحِ مـن أضلَّه ا للهُ ، وصدق المصطفى ﷺ « وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْـأَلَةٍ إلاَّ فَتَـحَ ا للهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ». [رواه الترمذيُّ وأحمدُ، وهو حسَنٌ]

قال ابنُ عباسٍ –رضي ا لله تعالى عنهما–:(كَانَ أَهْـلُ الْيَمَـنِ يَحُجُّـونَ وَلاَ يَتَزَوَّدُونَ، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ، فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّـةَ سَـأَلُوا النَّـاسَ، فَأَنْزَلَ ا للهُ تَعَالَى: ﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَـابِ**﴾ [البقرة:١٩٧]. [والحديثُ رواه البخاريُّ في صحيحِه]

وقال معاويةُ بن قُرَّةَ: (لَقِيَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ –رضـي ا للهُ عنـه– نَاسَـاً مِن أَهْلِ اليَمَنِ ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتُم ؟ قَـالُوا: نَحْـنُ المتوَكِّلُـون. قَـالَ: بَـلْ أَنْتُـمُ المُتَأَكِّلُونَ ، إِنَّمَا المُتَوَكِّلُ مَنْ يُلْقِي حَبَّهُ فِي الأَرْضِ ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَى ا للهِ).

وقد قال النبيُّ ﷺ : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى ا للهِ مِنَ الْمُؤْمِـنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِا للهِ وَلاَ تَعْجَـزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ: قَـدَرُ ا للهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ». [رواه مسلم]

قال صالِحُ بنُ الإمامِ أحمدَ بنِ حَنْبَلَ –عليهما رحمةُ ا للهِ–: (سُـئِلَ أَبـي وَأَنَا شَاهِدٌ عَنْ قَوْمٍ لاَ يَعْمَلُونَ ، وَيَقُولُـونَ نَحْـنُ مُتَوَكِّلُـونَ. فَقَـالَ: هَـؤُلاَءِ مُبْتَدِعَةٌ).

وقال المَرُّوْذِيُّ: (قِيْلَ لأَبي عبدِ الله: إنَّ ابنَ عُيَيْنَةَ كَانَ يَقُولُ: هُمْ مُبْتَدِعَةٌ. فَقَالَ أبو عبدِ اللهِ: هَؤُلاَءِ قَومُ سُوْءٍ ، يُرِيْدُونَ تَعْطِيْلَ الدُّنْيَا ، إِذَا جَلَسَ الرَّجُلُ دَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلى أَنْ يَأْخُذَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، فَإِذَا شَغَلَ نَفْسَهُ بِالعَمَلِ وَالاكْتِسَابِ تَرَكَ الطَّمَعَ).

وسُئل -رحمه الله-: (أيُّ شَيءٍ صِدْقُ التَوَكُّلِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: أَنْ يَتوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَلاَ يَكُوْنُ فِي قَلْبِهِ أَحَدٌ مِنَ الآَدَمِيِّيْنَ يَطْمَعُ أَنْ يَجِيْئَهُ بِشَيءٍ ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ اللهُ يَرْزُقُهُ ، وَكَانَ مُتَوَكِّلاً).

فاتّقوا الله تعالى رحمكم الله ، احسنوا التوكُّلَ عليه ، وثِقُوا بموعوده تَنَالُوا أجرَهُ وثَوَابَهُ.

سُبَحَانَكَ اللَّهُمَّ وبحمدِك أشهدُ أن لا إله إلاَّ أنتَ أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ.

** * **

●الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ذي القـوَّةِ المتـين ، أحمـدُه سبحانه وأشكرُه ، وأتـوبُ إليـه وأستغفرُه ، وأشهدُ أن لا إلـه إلاَّ الله وحـدَهُ لاَ شـريكَ لَـهُ ، الملـكُ الحـقُّ المبين ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الصادقُ الأمينُ ، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبـه والتـابعين لهـم بإحسـانٍ إلى يـوم الدِّيـن وسـلَّمَ تسـليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله رحمكم الله ، واعلموا أنَّ التوكُّلَ على الله تعالى لا يُنافي أن يأخذَ المسلمُ بالأسبابِ المباحةِ ، على أن لا يعتقدَ أنَّ هذه الأسبابَ وحدَها هـي سببُ النفـع والضُـرِّ فذلـك شـركٌ ينـافي التوحيـد ، وتـركُ الأسـباب والإعراضُ عنها نقصٌ في العقل وقدحٌ في الشـرع ، والمطلـوبُ مـن المسـلم بذلُ الأسـبابِ المباحةِ مـع الاعتقـادِ الجـازمِ بـأنَّ السـببَ لا يؤتـي النتيجـةَ المرجوَّةَ منه إلاَّ بإذن الله تعالى ، وذلك هو حقيقةُ التوكُّل.

وقد أرشدَ النبيُّ ﷺ الأعرابيَّ إلى ذلـك عندمـا جـاءَه يسـألُهُ عـن ناقتِـهِ فقـال: «إعْقِلْهَـا وَتَوَكَّـلْ». [رواه الترمذيُّ]. فـأمرَه أن يـأخُذَ بالأسـبابِ ويتوَكَّلَ على الله تعالى.

عباد الله:

التوكلُ مع العمل صِنْوَانِ لا يفترقان ، ومن فرَّقَ بينَهُمَا فقد حَرَّفَ الحُكْمَ عَمَّا أرادَ الله ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ [الملك:١٥].

وقد بيَّنَ رسولُ الله ﷺ أنَّ الأسبابَ المشروعةَ هي من القدر ؛ عندما قيل له: يا رسولَ الله! أَرَأَيْتَ رُقًى نَسْتَرْقِيهَا، وَدَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ، وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ شَيْئاً ؟ فَقَالَ: « هِيَ مِنْ قَدَرِ اللهِ ». [رواه الترمذيُّ وحسَّنه]

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ -رحمه الله-: (فالالتفاتُ إلى الأسباب واعتبارُها مؤثرةً في المسبَّباتِ شركٌ في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكونَ أسباباً نقصٌ في العقل ، والإعراضُ عن الأسباب المأمور بها قدحٌ في الشرع).

ولهذا فقد أمرَ النبيُّ ﷺ بالتداوي ، فقد روى أصحابُ السُّنن عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ -رضي الله عنه- قَالَ: (أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فَسَلَّمْتُ، ثُمَّ قَعَدْتُ، فَجَاءَ الأَعْرَابُ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَتَدَاوَى ؟ فَقَالَ: «تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ؛ الْهَرَمُ ».

وفي الصحيحين عن ابي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ : « مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً ».

ولذلك -عباد الله- استحبَّ كثيرٌ من العلماء التداوي إذا مُرِضَ العبدُ، وقال بعضُهم بوجوبه.

ولا تنافي ابداً بين التوكُّل على الله تعالى وبذلِ الأسباب ، فقد كان المصطفى ﷺ وهو أفضلُ المتوكِّلين يلبسُ لأمَةَ الحربِ ، ويمشي في الأسواق للاكتساب ، وهكذا كان فهمُ الصحابة -رضي الله عنهم-؛ روى البخاريُّ في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله تعالى عنهما-: « أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ -رضي الله عنه- خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ - أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ- فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ. فَدَعَاهُمْ، فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ: بَعْضُهُمْ قَدْ خَرَجْتَ لأَمْرٍ وَلاَ نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلاَ نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ. فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي. ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الأَنْصَارَ. فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ. فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي. ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ. فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ؛ فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلاَ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ. فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَاراً مِنْ قَدَرِ اللهِ ؟! فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ ! نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ الله ! أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِياً لَهُ عُدْوَتَانِ؛ إِحْدَاهُمَا

خَصِبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ ؟! قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ - يَعْنِي: الطاعُوْن - فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ». قَالَ: فَحَمِدَ اللهَ عُمَرُ، ثُمَّ انْصَرَفَ).

فاتقوا اللهَ عباد الله ، وتوكلُوا عليه سبحانه حقَّ توكله ، مع الأخذِ بمَا شرعَ اللهُ تعالى من أسبابٍ مباحةٍ هي بإذن الله أساسُ الحياة الكريمة الهادئة المطمئنّةِ ، ثمَّ صلُّوا وسلِّموا على المبعوث رحمةً للعالمين محمدِ بنِ عبدِ اللهِ عليه أفضلُ الصلاةِ وأزكى التسليمِ.....

❧ ❧ ❧

عبادة الدعاء ؛ فضلها وثوابها

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ با لله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده ا لله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ ا للهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى عليه وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ ا للهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ ا للهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ ا للهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ ا للهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ا للهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا اللهَ سبحانه وتعالى حقَّ التقوى، فبتقوى اللهِ تبارك وتعالى تزكو الأعمالُ، وتصلحُ الأحوالُ. أكثروا من ذكره سبحانه فبذكره تطمَئِنُّ القلوبُ، وتهدأُ النفوسُ.

عباد الله:

لقد مَنَّ اللهُ تعالى على هذه الأمَّةِ إذْ بعثَ فيها أفضلَ رسلِه، وأنزلَ عليها أَجْمَعَ كتبِه، وجعلها خيرَ أمَّةٍ أُخرجت للناس، ولن تضلَّ هذه الأمَّةُ ما دامت متمسِّكةً بكتاب ربِّها وبسُنَّةِ نبيِّها ﷺ، الذي لم يخشَ على أمَّتِه الفقرَ بل خشي عليها الغنىَ المُطغي الذي أفسدَ الأمم من قبلها، قال ﷺ: « فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ لاَ الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ ». [متفقٌ عليه]

عباد الله:

لقد خشِيَ النبيُّ ﷺ على أُمَّتِه من الدُّنيا أن تُفتحَ عليهم كما فُتحت على من كان قبلهم من الأمم فيحلُّ الهلاكُ والدمارُ، والتشتُّتُ والضياعُ.

وإنَّنا -عباد الله- نعيشُ في زَمَنٍ مُتَلاَطِمٍ بالفسادِ، طغت فيه المادِّيَاتُ على كثيرٍ من الخلق فتنكَّرُوا لربِّهم، ووَهَنَتْ صِلَتُهم به، وقصروا نظرَهم على الأسباب الظاهرة دون ربطٍ بينها وبين مسبِّبَاتِها، وقد علموا أنَّ الله

تعالى فوقَ تدبيرهم تدبيراً ومن وراءِ وسائِلِهم وأسبابهم أمراً وتأثيراً ، وأنَّ الله يحكمُ لا مُعقِّبَ لحكمِهِ ، إذا قضى أمراً فإنَّما يقولُ له كُنْ فيكون.

وحين حصلت الغفلةُ في قلوب الناس ، ووهَنَتْ صِلَتُهم بالله سادت موجاتٌ من القلق والاضطراب ، وعمَّ الْهَلَعُ والخوفُ على المستقبل ومن المستقبلِ ، فتخَلَّى بعضُ الناس عن ربِّهم ، وانْهَمَكُوا في الدُّنيا يَلهَثُون وراءِ شهواتِها وملَذَّاتِها ، ويَتَصَارَعون على جَمْعِها واكتَنازها ، ونسوا الله تعالى فنسيَهم ، وأصبحَ بعضُ الناس يتخبَّطُ يميناً وشمالاً بعيداً عن اللهِ عزَّ وجلَّ. ضعُفت صلتُه بنور الله تعالى ، وأهمل جانبَ الروح ، وحصل الذهولُ عن أدواءِ النفوسِ ، ومرقِّقَاتِ القلوب ، فَضلَّت تلك الفئاتُ عن التوجُّهِ إلى بارئِها مُنزلِ السكينةِ ، وواهبِ الطمأنينةِ ، فامتلأت المصَّحَاتُ النفسيَّةُ ، وعجزت السجونُ نتيجةً لذلك. ﴿ **وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ**﴾ [الحج:١٨].

أيُّها المسلمون:

ليست الحياةُ صورةَ اللَّحْمِ والدَّمِ ، وامتلاءَ العضلات ، وقوةَ الحركات وشدَّةَ البَطْشِ ، فهذه صفاتٌ مشتركةٌ بين بني آدمَ وغيرهم من السباعِ الضاريةِ والبهائمِ السائمةِ . وكم من صحيحِ الجسم ، سريعِ الحركةِ ، نضيرِ البشرة ، لا تعرفُ الطمأنينةُ إلى نفسه سبيلاً ، يتقَلَّبُ فؤادُه كالجمر، وتضطربُ نفسُه كالريحِ ، لا يدري أين يتوجَّهُ، ولا كيفَ يطمئنُّ ويأنس.

فالحياةُ الحقيقيَّةُ للقلوب إنَّما هي الصِّلَةُ الحَقَّةُ بالله تعالى ؛ بعبادته وذكرِهِ وشكرِهِ وحمدِهِ وتسبيحِهِ ، ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً**

يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢].

نعم عباد الله ! إنَّ الحياةَ الهادئةَ ، والعيشةَ الرضيَّةَ إنَّما تحصلُ بطاعةِ اللهِ تبارك وتعالى ، وامتثالِ أوامرِه ، واجتنابِ نواهيه.

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

وأمَّا المُعرضون عن الله ، المتعدون عن طاعته وشِرْعَتِه فهم أهلُ الاضطرابِ والقَلَقِ ، والخوفِ والْهَلَعِ على الحاضرِ والمستقبلِ ، فتراهم لا يتوَرَّعُون عن قتلٍ ، ولا فتكٍ ، ولا إفْكٍ ، ولا غشٍّ ، يظنُّونَ -وبعضُ الظنِّ إثمٌ- أنَّ هذه هي سبيلُ الحياةِ الهادئةِ ، والرَّاحَةِ النفسيَّةِ ، **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمَى ❁ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ❁ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ❁ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾** [طه:١٢٤-١٢٧].

عباد الله:

والمتيقظون من أهل الإيمان والبصيرة يُدركون سطوةَ الدُّنيا بأهلِها ، وخِدَاعَ الأملِ لأربابه ، وتمكُّنَ الشيطانِ من بعض الخلقِ ؛ مِمَّا يؤدِّي إلى الغفلَةِ ، والانقيادِ للهوى ، لذا تجدُهم يلجأون إلى الله تعالى لائِذِيْنَ بِحِصْنِ الإيمانِ وسِلاَحِ الدُّعَاءِ والتضرُّع إلى اللهِ تعالى.

لقد أدركوا بيقين أنَّ الخلائقَ فقراءُ إلى الله ، محتاجون إليه ، لا غنى بهم طَرْفَةَ عينٍ عن رحمتِه وفضلِهِ وجودِهِ وهدايَتِهِ ، ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** ﴾ [فاطر:٣]. ﴿ **فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ** ﴾ [الروم:٢٩].

ولقد أدركوا فيما أدركوا أنَّ المَفْزَعَ في هذا الخِضَّمِ المُتَلاطِمِ من الفتن والشَّهَوَاتِ والشُّبَهِ -بعد الإيمان بالله تعالى- هو الدُّعاءُ ؛ السلاحُ الذي يُستدفعُ به البلاءُ ، ويُرَدُّ به شرُّ القضاءِ ، وهل شيءٌ أكرمُ على الله تعالى من الدُّعَاءِ ؟! الذي يجيبُ دعوةَ الدَّاعِ إذا دعاه ويكشفُ السوءَ.

أيُّها المسلمون:

الدُّعاءُ عبادةٌ عظيمةٌ من أشرَفِ العبادات مَرْتَبَةً ، وأقربها إلى الله منزلةً، وبه تكونُ حياةُ القلوبِ ، وتفريجُ الكروبِ ، وإغاثةُ اللَّهَفَاتِ ، وتنَزُّلُ البرَكَاتِ ، والنصرُ على الأعداءِ.

بل لقد جعلَه من أُوتي جوامعَ الكَلِم ﷺ العبادةَ كلَّها ؛ فقال ﷺ : ((الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ)). ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَ اللهِ تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ غافر:٦٠]. [والحديث رواه أبو داود والترمذيُّ وصحَّحَه الحاكمُ]

قال مُطرِّفُ بن عبد الله -رحمه الله-: (تَفَكَّرْتُ في جِمَاعِ الخَيْرِ ، فَإِذَا هُوَ كَثِيْرُ صِيَامٍ وَصَلاَةٍ وغيرِها ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِيَدِ اللهِ ، وَأَنْتَ لاَ تَقْدِرُ عَلَى مَا فِي يَدِ اللهِ إلاَّ أَنْ تَسْأَلَهُ فَيُعْطِيَكَ ، فَإِذَا جِمَاعُ الخَيْرِ الدُّعَاءُ).

نعم أيُّها المسلمون !:

إنَّ الدُّعـاءَ هـو جمَـاعُ الخـير كُلِّـه ، وقـد قـال المصطفـى ﷺ : « لاَ تَعْجَزُوْا عَنِ الدُّعَاءِ فَإِنَّهُ لَنْ يَهْلَكَ مَعَ الدُّعَـاءِ أَحَـدٌ ». [رواه الحـاكم]. وقـال ﷺ : « لاَ يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إلاَّ الْبِرُّ، وَلاَ يَرُدُّ الْقَـدَرَ إلاَّ الدُّعَـاءُ، وَإِنَّ الرَّجُـلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ ».[رواه أبو داودَ والترمذيُّ، وابنُ ماجه، الحاكم بسندٍ صحيحٍ]

قال ابنُ القيِّـمِ -رحمـه الله-: (والدُّعَـاءُ مـن أقـوى الأسبابِ في دَفْـعِ المَكْرُوْهِ وحُصُولِ المَطْلُـوبِ ، وهـو مـن أَنْفَـعِ الأَدْوِيَـةِ ، وهـو عـدوُّ البـلاءِ يُدافِعُه ، ويُعالِجُه ، ويمنعُ نزولَه ، ويرفَعُهُ أو يُخَفِّفُهُ إذا نَزَلَ).

وفضلُ الدعاء -معاشرُ المسلمين- ومكانتـه في الإسـلام عظيمـةٌ ؛ فقـد أمرَ الله به عبـادَه ، ووعدَهـم عليـه بالإجابـة ، وأثنـى علـى عبـاده الذيـن يدعونه بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُـمْ كَـانُواْ يُسَـارِعُونَ فِـي الْخَـيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَـا رَغَبـاً وَرَهَباً وَكَانُواْ لَنَا خاشِعِينَ** ﴾ [الأنبياء:٩٠] ، ﴿ **تَتَجَـافَى جُنُوبُهُـمْ عَـنِ الْمَضَـاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة:١٦-١٧].

وما نزلت بعبدٍ مظلمةٌ ، ولا أَلَمَّتْ به مُعْظِلَةٌ ثمَّ انْطَرَحَ بـين يـدي الله تعالى يدعوه ويرجو رحمَته وفرجَه ونصرَه إلاَّ وجدَ الله تعالى قريبـاً يُجيـبُ دعوةَ الدَّاعِ إذا دعاه ويكشفُ السوءَ.

قال رسولُ الله ﷺ فِيمَا رَوَى عَـنِ اللهِ تَبَـارَكَ وَتَعَـالَى أَنَّـهُ قَـالَ: « يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلاَ تَظَالَمُوا، يَا

عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ)). [رواه مسلم]

وفي الدُّعاء -عباد الله- تواضُعٌ لله، وافتقارٌ إليه، ولينٌ للقلوب، ورغبةٌ فيما عندَ علاَّمِ الغيوبِ، وهو مظهرٌ عظيمٌ من مظاهرِ الخوفِ من اللهِ، والاعترافِ بالفقرِ والحاجَةِ إلى الذي يحبُّ المُلِحِّيْنَ في الدُّعاء سبحانه وتعالى.

وفي ترك الدعاء من الكبْرِ والقسوةِ والإعراضِ عن الله ما يكون سبباً لدخول النار عياذاً بالله، فالذين يستكبرون عن الدُّعاءِ، ويأْنَفُونَ من رَفْعِ أكُفِّهم إلى الله خاشعين ضارعين، يسألونه من فضله، ويستدفعون به

الشرورَ والفتن ، ويَقْرَعُونَ أبوابَ المخلوقين وينسون بابَ الخَـالِقِ هـم مـن المتكبِّرين ، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠].

وكم من جَبَّارٍ قَصَمَه الله ، وكـم مـن ظالمٍ أخـذَه الله بسبب دعوةِ مظلومٍ رفعَ أكفَّه إلى الله ضارعاً خاشعاً يدعوه ويستنصِره ، « يَرْفَعُهَـا اللهُ فَوْقَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: بِعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ». [رواه الترمذيُّ، وأحمد، وهو حسنُ الإسناد]

أتهـزأُ بالدُّعَـاءِ وتَزْدَرِيْـه ... وما تدري بمَا صَنَعَ الدُّعاءُ
سِهَامُ اللَّيْلِ لاَ تُخْطِئُ ولكِنْ ... لَهَـا أَمَـدٌ وللأَمَدِ انْقِضَـاءُ

﴿**وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء:٨٧].

ولا ننسى ما فَعَلَهُ رسولُنا ﷺ في بدرٍ عندمـا رَفَـعَ أكُـفَّ الضَّرَاعَـةِ إلى اللهِ يدعـوه ويسـتنصره علـى المشـركين حتّـى سَقَطَ رِدَاؤُه عـن ظهـرِه ، فاستجاب الله دعوتَه وهزَمَ أعداءَه ، ونصرَه نصراً مؤزَّراً.

« شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدَاً إِلَى عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْه- فَعَزَلَـهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّاراً فَشَكَوْا، حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَـالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي! قَالَ أَبُـو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَـا أَخْـرِمُ عَنْهَـا؛ أُصَلِّي صَلاَةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِـفُّ فِـي الأُخْرَيَيْـنِ. قَـالَ: ذَاكَ

الظَّنُّ بكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ. فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً -أَوْ رِجَالاً- إِلَى الْكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِداً إِلاَّ سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفاً، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِداً لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ، قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْداً كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ !. قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِباً قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ. (فَاسْتَجَابَ اللهُ تعَالى دَعْوَةَ سَعْدٍ) وَكَانَ (ذَلِكَ الرَّجُلُ) بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ قَالَ عَبْدُالْمَلِكِ بنُ عُمَيْرٍ- رَاوِي الحَدِيثِ-: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الْكِبَرِ وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ».. [متفقٌ عليه]

قال ابنُ القَيِّمِ -رحمه الله-: (وإذا اجتمعَ معَ الدُّعَاءِ حضورُ القلبِ، واجتماعُه بكُلِّيَتِه على المطلوبِ ، وصادفَ وقتاً من أوقاتِ الإجابةِ ... وصادفَ ذلك كلُّه خشوعاً في القلب ، وانكساراً بين يدي الربِّ ، وذُلاًّ ، وتضرُّعاً ، ورقَّةً ، واستقبلَ الدَّاعِي القبلةَ ، وكان على طهارةٍ ، ورفع يديه إلى الله ، وبدأ بحمدِ الله والثناءِ عليه ، ثمَّ ثَنَّى بالصلاةِ على رسولِه ، ثُمَّ قَدَّمَ بين يَدَي دعائه التوبةَ والاستغفارَ، ثُمَّ دخلَ على اللهِ ، وأَلَحَّ عليه في المسألةِ ، ودعاه برغبةٍ ورهبةٍ وتوسَّلَ إليه بأسمائِه وصفاتِه وتوحيدِه ، فإنَّ هذا الدُّعاءَ لا يكادُ يُردُّ أبداً ، ولا سيِّمَا إن صادفَ الأدعيةَ التي أخبر النبيُّ

ﷺ أنَّها مَظِنَّةُ الإجابةِ ، أو أنَّها مُشْتَمِلَةٌ على اسمِ اللهِ الأَعْظَمِ الذي إذا دُعي به أجابَ ، وإذا سُئلَ به أعطى).

فاتَّقوا اللهَ عباد الله ، وتعلَّقُوا بربِّكم ، وتوجَّهُوا إليه ، وأحسنوا الظنَّ به ، واعرفُوا سُنَنَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وابتعدوا عن أسبابِ قَسْوَةِ القلوبِ ، ولا تغلبنَّكُم غَفْلَةٌ ، أو تُقْعِدَنَّكُم شُبْهَةٌ ، فإنَّ الدُّعاء له أثرُه بإذنِ اللهِ في تحقيقِ الرَّغَائِبِ ، ودَفْعِ المصَائِبِ ، وحُصُولِ الطُمَأنِيْنَةِ للبَصَائِرِ.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ ونَفَعَنَا بهدِي سَيِّدِ المرسَلِيْنَ، أقولُ ما تسمعونَ وأستغفرُ اللهَ فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

●الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طَيِّباً مباركاً فيه كما يُحبُّ ربُّنَا ويرضى ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وصحبِه وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا ا للهَ أيُّها المسلمون ، وتزوَّدُوا فإنَّ خيرَ الزَّادِ التقوى ، ثمَّ اعلمــوا رحمكم ا لله أنَّ من أعظم الحِرْمَانِ أن يَحْجبَ العبدُ ما بينَهُ وبينَ ا للهِ تعــالى بالذُّنوبِ والمعاصي والغَفْلَـةِ وقسـوةِ القلـب ثـمَّ يدعـو ا للهَ بعـد ذلـك فـلا تُستجابُ دعوتُه ، ويستغيثُ به فلا يُغاث ، ويستنصرُ به فلا يَنْصُرُهُ ا للهُ.

وكـم مـن دعـوةٍ -يـا عبـاد ا لله- رُدَّتْ في وجـه صاحبِهـا ، وأُغلِقَـتْ دونَها أبوابُ السماء ، ولم تُفتـح بسـبب لقمـةِ حـرامٍ وضعَهـا الإنسـانُ في جوفه ، شعرَ أم لم يشعر ، ولقد جاءَ سـعدُ بـنُ أبـي وقَّـاصٍ إلى النـبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ ا لله ! ادعو ا للهَ أن يجعلني مُستجابَ الدعوةِ. فقال له: ((يَـا سَعْدُ ! أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّـدٍ بِيَـدِهِ إِنَّ العَبْدَ لَيَقْذِفُ اللُّقْمَةَ الحَرَامَ فِي جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَـلٌ أَرْبَعِيْـنَ يَوْمَـاً ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ)). [رواه الطبرانيُّ وغيره]

فكيف -عباد ا لله- بمن غَرِقُـوا في الحـرام أكـلاً ولبسـاً ومشـرباً ؛ ربـاً محرَّمٌ، واختلاسٌ ، ورشوةٌ ، وأكلٌ لحقوق الغير بالبـاطل ، ثـمَّ يدعـون ا للهَ بعدَ ذلك ، فأنَّى يُستجابُ لهم ؟!

جاء في بعض الآثار: (أنَّ بني إسرائيل أصابَهم بلاءٌ ، فخرجوا يسألون ا للهَ كشفَه ، فأوحى ا للهُ إلى نبيِّهم أنَّهم خَرَجُوا إلى الصَّعِيْدِ بأبدانٍ نجسةٍ ، ورفعوا إلى ا للهِ أَكُفَّاً قد سَفَكُوا بِهَا الدِّمَاءَ ، وملأوا بها بيوتَهم من الحـرامِ، فاشتدَّ عليهم غضبُ ا للهِ ، فلن يزدَادُوا مِنْهُ إلاَّ بُعْدَاً).

ومن أعظم أسباب منع إجابة الدعاء -أيُّها الإخوة-: تركُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أوجبَه الله تعالى على عباده ؛ حفظاً للمجتمع من الرذيلة ، وحمايةً له من المفاسد.

قالت عائشةُ -رضي الله عنها-: دخل النبيُّ ﷺ فعرفتُ في وجهه أن قد حضرَه شيءٌ ، فتوضأ ، وما كلَّمَ أحدًا ، فقعَدَ على المنبر ، فحمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم قالَ: « أيُّهَا الناسُ ! إنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ لَكُمْ: مُرُوْا بِالْمَعْرُوْفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوْا فَلاَ اَسْتَجِيْبُ لَكُمْ ، وَتَسْأَلُوْنِي فَلاَ أُعْطِيْكُمْ ، وَتَسْتَنْصِرُوْنِي فَلاَ أَنْصُرْكُمْ ، فَمَا زَادَ عَلَيْهِنَّ حَتى نَزَلَ ». [رواه ابنُ ماجه ، وابنُ حبّان في صحيحه]

ومن موانعِ إجابَةِ الدعَاءِ: عَدَمُ الإخلاصِ للهِ، ودعاؤه بقلبٍ لاَهٍ غَافِلٍ مُعْرِضٍ عَنِ اللهِ ، فمن الناس من يرفعُ يديه بالدعاء ، ويَلْهَجُ لسانُه بسَرْدِ دعواتٍ حَفِظَهَا منذُ زَمَنٍ ، بينما قلبُه غافلٌ عن معنى ما يدعو به ، وعقلُه شاردٌ في الملاهي والمشاغل ، فَأَنَّى يُستجابُ له وقد قال ﷺ : « ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ ». [رواه الترمذيُّ]

فادعوا اللهَ عبادَ اللهِ وأنتم موقنون بالإجابة ، واحذروا الاستعجالَ في الدعَاءِ ؛ فإنَّ اللهَ تعالى قريبٌ من عباده لا تخفى عليه خافيةٌ ، عفوه واسعٌ، ومغفرتُه عظيمةٌ ، ورحمتُه وسعت كلَّ شيءٍ.

اللَّهُم أَعِزَّ الإسلامَ والمسلمين ، وأَذِلَّ الشرْكَ والمشركين ، وانْصُرْ من نصرَ عِبادَكَ الموحِّدين.....

❧ ❧ ❧

ظاهرة التأخّر عن الصلاة والتكاسل فيها

● الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، أمرَ بالمسَارَعَةِ إلى الخَيْرَاتِ ، وحَذَّرَ من إضَاعَةِ الأعمارِ والأوقاتِ ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ في ربوبيَّتِهِ وألوهيَّتِهِ ومالَهُ من الأسماءِ والصِّفَاتِ ، أَمَرَ بالمحافَظَةِ على الصَّلَوَاتِ، ووَعَدَ على ذلك بجزيلِ الأَجْرِ والمُثُوْبَاتِ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه ، حَثَّ على المبَادَرَةِ إلى حُضُورِ الجُمَعِ والجماعاتِ ، صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابِهِ الذين كانوا يتنافسون في الخيرات ، ويتسابقون إلى الطاعاتِ ، وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا اللهَ تبارك وتعالى واشكروه ، واستجيبوا له واستغفروه ، واعلموا أنَّ الأوقاتَ تَمْضِي ، والأعمارَ تُطْوَى ، والآجالَ تنتهي ، ومن خافَ أَدْلَجَ، ومن أَدْلَجَ بلغَ المنزلَ ، وسلعةُ اللهِ غالية ، لا تُدركُ بالتمنِّي ، ولا

بالنَّسَبِ ، ولا بالمالِ والتَرَّجِيِّ ، ﴿وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ :٣٧] ، ومن بَطَّأَ به عملُه لم يُسرع به نسبُه.

عباد الله:

قضيَّةٌ مُهِمَّةٌ ، وسِمَةٌ للإسلام بارزةٌ ، من خلالِهَا يتبيَّنُ الكفرُ من الإسلام ، ويظهرُ النفاقُ من الإيمان ، ربطُ الله عليها القبولَ ، ورَتَّبَ عليها الجزاءَ العظيمَ ، هي الميزانُ الذي تُعرفُ به مكانةُ الشخص في الإسلام ، والمقياسُ الذي يوزنُ به الإسلامُ في قلبه ، تلكم – رعاكم الله– هي الصلاةُ التي من حَفِظَها حَفِظَ دينَهُ ، ومن ضَيَّعَها فَهُو لِمَا سِوَاهَا أَضْيَعُ.

عباد الله:

الصلاةُ مكانتُها في الإسلام كبيرةٌ ، فهي الركنُ الثاني من أركان الدين، وهي عمودُه وقاعدتُه التي جعَلَها من أوتي جوامعَ الكَلِمِ عليه الصلاةُ والسلامُ الحدَّ الفاصلَ بين المسلمين والكافرين ، فعن أبي سُفْيَانَ – رضي الله عنه– قال: سمعتُ جابراً يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلاَةِ ».[رواه مسلم]

وهذا الحديثُ واضحُ الدلالةِ على كفر تارك الصلاة كفراً أكبراً مخرجاً من المِلَّةِ على ما اختاره جمعٌ من المحققين كشيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ وغيرِه.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– أنَّ رسولَ الله ﷺ ذَكَرَ الصَّلاَةَ يَوْمَاً ، فَقَالَ: « مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُوراً وَبُرْهَاناً وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلاَ بُرْهَانٌ وَلاَ

نَجاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ)). [أخرجه أحمدُ والطبرانيُّ وابنُ حبّان ورجالُه ثقات]

وقال الفاروقُ -رضي الله عنه-: (لا حَظَّ فِي الإسلامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ).

أخي المسلم:

تبرزُ أهميَّةُ الإسلامِ عندك ، ومكانتُه في قلبك من خلال المحافظة على الصلاة ، تقول عائشةُ -رضي الله عنها-: ((كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي: خِدْمَةَ أَهْلِهِ- فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ)). [رواه البخاريُّ]

ويقول ﷺ : ((وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ)). [رواه أحمدُ والنسائيُّ وهو صحيحٌ]

وكان ﷺ إذا أصابه همٌّ أو حَزْنٌ قال: ((أَرِحْنَا بِالصَّلاَةِ يَا بِلاَلُ)).[أخرجه أبو داود وأحمدُ وهو صحيحٌ]

وأوصى بعضَ أصحابه فقال: ((عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ للهِ؛ فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً)).[رواه مسلم]

أيُّها المسلمون:

الصلاةَ الصلاةَ ، فقد أمرَ اللهُ بالمحافظةِ عليها كثيراً ، وحَذَّرَ من التهاونِ فيها ، أو التكاسُلِ عنها ، وكذلك نبيُّه محمدُ بن عبدا لله ﷺ ، والنصوصُ في ذلك كثيرةٌ لا تخفى على ذي لُبٍّ وبصيرة.

لقد أوجبَ ا للهُ تعالى الصلاةَ على المسلمين حتَّى في حالاتِ القتال، والنفوسُ أشدُّ ما تكون خوفاً من العدوِّ ، وإزْهَاقَاً من القتال ، يقول سبحانه: ﴿ حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ للهِ قَانِتِين ۞ فَإنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ ا للهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٣٨-٢٣٩] ، ﴿ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً﴾ [النساء:١٠٣].

وليس هذا فحسب ، بل لقد أوجبَ ا للهُ تعالى الصلاةَ حتَّى على المريض ، فيصلي حسب حاله ؛ قائماً أو قاعداً ، أو جالساً أو على جنبه ، يومي إلى القبلة بالركوع والسجود إيماءً ، سواءٌ استطاعَ التطَهُّرَ أم لا. كلُّ ذلك دليلٌ على مكانةِ الصلاةِ في الإسلام وعِظَمِ منزلتها.

وصلاةُ العشاءِ والفجرِ والعصرِ لَهَا من الفَضْلِ مَزِيَّةٌ وفي الأجر زيادةٌ، فعن عثمان -رضي ا لله عنه- قال: سمعتُ رسولَ ا لله ﷺ يقول: ((مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ)).[رواه مسلم]

وعن جُندُبِ القسريِّ -رضي ا لله عنه-قال: قال رسولُ ا لله ﷺ: ((مَنْ صَلَّى صَلاَةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ ا للهِ، فَلاَ يَطْلُبَنَّكُمُ ا للهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ ثُمَّ يَكُبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ)).[رواه مسلم]

أمّا صلاةُ العصر فقد أمرَ ا للهُ بالمحافظةِ على الصَّلَوَاتِ جُمْلَةً ، وأكَّدَ على صلاةِ العصرِ خاصَّةً ؛ تبييناً لأهميَّتِها ؛ فقال سبحانه: ﴿ حَافِظُواْ عَلَى

الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ للهِ قَانِتِين﴾ [البقرة:٢٣٨] ، والصلاةُ الوسْطَى هي صلاةُ العصرِ على أرجحِ الأقوالِ في ذلك ؛ فعن ابن عمر – رضي الله عنهما– أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « الَّذِي تَفُوتُهُ صَلاَةُ الْعَصْرِ فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ ».[رواه البخاريُّ ومسلمٌ] ؛ أَيْ: كأنَّما خَسِرَ أهلَه ومالَه.

وعن أَبِي الْمَلِيحِ -رضي الله عنه– قَالَ: كُنَّا مَعَ بُرَيْدَةَ فِي غَزْوَةٍ فِي يَوْمٍ ذِي غَيْمٍ، فَقَالَ: بَكِّرُوا بِصَلاَةِ الْعَصْرِ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: « مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ».[رواه البخاريّ]

اللهُ أكبرُ يا عباد الله: ونحنُ نرى كثيراً من الناس يُفرِّطون في صلاتي العصرِ والفجرِ ، وليس لهم من عذرٍ إلاَّ النومَ ، يأكلون من نعم الله ، وينامون عن طاعة الله ، يأكلُ أحدُهم ويشربُ وينامُ وهو آمنٌ من مكر الله وعقابه ، وكأنَّه لم يعملْ سوءاً ، ﴿ **أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [الأعراف:٩٩].

أيُّها المسلمون:

لقد ضَعُفَ ارتباطُ الناسِ بالمساجد مع شديدِ الأَسَفِ ، وتكاسَلُوا عن حضور الجُمَعِ والجماعات ، فنرى الكثير منهم يسكنون بجوار المساجدِ ولا يدخلونها ، ولا يُعرفون فيها ، وإن دخلوها فمعَ الخَوَالِفِ والمتأخِّرِيْنَ ، يجاورون المساجد ببيوتهم ويبتعدون عنها بقلوبهم ، وذلك دليلٌ على ضعف الإيمان في قلوبهم ، أو انعدامِهِ ؛ لأنَّ عمارةَ المساجدِ بالصلاةِ والعبادةِ والتردُّدِ إليها من أجلِ ذلك من أعظمِ علاماتِ الإيمان ، ومن صلى

في بيته المجاورِ للمسجد من غير عذرٍ فهو من المنافقين ، وأثقلُ الصلاةِ عليهم صلاتي الفجر والعشاء ، ولو علموا بما فيهما من الأجر لأتوهما ولو حَبْوًا.

يقولُ الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ** ﴾ [التوبة:١٨].

نرى هؤلاء المتخلِّفين عن الجُمَعِ والجماعات يملأ ونَ الأسواقَ ، ويأكلونَ من الأرزاقِ ولا يتّجهونَ إلى المساجدِ مع المسلمين ، ولا يشاركونَهم في إقامةِ شعائرِ الدين ، كالأنعامِ يأكلونَ ويتمتّعُونَ والنارُ مثوىً لهم، ﴿ **اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُوْلَـئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ [المجادلة:١٩].

حرموا أنفسَهم أجرَ المشي إلى المساجد ، وما فيه من الحسناتِ وتكفيرِ الخطايا والسيئات ، وبقيت أوزارُهم على ظهورِهم ألاَ ساءَ ما يَزِرُونَ.

وهناك طائفةٌ أخرى يأتون إلى الصلاة وهم كُسالى يُراؤون الناسِ ولا يذكرون اللهَ إلاَّ قليلاً ، إذا سَمِعُوا الإقامةَ دخلوا في الصلاة مُشَوَّشِي الفكرِ ، لا يُراعون أدبَ المشي إلى الصلاة ، ولا أدبَ الدخولِ إلى المساجد، وإن جلسوا في المساجد ينتظرون الصلاةَ جلسوا على مَلَلٍ ، يتمَنَّونَ الساعةَ التي يخرجون فيها من المسجدِ ، لم يعملوا بسُنَّةِ المصطفى ﷺ حينَ قال: « إِذَا سَمِعْتُمُ الإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ

وَالْوَقَارِ، وَلاَ تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا ». [رواه البخاريُّ]

وأخبَرَ ﷺ فيما رواه البخاريُّ في صحيحِهِ: « إِنَّ أَحَدَكُمْ فِي صَلاَةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ، وَالْمَلاَئِكَةُ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ مَا لَمْ يَقُمْ مِنْ صَلاَتِهِ أَوْ يُحْدِثْ ».

عباد الله:

وكما أن التأخُّر عن الصلاة يُفَوِّتُ أجراً كثيراً فهو أيضاً يفتح باباً للتهاون في الصلاة ، ويجرُّ في النهاية إلى تركها ؛ فقد روى مسلمٌ في صحيحه عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ رأى في أصحابِهِ تأخُّراً ، فقال لَهُمْ: « تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ الله».

وهؤلاء المتأخِّرون عن الصلاةِ لو كانوا في طَمَعٍ من مَطَامِعِ الدُّنيا لجاؤوا مع أول الناس ، ولجلسوا الساعاتِ الطويلةَ ينتظرون ، دون مَلَلٍ ؛ لأنَّ الدُّنيا أحبُّ إليهم من الآخرة.

لقد أصبحت المساجدُ مهجورةً تشكو إلى الله قِلَّةَ المرتادين لها ، والجالسين فيها ، فقدت الرجالَ الذين يُسبِّحون الله فيها بالغدُّو والآصال، فَقَدَتِ العاكفينَ والقائمينَ والرُّكعِ السجود ، الذين يعمرونها آناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ.

وكم يحزُّ في النفس -يا عباد الله- أن نرى في بيوتٍ مجاورةٍ للمساجد أعداداً من الرجال والشباب قد هَجَروا المساجدَ لا يعرفونها إن عرفوها إلاَّ

يومَ الجُمُعَةِ ، وأكثرُهم قد ألغي الصلاةَ من حسابه لا سيِّمَا صلاةَ الفجر ، فأيُّ قلوبٍ لهؤلاءِ ، وأيُّ إسلامٍ لهم ، لقد خرجوا بذلك من المسلمين ، ودخلوا في عِداد المنافقين والكافرين الذين تحرُمُ مجالستُهم ومؤاكلتُهم ، وتُستحلُّ دماؤهم وأموالُهم ، إلاَّ أن يُجَدِّدوا التوبةَ ، ويحافظوا على الصلاةَ.

كم تَحَدَّثَ المتَحَدِّثونَ وتَكَلَّمَ المتكلِّمونَ عن الصلاةِ ، وعن أهميِّتِها في الإسلام ، ولكن أين المحافظون على الصلاة وا لله المستعان ؟

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حيَّاً   ولكن لا حياةَ لمن تنادي

لا بُدَّ من وَقْفَةٍ حَاسِمَةٍ مع هؤلاءِ الذين لا يشهدون الصلاةَ مع المسلمين ، وهم يعيشون بينهم من الإخوةِ والأبناءِ والأصدقاءِ ، يتجلّى فيها الغَضَبُ لله ، والغيرةُ على أوامر ا لله وحدوده ، والولاءُ والبراءُ لله تعالى ، كلٌّ على حسب دورِه ، فالأبُ مسئولٌ ، والأخُ مسئولٌ ، والجارُ مسئولٌ ، ألاَ كلُّكم راعٍ ومسئولٌ عن رعيَّتِهِ.

فاتَّقوا ا للهَ عباد ا لله ، حافِظُوا على الصلوات في الجماعة ، واعمروا المساجدَ بطاعة ا لله تعالى ، وتفَقَّدُوا بعضَكم عندَ الصلاة ، وتآمروا فيما بينكم بالمحافظة عليها ، واحذروا من التفريطِ فيها ، أقول ما تسمعون وأستغفرُ ا للهَ فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ حمـداً كثيراً طيِّباً مُبارَكاً فيه كما يُحبُّ ربُّنا ويرضى ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَهُ لاشريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه صلَّى الله عليه وعلى آلـهِ وصحبِه ومن تبِعَهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله رحمكم الله ، واعلموا أن الله تعالى شرعَ لكم عيداً مُتَكَرِّراً في كلِّ أسبوع ، يجتمعُ فيه المسلمون لأداءِ الصلاة التي هي أعظمُ شعائر الدين بعد الشهادتين ، ألا وهو يومُ الجُمُعَةِ ، يقولُ الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الجمعة:٩].

وقد جمعَ الله لهذا اليوم من الخصائص ما لم يجمع لغيره من أيَّام الأسبوع ، ففيه كَمُلَ خلقُ السموات والأرض ، وفيه خُلق آدم ، وفيه أُدخِلَ الجنةَ ، وفيه أُخرجَ منها ، وفيه تقومُ الساعةُ ، وفيه ساعةٌ لا يوافقُها عبدٌ مسلمٌ يسألُ الله فيها خيراً إلاَّ أعطاه إيَّاه.

وقد اختارَ الله هذا اليومَ العظيمَ لهذه الأمَّةِ ، وأضلَّ عنه من كان قبلها من الأمم ، فاختارت اليهودُ يومَ السبت ، واختارت النصارى يومَ الأحد، وأتى الله تعالى بهذه الأمَّةِ فاختارَ لَهَا يومَ الجمعة ؛ الذي أكملَ الله فيه الخليقةَ وأتمَّ النعمةَ.

وقد أمرَ الله المؤمنين فيه بالاجتماع لعبادته بأداءِ صلاةِ الجمعة ، وحَثَّهُم على المبادرةِ بالحضورِ إليها والتفرُّغِ لها من جميع الأعمال الدنيويَّةِ.

وقد حَثَّ النبيُّ ﷺ على التبكيرِ في الحضورِ والانتظارِ في المساجدِ حتى تُقامَ الصلاةُ ، وحثَّ على أن يكون الإنسانُ على أحسنِ هيئةٍ ؛ متنظِّفاً مُغْتَسِلاً جميلَ المظهرِ ، طيِّبَ الرائحةِ ، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ: « مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غُسْلَ الْجَنَابَةِ ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشاً أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ ».[متفقٌ عليه]

وهذا الحديثُ العظيمُ دليلٌ على وجوبِ التبكيرِ في الحضورِ لصلاةِ الجُمعةِ ، وانتظارِ الصلاةِ لمن أرادَ الأجرَ من الله ، وأنَّ عليه أن يَشتغِلَ في المسجدِ بصلاةِ النافلةِ والذكرِ وتلاوةِ القرآنِ.

والظاهرُ أنَّ الساعةَ الأولى تبدأُ بعد طلوعِ الشمسِ ، وأنَّ على المسلمِ أن يتوجَّهَ إلى صلاةِ الجُمعةِ من بعدِ طلوعِ الشمسِ ليَحْصُلَ على هذهِ الفضيلةِ . وقد كانَ الناسُ إلى وقتٍ قريبٍ يُبكِّرُونَ في الحضورِ لصلاةِ الجُمعةِ ، ويملأونَ المساجدَ بوقتٍ مُبكرٍ ، أمَّا اليوم فَقَلَّ من يعملُ بذلكَ والله المستعان ، فالكثيرُ لا يحضرُ إلاَّ عندَ الخُطبةِ ، أو عندَ الإقامةِ ، أو في آخرِ الصلاةِ ، فيحرمونَ أنفسَهم أجرَ التبكيرِ إلى الصلاةِ، وأجرَ استماعِ الخُطبةِ وفائدتَها ، ومِمَّا يزيدُ في الأمرِ أنَّ أكثرَهم مجاورٌ للمسجدِ ، يجلسُ

في بيتهِ وهو بجوارِ المسجدِ ولا يقومُ إلى الصلاةِ إلاَّ عندَ دخولِ الإمامِ ، كلُّ ذلك خشيةَ أن يُمضيَ شيئاً من الوقت في المسجدِ قبلَ حضورِ الإمامِ ، وهو لا يدري بما في ذلك من الفضلِ ، بل يَظُنُّ أنَّ المطلوبَ فقط هو أداءُ الصلاةِ ، فلذلِكَ لا يأتي إلاَّ عندَ الإقامةِ ، ولا يعلمُ أنَّه مطالبٌ بالتبكيرِ والانتظارِ ، وأنَّ صرفَ الوقتِ في ذلك من أفضلِ الأعمالِ ، وأنَّه مطالبٌ بسماعِ الخُطبةِ ، فقد أمرَ الله تعالى بالسعي إلى الذكرِ في قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْاْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُواْ الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ والمرادُ بالذكرِ هنا: الخُطبة .

والعجبُ أنَّ الناسَ لا يتنافسون في الحضورِ إلى الصلاةِ كما يتنافسونَ في أمورِ دنياهم!

عباد الله:

لقد شرعَ الله الخُطبةَ لتعليمِ الناسِ وتحذيرِهم وتنبيهِهم وإرشادِهم ، فهي درسُ الأسبوعِ ، وموعظةُ المسلمين ، وكلُّهم بحاجةٍ إلى استماعها والإستفادةِ منها ، وما ساءَتْ أحوالُ الناسِ إلاَّ يومَ ضَيَّعُوا على أنفسِهم فائدةَ سماعِ الوعظِ والتذكيرِ فضلُّوا وأضلَّوا.

ولقد عاتبَ الله تعالى من انصرفَ عن سماعِ الخطبةِ إلى طلبِ الدنيا؛ فقال: ﴿ **وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّواْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ [الجمعة:١١]. وقال ﷺ: «مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَهُوَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً، وَالَّذِي يَقُولُ لَهُ أَنْصِتْ لَيْسَ لَهُ جُمُعَةٌ ». [رواه أحمدُ]

وما ذاك إلاّ لأنّه تكلّفَ الحضورَ ولم يستفدْ منه ، فهو كالحمار الذي يحملُ على ظهرِه كُتُبًا كثيرةً ، لا يستفيدُ منها شيئًا.

ويدخلُ في ذلك العبثُ أثناءَ الخُطبةِ من مسِّ المسابحِ والسواكِ ، والسلامِ على من بجانبه ، وكثرةِ الحركةِ ، فكلُّ ذلك محرَّمٌ لا يجوزُ ، بل الواجبُ على المسلمِ الإنصاتُ والحضورُ.

فاتقوا الله أيُّها المسلمون ، ثم صلُّوا وسلِّموا على المبعوثِ رحمةً للعالمين؛ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ القائِلِ: « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ». [رواه مسلم]

اللَّهُم صلِّ وسلِّمْ على عبدِكَ محمدِ بن عبد الله وعلى آلِه وصحبِه أجمعين وعلى الأربعةِ الخلفاءِ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ ، وعلى بَقِيَّةِ العشَرَةِ المُبشَّرِيْنَ بالجَنَّةِ وعلى سائرِ أصحابِ نبيِّكَ أجمعين ، وارْضَ اللَّهُم عن التابعينَ لَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ ....

❧ ❧ ❧

الخشوع وأثره على صلاة العباد

● الخطبة الأولى:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، مالكِ يومِ الدينِ ، أحمدُه تعالى وأشكرُه ، وأتوبُ إليه وأستغفرُه ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَهُ لا شريكَ له ، إلهُ الأوَّلينَ والآخرينَ ، وقيِّومُ يومِ الدينِ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه إمامُ المتقينَ ، وسيِّدُ الخاشعينَ ، وقدوةُ الناسِ أجمعينَ ، صلَّى اللهُ وسلَّم وباركَ عليه وعلى آله الطيِّبينَ وصحبِه الطاهرينَ والتابعينَ لَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا اللهَ تعالى وتوبوا إليه واستغفروه ، فالذُّنوبُ كثيرةٌ ، ورحمةُ الله قريبٌ من المحسنين ، والأعمالُ سيِّئةٌ والتفريطُ كبيرٌ ، واللهُ لا يُصلحُ عملَ

المفسدين ، ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوَءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ا للهَ يَجِدِ ا للهَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء:١١٠].

أيُّها المسلمون:

يقولُ ا للهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ *الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُّعْرِضُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ*إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَآءَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْعَادُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَـئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ *الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١-١١].

عباد ا لله:

الصلاةُ آكدُ أركانِ الإسلامِ بعد الشهادتين ، لها في الدينِ المكانةُ العُظْمَى ، والأهميَّةُ الكُبْرَى ، هي الفاصِلُ بين المسلمينَ والكافرينَ ، والعهدُ الذي بين المؤمنين ، من تركَها كفرَ ، من حفِظَها وحافظَ عليها حفظَ دينَه ، وعصَم دمَه وحسابُه على ا لله تعالى ، ومن ضَيَّعَها وفَرَّطَ فيها فهو لِمَا سِوَاها أَضْيَعُ ، هي أولُ ما يُحاسبُ عليه العبدُ من عمله ، وآخرُ ما يفقدُ الناسُ من دينهم ، والخشوعُ فيها من المطالبِ الشرعيَّةِ النفيسةِ ، والأُمنياتِ الإنسانيَّةِ العزيزةِ ، فقد أخذَ عدوُّ ا للهِ إبليسُ العهدَ على نفسِه بإضلالِ بني آدمَ وإغوائهم ، وأهمُّ مداخلِه عليهم: إشغالُهم عن صلاتهِم حتّى ترى المسلمَ يقومُ في الصلاةِ مكبِّراً ، وينتهي منها مسلِّماً وربَّما لا

يدري أخمساً صلى أم أربعاً ! ، ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص:٨٢-٨٣] ، ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٧]

قال ابنُ مسعودٍ -رضي ا لله عنه- عندَ قولِ ا للهِ تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ا للهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد:١٦] قال: (مَا كانَ بينَ إسلامِنا وبينَ أن عاتبَنا ا للهُ بهذِه الآيةِ إلاَّ أربعُ سنين).

الخشوعُ: روحُ الصلاةِ ولُبُّها حتى قالَ بعضُ السلفِ: (الصلاةُ بلا خشوعٍ ولا حضورِ قلبٍ كالجُثةِ الهامدةِ بلا روحٍ).

والخشوعُ حالةٌ في القلب تنبعُ من أعماقِه مهابةً للهِ وتوقيراً له وتواضعاً في النفس وتذلُّلاً ، يورثُ انكساراً بين يدي الربِّ ، وحُرْقَةً من المعاصي والسيِّئاتِ ، لأنَّ القلبَ إذا خشعَ سكنت خواطِرُه ، وترَّفَعَت عن الأمورِ الدنيئَةِ هِمَّتُه ، وتجرَّدَ من اتِّباعِ الهوى مسلكُه ، ينكسرُ ويخضعُ للهِ ، ويزولُ ما فيه من التعاظُمِ والترفُّعِ ، والتعالي والتكبُّرِ ، وتلك درجاتٌ في قلوبِ الناسِ تتفاوتُ بتفاوتِ الإيمانِ في قلوبهم ، وسيطرةِ الإسلامِ على نفوسِهم.

الخشوعُ: هو السكونُ والطمأنينةُ والتؤَدةُ والوقارُ ، والتواضعُ والخضوعُ. والحاملُ عليه: الخوفُ من ا للهِ ومراقبتُه في السرِّ والعَلَنِ. فالخشوعُ هو قيامُ القلبِ بين يدي ا للهِ بالخضوعِ والذُّلِ. والأعضاءُ كلُّها

تابعةٌ للقلبِ فإذا فَسَدَ خشوعُه بالغفلةِ والوساوسِ فَسَدَتْ عبوديَّةُ الأعضاءِ والجوارحِ.

والخشوعُ في الصلاة: إنَّما يحصلُ لمن فرَّغَ قلبَه لها ، واشتغلَ بها عمَّا عَدَاها ، وآثرَها على غيرِها ، وحينئذٍ تكونُ له راحةً وقُرَّةَ عينٍ ، كيف لا؟ وقد قال النبيُّ ﷺ : « وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ ».[رواه أحمدُ وهو صحيحٌ]

عباد الله:

لقد ذكرَ اللهُ الخاشعينَ والخاشعاتِ في صفاتِ عباده المتقين الذين أعدَّ اللهُ لهم المغفرةَ والأجرَ العظيم. وأخبرَ سبحانه وتعالى عن أعظمِ فائدةٍ للخشوعِ ؛ وهي تخفيفُ أمرِ الصلاةِ ، وجعلُها عوناً للعبدِ على الطاعةِ ، وحفظِ الجوارحِ عن الحرامِ والفواحشِ ، ﴿ **وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ [البقرة:٤٥-٤٦].

وفي فضلِ الخشوعِ ووعيدِ من تركَه يقولُ النبيُّ ﷺ : « خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ تَعَالَى، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلاَّهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ ».[رواه أبو داود وابنُ ماجه، وهو صحيحٌ]

وقال ﷺ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ».[رواه مسلمٌ]

عباد الله:

لقد حَذَّرَ المصطفى ﷺ من نَقْرِ الصلاةِ ، وعَدَمِ الخشوعِ فيها ؛ لأنَّ ذلك لا يُغني عن العبدِ شيئاً ، فإنَّ الإنسانَ ليسَ له من صلاتِه إلاَّ ما عقلَ منها ، وإنَّ العبدَ ليُصلِّي الصلاةَ ، ثمَّ ينصرفُ منها ما يُكتبُ له منها إلاَّ عشرُها ، تسعُها ، ثُمنُها ، سبُعُها ، سدُسُها ، خُمسُها ، ربُعُها، ثُلثُها ، نِصْفُها.[رواه أحمدُ في مسنده وهو صحيح]

وعن ابي قتادةَ -رضي الله عنه- قال: قال النبيُّ ﷺ : « مَثَلُ الَّذِي لاَ يُتِمُّ رُكُوعَهُ ، وَيَنْقُرُ فِي سُجُوْدِهِ مَثَلُ الجَائِعِ يَأْكُلُ التَّمْرَةَ وَالتَّمْرَتَيْنِ ، لاَ يُغْنِيَانِ عَنْهُ شَيْئاً ».[رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ]

عباد الله:

الخشوعُ واجبٌ من واجباتِ الصلاةِ ، عظيمٌ شأنُه ، سريعٌ فقدُه ، نادرٌ وجودُه ، لا سيِّمَا في آخرِ الزمانِ مع فسادِ الأحوالِ. وقد وردَ أنَّ الخشوعَ أولُ ما يُرفعُ من الأرضِ ، فقد قال رسولُ ﷺ : « أَوَّلُ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْخُشُوعُ؛ يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَلاَ تَرَى فِيهِ رَجُلاً خَاشِعًا ». [رواه الترمذيُّ وأحمدُ والدارميُّ]

قال حُذيفةُ بن اليمان -رضي الله عنه-: (أولُ ما تفقدونَ من دينكِم الخشوعَ ، وآخرُ ما تفقدونَ الصلاةَ ، ورُبَّ مصلٍّ لا خيرَ فيه ، ويُوشِكُ أن تدخلَ المسجدَ فلا ترى فيهم خاشعاً).

والخشوعُ في الصلاةِ -معاشرُ الإخوةِ- ليسَ بإطالةِ الركوعِ والسجودِ، وخضوعِ المنكبين ، وحنيِ الظهرِ ، وإنَّما هو خضوعُ الجوارحِ بين يدي الله تعالى ، وخروجُ القلبِ عن التعلُّقِ بغيرِ الله ، واستحضارُ عَظَمةِ الصلاةِ وعَظَمةِ من يقفُ العبدُ بين يديه ، والتعقُّلُ والتفهُّمُ لكلِّ حركةٍ وسَكَنةٍ في الصلاة ، وإن كانت إطالةُ الركوعِ والسجودِ من صفات الخاشعين ، لكنَّها وحدَها ليست كافيةً ، ما لم تُتوَّجْ بخضوعِ القلبِ ، وطُمأنينةِ النفسِ.

وكثيرٌ من الناس يتساءلون -وحُقَّ لهم أن يتساءلوا- ما بالُ بعضِ الناسِ يؤدون الصلاةَ ، فلا تأمرُهم بمعروفٍ ، ولا تنهاهم عن منكرٍ وفحشاءٍ ، وقد قال الله سبحانه: ﴿ **اتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [العنكبوت:٤٥].

والجوابُ في خُلاصةٍ وجيزةٍ: أنَّهم يؤدون صلاةً بلا روحٍ ، لا خشوعَ فيها ولا طُمأنينةَ ، قد استحوذَ على نفوسِهم الهوى والشيطانُ، فلم يروَ من صلاتِهم إلاَّ أجساداً تهوي إلى الأرض خفضاً ورفعاً ، قلوبُهم خاويةٌ ، وأرواحُهم بالدُّنيا متعَلِّقَةٌ ، ونفوسُهم بالأموالِ والأهلين مشغولةٌ ، لا في ركوعٍ يعتدلون ، ولا في سجودٍ يطمئنُّون ، ولا بآيةٍ يتَّعِظُون.

لَمَّا سَمِعَ بعضُ السَّلَفِ قولَ الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ** ...﴾ [النساء:٤٣] قال: (كم من مُصَلٍّ لم يشربْ خمراً ، هو في صلاتِه لا يعلمُ ما يقولُ ، قد اسكرَتْهُ الدُّنيا بهمومِها).

وقال آخرُ: (الصلاةُ كجاريةٍ تُهدى إلى ملكِ الملوكِ ، فما الظنُّ بمن يُهْدِي إليه جاريةً شلاَّءَ ، أو عوراءَ أو عمياءَ أو مقطوعةَ اليدِ أو الرجلِ أو مريضةً ، أو دَمِيْمَةً أو قبيحةً ، حتى يُهدي إليه جاريةً ميتةً بلا روحٍ. فكيف بالصلاةِ يُهديها العبدُ ويتقَرَّبُ بها إلى ربِّه تعالى ، والله طيِّبٌ لا يقبلُ إلاَّ طيِّباً ، وليسَ من العملِ الطيِّب صلاةٌ لا روحَ فيها).

فأينَ الخشوعُ عبادَ الله: مِمَّن ينقرُ صلاتَه نقرَ الغرابِ ، يتأمَّلُ في الجدرانِ ، ويهيمُ في الوديانِ ، قلبُه معَلَّقٌ بالدنيا ، لا يُبرمُ حساباتِه ولا يقضي أشغالَه ، ولا يُجهِّزُ خُطَطَه وأفكارَه لأمورِ دنياه إلاَّ وهو واقفٌ بين يدي اللهِ في الصلاةِ ، فإذا سلَّمَ الإمامُ من الصلاةِ خرجَ من المسجدِ مسرعاً كأنَّما أُطلقَ سراحُهُ من سجنٍ طويلٍ ، لا يذكرُ اللهَ بعدَ صلاتِه ، ولا يستغفرُ لتقصيرِه فيها ، فضلاً عن أن يأتي بسننِ الصلاةِ ورواتبِها.

ألاَ فاتَّقوا اللهَ رحمكم الله في صلاتكم ، واعلموا أنَّ الخشوعَ سكونٌ واستكانةٌ وعزوفٌ عن التوجه إلى العصيان والمخالفةِ في الصلاة وبعدها ، والخاشعون والخاشعات هم الذين ذَلَّلُوا أنفسَهم ، وكسروا حِدَّتَها وعوَّدُوها أن تطمئنَ إلى أمرِ الله وذكرِه ، وتطلبَ حسنَ العاقبةِ، ووعدَ الآخرةِ ، ولا تغترَّ بما تزيِّنُهُ الشَّهوَاتُ الحاضرةُ والمَلَذَّاتُ العابرةُ.

وإذا خشعَ قلبُ المصلي استشعرَ الوقوفَ بين يدي خالقِه ، وعَظُمَتْ عندَه مناجاتُه ، فمن قَدَّرَ الأمرَ حقَّ قدرِه ، واستقرَّتْ في جَنَانِه عَظمةُ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وامتلأ قلبُه بالخوفِ خشعَ في صلاتِه ، وأقبلَ عليها بروحِه ، وسكنتْ جوارحُه فيها فاستحقَّ الأجرَ والثناءَ الجميلَ في الآخرة: ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُواْ لَنَا خاشِعِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

*** * ***

●الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيِّباً مُبَارَكاً فيه كما يُحبُّ ربُّنَا ويرضى ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاشريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه صلَّى اللهُ عليه وعلى آلهِ وصحبِه ومن تبِعَهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله أيُّها المسلمون ، وحافظوا على الخشوعِ في صلاتِكم ، واعلموا رحمكم الله أنَّ هناك أموراً تُعينُ على الخشوعِ في الصلاةِ ، وهي كثيرةٌ ، من أبرزِها: تذكُّرِ الموتِ في الصلاةِ ، وأن يعتقدَ المسلمُ أنَّه لن يُصلي بعدها غيرَها ، قال ﷺ لأحدِ أصحابِه: « إِذَا قُمْتَ فِي صَلاَتِكَ فَصَلِّ صَلاَةَ مُوَدِّعٍ، وَلاَ تَكَلَّمْ بِكَلاَمٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَداً، وَاجْمَعِ الإِيَاسَ مِمَّا فِي يَدَيِ النَّاسِ ». [رواه ابنُ ماجه ، وأحمدُ وحسَّنَه الألبانيُّ]

ومِمَّا يُعينُ على الخشوعِ في الصلاة: تدبُّرُ الآياتِ المقروءةِ فيها ، فالقرآنُ كتابٌ مباركٌ أنزله الله تعالى على الناس ليدبَّروا آياتِه ، وليتذكَّرَ أولوا الألبابِ. وكثيراً ما كان السلفُ الصالحُ -رضوانُ الله عليهم- يقومُ الواحدُ منهم بآيةٍ واحدةٍ حتى الفجر ، يُردِّدُها ويتدبَّرُها ويبكي من خشيةِ الله ، مقتفينَ آثارَ نبيِّهم ﷺ الذي قال عنه حذيفةُ ابن اليمان -رضي الله عنه-: « صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ ».[رواه مسلم]

وعند أحمدَ : أنَّه ﷺ قام ليلةً بآيةٍ يُردِّدُها حتَّى أصبحَ ، وهي قولُ الله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة:١١٨].

ومِمَّا يُعينُ على الخشوعِ في الصلاة التعوُّذُ با لله من الشيطانِ الرجيم، فقد قالَ النبيُّ ﷺ : « إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي جَاءَ الشَّيْطَانُ فَلَبَسَ عَلَيْهِ حَتَّى لاَ يَدْرِيَ كَمْ صَلَّى، فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ ».[رواه البخاريُّ ومسلمٌ]

ثم أخبرَ ﷺ عن علاج ذلك حينَ أتاهُ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ –رضي الله عنه– فَقَالَ: يا رسُولَ الله! إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلاَتِي وَقِرَاءَتِي؛ يَلْبِسُهَا عَلَيَّ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلاَثًا ». قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَهُ الله.[رواه مسلم]

ومِمَّا يُعينُ على الخشوعِ في الصلاةِ يا عباد الله: مُدَافَعَةُ الشواغلِ والموانعِ التي تصرفُ عن الخشوع ؛ فلا يُصلي في مكانٍ مزعجٍ ، أو أمامَ نقوشٍ وتصاويرَ وألوانٍ وكتاباتٍ ، ولا يُصلي بحَضْرَةِ طعامٍ يشتهيه، ولا يُصلي وهو حاقنٌ ، أو يدافعُه الأخبثان ، أو قد غلبَه النُعاسُ ؛ لأنَّ هذه الأمور كلِّها صوارفُ وشواغلُ تحولُ بين المصلي وصلاته.

عباد الله:

وإذا كان الخشوعُ في الصلاة مطلوباً وواجباً من واجباتها ، فإنَّ هناك نوعاً آخرَ من الخشوع حذَّرَ منه السلفُ ، وأنذروا منه وسَمَّوه خشوعَ النفاق. كان حذيفةُ -رضي الله عنه- يقول: (إيَّاكم وخشوعَ النفاق ، فقيلَ له: وما خشوعُ النفاق ؟ قال: أن ترى الجسدَ خاشعاً ، والقلبَ ليسَ بخاشعٍ).

وقال الفضيلُ بن عياضٍ -رحمه الله-: (كان يُكره أن يُريَ الرجلُ من الخشوعِ أكثرَ مِمَّا في قَلْبِهِ).

ورأى بعضُهم رجلاً خاشعَ المنكبين والبدن ، فقال: يا فلان ! (الخشوعُ ها هُنَا ، وأشارَ إلى صدرِهِ ، وليس ها هُنَا ، وأشارَ إلى منكِبَيْهِ).

ونظرَ عمرُ بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى شابٍ قد نكَّسَ رأسَه فقال له: (يا هذا ارفعْ رأسَكَ ، فإنَّ الخشوعَ لا يزيدُ على ما في القلبِ ، فمن أظهرَ خشوعاً على ما في قلبِه فإنَّما هو نفاقٌ على نفاقٍ).

وقد فرَّق الإمامُ ابنُ القيِّمِ -رحمه الله- بينَ خشوع النفاق وخشوع الإيمان فقال: (خشوعُ الإيمانِ هو خشوعُ القلبِ لله بالتعظيمِ والإجلالِ والوقارِ والمهابةِ والحياءِ ، فينكسرُ القلبُ لله كسرةً ملتئمةً من الوجلِ والخجلِ والحبِّ والحياءِ ، وشهودِ نعمةِ الله وجناياتِ العبدِ فيخشعُ القلبُ لا محالةَ ، فيتبعُهُ خشوعُ الجوارحِ. وأمَّا خشوعُ النفاقِ فيبدو على الجوارحِ تصنُّعاً وتكلُّفاً ، والقلبُ غيرُ خاشعٍ).

ولقد كان من دعائه ﷺ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا ». [رواه مسلم]

فاتَّقوا الله رحمكم الله ، وأحسنوا صلاتَكم ، وأتِمّوا ركوعَها وسجودَها واخشعوا لله فيها ، وصلُّوا وسلِّموا رحمكم الله على المبعوثِ رحمةً للعالمين محمدِ بنِ عبدِ الله عليه أفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليمِ....

يوم الجمعة فضائله وخصائصه

●الخطبة الأولى:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والعاقبةُ للمتقين ، ولا عدوانَ إلاَّ على الظالمين، أحمدُه تعالى وأشكرُه ، وأتوبُ إليه وأستغفرُه ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له إلهُ الأولين والآخرين ، وقيُّومُ السمواتِ والأَرَضِيْنَ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه سيِّدُ المرسلين ، وإمامُ المتقين ، وحُجَّةُ اللهِ على العالمين ، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلهِ الطيِّبين ، وصحبهِ الطاهرين ، والتابعينَ لَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ الدِّيْنِ وسَلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فأوصيكم أيُّها الناسُ ونفسي بتقوى اللهِ عزَّ وجلَّ في السرِّ والعَلَنِ، وشُكْرِهِ سبحانه في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ ، وامتثالِ أمرِهِ ونهيِه في الشدَّةِ والرَّخَاءِ، ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً**﴾ [الطلاق:٥].

عباد الله:

يقولُ الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الجمعه:٩].

أيُّها المسلمون:

من رحمةِ الله تعالى بعباده أن جعلَ لهم في حياتهم مواسمَ للاجتهاد في الطاعات ، وأزمنةً للتنافس في الصالحات ومناسباتٍ متكرِّرَةٍ للإقبالِ على العبادات ، ويومُ الجُمعةِ خيرُ يومٍ طلعت عليه الشمسُ ، سيِّدُ الأيامِ ، وعيدُ أهلِ الإسلام المتكرِّرُ ، أضَلَّ اللهُ عنه الأممَ من قبلنا ، وهدانا إليه وارتضاه لنا ؛ لما فيه من الخصائص والفضائل التي لا توجدُ فيما سواه.

ولقد تواترت الأحاديثُ النبويَّةُ الصحيحةُ عن رسولِ الله ﷺ ، منبهةً المسلمين إلى فضلِ يومِ الجُمعةِ ، ومبيِّنَةً مزيَّتَهُ على سائرِ الأيام ، قال ﷺ : « نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمِ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللهُ فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ؛ الْيَهُودُ غَدًا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ ».[متفقٌ عليه].

وعند مسلمٍ أنَّه ﷺ قالَ: « أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا، فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ

الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلائِقِ)).

عباد الله:

إنَّ يومَ الجُمعةِ اختصَّ الله تعالى به هذه الأمَّةَ ، وجعلَه عيداً يتكَرَّرُ لهم كلَّ أسبوعٍ ، يُفيضُ الله تعالى فيه من رحمتِه وفضلِه ومغفرتِه على من التَجأَ إليه ، ورغِبَ فيما عنده من عباده ؛ ولهذا لَمَّا ((جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آيَةٌ فِي كِتَابِكُمْ تَقْرَءُونَهَا لَوْ عَلَيْنَا نَزَلَتْ مَعْشَرَ الْيَهُودِ لاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيداً ! قَالَ: وَأَيُّ آيَةٍ ؟ قَالَ: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً**﴾ [المائدة:٣] ؛ فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي لأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ؛ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعَرَفَاتٍ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ)).

ولقد كان من هديه ﷺ تعظيمُ هذا اليومِ ، وتشريفُه ، وتخصيصُه بخصائصَ وعباداتٍ يَختصُّ بها دونَ غيره. وكان ﷺ يقرأُ في فجره بسورتي السجدةِ والإنسان.[كما روى ذلك الإمامُ مسلمٌ في صحيحه]

قالَ ابنُ القيِّمِ -رحمه الله-: (ويظنُّ كثيرٌ مِمَّن لا علمَ عندَه أنَّ المرادَ تخصيصُ هذه الصلاة بسجدةٍ زادة ، ويُسَمُّونَها سجدةَ الجُمعةِ ، وإذا لم يقرأ أحدُهم هذه السورةَ استحبَّ قراءةَ سورةٍ أخرى فيها سجدةٌ ؛ ولهذا كره الأئمةُ المداومةَ على قراءةِ هذه السورةِ في فجر الجُمعةِ ؛ دَفْعاً لِتوَهُّم الجاهلين. قال: وسمعتُ شيخَ الإسلام ابنَ تيميَّةَ -رحمه الله- يقول: إنَّما

كان النبيُّ ﷺ يقرأُ هاتين السورتين في فجر الجُمعةِ ؛ لأنَّهما تَضَمَّنَتَا ما كانَ وما يكونُ في يومِها ؛ فإنَّهما إشتملتا على خلقِ آدمَ ، وعلى ذكرِ المعادِ ، وحشرِ العبادِ ، وذلك يكونُ يومَ الجُمعةِ ، وكان في قراءتِهما في هذا اليومِ تذكيرٌ للأمَّةِ بما كان فيه ويكونُ ، والسجدةُ جاءت تَبَعاً ، ليست مقصودةً حتَّى يَقصدَ المصلِّي قراءتَها حيثُ اتّفقَتْ).

عباد الله:

ومن خصائصِ يومِ الجُمعةِ استحبابُ كثرةِ الصلاةِ والسلامِ على النبيِّ ﷺ في يومِها وليلَتِها ؛ لقوله ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلام، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ؛ فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ -أَيْ؛ يَقُولُونَ: قَدْ بَلِيتَ- ؟! قَالَ: « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمْ السَّلاَم ». [رواه النسائيُّ وأحمدُ وأبو داود بإسنادٍ صحيحٍ ، والحاكمُ وصحَّحَهُ]

ومن خصائصِ يومِ الجُمعةِ: استحبابُ قراءةِ سورةِ الكهف في يومها ؛ فقد قال ﷺ : « مَنْ قَرَأَ سُوْرَةَ الكَهْفِ يَوْمَ الجُمُعَةِ سَطَعَ لَهُ نُوْرٌ مِنْ تَحْتِ قَدَمِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ يُضِيءُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَغُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَ الجُمُعَتَيْنِ». [أخرجه الحاكمُ والبيهقيُّ والدارميُّ وهو صحيحٌ]

ومن خصائصِ يومِ الجُمعةِ: أنَّ فيه ساعةً لا يوافقُ ا للهَ فيها عبدٌ مسلمٌ يسألُه من فضلِه إلاَّ أعطاه إيَّاه ؛ قالَ رسولُ ا للهِ ﷺ : « إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الأَيَّامِ وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ ا للهِ، وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ ا للهِ مِنْ يَوْمِ الأَضْحَى وَيَوْمِ الْفِطْرِ، فِيهِ خَمْسُ خِلاَلٍ: خَلَقَ ا للهُ فِيهِ آدَمَ، وَأَهْبَطَ ا للهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الأَرْضِ، وَفِيهِ تَوَفَّى ا للهُ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يَسْأَلُ ا للهَ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئاً إِلاَّ أَعْطَاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَاماً، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلاَ سَمَاءٍ وَلاَ أَرْضٍ وَلاَ رِيَاحٍ وَلاَ جِبَالٍ وَلاَ بَحْرٍ إِلاَّ وَهُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ».

[أخرجه ابنُ ماجة وأحمدُ وإسنادُه حسنٌ]

وقد اختلفَ أهلُ العلمِ في وقتِها من هذا اليوم ، والصحيحُ -إن شاءَ ا للهُ تعالى-: أنَّ وقتَها بالتحديدِ لا يعلمُه إلاَّ ا للهُ سبحانه ، إستأثرَ بعلمِها ؛ ليجتهدَ العبادُ في الطاعةِ والإقبالِ عليه بالأعمالِ الصالحةِ ، لكنَّ أرجى أوقاتِها: آخرُ ساعةٍ بعدَ العصرِ من يومِ الجُمعَةِ.

أيُّها المسلمون:

وأعظمُ خصائصِ يومِ الجُمعةِ صلاةُ الجُمعَةِ ؛ التي هي من آكدُ فروضِ الإسلام ، ومن أعظمِ مجامعِ المسلمين المتكرِّرَةِ ، من تركها تهاوناً طبعَ ا للهُ على قلبه ؛ فقد روى الإمامُ مسلمٌ في صحيحه عن عَبْدَ ا للهِ بْنَ عُمَرَ وَأَبي هُرَيْرَةَ -رضي ا للهُ تعالى عنهما- أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ ا للهِ ﷺ يَقُولُ عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ: « لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ ا للهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ ».

وقد أمرَ المصطفى ﷺ بالاغتسالِ لها ، والتطيُّبِ ، وتخصيصِها بلباسٍ خاصٍّ ، والحكمةُ في ذلك: إزالةُ الروائحَ ، والنجاساتِ ، والتطهُّر ؛ لئَلاَّ يتنافرَ المسلمون من بعضِهم وهم يؤدُّون الصلاةَ ، قال ﷺ : « مَا عَلَى أَحَدِكُمْ لَوِ اشْتَرَى ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ سِوَى ثَوْبِ مِهْنَتِهِ ». [رواه أبو داود وابنُ ماجه وإسنادُه صحيحٌ]

كما أمرَ بالتبكيرِ لها ، ورَغَّبَ فيه ؛ لِمَا فيه من الخيرِ والفضيلةِ ، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنَّه ﷺ قال: « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلاَئِكَةٌ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ الإِمَامُ طَوَوُا الصُّحُفَ، وَجَاءُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ، وَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي الْبَدَنَةَ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي الْكَبْشَ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي الدَّجَاجَةَ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي الْبَيْضَةَ ». [متفقٌ عليه]

وفي التبكيرِ لصلاةِ الجُمعَةِ فضائلُ كثيرةٌ منها: تحصيلُ مكانٍ في الصَّفِ الأوَّلِ ؛ خيرِ صفوفِ الرجالِ ، والحصولُ على فضيلةِ انتظارِ الصلاةِ ، وحصولُ الاشتغالِ بذكرِ اللهِ ؛ بصلاةِ النافلةِ ، وقراءةِ القرآنِ، والتسبيحِ والتهليلِ ، والتكبيرِ والدعاءِ ، وهذه الفضائلُ كلُّها تفوتُ على المتأخِّرِ.

وإنَّ مِمَّا يؤسفُ له يا عباد الله: أن يقلَّ اهتمامُ المسلمين في هذه الأيامِ بالتبكيرِ لصلاةِ الجُمعَةِ ، حتَّى إنَّ بعضَهم لا يأتي إليها إلاَّ عندَ دخولِ الإمامِ ، أو عندَ الإقامةِ ، فيأتي يتخطَّى الرقابَ ، ويؤذي المسلمين ، ويُشَوِّشُ عليهم ، ويُذهبُ روحَ الصلاةِ والخُطبَةِ على المستمعين لها

والخاشعين فيها ، فيحرمون أنفسَهم من هذه الأجور العظيمـةِ ، والفضـائلِ المتعَدِّدَةِ لا لشـيءٍ إلاَّ لأنَّ الشيطانَ يُخَذِّلُهُـم عـن التبكـير ، ويُزَهِّدُهـم في الثوابِ العظيمِ للمُبَكِّرِيْنَ ؛ فعن عليٍّ بنِ أبي طالبٍ -رضي ا للهُ تعالى عنه- قالَ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ خَرَجَ الشَّيَاطِينُ يُرَبِّثُونَ النَّـاسَ إِلَـى أَسْـوَاقِهِمْ -يَعْنِـي: يُؤَخِّرُوْنَهُـمْ عَـنِ الحُضُوْرِ للمَسَـاجِدِ- وَمَعَهُـمُ الرَّايَـاتُ، وَتَقْعُـدُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ يَكْتُبُونَ النَّـاسَ عَلَـى قَـدْرِ مَنَـازِلِهِمُ السَّـابِقَ وَالْمُصَلِّيَ وَالَّذِي يَلِيهِ حَتَّى يَخْرُجَ الإِمَامُ ». [رواه أبو داود وأحمدُ]

والأشدُّ أسفاً في ذلـك: أنَّ أكـثرَ المتـأخِّرين عـن صـلاةِ الجُمعَـةِ يكـون تأخُّرهـم بسبب النوم ، فإذا سَمِعَ الأذانَ فَزِعَ من نومِـه ، وارتـدى لباسَـه، وأتى المسجد بجسمه ، وترك روحَه نائمةً في فراشـه ، فيجلسُ في المسـجد خَامِلاً كسـلاناً ، لا ينتبـه لحديـثٍ ، ولا ينتفـعُ مـن موعظـهٍ ، ومـا لجـرحٍ بمَيِّتٍ إِيْلاَمُ.

وكم من جمعةٍ -يا عباد ا للهِ- تطوي الملائكةُ فيها صحفَها و لم تُسـجِّلْ من السابقين الأولين إلاَّ القليلَ ، ومعظمُهم من مُهدِي البيضةِ والدَّجاجَـةِ ، وا للهُ المستعانُ.

ولقد قال ﷺ : « وَلاَ يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُوْنَ حَتَّـىَ يُؤَخِّرَهُـمُ ا للهُ ». [رواه مسلمٌ]

ناهيكمُ -عباد ا للهِ- عَمَّن استحوذَ عليهم الشيطانُ فأنساهم ذكرَ ا للهِ، شهورَ عدداً ، بل وسنينَ متتابعةً لم يحضروا جُمُعَةً واحدةً ، إمَّا نـائمون في بيوتِهم كالأنعامِ يَتَمَتَّعُونَ ويأكلونَ ، وإمَّا مشغولونَ بما يبثُّهُ أعداءُ الأمَّةِ في

وقتِ صلاةِ الجُمعَةِ مــن أفـلامٍ ومسلسـلاتٍ ومباريـاتٍ عـبرَ قنـواتِ البـثِّ المباشرِ ؛ صَرْفَاً للأُمَّةِ عن دينِها ، وإمَّـا تنزُّهـاً في المنتزهـات، نسـألُ ا لله أن يأخذَ بأيدي المسلمين ، ويردَّهم إليه ردَّاً جميلاً.

لقد كان السلفُ الصالحُ -ولنا فيهم أعظمُ أُسوةٍ- يتسابقون في دخـولِ المساجدِ يومِ الجُمعةِ ، فإذا دخل أحدُهم المسجدَ ووجدَ فيه من سبقه حَزِنَ واهْتَمَّ واحتقرَ نفسَه ، فقد خرَجَ عبدُ ا لله بـنُ مسـعودٍ -رضـي ا لله عنـه- إِلَى الْجُمُعَةِ فَوَجَدَ ثَلاَثَةً وَقَدْ سَبَقُوهُ، فَقَالَ: رَابِعُ أَرْبَعَـةٍ ! وَمَـا رَابِـعُ أَرْبَعَـةٍ بِبَعِيدٍ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ا لله ﷺ يَقُوْلُ: « إِنَّ النَّاسَ يَجْلِسُونَ مِنَ ا للهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ رَوَاحِهِـمْ إِلَـى الْجُمُعَـاتِ؛ الأَوَّلَ وَالثَّـانِيَ وَالثَّـالِثَ ». ثُـمَّ قَالَ: رَابِعُ أَرْبَعَةٍ ! وَمَا رَابِعُ أَرْبَعَةٍ بِبَعِيدٍ. [رواه ابنُ ماجة وإسنادُه حسنٌ]

فاحْرِصُوا رحمكم ا للهُ على صلاةِ الجُمعَةِ ، واجتهدوا في تَحَرِّي آدابهـا والمحافظةِ عليها ، والالتزامِ بسننها ؛ لتنالوا أجرَها فإنَّ أجرَ الجُمعَةِ عظيــمٌ ، وثوابَها جزيلٌ ، أقولُ ما تسمعونَ وأستغفرُ ا لله فاستغفروه وتوبوا إليــه إنَّـه كان للأوَّابين غفوراً.

❋❋ ❋ ❋❋

●الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على إحسانهِ، والشكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَهُ تعظيماً لشأنهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الداعي إلى رضوانهِ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ، وأصحابهِ، وإخوانِه، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتّقوا اللهَ عباد الله ، واعلموا رحمكم الله أنَّ مِمَّا يختصُّ به يومُ الجُمعَةِ أنَّه يحرمُ السفرُ فيه لمن تلزمُه الجُمعةُ قبلَ فعلها بعدَ دخولِ وقتها، ما لم يكن معذوراً شَرْعَاً. وأمَّا قبلَ الزوالِ فإنَّ السفرَ جائزٌ ، على أنَّ الأوَّلى بالمسلم أن لا يُفوِّتَ عليه فضيلةَ الجُمعَةِ. وإذا سافرَ المسلمُ الذي تجبُ عليه صلاةُ الجُمعةِ قبلَ دخولِ وقتِها فإنَّها لاتجب عليه ؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ وأصحابَه – رضي الله عنهم- كانوا يُسافرون في الحجِّ وغيرِه ، ولم يُصلِّ أحدٌ منهم الجمعةَ في السفر مع اجتماع الخلق الكثير ، وإذا حضر المسافرُ الجمعةَ ، وصلاَّها مع المقيمين أجْزَأَتْهُ عن صلاةِ الظهر ، وإذا نوى المسافرُ الإقامة في بلدٍ إقامةً تزيدُ على أربعةِ أيامٍ وجبت عليه صلاةُ الجمعة مع أهل ذلك البلد.

عباد الله:

وإذا دخلَ المسلمُ المسجدَ يومَ الجُمعَةِ والإمامُ يخطبُ فإنَّه لا يجلسُ حتى يُصلِّي ركعتين خفيفتين ؛ لقوله ﷺ : « إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَقَدْ

خَرَجَ الإِمَامُ فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ ». [متفقٌ عليه] ، زادَ مسلمٌ: « وَلْيَتَجَوَّزْ فِيْهِمَا».

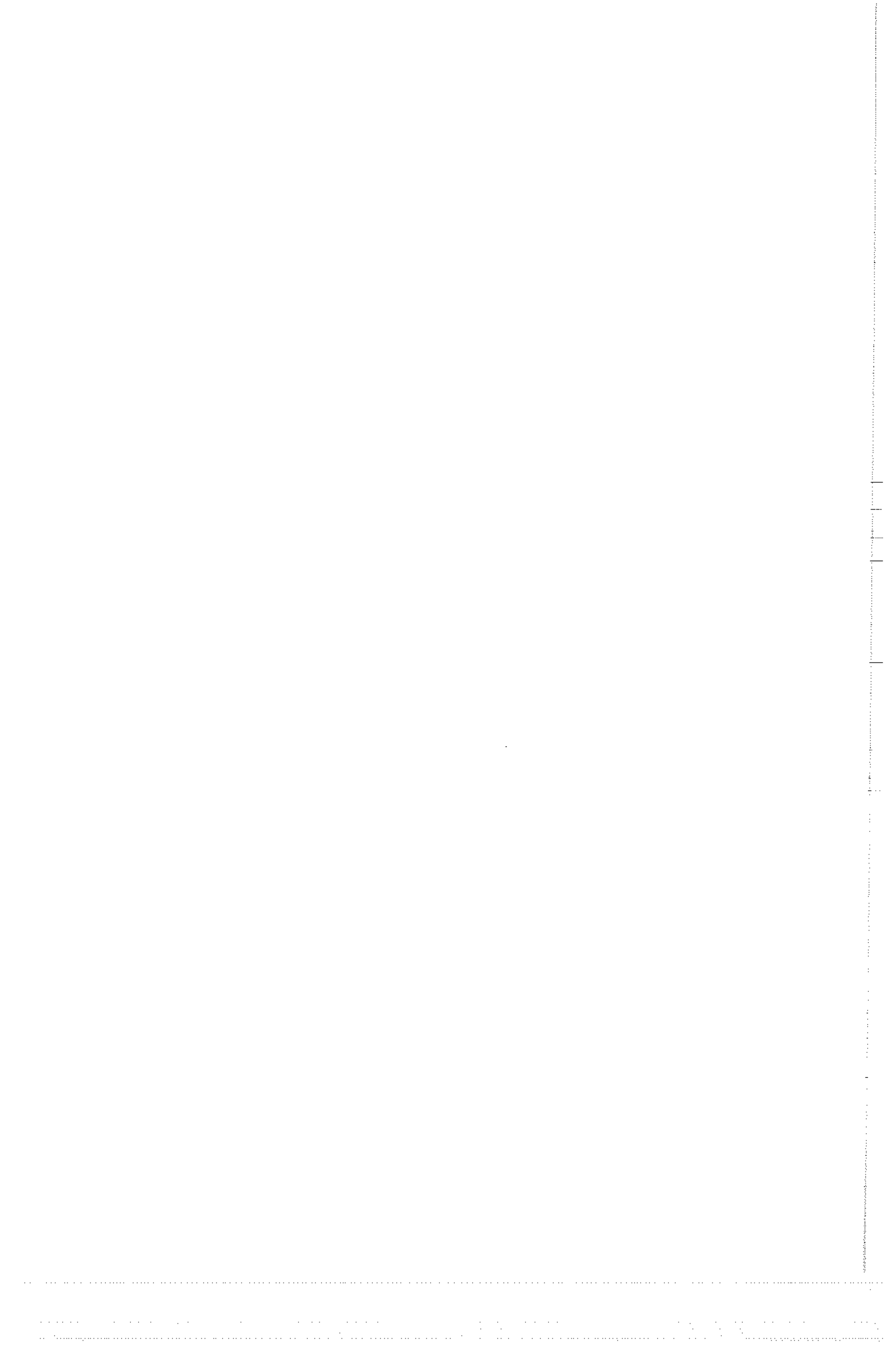
ومِمَّا يجبُ على المسلمِ أثناءَ الخُطبةِ: الإستماعُ والإنصاتُ ، وأن يجلسَ حيثُ انتهى به المسجدُ ، فلا يتخطَّى رقابَ الناس ، ولا يُفرِّقْ بينهم ، ويحرمُ عليه الكلامُ والإمامُ يخطبُ أو السلامُ على أحدٍ أو العبثُ بالمسابح أو اللحى أو نحو ذلك ، قال ﷺ : « وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا ». [رواه مسلمٌ في صحيحه] ؛ وفي روايةٍ لأحمدَ وأبي داود: « وَمَنْ قَالَ صَهٍ فَقَدْ تكلَّمَ وَمَنْ تَكَلَّمَ فَلاَ جُمُعَةَ لَهُ ».

وعندَ أحمدَ وأبي داودَ بإسنادٍ حسنٍ أنَّه ﷺ قال: « يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ؛ رَجُلٌ حَضَرَهَا يَلْغُو وَهُوَ حَظُّهُ مِنْهَا، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا يَدْعُو فَهُوَ رَجُلٌ دَعَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ شَاءَ أَعْطَاهُ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُ، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا بِإِنْصَاتٍ وَسُكُوتٍ، وَلَمْ يَتَخَطَّ رَقَبَةَ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدَاً فَهِيَ كَفَّارَةٌ إِلَى الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا وَزِيَادَةِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ؛ وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿ **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** ﴾ [الأنعام: ١٦٠] ».

عباد الله:

وصلاةُ الجُمعَةِ ركعتين ، فإذا أدركَ المسلمُ مع الإمامِ ركعةً أتَمَّهَا جُمعَةً، والركعةُ تُدركُ بإدراكِ الركوعِ ، وإن دخلَ مع الإمامِ بعد الرفعِ من الركوعِ في الركعة الثانية فإنه يُتِمَّها ظهراً ، ولا جُمعةَ له ؛ لأنَّ الجُمعةَ لا تُقضى ، فإذا لم يُدركها مع الإمامِ فقد فاتت عليه.

ألا فاتَّقوا الله رحمكم الله ، واقتدوا بهديه ، واستنُّوا بُسَّنَّةِ رسوله الكريم ، ثمَّ صلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم الله تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ الله وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً وَاحِدَةً صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)). [رواه مسلم]



تنبيهاتٌ على بعض بدع الجنائز

● **الخطبة الأولى:**

اللَّهُمَّ إنَّا نحمدُك ونستعينُك ونستغفرُك ونتوبُ إليك ، ونُثني عليك الخيرَ كلَّه ، نحمدُك اللَّهُمَّ كما ينبغي لجلالِ وجهكِ وعظيمِ سُلْطَانكِ ، لك الحمدُ كلُّه ، وإليك يُرجعُ الأمرُ كلُّه ، لك الحمدُ حتَّى ترضى ، ولك الحمدُ إذا رضيتَ ، ولك الحمدُ بعد الرضى ، لك الحمدُ كالذي نقولُ وخيراً مما نقولُ ، ولك الحمدُ كالذي تقولُ ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، أرسلَه رحمةً للعالمين، وحُجَّةً على الهالكين ، فصلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الغُرِّ الميامين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا ا للهَ ربكم فبتقواه سبحانه وتعالى تزكوا النفوسُ ، وتصلحُ الأحوالُ ، وتذكَّروا الموتَ وسكراتِه ، وقربَ حلولِه ، واستعدُّوا له بالأعمالِ الصالحةِ ، والتوبةِ من الذنوبِ والسيِّئاتِ ، فإنَّ نسيانَ الموتِ يُقسِّي القلوبَ ، ويُبعدُ عن ذكرِ علاَّمِ الغيوبِ ، وبذكرهِ جاءتِ الوصيَّةُ النبويَّة في قولهِ ﷺ : « أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ؛ يَعْنِي الْمَوْتَ ». [رواه ابنُ ماجةَ والترمذيُّ وحسَّنه] ؛ وعندَ ابنِ حِبَّانَ وصحَّحَه: « فَإِنَّهُ مَا ذَكَرَهُ أَحَدٌ فِي ضِيْقٍ إِلاَّ وَسَّعَهُ، وَلاَ ذَكَرَهُ فِي سَعَةٍ إِلاَّ ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ ».

عباد ا لله:

ذِكْرُ الموتِ يُزِّهدِ في الدُّنيا ، ويُحَفِّزُ على العملِ الصالحِ والتوبةِ النَّصُوحِ من الذُّنوبِ ، والتَّخَلُّصِ من مظالم العبادِ، وإعطاءِ الناسِ حقوقَهم. من تذَكَّرَ أنَّ الموتَ مصيرُه، وأنَّ القبَر مقرُّهُ، وأنَّ الجنةَ أو النارَ موردُه هل يكونُ إلاَّ مؤمناً حقاً ؟ من تذكَّرَ قِصَرَ الحياةِ، وقِلَّةَ الزادِ، ومشقَّةَ الطريقِ، وبُعْدَ السفرِ هل يكونُ عملُه إلاَّ في طاعةِ ا للهِ عزَّ وجلَّ ؟ لا وا لله: فإنَّ من ذكرَ الموتَ هانت عليه الدُّنيا وما فيها، ومن علمَ سكراتِه وشدائده وكُرَبَه عظُمت في عينه الطاعةُ، وهجرَ المعصيةَ.

عن ابن عمر –رضي ا لله عنهما– قال: (أخذَ النبيُّ ﷺ بمنكبي فقال: « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » . وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا

أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ). [رواه البخاريُّ]

وعنه -رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ».[رواه البخاري]

هو الموتُ ما منه ملاذٌ ومهربُ ... متى حُطَّ ذا عن نَعْشِهِ ذاكَ يَركَبُ
نؤمِّلُ آمالاً ونرجو نتاجَها ... وعلَّ الرَّدَى مما نُرجيِّه أقربُ

فكم من صِغارٍ يُرتجى طولُ عُمْرِهم ... وقد أُدخلت أجسادُهم ظُلْمَةَ القبرِ
وكم من عروسٍ زيَّنوها لزوجِها ... وقد نُسجت أكفانُها وهي لا تدري
تزَوَّدْ من الدُّنيا فإنَّك لا تدري ... إذا جنَّ ليلٌ هل تعيشُ إلى الفجرِ؟

عباد الله:

وإذا كان الموتُ هو مصيرُنا، والقبرُ هو مضْجَعُنَا فإنَّه لا بُدَّ من الوقوفِ على بعضِ أحكامِ الجنائزِ، والتعرُّفِ على صحيحها من بِدَعِها المُحْدَثَة، فإنَّه ما من بيتٍ إلاَّ والموتُ داخلُه قَصُرَ الزمانُ أو بَعُدَ.

وقد جاء الإسلامُ بأحكامٍ عظيمةٍ، وسُنَنٍ وواجباتٍ تتعلَّقُ بخروجِ المسلمِ من هذه الحياةِ لا بُدَّ من معرفتِها والوقوفِ عندها، فقد كان هديُ المصطفى ﷺ في الجنائزِ أكملَ الهدي، مخالفاً لهدي سائرِ الأُمَمِ، مُشْتَمِلاً على الإحسانِ للميتِ، ومعامَلَتِه بما ينفعُه في قبرِهِ ويومِ معادِهِ، وعلى الإحسان إلى أهلِهِ وأقاربِهِ، وأولُ هذه الأحكامِ زيارةُ المريضِ حالَ مرضِه،

وتذكيرُه بالآخرةِ، وأمرُهُ بالوصيَّةِ والتوبةِ، وتلقينُــه الشـهادةَ، لتكـونَ آخـرَ كلامِه من الدُّنيا.

قال أنسٌ -رضي الله عنـه-: كَـانَ غُـلاَمٌ يَهُـودِيٌّ يَخْـدُمُ النَّبـيَّ ﷺ ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِـهِ، فَقَـالَ لَـهُ: « أَسْلِمْ ! ». فَنَظَرَ إِلَى أَبيهِ -وَهُوَ عِنْدَهُ- فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ « الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّـارِ ». [رواه البخـاري] ؛ وزادَ أحمدُ في روايتِهِ: (فلمَّا ماتَ ، قال ﷺ : « صَلُّوْا عَلَى صَـاحِبِكُمْ » ؛ يعني للمسلمين).

وجاءَتِ الوصيَّةُ النبويَّةُ الحكيمةُ بتلقينِ المُحتَضِـر لا إلـه إلاَّ الله. [كمـا روى ذلك مسلمٌ في صحيحه] ؛ وذلك لتكـونَ هـذه الكلمـةُ الطيِّـةُ آخـرَ كلامِ العبدِ من هذه الحياة، ويُختمَ له بهـا، فقـد روى الإمـامُ أحمـدُ وغـيرُه بسنَدٍ صحيحٍ أنَّه ﷺ قال: « مَـنْ كَـانَ آخِرُ كَلاَمِـهِ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ دَخَـلَ الْجَنَّةَ ».

وأمَّا قِرَاءَةُ الآياتِ عندَهُ؛ كسورةِ يس ونحوِها فلم يَثْبُتْ في ذلـك دليـلٌ يُحتجُّ به.

فإذا ماتَ العبدُ سُنَّ تغميضُـه وتسـويةُ أطرافـِهِ، وتغطيتُـه، ثـمَّ الإسـراعُ بتجهيزه؛ من تغسيلٍ، وتكفينٍ وصلاةٍ عليه، ودفنـه؛ لما روى أبـو داودَ في سُنَنِه أنَّه ﷺ قال: « فَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِجِيفَةِ مُسْلِمٍ أَنْ تُحْبَـسَ بَيْـنَ ظَهْرَانَـيْ

أَهْلِهِ ». فلا يجوزُ تأخيرُ دفنِ الميِّتِ إلاَّ لعُذْرٍ، وقد كانَ من هديهِ ﷺ الإسراعُ بتجهيزِ الميِّتِ إلى اللهِ، وتطهيرِه، وتطييبِه، وتكفينِه في ثيابٍ بيضٍ؛ ثلاثٍ للرجلِ، وخَمْسٍ للمرأة.

وكان ﷺ يأمرُ بغَسْلِ الميِّتِ ثلاثاً أو خمساً أو أكثرَ حسَبَ ما يراه الغاسلُ، ويأمرُ بالكافورِ والأُشْنَانِ ونحوِه في الغَسْلَةِ الأخيرَةِ، وكان يأمرُ من وَلِيَ الميِّتَ أن يُحسنَ كفنَه، ويُكفِّنَه في البَيَاضِ، وينهى عن المُغَالاَةِ في الكَفَنِ.

والرَّجلُ يتولَّى تغسيلَه الرجالُ، والمرأةُ تُغسِّلُها النساءُ، ومن تعَذَّرَ غسلُه لعَدَمِ الماءِ، أو لمرضٍ بجسمِهِ؛ كالحروق ونحوها فإنّه يُيَمَّمُ بالترابِ، وإن تعَذَّرَ غسلُ بعضِه غُسلَ ما أمكنَ منه ويُمِّمَ عن الباقي، ويجوزُ للرَّجُل أن يُغسِّلَ زوجتَه، وللزوجةِ أن تُغسِّلَ زوجَها.

والجنينُ الساقطُ من بطنِ أمه إذا تمَّ له أربعةُ أشهرٍ غُسِّلَ وصُلِّيَ عليه؛ لقوله ﷺ : « وَالسِّقْطُ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَيُدْعَى لِوَالِدَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ ».

[رواه أحمد وأبو داود وغيرهما]

فإذا غُسِّلَ الميِّتُ وكُفِّنَ فإنّه يُصلَّى عليه جماعةً؛ لفعلِه عليه الصلاة والسلام وفِعْلِ أصحابِهِ، وكلَّمَا زادَ العددُ كان أفضلَ. ومقصودُ الصلاةِ عليه الدعاءُ له؛ لما روى مسلمٌ في صحيحِهِ عن عائشةَ -رضي الله تعالى عنها- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلاَّ شُفِّعُوا فِيهِ ». وله من حديثِ ابن عبَّاسٍ -رضي الله تعالى عنهما- قال: سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: « مَا مِنْ

رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً لاَ يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئاً إِلاَّ شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ)).

والصلاةُ على مَوْتَى المسلمين -عباد الله- من أفضلِ الطاعات، وأعظمِ القُرُبَاتِ، وقد رتَّبَ اللهُ تعالى عليها الجزاءَ العظيمَ، ومن فاتَتْهُ الصلاةُ على الميِّتِ قبل دفنهِ صلَّى على قبرِه صلاةَ الجنازةِ؛ لما في الصحيحين من حديثِ أبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-: أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ -أَوْ شَابًّا- فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَسَأَلَ عَنْهَا -أَوْ عَنْهُ- فَقَالُوا: مَاتَ. قَالَ: ((أَفَلاَ كُنتُمْ آذَنْتُمُونِي ؟!)). قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا -أَوْ أَمْرَهُ- فَقَالَ: ((دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ)). فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: ((إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلاَتِي عَلَيْهِمْ)).

عباد الله:

ثمَّ بعدَ الصلاة يُبادَرُ بحملِه إلى قبرِه، ولا يجوزُ نقلُه إلى بلدٍ آخر، بل يُدفَنُ حيثُ ماتَ إلاَّ أن يوصى بذلك.

والسُّنةُ تشييعُ جنازةِ الميِّتِ حتَّى توضعَ في قبرِها بسكينةٍ وأدبٍ وعدمِ رفعِ صوتٍ ، لا بقراءةٍ ولا بذكرٍ ولا بغير ذلك، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ : ((مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ)). قِيلَ وَمَا الْقِيرَاطَانِ؟ قَالَ: ((مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ)). [متفقٌ عليه]

ويُسَنُّ توسيعُ القبرِ وتعميقُه ولَحْدُه، ويوضَعُ الميِّتُ فيه موجَّهاً إلى القبلَةِ على جنبهِ الأيمنِ، ويُسَدُّ عليه اللَّحْدُ سَدّاً محكَماً، ثم يُهالُ عليه التراب، ويُرفع القبرُ عن الأرض قدرَ شِبْرٍ، ويكونُ مُسَنَّماً ؛ أي مُحدَّباً فلا يُمْتَهَنُ، ولا بأسَ أن يُجعلَ عليه علامةٌ ليعرِفَهُ قريبُه الذي يريدُ زيارتَه؛ للسلامِ عليه والدُّعَاءِ له.

ويحرُمُ البناءُ على القبورِ، واتِّخاذُها مساجدَ وأَضْرِحَةً ومزاراتٍ يُصلى عندها، ويُتقَرَّبُ إلى اللهِ عندَها؛ فقد قالَ ﷺ : « اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». [رواه أحمَدُ في مسنَدِه، ومالكٌ في الموطأ، وهو صحيحٌ]

ولا تجوزُ الكتابةُ على القبر، لا كتابةُ اسمِ الميِّتِ ولا غيرِها، ولا يجوزُ تَجْصِيْصُه، ولا إضاءتُه؛ لحديثِ جَابرٍ -رضي الله عنه- قال: « نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ الْقَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ ». [رواه مسلمٌ، وأحمدُ، والنسائيُّ، وأبو داود]، وفي لفظٍ: « نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُجَصَّصَ الْقُبُورُ، وَأَنْ يُكْتَبَ عَلَيْهَا، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهَا، وَأَنْ تُوطَأَ ». [رواه الترمذيُّ، وهو صحيحٌ]

وقد بعثَ عليّاً -رضي الله عنه- إلى اليَمَنِ وأمرَه أن لاَ يَدَعَ تِمْثَالاً إلاَّ طَمَسَهُ، ولا قبراً مُشْرِفَاً إلاَّ سوَّاه. [رواه مسلم]

ونهى ﷺ عن اتِّخَاذِ القبورِ مساجدَ، وإيقادِ السُّرَجِ عليها، واشتدَّ نهيُه في ذلك حتى لعنَ فاعلَه. ونهى عن الصلاةِ عندَها أو اتِّخاذِها أعياداً، ولعنَ زوَّاراتِ القبورِ من النساءِ، وكان هديُه ﷺ أن لا تُهانَ القبورُ، ولا توطأَ،

وأن لا يُجلسَ عليها، ويُتكأَ عليها، ولا تُعَظَّمَ بحيثُ تُتَّخَذُ مساجدَ، فيُصَلَّى عندَها وإليها أو تُتّخذَ أعياداً أو أوثاناً.

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عائشةَ -رضي الله عنها- قالت: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: « لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ؛ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا ».

وكان من هديه ﷺ إذا زارَ قبورَ أصحابِهِ أن يزورَها للدُّعَاءِ لهم، والترَّحُمِ عليهم، والاستغفارِ لهم، وهذه هي الزيارةُ التي سنَّها لأُمَّتِه، وشرعَ لهم أن يقولوا إذا زاروها: « السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ لَلاَحِقُونَ أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ ». [رواه مسلم]

وأمَّا ما أحدثَه المبتدعةُ في العصورِ المتأخِّرَةِ من دُعَاءِ الأمواتِ والاستغاثَةِ والاستعَانَةِ بهم أو عندَهم فهو الشركُ باللهِ والإساءةُ إلى نفوسِهم وإلى الأمواتِ، فإنَّ المخلوقَ عاجزٌ ضعيفٌ، لا يملِكُ لنفسِه نفعاً ولا ضرًّا حالَ حياتِه فكيفَ به بعدَ موتِه.

أيُّها المسلمون:

ومن البِدَعِ المُحدَثَةِ هذه الأيامِ القراءةُ عندَ الجنائزِ أو عندَ القبورِ؛ قراءةُ الفاتحةِ أو شيءٍ من القرآنِ بزَعْمِ أنَّ ذلكَ ينفعُ الميِّتَ، وهو بِدْعَةٌ حادثةٌ لم تَكُنْ من سُنَّتِه ﷺ ، ولا فَعَلَتْهُ القرونُ المُفَضَّلَةُ.

ومن البِدَعِ المُحدَثةِ -كذلك- التي عمَّتْ بها البلوى في العصورِ المتأخِّرَةِ إعلانُ الإحدادِ على الأموات، ولُبْسُ السوادِ، وتنكيسُ الأعلامِ، وتعطيلُ الأعمالِ الرَّسْمِيَّةِ من أجلِ ذلك، فكلُّ ذلكَ من الجهلِ والهوى والتقليدِ للكفَرَةِ وأشيَاعِهم، والله المستعانُ.

نسألُ اللهَ بِمَنِّهِ وكَرَمِه أن يُجَنِّبَنَا البِدَعَ والفِتَنَ، وأن يرزقنا الاتِّباعَ وحسنَ العملِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ تعالى فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

*** * ***

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ للهِ على إحسانهِ، والشكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَهُ تعظيماً لشأنهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه الداعي إلى رضوانهِ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ، وأصحابهِ، وإخوانِه، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعلموا رحمكم اللهُ أنَّ من الأمورِ التي شرعَها رسولُ اللهِ ﷺ المبادرةُ إلى قضاءِ ديونِ المسلمِ الميِّتِ؛ لأنَّه مُرْتَهَنٌ بِدَيْنِهِ

حتَّى يُقضَى عنه، وتنفيذُ وصاياهُ الشرعيَّةُ، والدُّعَاءُ له، والتصدُّقُ عنه، والحَجُّ والعمرةُ عنه؛ فقد قالَ ﷺ: « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلاثَةٍ؛ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». [رواه مسلم]

ومِمَّا يجبُ أن يُعلمَ -عبادَ اللهِ- أنَّه يُكرهُ للنساءِ اتبّاعُ الجنائزِ وزيارةُ القبورِ، لحديثِ أُمِّ عَطِيَّةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: « نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا ». [متفقٌ عليه]

ويحرُمُ عليهنَّ زيارةُ القبورِ؛ فعن ابنِ عبَّاسٍ -رضي اللهُ تعالى عنهما- «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَعَنَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ ». [رواه أحمدُ، والترمذيُّ وصحَّحَه]

وقد شرعَ اللهُ سبحانه لأهلِ الميِّتِ الصبرَ عندَ مُصَابِهم، ووعدَهم على ذلك بجزيلِ الأجرِ والثوابِ، ونهى عن التَّسَخُّطِ والجَزَعِ، وتوعَّدَ على ذلك بأليمِ العِقَابِ، بل لقد جعلَ النياحةَ على الميِّتِ من الكُفْرِ الذي يجبُ الحَذَرُ منه؛ فعن أبي هريرةَ -رضي اللهُ عنه- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: « اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ؛ الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ ». [رواه مسلم]

واعتبرَ ﷺ -كما عندَ البخاريِّ ومسلمٍ- لَطْمَ الخُدودِ، وشَقَّ الجيُوبِ من دعوى الجاهليَّةِ. أمَّا البُكَاءُ الذي لا صوتَ معَهُ، وحُزْنُ القلبِ بلا تسَخُّطٍ فلا بأسَ بهما، وقد قالَ ﷺ عندَ وفاةِ ابنهِ إبراهيمَ: « إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ ». [رواه البخاريُّ]

ولا يُنافي الصبرَ أن تَمْتَنِعَ المرأةُ من الزينةِ كلِّها إحداداً على وَفَاةِ ولدِها أو قريبِها إذا لم تزدْ على ثلاثةِ أيَّامٍ إلاَّ على زوجِها فتُحِدُّ عليه أربعةَ أشْهُرٍ وعشرةِ أيَّامٍ؛ لحديث زينبَ بنتِ أبي سلمةَ، قالت: (دخلتُ على أُمِّ حَبِيْبَةَ زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ ، فقالَتْ: سمعتُ رسولَ اللهِ يقولُ: « لاَ يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ إلاَّ عَلَى زَوْجٍ فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً». [رواه البخاريُّ وغيرُه]

والإحْدَادُ الشرعيُّ للمرأةِ هو: أن تتركَ كلَّ ما يدعو إلى نكاحِها، ويُرَغِّبُ في النظرِ إليها من زينةٍ وطيبٍ وتجمُّلٍ وحُليٍّ ونحوها.

والأفضلُ ألاَّ تُحدَّ المرأةُ على غير زوجِها إرضاءً له؛ لما وقعَ من أُمِّ سُلَيْمٍ -رضي الله عنها- لَمَّا توفي ولدُها ، فقالت: (لا يُخبرْ أحدٌ أبا طَلْحَةَ بوَفَاةِ ابنِهِ، حتَّى أكونَ أنا الذي أنعاهُ له، فهيأَتِ الصَّبيَّ وكفَّنَتْهُ ووضعَتْهُ في جَانِبِ البيتِ، فلمَّا جاءَ أبو طَلْحَةَ دخلَ عليها، فقال: كيف ابني ؟ قالت: يا أبا طَلْحَةَ ما كانَ منذُ اشتكى أسكنَ منه السَّاعَةَ، فأَتَتْهُ بعَشَائِه، ثمَّ تجَمَّلَتْ له وتطَيَّبَتْ، فلمَّا أصابَ منها ما يُصيبُ الرجلُ من امرأتِه، قالت: يا أبا طَلْحَةَ احتسبِ اللهَ في ولدِكَ، فغضبَ عليها، ثمَّ اسْتَرْجَعَ فَحَمِدَ اللهَ، فلمَّا أصبحَ غدا إلى رسولِ اللهِ فأخبرَه، فقالَ: « بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي غَابِرِ لَيْلَتِكُمَا، فَحَمَلَتْ مِنْهُ، ثُمَّ أَنْجَبَتْ وَلَداً لَمْ يَكُنْ فِي الأَنْصَارِ أَفْضَلَ مِنه».

[رواه البيهقيُّ وابنُ حبَّانَ وأحمدُ، وهو عندَ البخاريِّ ومسلمٍ مختصراً]

عباد الله:

وتُستحبُّ تعزيةُ أهلِ الميِّتِ، وحثُّهم على الصبرِ على مُصَابِهم، والاحتسابِ عندَ اللهِ تعالى، ولا ينبغي الجلوسُ للعزاءِ والإعلانُ عن مكانٍ

له. وكان من هديه ﷺ أنَّ أهلَ الميِّتِ لا يُكلَّفونَ صَنْعةُ الطعامِ للنـاسِ، بـل أمرَ أن يَصنعَ الناسُ لهـم طعاماً يرسلونَهُ إليهـم، وهـذا مـن أعظـمِ مَكَـارِمِ الأخلاقِ والشِّيَمِ؛ لإنَّ أهلَ الميِّتِ في شُغْلٍ بِمُصَابِهم عن إطعامِ الناسِ.

وكان من هديِهِ ﷺ تركُ نَعْي الميِّت، وهو الإخبارُ بموته على المـلأ، بـل كان ينهى عنه، ويقول: هو عملُ الجاهليَّةِ، فلا يجوزُ إعلانُ نعـي الميِّـت أو تهيئةُ مكانٍ للعزاءِ واجتمـاعُ النـاس واسـتئجارُ المقرئـين لذلـك مـن البـدَعِ المُحْدَثَةِ، فعن جريرِ بنِ عبدِ اللهِ البَجَلِيِّ -رضي الله عنه- قال: «كُنَّـا نَعُـدُّ الاجْتِمَاعَ إِلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ وَصَنِيعَةَ الطَّعَامِ بَعْدَ دَفْنِهِ مِنَ النِّيَاحَةِ». [رواه أحمدُ ورجالُ إسناده ثقات]

فلا ينبغي جلوسُ المُصَابِ في مكانٍ لأجلِ العَزَاءِ بل يخرجُ لعملِه كعَادَتِه قبلَ المصيبةِ، ومن لَقِيَهُ في طريقِه عَزَّاهُ التعزِيَةَ المشروعةَ، أو في أيِّ مكان.

فاتَّقوا اللهَ أيُّها المسلمون، واحذروا من البدعِ، فإنَّ الخيرَ كلَّه فيما أمـرَ اللهُ ورسولُه بـه، وشـرَّ الأمـورِ محدثاتُهـا، وكـلَّ محدثـةٍ بدعـةٍ، ثـمَّ صلُّـوا وسلِّموا رحمكم الله على المبعوثِ رحمةً للعـالمين محمـدِ بـنِ عبـدِ الله عليـه الصلاةُ والسلامُ........

❧ ❧ ❧

في ذكرى غزوة بدر الكبرى

● الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ وحدَه، نصرَ عبدَه، وأعزَّ جندَه ، وهزمَ الأحزابَ وحدَه، له الحمدُ كلُّه، وإليه يُرجعُ الأمرُ كلُّ علانيَتُه وسرُّه، أحمدُه تعالى وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، أرسلَ رُسَلَهُ بالبيِّنَاتِ والهُدَى، وأيَّدَهم بالمعجزاتِ والقُوَى، ليقُومَ الناسُ بالدين الخالصِ لربِّ الأرضِ والسمواتِ العُلَى، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا محمداً عبدُ الله ورسولُه المُجتبى، علَّمَهُ شديدُ القُوَى، صلَّى الله عليه وعلى آله أولى الأحلامِ والنُّهى وصحبِه الذين اهتدوا والتابعين ومن تَبِعَهم على سبيل الهُدَى وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا اللهَ أيُّهـا المسلمون وراقبوه ولا تعصوه، فبتقوى اللهِ سبحانه تحصلُ السعادةُ، وتَطْمَئِنُ القلوبُ، وتنشرحُ الصدورُ، ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً** ﴾ [الطلاق:٤].

أيُّها المسلمون:

في تجديدِ الذكرياتِ تجدُ النفوسُ سلوتَها، وتستذكرُ الأجيالُ تأريخَها، وتأنسُ القلوبُ وهي تُعيدُ النظرَ كرةً بعد أخرى في سِيَرِ أمجادِها وسِجلاَّت أبطالِها. وتعظُم هذه الذكرياتُ وتزهو حين تكونُ ذكرياتِ نصرٍ وخيرٍ وفداءٍ وبطولةٍ، يُتوِّجُها شرفُ الزمانِ والرِّجال:

فالزمانُ: شهرُ رمضانَ الذي أُنزلَ فيه القرآنُ هدىً للناس وبيِّناتٍ من الهُدَى والفُرْقان.

والرجالُ: محمدٌ ﷺ وصحبُه الكرامُ من المهاجرين والأنصار -رضي الله عنهم وأرضاهم- خيرُ القرون، وأزكى الأمُم، وأبرُّ الأجيال.

عباد الله:

والأمُـمُ جميعاً اعتادت على قِراءَةِ سيرةِ روَّادِها، وقَدَاسَةِ قوَّادِها وأبطالِها، والنظرِ في سِيَرِهم وحياتِهم، والوقوفِ معها وقوفاً لا يكمنُ في رواياتٍ تُتلى، أو قَصَصٍ تُروى، وإنَّما هو وقوفٌ على عِبَرٍ ومواقفٍ تُبصِّرُ المسلمَ بتأريخِه، يأخذُ منها العِظَةَ والعبرة في حياته وتأريخه، ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [يوسف:١١١].

وكم هو جديرٌ بالأُمَّةِ وهي تعيشُ هذه الأيامَ المباركةَ -شهرَ رمضانَ المباركَ- كما تعيشُ حالاتٍ وأوضاعاً شتَّى يظهرُ فيها المدُّ والجزرُ، والتفرُّقُ والاختلافُ، وتبرزُ فيها التحدِّياتُ العُظْمَى في صورٍ شَتَّى من أعدائِها ؛ كم هو جديرٌ بها أن تَسْتَلْهِمَ من تأريخِها الدروسَ والعِبَرَ فيما عاشَه المصطفى ﷺ من رمضَاناتٍ كانت تُبعثُ فيها السرايا، وتُجهَّزُ الجيوشُ، وتُخاضُ المعاركُ، فرمضانُ أيُّها الإخوةُ ليسَ موسماً للكسلِ والخُمُولِ والراحةِ والاستجْمَامِ، بل هو مدرسةُ الجهادِ الكُبْرى، وفُرْصَةُ الانتصاراتِ العظمى، وما معركةُ بدرٍ الكبرى وفتحُ مكَّةَ وعينُ جالوتٍ ومعركةُ حطِّينَ وغيرُها كثيرٌ إلاَّ نماذجُ على ذلك.

نعم ! أيُّها المسلمون:

إنَّ رمضانَ هو موسمُ النصرِ والعزةِ لحزب الله؛ الذين صَدَقوا ما عاهدوا اللهَ عليه، وهو شهرُ الجهاد الذي يبدأُ بجهادِ النفسِ، وينتهي بجهادِ العدوِّ، بعدَ سلسلةٍ من الصبر والمصابَرَةِ، تتمثَّلُ في الجهادِ بالمالِ، والتضْحِيَةِ بالبَدَنِ والوقتِ، في أداءِ فريضةٍ أو قيامٍ بنافلةٍ أو دعوةٍ إلى سبيل اللهِ، في الأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ بالحكمة والموعظَةِ الحَسَنَةِ.

ورمضانُ -أيُّها الإخوةُ- هو المدرسةُ العظمى التي تربَّى فيها الفاتحونَ الأولونَ؛ الذين خرجوا ليفتحوا الدُّنيا بكلمةِ التوحيدِ الخالص: لا إله إلاَّ اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ، ويملأوا المعمورةَ عدلاً كما مُلئت جَوْرًا؛ بإخراج العبادِ من عبادة العبادِ إلى عبادةِ ربِّ العباد سبحانه.

وحسبُنا -أيُّها الإخـوة- أن نقِـفَ وقْفَـاتٍ سـريعةٍ مـع بعـضِ أحـداثِ معركةِ بدرٍ الكبرى التي وقعت في يومِ الجُمُعَـةِ السـابعِ عشـرَ مـن رمضـان المبارك من العام الثاني للهجرة النبويَّةِ على صاحبها أفضلُ الصلاةِ والسلام.

وحديثُ الغزوة حديثٌ طويلٌ لا تملُّـه النفـوسُ المؤمنـة، ولكنَّنـا نجتزئُ بعضَ أحداثِها المهمَّةِ.

عباد الله:

لقد كانت معركةُ بدرٍ الكبرى فُرْقاناً بين الحـقِّ والباطلِ؛ أولَ معركـةٍ حاسِـمَةٍ بـين المسـلمين والمشـركين، نصـرَ الله فيهـا عبـادَه المؤمنـين نصـراً مؤزَّراً، وسجَّلَ عليهم المِنَّةَ العُظْمَى إلى يومِ الدِّين: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [آل عمران:١٢٣].

لم تعرفِ الدُّنيا أفقرَ ولا أضعفَ ولا أذلَّ من العربِ، حتَّى بُعـثَ فيهـم المصطفى ﷺ، وجاءَهم الله بالإسلامِ فمكَّنَ لهم في البلادِ، وأوسعَ لهـم في الأرزاق.

سمعَ النبيُّ ﷺ أنَّ أبا سفيانَ مُقبلٌ مـن الشـامِ في ألـفِ بعـيرٍ للمشـركين فيها أموالٌ عظيمةٌ، لم يَبْقَ في مكةَ مشركٌ ولا مشركةٌ إلاَّ بعـثَ بمالـه كلِّـه في هذه العِيْرِ، فَنَدَبَ المصطفى ﷺ أصحابَه للخروجِ معه قائلاً: «هذه عِيْرُ قُرَيْشٍ فِيْهَا أَمْوَالُهُمْ فَاخرُجُوا لعَلَّ اللهَ أَنْ يَغْنَمْكُموهَا».

فخرجَ معه ثلاثُمِئةٍ وبضعةَ عشرَ رجلاً، من كبـارِ الصحابـة؛ مهـاجرين وأنصار. وإنَّما تخلَّفَ البقيَّةُ الباقيةُ لأنَّهم لم يعلموا بالقتالِ.

وبلغَ أبا سفيانَ الخبرُ فأرسلَ إلى مكَّةَ يستنجدُ قومَه، فَهَبَّتْ إليه قُرَيشٌ برجالِها وعَتَادِها، بَطَراً ورِئَاءَ النَاسِ، ويصدُّونَ عن سبيلِ اللهِ، وأقبلوا بجدِّهم وحديدِهم يُحادُّونَ اللهَ ورسولَه، وجاؤوا على حَرْدٍ قادرين، وعلى حميَّةٍ وغَضَبٍ وحَنَقٍ على رسولِ اللهِ وأصحابِهِ. وكانوا قُرابةَ الألفِ مُلْحِدْ، جاؤوا من غيرِ ميعادٍ؛ ليقضي اللهُ أمراً كان مفعولاً، ﴿**إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنفال:٤٢].

ولَمَّا بلغَ النبيَّ ﷺ خروجُ المشركين لقتالِهِ استشارَ أصحابَه، فتكلَّمَ المهاجرون فأحسنوا، ثمَّ استشارَهم ثانياً فتكلَّمَ المهاجرونَ فأحسنوا، ثمَّ استشارَهم ثالثاً، فعرفَ الأنصارُ أنَّه يعنيَهم، فقامَ سعدُ بنُ معاذٍ -رضي اللهُ عنه- فقال: واللهِ لكأنَّك تريدُنا يا رسولَ اللهِ ! قال: أجل! . قال: يا رسولَ اللهِ لقد آمنَّا بكَ وصدَّقناكَ، وشَهِدْنَا أنَّ ما جئتَ به هو الحقُّ، وأعطيناكَ على ذلك عهودَنا ومواثيقَنا على السَّمْعِ والطَّاعَةِ، فَامْضِ يا رسولَ اللهِ لما أردتَ، فنحنُ معكَ، فوالذي بعثَكَ بالحقِّ رسولاً لو اسْتَعْرَضْتَ بنا هذا البحرَ فخضتَه لخضناهُ مَعَكَ ما تخلَّفَ منَّا رجلٌ واحدٌ، وما نكرهُ أن تلقى بنا عدوَّنا، إنَّا لصُبُرٌ في الحربِ، صُدُقٌ عندَ اللقاءِ، ولعلَّ اللهَ يُريكَ منَّا ما تقرُّ به عينُك، فسِرْ بنا على بركةِ اللهِ.

فتهلَّلَ وجهُه ﷺ لذلك، وقال: سيروا وأبشروا فإنَّ اللهَ تعالى قد وعدَني إحدى الطائفتين، واللهِ لكأنِّي أنظرُ إلى مصارعِ القومِ. ﴿وَإِذْ

يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال:٧].

وسارَ المصطفى ﷺ وأصحابُه حتَّى نزلوا ماءَ بدرٍ بمشورة الحُبابِ ابن المُنذرِ -رضي الله عنه- فصنَعُوا الحِيَاضَ، وغوَّروا ما عدَاها من المياه؛ مَنْعًا للمشركين منها.

وجعل رسولُ الله ﷺ يمشي في مَوْضِعِ المعركةِ، ويُشيرُ بيده إلى مصارعِ القوم، وهو يقول: هذا مصرعُ فلان، وهذا مصرعُ فلان، وهذا مصرعُ فلانٍ إن شاءَ الله. قال أنسٌ -رضي الله عنه-: (فما تعدَّى أحدٌ مِمَّن سَمَّى مَوْضِعَ إشارتِه).

فلمَّا طلعَ المشركون، وتراءَى الجَمْعَانِ قال رسولُ الله ﷺ -وقد رفعَ يديهِ إلى السماءِ-: « اللَّهُمَّ هذه قريشٌ جاءَت بخَيلائِها وفخرِها تُحَادُّكَ وتُكَذِّبُ رسولَك، اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لي ما وعدتني، اللَّهُمَّ إنِّي أنشدُكَ عهدَكَ ووعدَك، اللَّهُمَّ إن تَهلِك هذه العُصابَةُ لا تُعبدْ في الأرضِ ». وأخذَ يُلحُّ على اللهِ في الدُّعاءِ حتَّى سَقَطَ رداؤُهُ عن ظهرِهِ فالتَزَمَه أبو بكرٍ -رضي الله عنه- من ورائِه وقال: يا رسولَ الله أَبْشِرْ فوالذي نفسي بيده لَيُنجزنَّ اللهُ لكَ ما وعدَكَ. [رواه البخاري ومسلم]

واستفتحَ أبو جهلٍ في ذلك اليوم يدعو اللاَّتَ والعُزَّى ومناةَ الثالثةَ الأخرى، وهو يقول: اللَّهُمَّ أقطعَنَا للرَّحِمِ، وأتانا بما لا نعرفُه، فاحْنِهِ الغداةَ، اللَّهُمَّ أيُّنا كانَ أحبَّ إليكَ وأرضى عندك، فَانْصُرْهُ اليومَ.

فأنزل ا للهُ تعالى: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ا للهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال:١٩].

واستنصرَ المسلمونَ ا للهَ الذي يُجيبُ دعوةَ المُضطَّرِ إذا دعاه ويكشفُ السوءَ، واستغاثوه وأخلَصُوا له وتضرَّعُوا إليهِ، فأوحى ا للهُ إلى ملائكتهِ ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال:١٢].

وأوحى ا للهُ إلى رسولهِ ﷺ : ﴿ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال:٩].

وبدأتِ المعركةُ بالمبارَزَةِ، ثمَّ حَمِيَ القتالُ، واشتدَّتْ رَحَى الحربِ، وقامَ النبيُّ ﷺ في الناسِ، فوعَظَهم وذكَّرَهم بما لهم في الصبرِ والثَبَاتِ من النصرِ والظَفَرِ العاجلِ، وثوابِ ا للهِ في الآجلِ، وأخبَرَهم أنَّ ا للهَ سبحانه قد أوجبَ لمن اُستُشهِدَ في سبيلِهِ الجنَّةَ، فقام عُميرُ بن الحُمَامِ -رضي ا للهُ عنه- فقال: يا رسولَ ا للهِ ! جنَّةٌ عرضُها السمواتُ والأرضُ ؟! قال: نعم! قال: بَخٍ بَخٍ يا رسولَ ا للهِ !! قال: ما يحمِلُكَ على قولك بَخٍ بَخٍ ؟ قال: لا وا للهِ يا رسولَ ا للهِ إلاَّ رجاءَ أن أكونَ من أهلِها. قال: فإنَّكَ من أهلِها. فأخرجَ تمراتٍ كُنَّ في قَرْنِه، فجعلَ يأكلُ منهنَّ، ثمَّ قال: لَئِنْ حَيِيْتُ حتى آكلَ تمراتي هذه إنَّها لحياةٌ طويلةٌ، فَرَمى بما كان معه من التمرِ، ثمَّ قاتَلَ حتَّى قُتِلَ، فكانَ أوَّلَ قَتِيْلٍ في المعركةِ. [كما روى ذلك الإمامُ مسلمٌ في صحيحه]

﴿ وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال:٢٦].

باركَ الله لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونفعَنَا بما فيه من الآياتِ والذِّكْرِ الحَكِيْمِ، أقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين من كلِّ ذنبٍ وخطيئةٍ فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه كان غفوراً رحيماً.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ الواحدِ الأحدِ، الفردِ الصمدِ، الذي لم يلدْ ولم يولدْ، ولم يكن له كفواً أحدْ، والصلاةُ والسلامُ على أفضلِ المصطَفَيْنِ محمَّدٍ وعلى آله وصحبهِ ومن تعبَّدَ.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا اللهَ عباد الله، وانصرُوا اللهَ تعالى ينصرْكُم ويُثبِّت أقدامَكم.

أيُّها المسلمون:

ولَّما اشتبكَ القتالُ في بدرٍ أخذَ النبيُّ ﷺ مِلءَ كفِّهِ من الحَصْبَاءِ فرمى بها وجوهَ العدوِّ، فلم تترك رجلاً منهم إلاَّ ملأَتْ عينيهِ، وشُغِلُوا بالتراب في

أعيُنِهم، وشُغِلَ المسلمونَ بقتلِهم، فأنزلَ ا للهُ في شأنِ هذه الرَّمْيَةِ على رسولِهِ قولَه تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ ا للهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ ا للهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَناً إِنَّ ا للهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:١٧].

وجاءَ النصرُ من عندِ ا للهِ، وأنزلَ جنوداً لم يرَها المسلمون، وأيدَّ رسولَه والمؤمنين، ومنَحَهم أكتافَ المشركين أسراً وقتلاً، فقتلوا منهم سبعينَ، وأسروا سبعينَ من صَنَادِيْدِهم الذين كانوا يَسُومُونَ المستضعفينَ من المؤمنين سوءَ العذابِ. وتلك الأيامُ يداولُها ا للهُ بين الناس.

ولَّما انقضت الحربُ أقبلَ رسولُ ا للهِ ﷺ حتَّى وقفَ على القتلى، فقال: «بئسَ عشيرةُ النبيِّ كُنْتُم لنبيِّكُمْ، كذَّبْتُموني وصدَّقَني الناسُ، وخَذَلْتُموني ونَصَرَني الناسُ، وأخرجْتُموني وآواني الناسُ». ثمَّ أمرَ بهم فسُحِبُوا إلى قليبٍ في بدر فطُرِحُوا فيه.

عباد ا للهِ:

لقد كانت معركةُ بدرٍ الكبرى فُرقاناً بين عهدِ المُصَابَرةِ والصبرِ والتجمُّعِ والانتظارِ، وعهدِ القوَّةِ والحَرَكةِ والمُبادَأَةِ والاندفاعِ.

فعن عبدِ الرحمن بن عوفٍ -رضي ا للهُ عنه- قال: (بينا أنا واقفٌ في الصَّفِّ يومَ بدرٍ نظرتُ عن يميني وشمالي فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثةٍ اسنانُهما، فغمزَني أحدُهما وقال: يا عمِّ! هل تعرفُ أبا جَهْلٍ؟ قلتُ: نعم! وما حاجتُكَ إليه يابنَ أخي؟ قال: أُخبرتُ أنَّه يَسُبُّ رسولَ ا للهِ ﷺ،

والذي نفسي بيدِهِ لئن رأيتُه لا يُفارقُ سوادِي سوادَه حتَّى يموتَ الأعجلُ منَّا. قال: فَلَم أَلْبَثْ أن نظرتُ إلى أبي جَهْلٍ يجولُ في الناس، فقلتُ لهما: إنَّ هذا صاحبُكما الذي سألتُماني عنه، فابتدراه بسيفيهما، فضَرَباهُ، فوقعَ صريعاً، ثمَّ انصرَفا إلى رسولِ اللهِ ﷺ فأخبَراهُ، وكانا معاذَ بنَ عفراءٍ، ومعاذَ بنَ الجموحِ -رضي الله عنهما-. [والقصةُ في الصحيح]

ثمَّ مرَّ بهِ عبدُالله بنُ مسعودٍ -رضي الله عنه- فوجدَه صريعاً فاجتزَّ رأسَه.

الله أكبرُ يا عباد الله: صِنْدِيْدٌ من صَنَادِيْدِ المشركين كان مع بَدْءِ المعركة يجولُ في المشركين يُحرِّضَهم على القتال قائلاً: لا نرجِعُ حتى نقرِنَهم بالحبالِ، ولا ألفينَّ رجلاً قتلَ رجلاً منهم، ولكن خُذُوهم حتَّى تُعرِّفوهم سوءَ صَنِيْعِهم؛ من مفارقَتِهم إيَّاكم ورغبَتِهم عن اللاَّتِ والعُزَّى، يأبى اللهُ سبحانه إلاَّ أن يكونَ حتفُه على يَدِ غُلاَمين من الأنصارِ، ويقتطعُ عُنُقَه رويعيُّ الغَنَمِ عبدُ الله بن مسعود.

لقد كانت معركةُ بدرٍ بحقٍّ فُرقاناً بين الحقِّ والباطلِ على مستوى الكون كلِّه، فقد كان المُوَجِّهُ لها هو اللهُ من فوق عرشه سبحانه وتعالى، وقائدُها جبريلُ ومحمدٌ -عليهما السلام- تحت راية التوحيد.

أمَّا المشركون فقائدُهم إبليسُ -عليه لعنةُ الله- ، والمُوَجِّهُ للمعركة أبو جَهْلٍ -فرعونُ هذه الأمَّةِ- تحتَ رايةِ الأَوْثَان، حيثُ حشدَ الباطلُ جنودَه كلَّهم وعلى رأسهم إبليس الذي زيَّن لهم أعمالَهم، ﴿ **وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ الْفِئَتَانِ**

﴿نَكَصَ عَلَىَ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّيَ أَرَىَ مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّيَ أَخَافُ ا للهَ وَا للهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٤٨].

وذلك أنَّه دخلَ معهم في صورة سُراقَةِ بنِ مالكٍ، فلمَّا رأى ما تفعلُ الملائكةُ بالمشركين أشفَقَ أن يَخْلُصَ القتلُ إليه، فخرجَ هارِباً، وقال: إنِّي بريءٌ منكم، إنِّي أرى ما لا ترونَ، وألقى بنفسِه في البَحْرِ.

عباد ا للهِ:

وكانت معركةُ بدرٍ فُرقاناً بينَ تصُّورَيْنِ لعواملِ النصرِ والهزيمَةِ، فقد بَدأَتِ المعركةُ وكلُّ عواملِ النصرِ الظاهرةِ في صَفِّ المشركينَ، وكلُّ عواملِ الهزيمَةِ الظاهرةِ في صَفِّ العُصْبَةِ المؤمنةِ حتَّى قال المنافقونَ والذين في قلوبهم مَرَضٌ: ﴿غَرَّ هَـٰؤُلآءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال:٤٩].

وهذه حكمةٌ عظيمةٌ من ا للهِ تعالى ليُبيِّنَ للناس جَمْعَاءَ أنَّ النصرَ للعقيدةِ الصالحةِ التي تُحرِّكُ النفوسَ لا لمجرَّدِ السلاح والعتادِ، وصدَقَ أبو جَهْلٍ وهو كذُوبٌ: لَئِنْ كُنَّا إنَّما نقاتلُ ا للهَ كما يَزْعُمُ محمدٌ فما لأحدٍ با للهِ من طاقَةٍ.

وإنَّ مآسي المسلمين المتكرِّرَةَ وهزائمهم المتلاحِقَةَ في هذه العصورِ المتأخِّرَةِ لا ترجعُ إلى قلَّةِ العَتَادِ والقُوَّةِ، وإنَّما هي بسببِ تخاذُلِهِم وبعدِهم عن دينِ ا للهِ، وتناحُرِهم وانغماسِهم في اللَّذائِذِ والمُشْتَهَيَاتِ:

وإذا أُصيبَ القومُ في أخلاقهم   فأقِمْ عليهم مأتماً وعويلاً

نعم ! عباد الله:

ما جرَّأَ الأعداءَ علـى الأمَّـةِ، وأزرى بهـا، وأفقدَهـا ريادتَهـا إلاَّ تَخَلّـي أبنائِها عن تأريخِهم، وتفريطُهـم في إسلامِهم، وابتعادُهـم عن تعـاليمِ دينهـم، وتقليدُهم للغربِ والكفرةِ، وإلى اللهِ نشكو جَلَدَ الفاجرِ وعَجْزَ الثِّقَةِ.

ولا يُلاَمُ الذِّئْبُ في عُدْوَانِهِ　　　إن غَدَا الرَّاعِي عَدُوَّ الغَنَمِ

وبعدُ أيُّها المسلمون:

فهذه بعضُ نمـاذجِ الرَّعِيْـلِ الأوَّلِ وتضحياتِـه نقرؤُهـا اليـومَ -والتـأريخُ مليءٌ بالبطولاتِ، والعِبَرِ التي سجَّلَها المسلمون يومَ كـانوا مسـلمين بحقٍّ- وكأنَّها في أنظارِنا ضَرْبَـاً مـن الخَيَـالِ أو الخَـوارِقِ أو المعجـزات المستحيلة الوقوعِ، عندما انقلبت انتصاراتُ المسلمين إلى هزائـمَ متلاحقـةٍ، وصـارت كالجسد الميِّت لا تؤلِمُه السِّيَاطُ ولا تُحرِّكُه الضَرَبَاتُ الـتي تجـري لـه، ومـا لجُرحٍ بميِّتٍ إيلامُ.

فواهاً لأمجادِ المسلمين التي سطَّرَها السَّلَفُ وضيَّعَها الخَلَفُ الذين شُـغِلُوا بالشَّهَواتِ والمُلهيَاتِ عن العملِ لنُصْرَةِ دينِهم ورِفْعَتِه.

﴿**وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف: ٢١].

اللَّهُـمَّ أعزَّ الإسلامَ والمسـلمين، وأذِلَّ الشـركَ والمشـركين، وانْصُـرْ مَـن نصرَ الدينَ .....

ختام شهر رمضان وأحكام عيد الفطر وأوضاعُ الأمة في أعيادها

● الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ أكرَمنا ببلوغِ شهرِ رمضانَ، ومنَّ علينا فيه بالتوفيق للصيام والقيامِ، أحمدُه تعالى وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهدُ أن لا إلـه إلاَّ اللهُ وحدَه لاشريكَ له، وفَّقَ من شاءَ من عبادِهِ لطاعته فكان سعيُهم مشكوراً وحظُّهم موفوراً، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أفضلُ من صلى وصامَ، وأشرفُ من تهجَّدَ وقامَ، صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدينِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس :

اتَّقوا اللهَ تبارك وتعالى وأشكروه على توفيقه إيَّاكُمْ وعظيمِ امتنانِه عليكم، وتزوَّدُوا من الأعمال الصالحةِ ما تكونُ به نجاتُكم يومَ الفزَع

والنُّشُورِ، ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

عباد الله:

هكذا وبهذه السُّرْعَةِ الخَاطِفَةِ أوشكَ شهرُ الصيامِ والقيامِ على الانصرامِ، فها هو يتهيَّأُ للرحيلِ، وقد كُنَّا بالأمسِ القريبِ نستقبلُه، واليومَ وبهذه السُّرْعَةِ الخَاطِفَةِ نودِّعُه، وهو شاهدٌ لنا أو علينا، شاهدٌ للمؤمن بطاعتهِ وصالحِ عملهِ وعبادتهِ، وشاهدٌ على المقصِّرِ بتقصيرهِ وتفريطِه.

مضى هذا الشهرُ الكريمُ، وقد أحسنَ فيه أقوامٌ وأساءَ آخرون، وطائفةٌ ﴿ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٠٢].

عباد الله:

تذكَّرُوا وأنتم تودِّعونَ شهرَكُمْ هذه الأيامَ التي انقضت من أعماركم ولن تعودَ إلى يومِ القيامةِ، وهي شاهدةٌ عليكم بما أَوْدَعْتُمُوهَا من أعمالٍ، فمن قدَّمَ فيها عملاً صالحاً فليَحْمَدِ اللهَ تعالى على ذلك، وليَسْأَلْهُ القبولَ لها والتجاوزَ عن التقصيرِ والزَّلَلِ الذي وقعَ فيها، فإنَّ الخوفَ على العملِ أن لا يُتقبَّلَ أشدُّ من العملِ، وقد كان السلفُ رضي الله عنهم يهتمُّون بالعمل وإتقانهِ وإخلاصهِ ثمَّ يهتمُّون بعد ذلك بقبولِه ويخافونَ من ردِّهِ، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة:٢٧].

ومن كان قصَّرَ في هذه الأيامِ فليَتَدَارَكْ نفسَه، وليُجدِّدِ التوبةَ، وليعُدْ إلى ربِّه قبلَ فواتِ الأوانِ.

وتذكَّرُوا رحمكم اللهُ وأنتم تودِّعونَ شهرَ رمضانَ؛ شهرَ العتقِ من النيران والمغفرةِ والرضوان هل نكون مِمَّن أعتقَهم اللهُ فيه من النيرانِ وأدخَلَهُم برحمته الجنَانَ ونسألُ اللهَ أن نكونَ منهم، أم نكونُ من الذين حظُّهم من صيامِهم الجوعُ والظمأُ ونصيبُهم من قيامهم التعبُ والسهرُ، ونعوذُ باللهِ أن نكونَ منهم.

عباد الله:

لقد مضى شهرُ رمضانَ المبارك وتركَ المسلمين قسمين: ففريقٌ مأجورون مشكورون لم ينقَضِ رمضانُ حتى غُفِرَ لهم، وبُدِّلَتْ سيِّئاتُهم حسناتٍ، وأصبحوا من عُتَقَاءِ اللهِ من النار، اجتهدوا في الأعمالِ الصالحَةِ وأخلَصُوا للهِ تعالى القَصْدَ والعَمَلَ.

وفريقٌ خائبٌ خاسرٌ لم يَظْفَرُوا من نَفَحَاتِ المغفرةِ والرَّحْمَةِ في هذا الشهرِ الكريمِ بشيءٍ، اسْتَثْقَلُوا الصيامَ وفرَّطُوا في القيامِ، وتكاسَلُوا عن الطَّاعَةِ، يتمنَّونَ فِرَاقَ شَهْرِ رمضانَ بفارغِ الصبر، نعوذُ باللهِ من الحرمان والغفلةِ.

أيُّها المسلمون:

لقد رأينا في هذا الشهرِ الكريمِ ما يُثلِجُ صدرَ كلِّ مؤمنٍ غَيُورٍ على دينهِ؛ من إقبالٍ على الطاعات، وعِمَارَةٍ للمساجدِ، وتَنَافُسٍ في الخيراتِ من أقوامٍ جعلوا رضَا اللهِ فوقَ رَغَبَاتِهم وأهوائِهم، يخافونَ يوماً تتقلَّبُ فيه القلوبُ والأبصارُ. وهكذا يجبُ أن تُعمرَ مواسِمَ الخير والرَّحْمَةِ ، فمن لم

يُغفر له في رمضانَ فمتى يُغفرُ لـه ؟ ومـن لم يُعْتِقْـهُ ربُّـهُ مـن النـارِ في هـذه الليالي المباركة فمتى ينجو منها ؟!

مسكينٌ كلَّ المَسْكَنَةِ مـن أدركَ هـذا الموسِـمَ العظيـمَ ثـمَّ لم يَظْفَـر مـن مغَانِمِه بشيءٍ، ما حجَبَه إلاَّ التفريطُ والإهمالُ والكسلُ والتسويفُ وطـولُ الأمل.

والأدهى من ذلك والأمرُّ -عباد الله- أن يوفَّقَ أُنـاسٌ للعمـلِ الصـالحِ، والتزَوُّدِ من الخيراتِ حتَّى إذا ما انتهى هذا الشهرُ الكريمُ وانقضَـى نَقَضُـوا ما أبرَمُوا من عهودٍ، ونَكَصُوا على أعقابِهم خاسرينَ، واسْتَدْبَرُوا الطاعـاتِ بالمعاصي، واسْتَبْدَلُوا الذي هو أدنى بـالذي هـو خـيرٌ، وكـأنَّ الإلـهَ الـذي يُصامُ له في رمضانَ ويُسْجَدُ ليسَ هو ربُّ الشـهورِ كلِّهـا؛ تعـالى الله عـن ذلك علُوّاً كبيراً.

سُئِلَ بعضُ السلفِ عن قـومٍ يجتهـدون في شـهرِ رمضـانَ، فـإذا انقضـى ضيَّعُوا وفرَّطُوا وأسَاؤُوا ، فقال: بئسَ القومُ لا يعرفون الله إلاَّ في رمضانَ.

ينبغي أن يستفيدَ المسلمُ مِمَّا قدَّمَـهُ في رمضـانَ، وأن يكـونَ حالُـه بعـد رمضانَ خيراً من حالِهِ قبلَهُ، وإنَّ من أمَارَاتِ قَبُولِ الحسـنةِ الحسـنةُ بعدَهـا، ومن علاماتِ بُطْلاَنِ العَمَلِ وردِّه العودةُ إلى المعاصي بعدَ الطاعاتِ.

كان من هديهِ ﷺ المُداوَمَـةُ علـى الأعمـال الصالحـةِ؛ قـالتْ عائشـةُ -رضي الله عنها-: « كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَثْبَتَهُ، وَكَـانَ إِذَا نَامَ مِنَ اللَّيْلِ أَوْ مَرِضَ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، قَالَتْ: وَمَا رَأَيْتُ

رَسُولَ اللهِ ﷺ قَامَ لَيْلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ، وَمَا صَامَ شَهْرًا مُتَتَابِعًا إلاَّ رَمَضَانَ». [رواه مسلم]

وعنها قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنْ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ». [متفقٌ عليه]

وعن مَسْرُوق -رضي الله عنه- قال: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَيُّ الْعَمَلِ كَانَ أَحَبَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَتْ: الدَّائِمُ». [متفقٌ عليه]

ونداءٌ موجَّهٌ إلى من عزمَ على المعصيةِ بعد رمضانَ أن يتّقِ اللهَ تعالى، وأن لا يهدمْ ما بناه فيه من الأعمالِ، ويستبدلِ الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ؛ فإنَّ بعضَ الناس يتعبَّدُونَ اللهَ في شهرِ رمضانَ خاصَّةً، فيحافظون فيه على الطاعةِ من صلاةٍ وتلاوةٍ وصدقةٍ، فإذا انقضى رمضانُ تكاسَلُوا عن الطاعةِ، وتركُوا الجُمَعَ والجماعاتِ، وكَمْ من إنسانٍ رأيناه في رمضانَ في المساجدَ لم نرَه فيها طَوَالَ العامِ، فَحَذَارِ يا عبادَ اللهِ من النُّكُوصِ على الأعقابِ، والالتِفَاتِ عن اللهِ تعالى بعد أن أقبلتُمْ إليه طائعينَ مُخبِتِيْنَ راجينَ رحمتَهُ وفضلَهُ.

أيُّها المسلمون:

ها هو شهرُ رمضانَ يتهيَّأُ للرَّحِيْلِ فتودِّعُه الأُمَّةُ بقلوبٍ حزينةٍ، ونفوسٍ مُشْفِقَةٍ، وعيونٍ دامعةٍ، والسؤالُ الذي يفرضُ نفسَه: هل سَيُوَدِّعُ

المسلمونَ بوداعِ رمضانَ التَّخَاذُلَ المَقِيْتَ، والتَّشَتُّتَ الرَّهِيْبَ الذي يعيشونَ فيه ؟

إنَّ الأُمَّةَ يا عبادَ اللهِ تعيشُ أوضاعاً مُتَرَدِّيَةً مأسَاوِيَّةً في مشارقِ الأرضِ ومغارِبها، من حالةِ ضعفٍ، وخُمُولٍ، وتخاذُلٍ إلى حالةِ بُعْدٍ عن اللهِ تعالى، وإنَّ من القواعدِ المُسَلَّمَةِ المعلومَةِ من الدينِ بالضرورةِ: أنَّ اللهَ سبحانه لا يُغيِّرُ ما بقومٍ حتَّى يُغيِّرُوا ما بأنفسِهم.

أين هذه الأعدادُ الهائلةُ من المسلمين الذين ازدحمَ بهم حرمُ اللهِ في هذا الشهرِ المبارَكِ عن نُصْرَةِ قضايا الأُمَّةِ والعَمَلِ لعزِّ الإسلامِ وصلاحِ المسلمين؟!

لقد تحوَّلَ المسلمونَ مع شديدِ الأَسَفِ إلى أُمَّةٍ لا تُحرِّكُها الأحداثُ التي تجري لها لنُصْرَةِ دينِها، وإنَّما تُجمِّعُها المناسباتُ وتُفرِّقُها. فَمَعَ كَثْرَةِ المسلمين العَدَدِيَّةِ إلاَّ أنَّ التَّخَاذُلَ عن نُصْرَةِ قضايا المسلمين، وعن تطبيقِ الشريعةِ السَّمْحَةِ لا يزالُ مخيِّماً على نفوسِهم، حتَّى إنَّه ليصدقُ فيهم قولُ المصطفى ﷺ : « يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا ». قَالَوا: يَا رَسُولَ اللهِ! أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ ». قَالَوا: وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ : «حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ ». [رواه أحمدُ وأبو داود، وهو صحيحٌ]

نسألُ اللهَ أن يُفرِّجَ عن المسلمين ما هم فيه من ضَعْفٍ وقَهْرٍ، وأن يجمعَ شملَهم، ويَرُدَّهُم إليه رَدًّا جميلاً.

ثمَّ اعلموا عباد الله:

أنَّ الله تعالى شرعَ لكم في ختامِ شهرِكم زكاةَ فطرِكم قبل صلاةِ عيدِكم، وهي فريضةٌ فَرَضَها اللهُ تعالى، وأمرَ بها رسولُه ﷺ ، واجبةٌ على الصغيرِ والكبيرِ والذكرِ والأُنثى، والحُرِّ والعَبْدِ من المسلمين، ولا بأسَ بإخراجِها عن الجنين في بطنِ أُمِّهِ.

في الصحيحين: « أنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ فَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ، عَلَى الْعَبْدِ، وَالْحُرِّ، وَالذَّكَرِ، وَالأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ، وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلاَةِ ».

وهي واجبةٌ على المسلمِ وعلى من تلزمُه نفقتُه. وتجبُ بغروبِ شَمْسِ ليلةِ العيدِ، ويجوزُ إخراجُها قبلَ العيدِ بيومٍ أو يومين، وأفضلُ أوقاتِها يومُ العيدِ قبلَ الصلاةِ، ومن أخَّرَها عن ذلك فهو آثمٌ، ويُخرجُها في يوم العيد، وتُخرجُ بعدَه قضاءً؛ لما رواه ابنُ عبَّاسٍ -رضي اللهُ تعالى عنهما- قال: «فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلاَةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلاَةِ فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ ». [وراه أبو داود وابنُ ماجةَ والحاكمُ وصحَّحَه]

والواجبُ فيها صاعٌ على كلِّ مسلمٍ، وهو أربعةُ أمدادٍ، ويُقدَّرُ بالوزن بحوالي كيلوين وأربعين جراماً من البُرِّ النظيفِ، وتُخرَجُ من الاصناف التالية: من البُرِّ أو الشعيرِ أو التمرِ أو الزَّبيْبِ أو الأَقِطِ؛ لقولِ أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ -رضي اللهُ عنه-: « كُنَّا نُخْرِجُ زَكَاةَ الْفِطْرِ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ

فِينا عَنْ كُلِّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ حُرٍّ وَمَمْلُوكٍ مِنْ ثَلاثَةِ أَصْنَافٍ؛ صَاعَاً مِنْ تَمْرٍ، صَاعَاً مِنْ أَقِطٍ، صَاعَاً مِنْ شَعِيرٍ)). [متفقٌ عليه]

فإن عُدِمَتْ هذه الأصنافُ فيُخرِجُها من غالبِ قُوْتِ البَلَدِ. والواجبُ على المسلم أن يُخرجُها في بلدهِ الذي يعيشُ فيه، يتفقَّدُ المساكينَ من المسلمين من أقاربهِ وجيرانهِ الذين حولَه.

فاتَّقوا الله عباد الله أدُّوا زكاةَ فطركم طيِّبةً بها نفوسُكم، وتفقَّدوا بها أحوالَ جيرانِكم المساكينَ والفقراءِ، أغْنُوهُمْ بها عن السؤالِ في يومِ العِيْدِ. وإنِّي أدعوا بهذا الجميعَ أن يتعاونوا فيما بينَهم ويتساءَلُوا عن المساكين الذين يعشون حولَهم لتقعَ الزكاةُ في موقعِها الذي أرادَ الله عزَّ وجلَّ.

وفَّقَ الله الجميعَ لما يُحبُّ ويرضى وتقبَّلَ منَّا ومنهم صومَهم وزكاتِهم وصالحَ أعمالِهم. أقولُ ما تسمعون وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه كان غفوراً رحيماً.

❋❋ ❋ ❋❋

●الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، ولا عدوانَ إلاَّ على الظالمين، وأشهدُ أن لا إلـه إلاَّ الله وحدَه لا شـريكَ لـه، إلـهُ الأوَّلـين والآخريـن، وقيُّـومُ يـومِ الديـنِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه خاتمُ المرسلين، وإمامُ المتقين، صلَّـى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلى يـومِ الديـنِ وسـلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله رحمكم الله، واعلموا أنَّ الله تعالى قد شـرعَ لكـم في ختـام شهرِكم أن تشكروه على ما وفَّقكم فيه للصيامِ والقيامِ وتُكبِّروه على ذلك من غروبِ الشمسِ ليلةِ العيدِ إلى الصلاةِ. يقولُ الله تعالى: ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىَ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُـمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىَ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَـرَ يُرِيـدُ اللهُ بِكُـمُ الْيُسْـرَ وَلاَ يُرِيـدُ بِكُـمُ الْعُسْـرَ وَلِتُكْمِلُـواْ الْعِـدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللهَ عَلَـىَ مَـا هَدَاكُـمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [البقرة:١٨٥].

وصِفَةُ التكبيرِ أن يقولَ المسلمُ: اللهُ أكبرُ اللهُ أكـبرُ لا إلـه إلاَّ اللهُ والله أكبرُ ولله الحمدُ.

ويُسَنُّ جهرُ الرجالِ به في المساجدَ والأسـواقِ والبيـوتِ إعلانـاً بتعظيـم اللهِ، وإظهاراً لعبادته وشكرِهِ، وتُسِرُّ به النسـاءُ؛ لأنَّهُـنَّ مـأموراتٌ بالسِـتْرِ والإسرارِ بالصوت.

وما أجملَ حالَ الناسِ وهم يكبِّرون الله تعظيماً وإجلالاً في كلِّ مكانٍ عند انتهاءِ شهرِ صومِهم، يملؤونَ الآفاقَ تكبيراً وتحميداً، يرجونَ رحمتَه ويخشونَ عقابه.

كما شرعَ الله تعالى لعبادهِ صلاةَ العيدِ وهي من تمامِ ذكرِ الله عزَّ وجلَّ، أمرَ بها رسولُ اللهِ ﷺ أُمَّتَهُ رجالاً ونساءً، وقد أمرَ النبيُّ النساءَ أن يَخرُجْنَ إلى صلاةِ العيدِ مع أنَّ البيوتَ خيرٌ لهنَّ فيما عدا هذه الصلاةِ، وهذا دليلٌ على تأكيدِها، وعظيمِ ثوابِها.

قالت أمُّ عطيَّة -رضي الله عنها-: « أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُخْرِجَهُنَّ فِي الْفِطْرِ وَالأَضْحَى؛ الْعَوَاتِقَ وَالْحُيَّضَ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ؛ فَأَمَّا الْحُيَّضُ فَيَعْتَزِلْنَ الصَّلاَةَ وَيَشْهَدْنَ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ! إِحْدَانَا لاَ يَكُونُ لَهَا جِلْبَابٌ ؟! قَالَ: « لِتُلْبِسْهَا أُخْتُهَا مِنْ جِلْبَابِهَا ». [رواه مسلمٌ، وأحمدُ]

ومن السُّنَّةِ أن يأكلَ قبلَ الخروجِ إلى الصلاةِ في عيدِ الفطر تمرَاتٍ وِتْراً؛ ثلاثاً أو خمساً أو أكثر يقطعُها على وِتْرٍ؛ لقولِ أنسٍ -رضي الله عنه-: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لاَ يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ؛ وَيَأْكُلُهُنَّ وِتْرًا». [رواه البخاريُّ، وأحمدُ]

عباد الله:

إنَّ العيدَ يومُ فرحٍ وسرورٍ للأمةِ الإسلامية ولكنَّ الفرحَ والسرورَ فيه مضبوطٌ بضوابطَ شرعيَّةٍ، ومحدودٌ بحدودٍ إسلاميَّةٍ، فالإسلامُ لا يأذنُ أبداً لأتباعه أن يتلذَّذُوا بالمعاصي، وإنَّ مِمَّا يؤسَفُ له أن تتحوَّلَ الأعيادُ في

كثيرٍ من مجتمعاتِ المسلمين إلى سَهَرَاتٍ ورقَصَاتٍ ولَهْوٍ ولَعِبٍ وإضاعةٍ للأوقات والصلوات مع المسلمين في أوقاتها المحدودةِ، وهُمْ بذلك يَمْحُونَ أثرَ الصيامِ والقيامِ من نفوسِهم إن كان له فيها أثرٌ، ويُجدِّدُونَ عهداً مع الشيطان الذي قلَّ تعامُلُهم معه في شهرِ رمضانَ، وهؤلاءِ حَرِيُّونَ ألاَّ يُقبلَ منهم رمضانُ لإنَّ من علاماتِ قبولِ الحَسنةِ الحسنةُ بعدَها ومن أمارات رَدِّها السيِّئةُ بعدَها.

أيُّها المسلمون:

تذكَّرُوا رحمكم الله وأنتم تعيشونَ فَرْحَةَ العيدِ مع أُسَرِكُمْ وذَوِيْكُم كم من يتيمٍ ينشدُ حنانَ الأمومَةِ الحَادِبَةِ ويتلَمَّسُ عطفَ الأبوَّةِ الحَانِيَةِ، يرنو إلى من يَمْسَحُ رأسَه ويُخففُّ بُؤْسَهُ عندما يرى أطفالَ المسلمين وما ينعمونَ فيه من سائرِ النِّعَمِ في أعيادِهم، وكم من أَرْمَلَةٍ توالت عليها المِحَنُ، فقدتَ عشيرَها، وتذَكَّرَتْ بالعيدِ عِزّاً قد مضى تحتَ كَنَفِ زوجٍ عطوفٍ، وكم من أُسَرٍ فقدوا أبناءَهم فتذَكَّروا بالعيدِ أعياداً كانوا فيها مجتمعين فاعتاضوا عن الفرحةِ بالبكاءِ، وحلَّ محلَّ البَهْجَةِ الأنينُ والعناءُ. وكم من مريضٍ أقعَدَه المرضُ عن حضورِ مشاهدِ العيدِ مع أبنائِه وأسرته وإخوانه وأقاربه.

كلُّ هؤلاء وأمثالُهم قد استبدلوا بالعزِّ ذُلاًّ وبعد الرخاءِ والهنَاءِ فَاقَةً وفقراً، ولسنا والله بأحسنَ منهم إلاَّ بمقدار استقامَتِنا على المنهج الذي شرعَهُ الله لنا، وقديماً قالت العربُ: إِيَّاكِ أَعْنِي وَاسْمَعِي يا جَارَةْ.

فحين تطغى فرحةُ العيدِ على أقوامٍ فتستبدَّ بمشاعرِهم، وتستحوذَ على وجدَانِهم فينسَوا واجبَ الشكرِ للهِ والاعترافِ بالنِّعَمِ، وتدفَعُهم إلى الزُّهُوِّ

بالجديدِ والإعجابِ بالنفس فيصبحـوا مـن البَطِرِيْـنَ المتبـاهين، فليعلمـوا أنَّ الأيامَ دُوَلٌ والدَّهرَ قُلَّب، فليتذَكَّروا هؤلاءِ وهؤلاء.

عباد الله:

إنَّ الابتهاجَ بـالعيد نعمـةٌ عُظمـى لكـنَّ الأعظـمَ منهـا أن تظهـرَ أعيـادُ المسلمين بمظهر الوعي لأحوالِها وقضاياها التي لا يزالُ يرزحُ تحتها فئامٌ مـن ابنائها في مشارقِ الأرض ومغاربِها، فـلا تحـولُ بَهْجَـةُ العيـدِ وفرحتُـه دونَ الشعور بمصائبها.

والأعظمُ من ذلك أن يُقارنَ الاستعدادَ لفرحة العيـد وبهجتـه اسـتعدادٌ لتفريج كُرَبِ المكروبين من المسلمين ومُلاَطَفَـةِ أيْتَـامِهم حتّـى لا يشـعرونَ بمصيبتهـم في فرحـة عيدهـم، ومُوَاسَـاةِ الثَّكَـالَى، والتفتيـشِ عـن أصحـاب الحوائج في هذا اليوم الفضيل.

فـاتّقوا الله أيُّهـا المسـلمون، وألزمـوا أنفسَـكم المسـلكَ القويـمَ الـذي سلكتموه في رمضان من اجتناب المعاصي والحرص على الطاعات، ومتابعة الإحسان بالإحسان، وإنَّ من تَمَامِ القيام بذلك صيامُ ستَّةِ أيَّـامٍ مـن شـوال نَدَبَكُمْ إليها رسولُ اللهِ ﷺ بقولِه: « مَنْ صَامَ رَمَضَـانَ ثُـمَّ أَتْبَعَـهُ سِـتّاً مِـنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ ». [رواه مسلم، وغيرُه]

ثمَّ صلُّوا وسلِّموا رحمكم الله على الرَّحمة المهداة والنعمة المُسْدَاةِ نبيِّكـم محمدٍ رسولِ الله عليه الصلاة والسلام....

***

وقفاتٌ توجيهيّةٌ مع خطبة الوداع

● **الخطبة الأولى:**

اللَّهُمَّ إنَّا نحمدُك ونستعينُك ونستغفرُك ونتوبُ إليك، ونُثني عليك الخيرَ كلَّه، نحمدُك اللَّهُمَّ كما ينبغي لجلالِ وجهكِ وعظيمِ سُلْطَانِك، لك الحمدُ كلُّه، وإليك يُرجعُ الأمرُ كلُّه، لك الحمدُ حتّى ترضى، ولك الحمدُ إذا رضيتَ، ولك الحمدُ بعد الرضى، لك الحمدُ كالذي نقولُ وخيراً مما نقولُ، ولك الحمدُ كالذي تقولُ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسلَه رحمةً للعالمين، وحُجَّةً على الهالكين، فصلَّى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغُرِّ الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله ربكم فبتقواه سبحانه وتعالى تزكوا النفوسُ، وتصلحُ الأحوالُ، ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧] ، ﴿ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُوآ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [البقرة:٢٠٣].

أيُّها المسلمون:

المتأملُ لتأريخِ المسلمينَ منذُ إيجادِ دولةِ الإسلامِ الخالدِ، وإرساءِ تعاليمِ الملَّةِ السَّمْحَةِ على يدِ المصطفى ﷺ ، وأحوالِها في عصورها المتأخِّرَةِ يُصاب بالذُّهُولِ، ويرجعُ على نفسِه بالحسرةِ؛ بينما كان المسلمونَ فيما مضى أمَّةً ظاهرةً، وقوَّةً قاهِرَةً، حكمت الشرقَ والغربَ، والجنوبَ والشمالَ، وزَعْزَعَتْ دولتين عظيمتين؛ كسرى وقَيْصَر، يهتَّزُ كسرى على كُرْسِيِّه خوفاً من المسلمين وانتصاراتِهم، وتخشاهُم ملوكُ الرومِ، حتى قضوا عليها، وأخرجوا العبادَ من عبادة الأحجارِ والرُّهبانِ إلى عبادةِ اللهِ الواحدِ القهَّارِ سبحانه، أصبحَ حالُ الأُمَّـةِ في عصورها المتأخِّرَةِ في ضعفٍ وجُبْنٍ وخَوَرٍ، وتحُّكمٍ في شَتَّى المجالات، لَّما تركوا أمرَ اللهِ تعالى تسلَّطَ عليهم الأعداءُ، وتفرَّقوا شِيَعَاً وأحزاباً، وأُمَمَاً وطوائفَ، في كلِّ فِرْقَةٍ أميرُ المؤمنين ومنبرُ، وكلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون.

ما أحوجَ الأُمَّةِ -عباد الله- في أيام مِحَنِها وشدائدِها، وهي تعصفُ بها النكباتُ، ويتحَكَّمُ فيها اليهودُ والنصارى، ما أحوجَها إلى دروسٍ من

تأريخها الأصيل تتأمَّلُ من خلالها سِمَاتِ النصرِ والهزيمةِ، وعواملَ الضعفِ والقوَّةِ، وما أحوجَها إلى وِقْفَاتِ إعتبارٍ عند مناسباتها الخالدةِ، تستعيدُ فيها كرامتَها، وتقفُ في وجه كلِّ منافقٍ خبيثٍ، أو عدوٍّ عنيدٍ، يُخطِّطُ للقضاء على كيان المسلمين.

وما أجدرَ المسلمين وقد فرَّقَتْ بينهم الدُّنيا، وتقاطعوا وهم إخوانٌ أن تثورَ في نفوسِهم الأبيَّةِ، وقلوبِهم الرَّحيمةِ دعوةُ التوحيدِ، وأخوَّةُ الإيمان؛ ليتراحموا ويتواصلوا ويتناصروا، ويكونوا جميعاً كالجسد الواحد ضِدَّ أعدائهم الذين تفرَّق شملهُم إلاَّ عليهم، ويتذكَّروا بذلك أوطاناً لهم مسلوبةً، وحقوقاً لهم مغتصبةً، ودماءً لهم مَسْفُوحَةً في بلادٍ شَتَّى منكوبةٍ من العالم، يَصْرُخُ فيها المسلمون وهم يتذَكَّرون قول القائل:

كم صرَّفتنا يدٌ كُنَّا نُصرِّفُها ... وبات يَمْلِكُنا شعبٌ ملكناه

ويتجَمَّعَ الدمعُ في محاجرِهِم، وهم يتذَكَّرون قولَ الآخر:

ماذا التقاطعُ في الإسلام بينكمُ ... وأنتمُ يا عباد الله إخوانُ

ألا نفوسٌ أبيَّاتٌ لها هِمَمٌ ... أما على الخيرِ أنصارٌ وأعوانُ

أيُّها المسلمون:

ومن أبرزِ المواقفِ الخالدةِ في حياة المسلم خطبةُ الوداع؛ التي وجَّهَها الرسولُ المصطفى، والنبيُّ الخاتمُ ﷺ إلى أُمَّتِهِ في العامِ العاشرِ من هجرته، وهو يوَدِّعُ الأُمَّةَ، ويُرسي قواعدَ المِلَّةِ، ويَهْدِمُ مباديءَ الجاهليةِ، بعد أن

كَمُلَ الدينُ، واستقامَ الشرعُ، وتَمَّتِ النعمةُ، ورضي ا للهُ سبحانه هذا الدينَ -الإسلامَ- للإنسانيةِ ديناً، لا يقبلُ من أحدٍ ديناً سواه.

لقد كان خطابُ المصطفى ﷺ في حَجَّةِ الوداعِ موجَّهاً إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربِها إلى يوم المعادِ، ألقاهُ على الجموعِ الغفيرةِ من المسلمين الذين حَجُّوا معه، قُرَابَةَ مائةِ ألفٍ أو يزيدون، اجتمعوا له في صعيدِ منىً، وعرفاتٍ، والمزدلفةِ، يتطَلَّعونَ إلى القائدِ العظيمِ، والنبيِّ الكريمِ، وهو يؤَدِّي مناسكَ الحجِّ، الذي حجَّ فيه مع أصحابهِ، الذين طاروا شوقاً بحبِّه، وتنفيذِ أوامره، والتقرُّبِ إلى ا للهِ تعالى بطاعته وحُبِّه.

وهو القائلُ ﷺ : « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ». [متفقٌ عليه]

كان خطابُه ﷺ في حَجَّةِ الوداعِ جليلَ القدرِ، عظيمَ الأَثرِ، حوى كلَّ تعاليمِ الدينِ، ومبادئِه، ومقاصدِه، في كَلِمَاتٍ جَوَامِعٍ، في أرقى أساليبِ البيانِ، وأنبلِ معاني التوجيهِ والإرشادِ، وهو يُوَدِّعُ الناسَ بقولِه :« يَا أَيُّهَا النَّاسُ! خُذُوا مَنَاسِكَكُمْ؛ فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَرَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا». [رواه النسائيُّ، وأحمدُ، وابنُ ماجه، والترمذيُّ]

لقد أكَّدَ المصطفى ﷺ في خطبتهِ العظيمةِ يومِ عرفةَ على أنَّ الإسلامَ دينُ التوحيدِ والعقيدةِ؛ فبيتُ ا للهِ العتيقُ إنَّما بُنِيَ لأجلِ التوحيدِ، ﴿**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ [الحج:٢٦] ، وما الحَجُّ في الإسلام إلاَّ أَمَارَةٌ وحكمةٌ تدعو إلى توحيد ا للهِ تعالى في أسمى صورهِ، وأجلِّ معانيهِ؛ فاجتماعُ الناسِ

على اختلافِ أجناسِهم، وتباُين الوانهم في المشاعرِ المقدَّسةِ يوحي إليهم أنَّهم عبادٌ لإلهٍ واحدٍ، لا ينظرُ إلى الألوانِ ولا إلى الصُور والأجناسِ، وإنَّما ينظرُ إلى الأعمالِ والقلوبِ، فالملكُ والمملوكُ، والغنيُّ والفقيرُ ، والقويُّ والضعيفُ كلُّهم عبادٌ لإلهٍ واحدٍ، يؤتي الملكَ من يشاءُ وينزعُ الملكَ ممَّن يشاءُ، ويعزُّ من يشاءُ ويُذِّلُ من يشاءُ، والعبادُ جميعاً يتوَجَّهُون إلى ا لله تعالى بالعبادةِ، أكرمُهم عندَه أتقاهُم، وا لله وحدَه هو الخالقُ وما سواه مخلوقٌ، وهو الرَّازقُ وما سواه مرزوقٌ، وهو القاهرُ وما سواه مقهورٌ.

لقد حاربَ المصطفى ﷺ الشركَ؛ لأنَّ من مقتضى الإيمانِ با لله تعالى وعبادتِه وحدَه الكفرَ بالطاغوتِ ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ ا للهَ وَاجْتَنِبُواْ الْطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ا للهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [النحل:٣٦]، فالإيمانُ با لله وحدَه ، والكفرُ بالطاغوتِ هو معنى لا إله إلاَّ ا لله.

والطاغوتُ: هو كلُّ ما تجاوزَ به العبدُ حدَّه من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاعٍ، صَنَماً كان أو وثناً، أو هوىً أو راهباً أو حَبْرَاً، فطاغوتُ كلِّ قومٍ ما يتحاكمون إليه من دون ا لله، يُطيعونَه فيما يعلمون أو لا يعلمون أنَّه معصيةٌ للهِ تعالى ولرسولهِ ﷺ .

والأمواتُ قد أفضوا إلى ما قدَّمُوا، لا يملكون لأنفسِهم نفعاً ولا ضَرَّاً، ولا يملكونَ موتاً ولا حياةً ولا نشوراً؛ ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ا للهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [الأعراف:١٩٤] ، ﴿ **إِن**

تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا اسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر:١٤].

والواجبُ على المسلمِ المُنْتَسِبِ لهذا الدين ألاَّ يُشركْ بالله شيئاً؛ فلا يرجو قُبَّةً، ولا وَثَناً، ولا يطوفَ بقبرٍ ولا صنمٍ، ولا يتمسَّحْ بعتبةٍ أو بابٍ، ولا يُعلِّقْ تميمةً ولا ودَعَةً، ولا يذبحْ لغيرِ الله؛ رجاءَ نفعٍ أو دفعَ ضُرٍّ، فالله وحدَه هو النافعُ ، ﴿ **وَمَآ أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ** ﴾ [الشورى:٣٠].

عباد الله:

وبيَّنَ المصطفى ﷺ في خطابه لجموعِ المسلمينَ في حَجَّةِ الوَدَاعِ أنَّ الناسَ متساوون في التكاليفِ والحقوقِ والواجباتِ الشرعيةِ، لا فرقَ بين عربيٍّ ولا عجميٍّ ألاَّ بالتقوى، لا تفاضُلَ في نسبٍ، ولا تمايُزَ في لونٍ، ولا تفاخُرَ بحسبٍ، حيثُ تلى ﷺ قولَه تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات:١٣] ، ثم قال: « أَيُّها النَّاسُ: إنَّ ربَّكُم واحِدٌ، وإنَّ أبَاكُمْ واحِدٌ، كلُّكُمْ لآدَمَ، وآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرابٍ، إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقَاكُمْ، لَيْسَ لعَرَبيٍّ فَضْلٌ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ فَضْلٌ إلاَّ بالتَّقْوَى، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ: لاَ تَجيئُوا بالدُّنيَا تَحمِلُونَها عَلَى رِقَابِكُمْ وَتَجِيءُ النَّاسُ بالآخِرَةِ فَإنِّي لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً. إنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ

عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بالآبَاءِ؛ إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ ». [رواه الترمذيُّ وغيره]

عباد الله:

حِفْظُ النفوسِ، وصيانةُ الدماءِ والأموالِ والأعراضِ قضيَّةٌ من قضايا الدينِ الكليِّةِ، ومقاصِده الضروريَّةِ، وما شُرِعَ القصاصُ في النفس والجِرَاحَاتِ، وحُدِّدت الحدودُ وشُرعت التعزيراتُ إلاَّ لِحِكَمٍ ساميةٍ ، من أبرزها زَجْرُ المجرمين عن العدوان، وشِفَاءُ الصدورِ المجروحةِ، وتلك هي الصورةُ المُثلى لقولِ الله تعالى: ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة:١٧٩].

والمصطفى ﷺ في خطبةِ الوداعِ يحسمُ الموقفَ الجاهليَّ المتمثِّلَ في الثأرِ والعصبيَّةِ التي يتوارثُها الأجيالُ جيلاً بعد جيلٍ، لا تَكُفُّ معه الدماءُ عن المَسِيْلِ، وهو يقول: « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ؛ كَانَ مُسْتَرْضِعَاً فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ ». [رواه مسلم]

مؤكِّداً من خلالِ ذلك على حُرْمةِ دمِ المسلمِ وحريَّتِهِ: « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ ». [رواه مسلم]

كما أكَّدَ المصطفى ﷺ على تحريمِ صوراً من المعاملاتِ الجاهليَّةِ، من أهمِّها الرِّبا أفظعُ تعاملٍ مُنيت به الإنسانيَّةُ في أمورِها الماليةِ، فكم خرَّبَ من بيوتٍ عامرةٍ، وكم دَمَّرَ من قُرَىً قائمةٍ، وكم جلبَ من مِحَنٍ وبلايا، ويكفي في قُبْحِهِ والزَّجْرِ عنه أنَّه من صفاتِ اليهودِ؛ الذين أخذوا الرِّبا وقد نُهوا عنه فاستحَقُّوا اللعنةَ من اللهِ تعالى على لسانِ داودَ وعيسى بنِ مريمَ، بل هو حربٌ للهِ ورسولِهِ، قال ابنُ عبَّاسٍ- رضي اللهُ تعالى عنهما-: (يُقَالُ لآكلِ الرِّبا يومَ القيامةِ خذْ سلاحَك واستعِدَّ للمُحَارَبةِ، وما لأحدٍ باللهِ من طَاقةٍ).

قال ﷺ : «وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ؛ وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّه». [رواه مسلم]

عباد الله:

ويأتي التركيزُ من المصطفى ﷺ في خِتَام خطبة الوداع على قضيَّةِ المرأةِ، وكأنَّها هي القضيَّةُ المهمَّةُ في كلِّ عصرٍ، وأُمَّةٍ، حيثُ مُنِيَتِ المرأةُ عبرَ التأريخ بطائفتين ضالَّتين بَخَسَتْها حقَّهَا وداسَتْ كرامتَها:

أمَّا الأولى: فهي الجاهليةُ الأولى: التي جعلت من المرأةِ وسيلةً للكسب والتجارة، تُباع وتُشترى، وتُوهَبُ وتُكترَى، وتُسبى وتُؤَادُ، دونَ أن يكون لها رأيٌ أو حقٌّ أو نصيبٌ.

وأمَّا الثانيةُ : فهي المَدَنِيَّةُ المعاصرةُ: التي جعلت من المرأةِ مستنقعاً للشهواتِ، ووَكْرَاً للرَّذِيْلَةِ، تُهان فيه كرامتُها، وتُقتلُ عِفَّتُها.

فأكَّدَ المصطفى ﷺ على حقِّها الذي جاءَ به الإسلامُ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٨] ؛ حيثُ صانَها الإسلامُ، وأعزَّها، وأكرمَها، وجعلَها مربيةَ الأجيال، وصانعةَ الرجالِ، فأوصى بِهِنَّ خيراً؛ لأنَّهُنَّ أَسِيْرَاتٌ عندَ الرجال، من حقِّهِنَّ عليهم أن يعتنوا بهنَّ، ويحمونَهُنَّ من مزَالِقِ الفِتَنِ، ويُربونهنَّ على الحشمة والعفافِ والفضيلةِ، المتمثلة في الحجاب الشرعيِّ، والقَرارِ في البيوت، والبُعْدِ عن مزاحمة الرجال في الأسواق والمساجد والمنتديات، وأن يُباعدوا بينهنَّ وبين الدعوات المسعورةِ البَرَّاقةِ الداعيةِ إلى نزعِ حجابِهِنَّ، وخروجهنِّ من بيوتِهنَّ؛ ليكُنَّ أطباقاً شهيَّةً لعُبَّاد المرأة، يقضون منها الوَطَر المحرَّمَ، ثمَّ يلفظُونَها لفظَ النواةِ، ويرمونها رميَ القذاةِ.

قال ﷺ : «فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَداً تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبَاً غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ». [رواه مسلم]

ألا فاتَّقوا اللهَ أيُّها المسلمون، وتمسَّكُوا بهدي رسوله الأمينِ عليه الصلاةُ والسلامُ. سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك أشهدُ أن لا إله إلاَّ أنتَ أستغفرُك وأتوبُ إليك.

*** * ***

● الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، ولا عدوانَ إلاَّ على الظالمين، وأشهدُ أن لا إلـه إلاَّ وحده لا شريك له إلهُ الأولين والآخرين، وقيِّومُ يومِ الدين، وأشـهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه خاتمُ المرسلين، وإمامُ المتقين، صلَّى اللهُ عليه وعلـى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا اللهَ رحمكم الله، وأعلموا أنَّه يُستحبُّ للحاجِّ أن يتوجَّه في اليوم الثامن من ذي الحِجَّةِ -يومِ التَرْوِيَةِ- إلى مِنَىً قبل الزَّوَالِ، فيُصلِّي بها الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ قصراً من دون جمعٍ، فإذا صلَّى الفجـرَ، وطلعـت الشمسُ توجَّه إلى عرفةَ وهو يُلَبِّي أو يُكبِّرُ، فإذا زَالَـتِ الشـمسُ صلَّـى بهـا الظهرَ والعصرَ قصراً جمعَ تقديـمٍ، بـأذانٍ واحـدٍ وإقـامتين، ثـمَّ يَقِـفُ بهـا، وعرفةُ كلُّها موقفٌ إلاَّ بَطْنَ عُرَنَةَ، ويُكْثِرُ في موقفه من التهليلِ والتسـبيحِ، والاستغفارِ.

ويومُ عرفةَ عبادَ الله يومٌ من مفـاخر الإسـلام، فيـه أكمـلَ اللهُ الديـنَ، وأتمَّ النعمةَ، وهو عيدٌ لأهلِ الإسلامِ، يغفرُ اللهُ فيه لأهلِ الذنوبِ ذنوبَهـم، ويتجاوزُ عنهـا، ويعتقُ فيـه عبـادَه مـن النـار؛ « إنَّ اللهَ عَـزَّ وَجَـلَّ يُبَـاهِي مَلاَئِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ، فَيَقُولُ: انْظُـرُوا إِلَـى عِبَـادِي أَتَوْنِـي شُـعْثاً غُبْراً ». [رواه أحمد] ، وعندَ مسلمٍ أنَّه ﷺ قال: « مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْـثَرَ مِـنْ أَنْ

يُعْتِقَ ا للهُ فِيهِ عَبْدَاً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلائِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلاءِ)).

كما أنَّ صيامَه -لغيرِ الحاج- يُكفِّرُ السنةَ التي قبله والسنةَ التي بعده، فينبغي للحاجِّ أن يُكثر في ذلك اليوم من التهليل والتكبير والاستغفار ، ويُخلصَ الدعاءَ لله ، قال ﷺ : ((خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ ا للهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)). [رواه الترمذي]

ولا يُشرعُ الصعودُ على جبلِ الرحمةِ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ لم يَفْعَلْهُ، ولم يَفْعَلْهُ أصحابُه من بعده، فإذا غربت الشمسُ أفاضَ الحاجُّ إلى المزدلفة بسكينةٍ ووقارٍ، ثمَّ يُصلِّي بها المغربَ والعشاءَ جمعاً وقصراً بأذانٍ واحدٍ وإقامتين، ثم يبقى بها حتى طلوعَ الفجرِ، إلاَّ الضَّعَفَةَ ونحوَهم، فلهم أن ينصرِفُوا منها بعد منتصفِ الليلِ، فإذا صلَّى الفجرَ بالمزدلفةِ وقفَ عند المَشْعَرِ الحرامِ، والمزدلفةُ كلُّها موقفٌ، فيدعو ا للهَ طويلاً حتى يُسْفِرَ، ثمَّ يسيرُ إلى منىً فيرمي جمرةَ العقبةِ، وهي أقربُ الجمرات إلى مكةَ، يرميها بسبع حصياتٍ، يُكبِّرُ مع كلِّ حصاةٍ، ثمَّ ينحرُ هديَه إن كان متمتِّعًا أو قارِنًا، ثمَّ يَحْلِقُ، ويُحِلُّ من إحرامِه، وبذا يُباحُ له كلُّ شيءٍ حَرُمَ عليه حالَ الإحرام إلاَّ النساءَ.

ويبقى في حقِّ القارنِ والمفردِ طوافُ الإفاضةِ وسعيُ الحجِّ إن لم يكن سعى مع طوافِ القدومِ، وأما المُتَمَتِّعُ ففي حقِّه طوافٌ وسعيٌ، وبعد الطوافِ يحلُّ للحاجِّ كلُّ شيءٍ حرُمَ عليه حتى النساء، ولا يَضُرُّ الحاجُّ ما

قدَّمَ أو أخَّرَ من أفعال يوم النحر؛ لأنَّ رسولَ الله ﷺ ما سُئل عن شيءٍ قَطُّ قُدِّمَ ولا أُخِّرَ في ذلك اليوم إلاَّ قال: «افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ». [متفقٌ عليه]

ثم يبيتُ الحاجُّ بمنى أيامَ التشريقِ وجوباً؛ لفعلِ النبيِّ ﷺ مع قولِهِ: «خُذُوْا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ». [متفقٌ عليه]، فيرمي الجمراتِ في اليوم الحادي عشرَ والثاني عشرَ والثالثِ عشرَ إن لم يتعَجَّلْ، كُلَّ جمرةٍ بسبعِ حصياتٍ، يبدأُ بالجمرةِ الصغرى ثمَّ الوسطى ثمَّ الكبرى، ولا يَرْمِ إلاَّ بعدَ الزَّوَالِ وجوباً، ومن أرادَ أن يتعَجَّلَ فَلْيَرْمِ بعدَ الزَّوَالِ في اليوم الثاني عشرَ، ثمَّ لِيَخْرُجْ من مِنىً إلى مكةَ، فيطوفَ طوافَ الوداعِ.

ومن السنة أن يتعجَّلَ المرءُ إلى أهلِه عند انقضاءِ حاجتِهِ؛ لقولِه ﷺ: «فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ فلْيُعَجِّلْ إِلى أَهْلِهِ».[متفقٌ عليه]

﴿ وَاذْكُرُواْ اللهَ فِيَ أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىَ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُوآ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة:٢٠٣].

تقبَّلَ اللهُ من الحُجَّاجِ حجَّهم، وغفرَ لهم ذنوبَهم، وردَّهم إلى أهلِهم سالمِين غانِمِيْنَ.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم اللهُ تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: **﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾** [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً». [رواه مسلم]

مرضُ الاستهزاء بالدين وبحملة الشريعة

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى عليه وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله سبحانه وتعالى حقَّ التقوى، اتَّقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله، يوم يُنفخُ في الصور، ويُبعثُ من في القبورِ، ويظهرُ المستورُ، يوم تُبلى السرائرُ، وتُكشفُ الضمائرُ، ويتميَّزُ البرُّ من الفاجرِ، ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧].

أيُّها المسلمون:

لقد سعى الإسلامُ سعياً حثيثاً منقطعَ النظير إلى إيجادِ المجتمع الإسلاميِّ المتكافل المتآخي المتآزر كالعضو الواحد، وكالعين الساهِرَةِ على حمايةِ صاحبها من كلِّ مكروهٍ، بعيداً عن منغِّصَاتِ الحياةِ، وجالبات الشقاء، ومثيرات القلق والعناءِ؛ ولذلك جاء بنظامٍ فريدٍ كَفَلَ من خلاله ضمان سلامة الضَّرُوَراتِ الخمس في المجتمع: الدينُ، والعرضُ، والنفسُ، والعقلُ، والمالُ. ووضعَ من العقوبات الرَّادِعَةِ، والجزاءات الزَّاجِرَةِ ما يُحقِّقُ تلك المصالح، ويدرأُ عنها المفاسِدَ.

ومن الأمراض الخطيرة التي سرت في كيان الأُمَّةِ أفراداً ومجتمعات سَرَيَانِ الآكِلَةِ في الجسد، والنارِ في الهشيم، فجرَّتْ على المسلمين الويلاتِ والمحن: الاستهزاءُ بالدينِ وأهلِهِ، ذلكُم المرضُ الخطيرُ والبلاءُ المستطيرُ، الكفرُ المخرجُ من الملة -غالباً- التي مُنيت به الدعوةُ الإسلاميَّة

منذُ بدئِها ، من الكَفَرة والمنافقين والعُصَاةِ من المسلمين ؛ الذين زُيِّنَتْ لهم الحياةُ الدُّنيا ، ﴿ وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة:٢١٢].

ولقد نهى الله تعالى المؤمنين عن السُّخْرِيَةِ والاستهزاءِ بالناسِ والدين ، وحذَّرَهم من أخلاقِ الجاهلين ؛ أهلِ السَّفَهِ والضَّلاَلِ المبين ، لكي يقومَ المجتمعُ المسلمُ على الصدق والحبِّ والإحترامِ الجادِّ لأفراده ، بعيداً عن عيوبِ الجاهليَّةِ وأخلاقِها ، قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ -رحمه الله-: (ينهى اللهُ سبحانه وتعالى عن السُّخْرِيَةِ بالناسِ ، وهو احتقارُهم والاستهزاءُ بهم ،كما ثَبتَ ذلك في الصَّحِيْحِ عن النبيِّ ﷺ أنّه قال: « الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ ». والمرادُ من ذلك: احتقارُهم واسْتِصْغَارُهم ، وهذا حرامٌ).[والحديث رواه مسلمٌ في صحيحه]

عباد الله:

والإنسانُ أشدُّ ما يكونُ وقوعُه في الحرام من لسانه ؛ إذ يَسْهُلُ عليه التحرُّزُ من الزِّنا والسَّرِقَةِ ، وأكلِ الحرام ، لكنَّه يَصْعُبُ عليه التحرُّزُ من حَرَكةِ لسانه ، وقد صحَّ عنه ﷺ أنّه قال: « إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ

مِنْ رِضْوَانِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ ››.[رواه أحمدُ والترمذيُّ، وأصلُه في الصحيحين]

وفي روايةٍ لأحمدَ أنَّه ﷺ : ‹‹ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا جُلَسَاءَهُ يَهْوِي بِهَا مِنْ أَبْعَدِ مِنَ الثُّرَيَّا ›› ؛ (يعني: في النار).

فهذه النصوصُ وغيرُها كثيرٌ تُصوِّرُ واقعَ كثيرٍ من الهالكين الهازلين المستهزئين ، الذين يَخْتَلِقُونَ الأكاذيبَ وأساليبَ الغمزِ واللَّمْزِ بالمؤمنين والمؤمنات ليضحَكَ أحدُهم ويُضحِكَ الآخرينَ ، وكم من ضاحكٍ بملءِ فيه ، والله ساخطٌ عليه.

وإذا اشتهت النفسُ الأمَّارَةُ بالسوءِ تناولَ الدينِ وأهلِه ، والسخريةَ منهم فشُلَّت تلك الجبينُ ، وهي تُقَلِّبُ أصابعَها سُخْرِيَةً ولَمْزاً بدين الإسلام وحملته ، ألا شاهت وجوهٌ جَفَّتْ من الحياء.

أيُّها المسلمون:

إنَّ الاستهزاءَ بالدينِ وأهلِهِ سُنَّةٌ ماضيةٌ ، فحين نتأمَّلُ سيرةَ الأنبياء والرُّسُلِ عليهم الصلاةُ والسلامُ ، وهم أشرفُ خلقِ اللهِ تعالى نجدُ أنَّه ما من نبيٍّ ولا رسولٍ إلاَّ استُهزِئَ به ، وسُخِرَ منه ، وفي ذلك عزاءٌ للمتمسِّكينَ بالسُّنَّةِ والدين مِمَّا يُلاَقُونَ من هؤلاءِ السَّاخِرِيْنَ ، ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً**﴾ [الفرقان:٣١] ؛

﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزخرف:٦-٧] ؛ ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس:٣٠].

ولقد لاَقَى المصطفى ﷺ من الاستهزاءِ والسُّخْرِيَةِ ما تتفَطَّرُ له القلوبُ؛ فقد واجَه سُخْرِيَةَ قبائلِ العربِ المشركين في مكَّةَ ، وواجَه سُخْرِيَةَ واستهزاءَ المنافقين واليهودِ في المدينةِ ، قال اللهُ سبحانه: ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [الأنبياء:٣٦].

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ -رحمةُ اللهِ عليه-: (فاستهزَأوا بالرَّسُولِ ﷺ لَمَّا نهاهُمْ عن الشركِ ، وما زالَ المشركون يَسُبُّونَ الأنبياءَ ، ويصفونَهم بالسَّفَاهَةِ ، والضَّلَالِ ، والجُنُونِ إذا دعوهم إلى التوحيد ، لِما في أنفسِهم من عظيمِ الشركِ ، وهكذا تجدُ من فيه شَبَهٌ منهم إذا رأى من يدعو إلى التوحيد استهزأ بذلك لِما عندَه من الشِّرْكِ).

والسجلُّ حافلٌ بالغرائب والعجائب من صور السُّخْرِيَةِ التي تعرَّضَ لها المصطفى ﷺ ، فقد وَصَمُوه بأنَّه ساحرٌ وشاعرٌ ، ومُعَلَّمٌ مجنونٌ ، وكاهنٌ ، ومن طوَّامِهم في ذلك ما قاله المنافقون يومَ تبوكٍ ، فقد ذكر ابنُ جريرٍ -عليه رحمةُ اللهِ- عن ابنِ عُمَرَ -رضي الله عنه-: (أنَّ رجلاً قال في غزوةِ تبوكٍ: ما رأينا مثلَ قُرَّائِنا هؤلاءِ أَرْغَبَ بطوناً ، ولا أَكْذَبَ أَلْسُناً ، ولا أَجْبَنَ عندَ اللقاء ؛ يعني: رسولَ اللهِ وأصحابَه القُرَّاءَ. فقال له عوفُ بن

مالكٍ: كَذَبْتَ ، ولكنَّكَ منافقٌ ، لأُخبِرَنَّ رسولَ الله ﷺ ، فذهب عوفٌ لِيُخْبِرَهُ ، فوجدَ القرآنَ قد سبقَهُ ، ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ**﴾ [التوبة:٦٥] ، فجاءَ ذلك الرجلُ إلى رسولِ الله ، وقد ارْتَحلَ وركِبَ ناقتَهُ ، فقال: يا رسولَ الله إنَّما كُنَّا نخوضُ ونَلْعَبُ ، ونتحدَّثُ حديثَ الرَّكْبِ ، نقطعُ به عنَّا الطريقَ. قال ابنُ عُمَرَ: كأنِّي أنظرُ إليه مُتَعَلِّقاً بنَسْعَةِ ناقةِ النبيِّ ﷺ ، وإنَّ الحجارةَ لتنكُبُ رجليه ، وهو يقولُ: إنَّما كُنَّا نخوضُ ونلعبُ ، فيقولُ رسولُ الله ﷺ : « أبالله وآياتِه ورسولِه كُنتُم تَسْتَهْزِئُونَ ؟! لا تَعْتَذِرُوا ، قد كَفَرْتُم بعدَ إِيمَانِكُم » ، ما يلتفتُ إليه ، وما يزيدُ عليه).

معاشرُ المسلمين:

إنَّ الاستهزاءَ بشعيرةٍ من شعائر الإسلام ، أو بحكمٍ من أحكامه ، أو بسُنَّةٍ من سُنَنه يَسْلُبُ الرجلَ وصفَ الإيمان ، ويَسْلُكُه في عِدَادِ الكافرين ؛ لأنَّ الاستهزاءَ أكبرُ إثماً ، وأعظمُ جُرماً من مُجَرَّدِ المعصية.

فكلُّ مسلمٍ يمكن أن تغلبَه نفسُه ، فيقعُ في المعصية ، ولكنَّ الاستهزاءَ لا يصدرُ إلاَّ من نفسٍ خبيثةٍ حاقدةٍ على الإسلام وأهله.

يسخرون من الشبابِ المسلمِ عندما تَمَسَّكَ بالسُّنَّةِ ، وحافظ علي المِلَّة في وقتٍ كثُرَ فسادُه ، وعمَّ خرابُه ، ويسخرون مِمَّن أطالوا لحِاهُمْ استجابةً لأمرِ المصطفى ﷺ حيثُ قال: « خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ وَفِّرُوا اللِّحَى وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ ».[متفقٌ عليه] ؛ ولأمرِه ﷺ بمخالفةِ النساءِ حيثُ: « لَعَنَ رَسُولُ

ا للهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ».

[رواه البخاريُّ وغيرُه]

يستهزئون مِمَّن يَدْعُونَ إلى ا لله تعالى ، ويحاربون المنكرات ، ويدعون إلى الخير والفضيلة ، ويسخرون مِمَّن التزموا باللِّبَاسِ الشرعيِّ ، وحافظوا على سُنَّةِ المصطفى ﷺ القائل: « الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عندَ فَسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ خَمْسِيْنَ ؛ يَعْنِي: مِنْ أَصْحَابِهِ ». [رواه الترمذيُّ]

ونحنُ نعلمُ -عباد ا لله-: أنَّه قد يصدرُ من بعض الملتزمين بدين ا لله وبسُنَّة رسولِه -كغيرهم من الخَلْقِ- ما قد يدعو للضَّحِكِ ، ولكن هل يكونُ المسلمُ مِصْيَادًا لعَثَرَاتِ أخيه ، فمن ذا الذي يسلمُ من الخطأ، ومن له الحسنى فقط؟! كفى المرءَ نبلاً أن تُعدَّ معايبُه.

إنَّ الأمرَ خطيرٌ أيُّها الإخوة: فالمستهزئُ باللِّحْيَةِ مثلاً ، والساخرُ من اللِّبَاسِ الشرعيِّ ، ومن الملتزمين بأوامرِ ا للهِ تعالى ؛ كالحِجَابِ للمرأةِ هو في الحقيقة ساخرٌ ومُسْتَهْزِئٌ بمن شرعَ هذه الأمور ، وهو ا لله سبحانه وتعالى ، وكفى بذلك كفراً مبيناً.

وقد قرَّرَ أهلُ العلم في بابِ الرِّدَةِ ، من أبواب الفقه ، إجماعاً كُلِّيّاً ، سَلَفاً وخَلَفاً: أنَّ الاستهزاءَ با لله تعالى ، وبدينِه ، وبرسولِهِ ، وبالمؤمنين كفرٌ بُوَاحٌ يُخرجُ من المِلَّةِ.

قال الإمامُ ابنُ تيميَّةَ -رحمه ا للهُ-: (إنَّ الاستهزاءَ با للهِ ، وآياته ، ورسولِه ، كفرٌ ، يكفرُ به صاحبُه بعد إيمانه).

وقال ابنُ قُدَامَةَ -رحمه الله-: (من سَبَّ الله تعالى كَفَرَ ، سواءٌ أكان مازحاً أو جاداً ، وكذلك من استهزأ بالله تعالى ، أو بآياتِه ، أو برسلِه ، أو كتبه).

عباد الله:

وحين يُفَتِّشُ المرءُ عن أسباب هذا المرض الخطير يَجِدُها لا تخرجُ في الغالبِ عن الكُرْهِ ، والحِقْدِ لهذا الدين العظيم ، وأتباعه ، والنِّقْمَةِ على أهل الخير والصلاح ، والفراغِ ، وحُبِّ الضَحكِ على الآخرين ، والكبرِ والنظرِ للنفسِ بالعُجْبِ والإكبار ، والتقليدِ الأعمى لأعداء دين الله.

وهذه سجايا ينتمي بعضُها إلى بعضٍ ، وهي مع أخواتٍ لها من المُشكلاتِ والعُقَدِ ويلاتٌ وعاهاتٌ ترمي في المَحَاجِرِ قَذَىً ، وتَفْقَأُ في العينِ حِصْرَمَا ، ﴿ **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ** ﴾ [إبراهيم:٣٦] ، وهؤلاءِ المستهزئون ظَنُّوا بأَتْبَاعِ السُّنَّةِ ، وحَمَلَةِ الشريعةِ ظَنَّ السوءِ ، قاتلَهم الله أنَّى يُؤْفَكُونَ.

وتصرُّفاتُ هؤلاءِ المستهزئين كلُّها:

مَسَاوٍ لَوْ قُسِمْنَ عَلَى الغَوَانِي لَمَا أُمْهِرْنَ إلاَّ بالطَّلاَقِ

وما هذا والله إلاَّ صنيعُ من تجرَّدَتْ نفسُه من الأدبِ والحياء مع ربِّ الأرض والسماء ، وبئسَ الزَّادُ إلى المَعَادِ: العُدْوَانُ عَلَى العِبَادِ.

وهم بذلك مع شديد الأسف قد كَفَوا خصومَ الإسلامِ مؤنَةَ العملِ لهدم الدين ؛ حيثُ أثمرت دسائسُهم الماكرةُ السافلةُ في تحريفِ هذا الدين ،

والصدِّ عنه ، وتفريقِ أهله ، وتفجيرِ الصراعِ بينهم، ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾ [النساء:٨٩].

عباد الله:

إنَّ المستهزئين بالله تعالى ، وبرسوله ﷺ ، وبالمؤمنين ، وبدين الله تعالى ، وشرائعِه لن يضرُّوا إلاَّ أنفسَهم. وحين يُكشفُ ما في السرائر ، ويتبيَّنُ ما في الضمائرِ ، وتُنشَرُ الصحائفُ يندمُ أولئك الهازلون ولاتَ ساعةَ مَنْدَمٍ ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الزمر:٤٨] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُواْ فَقَدِ احْتَمَلُواْ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ [الأحزاب:٥٧-٥٨].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقولُ ما تسمعون وأستغفرُ اللهَ فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

*** * ***

●الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على إحسانه ، والشكرُ له على توفيقه وامتنانه ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنه ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الدَّاعِي إلى رضوانه ، صلَّى الله عليه وعلى آله ، وأصحابه ، وإخوانه ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلَّم تسليماً كثيراً .

أمَّا بعد:

فاتَّقُوا الله عباد الله ، واعلموا رحمكم الله أنَّ الاستهزاءَ بالدين وأهله من أخطرِ وسائلِ الهدمِ للإسلام والمسلمين. وإنَّ الناظر في أحوالِ الأُمَّةِ الإسلاميَّة اليوم يجدُ أموراً عجيبةً مُنْكَرَةً بسبب تَذَبْذُبِ الانحرافِ في حياة المسلمين بين الارتفاعِ والانخفاضِ ، بحسب بُعْدِها ، أو قُرْبِها من الالتزام الجادِّ بهذا الدين العظيم.

فانظر أخي المسلم إلى واقع الناس لتجدَ البُغضَ والكراهيَة ، والتَّنَافُرَ والسخريةَ ببعضهم البعض ، وكلٌّ يَزْعُمُ أنَّه فارسُ زمانه ، وقريعُ دهره.

وانظر إلى الجرائد والمجلاَّت المنتشرة في أوساط الناس لترى فيها صنوفاً من السُّخْرِيَةِ بدين اللهِ تعالى ، ورسوله والمؤمنين عن طريق الرُّسُومِ المُضْحِكَةِ ، والعباراتِ المسلِّيَةِ -على حدِّ زَعْمِهم- ، يسخرون بإقامة الحدود الشرعيَّة التي قدَّرَها الله تعالى ، وبتحكيمِ الشريعة على عبادِ اللهِ ، وبالحجاب الشرعيِّ للفتاةِ المسلمةِ ، وبلُغَتِنَا العربيةِ ، لُغَةِ القرآنِ والوحي ، على أيدي دعاة الحداثة الذين بُلو بالإسهال العقلي ، الذي برزَ في صورةِ

ألفاظٍ مجموعةٍ تُمثِّلُ الكُفْرَ البُواحَ الصُّراحَ ، من خلال سُخْرِيَتِهم با لله تعالى ، واستهزائِهم به وبرسوله وبالمؤمنين.

ولك ألاّ تُصابَ بالدهشَةِ -أخي المسلم- وأنت تسمعُ قائلَهم يقول في إحدى أُمسياته الشعرية: [فَخِذٌ على العرش استوى]. وثانياً يقول: [صارَ ا للهُ رماداً]. تعالى ا للهُ عمَّا يقولُ الظالِمُون عُلُوّاً كبيراً.

وثالثاً يقول: [ا للهُ في مدينتي ، يبيعُه اليهودُ ، مشرَّدٌ طريدٌ أرادَه الغُزاةَ أن يكونَ لهم أجيراً شاعراً ، يخدعُ في قِيْثَارِه المُذَهَّبِ العبادَ ، لكنَّه أُصيبَ بالجنون ؛ لأنَّه أرادَ أن يصونَ زنابقَ الحقول من جرادِهم]. تعالى ا للهُ عن ذلك عُلُوّاً كبيراً.

ورابعاً يقول: [وإنَّ ا للهَ باقٍ في قُرَانا ما قتلناه ، ولا من جُوْعِنَا يوماً أَكَلْنَاهُ]. لا إله إلاَّ ا للهُ ربُّ العرشِ العظيمِ عَمَّا يَصِفُهُ الفاسِقُونَ الجاهلونَ.

وأمَّا صورُ سُخريتهم برسولِ ا لله ﷺ في الوقت الحاضر فالطريقُ سابلةٌ والهالكون كثيرٌ .

والليالي من الزمانِ حُبالى مثقلاتٌ يَلدنَ كلَّ عجيبةٍ

ولعلَّ من أقبح ما وقعوا فيه: ما فعله أحدُ المجرمين حين رسم صورةَ كَرَاكَتِيْرٍ ، ووضع فيها رجلاً بَدَوِيّاً يَرْمُزُ به للنبيِّ ﷺ ، يركبُ حماراً في وَضْعٍ مقلوبٍ ؛ ليكون ذلك رمزاً للرَّجْعِيَّةِ ، وفي أرضيَّة الصورة ، ديكٌ وتسعُ دجاجاتٍ ، وعنوان هذا الرسم: محمد أفندي جوز التسعة!

وهذا من أقبح الهجومِ والاستهزاءِ ، والسُخريةِ برسولِ ا لله ﷺ ، ناهيكم عبادَ ا لله عَمَّنْ هَزَلوا بسنَّتِه ؛ من لباسٍ ، ولحيته ، ومظهره ،

وهيئته أو ردِّ بعض أحاديثه ؛ بِحُجَّةِ أنَّها لا تتناسبُ مع الذَّوْقِ الرفيع ، أو أنَّ الواقعَ الغَرْبِيَّ يُخالفُها ، مع أنَّها ثابتةٌ في كُتُبِ الصِّحَاحِ.

وناهيكم عباد الله عَمَّنْ سَخِروا بصحابته -رضي الله عنهم- أفضلِ القرون بعده ، الذين اختارهم الله تعالى لصحبته ، ورضي عنهم وأرضاهم. ولا تعجب أخي المسلم وأنتَ تقرأُ في إحدى المجلاَّت الهَابطَةِ لغرٍّ حداثيٍّ يكتبُ ساخراً من السُّنَّةِ: [حدَّثَنا مُحبِّطٌ عن مُحبِّطٍ عن جاهلٍ!] . وهذا مُنْتَهَى الجُرَأةِ على حَمَلَةِ هذا الدين الذين نقلوه إلينا ، وهدانا الله تعالى بفضلِه ثُمَّ بجهودِهم وتَضْحِيَاتِهم.

وكم نسمعُ يا عباد الله من ساخرٍ بالصلاةِ والمصلين وهو يقولُ: أيُّها المصلُّون إذا ذهبتم إلى الجنة فخذونا معكم. وساخرٍ بحجاب المرأة المسلمة، الذي فرضه عليها ربُّها ، وهو يقول: عَجِبْتُ لِفَتَيَاتٍ مُثَقَّفَاتٍ يَلْبَسْنَ أكفان الموتى وهُنَّ على قَيْدِ الحياةِ.

وساخرٍ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبالقائمين عليه بأنَّهم أشخاصٌ غيرُ مسئولين ، نصَّبوا أنفسَهم أَوْصِيَاءَ على الناس ، يتدخَّلون في خُصُوصِيَّاتِهم ، ويتابعونهم في تحرُّكاتهم ، ويتَّهِمُونَهم بغير حقٍّ.

ولكنَّ العَزَاءَ كلَّ العزاءِ لحملةِ هذا الدين ، والمتمسِّكين به والداعين إليه:

ما يضُرُّ البحرَ أمسى زاخراً	إن رمى فيه صبيٌّ بحجر
وما ضرَّ الورودَ وما حَوَتْهُ	إذا المَزْكُومُ لم يَطْعَمْ شَذَاهَا

ولهم موعدٌ لن يُخْلَفُوه في الجنـة إن شاء الله تعالى ، وهم فيها على الأرائك متكئون ، يضحكون من الكُفَّارِ الذين يَصْطَرِخُونَ في نارِ جَهَنَّمَ ، يطلبون الفِكَاكَ منها ، ولكن لا فِكَاك ، يقولون: **﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۞ قَالَ اخْسَئُواْ فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُون ۞ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ۞ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىَ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ۞ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُواْ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ﴾** [المؤمنون:١٠٧-١١١].

ألا فاتَّقوا الله رحمكم الله ، واعملوا جاهدين لِكَفِّ أيدي هؤلاء الساحرين ، وَدَفْعِ شرورهم ، وإراحة المسلمين منهم ، واحذروا من مجالستهم أو الرضا بصنيعهم فقد قال الله تعالى: **﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىَ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾** [النساء:١٤٠].

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولكِ محمدِ بنِ عبدِ الله صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين ، وارضَ اللَّهُمَّ عن أصحاب نبيِّك أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.....

۞ ۞ ۞



خطرُ لعنِ المسلمين وسبِّهم

● **الخطبة الأولى:**

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ با لله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده ا للهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ ا للهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى عليه وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

أوصيكم ونفسي بوصيَّة ا للهِ تعالى للأولين والآخرين من خلقه ، **﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ ا للهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ ا للهُ غَنِيّاً حَمِيداً﴾** [النساء: ١٣١]، عظِّمُو أمرَه ، واحذروا سَخَطَهُ ، زَكُّوا أعمالَكم ، واحفظوا جوارِحَكُم ، واشْتَغِلُوا وتَشَاغَلُوا بما فيه نفعُكم وصلاحُكم ، واجتماعُ أمرِكم.

أيُّها الناس:

للألفاظ والكلمات دلائلُها ومعانيها التي تحملُ في طيَّاتِها الخيرَ فيُجازى عليها الإنسانُ بالإحسان إحساناً ، أو تحملُ في طيَّاتها الشرَّ والفُحْشَ ، والبَذَاءَ فيُجازى عليها بالسيِّئاتِ المضاعَفَةِ ، ﴿ **مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق:١٨].

عباد الله:

إنَّ جارِحَةَ اللسانِ لها أعظمُ الأَثَرِ في حياةِ المسلم ؛ ديناً ودنيا ، رَبَطَ الله عليها الفلاحَ ، ورتَّبَ عليها الجزاءَ والعِقَابَ ، وعَلَّقَ عليها السعادةَ أو الشَّقَاوَةَ في العاجلِ والآَجلِ، بكلمةٍ واحدةٍ يدخلُ الإنسانُ في الدين والملَّةِ ، ألا وهي كلمةُ التوحيدِ ؛ لا إله إلاَّ الله محمدٌ رسولُ الله ، وبكلمةٍ واحدةٍ يتبوَّأُ العبدُ في الجنة غرفاً من فوقِها غُرَفٌ مبنيَّةٌ ، تجري من تحتها الأنهارُ ، والأعضاءُ كلُّها تُكَفِّرُ اللسانَ ؛ مرتبطةٌ به في صلاحِه وأعْوِجَاجِه ، ولَرُبَّ كلمةٍ أوردت صاحبَها المواردَ ، فَنَدِمَ عليها ولاتَ ساعةَ مَنْدَمٍ ، و لله درُّ القائل:

قدِّرْ لرجلِكَ قَبْلَ الخَطْوِ موضَعَها   فمن عَلاَ زَلَقاً عن غرَّةٍ زَلَقَا

ولهذا - معاشرَ الإخوةِ- تكاثرت نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ وأقوالُ السلفِ في تعظيمِ شأنِ اللسانِ ؛ ترغيباً وترهيباً ، وحسبُك - أخي المسلم - أن تَعْلَمَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ » [رواه البخاريُّ]

ولذلك فإنَّ أوجبَ ما صُرِفَتْ فيه الإهتماماتُ أن يحفظَ المرءُ لسانَه، وأن يَحْتَرِسَ من فَلَتَاتِه وزَلَّاتِه ؛ حتّى لا تورِدَه مواردَ الهَلَكَةِ.

عباد الله:

ومن أعظم مداخلِ اللسان على المسلمِ ضرراً ، وأشدِّها إثماً وخطراً: مَدْخَلُ التَّجْرِيْحِ والتعريْضِ بالمسلمين ؛ سَبَّاً وشَتْمَاً ، ولَعْنَاً وقَذْفَاً، وبُهْتَاً وافْتِرَاءً ، تَجْرِيْحَاً وتَفْسِيْقَاً ، وتَبْدِيْعَاً وتَكْفِيْرَاً ، على صورةِ وساوسَ غامِضَةٍ ، وانفعَالاتٍ متوترةٍ ، وحسدٍ قاطعٍ ، وتوظيفٍ لسوءِ الظنِّ ، والظنُّ أكذبُ الحديثِ ، وبناءٍ على الزَّعْمِ والقِيْلِ ، وبئسَ مطيَّةُ الرجلِ قالوا وزَعَمُوا.

روى الإمام مسلمٌ في صحيحه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ ». قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ ! فَقَالَ: « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ ».

قال عمرُ بنُ الخَطَّابِ - رضي الله عنه -: (لا يُعْجِبَنَّكُم طَنْطَنَةُ الرجلِ، ولكن من أدَّى الأمَانَةِ ، وكَفَّ عن أعراضِ الناس فهو الرجلُ).

[رواه أحمدُ]

ولو نظرَ الإنسانُ – يا عباد الله– بعين البصيرةِ والعدلِ إلى نفسِه ، لوجدَ فيها من العيوبِ ما يحجُزُه عن عيوبِ الناسِ ، ويَشْغَلُه عن تتبُّع زَلاَّتِهم ، والحكمِ على نيَّاتِهم ، ومقاصِدِهم ، روى الترمذي بإسنادٍ حسنٍ عن عُقْبَةِ بن عامرٍ–رضي الله عنه– قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ! مَا النَّجَاةُ ؟ قال: « أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ ».

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى – رضي الله عنه – قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: « مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ». قال الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُواْ فَقَدِ احْتَمَلُواْ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً** ﴾ [الأحزاب:٥٨].

عباد الله:

ومن أخطر ما يقع فيه العبد بلسانه أن يُكَفِّرَ أحداً من المسلمين ، أو يُبَدِّعَه ، أو يُفَسِّقَه ؛ لهوىً في نفسه ، أو جهلٍ في قلبه ، بدون بيِّنَةٍ شرعيَّةٍ يُقيمُ عليها حُكْمَه ، إذْ الأصلُ في الإسلام: تحريمُ النَّيْلِ من عِرْضِ المسلم ، بغير حقٍّ ، فأعراضُ المسلمين من الضَّرُورَاتِ الخمسِ التي جاء الدين بحفظِها ، والتحذيرِ من الإعتداءِ عليها ، وحين حرَّمَ الإسلامُ الرِّبَا ، وجعلَه من أكبر الكبائر ، وأعظمِ البَوَائِقَ ، جعلَ من أربى الرِّبا الاستطالةَ في عرضِ المسلم بغير حقٍّ. كما أن الأصلَ بناءُ حالِ المسلم على السلامة والسترِ ، ولذلك كان من الأمور المقرَّرَةِ في الشريعة: أنَّه لا يجوزُ سَبُّ المسلمِ المعيَّنِ ، ولا تكفيرُه ، ولا تبديعُه ، ولا تفسيقُه، إلاَّ ببيِّنةٍ.

قال رسولُ الله ﷺ: « أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا؛ إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ ». [متفقٌ عليه]؛ وعند البخاريِّ من حديثِ أبي ذرٍّ - رضي الله عنه - أنَّه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول: « لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلاً بِالْفُسُوقِ وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ».

حتَّى المذنبُ العاصي - عباد الله- لا يجوزُ سبُّه ولا تكفيرُهُ ، ولا لعنُهُ، ولا تفسيقُهُ ، فكيفَ بالمسلمِ الذي لم تَظْهَرْ منه معصيَةٌ ، ولم تَبْدُرْ منه زَلَّةٌ! ومن يَدري: لَرُبَّمَا يعملُ العاصي من المسلمين بعملِ أهلِ النارِ ، حتَّى ما يكونُ بينه وبينها إلاَّ ذِرَاعٌ ، فيسبِقُ عليه الكتابُ ، فيعملُ بعملِ أهلِ الجنة، فيدخُلُها ، كما صحَّ بذلك الحديثُ عن المعصوم ﷺ ، وقلوبُ العبادِ بين أُصبعين من أصابعِ الرَّحْمَن يُقلِّبُها كيفَ يشاءُ ، ولَمَّا أُتِي النبيُّ ﷺ - كما في الصحيح - برجلٍ قد شربَ الخمرَ ، فجلدَه ، فلعَنَه بعضُ الصحابة ، قال: « لا تَلْعَنُوه ، لاَ تكونُوا عَوْناً للشَّيْطَانِ عَلى أَخِيْكُم ».

قال الإمام الطحاويُّ -رحمه الله-: (ولا نُكفِّرُ أحداً من أهلِ القِبْلَةِ بذنبٍ ما لم يَسْتَحِلَّهُ ، نرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفُوَ عنهُم ، ويُدْخِلَهم الجنةَ برحمتِه ، ولا نَأْمَنُ عليهم ، ولا نَشْهَدُ لهم بالجنةِ ، ونستغْفِرُ لمسيئِهم ، ونخافُ عليهم ، ولا نُقنِّطُهم من رحمتِه).

وقد روى الشيخان عن جُندُبِ بن عبد الله البَجَليِّ -رضي الله عنه- قال:(إنَّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَ بَعْثاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّهُمُ الْتَقَوْا فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ

الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ -قَالَ: وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ- فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: « لِمَ قَتَلْتَهُ ؟ ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلاَنًا وَفُلاَنًا، وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَقَتَلْتَهُ ؟ ». قَالَ: نَعَمْ ! قَالَ: « فَكَيْفَ تَصْنَعُ بلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!». قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: اسْتَغْفِرْ لِي ! قَالَ: « وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟!». قَالَ: فَجَعَلَ لاَ يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ:« كَيْفَ تَصْنَعُ بلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟!». وفي روايةٍ للبخاريِّ قال:« يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ؟!». قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا. فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ». وفي روايةٍ لمسلمٍ قال: « أَفَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لاَ ؟!».

أيُّها المسلمون:

ومن الجوانب الخطيرةِ التي يوردُ اللسانُ من خلالها صاحبَه مواردَ الهلَكَة: لعنُ المسلمين أحياءً وأمواتاً ، وهي مِمَّا تساهلَ فيه الناسُ ، وأكثروا منه ، وهي شديدةُ الإثمِ عندَ اللهِ تعالى ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: « لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ ». [متفقٌ عليه]

وعن أبي الدَّرْدَاءِ -رضي ا للهُ عنه- قالَ: قالَ رسولُ ا للهِ ﷺ : « إنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئاً صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِيناً وَشِمَالاً فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغاً رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلاً وَإِلاَّ رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا ». [رواه أبو داود]

وعندَ مسلمٍ أنَّه ﷺ قال: « لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وعن عِيَاضِ بنِ حِمَارٍ -رضي ا للهُ عنه- قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ ا للهِ ! رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي يَشْتُمُنِي وَهُوَ دُونِي، عَلَيَّ بَأْسٌ أَنْ أَنْتَصِرَ مِنْهُ ؟! قَالَ: « الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَاذَبَانِ ». [رواه أحمدُ وابنُ حِبَّانَ] ومعنى يتَهاتَران: أي؛ يتكَلَّمان بالباطلِ ، والساقطِ من الكلام، وكفى بذلك إثماً مبيناً.

عباد ا لله:

لقد تساهلَ الناسُ في اللعنِ لخلقِ ا لله ، حتَّى إنَّه ليجري على ألسنَتِهم لأتْفَهِ الأسبابِ ، وكأنَّ ابنَ القيِّمِ -رحمه ا لله - شاهدُ عِيانٍ لما يجري في عصرنا حين قال: (ومن العَجَبِ أنَّ الإنسانَ يهونُ عليه التَّحفُّظُ والاحترازُ من أكل الحرامِ ، والظلمِ ، والزِّنا ، والسَّرِقَةِ ، وشُرْبِ الخَمْرِ ، ومن النَّظَرِ المحرَّمِ ، وغيرِ ذلك ، ويَصْعُبُ عليه التَّحفُّظُ من حَرَكَةِ لسانِه ، حتَّى تَرَى الرجلَ يُشارُ إليه بالدينِ ، والزُّهْدِ ، والعِبَادَةِ ، والوَرَعِ ، وهو يتكلَّمُ بالكَلِمَاتِ من سَخَطِ ا للهِ ، لا يُلقي لها بالاً ، يَنْزِلُ بالكلمةِ الواحدَةِ منها

أبعدَ مِمَّا بينَ المشرق والمغرب ، وكم تَرى من رجلٍ مُتَوَرِّعٍ عن الفَواحشِ، والظلمِ ، ولسانُه يَفرِي في أعْرَاضِ الأحياءِ والأمواتِ ، لا يُبَالِي ما يَقُولُ).

وأعظمُ من ذلك -عباد الله-: حين يكونُ السبُّ ، واللعنُ ، والشتمُ لأُناسٍ صالحين ، قد ماتوا ، وأفضوا إلى ما قدَّموا ، والله وليُّهم، وحسيبُهم، ورحمَ الله الإمامَ أحمدَ بنَ حَنْبَلَ لَمَّا بلغَه أنَّ رجلاً يتكلَّم في الفتنة التي وقعت بين عليٍّ ومعاويةَ - رضي الله عنهما - قال قَوْلَتَهُ الشَّهِيْرَةَ: (أولئكَ قَومٌ عصمَ الله أيديَنا عن الوقوعِ في دِمَائِهم ، فيجبُ أن نَعْصِمَ ألسِنَتَنا عن الوقوعِ في أعرَاضِهم).

عباد الله:

لقد كثُرَ وقوعُ الناسِ في اللعنِ إلاَّ من عَصَمَ الله ، حتَّى إنَّ بعضَهم ليلعنُ أخاه ، وأهلَه ، وزوجَه ، وأبناءَه لأتْفَهِ سببٍ ، ثمَّ يُساكنُهم بعد ذلك ، ويُجالسُهم ، وقد نهى النبيُّ ﷺ عن صُحْبَةِ مَلْعُونٍ ، واللعنةُ إذا صدرت من قائلها فلم يكن الملعونُ لها أهلاً رجعت على قائِلها ، فأحدُهُما ملعونٌ ، لا شكَّ في ذلك ؛ عن عِمْرَانَ بنِ الحُصَيْنِ - رضي الله عنه - قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَامْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ: « خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ ! ». قَالَ عِمْرَانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ.[رواه مسلم]

وأمَّا لعنُ أهلِ المعاصي غير المعيَّنين بأسمائِهم: فهذا مِمَّا جاءت به الشريعةُ ، وأجازَتْهُ ، وأدلَّته من كتابِ الله تعالى ، وسُنَّةِ رسولهِ ﷺ أكثرُ من أن تُحصر ، وأشهرُ من تُذْكَرُ ؛ كقولهِ جلَّ شأنُه: ﴿ **أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [هود:١٨] ؛ وقولهِ عن المنافقين: ﴿ **مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلاً** ﴾ [الأحزاب:٦١] ؛ وقوله: ﴿ **ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾ [آل عمران: ٦١].

وثبتَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه لعنَ الوَاصِلَةَ والمُسْتَوصِلَةَ ، ولعنَ آكلَ الرِّبا ، ومُوْكِلَهُ ، ولعنَ المُصَوِّرينَ ، ولعنَ من ذَبحَ لغير اللهِ، ولعنَ من لعنَ والديه، إلى غير ذلك مِمَّا صَحَّتْ به الأخبارُ ، وتواتَرَتْ به الأحاديثُ.

ألا فاتَّقوا الله رحمكم اللهُ ، وطَهِّرُوا ألسِنَتِكُمْ من الوقوعِ في المُحَرَّماتِ، وألزموها بطاعة الله تعالى ، وأمتثالِ أوامرهِ ، وأجتنابِ نواهيه، أقول ما تسمعون ، وأستغفرُ الله ، فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على إحسانهِ، والشكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ لَهُ تعظيماً لشأنِه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الداعي إلى رضوانهِ، صلَّى الله عليهِ وعلى آلهِ، وأصحابهِ، وإخوانِه، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله عباد الله ، واعلموا رحمكم الله أنَّ من الأمورِ التي يَنْدَى لها الجبينُ ما نرى ، ونسمعُ ، ونشاهدُ من كثرة اللعنِ ، والسبِّ في مجتمعاتنا، لا سِيَّمَا بين الناشئةِ الصِّغَارِ ، وكأنَّنَا في مجتمعٍ بهيميٍّ ، حيوانيٍّ ، لا تَضْبُطْنَا فيه ضوابطُ شرعيَّةٍ ، ولا تَحْكُمْنَا فيه شريعةٌ إلاهيةٌ حرَّمَتِ الفواحِشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ ، والإثمَ ، والبغي بغير الحقِّ. وإنَّ الناظرَ في أحوال هؤلاء الشبيبة الصغار يجدُ أنَّ السببَ المباشرَ وراءَ هذه الأقوالِ الفاحشة ، والعبارات المُقْذِعَةِ البذيئة لا يعدو أن يكون بسببِ الحاراتِ التي يعيشون فيها ، والمجتمعات التي يُقِيْمُون فيها، والبيوتِ التي يتربَّونَ فيها ، بسبب جُلَسَاءِ السُّوءِ ، وأصدقاءِ الضلالةِ ، أو بسبب وليِّ أمرِهم والقائمِ على تربيتِهم ؛ رجلاً كان أو امرأة.

أمَّا الآباءُ الذين يُخرِّجُونَ مثل هذه النماذجَ للمسلمين فهم أحدُ رجلين:

إمَّا رجلٌ تعوَّدَ لسانُه على هذه الألفاظ البذيئة ، والعبارات القبيحةِ في مَدْخَلِه ومَخْرَجِه ، بل وفي أمرِه كُلِّه ، بل إنَّ أحدَهم ليلعنُ أطفالَه ، وزوجَه ، ومن في البيت في اليومِ والليلةِ أكثرَ من عشرينَ مرَّةً ، لا لشيء إلاَّ لِتَوَافِهَ ، ومُحقَّراتٍ لا تستوجبُ لعنَهم ، وطردَهم من رحمة الله ، ومثل هذا الأب لا يُرجى منه نفعٌ ، ولا خيرٌ لنفسه ، فضلاً عن أن يكون مربِّيًا فاضلاً أميناً ، تتطَّلَعُ الأُمَّةُ إلى جيلٍ صالحٍ يخرُجُ من بين يديه ، يبني نفسَه ومجتمعَه كما أرادَ الإسلامُ ، وهو بفعله ذلك عوَّدَ أبناءَه على قبيحِ القولِ ورديئِه ؛ لأنَّ الابنَ دائماً مولعٌ بتقليدِ أبيهِ ومحاكاتهِ في أقوالِه وتصرُّفَاتِه ، ولقد أحسنَ من قال:

إذا كان ربُّ البيت بالدُّف ضارباً ... فشيمةُ أهلِ البيتِ كلِّهم الرقصُ

وإمَّا رجلٌ تعوَّدَ على البَلاَدَةِ ، لا يُحرِّكُ ساكناً تجاه ما يصدرُ من أبنائه، من أقوالٍ ، وعباراتٍ ممقوتة ، وأفعالٍ قبيحةٍ ، مخالفةٍ لتعاليم الإسلام، وقِيَمِهِ ، فلا يُقوِّم معوَّجَهم ، ولا يُهَذِّبُ سلوكَهم ، يراهم يتلاعنون أمامه ، ويتشاتمون ، ويسبُّ بعضُهم بعضاً ، دونَ أن يتأثَّرَ ، وقد لا يسلمُ هو من شتمِهم ، وسبِّهم ، وهو ينظرُ إليهم ضَاحِكًا ، مُعْجَبًا ، وما هكذا تُوردُ الإبلُ.

وقِسْ على هذا الأمَّ ، عندما تكونُ هي المربيَّةُ ؛ فـإنَّ تَعَلُّقَ الأبنـاءِ بهـا أكثرُ ، وتأثُّرَهم بها أعظمُ. ويا ليت بنَسْعَةٍ من جلدٍ شُدَّتْ علـى فَـمِ أبٍ ، أو أُمٍّ لا يتعلَّمُ أبناؤُهم منهم إلاَّ كُلَّ قبيحٍ من القول ، أو فاحشٍ من الفعل.

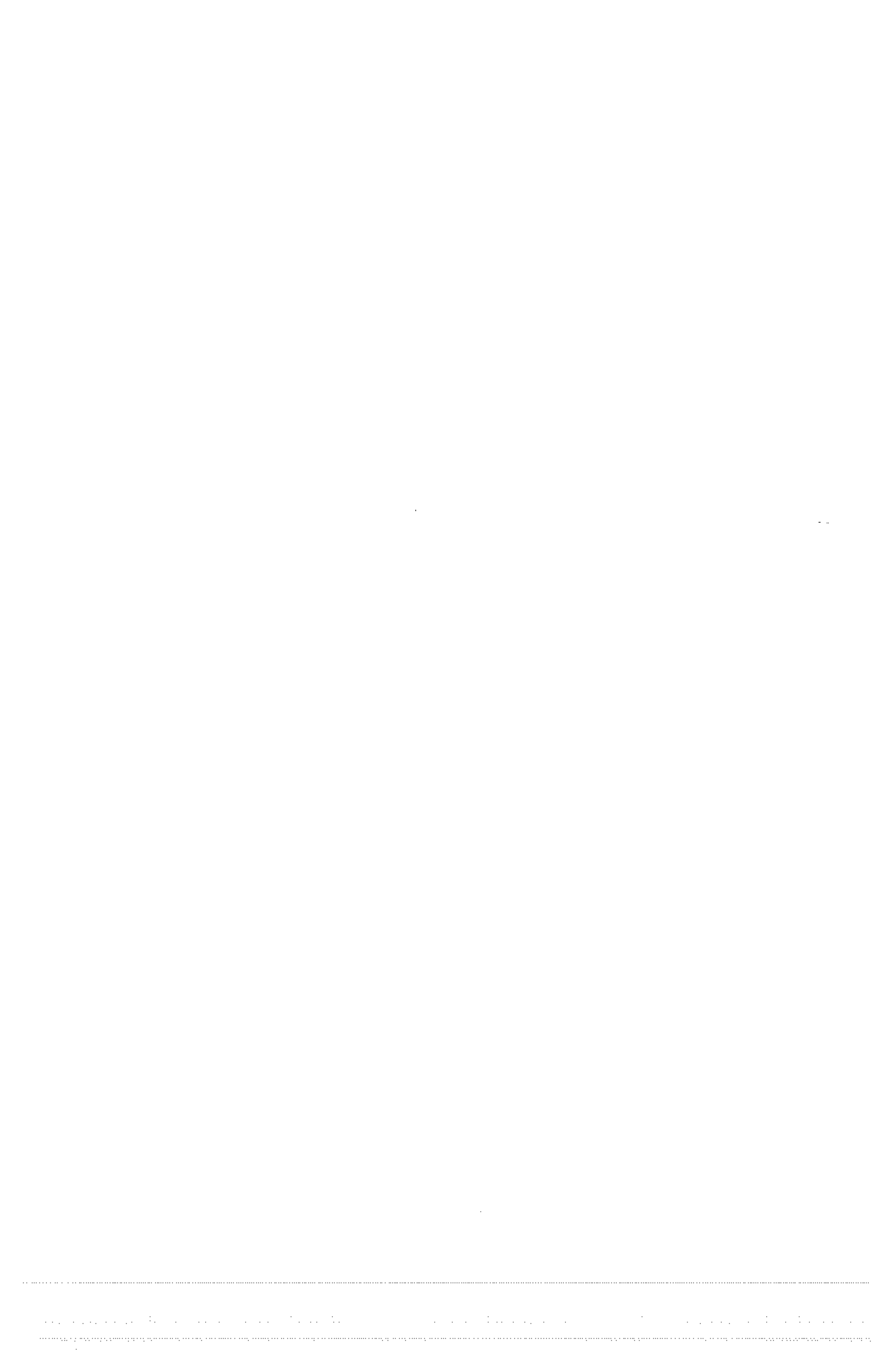
أمَّا المجتمعاتُ فكم هو شديدُ الوقعِ على النفوس - والحقيقـةُ مـرةٌ- أن تكون مجتمعاتُنا ، وحاراتُنا - يا عباد الله - ثُكَناتٍ للرَّذيلَةِ ، ومسـتنقعاتٍ للفُحْشِ والبَذَاءَةِ ، خُلُقاً ، وسُلوكاً ، وقولاً ، وفعلاً ، وانظروا رعاكم الله إلى الشَّبَابِ الصِّغَارِ في كلِّ ليلةٍ وهم على الأَرْصِفَةِ ، والطُرُقَاتِ يصرُخُون، ويتهاترون ، ويلعنونَ آباءَهم وأمهاتِهم ، وبعضَهــم البعـضَ ، ورُبَّمـا كـان أبوهم مشاهداً لهم ، ومع ذلك لا يحرِّكُ ساكِنًا ، أضِـفْ إلى ذلـك عـزوفُ أهلِ الفضل في المجتمع عن التوجيه والتربية والنُّصْحِ لمثلِ هـؤلاء ، ثـمَّ نـأتي بعد ذلك نَتَلاَوَمُ ، وكلٌّ منا يُلقي بالمسئوليةِ على الآخر ، ولو عَقَلْنَا لعلمنـا أنَّ المسئوليةَ مُشْتَرَكَةٌ ، فقد شبَّه النبيُّ ﷺ المجتمعَ بسفينةٍ تحملُ مجموعةً مـن الناس ، بعضُهم أعلاها ، وبعضُهم أسفلَها ، في قوله: ((مَثَـلُ الْقَـائِمِ عَلَـى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَـفِينَةٍ، فَأَصَـابَ بَعْضُهُـمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَـرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقاً وَلَـمْ نُـؤْذِ مَـنْ فَوْقَنَـا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُـوا جَمِيعَـاً، وَإِنْ أَخَـذُوا عَلَـى أَيْدِيهِـمْ نَجَـوْا وَنَجَوْا جَمِيعَاً)).[رواه البخاريُّ في صحيحه]

عباد الله:

إنِّي أُذكِّرُ بهذا ؛ لما نرى ونسمعُ ، من ألفاظ السبِّ ، والشتم ، واللعن ، وغيرها من الألفاظ الأخرى القبيحة التي أُنَزِّهُ بيتَ الله ، وأسماعَكُم عن ذكرِها ، لعلَّ من يستيقظُ ، ويتحرَّكُ نحو التربيةِ الجادَّةِ للأطفال والناشئة ، وتأديبهم على مثل هذه الألفاظِ ، وتعويدِهم على الألفاظ الحسنة ، فإنَّ الأبَ مسئولٌ ، والأُمَّ مسئولةٌ ، والكبيرَ مسئولٌ ، والصغيرَ مسئولٌ ، ألاَ كُلُّكم رَاعٍ وكُلُّكم مسئولٌ عن رعيَّتِه.

هذا وصلُّوا وسلِّموا رحمكم الله على المبعوثِ رحمةً للعالمين محمدِ بنِ عبدِ الله عليه أفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليمِ....

❧ ❧ ❧



السنة النبويّة بين الاتباع والتفريط

● الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ الواحدِ الأحدِ ، الفردِ الصمدِ ، الذي لم يلـد ولم يُولَـد ، ولم يكن له كُفُواً أحد ، والصلاةُ والسلامُ على أفضل المصطفين محمـدٍ، وعلـى آله وصحبهِ ومَنْ تَعَبَّد.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله أيُّها المسلمون ، فبتقوى اللهِ تعـالى تزكـو الأعمـالُ ، وتُنـالُ الدرجاتُ ، وتصلُحُ الأحوالُ ، ارغبوا فيما عندَه ؛ فبيده الخيرُ، وهـو علـى كلِّ شيءٍ قديرٌ ، ﴿ **اتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِـهِ أَوْلِيَـآءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ** ﴾ [الأعراف:٣].

عباد الله :

لقد أرسلَ الله سبحانه وتعالى نبيَّه محمداً ﷺ على حين فترةٍ من الرُّسُلِ، أحوجُ ما تكون البشريَّةُ إليه ، بعدَ أن رَانَ الجهلُ ، وترَاكَمَ الظلمُ، وتَفَاقَمَ الفسادُ ، وتباعدَ أكثرُ الناس عن قويم الخُلُق ، وصحيح الاعتقاد ، ومُهِمَّتُه كغيره من الرُّسُلِ المصطفين ، والأنبياءِ المُجْتَبَيْنِ عليهم الصلاةُ والسلامُ: ﴿ **رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً** ﴾ [النساء:١٦٥].

أرسلَه الله بالحقِّ بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فعلَّمَ به من جَهَالَةٍ ، وأنْقَذَ به من ضَيَاعٍ ، وهدى به من ضَلاَلٍ ، وروى به نفوساً ظَمْأَ إلى دين الحقِّ ، وسَنَنِ الخيرِ ، فأضاءَ به الطريقَ ، ومَهَّدَ به السبيلَ إلى عزِّ الدُّنيا وسعادةِ الآخرةِ ، فكان صلوتُ الله تعالى وسلامُه عليه كالقمر يطلُعُ على قومٍ سارين في مفازةٍ مُهْلِكَةٍ ، ترفعهم نجادٌ ، وتخفِضُهم وِهَادٌ ، فيُبصِّرُهم بالسَنَن ، ويهديهم إلى الطريق المستقيم.

غيرَ أنَّ الرسولَ ﷺ كان له في الحياة من الأثر ما تتضاءلُ أمامَه الشمسُ والقمرُ ؛ فلقد صنعه الله تعالى على عينِه ، فحباه من بَهَاءِ القَسَمَاتِ ، وعظيمِ السِّمَات ، ما حَبَّبَ فيه صحابته كأعمق ما يكون الحبُّ ، آثروه حتى على أنفسِهم ، وفَدَوْه حتَّى بآبائِهم وأمهاتِهم ، ونصروه حتَّى على أبنائهم وإخوانهم ، لَمَّا رأوا فيه المثلَ الأعلى للرسولِ

والزَّعيمِ ، والقائدِ والإمامِ ، والأبِ والرئيسِ ، وصدقَ ا للهُ تعالى حيثُ قالَ: ﴿ ا للهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤].

وأنزل ا للهُ تعالى على نبيِّه ومصطفاه قرآناً عربيّاً غيرَ ذي عِوَجٍ ؛ لِيُبيِّنَ للناس ما نُزِّلَ إليهم من ربِّهم ولعَلَّهم يتَّقونَ ، فكانت شريعتُه ﷺ أكملَ الشرائع ، ورسالتُه خاتمةَ الرسالات ، بَلَّغَ الرسالةَ ، وأدَّى الأمانةَ، ونَصَحَ الأُمَّةَ ، وما أنتقلَ للرفيقِ الأعلى ﷺ حتى أكملَ ا للهُ تعالى به الدين ، وأتَمَّ النعمةَ ، ورضي الإسلامَ ديناً للبشريَّةِ جَمْعَاءَ ، لا يقبلُ من أحدٍ ديناً سواه.

قال أبو ذَرٍّ –رضي ا لله عنه–: (تُوفِّيَ رسُولُ ا للهِ ﷺ وما طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إلاَّ ذَكرَ لنا مِنْهُ عِلْماً).

ولَمَّا شكَّ الناسُ في موتِه ﷺ قامَ عمُّه العباسُ بنُ عبدِ المطلب –رضي ا للهُ عنه– ، فقال: (وَا للهِ مَا مَاتَ رسولُ ا للهِ ﷺ حَتَّى تَركَ السَّبِيلَ نَهْجَاً وَاضِحَاً؛ فَأَحَلَّ الْحَلاَلَ، وَحَرَّمَ الْحَرَامَ، وَنَكَحَ وَطَلَّقَ، وَحَارَبَ وَسَالَمَ، مَا كَانَ رَاعِي غَنَمٍ يَتَّبِعُ بِهَا صَاحِبُهَا رُءُوسَ الْجِبَالِ، يَخْبِطُ عَلَيْهَا الْعِضَاهَ بِمِخْبَطِهِ وَيَمْدُرُ حَوْضَهَا بِيَدِهِ بِأَنْصَبَ وَلاَ أَدْأَبَ مِنْ رَسُولِ ا للهِ ﷺ).
[رواه الدارميُّ]

﴿ لَقَدْ مَنَّ ا للهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾
[آل عمران:١٦٤].

عباد الله:

السُنَّةُ النبويَّةُ ؛ سيرةُ النبيِّ ﷺ ؛ أقوالُهُ ، وأفعالُهُ ، وأوامرُه ، ونواهيه ، وتقريراتُه ﷺ هي المصدرُ الثاني من مصادرِ التشريعِ الإسلامي ، فطاعتُه ﷺ ، وتحكيمُ سُنَّتِهِ ، واتِّباعُ أمره ، واجتنابُ نهيه من طاعةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً** ﴾ [النساء:٨٠].

ولقد جاء الأمرُ الصريحُ بالأخذِ بما أمرَ به النبيُّ ﷺ ، والانتهاءِ عَمَّا نهى عنه في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَآ آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الحشر:٧].

ونفى القرآنُ الإيمانَ الصادقَ عَمَّن لا يتحاكَمُ إلى سُنَّةِ الحبيب المصطفى ﷺ ، وليس ذلك فحسب ، بل يُسَلِّمُ أكملَ التسليم ، ويرضى أَتَمَّ الرضا بحكمِه ، وقضائه ، قال اللهُ تعالى: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِيَ أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [النساء:٦٥].

قال الإمامُ ابنُ قيِّمِ الجوزيَّة -رحمه اللهُ-: (اقسمَ سبحانه بنفسِه على نفي الإيمانِ عن العبادِ حتَّى يُحَكِّمُوا رسولَ اللهِ ﷺ في كلِّ ما شَجَرَ بينَهُم من الدَّقِيْقِ والجَلِيْلِ ، ولم يكْتَفِ في إيمانِهم بهذا التحكيم بمُجَرَّدِه حتَّى ينتفي عن صدورِهم الحرَجُ والضيقُ من قضائِه وحُكْمِه ، ولم يَكْتَفِ منهم أيضاً بذلك حتَّى يُسَلِّمُوا تسليماً ، وينقادوا انقياداً ، قال اللهُ تعالى: ﴿ **وَمَا**

كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ا للهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ا للهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً﴾ [الأحزاب:٣٦].

عباد ا لله:

لقد أثنى ا لله سبحانه على المؤمنين الصادقين في إيمانهم حين يستجيبون لأمرِ رسولِه ﷺ بتسليمٍ وانقيادٍ وطاعةٍ بقوله: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى ا للهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١] ، ثمَّ عَقَّبَ على ذلك ببيانِ ما أعدَّه تعالى لأتباعِ السُّنَّةِ النبويَّةِ بقولِهِ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ا للهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ ا للهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور:٥٢].

وفي المقابل عاقبةٌ وخيمةٌ ، ونهايةٌ أليمةٌ لمن خالفَ أمرَ رسولِ ا لله ﷺ وسُنَّتَه ، وأعرضَ عنها؛ ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى ا للهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ۞ وَإِن يَكُنْ لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۞ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ا للهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور:٤٨-٥٠].

ثمَّ توَّعَدَ ا للهُ عزَّ وجلَّ من خالفَ السُّنَّةَ أو أعرضَ عنها بالعذابِ الأليمِ في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

قال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ -رحمه ا للهُ-: (أتدري ما الفتنةُ ؟ الفتنةُ الشِّرْكُ ، لعلَّهُ إذا رَدَّ بعضَ قولِهِ أن يَقَعَ في قلبه شيءٌ من الزَّيْغِ فيهْلَك).

أيُّها المسلمون:

ولقد حذَّرَ المصطفى ﷺ من ترك سُنَّتِه ، وهجْرِها، وبيَّنَ فيما صحَّ عنه أنَّه تركَ الأُمَّةَ على المَحَجَّةِ البيضاءَ التي لا يَزِيْغُ عنها إلاَّ هالكٌ ، وأوصى الأُمَّةَ بالتمسُّكِ بسُنَّتِه ؛ إذ هي المخرجُ بإذن اللهِ من المِحَنِ ، والمُنْقِذُ من الفِتَنِ ، أن يتمَسَّكُوا بها ، ويَعضُّوا عليها بالنَّوَاجذِ ، ويتعدوا عن مُحْدَثَات الأمورِ ، ومُسْتَحْسَنَاتِ الأهواءِ والعُقُول.

قال ﷺ : « فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلاَفَاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ ». [أخرجه أحمدُ، أبو داود، والترمذيُّ وصحَّحَه، وابنُ ماجه]

وقال ﷺ : « ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ ».[متفقٌ عليه]

وقال ﷺ : «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى ! ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَنْ يَأْبَى؟! قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى». [رواه البخاريُّ وأحمدُ]

﴿ قُلْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور:٥٤].

وقال ﷺ : « لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئاً عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي ! مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ ».
[رواه الترمذيُّ وأبو داود]

وهذا الحديثُ -عباد الله- من أعلام نبوَّته ﷺ ؛ فقد ظهرت في الأُمَّةِ بعد وفاته طوائفُ ، وفرقٌ ، تُنكرُ السنةَ كلَّها أو بعضَها ، بدعوى الاستغناء بالقرآن ، وكان من أوائلُهم: الخوارجُ ، والروافضُ ، والمعتزلةُ ؛ حيثُ أُثِرَ عن هذه الطوائفِ إنكارٌ لبعض الأحكام التي وردت في السُّنَّة ؛ بدعوى الاكتفاء بالقرآن ، واخترعوا ديناً جديداً ، لا مرجع فيه إلى السُّنَّة، بل إلى القرآن -كما زعموا- ، مُدَّعِين أنَّ القرآنَ وحدَه كافٍ لإقامة الحياة الإسلاميَّةِ، وليس هناكَ حاجةٌ إلى السُّنَّة.

ويا سبحان الله ! من بَلَّغَ الأُمَّةَ القرآنَ غيرُ رسولِ الله ﷺ ، ومن بيَّنَ لها مُجْمَلَهُ ، وشرحَ لها غَامِضَهُ ، وفَصَّلَ لها مُحْكَمَهُ إلاَّ المصطفى ﷺ ، فكيف يؤخذُ القرآنُ بِمَعْزِلٍ عن السُّنَّة ، إلى الله المُشتكى. ولم يكتفوا بذلك ، بل تأوَّلُوا بأهوائِهم آياتِ القرآنِ بما يجعله شاملاً للأحكام بتفاصيلها.

ولقد جاءت الآثارُ عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم بالتحذير منهم ، روى الدارميُّ بسنَدِه عن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ -رضي الله عنه- قال: (إِنَّهُ سَيَأْتِي نَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ؛ فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ).

وهؤلاءِ وأشباهُهم يستدلّونَ بما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنّه قال: « ما أتاكم عنّي فاعْرِضُوه على كتابِ اللهِ ، فإن وافقَ كتابَ اللهِ فأنا قُلْتُهُ ، وإن خالفَ كتابَ الله فلم أقلْه ، وإنّما أنا موافقٌ كتابَ اللهِ ، وبه هداني الله».

وهذا الحديثُ لا أصلَ له ، قال عنه عبدُ الرحمنُ بنُ مهديٍّ ؛ عالمُ السُّنّةِ في زمانِه -رحمةُ اللهِ عليه-: (هذا الحديثُ وَضَعَهُ الزَّنادِقَةُ ، والخَوَارِجُ للصَّدِّ عن السُّنّةِ). إضافةً إلى كونِهِ معارَضٌ بنصوص الكتاب الكريم التي جعلت للرسولِ ﷺ طاعةً مُطْلَقَةً ؛ كقوله تعالى: ﴿ **وَأَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** ﴾ [التغابن:١٢]؛ وغيرها مما سبقَ من آياتٍ تحثُّ على وجوب طاعة الله ورسوله طاعةً مُطْلَقَةً.

عباد الله:

وفي الجانب الآخر أُناسٌ أساؤا الأدبَ مع سُنّة الرسولِ المصطفى ﷺ ، والقليلُ مِمَّن حافظوا عليها عدُّوها في جَوَانِبِ المستحبَّاتِ ، فإذا جاءَهم الأمرُ من أمره ﷺ ، أو النهيُ من نهيِهِ أخذوا منه ما يُناسبُ أهواءَهم ، وتركوا ما يشُقُّ على نفوسِهم ، وما أولئك بالمؤمنين.

وحين يُجيل المسلمُ الطرفَ في حياةِ الناس ، وينظرَ في واقعِهم يجدُ العجبَ العُجَابَ من أحوال أُناسٍ يدَّعونَ الإسلامَ ولمَّا تُخَالِطُ بشاشَتُهُ قلوبَهم ، يدَّعون المحبَّةَ للنبيِّ ﷺ ، وما أنصفوا والله ؛ إذ يظهرُ في

تصرُّفاتهم ، وسلوكياتهم ، وحياتهم ما يُخالف هذه الدعوى ، فكم رأينا من المسلمين من تركوا السُّنَّةَ وراءَهم ظِهْرِيَّاً ، وهجروها بالكُلِّيَّةِ، وكم رأينا فيهم من أخذَ منها ما يهوى ، وتركَ ما لا يهوى حسبَ الرَّغَباتِ والأهواءِ ، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً﴾ [الأحزاب:٣٦].

ولقد ضربَ المصطفى ﷺ مثلاً لحاله وحال الناس معه ، ما بين مُصَدِّقٍ له ومُتَّبِعٍ ، ومُكَذِّبٍ له ومُبْتَدِعٍ ، فقال ﷺ : « إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَاً، فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاءَ. فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ ». [متفقٌ عليه]

فاتَّقوا اللهَ -رحمكم اللهُ- في سُنَّةِ رسولهِ ﷺ ، وتَمَسَّكُوا بها ، وعَضُّوا عليها بالنَّوَاجذِ ، وإيَّاكُم ومُحْدَثَاتِ الأمورِ ؛ فإنَّ كلَّ بدعة ضلالةٌ ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ اللهَ فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

*** * ***

● الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على إحسانهِ، والشكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ لَهُ تعظيماً لشأنهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الداعي إلى رضوانهِ، صلَّى الله عليهِ وعلى آلهِ، وأصحابهِ، وإخوانِه، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله عباد الله ، فإنَّ تقوى اللهِ سبحانه خيرُ زادٍ يُدَّخَرُ في هذه الحياةِ وبعدَ المَمَاتِ ، ﴿ **ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً** ﴾ [الطلاق:٥].

عباد الله:

إنَّ المسلمَ حين يُقلِّبُ نظرَه في كتابِ اللهِ تعالى وسُنَّةِ رسوله ﷺ لا يجدُ مجالاً من خلال النصوص التي تَقْرَعُ الأسماعَ أن يلتمسَ لنفسِه العذرَ في الابتعاد عن السُّنَّةِ ، والمَيْلِ عن هدي نبيِّ الأُمَّةِ ﷺ يميناً أو شِمَالاً ، ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً** ﴾ [النساء:١١٥].

فالله عزَّ وجلَّ لا يقبلُ أن يُعبدَ إلاَّ بما شرعَه على لسانِ رسولهِ ﷺ، والخيرُ كلُّه في اجتنابِ ما نَهَى عنه الله ورسولُه وزجرا ، فمن زادَ على ذلك ، أو استزاد فقد خَسِرَ خيري الدُّنيا والآخرةِ ، وعملُه مردودٌ عليه

غيرُ مقبولٍ ، قال ﷺ : « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُـوَ رَدٌّ ». [رواه البخاريُّ ومسلمٌ]

والقُدْوَةُ في ذلك صحابةُ المصطفى عليهـم رِضْوَانُ اللهِ الذيـن بلـغَ مـن اقتدائهم به أنَّهم كانوا يفعلونَ ما يفعلُ ، ويتركون ما يتركُ دونَ أن يعلموا لذلك سبباً ، أو يسألوا عن عِلَّتِه وحِكْمَتِه ، روى البخاريُّ عن ابنِ عُمَرَ – رضي الله تعالى عنهما– قال: « اتَّخَذَ رسُولُ اللهِ ﷺ خاتَماً مِنْ ذَهَـبٍ أَوْ فِضَّةٍ وَجَعَلَ فَصَّهُ مِمَّا يَلِـي كَفَّـهُ، وَنَقَـشَ فِيـهِ مُحَمَّـدٌ رَسُـولُ اللهِ، فَـاتَّخذَ النَّاسُ مِثْلَهُ، فَلَمَّا رَآهُمْ قَدِ اتَّخَذُوهَا رَمَى بِهِ، وَقَالَ: لاَ أَلْبَسُهُ أَبَدًا. ثُمَّ اتَّخذَ خاتَمَاً مِنْ فِضَّةٍ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ الْفِضَّةِ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَلَبِـسَ الْخَـاتَمَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ، حَتَّى وَقَعَ مِـنْ عُثْمَـانَ فِـي بِئْرِ أَرِيسَ ».

وروى القاضي عياضٌ بسنده عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ –رضي الله عنه– قال: (بَيْنَما رسولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بَأصْحَابـه إذْ خَلَـعَ نَعْلَيْـهِ ، فوضَعَهمـا عن يَسَارِه ، فَلَمَّا رَأى القَوْمُ ذلكَ أَلْقَوْا نِعَالَهُمْ ، فَلَمَّا قَضَـى صَلاتَـهُ قـال: «مَا حَمَلَكُمْ عَلَى إلْقَائِكُمْ نِعَالَكُمْ ؟ ». قالوا: رَأَيْنَاكَ أَلقَيْتَ نَعْلَيْكَ ! فقال: « إِنَّ جِبْرِيْلَ أَخْبَرَنِي أَنَّ فِيْهِمَا قَذَرَاً »).

بل بلغَ من امتثالِهم أمرَ النبيِّ ﷺ أن فعلوا ذلك حتّى في شـئونِ الدُّنيـا؛ فقد أخرجَ أبو داودَ عن ابـنِ مسعودٍ –رضـي الله عنـه– (أَنَّـه جَـاءَ يَـوْمَ الجُمُعَـةِ والنبيُّ ﷺ يَخْطُـبُ ، فَسَمِعَهُ يَقُـوْلُ: اجْلِسُـوا ، فَجَلَـسَ بِبَـابِ المَسْجدِ ، فَرَآهُ النبيُّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ: « تَعَالَ يَا عَبْدَ اللهِ بنَ مَسْعُوْدٍ »).

وهكذا كان الصحابةُ مع رسـولِ ا للهِ ﷺ في حياتـه ، يعتـبرون قولَـه، وفعلَه ، وتقريرَه حكماً شرعيًّا لا يختلـفُ في ذلـك منهـم اثنـان ، ولا يجـيزُ أحدٌ منهم لنفسه أن يُخالفَ أمرَه ، وما كانوا يُراجعونه إلاَّ فيما غلبَ على ظنِّهم أنَّهم غيرُ مكَلَّفينَ بـهِ ؛ لقرائـنَ معيَّنَـةٍ ؛ ككونـه مختصَّـاً برسـولِ ا لله مثلاً.

عباد ا لله:

إنَّ التمسُّكَ بالسُنَّة حقَّ التمسُّك ، لا سِيِّمَا مع فسادِ الزَّمانِ من أفضـلِ القُرُبات عند ا لله تعالى ، قال سَـهْلُ بـنُ عبـدِ ا للهِ –رحمـه ا لله-: (عليكُـمْ بالأَثَرِ والسُّنَّةِ ، فَإِنِّي أخَافُ أنَّه سَيَأَتِي عَنْ قَليلٍ زَمَانٌ إذَا ذَكَرَ إِنْسَانٌ النَّبِـيَّ ﷺ والاقتداءَ بهِ فِي جَمِيْعِ أحوالِه ذَمُّوهُ ، ونَفَرُوا عَنْهُ ، وتَبرَّأوا منه وأَذَلُّـوه وأهَانُوه).

فاتَّقوا ا للهَ رحمكم ا للهُ ، وتمسَّكُوا بالسُنَّة ، واحـذروا مـن البدعـة، ولا تغترُّوا بالباطل لكثرة الهالكين ، ثمَّ صلُّوا وسلِّموا رحمكـم ا لله علـى محمـدِ ابنِ عبدِ ا لله عليه الصلاةُ والسلامُ......

❧ ❧ ❧

التقليد آفة جاهلية

●الخطبة الأولى:

الحمدُ لله المتوحِّدِ بالعظمةِ والجلالِ ، المتفرِّدِ بالبقاءِ والكمالِ ، أحمدُه سبحانه وتعالى ، وأشكرُه على جزيل الإنعامِ والإفضالِ ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ ، لا إله إلاَّ هو الكبيرُ المُتَعَالِ ، وأشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيِّنَا محمداً عبدُ الله ورسوُله ، المنقذُ بإذن ربِّه من الضَّلاَلِ ، والدَّاعِي إلى كريمِ السَّجَايَا وشَرِيفِ الخِصَالِ ، صلَّى اللهُ وسلَّم وباركَ عليه وعلى آلهِ وصحبِه خيرِ صَحْبٍ وآلٍ ، والتابعينَ لَهُمْ بإحسانٍ إلى يومِ المَرْجعِ والمَآلِ.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله عباد الله، فبتقوى الله سبحانه تزكو الأعمالُ، وتُنالُ الدرجاتُ، وتُحفظ النعمُ، وتُدفعُ النقمُ، ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧].

أيُّها المسلمون:

لقد خلقَ اللهُ تعالى الخلقَ، وميَّزَ بينَهم، وفضَّلَ بعضَهم على بعضٍ، وجعل للإنسانِ النصيبَ الأكبرَ والحظَّ الأوفرَ من هذا التفضيل وذلك الاصطفاء والتكريم، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء:٧٠].

وإنَّ سرَّ هذا التكريم -عباد الله-، ومنبعَ التفضيلِ للبشريَّةِ هو ما حَبَاهُمُ اللهُ تعالى بِهِ من العقولِ والألبابِ، التي يُدركون بها الضُرَّ من النفعَ، ويُميِّزون من خلالِها الحقَّ من الباطل.

لقد حرَّرَ الإسلامُ العقولَ من الجمود على الماضي، أو العاداتِ التي أَلِفَتْهَا النفوسُ وهي مخالفةٌ للحقِّ. وسدَّ كلَّ الطرقِ المؤدِّيَةِ إلى تشويه صفاء التوحيد والعقيدة، ولو فعلها من فعلها. وأمرَ المسلمين بالتفكُّر في ملكوت السموات والأرض، والنظرِ في عجائب صُنْعِ اللهِ تعالى، ومخلوقاته البديعة، والاعتبارِ باستخدام العقول واتِّباعِ الدليل من الكتاب والسُّنَّةِ، والبحثِ عن الحقِّ واتِّباعِه أينما وُجِدَ؛ ليقومَ المسلمُ بتحقيق العبوديَّةِ لله

تعالى على وجهها الصحيح دون إفراطٍ أو تفريط، شكراً لله تعالى على نعمة العقل التي حرمَها كثيراً من مخلوقاتِه.

عباد الله:

لقد نَعَى الإسلامُ على التقليدِ ، وحذَّرَ منه ؛ لأنَّه الدينُ القويمُ الذي تَمَيَّزَ بشخصيَّتِهِ المستقلَّةِ ، التي سَعَى لتحقيقها في أتباعه أفراداً ومجتمعات.

ولقد كان الناسُ قبل بزوغِ فجرِ الإسلام ، وإشراقةِ شمسِ الرسالة المحمديَّةِ على صاحبها أفضلُ صلاةٍ وأزكى تحيَّةٍ يعيشون في جاهليَّةٍ جهلاء وضلالةٍ عمياء ، يُعظِّمونَ الآباءِ والأجدادَ ، ويتغنَّونَ بمفاخر القبيلة ، ومآثر العشيرة ، فهم أكثرُ الناس عَدَدَاً ، وأقواهم شَكِيْمَةً ، وأعلاهُم نَسَبَاً ، فالكبرُ ديدنُهم ، وتعظيمُ الدُّنيا يملأُ قلوبَهم ؛ من كثرةِ الأموال والبنين والقناطيرِ المقنطرةِ من الذهب والفضةِ والخيلِ المسوَّمَةِ والأنعامِ والحرثِ.

فلمَّا جاءَ الإسلامُ الذي بُعث به الحبيبُ المصطفى والرسولُ المجتبى محمدُ بن عبد الله ﷺ اصطدمَ بهذه الشعارات الجاهليَّةِ ، وتلكَ العصبيَّةِ القبليَّةِ ، فحَذَّرَ منها وحارَبها ، وندَّدَ بفعل أصحابِها ، وحذَّرَ من الوقوع في متاهاتها بعد نعمةِ الإسلام.

عن أبي مالكٍ الأشعريِّ-رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ، وَالاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ ». وَقَالَ:« النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ

قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ)).
[رواه مسلم]

وبذلك ابطلَ الإسلامُ حَمِيَّةَ الجاهليَّةِ وتفاخرَها بالأحساب والأنساب ، وجعلَ الناسَ قسمين: مؤمنٌ تقيٌّ ، وفاجرٌ شقيٌّ.

ولكنَّه مع مرور الأعوام ، وتتابُعِ الأيامِ ظهـر لأولئـك الأسـلافِ أتبـاعٌ نَعقُوا في هذه العصور المتأخِّرَةِ بتلك الشعاراتِ الجاهليَّـةِ ، لكنَّهـم تجـاوزوا فيهـا أسـلافَهم ، يفتخـرونَ بمزايـا آبـائهم ، وبفضـلِ أجدادِهـم ، ومفـاخرِ عشائرهم وهم عن رِكَابِهم قد قَصُرُوا ، ولا عجب ! فالنارُ لا تـتركُ غالبـاً إلاَّ رماداً تذروه الرياحُ في كلِّ اتجاه.

فكم نرى من يقول: كان جدي العالِمَ فلاناً ، وكان أبي المُحنَّكُ فلاناً، ونحو ذلك من الفخر بالأنساب والأحساب. وإذا نظـرت إليـه لم تجـد فيـه من صفات من افتخرَ به شيئاً.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةِ –رحمه ا لله–: (إنَّ تعليقَ الشرفِ في الدِّيْنِ بمجرَّدِ النَّسَبِ هو حكمٌ من أحكامِ الجاهليَّـةِ الذيـن اتَّبَعَتْهُـم عليـه الرافضـةُ وأشباهُهم من أهل الجهل ، ولهذا فليس في كتـاب ا لله آيـةٌ واحـدةٌ يُمـدحُ فيها أحدٌ بنسبه ، ولا يُذَمُّ أحدٌ بنسبه ، وإنَّمـا يُمـدحُ بالإيمـان والتقـوى ، ويُذَمُّ بالكفرِ والفسوقِ والعصيـانِ ، ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُـمْ عَنـدَ ا للهِ أَتْقَـاكُمْ إِنَّ ا للهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات:١٣].

و لله درُّ القائل:

إذا فَخُرتَ بأقوامٍ لَهُمْ شَرَفٌ نَعَمْ   صَدَقْتَ ! ولكِنْ بِئْسَ مَا وَلَدُوا

عباد الله:

وبسبب هذا التقديسِ الجاهليِّ للآباء والأجداد غلاَ القومُ في تعظيم أسلافِهم ، وتقديس أكابرِهم ، حتى حجَبَهم ذلك التعظيمُ والتقديسُ عن قبولِ الحقِّ ، وصدَّهم عن الإيمان والاستجابةِ للهِ وللرَّسُولِ إذا دعاهم لِمَا يُحيِيَهم.

لقد كان دينُ الجاهليين مبنيَّاً على أصولٍ وقواعدَ جاهليَّة أعظمُها التقليدُ والْمُحَاكَاةُ والجمودُ على ما كان عليه الآباءُ والأجدادُ حتى لو كان مخالفاً للحقِّ.

وهذا هو القاعدةُ الكبرى ، والحُجَّةُ العُظْمَى لجميع الكفَّار من الأولين والآخرين ، التي وقفوا بها في وجه الرسل عليهم السلام ، الذين أرسلَهم الله تعالى إليهم مُبَشِّرِيْنَ ومُنْذِرِيْنَ ، قال الله سبحانه: ﴿**وَكَذَلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ آبَآءَنَا عَلَىَ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىَ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ**﴾ [الزخرف:٢٣]. ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾ [البقرة:١٧٠].

إلى غير ذلك مِمَّا في كتاب الله تعالى من الآياتِ الدالةِ على أنَّ أهلَ الجاهليَّةِ كانوا في غايةِ الضَّلاَلِ والجهل ؛ بسبب التقليد ، لا يُحَكِّمُون لَهُمْ رأياً ، ولا يُعمِلونَ لهم عقلاً ، ولا يُشغِلونَ لهم فكراً في البحث عن الحقِّ والهدى.

ولذلك تاهوا في أودية الجهالة. وعلى طريقتهم كلُّ من سلك مسلَكَهم في أيِّ عصرٍ كان.

فأهلُ الجاهليَّةِ -عباد الله- جَعَلُوا مَدَارَ احْتِجَاجِهم على عدمِ قبول الحقِّ الذي جاء به الرسولُ المصطفى ﷺ أنَّه لم يكن عليه أسلافُهم ، ولا عَرَفُوه في آبائهم وأجدادهم ، فانظروا يا عباد الله إلى سُوْءِ مَدَارِكِهم ، وجُمُودِ قَرَائِحِهم ، وضَعْفِ عقولِهْم ، وإن زعموا أنَّهم أصحابُ العقول ، وأربابُ الأحلام ؛ فإنَّ العقولَ السليمةَ ، والفِطَرَ السويَّةَ تَأْنَفُ من اتِّباعِ ما لم تَقْطَعْ بفائِدَتِهِ ، ولم تتيقَّنْ من صَوَابِهِ.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُواْ وَاصْبِرُواْ عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۞ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ﴾ [ص:٦-٧].

وهم بهذا قد اتَّخَذُوا آباءَهم وأسلافَهم أرباباً من دون الله تعالى ، يُحِلُّون ما أحلَّوا ، ويُحرِّمونَ ما حَرَّمُوا ، وقد قرأ المصطفى ﷺ قولَ الله تعالى: ﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوَاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُوَاْ إِلَهاً وَاحِداً لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]، على عَدِيِّ بنْ حَاتِمٍ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ مُسْلِماً ، فَقَالَ عَدِيٌّ: إنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوْهُمْ، فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ : « أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئاً اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئاً حَرَّمُوهُ ».

[رواه الترمذيُّ]

أيُّها المسلمون:

إنَّ اتِّباعَ العاداتِ وتحكيمَ التقاليدِ كان سبباً في مجانبةِ المشركين للحقِّ ، وعدمِ اتِّباعِهِم الرَّسولَ ﷺ فيما دعاهُم إليه، وقد بَرَزَ هذا جَلِيًّا في أبي طالب، الذي امتنعَ عن الإسلام ، رَغْم اعتقادِه بِصِدْقِ الرَّسولِ الكريم ﷺ، وثقتِه بِمَا كان عليه من هدىً وصوابٍ.

عن سعيد بن المسيَّب عن أبيه قال: ((لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: أَيْ عَمِّ ! قُلْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ ؟! فَلَمْ يَزَالاَ يُكَلِّمَانِهِ حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ عَلَى: مِلَّةِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ. فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ. فَنَزَلَتْ: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ ، وَنَزَلَتْ: ﴿ **إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ** ﴾)).[رواه البخاريُّ ومسلم]

كلُّ ذلك عَصَبيَّةٌ للأسلافِ ، واتِّباعٌ للتقاليدِ والعاداتِ الباطلةِ .

والعَصَبيَّةُ والتمسُّكُ بتراث الأسرةِ والعشيرةِ والجمودِ على ما كان عليه الأولون من عاداتٍ سقيمةٍ ، والتكبُّرُ والإعراضُ عن الحقِّ –معاشرُ الإخوة– كانت في مقدِّمَةِ العواملِ المَرضِيَّةِ التي جَعَلَتْ أبا جَهْلِ بنِ هِشَامٍ يقولُ: (تنازعنا نحنُ وبنو عبدِ مُنافٍ الشرف ؛ أطعموا ، فأطعمنا ، وحملوا، فحملنا ، وأعطوا ، فأعطينا ، حتَّى إذا تحاذَيْنَا على الرُّكَبِ ، وَكُنَّا

كَفَرَسَي رِهَانٍ قَالوا: مِنَّا نَبِيٌّ يأتيه الوحيُ من السماءِ ، فمتى نُدركُ مثلَ هذه ، وا لله لا نؤمنُ به أبداً ، ولا نُصَدِّقُهُ).

عباد ا لله:

وقد برزَ هذا التقليدُ الأعمى والاتِّباعُ الأَعْوَجُ لما كان عليه الآباءُ والأجدادُ في حياتهم الدينيَّةِ واضحاً جليًّا ، وما شُرب الخمر ، والتفاخُرُ بها ، وظهورُ البغايا ، ووأدُ البنات وهُنَّ أحياءٌ ، وقتلُ الأبناءِ خشيةَ الفقر ، وعبادةُ القبورِ والأصنامِ ، وظهورُ العصبيَّةِ القَبَلِيَّةِ ذاتِ الشعارِ الجاهليِّ: انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمَاً أو مَظْلُومَاً ، وشنُّ الغاراتِ والحروبِ سلباً ونهباً إلاَّ تقليدٌ أعمى ، واتِّباعٌ أَرْعَنٌ لِمَا كان عليه الاباءُ والأسلافُ ، توارثوه جيلاً بعد جيلٍ ، حتَّى صَارَ السِّمَةَ البارزةَ لمجتمعهم ، وحُجَّتُهم في ذلك هي الحُجَّةُ الدَّاحِضَةُ التي يتعَلَّلُ بها المشركون على أنبياءِ ا للهِ ورسله عليهم السلامُ ، ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَآ آبَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** ﴾ [الزخرف:٢٣].

ومع مُضيِّ الزمن صارت هذه التقاليدُ المتبوعة ، والعاداتُ الموروثةُ ديناً يُتَّبَعُ ، وخُلُقاً يُحْتَذَى ، فلا يجوزُ المساسُ بها ، ولا يصحُّ الخروجُ عنها ، حتَّى كادَ العاقِلُ منهم أن يُلغي عقلَه أمامَ شَبَحِ العاداتِ الموروثة والتقاليدِ المتحَكِّمَةِ في النفوسِ والمجتمعاتِ.

بارَكَ ا للهُ لي ولكم في القرآن العظيم ، ونَفَعَنَا جميعاً بهدي سيِّدِ المرسلين ، أقولُ ما تسمعونَ ، وأستغفرُ ا لله لي ولكم ولسائر المسلمين من

كلِّ ذنبٍ وخطيئةٍ فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

*** * ***

●الخطبة الثانية:

الحمدُ لله تعالى ، شرحَ صدورَ المؤمنين لعبادته وطاعته ، وأعانَهم على ذكره وشكرِه ، وجنَّبَهُم بِمَنِّهِ وكَرَمِهِ ما ظهرَ من الفواحشِ وما بَطَنَ، وأشهدُ أن لا إلـه إلاَّ الله وحدَه لا شريكُ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، وخيرتُه من خلقهِ ، بَعَثَهُ بالدين القَويمِ ، والصِّرَاطِ المستقيمِ ، إلى العالمين بشيراً ونذيراً ، فصلَّى اللهُ عليه وعلى آلهِ وصحبِه ومن سارَ على نَهْجِهِ واتَّبَعَ هُدَاهُ إلى يومِ الدِّيْنِ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فـاتَّقوا الله رحمكـم الله ، خِفُـوا مـــن الجليــل ، واعملــوا بــالتنزيل ، واستعدُّوا ليومِ الرَّحِيل ، ثمَّ اعلموا رعاكم الله: أنَّ النفوسَ مُغرَمةٌ بـالتقليد والمحاكاة ، ولكنَّ الفَرْقَ واضحٌ بين من يُقلِّدُ مُهْتَـدٍ يَجْنِـي ثِمَـارَ صلاحِـهِ وفلاحِهِ ، وبين من يُقلِّدُ هَالِكاً ضَالاًّ يَتَجَرَّعُ غُصَصَ طَيْشِهِ وضَلاَلِه.

وما من معصيةٍ تُرتكبُ ، ولا سيئةٍ تُجـترحُ إلاَّ بسـببِ تقليـدٍ ومتابعـةٍ، والشيطانُ هو المُسوِّلُ للجميع أن يرتكبوا المعاصي ، ويَقَعُـوا في السَّيِّئَاتِ ، عن طريق إيقاعِ أصحاب القلوب الضعيفة ، والنفوس المريضة في حَبَائِله.

ذكر ابنُ جريرٍ –عليه رحمة الله– في قصةِ اقتتال ابـني آدم: (أنَّ قـابيلَ لَمَّا أرادَ قتلَ أخيه هابيلَ جَعَلَ يلوي عُنُقَه ، لا يعرفُ كيـف يقتلـه، فـأخذَ الشيطانُ دَابَّةً ووضعَ رأسَها على حجرٍ ، ثمَّ أخذَ حجراً آخرَ فضـرب بـه رأسَها حتى قتلها ، وابنُ آدم ينظرُ إليه ، ففعلَ بأخيه مثـلَ ذلـك ، فقتلَـه ، فأصبح من الخاسرين).

أيُّها المسلمون:

إنَّ اتِّباعَ العادات الباطلة ، والتقاليد الفاسدة هو السببُ المباشرُ في ترك الحقِّ وعدمِ اتِّباعِه ؛ لأنَّ أصحَابَها يُقدِّمونَها على السُّنةِ.

ولقد قرَّرَ أهلُ العلم أنَّ من جـانبَ الحـقَّ ، وسـلكَ غـيرَ طريقِـه في أيِّ زمانٍ ومكانٍ بحُجَّةِ أنَّه رأى أباه أو غيرَه يفعله فإنَّ فيه خصلـةً مـن خصـال الجاهليَّة الممقوتة ؛ لأنَّ المسـلمَ مُتَعَبَّـدٌ بـالدليل ، وإذا ثبـت أمـرُ الله تعـالى ونهيُه وجبَ الاتِّباعُ والاجتنابُ ولو كان في خلافه ما تهوى الأنفسُ.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ا للهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ا للهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً﴾ [الأحزاب:٣٦].

معاشرُ المسلمين:

وما أكثرُ الذين يرتكبون المحرَّماتِ بحُجَّةِ أنَّ غيرَهم يفعلُها ، فهناك بين المسلمين من يتعاملُ بالربا مثلاً لأنَّ فلاناً من الناسِ يفعلُه ، ويقول: لو كان محرَّماً لم يفعله فلان.

وبعضُ الناسِ يستمعُ إلى آلات اللَّهْوِ المحرَّمَةِ بما فيها من غناءٍ وفسادٍ، مُتَعَلِّلاً بقوله: إنَّ فُلاَناً -مع صلاحِه وَوَرَعِهِ كما يزعمُ- أدخلها في بيته ، أو ظهرَ فيها.

وكم نرى كثيراً من هُواةِ شُرب الدُّخان المحرَّمِ وهم يقولون: لو كان محرَّماً لَمَا أتى إلينا ، ولَمَا سُمِحَ ببيعه في أسواقنا.

وبعضُ من قلَّ نصيبُه من الغيرةِ الشرعيَّةِ يجعلُ السائقَ الأجنبيَّ يَخْلُو بنسائِهِ وبناتِهِ بحُجَّةِ أنَّ فُلاَناً من الناس فَعَلَ هذا.

وتلك هي طريقةُ الجاهليين ، ومسلكُ أهل الضلال في القديم والحديث، يتركون نصوصَ الكتابِ والسُّنةِ وراءَهم ظِهريَّاً ، ويَتَعَلَّلُون بأفعالِ الجهلةِ وأهلِ الهوىَ والشهوةِ.

قال الشاطبيُّ -رحمه ا لله-: (من أسباب الخلافِ: التَّصْمِيْمُ على اتِّباعِ العَوَائِدِ وإن فَسَدَتْ أو كَانَتْ مُخَالِفَةً للحَقِّ ، وهو اتِّباعُ ما كان عليه الآباءُ والأَشْيَاعُ وأشباهُ ذلك ، وهذا هو التقليدُ المذمومُ).

وقد ذكر سماحةُ الشيخ محمدُ بن إبراهيمَ -عليه رحمة الله-: النوعَ السادسَ من أنواعِ الكفرِ الأكبرِ المُخرجِ من الملّةِ ؛ وهو كفرُ الاعتقادِ ، فقال: (السادسُ: ما يحكمُ به كثيرٌ من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم ، من حكاياتِ آبائهم وأجدادِهم ، وعاداتِهم التي يُسَمُّونَها سُلُومَهُم ، يتوراثون ذلك منهم ، ويحكمون به ، ويحرصون على التحاكم إليه عند النزاع ؛ بقاءً على أحكامِ الجاهليَّةِ ، وإعراضاً ورغبةً عن حكم الله تعالى ورسوله ، فلا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ بالله).

عباد الله:

وهؤلاء على ضلالِهم وجهلِهم حُجَّتُهم المزعومةُ أنَّهم قَلَّدُوا عاداتٍ، واتَّبعوا تقاليداً ورثوها عن آبائهم وأجدادهم الذين مضوا من قبل.

أمَّا المصيبةُ العظمى والبليَّةُ الكبرى فهي ما بُلي به المسلمون في هذا العصر من تقليدِ الكفرة ، ومحاكاتهم ، والتشبُّه بهم ، واتِّباعِ عاداتهم الوافدة ، وتقليدِ أفكارهم الهدَّامةِ ، وتلك لعمرُ الله قَاصِمَةُ الظهر ، ومُصِيْبَةُ الدَّهْرِ ؛ لأنَّ التقليدَ ثَمَرَةُ الولاءِ لَهُمْ.

ومن أصول عقيدتنا ، وأُسسِ ديننا: مخالفةُ الكافرين ، والبراءةُ منهم؛ لأنَّ أعمالهم مبنيَّةٌ على الفسادِ والضَّلاَلِ ، والتشبُّه بهم ، والتقليدُ لهم يوقعُ المسلمَ في التَّبَعِيَّةِ لهم ، ومن تشبَّهَ بقومٍ فهو منهم.

وفي هذا المشَّاقَّةُ الواضحةُ لله تعالى ورسولِه ﷺ ، واتِّباعُ غيرِ سبيل المؤمنين ، ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىَ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً** ﴾ [النساء:١١٥].

وإنَّ المسلمَ يا عباد الله لَيُصابُ بالأسى والحُرقةُ على أحوال كثيرٍ من أبنائنا والمنتسبين إلينا ؛ الذين يَلهثون وراءَ العاداتِ الوافدةِ من الأعداء ، والتي لقيت –بسبب ضعف الإيمان في نفوس المسلمين ، وانعدامِ الولاء والبراء عندهم– قبولاً لدى كثيرٍ منهم ، وهم مع ذلك يحسبون أنَّهم يُحسنون صُنْعَاً ، من قَصَّاتٍ للشعرِ تعافُها سَوَائِمُ الحيوان، ومشاكلةٍ في الملابس والهيئة يعافُها أصحابُ الأذواقِ السليمةِ، ومن تقليدٍ لهم في الكلام والتصرُّفات ، حتَّى لرُبَّمَا ترى بعضَ ابنائنا –مع شديد الأسف– وهم يَتَجَوَّلُون في الشوارع بذلك الزِّيِّ ، وتلك الهيئة ، فتظنُّه من أولئك القوم.

وقس على هذا ما وقع فيه النساءُ في مجتمعاتنا من محاكاة المشركات في لباس الشُهرةِ والعُريِّ والتفسُّخ والانحلال.

بل لقد وصل الحالُ ببعض المنتسبين إلى الإسلام إلى شدَّةٍ ملحوظةٍ في تقليد اليهود والنصارى حتى لو مشوا عُراةً لمشى هذا الضعيفُ المقلِّدُ عُرْيَانَاً ، وهو يظنُّها موضةً حديثةً ، تقليداً لهم ، وحُبَّاً لما صنعوا.

وصدق المصطفى ﷺ حين قال: « لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ؛ شِبْرَاً شِبْرَاً وَذِرَاعَاً بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ قَالَ: « فَمَنْ ؟! ». [أخرجاه في الصحيحين]

فاتَّقوا الله عباد الله ، واعلموا أنَّ الخيرَ كلَّه والعزَّ كلَّه في السير على منهج الله الذي ارتضاه للبشريَّةِ ؛ الإسلامِ الدينِ الوَسَطِ ، واتِّباعِ سُّنةِ رسوله ﷺ والقرون الثلاثة المفضَّلةِ ، ولن يَكْمُلَ لعبدٍ إيمانُه حتَّى يصدُقَ تبرُّؤه من المشركين ، وولاؤه للمؤمنين.

وصلُّوا وسلِّموا على من أمرَكـم الله تعـالى بـالصَّلاةِ والسَّـلامِ عليـه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُـواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحـزاب:٥٦]. وقـال ﷺ : « مَـنْ صَلَّـى عَلَـيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَاً ». [رواه مسلم]

المنافقون وخطرهم على الإسلام والمسلمين

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى عليه وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أمَّا بعدُ: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله سبحانه وتعالى حقَّ التقوى ، فبتقوى اللهِ تبارك وتعالى تزكو الأعمالُ ، وتصلحُ الأحوالُ. أكثروا من ذكرِهِ سبحانه فبذكره تطمئِّنُ القلوبُ ، وتهدأُ النفوسُ.

عباد الله:

لقد مُنِيَ الإسلامُ منذُ بزُوغِ فجره ، وظهور أمره وقيام دولته في مدينة رسولِ الله ﷺ بخصومٍ ألِدَّاءَ ، وأعداءٍ خُبَثَاءَ ، يستترون بلباس التقوى ، ويُكِنُّونَ العِدَاءَ الأكيدَ والحقدَ الدفينَ على الإسلام والمسلمين، ويكمُنُ خطرُهم في انخداع الناسِ بهم ؛ لإظهارِهم الإسلامَ وإبطانِهم الكفرَ والنفاقَ والضلالَ ، فهم ليسوا بمؤمنين صِدْقَاً فيُؤمَنون، ولا كُفَّارَ ظاهراً فيُعْرَفُونَ ويُحْذَرُونَ ، ﴿ **مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَىَ هَـؤُلآءِ وَلاَ إِلَى هَـؤُلآءِ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً** ﴾ [النساء:١٤٣].

أولئِكُمْ معاشرُ المسلمين هم المنافقون ؛ أعداءُ الأُمَّةِ الذين فرَّقُوا صُفُوفَها ، وزَعْزَعُوا أَمْنَها ، وأورَدُوها مواردَ السُّوءِ والمهَالِكِ دونَ أن يُنْتَبَه لخطرهم ، ويُحْذَرَ كيدُهم.

أيُّها المسلمون:

النفاقُ داءٌ عُضالٌ ، وشرٌّ ووبالٌ ، يكونُ الرجلُ ممتلئاً به وهو لا يشعرُ، فيزعُمُ أنَّه مصلحٌ وهو مفسدٌ ، ويدَّعي أنَّه مؤمنٌ وهو أضرُّ على الإسلام من اليهود والنصارى.

المنافقونَ -رعاكم الله- أعداءٌ للإسلامِ والمسلمين وإن رَفعوا رايةَ الإسلامِ في فترةٍ من الفترات، وتحدَّثُوا عنه زَمَناً من الأزمان؛ بهدف استِقْطَابِ الرأيِ العامِّ، وجَذْبِ مشاعرِ المسلمين.

نعم! أيُّها الإخوة:

هم أعداءٌ للمسلمين، بل إنَّهم أخطرُ أعدائِهم على الإطلاقِ؛ حيثُ يخفى أمرُهم على الكثيرِ من المسلمين.

ولقد هَتَكَ الله تعالى أستارَ المنافقين، وكشفَ أسرارَهم في القرآن، وجلَّى لعبادهِ أمورَهم ليكونوا منهم على حَذَرٍ وحَيْطَةٍ. وذكرَ طوائفَ العالمِ الثلاثَ في أوَّلِ سورة البقرة: المؤمنين، والكفارَ، والمنافقين، فذكرَ في المؤمنين أربعَ آياتٍ، وفي الكفارِ آيتين، وفي المنافقين ثلاثَ عشرةَ آيةٍ؛ لكثرتِهم، وعمومِ الابتلاءِ بهم، وشِدَّةِ فِتْنَتِهم على الإسلامِ وأهلِهِ، فإنَّ بَلِيَّةَ المسلمين بهم شديدةٌ؛ لأنَّهم محسوبون عليه، ومنسوبون إليه، وإلى نُصْرَتِه وموالاتِه، وهم أعداؤهُ في الحقيقة، يُخرجون عداوتَه في كلِّ قالبٍ يظنُّ الجاهلُ أنَّه علمٌ وإصلاحٌ، وهو غايةُ الجهلِ والإفساد.

المنافقون -عباد الله-: أحسنُ الناسِ أجساماً، وأخلبُهم لساناً، وألطفُهم بياناً، وأخبثُهم قلوباً، وأضعفُهم جناناً، **﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾** [المنافقون:٤].

قال الأَوزَاعِيُّ -رحمه الله-: (إنَّ المؤمنَ يقولُ قليلاً ، ويعملُ كثيراً، وإنَّ المنافقَ يتكلَّمُ كثيراً ، ويعملُ قليلاً).

المنافقون: يأمرون بالمنكر بعدَ أن يفعلوه ، وينهونَ عن المعروف بعد أن يتركوه ، ويَبْخَلونَ بالمالِ في سبيلِ الله أن ينفقوه ﴿ **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ الله فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [التوبة:٦٧].

لبسوا ثيابَ أهلِ الإيمان على قلوبِ أهلِ الزَّيْغِ والخُسْرَانِ ، فالظواهرُ ظواهرُ الأنصار ، والبواطنُ بواطنُ الكفار ، يقولون آمنَّا با لله وباليوم الآخرِ وما هم بمؤمنين. إن أصابَ المسلمين خيرٌ اغتمُّوا وتكَدَّرُوا ، وإن أصابهم سوءٌ فَرِحُوا واسْتَبْشَرُوا.

يُرى الرجلُ منهم بين المؤمنين في الصلاةِ والذِّكْرِ والزُّهْدِ والجهَادِ ، ﴿**وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَا لله لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ الله أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ [البقرة:٢٠٥-٢٠٦].

﴿ **اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ الله إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [المنافقون:٢] ؛ ﴿ **وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾ [التوبة:٥٤] ؛ ﴿ **يُخَادِعُونَ الله وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَهُمُ الله مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُون * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُوَاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَ يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ**

كَمَآ آمَنَ النَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ آمَنَ السُّفَهَآءُ أَلآ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَآءُ وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة:٩-١٦].

أيُّها المسلمون:

ما أقبحَ صفاتِ القومِ ، وما أضلَّ سعيَهم ، لقد كادَ القرآنُ كلُّه أن يكون حديثاً عن المنافقين ؛ لعظيمِ خطرِهم ، وعُمُومِ البَلْوَى بهم.

ما إن بدأت شَوْكَةُ الإسلام تظهرُ في المدينة وتقوى ، حتى كشَّرَ المنافقون عن أنيَابهم ، وأظهروا حِقْدَهم وعداوتَهم للإسلام والمسلمين، يتربَّصُونَ به الدَّوَائِرَ ، ويَتَسَلَّلُونَ لِوَاذًا إلى اليهودِ والمشركين يَـأُزُّوْنَهم على قِتَالِ الرسولِ ﷺ وأتباعِه أزًّا. يَسْتَغِلُّونَ كلَّ حادثةٍ ، ويتلقَّفُون كلَّ شَائِعَةٍ؛ لنَشْرِها وتَفْخِيْمِها بقَصْدِ البَلْبَلَةِ وإثَارَةِ الفِتْنَةِ ، وتحطيمِ معنويَّات الصحابة -رضي الله عنهم- ، يتزَّعَمُهم كبيرُهم الذي علَّمَهم النِّفاقَ عبدُ الله بنَ أُبيٍّ بنِ سَلُوْل.

ففي غزوة بدرٍ لَّما اسْتَنْفَرَ النبيُّ ﷺ أصحَابَه لمُلاَقَاةِ عِيرِ المشركين تثاقلوا عن الخروجِ معه بحُجَّةِ أنَّه لن يكونَ هُنَاكَ قِتَالٌ، فلماذا يخرجون؟!

وفي معركةِ أُحُدٍ انْخَذَلَ ابنُ سَلُوْلٍ بثلثِ الجيش المسلم بعد خروجهِ من المدينةِ ، ورجعَ بهم بحُجَّةِ أنَّ النبيَّ ﷺ أطاعَ الأنصارَ وعصَاهُ.

واسْتَمِعْ -أخي المسلم- إلى قول الله تعالى عنهم: ﴿ **وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِم مَا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ [آل عمران:١٥٤].

أمَّا في غزوة الأحزابِ: فقد كان تآمرُهم خطيراً وكيدُهم عظيماً ، يَسْعَونَ لتثبيطِ المسلمين عن القتال ، وتخويفِهم من بَأْسِ الأحزاب ، يقولون: ﴿ **مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً** ﴾ [الأحزاب:١٢].

وطائفةٌ يفرُّون إلى بيوتِهم ، ﴿ **يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً** ﴾ [الأحزاب:١٣].

وطائفةٌ ثالثةٌ يُعوِّقونَ عن القتال ، ويُخَذِّلونَ عن رسولِ اللهِ ، ويقولون لإخوانِهم هَلُمَّ إلينا ، وهم قَابِعُونَ في جُحُورِهم في المدينة.

وفي بني المُصْطَلِقِ قال ابنُ سَلُوْلٍ قولتَه الكُفْرِيَّةَ الشهيرة: ﴿**يَقُولُونَ لَئِن رَجَعْنَآ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ** ﴾ [المنافقون:٨]. فقال له عُبَادَةُ ابنُ الصَّامِتِ -رضي اللهُ عنه-: إئْتِ رسولَ اللهِ يستغفرَ لك. فَلَوى رأسَهُ معرضاً مستكبراً ، ثمَّ سعى بالفتنة بينَ الأنصار والمهاجرين حتَّى كادوا يقتتلون. ثمَّ تزعَّمَ بعد ذلك قصةَ الإفْكِ على زوج النبيِّ ﷺ أُمِّ المؤمنين عائشةَ -رضي الله عنها- ، وأخذَ المنافقون ينشرون الخبرَ في المدينة حتَّى نزلت بَراءَتُها ؛ قرآناً يُتلى إلى يوم الدين.

ولَمَّا اسْتَنْفَرَ رسـولُ ا للهِ ﷺ أصحابَـه لحـرب الـروم في غـزوةِ تبـوك ، بَعُدَتْ على المنافقين الشُّـقَةُ ، وقـال بعضُهـم لبعـضٍ: لا تَنْفِـرُوا في الحـرِّ ، زَهَادةً في الجهاد ، وتشكيكاً في الحقِّ ، وإرجافـاً برسـولِ ا للهِ ﷺ ، فـأنزل ا للهُ تعالى قوله: ﴿ **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِـلاَفَ رَسُـولِ ا للهِ وَكَرِهُـوٓاْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ا للهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَآءً بِمَـا كَـانُواْ يَكْسِبُونَ** ﴾ [التوبة: ٨١-٨٢].

واجتمعوا في بيت سُوَيْلِمِ اليهـوديِّ ، يُثبِّطُونَ النـاسَ عـن الخـروجِ مـع رسولِ ا للهِ ﷺ ، ويُرَغِّبونَهـم في البقاءِ في المدينة ، حيثُ الثمارُ قـد طـابت والظلالُ قد زانت.

قال رسولُ ا للهِ ﷺ يوماً للجَدِّ بنِ قَيْـسٍ -وهـو مـن كبـار المنـافقين-: «هَلْ لَكَ هَذَا العَام فِي جِلاَدِ بنِي الأَصْفَر -يعني الرُّوْم- ؟ فقال: يـا رسـولَ ا للهِ أَوَتأذنُ لي فلا تفتِنِّي ؟! فوا للهِ لقد عرف قومي أنَّه ما من رجـلٍ أشـدُّ عُجْبَاً بالنساءِ مِنِّي ، وإنِّي أخشى إن رأيتُ نساءَ بني الأصفـرِ أن لا أصـبر. فأعْرَضَ عنه رسـولُ ا للهِ ﷺ ، وقـال: قَـدْ أَذِنْـتُ لَـكَ ». فـنزلَ قـولُ ا للهِ سبحانه: ﴿ **وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** ﴾ [التوبة: ٤٩]. [رواه ابنُ إسحاق ورجالُه ثقاتٌ]

أمَّا القِلَّةُ التي خرجت مع الجيش الإسلامي من المنافقين فقد كان همُّهم السُّخْرِيَةُ واللَّمْزُ والهَمْزُ برسولِ ا للهِ ﷺ وصحابتـه -رِضْـوَانُ ا للهِ عليهـم- يقولون: ما رأينا مثل قُرَّائِنَا هؤلاءِ أَرْغَبَ بطوناً ولا أَكْذَبَ أَلْسُنَاً ولا أَجْبَنَ

عندَ اللِّقَاءِ ، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة:٦٥-٦٦].

وكان من أخطرِ مُخَطَّطَاتِ المنافقين أن هَمُّوا بقتلِ النبيِّ ﷺ ، وإلقائهِ عن راحِلَتِه ، وهَمُّوا بما لم يَنالُوا ، فلم يَكُنِ الله تعالى لِيُمكِّنَهم من ذلك ، ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠].

أيُّها المسلمون:

وما تُرِكَ من مؤامراتِ المنافقين وحقدِهم ودسائسِهم ضدَّ المسلمين عظيمٌ ، فالقومُ ذوو تأريخٍ أسودَ ضِدَّ المسلمين ، لا يزال شرُّه وخبثُه مستمرٌّ حتى عصرِنا الحاضِرِ.

ولكنَّ الله تعالى يقولُ: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً * إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ للهِ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ [النساء:١٤٥-١٤٦].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفَعَنَا بما فيه من الآياتِ والذِّكْرِ الحكيمِ ، وأستغفرُ اللهَ فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه كان للأوَّابين غفوراً.

*** * ***

●الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على إحسانهِ، والشكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَهُ تعظيماً لشأنهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الداعي إلى رضوانهِ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ، وأصحابهِ، وإخوانِه، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد: أيُّها المسلمون:

في الصحيحين عن ابنِ عُمَر -رضي اللهُ عنهما- أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقَاً خَالِصَاً، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا؛ إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».

فالنفاقُ -عباد الله- ضررُه عظيمٌ ، وشرُّه مستطيرٌ ، ما أَمِنَ النفاقَ إلاَّ مُنَافِقٌ ، وما خافَه إلاَّ مؤمنٌ ، وقد يتَّصِفُ الإنسانُ بصفةٍ من صفات المنافقين ، ويتلَّبسَ بخصلةٍ من خصال النفاق دون أن يشعرَ أنَّه منافقٌ نسألُ اللهَ السلامَةَ من ذلك.

والنفاقُ عباد الله نوعان:

نوعٌ مخرجٌ من الملَّةِ، يوجبُ الخلودَ في نار جهنَّمَ عياذاً باللهِ تعالى ؛ وهو النفاقُ الأكبرُ ، وهو أن يُظهرَ الإنسانُ للمسلمين إيمانَه بالله ، وهو في

الباطنِ مُنسلخٌ من ذلك كلِّه لا يؤمنُ با لله تعالى ولا بملائكتِه ولا بكتبه ولا برسله ولا باليوم الآخر.

ونوعٌ **لا يُخرجُ** من المِلّة لكنَّ صاحبَه على خطرٍ عظيمٍ إن لم يَتُبْ إلى ا للهِ تعالى منه ، وهو النفاقُ الأصغرُ ، وقد حدَّدَ النبيُّ ﷺ أهمَّ خصاله ، ووضَّحَ صفاتهِ ، فقال: « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ». [متفقٌ عليه]. وعندَ مسلمٍ: « وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ».

وما أكثرُ الذين يَعِدُونَ ولا يوفون ، فقد صارت مواعيدُ المسلمين إلاَّ من عصم ا لله كمواعيدِ عُرْقُوبٍ. وما أكثرُ الذين يكذبون في الحديث لأدنى سببٍ ، ناهيكَ عمَّن أضاعوا الأمانةَ.

المنافقون أيُّها المسلمون:

قد يُصَلُّونَ ويصومونَ ويحُجُّونَ ويعتمرونَ ، وقد يبنونَ المساجدَ وينفقونَ أموالَهم في سبيل ا لله ، ويتحَدَّثونَ باسمِ الإسلامِ ، ويشهدون الجُمَعَ والجماعاتِ ، ولكنَّهم مع كلِّ هذا منافقون ، في قلوبهم مرضٌ فزادهم ا للهُ مرضاً.

فقد كان عبدُ ا لله بنُ أُبيٍّ بنُ سَلُوْلٍ رأسُ المنافقين في المدينة على عهدِ رسولِ ا لله ﷺ يتحَدَّثُ بين يَدَيْ رسولِ ا لله ، ويدعو قومَه لنُصرة الإسلام ، والوقوفِ مع المسلمين.

وبنى المنافقون مسجدَ الضرارِ بالمدينة ، إرصاداً لمن حارب الله ورسولَه من قبل ، وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين.

وكانوا يُقاتلون مع رسولِ الله ﷺ ، وقد قُتلَ منهم نفرٌ كثيرٌ.

وكانوا يفعلون كثيراً من الخير في الظاهر ، ولكنّهم في الباطن يكيدون للإسلام والمسلمين ، ويحيكونَ ضدَّه المؤامراتِ للقضاءِ عليه ، وصدقَ الله تبارك وتعالى إذْ يقول: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ** ﴾ [البقرة: ٢٠٤]. ﴿ **وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ** ﴾ [التوبة: ٥٤].

أيُّها المسلمون:

ما أكثرَ المنافقين في هذه الأيام لا كَثَّرَهُم الله ؛ الذين يعيشون على حِسَابِ المسلمين ، مِمَّن يُثَبِّطُونَ المؤمنين عن نُصْرَةِ دينهم وأُمَّتِهم ، ويُصَوِّرون للمسلمين ضَعْفَ قُوَّتِهم وقِلَّةَ حيلَتِهم ، وأنَّ الكافرين هم الأقوى ، ويعملون على إبعادِ المسلمين عن عقيدتهم ، ومبادئِهم ، وتعاليمِ دينِهم السَّمْحَةِ.

عباد الله:

لقد قطع الخوفُ من النفاق قلوبَ الصالحين ، فكانوا يتخَوَّفونَه ويستعيذونَ باللهِ تعالى منه ، ويسألون بعضَهم البعضَ مخافةَ أن تكونَ

صفاتُه فيهم وهم لا يشعرون. سَاءَتْ ظنونُهم بأنفسِهم حتّى خشوا أن يكونوا من جُمْلَةِ المنافقين.

قال عمرُ بنُ الخَطّابِ لحُذيفةِ بنِ اليَمَانِ -رضي الله عنهما-: (يا حُذَيْفَةُ ! نشدتُكَ بالله هل سمّانِي لكَ رسولُ اللهِ ﷺ منهم ؟. قال: لا يا عُمَرُ ، ولا أُزَكّي أحداً بعدَكَ). وهو عُمَرُ الذي ما سَلَكَ وادياً إلاّ سَلَكَ الشيطانُ وادياً غيرَه.

وقال ابنُ أبي مُلَيْكَةَ: (أدركتُ ثلاثينَ من أصحابِ محمدٍ ﷺ كلُّهم يخافُ النفاقَ على نفسِه ، ما منهم أحدٌ يقولُ إنَّ إيمانَه كإيمانِ جِبْرِيْلَ ومِيْكَائِيْلَ).

والصحابةُ الذين أدركهم ابنُ أبي مُلَيْكَةَ -رحمه الله- كان منهم عائشةُ ، وأختُها أسماءُ ، وأبو هريرة ، والعبادِلَةُ الأربعةُ ، وعليُّ بن أبي طالب ، وسعدُ بنُ أبي وَقّاصٍ -رضي الله عنهم أجمعين- ، فإذا كان هؤلاء مع فضلِهم وسبقِهم يخافونَ النفاقَ فكيف بنا ، والله المستعان!

ألا فاتّقوا الله تبارك وتعالى أيُّها المسلمون ، واحذروا صِفَاتِ المنافقين ، وأفعالَهم ، ثم صلُّوا وسلِّموا رحمكم الله على محمدِ بنِ عبدالله....

❧ ❧ ❧

الحياء ومكانته في الإسلام

● **الخطبة الأولى:**

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضَلَّ له ، ومن يُضْلِلِ فلا هادِيَ له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريكَ له ، شرعَ لنا ديناً قويماً ، وهدانا إليه صراطاً مستقيماً ، وأشهدُ أنَّ نبيَّنَا وحبيبَنا محمداً عبدُ الله ورسولُه ، أرسله هادياً ومبشِّراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبَلَّغَ الرسالةَ وأدَّى الأمانةَ ، ونصحَ الأُمَّةَ ، حتَّى تركَها على مثل البيضاءِ لا يَزِيْغُ عنها إلاَّ هَالِكٌ ، فجزاه الله عن أُمَّته خيرَ ما جزى نبيّاً عن قومهِ ، وصلَّى الله وسلَّم وباركَ عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله تبارك وتعالى واشكروه على ما هداكم للإسلامِ ، وجعلَكُم من أُمَّةِ خَيْرِ الأَنَامِ عليه الصلاةُ والسلامُ ، راقبوه ولا تعصوه، واعلموا أنَّكم لديه محضرون ، وعلى أعمالكم محاسَبُونَ ، وعلى تفريطِكم نادمون.

عباد الله:

الآدابُ والأخلاقُ عنوانُ صلاحِ الأُمَمِ والمجتمعات ، ومعيارُ فلاح الشعوب والأفراد ، ولها الصِّلَةُ العُظْمَى بعقيدةِ الأُمَّةِ ومبادئِها ، بل إنَّها التجسيدُ العَمَلِيُّ لِقِيَمِ الأُمَّةِ ومثُلِها ، وعنوانُ تمسُّكها بالعقيدة ، ودليلُ التزامها بالمنهج السليم ، والصراطِ المستقيمِ ، ولا يَتِمُّ التَّحَلِّي بالأخلاقِ العالية والآدابِ الساميةِ إلاَّ بتَرْوِيْضِ النفوسِ على نبيل الصفاتِ وكريم السجايا والعادات ، تعليماً وتهذيباً ، واقتداءً وتقويماً.

ومن شموليَّةِ هذا الدين وعظَمَتِه: أنَّه دينُ الأخلاقِ الفاضلةِ ، والسجايا الحميدةِ ، والصفاتِ النبيلةِ ، جاءت تعاليمُه وقِيَمُه بالأمر بالمحافظة على الأخلاقِ الحسنةِ في كلِّ أحوالِ المسلمين ؛ صغيرِها وكبيرِها ، دقيقِها وجليلِها ، أفراداً ومجتمعات ، وأُسَرَاً وجماعات ، ويكفي لبيان ذلك أن يَحْصُرَ النبيُّ ﷺ مُهِمَّةَ بعثتِه ، وهدفَ رسالته في إصلاح الأخلاق وتهذيبها بقوله: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ)).[رواه البخاري]

وإنَّما الأممُ الأخلاقُ ما بَقِيَتْ ... فإن هُمُوا ذهبتْ أخلاقُهم ذهبوا

أيُّها المسلمون:

وقد جعل الإسلامُ للأبواب الواسعة من الأخلاق الفاضلةِ والسجايا الحميده ، والخِصَالِ الحسنةِ جعلَ لها مفتاحاً واحداً ، وعنواناً واضحاً ودليلاً ظاهراً به يُقاسُ معيارُ الخلُقِ ؛ جميلهِ أو قبيحهِ ، ذلكم يا معاشرُ المسلمين هو خُلقُ الحياء ؛ الحياءُ من ا لله والحياءُ من الناس.

بذلك جاءت وصايا الرسولِ الكريم ﷺ لأُمَّتِهِ في كثيرٍ من أقواله وتوجيهاتِه التربويَّةِ .

عن ابنِ عُمَرَ –رضي ا للهُ عنهما–: أَنَّ رَسُولَ ا للهِ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ ، فَقَالَ رَسُولُ ا للهِ ﷺ : «دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ». [متفقٌ عليه]

وعن عِمْرَان بن الحُصين –رضي ا للهُ عنه– قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ ا للهِ ﷺ : «الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إلاَّ بخَيْرٍ». [متفقٌ عليه] وفي روايةٍ لمسلمٍ: «الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ، أَوْ قَالَ: الحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ».

وعن أبي هريرة –رضي ا لله عنه قال: قالَ رَسُولُ ا للهِ ﷺ : «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ ا للهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ». [متفقٌ عليه]

وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ –رضي ا لله عنه قال: «كَانَ رَسُوْلُ ا للهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ». [متفقٌ عليه]

الحياءُ -عباد الله- هو خُلُقُ الإسلامِ الفاضل الذي يحملُ على تركِ القبيحِ من الصفات والأفعال والأقوال ، ويمنعُ من التقصير في حقِّ ذي الحقِّ سبحانه وتعالى ، وذلك عندما يرى العبدُ آلاءَ اللهِ ونعمَه عليه ويرى تقصيرَه في شكرها والقيام بحقِّها ، وعبوديَّةِ الله تعالى على الوجه الذي شرعه سبحانه دون تفريطٍ أو إفراطٍ.

الحياءُ: هو امتناعُ النفسِ عن فعل ما يُعابُ ، وانقباضُها من فعل شيءٍ أو تَرْكِه مخافةَ ما يعقبُه من ذمٍ ولَوْمٍ.

والدعوةُ إلى التخلُّقِ بالحياء وملازمته إنَّما هي دعوةٌ إلى الامتناعِ عن كلِّ معصيةٍ وشرٍّ ، فالحياءُ خَلَّةٌ من خِلال الخيرِ ، وشُعبةٌ من شُعَبِ الإيمان وعليه مدارُ كثيرٍ من أحكام الإسلام.

قال الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ -رحمه الله-: (من عَلامات الشِّقْوَةِ: القَسْوةُ في القلبِ ، وجُمُودُ العَيْنِ ، وقِلَّةُ الحياءِ ، والرَّغْبَةُ في الدُّنيا ، وطُولُ الأملِ).

عباد الله:

الحياءُ أصلُ الخير والعقل ، وتركُه أصلُ الشرِّ والجهل ، فالحياءُ يدلُّ على كمالِ عقلِ صاحبِهِ ، فمتى وُجِدَ في الإنسان الحياءُ وُجِدَ فيه الخيرُ كلُّه ، ومتى فارقَه الحياءُ قادته نفسُه وشيطانُه إلى الهلاك المحتوم ، وأورداه مواردَ الفساد:

إذا قلَّ ماءُ الوجهِ قلَّ حياؤه ... فلا خيرَ في وجهٍ إذا قلَّ ماؤه

حياءَكَ فاحفظهُ عليكَ فإنَّما يدلُّ على وجهِ الكريمِ حياؤه

بالهَيْبَةِ والحياء -عباد الله- تُعمرُ القلوبُ ، وتزكو النفوسُ ، فإذا ذهبا من القلب لم يَبْقَ فيه خيرٌ ، وعلى قدر حياةِ القلب تكون قُوَّةُ الحياءِ ، وقِلَّةُ الحياء من موتِ القلبِ والرُّوْحِ.

إذا لم تَخْشَ عاقبَةَ الليالي ولم تَسْتَحِ فاصنعْ ما تشاءُ
فلا واللهِ ما في العيشِ خيرٌ ولا الدُّنيا إذا ذهبَ الحياءُ
يعيشُ المرءُ ما استحيا بخيرٍ ويبقى العودُ ما بَقِي اللَّحَاءُ

من قَوِيَ حياؤه صانَ عِرْضَهُ ، ودفَنَ مساوئَه ، ونشرَ محاسنَه ، وكان ذكرُه عندَ الناسِ محموداً ، وعندَ الله مرفوعاً. ومن ذهب حياؤه ذهبَ سرورُه ، وظهرت مساوئُه ، ودُفِنَتْ محاسنُه وكان عند الناس مُهاناً وعندَ الله ممقوتاً ، قال المصطفى ﷺ : « الحَيَاءُ وَالإِيْمَانُ قُرِنَا جَمَيْعَاً ، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ ». [رواه الحاكمُ وصحَّحه]

وقد وردَ في بعضِ الآثار: (أنَّ الله تعالى إذا أبغضَ عبداً نزعَ منه الحياءَ، فإذا نُزِعَ منه الحياءَ لم تلْقَهُ إلاَّ بَغِيْضَاً مُبغَضَاً).

عباد الله:

وكما يستحيي المسلمُ من الخلقِ فلا يكْشِفَ لهم عورةً ، ولا يُقصِّرَ لهم في حقٍّ ، ولا يُنكرَ لهم معروفاً فإنَّ عليه أن يستحيي من الخالقِ سبحانه فلا يُقصِّرَ في طاعته ، ولا في شكر نعمته ، لما يرى من قُدْرَةِ الله عليه وعلمه

به ، فا للهُ أحقُّ أن يُستحيى منه ، ومن استحيى من ا لله حقَّ الحياءَ حَفِظَ الرأسَ وما وعى ، والبطنَ وما حَوَى ، وذكرَ الموتَ والبلَى ، وتركَ زينةَ الحياة الدُّنيا وشكرَ نعمةَ ا لله تعالى عليه ، وأدركَ عظمتَه واطِّلاعه عليه وإحاطتَه بعباده ، وقربَه منهم وعلمَه بخائنةِ الأعيُنِ وما تُخفي الصدور ، ثمَّ رجع على نفسه فحاسَبَها على التقصير ، فلا يراه ا للهُ حيثُ نهاه ، ولا يَفْقِدُه حيثُ أمره.

قال عُمَرُ -رضي ا للهُ عنه-: (مَن اسْتَحْيَا اخْتَفَى ، وَمَن اخْتَفَى اتَّقَى ، وَمَن اتَّقَى وُقِيَ).

عباد ا لله:

ومن ثمرات الحياء : العِفَّةُ والوفاءُ ، فمن اتَّصفَ بالحياء صار عفيفاً وفيًّا بعيداً عن كلِّ مَنْقَصَةٍ ، قريباً من كلِّ فضيلة. قال الأحنفُ بنُ قَيْسٍ -رحمه ا لله-: (اثنتان لا تجتمعانِ أبداً في بشرٍ: الكذبُ والمروءةُ، ومن ثَمَراتِ المروْءَةِ الصِّدقُ والوفاءُ ، والعِفَّةُ والحياءُ).

أيُّها المسلمون:

وإذا فُقِدَ الحياءُ من المرءِ فقلْ عليه السلامُ ، فقد هبطَ إلى ميدان الرذيلةِ، وهَوَى في دَرَكَاتِ الحماقةِ والوَقَاحَةِ ، ولم تزلْ خطواتُه تقوده من سيئةٍ إلى أُخرى حتى يصيرَ بَذِئاً جافِيًا فيه قبائحُ الأفعالِ وسيُّ الأقوال.

قال رسولُ ا لله ﷺ : « إِنَّ ا للهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ عَبْداً نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تَلْقَهُ إِلا مَقِيتاً مُمَقَّتاً، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلا

مَقِيتاً مُمَقَّتاً نُزِعَتْ مِنْهُ الأَمَانَةُ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الأَمَانَةُ لَمْ تَلْقَهُ إلا خَائِناً مُخَوَّناً، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إلا خَائِناً مُخَوَّناً نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ لَمْ تَلْقَهُ إلا رَجِيماً مُلَعَّناً، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إلا رَجِيماً مُلَعَّناً نُزِعَتْ مِنْهُ رِبْقَةُ الإِسْلَامِ ». [أخرجه ابنُ ماجة وغيُره]

وعند البخاري من حديثِ أبي مسعودٍ الأنصاري -رضي الله عنه- أنه ﷺ قال: « إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ ».

الحياءُ عباد الله سراجٌ منيعٌ ، وحصنٌ حصينٌ من الوقوع في المعاصي والمحرَّمات ، فمن ذهبَ حياؤه ذهبت مروءتُه ، ومن ذهبت مروءتُه قلَّ إحساسُه ، فلم يَدْرِ عيبَ الناس ، وانتقاصَهم.

ورُبَّ قبيحةٍ ما حالَ بيني وبين ركوبها إلاَّ الحياءُ
فكان هو الدواءُ لها ولكن إذا ذهبَ الحياءُ فلا دواءُ

وما عانت المجتمعاتُ يا عباد الله من المِحَن ، وانتشرت فيها الإِحَنُ وتتابعت عليها الفتنُ إلاّ يومَ ضاعَ الحياءُ ، فاستبيحت المحرّماتُ ، وعانقَ الناسُ الرذيلةَ ، وأُقصيت الفضيلةُ بدعوى الحضارةِ والتمّدُن.

هل ضُيِّعَتِ الصَلَواتُ ، وعُطِّلَتِ أحكامُ الدين إلاَّ يومَ قلَّ الحياءُ من اللهِ ، وابتعدَ الناسُ عن الدين ؟!

وهل وقعَ في المعصيةِ من وقعَ إلاَّ يومَ قلَّ حياؤه من اللهِ تعالى فاستهانَ به سبحانه حتى جعلَه أهونَ الناظرينَ إليه؟!

وهل ظهرَ الاختلاطُ بين الرجال والنساءِ ، وانتشرتِ المعاكساتُ ، وعمَّ الفسادُ إلاَّ حينَ كَسَرَتِ المرأةُ حجابَها ، ودَفَقَتْ ماءَ حيائِها ، وضاعَ من وجهِها العفافُ فخرجت إلى المنتديات ، وتَسَكَّعَتْ في الأسواق والطرقات ، وأَغْرَتْ ضِعَافَ النفوس وعدِيْمِي الحياءِ والمروءةِ ، وأدمت قلوبَهم فوقعوا في الجرائم والفواحش ؟!

وهل فُقِدت الغيرةُ من الرجال فَسَمَحوا لنسائهم بمشاهدة الأفلام الماجنةِ والمسلسلات الخليعةِ ، والوقوع في المحرَّمات من اختلاطٍ بالخدم والبَاعَةِ، والخروجِ مع السائقين والسفَلَةِ إلاَّ حين ضاعَ منهم الحياءُ ، وفَشَتْ فيهم الدِّيَاثَةُ ؟! أعاذنا الله وإيَّاكم منها.

نعم ! عباد الله:

اينَ الحياءُ مِمَّن شُغِفُوا بالأغاني الماجنةِ ومزاميرِ الشيطان فأزعجوا بها الناسَ في طُرُقاتِهم ومنازلِهِم؟! بل وأين الحياءُ مِمَّن ضيَّعوا أبناءَهم في الشوارع يُخالطون قُرناء السوء ، ويُصاحبون ذوي الأخلاق الرديئَةِ؟! وأينَ الحياءُ من المُدخِّنِ الذي ينفثُ الدُّخانَ من فمه في وجوه جُلسائه ومنَ حولَه دون مبالاةٍ بشعورِهم ؟! وأينَ الحياءُ من الموظف الذي يستهترُ بالمسئولية المُلقاة على عاتقه ، ويتعاملُ مع المراجعين بكلِّ صلَفٍ ورعونةٍ؟! وأين الحياءُ من التاجر الذي يخدعُ الناسَ ويغشُّ في السلعِ ويكذبُ في المعاملة ؟!

إنَّ الذي حملَ هؤلاء وغيرَهم على النزولِ إلى هـذه المستويات الهابطـةِ من الأخلاق والتعامل هو ذهابُ الحياء ، وصدق المصطفى ﷺ حين قـال: « إِذَا لَمْ تَسْتَحيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ ». [رواه البخاري]

وإذا أُصيبَ القومُ في أخلاقِهم فأَقِـمْ عليهـم مأتَماً وعَوِيْلاً

اللهُم إنَّا نسألُكَ التُّقَى والهُدى والعفافَ والغنى ، اللهُم جَنبْنَا الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطن ، واهْدِنَا لأَقْـوَمِ الأخـلاق ، لا يهـدي لأحسـنِها إلاَّ أنتَ ، واصْرِفْ عنَّا سَيِئَها يا ربَّ العالمين.

أقولُ مـا تسـمعون وأسـتغفرُ الله فاسـتغفروه وتوبـوا إليـه إنَّـه هـو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

●الخطبة الثانية:

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه كما يُحبُّ ربنا ويرضى ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لاشريكَ له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتقوا اللهَ أيُّها المسلمون ، واعلموا رحمكم الله أنَّه إذا كان الحياءُ محموداً والوَقَاحَةُ مذمومةً فإنَّه لا حياءَ في الدين ؛ بمعنى: أنَّ خُلقَ الحياء في المسلم غيرُ مانعٍ له من قولِ الحقِّ ، أو طلبِ العلم ، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

تقولُ عائشةُ -رضي الله عنها-: « نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ لَمْ يَمْنَعْهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتفقَّهْنَ فِي الدِّينِ ». وقد ترْجَمَ عليه الإمامُ البخاري رحمه اللهُ في صحيحه بقولِه: (بَاب الْحَيَاءِ فِي الْعِلْمِ؛ وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لا يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ مُسْتَحْيٍ وَلا مُسْتَكْبِرٌ) ، ثمَّ ساقَ حديث عائشةَ السابقَ.

وقد شفعَ أسامةُ بن زيدٍ حبُّ رسولِ الله وابنُ حِبِّهِ -رضي الله عنه في المرأة التي سرقت، فلم يَمْنَعِ الحياءُ رسولَ الله ﷺ أن يقولَ لأسامةَ في غضبٍ: « أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله ؟! ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ

فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا ». [رواه البخاري ومسلم]

ولم يمنعِ الحياءُ أُمَّ سُلَيمٍ الأنصاريةَ -رضي الله عنها- أن تقولَ: يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ ؟ فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « نَعَمْ ! إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ ». فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَجْهَهَا وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ ! أَوَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ ؟! قَالَ: « نَعَمْ ! تَرِبَتْ يَمِينُكِ فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا ». [متفقٌ عليه]

وقد خطبَ عمرُ -رضي الله عنه- مرةً فأمرَ بالسمْعِ والطاعةِ ، وكان عليه ثوبان ، فقامَ أحدُ المسلمين ، وقال: لا سَمْعَ ولا طاعةَ يا عُمَرُ ! عليك ثوبان وعلينا ثوبٌ واحد ! فنادى عمرُ بأعلى صوته: يا عبد الله بن عمر، فأجابَه ولدُه: لبيكَ أبتاه ، فقال له: نشدتُكَ اللهَ أليسَ أحدُ ثوبيَّ هذا هو ثوبُكَ أعطيتَنيه ؟ قال: بلى والله. فقال الرجلُ: الآنَ نسمعُ ونطيعُ يا عمر.

فاتقوا اللهَ رحمكم الله ، واعلموا أنَّ الحياءَ الممدوحَ هو الذي يكفُّ صاحبَه عن مساوئَ الأخلاق ، ويحملُه على فعل ما يُجمِّلُه ويزَينُه. أمَّا الحياءُ الذي يمنعُ صاحبَه من السعي فيما ينفعه دُنْيَاً وأُخْرَى، فإنَّه حياءٌ مذمومٌ ، وتَخْذِيْلٌ من الشيطان ، فاتقوا الله أيُّها المسلمون ، واحْرِصُوا على خُلُقِ الحياء سلوكاً ومنهجاً وتربيةً وواقعاً تعيشون عليه فالحياءُ خيرٌ كلُّه.

ثمَّ صلُّوا وسلِّموا على من أمركم الله تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ». [رواه مسلم]

۞ ۞ ۞

الأمانة والمسئولية

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا ، من يهده اللهُ فلا مُضِلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، شرع لنا ديناً قويماً ، وهدانا إليه صراطاً مستقيماً ، وأشهدُ أنَّ نبيَّنَا وحبيبَنا محمداً عبدُ الله ورسولُه ، أرسله هادياً ومبشِّراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبلَّغَ الرسالةَ وأدى الأمانةَ ، ونصحَ الأُمَّةَ ، حتَّى تركها على مثل البيضاء لا يزيغُ عنها إلاَّ هالكٌ ، فجزاه الله عن أُمَّتِه خيرَ ما جزى نبيًّا عن قومِه ، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا اللهَ تبارك وتعالى واشكروه على ما هداكم للإسلام ، وجعلكم من أُمَّة خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، راقبوه ولا تعصوه ، واعلموا أنَّكم لديه محضرون ، وعلى أعمالكم محاسبون ، وعلى تفريطِكم نادمون.

عباد الله:

يقولُ اللهُ تبارك وتعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِم قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىَ صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ** ﴾ [المعارج:٣٢-٣٥]. ﴿ **أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [المؤمنون:١٠-١١].

أيُّها المسلمون:

لا قيمةَ للحياة مهما تيَسَّرت فيها سُبُلُ الرَّخاءِ ، وتنوَّعَت فيها وسائلُ المُتَعِ والملذَّاتِ دون أن يشعرَ الإنسانُ فيها بالأمان من البوائِقِ والسلامةِ من الشرورِ ، ويَنْعَمَ بظلِّ الأمنِ الوَارِفِ ، وحتَّى تستقِرُّ القلوبُ في حنايا الصدور ، ولا يتحقَّقُ ذلك إلاَّ بالإيمانِ الصادق با لله، والقيام بالأمانات الموكولة إلى الناس ، فالأمانةُ أُمُّ الفضائلِ، ومنبعُ الطُمَأنينةِ ، وهي من أبرز أمارات الإيمان ، ودلائل التقوى ، بل إنَّ الإيمانَ نفسَه أمانةٌ في عُنُقِ العبد فلا إيمانَ لمن لا أمانةَ له ، ولا دينَ لمن لا عهدَ له.

الأمانةُ –عباد الله– أجلُّ صفاتِ المسلمِ التي تظهرُ بها ديانتُه ، ويتأكَّدُ بها إيمانُه ، وتتجلَّى من خلالها عبقريَّتُه ، وقوَّةُ إرادتِه.

فهي الفضيلةُ العظمى ، والمسئوليةُ الكبرى التي تُصانُ بها الحقوقُ ، وتُحفظُ بها الواجباتُ من الضياع. إنّها الفريضةُ التي يتواصى المسلمون برعايتها ، ويستعينون با للهِ تعالى على حفظِها ، حتّى إنَّ أحدَهم ليوَدِّعُ أخاه في سفره بقوله: « اسْتَوْدِعِ ا للهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَآخِرَ عَمَلِكَ ». [رواه الترمذيُّ]

أيُّها المسلمون:

إنَّ الأمانةَ مسئوليَّةٌ عظيمةٌ ، وعِبءٌ ثقيلٌ إلاَّ على من يسرَّه ا للهُ عليه ، ولقد أمرَ ا لله عباده المؤمنين بالمحافظةِ على الأمانةِ ، وأدائِها إلى أهلِها ، وأن يَحْكُموا بين الناسِ في تقويمِ أفعالِهم وتصرُّفاتِهم ، والحكمِ بينهم بالعدل ، وهذان أمران عظيمان لا تقومُ الأمانةُ إلاَّ بهما ، ﴿ **إِنَّ ا للهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَىَ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ ا للهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ ا للهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً** ﴾ [النساء:٥٨].

قال رسولُ ا للهِ ﷺ : « أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ ». [رواه أحمدُ وأهلُ السنن]

وقال أنسُ بن مالكٍ -رضي ا لله عنه-: ما خَطَبَنَا نبيُّ ا للهِ ﷺ إلاَّ قال: « لاَ إِيْمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ ». [رواه أحمدُ]

وقد كان ﷺ يقولُ: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ ». [رواه أبو داود، والنسائيُّ، وابنُ ماجه]

قال ميمونُ بن مِهْرَانَ -رحمه الله-: (ثلاثةٌ يُؤديَّنَ إلى البرِّ والفاجرِ: الأمانةُ ، والعهدُ ، وصِلَةُ الرَّحِمِ).

وفي منثور الحِكَم: أربعٌ يسودُ بِهنَّ العبدُ: الأدبُ ، والصِدْقُ ، وأداءُ الأمانةِ ، والمروءةُ. وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ -رضي الله عنه-: (من كانت له عندَ الناسِ ثلاثٌ وجبت له عليهم ثلاثٌ: من إذا حدَّثَهم صدقَهم، وإذا ائتمنوه لم يَخُنْهُم ، وإذا وعدَهم وفَّى لهم ، وجَبَ له عليهم أن تُحبَّهُ قلوبُهم، وتَنْطِقَ بالثناءِ عليه ألسنتُهم ، وتظهرَ له معونتُهم).

عباد الله:

لقد فرض الإسلامُ على المسلمين الأخذَ بخلقِ الأمانةِ ، وحرَّمَ عليهم أن يسلكوا مسالكَ الخيانةِ ، فمن كان أميناً كان مطيعاً لربِّه في إسلامه، ومن كان خائناً كان عاصياً لربِّه في إسلامه ، وربَّما وصلَ لحالةٍ يكون فيها مجروحَ الإسلام والإيمان.

قال رسولُ اللهِ ﷺ : « وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ!». قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: «الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ ». [متفقٌ عليه] ؛ والبوايقُ: هي الغوائلُ والشرورُ والخيانات.

وقال ﷺ : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ». [رواه الترمذيُّ والنسائيُّ، وأصلُه في الصحيحين]

بل لقد جعلَ المصطفى ﷺ الخيانَةَ علامةً بارزةً من علاماتِ النِّفَاق، حيثُ قالَ ﷺ : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ ». [متفقٌ عليه، واللَّفظُ لمسلمٍ]

قال ﷺ : « يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلاَلِ كُلِّهَا إِلاَّ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ ». [رواه أحمدُ]

عباد الله:

ولقد كانت الأمانةُ من أبرزِ أخلاقِ الرُّسُلِ عليهم الصلاةُ والسلامُ؛ لأنَّها شرطٌ أساسٌ لاصطفائِهم بالرِّسَالةِ ، فلولا أن يكونوا أُمناءَ لَمَا استأمنَهم الله على رسالاتِه لخلقهِ ؛ لأنَّ الأمينَ هو وحدَه الذي يوثَقُ به في نقلِ الأخبارِ وتبليغِ الرِّسَالاتِ. ولا غرو فرُسلُ اللهِ يُختارون على علمٍ من الله تعالى واصطفاءِ من أشرفِ الناس طبعاً وأزكاهُم معدناً.

ولقد قصَّ اللهُ علينا في القرآن قصصَ نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ وشعيبٍ وغيرِهم من الأنبياء والرُّسُلِ عليهم الصلاةُ والسلامُ كلٌّ منهم قال لقومه: إنِّي لكم رسولٌ أمينٌ فاتّقوا الله وأطيعون.

وكان لنبيِّنا محمدٍ ﷺ القِدْحُ المُعلَّى في ذلك؛ فقد كان معروفاً في قومه بالصادقِ الأمين ، يَسْتَوْدِعُونَهُ على ودائعِهم مع كفرِهم بما جاء به ، وعدوانِهم له ولدينِه ولأتباعِه ، إلاَّ أنَّهم أيقنوا في قرارة نفوسِهم أنَّه الصادقُ الأمينُ ، ومع ذلك لم يَحْمِلْهُ بغضُهم إيَّاه ، ومحاربتُهم له على

التفريطِ في ودائعهم ، بل ردَّها إليهم ، وأمرَّ على الباقي عليًّا إبَّانَ مُهَـاجَرِه إلى المدينةِ ليردَّه إلى أصحابهِ ، وتلك لعمرُ اللهِ صِفَـاتُ العُظَمـاءِ، وخِصَـالُ الكُرَمَاءِ التي يسودونَ بها العالَمَ.

أيُّها المسلمون:

ولئن كانت الأمانةُ عظيمةَ القدرِ حميـدةَ الذكـر فإنَّهـا واسـعةُ الدلالـةِ، ترمزُ إلى معانٍ شتَّى مناطُها جميعاً شعورُ المرءِ بتَبِعَتِه في كلِّ أمرٍ يوكَـلُ إليـه وإدراكُه الجازمُ بأنَّه مسئولٌ عنه أمامَ اللهِ على النحو الذي فصَّلَهُ قولُه ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْـئُولٌ عَـنْ رَعِيَّتِـهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْـئُولٌ عَـنْ رَعِيَّتِـهِ، وَالْمَـرْأَةُ رَاعِيَـةٌ فِـي بَيْـتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِـي مَـالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَـنْ رَعِيَّتِهِ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». [رواه البخاري ومسلم]

إنَّ الأمانةَ في الإسلام قيامٌ بالمسئوليَّةِ في جميعِ الوجوهِ ، وكلِّ المستويات في علاقةِ العبدِ بربِّهِ ، وعلاقته بنفسِه ، وعلاقته بالناسِ أجمعين. وتَمْتَـدُّ مـع شُمُولِيَّةِ الإسلامِ إلى كـلِّ مِرْفَـقٍ مـن مرافـقِ الحيـاةِ ؛ في الرَّاعِـي والرَّعِيَّـةِ ، والإدارةِ والسياسةِ ، والتعليمِ والتربيةِ ، والصناعةِ والتجارةِ.

ومن أهمِّ أَوْجُهِ الأمانـةِ حفـظُ العبـدِ جوارَحـه وحواسَّـهُ عـن الحرامِ ، ومعرفتُه نعمَ اللهِ عليه في أهلِهِ ونفسِه ومالِهِ ، والقيامُ بشكرِها ، وذلك كلُّه مضبوطٌ بأن لا يختارَ الإنسانُ لنفسه إلاَّ الأنفعَ والأصلحَ في الديـن وشئون الحياة ، وأحوالِ البيتِ ، وأمورِ الأسرة ، وتربيةِ الأهل .

ومن الأمانة حفظُ حقوقِ الجُلَسَاءِ والأصدقاءِ ؛ فإنَّ المجالسَ بالأمانة إلاَّ ثلاثةَ مجالس: سفْكُ دمٍ حرامٍ ، أو فرجٍ حرامٍ ، أو اقتطاعُ مالٍ بغير حقِّه. فكم من حبالٍ تقطَّعَت ، ومصالحَ تعطَّلَتْ بسبب إفشاءِ الأسرارِ، والغيبة والنميمة والتجسُّس على المسلمين.

ومن أَوْجَبِ الأمانات: حفظُ الودائعِ التي يودعُها الناسُ عند بعضِهم ليحفظوها ويردُّوها عندَ طَلَبِها ، وسَدَادُ الديون لأهلِها ، فقد قال المصطفى ﷺ : « مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ ».[رواه البخاريُّ]

ومن الأمانةِ -كذلك- القيامُ بالحقوقِ والأعمالِ الموكولة إلى الموظفين والعاملين ، وإنَّها لأمانةٌ يُمَجِّدُها الإسلامُ حقًّا أن يُخْلِصَ الرجلُ في عملِهِ ، وأن يُعنى بإجادَتِه ، وأن يسهرَ على حقوقِ الناسِ التي وُضِعَتْ بينَ يديهِ ، فإنَّ استهانةَ الفرد بما كُلِّفَ به وإن كان تافهاً تَسْتَتْبِعُ شيوعَ التفريطِ في حياة الجماعة المسلمةِ كلِّها ، ثم استِشْرَاءُ الفسادِ في كَيَانِ الأُمَّةِ ، وتداعيه برُمَّتِه.

ومن أَوْجُهِ الأمانةِ: القيامُ بما حَمَّلَهُ اللهُ سبحانه حُرَّاسَ المِلَّةِ وحَمَلَةَ الشريعة وورَثَةَ الكتاب أن يُبيِّنوه للناسِ ولا يكتمونه ، وأن يُعلِّموا الناسَ، ويوجِّهوهم ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر ، استجابةً لأمر الله القائل: ﴿ **وَإِذَ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** ﴾ [آل عمران:١٨٧].

عباد الله:

ومن أعظم مجالات الأمانةِ: أمانةُ الكلمة إذْ بها تُهدمُ أممٌ وتُبنى دولٌ ، وتنهارُ شعوبٌ ، وتُحمى ممالكٌ ، فكم من كلمةٍ خائنةٍ لا يُلقي لها قائلُها بالاً يهوي بها في النار أبعدَ مِمَّا بين المشرقِ والمغربِ ، تكونُ سبباً في هدم كيانٍ مستقيمٍ ، وتخريبِ بناءٍ منتظمٍ. وكم من كلمةٍ مَوْبُوْءَةٍ لم تُلقَ للمسئوليَّةِ بالاً فرَّقَتْ أُمَمَاً، وحطَّمَتْ أُسَرَاً ، وصدَّعَتْ مجتمعاتٍ عامرةً ، فرَّقَتْ بين الابنِ وأبيهِ ، والأخِ وأخيه ، والزوجِ وزوجهِ ، والجارِ وجارِه حتَّى صارَ حبلُ المودَّةِ مقطوعاً ، وصِلَةُ القرابة منبوذةً.

وكم من كلمةٍ كاذبةٍ تجرَّدَتْ من الأمانةِ أُكِلَتْ بها حقوقٌ ، واقتُطِعَ بها مَمَالِكٌ ، وانتُهِبَتْ بها أموالٌ ، تحريفاً وتزويراً وتدليساً وغِشَّاً، وإذا اختلَّتْ أمانةُ الرجالِ -عباد الله- سقطَ البناءُ ، وسُلِبَ الأمنُ ، وضاعت الحقوقُ ، وتَفَتَّحَتْ أبوابُ الفقرِ والفاقةِ ، وعميت على الأُمَّةِ سُبُلُ النجاح والفلاحِ ، فانقرَضُوا بفسادٍ أو تسلَّطَ عليهم أهلُ جبروتٍ أقوياءٌ فساموهم سوءَ العذاب.

ألا فاتَّقوا الله معاشرَ المسلمين ، وقوموا بما حُمِّلْتُم به من أماناتٍ ، وسدِّدُوا وقارِبُوا وافعلوا الخيرَ لعلَّكم تُرحمون ، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الأنفال:٢٧].

باركَ ا للهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ وفي سُنَّةِ الرَّسُولِ الكريمِ ، ونَفَعَنا بما فيهما من الآياتِ والذِّكْرِ الحكيمِ ، اقول قولي هذا وأستغفرُ ا للهَ فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

●الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيِّباً مُبارَكاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضى ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ ا للهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسولُه صلَّى ا للهُ وسلَّمَ وباركَ عليه وعلى آلِهِ وصحبِه أجمعين.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا ا للهَ أيُّها الناس ، واعلموا رحمكم ا لله أنَّ الأمانةَ عبءٌ ثقيلٌ، ومسئوليَّةٌ كبرى عرضَها ا للهُ على السمواتِ والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفَقنَ منها ، وحملها الإنسانُ لجهله وظلمه.

قال ابنُ عباسٍ –رضي ا لله عنهما–: (الأمانةُ الفرائضُ ، عرضَها ا للهُ على السمواتِ والأرضِ والجبال إن أدَّوها اثابَهُم، وإن ضيَّعُوها عذَّبَهم ،

فكرِهُوا ذلك ، وأشفقوا عليه من غيرِ معصيةٍ ، ولكن تعظيماً لدينِ ا لله تعالى أن لا يقوموا بها ، ثمَّ عرضَها على آدمَ فقبِلَها بما فيها جهلاً منه وظلماً لنفسه ، فما كان إلاَّ مقدارُ ما بين العصرِ إلى الليلِ من ذلك اليوم حتَّى أصابَ آدمُ الخطيئةَ).

عباد ا لله:

إنَّ الأمانةَ دِعامةُ بناءِ الأممِ ، ومستقرُّ أساسِ الدول ، وباسطُ ظلالِ الأمن والعدل ، ومُشيِّدُ أبنيَةِ العزِّ والمجدِ ، متى ما فُقِدَتْ من أُمَّةٍ من الأمم اجتاحتها الآفاتُ المهلكةُ ، والرزايا القاتلةُ ، وأصابها الفقرُ المُعْوِزُ والذُلُّ المُعْجِزُ ثمَّ لا تلبثُ أن تكون هشيماً تذروه الرِّيَاحُ.

روى أهلُ السير أنه لَمَّا فتحَ المسلمون مدائنَ العراقِ في عهد الخليفة الراشدِ عمرَ بنِ الخطَّابِ -رضي ا لله عنه- دخلَ القائدُ المسلمُ سعدُ بن أبي وقَّاصٍ -رضي ا لله عنه- قصرَ كسرى ، فأخذَ جُندُ المسلمين الغنائمَ العظيمةَ من كنوزِ الأكاسرةِ من الذهب والفضَّةِ والخيل المسوَّمَةِ والأنعام والحَرْثِ ، ثمَّ أرسلَ بها سعدٌ إلى عمرَ خليفةِ المسلمين ، وحملَ المسلمون هذه الكنوزَ بكلِّ أمانةٍ وصدقٍ ، فلمَّا دخلوا على عمرَ قال: إنَّ قوماً حملوا هذا لأُمَنَاءٌ . فقال له عليٌّ -رضي ا لله عنه-: لقد عفَفْتَ يا أميرَ المؤمنين فَعَفَّتْ رَعِيَّتُكَ ، ولو رَتَعْتَ لرَتَعَتْ.

فليعلم كلُّ صاحبِ منصبٍ أو ولايةٍ أو إدارةٍ أنَّـه في مقـامِ القـدوةِ لمـن تحت يدهِ من أبناءٍ وزوجاتٍ وموظفين ، فليتقِ ا لله فيما حُمِّلَ من الأمانة ، قياماً بالمسئوليِّةِ ورعايةً للواجب.

عباد ا لله:

وإنَّ الناظرَ في أحوالِ كثيرٍ من الناس إلاَّ مـن عَصَـمَ ا للهُ لا يكـادُ يـرى للأمانة أثراً في تعـامُلِهم مـع الآخريـن ؛ بيعـاً وشـراءً وقرضـاً ووديعـةً، وفي القيام بما كُلِّفوا به من الفرائض ؛ صلاةً وزكاةً وصياماً وتقوى ، وفي حفظ من ولاَّهُمُ ا للهُ أمرَه من أهلٍ وزوجةٍ وقرابةٍ وأرحامٍ وأُجـراءِ، ومـا أنصفـوا وا لله أُناسٌ حَمَّلَهُم ا للهُ أمانةَ المسـلمين فَغَشُّـوا ودَلَّسُوا وخَدَعُـوا وكَذَبُـوا وفَرَّطُوا ، أضـاعوا الحقـوقَ وأكلـوا الأمـوالَ ، ودَنَّسُـوا الأعـراضَ ، وهـذا مِصْدَاقُ ما أخبر به النبيُّ ﷺ فيما رواه حُذيفةُ بنُ اليَمَانِ -رضي ا لله عنه- قـال: « حَدَّثَنَـا رَسُـولُ ا للهِ ﷺ حَدِيثَيْـنِ قَـدْ رَأَيْـتُ أَحَدَهُمَـا وَأَنَـا أَنْتَظِـرُ الآخرَ؛ حَدَّثَنَا أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُـوبِ الرِّجَـالِ، ثُـمَّ نَـزَلَ الْقُـرْآنُ فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ؛ قَـالَ: يَنَـامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِـنْ قَلْبِـهِ، فَيَظَـلُّ أَثَرُهَـا مِثْـلَ الْوَكْـتِ -الأَثَـرُ اليسيرُ في الشيءِ-، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ فَيَظَلُّ أَثَرُهَـا مِثْـلَ الْمَجْلِ -الدُّملُ في اليَدِ- كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِـكَ فَنَفِـطَ فَتَرَاهُ مُنْتَـبِراً وَلَيْسَ فِيهِ شَـيْءٌ، ثُـمَّ أَخَـذَ حَصَـىً فَدَحْرَجَـهُ عَلَـى رِجْلِـهِ، فَيُصْبِـحُ النَّـاسُ

يَتَبَايَعُونَ لاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلاً أَمِيناً، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ». [متفقٌ عليه]

وهذا -عباد الله- مُنْذِرٌ بخطرٍ عظيمٍ وشرٍّ جسيم ؛ إذْ هو علامةٌ من علامات القيامة ، قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: بينما كانَ رسولُ الله ﷺ يُحدِّثُ إذْ جاءَ أعرابيٌّ فقال: مَتَى الساعةُ ؟ قالَ: « إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ الساعةَ ». قالَ: وَكَيْفَ إِضَاعَتُها ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ الساعةَ ». [رواه البخاريُّ]

عباد الله:

صلُّوا وسلِّموا على من أمركم الله تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ الله وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ». [رواه مسلم]

اللَّهُم صَلِّ وسلِّمْ على عبدِك ورسولِك محمدٍ ......

أهمية الزواج والأنكحة الباطلة في الإسلام

● الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الواحدِ الأحدِ ، الفردِ الصمدِ ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، والصلاةُ والسلامُ على أفضلِ المُصْطَفَيْنِ محمدٍ، وعلى آلهِ وصحبِه ومن تعبَّدَ.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله معاشرَ المسلمين فإنَّ تقوى الله سبحانه وتعالى هي الزادُ المُبَلِّغُ ، و الطريقُ الموصلُ إلى جناتِ النعيم ؛ ﴿ **ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً** ﴾ [الطلاق:٥].

عبادَ الله:

يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الروم: ٢١].

عباد الله:

الزواجُ في الإسلام عقدٌ شريفٌ مباركٌ ، شرعَه الله تبارك وتعالى لمصالحِ عبادِه ومنافعِهم ؛ ليَظْفَرُوا منه بالمقاصدِ الحسنةِ والغايات الشريفة ، وهو ضروريٌّ للإنسان ؛ لأنَّ الله تعالى خلق الزوجين ؛ الذكرَ والأنثى ، وركَّبَ في كيان كُلِّ واحدٍ منهما الميلَ إلى الآخر ، فطرةُ اللهِ التي فطرَ الناسَ عليها ، والذي يُعاندُ هذا الميلَ الفطريَّ يُحَمِّلُ نفسَه رَهَقاً ، ويُكلِّفُها شَطَطاً ، ويُسَبِّبُ لها عَنتاً.

وعندما تُغالبُ الفطرةُ فإنَّها في النهاية تَغلِبُ من يُعاندُها ، ومن ثَمَّ يتفجَّرُ هذا الكبتُ المُغَالَبُ ، فيُدمِّرُ المجتمعاتِ في انحرافٍ عن السلوك السويِّ ، وارتكابٍ للفواحش والمحرَّماتِ ؛ من زِناً ولواطٍ وسِحَاقٍ ، والتي هي في حقيقتها انتكاسٌ في الفطرة ، وارتكاسٌ في أرْذَلِ بُؤْرَةٍ.

والزواجُ -عباد الله- هو السبيلُ الأمثلُ الذي شرعَه الله لإعفافِ كلِّ واحدٍ من الزوجين نفسَه ، وإحصانِ فرجَه ، حتَّى لا يقعَ في الفاحشةِ ، ولا يسلكَ مسلكاً خاطئاً في قضاءِ شهوته.

نعم – عباد الله-: إنَّ الزواجَ في الإسلام عصمةٌ بإذن الله من الوقوع في الحرام ، فيه إحصانٌ للفروجِ ، وإعفافٌ للنفوسِ ، وسَكَنٌ للأرواح ، وغضٌّ للأبصار ، وبُعْدٌ عن الشَّهَوَاتِ المحرَّمَةِ ، والنَّزَوَاتِ الفاسدةِ. والإسلامُ بهذا التشريعِ المباركِ يَسْلُكُ بأتباعِه المَسْلَكَ السَّوِيَّ ، والصراطَ المستقيمَ لتهذيبِ الإنسان ، والرُّقيِّ بمشاعرِه وأحاسيسِه.

والزواجُ في أصلِه الشرعيِّ -رعاكم الله- عقدٌ يُفِيْدُ حِلَّ استمتاعِ الرجلِ بامرأةٍ لم يمنع من العقد عليها مانعٌ شرعيٌّ.

والغايةُ منه: تحصيلُ الذُّرِيَّةِ الصالحةِ التي تعبدُ الله وحده لا شريكَ له ، وبالوالدين إحساناً ، وإلى هذه الغايةِ النبيلة أشار قولُ الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿ **وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ** ﴾ [النحل:٧٢].

قال أنسٌ -رضي الله عنه-: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُ بِالْبَاءَةِ وَيَنْهَى عَنِ التَّبَتُّلِ نَهْيَاً شَدِيدَاً، وَيَقُولُ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، إِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». [رواه أحمدُ، وصحَّحه ابنُ حبّان]

ومن أبرزِ مقاصدِ الزواجِ التَّعَفُّفُ به عن الحرام ، والبعدُ عن الفواحش ما ظهرَ منها وما بطنَ ، وهذا ما أرشدَ إليه النبيُّ ﷺ بقولِه فيما رواه البخاريُّ ومسلمٌ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: قالَ لَنا رسولُ الله ﷺ : « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ ».

لذلك -عباد الله- أحاطَ الإسلامُ الزواجَ بسياجٍ منيعٍ وحصنٍ حصينٍ يصونه عن الشُبَه ، ويُبعده عن الأنكحةِ الباطلةِ ، والزِّيْجَاتِ الفاسدَةِ التي كانت معروفةً في الجاهليَّةِ.

فاشترط فيه الولايةَ والرِّضَى من الطرفين ، وشهادةَ شاهدين عدلين، وإعلانَه ، وإشهارَه بين الناس.

قالت عائشةُ -رضي الله عنها-: « إنَّ النِّكَاحَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ؛ فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ الْيَوْمَ يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ أَوِ ابْنَتَهُ فَيُصْدِقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا، وَنِكَاحٌ آخَرُ؛ كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لامْرَأَتِهِ إِذَا طَهُرَتْ مِنْ طَمْثِهَا: أَرْسِلِي إِلَى فُلاَنٍ، فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ، وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجُهَا وَلاَ يَمَسُّهَا أَبَدًا، حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبَّ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الْوَلَدِ، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الاسْتِبْضَاعِ، وَنِكَاحٌ آخَرُ؛ يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ الْعَشَرَةِ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ، كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا، فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، تَقُولُ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلاَنُ، تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ، وَنِكَاحُ الرَّابِعِ؛ يَجْتَمِعُ النَّاسُ الْكَثِيرُ فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ لاَ تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا؛ وَهُنَّ الْبَغَايَا كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ، فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا، وَدَعَوْا لَهُمُ الْقَافَةَ ثُمَّ أَلْحَقُوا

وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ، فَالْتَاطَ بِهِ وَدُعِيَ ابْنَهُ لاَ يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِالْحَقِّ هَدَمَ نِكَاحَ الْجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلاَّ نِكَاحَ النَّاسِ الْيَوْمَ ». [رواه البخاريُّ، وأبو داودَ]

أيُّها المسلمون:

وبعضُ الناس قد يتورَّعُونَ عن الزِّنا ؛ لأنَّه محرَّمٌ وكبيرةٌ من كبائر الذنوب ، وأمرُه لا يخفى على ذي بصيرةٍ في دينه ، لكنَّهم -ومع شديدِ الأَسَفِ- لا يتورَّعُونَ عن صورٍ من الزَّوَاجِ المحرَّمِ التي هي في حقيقتِها زناً أو شبيهةٌ بالزنا إن لم تكن أشدَّ تحريماً منه ، علاوةً على ما فيها من المفاسدِ الظاهرة.

فترى أحدَهم يُعاشرُ تلك الزوجَة التي عقدَ عليها عقداً باطلاً أو فاسداً وهو يعتقدُ اعتقاداً جازماً لا شكَّ فيه أنَّها زوجتُه شرعاً ، وكأنَّه أشهدَ على نكاحِها أبا هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- وهو في حقيقةِ الأمرِ يُعاشرُها معاشرةَ حرامٍ ما لم يَتَدارَكْ عقدَ الزوجيَّةِ فيُصحِّحُه إن كان فاسداً أو يَفْسَخَهُ إن كان باطلاً.

لقد حرَّمَ الإسلامُ ضروباً من الأنكحة ؛ لِمَا فيها من المفاسدِ ، ومخالفةِ مقاصدِ الإسلامِ وأهدافِه الساميةِ النبيلةِ. ومن تلك الأنكحة التي حرَّمَها الإسلامُ:

نكاحُ المتعة: وهو أن يتزوَّجَ الرجلُ المرأةَ مدةً من الزمن مُشترطةً في العقد ، سواءٌ حُدِّدَتْ تلك المُدَّةُ أم لم تُحَدَّدْ.

قال الإمامُ ابنُ قُدَامَةَ -رحمه الله-: (نكاحُ المتعةِ أن يتزَوَّجَ الرجلُ المرأةَ مُدَّةً مُعَيَّنَةً مثلُ أن يقولَ: زوجتُكَ ابنتي شهراً أو سنةً إلى انقضاء الموسمِ أو قدومِ الحاجِّ أوشِبهه ، وسواءٌ أكانت تلك المُدَّةُ معلومةً أو مجهولة).

وهذا الضَّرْبُ من النكاح اتَّفَقَ أَئِمَّةُ المسلمين على تحريمه وبطلانه ؛ لِما فيه من امتهانِ كرامةِ المرأةِ ، وكثرة الطلاق الذي تتفكَّكُ بسببه الأسرُ ، وتَتَشَتَّتُ البيوتُ ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَآءَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** ﴾ [المؤمنون:٥-٧].

ودِلاَلَةُ الآيةِ على تحريمِ نكاحِ المُتْعَةِ : أنَّ الله تعالى مدحَ المؤمنين بحفظِهم فروجِهم إلاَّ على أزواجِهم أو ما ملكت أيمانهم فإنَّهم غيرُ ملومين، وعَدَّ ابتغاءَ المؤمنين غيرَ هذين السبيلين من العُدْوَانِ الذي حَرَّمَهُ الله تعالى ، والناكحُ في المُتْعَةِ مَلُومٌ وعَادٍ ، فالمنكوحةُ فيه ليست بزوجةٍ له ولا مِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُه.

وقد أباح المصطفى ﷺ لأصحابه -رضي الله عنهم- التمتُّعَ في النكاح ثم نُسِخَ هذا الحكمُ ، وحُرِّمت المتعةُ في عهدِه ، ففي صحيحِ مسلمٍ من حديث سَبْرَةَ الجُهَنِيِّ -رضي الله عنه- أنَّه كانَ مع النبيِّ ﷺ فقالَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ: إِنِّي قَدْ كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الاسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ وَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ شَيْءٌ فَلْيُخَلِّ سَبِيلَهُ، وَلاَ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ».

عباد الله:

وقريبٌ من نكاح المُتْعَةِ أن يَتَزَوَّجَ الرَّجُلُ المرأةَ بشرط أن يُطلِّقَها في وقتٍ مُعَيَّنٍ يتَّفِقَانِ على تحديدِه ، وهذا مُبْطِلٌ للنكاحِ.

أيُّها المسلمون:

كثيراً ما يقعُ بعضُ الناس في الحَرَجِ ؛ بسبب طلاق زوجته بالثلاث لشهوةٍ عارمةٍ ، أو موجةِ غضبٍ ثائرةٍ ، فيندمُ بعد ذلك ، ويتذَكَّرَا -الزوجُ والزوجةُ- أيَّاماً مَضَتْ كانا فيها مجتمعين في بيتِ الزوجيَّةِ ، يُرَفْرِفُ عليهما الحبُّ والوئامُ ، ويشتركان في تربيةِ أطفالِهما ، فيرْغَبَا في الرجوعِ لما كانا عليه ، فيذهبُ الزوجُ إلى قريبٍ له أو صديقٍ يتَّفِقُ معه على أن يُحلِّلَ له زوجَتَه ، وذلك بأن يعقِدَ عليها ثمَّ يُطلِّقُها قبلَ الدخولِ بها أو بعدَه ؛ ليتمكَّنَ زوجُها الأولُ من الرَّجْعَةِ إليها ؛ لأنَّ الزَّوْجَ إذا طَلَّقَ زوجتَه ثلاثاً فإنَّها لا تحلُّ له حتى تنكحَ زوجاً غيرَه نكاحاً يطأُها فيه.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىَ تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

وهذا النوعُ من النكاحِ مُحَرَّمٌ وباطلٌ ؛ لما فيه من التلاعُبِ والتحايُل على أحكام الشرع ، وقد جاء النهيُ عن نكاح المُحلِّل في حديث ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: «لَعَنَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ المُحَلِّلَ وَالمُحَلَّلَ لَهُ». [رواه أحمدُ والترمذيُّ وصحَّحَهُ]

ولقُبْحِهِ وشديدِ الزَّجْرِ عنه فقد سَمَّى النبيُّ ﷺ المُحلِّلَ بالتيس المستعار، فقد روى ابنُ ماجةَ في سُنَنِه والحاكمُ وصحَّحَه عن عُقْبَةِ بنِ عَامِرٍ -رضي الله عنه- قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «ألاَ أُخبِرُكُمْ بالتَيْسِ المُسْتَعَارِ ؟!». قالوا: بَلَى يَا رَسُوْلَ اللهِ. قالَ: «هُوَ المُحَلِّلُ، لَعَنَ اللهُ المُحَلِّلَ وَالمُحَلَّلَ لَهُ».

عباد الله:

ومن الأنكحة المحرَّمة في الإسلام:

نكاحُ الشِّغَارِ: فقد ثبتَ في صحيحِ مسلمٍ من حديثِ عبدِ الله بنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «لاَ شِغَارَ فِي الإِسْلاَمِ».

وجاء النهيُ عن نكاح الشِّغَارِ مُفسَّرًا في الحديثِ الذي رواه البخاريُّ في صحيحهِ عن عبدِ الله بنِ عُمَرَ -رضي الله تعالى عنهما-: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنِ الشِّغَارِ؛ وَالشِّغَارُ: أَنْ يُزَوِّجَ الرَّجُلُ ابْنَتَهُ عَلَى أَنْ يُزَوِّجَهُ الآخَرُ ابْنَتَهُ لَيْسَ بَيْنَهُمَا صَدَاقٌ».

وجمهورُ الفقهاءِ على أنَّ عِلةَ النهي عن هذا النوعِ من النكاحِ: هو خُلُوُّ العقدِ من المهرِ، وجَعْلُ كلِّ واحدةٍ من الزوجتين مهراً للأخرى؛ لأنَّ الله تعالى فرضَ على المسلمين أن لا يتزوجُوا إلاَّ بِمَهْرٍ، ولم يُبِحِ الزواجَ بدون مَهْرٍ إلاَّ للرسولِ ﷺ.

والمحقِّقون من أهلِ العلمِ على أنَّ هذا النوع من النكاح يُمكنُ تصحيحُه بأن يُفرضَ لكلِّ واحدةٍ من الزوجتين مَهْرٌ يصلُحُ لمثلِها، ثم يعقدان من جديدٍ بتراضٍ من الأزواج والزوجات.

ومِمَّا ينبغي التنبيه عليه - عباد الله-:

ما يفعلُه كثيرٌ من الأزواج عندما يريدُ أحدُهم الزواجَ بامرأةٍ فتشترطُ عليه هذه المرأةُ طلاقَ زوجتِه الأولى ، فهذا الشرطُ باطلٌ منهيٌّ عنه ، والواجبُ على المسلمةِ إذا رغبت في الزواجِ بمسلمٍ رضيت دينَه وخُلُقَه ألاَّ تسألَه طلاقَ زوجته الأولى لتُفْرِغَ صَحْفَتَها ، فإنَّما لها ما قُدِّرَ لها ، فقد نهى النبيُّ ﷺ -كما روى البخاريُّ في صحيحه- : «أَنْ تَشْتَرِطَ المَرْأَةُ طَلاَقَ أُخْتِهَا ».

فاتقوا الله أيُّها المسلمون ، والْتَزِمُوا بآداب الإسلام الخالدَةِ وتعاليمه السمْحَةِ ، وقِفُوا عند حدودهِ ، واستغفروه سبحانه من كلِّ ذنبٍ وخطيئة إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

●الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على إحسانهِ، والشكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ لَهُ تعظيماً لشأنهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الداعي إلى رضوانهِ، صلَّى الله عليهِ وعلى آلهِ، وأصحابهِ، وإخوانِه، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتقوا الله عباد الله ، فبتقوى الله سبحانه تزكو الأعمالُ ، وتَصْلُحُ الأحوالُ ، ثم اعلموا رحمكم الله: أنَّ الإسلامَ يريدُ من أهلِه أن يَزِنُوا جميعَ أعمالهم وتصرُّفاتهم بميزانِ الحلالِ والمباحِ ، فلا يفعلوا إلاَّ ما أباحَ الله لهم فعلَه ؛ إذْ فيه الخيرُ والفلاحُ والسعادةُ ، ويطلبُ من ركني الأسرة - الزوجِ والزوجةِ- أن يُقيما مثالاً للبيتِ المسلمِ الذي يُرفرفُ على جنباته الإيمانُ ، ويحوطُه التوحيدُ بقيَمِه الساميةِ وخصائصِه النبيلةِ ، فيكونُ بذلك خيرَ نواةٍ للمجتمع المسلم الذي يخرجُ منه أبطالٌ ودعاةٌ يحملون هذا الدين، ويَذُودُونَ عنه.

ولذلك -عباد الله- حرَّم الإسلامُ على المسلم أن يتزَوجَ بِمُشْركَةٍ ، وحرَّم على المسلمة أن تتزوَّجَ بِمُشْرِكٍ ؛ لاختلافِ الطبَاعِ ، وتبايُن الأهدافِ بين المسلمين والمشركين.

وقد أجمعَ علماءُ الأُمَّةِ على تحريمِ الزواجِ من أهل الشرك غيرَ أهلِ الكتابِ ، واتفقُوا على جواز تزَوُّجِ المسلمِ من المرأةِ الكتابيةِ ؛ يهوديَّةً كانت أو نصرانيةً ، بشرط أن تكونَ عفيفةً مُحْصَنَةً عن الحرامِ ، معتدلةً في دينها ، لا تُظهرُ العداوةَ الشديدةَ للإسلام وأهله.

قال الله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن**

مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢٢١].

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِيَ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [المائدة:٥].

أمَّا زواجُ المسلمةِ من أهلِ الكتابِ أو غيرِهم من المشركين فلا خلافَ بين العلماءِ في تحريْمِه لقولِ اللهِ تعالى: ﴿ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشِرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ﴾.

وإنَّما فرَّقَ الإسلامُ بين الرجلِ المسلمِ ، فأباحَ له الزواجَ من أهل الكتاب ، وبين المرأةِ المسلمةِ فحرَّمَ عليها الزواجَ من غير المسلمين ؛ لِضَعْفِ المرأةِ وشِدَّةِ عاطِفَتِها ؛ إذْ قد تكفرُ بالإسلام وتعتَنِقُ دينَ زوجها الكافرِ ، إضافةً إلى أنَّ الإسلامَ يأبى أن يعلوَ أهلُ الكفر على أهل التوحيد والإيمان ، والحياةُ الزوجيَّةُ تقتضي أن يكونَ الزوجُ هو صاحبُ القِوامةِ على زوجته ، مِمَّا يعني أن يعلوَ الكافرُ على المسلمةِ ، وهذا ما لا يجوزُ شرعاً.

أيُّها المسلمون:

والإسلامُ -وهو يُجيزُ للمسلم هذا- يُبَيِّنُ أنَّ الأفضلَ البعدُ عن ذلك والزواجُ من المسلمين ، فالزواجُ من نساءِ أهلِ الكتابِ ؛ اليهودِ والنصارى

هو في أصله مكروهٌ للمسلم لكنَّ الشرعَ أباحَه في حدودٍ ضَيِّقَةٍ ، وبشروطٍ مُهِمَّةٍ ، من أبرَزِها:

أن تكونَ المرأةُ من اهلِ الكتابِ بالفعلِ ، لم تَتَخَلَّ عن يهوديَّتِها أو نصرانِيَّتِها الأصليَّةِ إلى دينٍ آخر؛ وهذا غيرُ موجودٍ في عالَمِنا المعاصر؛ فإنَّ اليهودَ والنصارى حرفوا دينَهم الذي جاءَتْ به الرُّسُلُ، ووضعوا فيه ما ليسَ منه.

وأن يكونَ الزوجُ مسلماً بحقٍّ لا بالهويَّةِ فقط ، لا يَسْمَحُ لزوجته الكتابيَّةِ أن تُؤَثِّرَ على دينِ أولادِه ، ولا على أخلاقِهم الإسلاميةِ. وأن يَحْرِصَ جاهداً على إدخالِ هذه المرأةِ في الإسلام.

وأمَّا المشركون غيرُ اليهودِ والنصارى فلم يُجزِ الإسلامُ الزواجَ منهم مطلقاً ، ولا أحدَ يُنكرُ -يا عباد الله- أو يَتجَاهَلُ العواقبَ السيئَةَ التي تُصيبُ شبابَ المسلمين المقيمين في بلادِ الكَفَرَةِ وقد تزَوَّجُوا من نساءِ تلك البلادِ ، فكم من مسلمٍ غَرِقَ في شهواتِه هناك فانْدَمَجَ في تلك المجتمعات الكافرة ، ونسي دينَه ، وكم من مسلمٍ فقدَ سيطرَتَه على أولاده هناك بسببِ القوانين الجائرةِ التي اشترعُوهَا لأنفسِهم ، فصارَ أولادُه كفرةً ، بل من أَقْطَابِ وَمَعَاوِلِ الهَدْمِ لهذا الدينِ الذي هو دينُ أبيه، وهم من صُلْب أبٍ مسلم.

ومع هذا -معاشر المسلمين- فإنَّ المرءَ يُلاحظُ في هذه الأزمان تهافُتَ كثيرٍ من المسلمين على الزواجِ بالمشركين والمشركات ، مع أنَّ بلادَ

المسلمين تشكوا من تزايُدِ عددِ العَوَانِسِ في البيوتِ من الفَتَيَاتِ المسلماتِ اللاتِي لم يَجدْنَ خَاطِبَاً ، فا للهُ المستعانُ.

فاتقوا ا للهَ أيُّها المسلمون ، واعتَزَوا بإسلامِكم ، واعلموا أنَّ الإسلامَ هو الدينُ الخاتَمُ الذي ارتضاه ا للهُ لأتباعِهِ وشرَّفَهم بالانتماءِ إليه ، ومن العَارِ عليهم والخِزْي أن يُعْجَبُوا بأديانِ المشركين وأخلاقِهم التي نعاها عليهم الإسلامُ وحرَّم التديُّن بها ، ويتركوا هذا النورَ المبينَ والصراطَ المستقيمَ الذي أكرَمَهم ا للهُ به.

هذا وصلُّوا وسلِّموا رحمكم ا لله على المبعوث رحمةً للعالمين محمدِ بن عبدِ ا لله عليه الصلاةُ والسلامُ.....



العنوسة أسبابها وعلاجها

● الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً ، وجعل لكلِّ شيءٍ قدراً ، خلقَ من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربُّكَ قديراً ، أحمدُه تعالى وأشكرُه ، وأتوبُ إليه وأستغفرُه ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، بعثَه اللهُ هادياً ومبشِّراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فأوصيكم أيُّها الناسُ ونفسي بتقوى الله عزَّ وجلَّ فاتَّقوا الله تعالى حقَّ التقوى ، واستَمْسِكُوا من الإسلامِ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى ، واحْذَرُوا المعاصي فإنَّ أقدَامَكُم على النار لا تقوى.

عباد الله:

إنَّ من السنن الكونيَّةِ التي فطرَ الله تعالى الناسَ عليها ، وأقامَ الحياةَ عليها: الزواجُ ، ولن يستطيعَ الرجلُ أو المرأةُ أن يعيشا حياةً هادئةً مطمئنةً بدون أن يكون لأحدِهما زوجٌ يسكنُ إليه ، ويجدُ معه المودةَ والرحمةَ ، ومن زَعمَ غيرَ ذلك فقد رَغِبَ في تبديل سُنَّةِ اللهِ ، ولن تجدَ لسُنَّةِ اللهِ تبديلاً.

ومِمَّا ينبغي أن يُعلمَ -عباد الله-: أنَّ الزواجَ فطرةٌ قبلَ أن يكون شِرْعَةً ، فهو فطرةٌ أودَعها الله تعالى الخلقَ يومَ خلَقه ، يَتَمثَّلُ ذلك في قولِ الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [يس:٣٦]. ﴿ **وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [الذاريات:٤٩].

والإنسانُ -عباد الله- أشرفُ من خَلَق الله تعالى إشتملَ على نفس التكوين ؛ الذكرِ والأنثى ، وفُطِرَ كلُّ شَطْرٍ بالميل إلى الشَّطْرِ الآخر.

وإذا كان الإسلامُ قد رَغَّبَ في الزواجِ ، وحثَّ عليه فإنَّه قد نهى عن الامتناعِ منه ، وحذَّرَ الأولياءَ من ظُلْمِ مَوْلِيَّاتِهم ، ومَنْعِهنَّ من التزوُّجِ أو الحَجْرِ عليهنَّ ؛ فقالَ سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٢٣٢].

وذلك لما يترتَّبُ على منعِ المرأةِ من الزواجِ من المفاسدِ والمضار التي تعودُ عليها وعلى المجتمعِ المسلم بالفساد والبَوَارِ.

وإنَّ كثيراً من الشباب والشاباتِ يشكونَ إلى الله تعالى من وَيْلاَتِ العُنُوْسَةِ ، وتأخرِ سنِّ الزواجِ في الفتيان والفتيات. تتقدَّمُ بهم السنونُ والعراقيلُ تزدادُ أمامَهم ، والمشكلاتُ تَتَفَاقَمُ في وجوههم ، وكأنَّ الطُرُقَ قد سُدَّتْ أمامَ الكثيرين منهم حتَّى ظهرَ الحالُ بمظهرٍ يُنذرُ بسوءِ المُنْقَلَبِ.

إنَّ تضييقَ فُرَصِ الزواجِ عِلَّةُ خَرَابِ الدِّيَارِ ، وفسادِ المجتمعات ؛ به تُقتلُ الفضيلةُ ، ويُوأدُ العفافُ ، وهو طريقُ الفسادِ وهتكِ حُجُبِ الستر والحياء.

وإنَّها لسوءاتٌ وخبائثُ لا تظهرُ إلاَّ إذا اُفْتُعِلَتِ العراقيلُ والحواجزُ، وتَنوَّعَتِ العوائقُ والموانعُ أمامَ الراغبين في الزواجِ من البنينَ والبنات.

عباد الله:

لقد خُدعَ كثيرٌ من بنات المسلمين عن طريق الغزو الفكريِّ الموجَّهِ ضِدَّ عقيدةِ المسلمين وأخلاقِهم ، والذي يتلقوَّنَه في الصُحُف الهابطَةِ والمجلاتِ الخليعَةِ، والإذاعاتِ الخارجيةِ عبر البَثِّ المباشرِ من أفلامٍ ومسلسلاتٍ وقصصٍ ، يبثُّها أعداءُ الأُمَّةِ بِقَصْدِ الوقيعَةِ بكيانها وإفسادِ مجتمعاتها ، تُثيرُ الغرامَ بين الفتيان والفتيات ، يُحذِّرُون المرأةَ من الزواجِ المبكِّر ، ويزعمونَ -فيما يزعمونَ- أنَّها لا تتحمَّلُ المعاشرةَ الزوجيَّةَ قبل سنِّ العشرين ، لكن

لا بأسَ بها قبلَ ذلك أن تُعاقرَ الرذيلةَ، وتهتِكَ الحُرمَـةَ على وِفق مقـاييس البشر المُختَّلةِ ، وموازينِهم الفاسدَةِ ، قاتلَهم ا للهُ أنَّى يُؤْفَكُونَ.

حتَّى إذا تقدَّمَـتْ بالفتـاة السـنُّ ، وبلغَـت مـن الكِبَرِ عِتيَّـاً ، وذهبـت نضارتُها ، وذَبُلت زهرةُ شبابِها عزَفَ عنها من يريدُها ، فلا يكونُ أمامَهـا بعد ذلك إلاَّ الطُرقُ الملتوية ، والسُّبُلُ المحرَّمَة التي نهى عنها الإسلامُ.

وقليلٌ هُنَّ اللائي يُحافظن على العِفَّةِ والكرامـةِ في عصـرٍ كَثُرَ فسـادُه، وتلاطَمَ شرُّه ، وسُهِّلَتْ فيه وسائلُ الحرامِ أمامَ من يريدُها. ومن ثَمَّ تتخرَّجُ البنتُ من الجامعةِ ، ثُمَّ تشغلُها الوظيفةُ حتى تَفْقِدَ نضارتَها وجمالَهَا فيرغبُ عنها الرجالُ ، وعندها تندمُ ولاتَ ساعةَ مَنْدَمٍ، تتمنَّى وهي ترى الأطفـالَ يمشون مع أمهاتِهم ، يُلاعبونهُـنَّ ويُضَـاحِكُونَهُنَّ -تتمنَّـى- أن يكـونَ لهـا أطفالٌ وأنَّها خَسِرَتْ تعليمَها ، ولسانُ حالِها يُردِّدُ:

لقد كنتُ أرجو أن يُقالَ طبيبةٌ   فقيْلَتْ ! وما أن نالني من مقالها

فقلْ للتي كانت ترى فِيَّ قُـدْوَةً   هي اليومَ بينَ الناسِ يُرثى لحالِها

وكلُّ مُناها بعضُ طِفلٍ تضمُّـهُ   فهل ممكنٌ أن تشـتريه بمالها ؟!

وهناكَ أسبابٌ أخرى لتفشِّي العُنُوسَةِ في مجتمعاتِ المسلمين ؛ أهمُّهـا: العاداتُ والتقاليدُ التي جعلَها النـاسُ طاغوتـاً مُتحكِّمـاً ، يتمسَّـكُونَ بهـا ، ويُقدِّمُونَها على الكتاب والسُّنَّةِ ، وهي مخالفةٌ لتعاليم الدين الحنيـف الـذي جاءَ به المصطفى ﷺ ؛ كاشتراطِ بعضِ الآباءِ فيمن يُريدُ الـزواجَ مـن ابنتـه

أن يكونَ من قبيلةِ كذا وكذا ، أو صاحبَ منصبٍ أو جاهٍ. وكأنّهم بذلك يُعارضونَ قولَ اللهِ تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات:١٣] ؛ وقولَ المصطفى ﷺ : «كُلُّكُمْ لآدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ ، وَلَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْخَرُوْنَ بِآبَائِهِمْ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ تَعَالَى مِنَ الجُعْلاَنِ ». [رواه البزَّارُ في مسنَدِه]

ها هو زيدُ بنُ حارثةَ -رضي الله تعالى عنه- الذي كان من سَبْي الجاهليةِ ؛ فاشترتهُ خديجةُ -رضي الله عنها- ، ووهبتهُ لرسولِ الله ﷺ ثمَّ يُعتقُه رسولُ الله ويتبنّاهُ -قبلَ تحريمِ التَّبَنِّي- ويُزوِّجُه من ابنةِ عَمَّتِه زينبَ بنتِ جَحْشٍ -رضي الله عنها- وهو مولى ، وهي من أشرافِ قُرَيْشٍ ؛ لكنّها التقوى التي أذابَتِ الفوارقَ ، وهذَّبَتِ النفوسَ ، ﴿ **وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [البقرة:٢٢١].

وها هو عبدُ الرحمن بنُ عَوْفٍ القُرَشِيُّ ، أحدُ السابقين إلى الإسلام، وعاشرُ عَشَرَةٍ بَشَّرَهُمُ النبيُّ ﷺ بالجنَّةِ يُزَوِّجُ أختَه من بلالٍ الحبشيِّ مولى أبي بكرٍ الصديق -رضي الله عنهم أجمعين-.

أَفَبَعْدَ هذا يا عباد الله حُجَّةٌ لأولئكَ الحَمْقَى الذين يُنادونَ بالعصبيَّةِ ، والطَّبَقِيَّةِ والعُنْصُرِيَّةِ ، وبدعوى الجاهليَّةِ ، ويكونونَ سبباً في بقاءِ بناتهم

عوانسَ ؛ بحُجَّةِ أنَّه لم يتقدَّمْ إليهنَّ الكُفْءُ المناسبُ في النسب ؟! وهل بعدَ الإيمان با لله تعالى وبرسولِه ﷺ والتقوى من نسبٍ خيرٍ منها ؟!

عباد ا لله:

ومن الأسبابِ المهمَّةِ في تفشِّي ظاهرةِ العنوسةِ: تغالي الأولياءِ في مهورِ بناتهم ، فتضيعُ الفتاةُ أمامَ الشروطِ الصعبةِ ، والتقاليدِ الموروثةِ ، غيرَ ناظرينَ إلى ما تعجزُ عنه أيدي الشبابِ ولا ما لا تبلغُه طاقاتُهم.

والتغالي في المهور -معاشرُ الإخوةِ- من أهمِّ المصائب والمشكلات التي أضاعت الأمَّةَ ، وقطَّعَت روابطَ العلاقاتِ بينها ؛ حيثُ يُكلَّفُ الشابُ من المهرِ ما لا يستطيعه ، وقد يتحمَّلُ بعضُهم الديونَ الباهضةَ في أمورٍ وتقاليدَ لا طائلَ من ورائِها ؛ مِمَّا يجعلُه يدفعُ قدرَ ديةِ المرأةِ أضعافاً مضاعفةً ، وكأنَّها عمارةٌ أو سيارةٌ أو أرضٌ يُساومُ عليها صاحبُها بأغلى ثمنٍ ، فلا يتزَوَّجُها إلاَّ بعدَ أن يكرَهَها ويكرَه أهلها جميعاً ، وأنَّى لبيتٍ أُسِّسَ على مثلِ ذلك أن تدومَ فيه العِشْرَةُ الزوجيَّةُ ، ثمَّ تُطَلَّقُ المرأةُ بعد أشهرٍ أو أعوامٍ، وتبقى في البيت عانسةً لا تجدُ من يخطبُها ؛ لكثرةِ غيرها من الفتياتِ الأبكار.

قال عمرُ بن الخطاب -رضي ا لله عنه-: (أَلاَ لاَ تُغَالُوا بِصُدُقِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى عِنْدَ ا للهِ لَكَانَ أَوْلاَكُمْ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ ، مَا أَصْدَقَ رَسُولُ ا للهِ ﷺ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ وَلاَ أُصْدِقَتِ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً). [رواه أحمدُ وأبو داود والترمذيُّ، وهو صحيحٌ]

ولقد زوَّجَ النبيُّ ﷺ جُلَيْبِيباً – وكان من أفقر الصحابةِ- من إحدى بنات الأنصار ، وزوَّجَ عليّاً فاطمةَ -رضي الله عنهما- وكان لا يملكُ إلاَّ دِرْعَه الحُطَمِيَّة التي قدَّمها لها مهراً. [أخرجه أبو داود والنسائيُّ وأحمدُ]

سُئِلَ سعيدُ بن المسيَّبِ -رحمه الله- عن الحديث : (خيرُ النساء بركة أيسرُهنَّ مهوراً) ، كيف تكونُ حسناءَ ورخيصةَ المهرِ ؟! فقال: (يا هذا انظر كيف قلتَ ! أهم يُساومون في بهيمةٍ لا تعقلْ ؟! أتُراها بضاعةً طمعُ صاحبِها يغلبُ على مطامع الناس ؟! ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّآ أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ [الأعراف:١٨٩] ؛ إنَّه إنسانٌ مع إنسانةٍ ، وليسَ متاعاً يطلبُ مبتاعاً).

وكم في الأولياء رعاكم الله: من يردُّونَ الشبابَ الصالحَ الأكفاءَ لقلَّةِ ذاتِ اليد ، معارضينَ بذلكَ قولَ المصطفى ﷺ : « إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ ».

[أخرجه الترمذيُّ، وابنُ ماجه]

أيُّها المسلمون:

ومن أعظم أسباب تَفَشِّي العنوسةِ خطراً : ما انتشرَ في أوساطِ الناس مؤخَّرًا من عَضْلِ البنات ومنعهنَّ من الزواج طمعاً في المُرتَّبِ الذي يحصلنَ عليه من الوظيفة. ويا سُبحان الله ! كيفَ يجرؤ إنسانٌ مؤمنٌ جُبلت نفسُه على الرحمَةِ وعاطفةِ الأبوَّةِ ، يعلمُ فطرةَ المرأةِ على الزواجِ ، وغريزتَها

لذلكَ ثُمَّ يمنعَها منه ؛ ليستفيدَ من مالها ؟! هي تَكْدَحُ وتعملُ وهو يأكلُ مالها ويَتَفَكَّهُ فيه ، وقد حكم عليها بالسجنِ المؤَبَّدِ إلى أن يأذنَ الله لها بالفرجِ. لا باركَ الله في أصحاب الهِممِ الدنيئةِ والنفوسِ الضعيفةِ.

وماذا تساوي الدُّنيا بكنوزِها وأموالِها عندَ الأبِ إذا تَعَنَّسَتِ ابنتُه ، فدعت عليه بدعوةٍ مستجابةٍ - دعوةِ مظلومٍ- ، أو وقعت في الرذيلةِ فخدَشت كرامتَه ولطّختها بالتراب ، أيُّ مالٍ ينفعُه بعدَ دَنَسِ العِرضِ؟! لا باركَ الله بعد العِرضِ في المالِ.

ألاَ فاتَّقوا الله رحمكم الله ، واقتدوا بهدي رسولِه الأمين تفوزوا وتفلحوا، باركَ الله لي ولكم في القرآن العظيمِ ، ونفعَنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم وبهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعونَ وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

●الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، ولا عدوانَ إلاَّ على الظالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ وحده لا شريك إلهُ الأولين والآخرين ، وقيُّومُ يومِ الدين ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه خاتمُ المرسلين ، وإمامُ المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا اللهَ أيُّها المسلمون ، واعلموا رحمكم الله أنَّ تَفَشِّي العنوسةِ في مجتمعاتنا مشكلةٌ عظيمةٌ تؤذنُ بخراب البيوتِ ، وفسادِ الأخلاق ، والجميعُ مسئولون عنها ؛ ليصلُحَ حالُ المجتمعِ ، وينبغي للمسلم الذي يريدُ سعادةَ ابنتِه أو إدخالَ السرورِ على قلبِ شابٍ مسلمٍ بتخفيفِ مؤَنِ الزواجِ عليه أن يتنازلَ عن بعضِ حقِّه في سبيل إصلاحِ أحوال المسلمين ، فضلاً عن أن يتركَ ما ليسَ له بحقٍّ.

عباد الله:

ويا ليتَ الذي يؤخِّرُ ابنتَه أو قريبتَه عن الزواجِ يحوطُها بعين الرعاية والمتابعةِ التي تحفظُ عليها عِفَّتَها ، وتصونُ كرامتَها ، ولكنَّه -ومع شديد الأسف- وُجِدَ في مجتمعاتِ المسلمينَ من يؤخِّرَ قريبتَه عن الزواج بحُجَّةٍ أو

بدونِها ، ولا تسلْ بعد ذلك عمّا يجلبه لها من وسائلَ تهدمُ ولا تبني ، وتفسدُ ولا تُصلح ؛ من أجهزةٍ مهدِّمةٍ ، وأفلامٍ هابطةٍ، ومجلاتٍ خليعةٍ تُعلِّمَ البنتَ الرذيلةَ ، وتكشفُ عنها سترَ الحياءِ، إضافةً إلى ما تعجُّ به كثيرٌ من بيوت المسلمين من منكراتٍ فاتنةٍ ؛ من اختلاطٍ وخدمٍ وسائقينَ ، ولا تعجبوا عباد الله بعد ذلك إذا استأسدَ الحَمَلُ واستنوَقَ الجَمَلُ ، فصارت البنتُ هي الآمرةُ الناهيةُ في البيت ، تخرجُ في أيِّ وقتٍ شاءت ، وتذهب إلى الأسواق بمفردِها أو مع السائق أو صديق العائلةِ وابن الجيران بعد ضَيْعَة الحياء ، وفُقدان الغيرةِ، والمعصومُ ﷺ قد أخبرَ أنَّه ما خلا رجلٌ بامرأةٍ إلاَّ وكان الشيطانُ ثالثَهما. [كما رواه الترمذيُّ وحسَّنه]

أيُّها المسلمون:

والمعهودُ المعروفُ عندَ الناسِ أن يتقدَّمَ الرجلُ لخِطبَة المرأةِ ، ويجدُ أهلُ المرأةِ الحرَجَ الشديدَ في أن يخطبوا رجلاً لبنتِهم ، إلاَّ أنَّ أهلَ الفضلِ والعلمِ والصلاحِ والغيورين على بناتهم وعلى عفافهنَّ والحريصين على حفظهنَّ من الفتن والضياع كانوا ولا يزالونَ يتجاوزون هذا الحرج؛ لما في تجاوزِه من النفعِ والصلاحِ لهم ولبناتِهم في الدُّنيا والآخرةِ.

وإنَّه لخيرٌ للمرأةِ ووليِّها أن يُعفَّها بطريق الحلال المشروع قبلَ أن تقعَ في حمأةِ الرذيلة ومُسْتَنْقَعِ الفسادِ.

روى البخاريُّ في صحيحه : « أَنَّ امْرَأَةً عَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَضَحِكَتِ ابْنَةُ أَنَسٍ –راوي الحديثِ– فَقَالَتْ: مَا كَانَ أَقَلَّ حَيَاءَهَا ! فَقَالَ أَنَسٌ: هِيَ خَيْرٌ مِنْكِ عَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ».

وعرَضَ عمرُ –رضي الله عنه– ابنتَه حفصةَ عندما تُوفي زوجُها على عثمانَ فرفَضَ ، ثمَّ على أبي بكرٍ –رضي الله عنهم– ؛ فقد روى البخاريُّ في صحيحه عن عبد الله بن عمرَ –رضي الله عنهما–: « أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ؛ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ ! قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لاَ أَتزوَّجَ يَوْمِي هَذَا ! قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ ! فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ ؟! قُلْتُ: نَعَمْ ! قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ إلا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا ».

رضي الله عنهم وأرضاهم ، فقد كانوا مثالاً يُحتذى ، وللمسلمين فيهم أعظمُ القدوة.

هذا وصلُّوا وسلِّموا رحمكم اللهُ على من أمرَكم اللهُ تعالى بالصلاةِ والسلامِ عليه بقولهِ عزَّ من قائلٍ عليماً: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهُم صلِّ وسلِّم على عبدِكَ ورسولِك محمدٍ وعلى آله وصحبه ...

❧ ❧ ❧

أخلاقيات البيت المسلم

●الخطبة الأولى:

الحمدُ لله مُبْدِعِ الكائنات ، وبارئِ النَّسَماتِ ، له الأسماءُ الحسنى وعظيمُ النعوتِ والصفاتِ ، أحمدُه تعالى وأشكرُه ، على جزيلِ العطايا والهِبَات ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له إلهُ البرِّيَاتِ ، وقيُّومُ الأرضِ والسمواتِ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المؤيَّدُ بالمعجزاتِ الظاهراتِ ، والآياتِ الباهراتِ ، صلَّى الله وسلَّمَ وباركَ عليه وعلى آله وصحبه الأئمةِ التُّقاة ، والعدول الثِّقَاتِ.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله عباد الله ، فإنَّ تقواه سبحانه وتعالى خيرُ زادٍ يُدَّخَرُ في هذه الحياة وبعد الممات ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران:١٠٢].

أيُّها الإخوة المسلمون:

من نِعمِ اللهِ تعالى على عباده في هذه الحياة أن هيَّأ لهم الأسرَ والبيوتات، ومَنَّ عليهم بالسكن والتجمُّعات ، آيةٌ من آياته الباهرات، ونعمةٌ من نعمه الظاهرات ، سكناً ورحمةً ، ولباساً ومودَّة ، يتفيَّأُ المسلمُ خلالها عن الحرِّ ، ويستدفئُ بها من البرد ، وتستره عن الأنظار، وتُحصِّنُه من الأعداء.

يجدُ الرجلُ في بيته المأوىَ الكريمَ ، والراحةَ النفسيَّةَ بعد عناءِ العمل، وطولِ الكدحِ والكَلَلِ ، لينفضَ عن نفسه غبارَ السآمةِ والمللِ ، ويطرحَ عن فؤاده متاعبَ الحياة. وتجدُ المرأةُ في بيتها العيشَ الرغيد ، والحُلُمَ السعيد فيترعرعُ في كَنَفَاتِ هذا البيتِ ، وينشأُ بين جَنَبَاتِه جيلٌ صالحٌ فريدٌ في ظلِّ أبوَّةٍ حادبة ، وأمومةٍ حانية ، بعيداً عن أسباب التوتُّر والقلق ، ومنَغِّصَاتِ العيش ، وجالبات الشقاء والاضطراب ، فينموا ويشِّبُوا في كَنَفِ أبوين كريمين ، يجلبان لهما المصالح ، ويدرأن عنهم عوائقَ الحياةِ ، وشرورَ الدَّهرِ، قال سبحانه: ﴿ **وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَىَ حِينٍ** ﴾ [النحل:٨٠].

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ -رحمه الله-: (يذكرُ تبارك وتعالى تمامَ نعمه على عبيده بما جعلَ لهم من البيوت التي هي سكنٌ لهم ، يأوون إليها ، ويستترون ، وينتفعون بها سائر وجوه الانتفاع).

عباد الله:

لقد جعلَ الله تعالى البيوتَ سكناً يأوي إليها أهلُها ، تطمئّن فيها النفوسُ ، وتأمنُ فيها الحرماتُ ، وتُسترُ فيها الأعراضُ ، ويتربَّى في كنفها الأجيالُ ، وهو سبحانه وتعالى يريدُ بذلك من البيوت أن تكونَ قلاعَ خيرٍ ومحبَّةٍ ووئامٍ ، وحصونَ برٍّ وحنانٍ وأمانٍ ، وديارَ خيرٍ وفضيلةٍ وإحسانٍ.

ويدركُ المسلمُ رعاكم الله: قدرَ نعمةِ السكن والمأوى على بني آدمَ حينما يرى أحوالَ من سُلِبوا هذه النعمةَ ؛ من المشرَّدِين ، واللاجئين من إخواننا في العقيدة ، الذين يعيشونَ في الملاجئِ أو على أرصفةِ الشوارع؛ حينها يعلم يقيناً معنى التشتُّتِ والحرمان النَاجِمَانِ عن فَقْدِ السكنِ والمأوى.

كما يدركُ المسلمُ هذه النعمةَ عندما يرى إخوانَه في العقيدة في بلادٍ منكوبةٍ من العالم الإسلاميِّ يَتَضَوَّرُونَ جوعاً في الزَّمْهَرِيْرِ القَارِسِ ، والحرِّ المُهْلِكِ ، لا يجدون ملجأً ولا مسكناً كريماً ، يعيشون أمضَّ عيشةٍ ، بلا راحةٍ ولا هدوءٍ ، ولا سعادةٍ ولا اطمئنانٍ ، استولى الأعداءُ على بلادهم فهدَّموا منازلَهم ، وأقضُّوا مضاجِعَهم ، وكدَّرُوا ما صفى من عيشِهم والله المستعانُ.

كما تبرزُ عظمةُ هذه النعمة -نعمةِ السكن والمأوى- أمامَ المسافرِ واضحةً جليَّة ، حيث بيَّن ذلك المصطفى ﷺ بقولِه: « السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ

الْعَذَابِ؛ يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نَوْمَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ، فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ)).[رواه البخاريُّ ومسلم]

معاشرُ المسلمين:

ومن هنا جاءَ الإهتمامُ العظيمُ في الإسلامِ بإصلاحِ البيوتِ ؛ لأنَّها النواةُ الأولى التي تهدفُ إلى بناء المجتمع المسلم ، المكوَّنِ من بيوتٍ هي لبناتُه المكوِّنةُ للأحياء والمجتمعات. ويدركُ المصلحُ أهميَّةَ العنايةِ بالبيت وإصلاحه عندما يعلمُ أنَّ صلاحَ هذه اللَّبِنَةِ يؤدي بإذن الله تعالى إلى إصلاحِ المجتمع كلِّه ، فالبيتُ المسلمُ هو المدرسةُ الأولى التي يتخرَّجُ منها الأعضاءُ الفاعلون في المجتمع ، سلباً أو إيجاباً ؛ مُرَبُّون ودعاةٌ ، وطلابٌ ومجاهدون ، وزوجاتٌ صالحاتٌ ، وأمهاتٌ كريماتٌ.

عباد الله:

إنَّ من الناس من تاهوا في غمرةِ مشاغل الحياة والوظيفة والارتباطات فَنَسُوا أنَّ لهم أُسَرَاً وبيوتاً ، وأبناءً وزوجاتٍ يحتاجون إلى تربيةٍ ورعايةٍ وإصلاحٍ وتوجيه ، يدخلُ أحدُهم بيتَه عابسَ الوجه ، مُكْفَهِرَّ الخِلْقَةِ ، لا يذكرُ اسمَ الله تعالى حالَ دخوله ، ولا يُسلِّمُ على أهله ، ولا يسألُ عن حالِهم ، وربَّما لم يرَهم في الإسبوع إلاَّ مرةً واحدةً ، بل لا يسألُ إطلاقاً عمَّن يدخلُ بيته من أُناسٍ قد يكونون معاولَ هدمٍ ، وبذورَ إفسادٍ لأسرته. قد ضاعَ أطفالُه بدون رقيبٍ ، وفسدت زوجتُه بدون حسيبٍ. أفلا يتقي

ا للهِ أمثالُ هؤلاء في أهليهم، فيعتنوا بهم ويحفظوا الأمانةَ التي استرعاهم ا للهُ عليها؟!

عباد ا للهِ:

لقد سعى الإسلامُ سعياً حثيثاً لإصلاح الأسرَ والبيوت ، وبدأ ذلك بالأُسسِ التي يتكَوَّنُ منها البيتُ المسلمُ ، وفي مقدمة ذلك اختيارُ الزوجيةِ ذاتِ الصلاحِ والدينِ ؛ لأنَّها بإذن ا لله تعالى أهمُّ عواملِ الإصلاح للبيت بعد الرجل ، قال رسولُ ا للهِ ﷺ : «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ».[متفقٌ عليه]

وهذا من جانبِ الزَّوْجِ ، وأمَّا من ناحيةِ الزَّوْجَةِ فقد أرشدَ الإسلامُ الأولياءَ إلى اختيار الزوجِ الصالحِ ، ذي الخُلقِ القويمِ ، والدينِ المستقيم ، قال ﷺ : «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ». [أخرجه الترمذيُّ، وابنُ ماجه]

وباجتماعِ الزَّوجِ الصالحِ والزَّوجةِ الصالحةِ يُبنى البيتُ الصالحُ بإذن ا للهِ تعالى ، فـ ﴿**الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ**﴾ [الأعراف:٥٨].

كما أمرَ الإسلامُ بإحياءِ البيوتِ بذكر ا للهِ تعالى ؛ قراءةً لكتاب ا للهِ، وصلاةً ، وعبادةً ، وذكراً ، وهي بذلك تُفارقُ بيوتَ الكفرةِ الخاليةِ من ذكر ا للهِ ، وبيوتَ المنافقين الذين لا يذكرون ا للهَ تعالى إلاَّ قليلاً ؛ ولذلك

كان من سُنَّتِهِ ﷺ صلاةُ النَّافِلَةِ في بيتِه ، عن ابنِ عُمَرَ -رضي الله تعالى عنهما- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « اجْعَلُوا مِنْ صَلاَتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلاَ تَتَّخِذُوهَا قُبُوراً ».[متفقٌ عليه]

وفي هذا دلالةٌ واضحةٌ على أنَّه يجبُ على المسلمِ أن يجعلَ في بيته نصيباً من العبادة لا سِيَّمَا الصلاة ؛ لتعليمِ أبنائه وأهلِه الصلاةَ ، وتعويدِهم عليها، قال تعالى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىَ مُوسَىَ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [يونس:٨٧].

قال ابنُ عباسٍ -رضي الله عنهما-: (أُمِرُوا أن يَتَّخِذُوها مَسَاجِدَ).

وإنَّ بيتاً يُنشَّأُ على طاعةِ الله -أيُّها الإخوة- لحريٌّ به أن يكون بيتاً إيمانيًّا ، يعظُمُ ثوابُ أهلِه ، ويصفو عيشُهم ، قال رسولُ الله ﷺ : « رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ ».[رواه النسائيُّ، وأحمدُ، وأبو داود]

قالت عائشةُ -رضي الله عنها-: « كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَإِذَا أَوْتَرَ قَالَ: قُومِي فَأَوْتِرِي يَا عَائِشَةُ ». [رواه مسلم]

كما بيَّنَ ﷺ الفرقَ بينَ البيتِ الذي يُذكرُ اللهُ فيه ، والبيتِ الذي لا يُذكرُ اللهُ فيه بقولِه فيما رواه البخاريُّ ومسلمٌ: « مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ وَالْبَيْتِ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ ».

ورَغَّبَ ﷺ في قراءةِ القرآن في البيوت ، لا سيَّمَا سورةَ البقرة ؛ لأنَّ قراءتَها في البيت تطردُ عنه الشياطين بإذن الله تعالى ، قال ﷺ : « لاَ

تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ ». [رواه مسلمٌ وأهلُ السُّنن]

وعن جابرٍ -رضي ا للهُ تعالى عنه- أنّه سَمِعَ النبيَّ ﷺ يقولُ: « إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ ا للهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ -يَعْنِي: لأصحابه- : لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلاَ عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ ا للهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ ا للهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ ».[رواه مسلمٌ وأحمدُ]

وكم في بيوت المسلمين يا عباد ا للهِ: من بيوتٍ ميْته ، بل هي في الحقيقة مأوىً للجنِّ والشياطين ، بعيدةٌ عن ذكر ا لله ، مليئةٌ بالفساد والمنكرات ، لا يُسمعُ فيها إلاَّ مزاميرُ الشياطين ، وأصواتُ المطربين والمطربات ، و ﴿ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٩].

والجيِّدُ منهم اكتفى بلوحاتٍ معلَّقةٍ في بيته ، زخرَفَها بآياتٍ من القرآن، وأحاديثَ من السنة ، وماذا تفيدُ تلك اللوحاتُ إذا كانت القلوبُ خاويةً من ذكر ا لله تعالى ، بعيدةً عن تعاليم كتاب ا لله وسنة رسوله ؟!

عباد ا للهِ:

ما أجملَ البيتَ المسلمَ العامرَ بذكر ا لله ؛ من تهليلٍ ، وتسبيحٍ وتكبيرٍ وتلاوةٍ لكتاب ا لله عزَّ وجلَّ ، ينامُ أهلُه ويستيقظون على ذكر ا لله تعالى ، يأكلون باسم ا لله ، ويلبسون باسم ا لله ، ويتربَّى في كَنَفِه الأهلُ والأولادُ على الطاعةِ والفضيلةِ ، تغشاهُم الرحمةُ ، وتَتَنَزَّلُ عليهم السكينةُ ، وتحفُّهم

الملائكةُ ، ويذكرُهم ا للهُ تعالى فيمن عنده ، فيكون بمثابة مدرسةٍ للخيرِ ، ومنبعٍ للإصلاحِ ، يتخرَّجُ من خلاله لَبِنَاتٌ صالحةٌ للمجتمع المسلم.

وما أقبحَ البيوتَ إذا خلت من ذكر ا لله ، فاجتالتها الشياطينُ ، وعَشَّشَتْ فيها وفرَّخَتْ ، فصارت قبوراً موحشةً ، وأطلالاً خَرِبَةً ، فعميت قلوبُ ساكنيها ، وابتعدت عنها الملائكةُ.

فيا أيُّها الأبُ المسلمُ ، ويا أيُّها الزوجُ المؤمنُ اتَّقوا ا لله تعالى واعلموا أنَّ بيوتَكم أمانةٌ في أعناقكم ، استرعاكم ا للهُ على من فيها من الزوجات ، والأولاد ، وا للهُ سائلٌ كلَّ راعٍ عمَّا استرعى أحَفِظَ أم ضَيَّعَ ؟ وما من راعٍ يموتُ وهو غاشٌّ لرعيَّتِه إلاَّ حرَّم ا للهُ عليه الجنةَ، فيا خَيْبَةَ من ضَيَّعَ الأمانةَ ، وأساءَ التربيةَ.

أعوذُ با لله من الشيطانِ الرجيمِ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قُواْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ ا للهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَعْتَذِرُواْ الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [التحريم:٦-٧].

ألا فاتَّقوا ا للهَ أيُّها المسلمون ، وتَمَسَّكُوا بهدي رسولِه الأمينِ ، سُبحانَكَ اللَّهُمَّ وبحمدِكَ أشهدُ أن لا إله إلاَّ أنتَ أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ.

*** * ***

●الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، ولا عدوانَ إلاَّ على الظالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ وحدَه لا شريكَ له إلهُ الأولين والآخرين ، وقيُّومُ يومِ الدين ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه خاتُم المرسلين ، وإمامُ المتقين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله رحمكم الله ، واشكروه على نعمهِ وآلائِه فبالشكر تدومُ النِعَمُ وتُحفظ المِنَحُ، وأعلموا رعاكم الله أنَّه لَّما فسدت كثيرٌ من بيوت المسلمين ، أصبحنا نرى المظاهرَ المُزْرِيَةِ من تبرُّجِ النساء والبنات ، وفسادِ الأطفال والناشئة ، وأنتم ترون ما نشاهده جميعاً من مكوث الأطفال الصغار خارجَ المنزلِ إلى ساعاتٍ متأخِّرَةٍ من الليل ، بل إلى الفجر أحياناً بدون رقيبٍ ولا مربي ، وما أنصفوا والله أبٌ وأمٌّ أهملوا أبناءَهم ، ولم يشكروا نعمةَ الله الذي هيَّأ لهم هذه البيوت ، وملأها عليهم بصنوف الخيرات ، والنعم التي حُرِمَها كثيرٌ من الناس.

ومِمَّا يزيدُ في الأمر يا عباد الله: أنَّ كثيراً من البيوت التي خلت من ذكر الله شُغلت بوسائلِ الشرِّ والفسادِ ؛ من أفلامٍ خليعةٍ ، تدعو إلى الفحشاءِ والمنكرِ ، وأشرطةِ أغانٍ ماجنةٍ ، تُغري بالعشق والغرام والهُيام

والإجرام ، فيتخرجُ الطفل من هذه البيوت يحفظُ من الأغاني أكثرَ ممّا يحفظ من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، ويعرفُ من سيرِ المغنّين والممثلات واللاّعبين أكثرَ مِمَّا يعرفُ من سيرةِ النبيِّ الكريمِ ﷺ وصحابتهِ الكرام -رضي الله عنهم- ، ويجري على لسانه من ألفاظ البذاءة والسبِّ والشتم أكثرَ مِمَّا يجري عليه من الذكر والعبادة ، ويتربَّى في تلك البيوت من يتركون الصلاة ، ويُضيِّعونَ الجُمعَ والجماعاتِ ، فإلى الله المشتكى ، ولقد همَّ المصطفى ﷺ أن يُحَرِّقَ على أهلِ هذه البيوت بيوتهم ؛ لولاَ ما فيها من النساءِ والذُّرِيَّةِ الذين لا تجبُ عليهم الجماعَةُ. [كما روى ذلك الإمامُ أحمدُ بسندٍ صحيحٍ]

ناهيكم عباد الله عَمَّن أخربوا بيوتهم بأيديهم ، وأفسدوا أهليَهم بما جلبوا لهم في منازلهم من وسائلَ هدَّامةٍ ، ثم يَنْدُبُونَ بعد ذلك حظوظَهم على فساد أهلهم وانحراف أبنائهم ، وهل يُجنى من الشوك العنبُ ؟! لا والله.

وآخرون جعلوا من بيوتهم حدائقَ لتربيةِ الحيوانات ، من قططٍ ، وقرودٍ وكلابٍ ، تنالُ من العناية أكثرَ مِمَّا ينالُه الأطفالُ في البيت ، ناسين أو متناسين ما جاء من الوعيد الشديد على من يفعل ذلك ، عن أبي طلحة-رضي الله عنه- أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ ».[متفقٌ عليه]

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنِ اقْتَنَى كَلْبَاً إلاَّ كَلْبَ صَيْدٍ أَوْ مَاشِيَةٍ نَقَصَ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَانِ». وفي رواية: «قِيْرَاطٌ وَاحِدٌ».[متفقٌ عليهما]

ألا فاتَّقوا الله تعالى أيُّها المسلمون ، واعلموا أنَّ على ربِّ الأسرةِ والبيت أن يهتمَّ بتربيةِ أهلِه وأبنائِه التربيةَ الإسلاميةَ الصحيحةَ التي تؤتي ثمارها بإذن الله ، ولا يَتَحَقَّقُ ذلك إلاَّ بِشِّدَةِ المُلاَحَظَةِ لهم ، والتفقُّد لأحوالِهم ، والبحثِ عمَّا يفعلون داخل البيت وخارجه ، وعَمَّن يُجالسون، والحرص على أن يكون ذلك على وفق تعاليم ديننا الحنيف.

اللَّهُمَّ أعِزَّ الإسلامَ والمسلمين ، وأَذِلَّ الشِّرْكَ والمشركين، ودَمِّرْ أعداءَ الدينِ، وانْصُرْ عِبادَكَ المؤمنين.....



الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثرهما في الأمة

● الخطبة الأولى:

الحمدُ لله القائل في مُحْكَمِ التنزيل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ [آل عمران:١١٠] ، له الحمدُ في الأولى والآخرة ، وله الحكمُ وإليه ترجعون ، عزَّ جاهُهُ ، وجلَّ ثناؤهُ، وتقدّست أسماؤه ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له جعل هذه الأمَّة أمَّةً خَيْرِيَّةً ، وفضَّلَها على سائر البشريَّةِ ما دامت قائمةً بأمره مستجيبةً لنهيه. وأشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُ الله ورسولُه ومصطفاهُ وخليلُه وصفيُّهُ من خلقه ، أنزلَ عليه في كتابه المبين: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧].

فكان صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه أفضلَ آمرٍ وخيرَ ناهٍ ، بَلَّغَ الرسالة، وأدَّى الأمانةَ ، ونصحَ الأمَّةَ ، وكشفَ بإذن ربِّهِ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في الله حقَّ جهادِهِ حتَّى أتاه اليقين ، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا بحقٍّ أفضلَ القرون بعد نبيِّهم ، أمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ورفعوا رايةَ الإسلامِ عاليةً خفَّاقةً ، فـ ﴿ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

أمَّا بعد:

فعليكم عباد اللهِ بتقوى الله فهي سببُ الخَيْريَّةِ والفلاحِ ، وسبيلُ العزِّ والصلاحِ ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أيُّها المسلمون:

لقد فرضَ اللهُ على هذه الأمَّةِ أن تحملَ ميراثَ النبوَّةِ ، وأن تقودَ الناسَ إلى طريق العزَّةِ ، وبهذا كانت هذه الأمَّةُ خيرَ الأُمَمِ وأزكاها ، فلقد اصطفى اللهُ أمَّةَ الإسلامِ ، وجعَلَها خيْرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ للناسِ ، وأناطَ هذه الخَيْريَّةِ بركيزتين عظيمتين:

إحداهُما: الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر.

وثانِيَتُهما: الإيمانُ بالله. وهما كالمتلازمتين ، فالنفوسُ بطبيعَتِها مَجْبُولَةٌ على الاستعداد للشرِّ والفساد ، وفي الحياة من وسائل الغواية المختلفة ما

يُحقِّقُ للنفس البشريَّةِ شهواتِها وأهواءَها ، ولا يكون الضياعُ المحقَّقُ لمجتمعٍ من المجتمعات إلاَّ حين يُترك لأفراده الحبلَ على الغارب ، يعيشون كما يشتهون ، عابثين بالأخلاقِ والقيمِ ، منتهكين للأعراض والحُرَم ، متجاوزين للحدود والحُجَز من غير ضابطٍ أو وازعٍ، وبدون زاجرٍ أو رادعٍ .

والمنكراتُ إذا كَثُرَ على القلب ورودُها ، وتكرَّرَ في العين شهودُها ذهبت من القلوب وحشتُها ، وأصبحت النفوسُ تعتادُها بين الفينة والأخرى ؛ لذا كان لا بُدَّ لهذه النفوس من قُوَّةٍ تكبحُ جماحَ الشرِّ فيها، وتُقوِّم مِعْوَجِّها ، وتسدُّ الطريقَ أمام غِوَايَتِها حتَّى يستقيمَ أمرُ الحياة البشريَّةِ على الحقِّ ، وتسلمَ الفطرةُ الإيمانيَّةُ ، وتلك هي قُوَّةُ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذي يستمِدُّ سلطانَ قُوَّتِه من الحقِّ لإصلاح النفوس وتربية القلوب ، وهداية الخلق إلى الطريق المستقيم ، والأخذ بحُجَزِهم عن المهالك حتى لا ينتشرُ الفسادُ وتعمُّ الفوضى والإنحلالُ ، **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ ا للهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ا للهُ إِنَّ ا للهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [التوبة: ٧٩].

قال عليٌّ -رضي ا لله عنه-: (للجهادِ أربعُ شُعَب: الأمرُ بالمعروف، والنهيُ عن المنكر ، والصدقُ في المواطن ، وشَنَآنُ الفاسقينَ).

عباد الله:

إنَّ الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر هو الحصنُ الحصين ، والدرعُ المتين ، والسِّيَاجُ الواقي الأمينُ من كلِّ فسادٍ أو رذيلةٍ أو فاجعةٍ أو مصيبة، بإذن الله ، فهو الوِثاقُ الذي تتماسكُ به عُرَى الدين ، وتُحفظُ به حُرماتُ المسلمين ، يحمي أهلَ الإسلام من نَزَواتِ الشياطين ودَعَواتِ المبطلين ، بِفُشُوِّهِ وتأييده تظهرُ أعلامُ الشريعة ، وتسودُ أحكامُ المِلَّةِ.

وما قامت أمَّةٌ من الأُمَمِ ، وارتفعَ شأنُها في الأرض إلاَّ حين وُجِدَ بين صفوف أبنائها من يأمرُ بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويأخذُ على يد السفيه فيأطُرَه على الحقِّ أطراً ، ولن يصلُحَ آخرُ هذه الأمَّةِ إلاَّ بما صلَحَ به أولُها ، ﴿ **الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسمُ اللهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ** ﴾ [الحج:٤٠-٤١].

عباد الله:

ولا يضعفُ هذا الركنُ العظيمُ ، وتَنْدَرِسُ معالمُه من النفوس قبل المجتمعات إلاَّ حين تستولي على القلوب مُداهَنَةُ الخلق ، وتضعفُ فيها مراقبةُ الخالق ، ويَسْتَرْسِلُ الناسُ في الهوى ، وينقادوا للشهواتِ ، حينها تعمُّ الفوضى ، وتنتشرُ الرذيلةُ ، ويتطاولُ الفَسَقَةُ على الخيرِ وأهلِهِ ، وما لِجُرْحٍ بِميِّتٍ إيْلاَمُ.

عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ: « مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ ». [رواه مسلم]

أيُّها المسلمون:

وندركُ تمامَ الإدراك أنَّ كثيراً من الناس لا يَشُكُّون في فَرَضِيَّةِ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا في نفعِهما للأُمَّةِ ولدينِها في الحاضر والمستقبل ، ولكنَّهم يتقاعسون عن ذلك إمَّا تهاوناً ، أو تفريطاً ، أو إعتماداً على غيرهم ، أو تسويفاً ، وإمَّا جُبناً وتخذيلاً وتخويفاً يُلقيه الشيطانُ على قلوبِهم كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران:١٧٥] ، وإمَّا رهبةً من الناسِ وهيبةً منهم ، ولمثل هؤلاء ورد التحذيرُ من النبيِّ ﷺ في قوله: «لاَ يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ فِي حَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ أَوْ سَمِعَهُ». [رواه أحمدُ بسندٍ صحيحٍ] ؛ وفي روايةٍ: « إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُسْأَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَكُونَ فِيمَا يُسْأَلُ عَنْهُ أَنْ يُقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُنْكِرَ الْمُنْكَرَ إِذْ رَأَيْتَهُ. قَالَ: فَمَنْ لَقَّنَهُ اللهُ حُجَّتَهُ قَالَ: رَبِّ رَجَوْتُكَ وَخِفْتُ النَّاسَ ». [رواه أحمدُ وصحَّحَهُ وابنُ حِبَّان]

ناهيكم -عباد الله- عَمَّن يتَعَلَّلُون بقول الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:١٠٥] ، ولقد قطعَ الطريقَ على هؤلاء الصِّدِّيقُ -رضي الله عنه- بقوله: (أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:« إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ »). [رواه أحمدُ والترمذيُّ وهو صحيحٌ]

وصدقَ اللهُ العظيمُ حين قال: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧].

ومن سُنَنِ الله تعالى الثابتةِ التي لا تتغيَّرُ ولا تتبدَّلُ: أنَّه إذا وقعَ الإهمالُ في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثمَّ وقعَ العذابُ فإنَّه يعمُّ الجميعَ ، قال اللهُ تعالى: ﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال:٢٥].

وعن زَينبَ بنتِ جَحْشٍ -رضي الله عنها- أنَّ النبيَّ ﷺ دخلَ عليها فَزِعًا يَقُولُ: « لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ! فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ -وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا-». قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟! قَالَ: « نَعَمْ ! إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ ».[رواه البخاري ومسلم]

قال عمرُ بن عبد العزيز -رحمه الله-: (إنَّ اللهَ تبارك وتعالى لا يُعَذِّبَ العامَّةَ بذنب الخاصَّةِ ، ولكن إذا عُمِلَ المنكرُ جهاراً استحقُّوا العقوبةَ).

معاشرُ المسلمين:

لقد أهلك الله الأمَمَ من قبلنا وطردَها عن رحمته ؛ لَمّا تكاسلت عن التآمُرِ بالمعروف والتناهي عن المنكر ، فكانت المعاصي تُرتكبُ دونَ رقيبٍ أو حسيبٍ. روى ابنُ مسعودٍ -رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « إنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلاَ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ قَالَ: ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ **فَاسِقُونَ** ﴾ ثُمَّ قَالَ: كَلاَّ وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ ». [أخرجه أبو داودَ والترمذيُّ]

لقد فشى في الناس الظلمُ والتظالُمُ وعَمَّت المنكراتُ والمعاصي بشكلٍ يؤذنُ بحلولِ نقمةِ اللهِ تعالى ، وإنَّ نظرةً واحدةً إلى واقعِ المسلمين اليوم لتبعثُ على الأسى والحرقة ، لَمَّا فرَّطَت في القيام بما كُلِّفت به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالمعاكسُ الذي يَتَتَبَّعُ عوراتِ المسلمين لا يجدُ من يقولُ له اتَّقِ الله ، وصاحبُ الفيديو الذي هدَّم أخلاقَ الأُمَّةِ بما يبيعُها من أفلامٍ ما جنةٍ لا يجدُ من يقولُ له اتَّقِ الله ، والجارُ لا يأمرُ جارَه بالحقِّ ولا ينهاه عن الباطل ، وهكذا بقيَّةُ المعاصي والمنكرات التي تعجُّ بها

المجتمعاتُ ، حتى إنَّ الإنسانَ ليمرُّ على أخيه المسلمِ وقتَ الصلاةِ فلا يقولُ له: يا هذا قمْ إلى الصلاة.

أَوَيَعْجَزُ المسلمُ أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في كبرى الأمور التي ليست بحاجةٍ إلى مزيدٍ من البحث والتدقيق؟! كلاَّ وا للهِ ، ولكنّه التكاسلُ الواضحُ عن القيام بهذه الشعيرةِ المُهِمَّةِ ، وعدمُ الشعور بالمسئوليَّةِ المُلْقَاةِ على عاتق المسلم ، فلقد أوجب الإسلامُ على أتباعه تغييرَ المنكر ، وحدَّدَ له درجاتٍ معروفةٍ في قول المصطفى ﷺ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرَاً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ ».[رواه مسلم]

فاتَّقوا ا لله أيُّها المسلمون : مُرُوا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا ا لله فلا يستجيبُ لكم ، وتستغفرونَه فلا يغفرُ لكم ، وليعلمْ كلُّ مسلمٍ أنَّه على ثَغْرَةٍ من ثُغُورِ الإسلام فليحذر أن يُؤتىَ من قبله.

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٥].

بارك ا للهُ لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعَنَا بهدي سيِّدِ المرسلين، أقول ما تسمعون وأستغفرُ ا لله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه كان للأوَّابين غفوراً.

❊❊ ❊ ❊❊

●الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على إحسانهِ، والشكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَهُ تعظيماً لشأنهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الداعي إلى رضوانهِ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ، وأصحابهِ، وإخوانِه، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا اللهَ عباد الله، واعلموا رحمكم الله أنَّ تَرْكَ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر من شأنه أن يُحوِّلَ المجتمع إلى جحيمٍ من المعاصي، ويجعلَه لقمةً سائغةً في أيدي الأعداءِ ينفثون فيه سمومَهم، وبالتالي تُنتزعُ العقيدةُ من النفوس، ويتمَكَّنُ الأعداءُ من سَلْبِ الأمَّةِ من ريادتها، وإنزالِها من عليائها وإطاحتِها في الحضيضِ.

إذا فشى الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر تميَّزَت العقيدةُ، وظهرت السُّنةُ وانطمست البدعةُ، وعُرفَ الحلالُ من الحرامِ، والمكروهُ من المباح والمسنون، ونشأت الناشئةُ على المعروف وألفته، وابتعدت عن الشرِّ واشمأزَّت منه، وإنَّ صاحبَ البصيرةِ ليُدركُ أنَّ ما أصاب الأمَّةَ من جهلٍ بالسننِ والواجبات، والوقوع في البدع والمحرَّماتِ ما هو إلاَّ بسبب العُزُوْفِ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتقليل من شأنهما، يُقارنُ ذلك غزوٌ مُركَّزٌ من الأعداء في إضلال الناس عن تعاليم دينهم، حتَّى نشأ في الإسلام من لا يعرفُ معروفاً ولا ينكرُ منكراً.

نعم أيُّها المسلمون:

إذا تعطَّلَت هذه الشعيرةُ ودُكَّ هذا الحصنُ الحصين، وحُطِّمَ هذا السياجُ المنيع فعلى معالِمِ الإسلامِ السلامُ ، وويلٌ للخير وأهله من الرذيلةِ والمبطلين، وويلٌ لأهلِ الصلاحِ من سَفَهِ الجاهلين وتطاولِ الفاسقين.

عباد الله:

لقد غطَّى الجهلُ وغَلَبَةُ الدين على عقولِ الناس فاغترُّوا بإمهالِ الله تعالى ، وظنُّوا أنَّ تحذيرَ الغيورين من مَغَبَّةِ التمادي في المنكر والسكوت عن إنكاره ، ظنُّوا ذلك ضرباً من ضروب الخيال الفكريِّ والتخويف المُبالَغِ فيه ، وليس حقيقةً واقعةً ، ولكنَّ الذين يستنيرون بنور الوحي ، ويتأمَلُون نصوصَ الكتاب والسنة يُدركون العقوبات العظيمة التي سنَّها الله تعالى في حقِّ كلِّ أمَّةٍ تخلَّت عن التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر ، وهذا هو التاريخُ خيرُ شاهد:

فاقرأوا التاريخَ إذْ فيه العبرُ ضَلَّ قومٌ ليسَ يدرونَ الخَبَرَ

قال الإمامُ أحمدُ بن حنبل -رحمه الله-: (إنَّ المنافقَ إذا خالطَ أهلَ الإيمان فأثمرت عَدْوَاهُ ثمرتَها صارَ المؤمنُ بين الناسِ معزولاً ؛ لأنَّ المنافقَ يصمتُ عن المنكرِ وأهلِه ، فَيَصِفُهُ الناسُ بالكِيَاسَةِ والبُعدِ عن الفضولِ، ويُسَمُّونَ المؤمنَ فُضُولِيًّا).

وأبلغُ من ذلك وأعظمُ تشبيهُ النبيِّ ﷺ المجتمعَ بالسفينة المشتركةِ بين قومٍ في قوله: « مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي

أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ! فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا ».[رواه البخاريُّ وغيرُه]

ثمَّ اعلموا رحمكم الله: أنَّه يجبُ على من يقومُ بهذه الشعيرة العظمى أن يتحلَّى بالرِّفْقِ واللِّينِ وسَعَةِ الصدر وأنْ يبتعدَ عن الغضب ، وأن ينظرَ إلى الواقعين في المعاصي بعينِ الرحمةِ والشفقةِ والنُصْحِ ، وأن يشكرَ نعمةَ الله الذي لم يجعله مثلَهم.

وأن يتحلَّى بالصبر فإنَّه نعمَ الرَّفِيْقُ ، وليكن للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر سَلْوةٌ في الأنبياءِ والمرسلين عليهم الصلاةُ والسلامُ ؛ لأنَّ هذه هي وظيفتُهم ، ولو سَلِمَ أحدٌ من أذى الناس لكان الأنبياءُ أولى وأحرى ؛ فلقد أُوذوا وقُتِلوا وصُلِبوا وأُخرجوا من ديارهم ، وسُجِنوا بغير حقٍّ إلاَّ أنَّهم قالوا لقومِهم: اتَّقوا الله ما لكم من إلهٍ غيره.

وليعلمْ أنَّه ليسَ مطالبٌ بهدايةِ الناسِ ، وتحقيقِ الصلاح لهم ، وإنَّما عليه الجدُّ في البلاغ معذرةً إلى ربِّهِ ولعلَّهم يتَّقُونَ.

ومن أوجبِ ما يتعيَّنُ على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون أبعدَ الناس عمَّا ينهى عنه ، وأقربَهم إلى ما يأمرَ به. وأن يحذرَ مخالفَتهم إلى ما ينهاهم عنه ، قال المصطفى ﷺ : « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ ! مَا لَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟! فَيَقُولُ: بَلَى ! قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ ».[متفقٌ عليه]

ولقد أحسنَ القائل:

يا أَيُّهـا الـرجــلُ المُعـلِّــمُ غيرَه هَلاَّ لنفسِـكَ كان ذا التعليمُ
تصفُ الدواءَ لذي السقامِ وذي الظَّـنا كيما يصحَّ به وأنتَ سقيمُ
لا تَنْـهَ عــن خُلُــقٍ وتـأتي مثلَـه عـارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

عباد الله:

إنَّ الأمَّةَ بحاجـةٍ إلى دعـاةٍ يملكـون قلوبـاً رحيمـةً تتـأَثَّرُ لواقـع النـاس، وتحزنُ عليهم، مما يدفعُها إلى السعي الجادِّ لإصلاح أحوالهم ودعوتهـم إلى التوبة والإستغفار، فكونـوا مـن هـؤلاء عبـاد الله، وتعـاونوا علـى الخـير وتآمروا به، وابتعدوا عن الفسادِ وتناهوا عنه.

هذا وصلُّوا وسلِّموا على من أمركم اللهُ تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَـتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُـواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقـال ﷺ: « مَـنْ صَلَّـى عَلَـيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ». [رواه مسلم]

❧ ❧ ❧

أضرار المعاصي وكيفيّة السلامة منها

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلّى عليه وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا ا للهَ سبحانه وتعالى حقَّ التقوى، واستَمْسِكُوا من الإسلامِ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى، واحذروا المعاصي فإنَّ أقدامَكم على النارِ لا تقوى ، وتزَوَّدوا فـإنَّ خيرَ الزادِ التقوى ، واتَّقوا ا للهَ الذي إليه تحشرون.

عباد ا للهِ:

خلقَ ا للهُ تعالى الإنسانَ ، وكرَّمَه ، وأصطفاه ، وفضَّلَهُ على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً ، وأودعَ في النفس البشريَّةِ خِلاَلاً وصفاتٍ ، وسجايا وطبيعاتٍ ، ومن تلك السجايا والصفات التي فُطرت عليها النفسُ البشريَّةُ: طبيعةُ التقصيرِ والخطأ ،.والإنحرافِ والهوى ، فالمعصيةُ طبعٌ جِبِلِّيٌّ ، وخلقٌ بشريٌّ ، متى ما كان الوقوعُ فيها بدافع الشهوةِ والشبهةِ ، دون محبةٍ أو رغبة ، مع كُرْهِ القلبِ لها ، ونفور النفس منها.

وقد اقتضت حكمةُ ا للهِ تعالى واتصافُه بصفات المغفرة والرحمة والعفو أن يقعَ العبادُ في الذنوب ، والآثام ، ثمَّ يرجعون إلى ا للهِ مقبلين تائبين ، فيغفرُ لهم ، ويتجاوزُ عنهم ، بِمَنِّهِ وكَرَمِه ، ولو شاء ا للهُ لآمنَ من في الأرض أجمعين ، ولهدى الناس كلَّهم جميعاً، لكنَّ حكمته اقتضت أن يملأ الجنةَ والنارَ من خلقهِ:

ما للعبادِ عليه حقٌّ واجبٌ ... كَلاَّ ولا سعيٌ لديهِ ضائعُ
إن عُذِّبُوا فبعدلِه أو نُعِّمُوا ... فبفضلِه وهو الكريمُ الواسعُ

عباد الله:

من ذا الذي لم تصدُرْ منه زَلَّةٌ ، ولم تَقَعْ منه هفوةٌ ، ولم يَقَعْ في معصيةٍ، وقد قال المصطفى ﷺ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ ». [رواه مسلم]

وروى الترمذيُّ وابنُ ماجةَ وأحمدُ أنَّه ﷺ قال: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ ».

فأيُّ نفسٍ يا عبادَ اللهِ غيرَ نفوسِ الأنبياءِ المعصومَةِ عليهم الصلاةُ والسلامُ ترتقي إلى درجةٍ ومنزلةٍ لا تُدركُها كَبْوَةٌ ، ولا تَغْلِبُها شَهْوَةٌ:

واعلمْ بأنَّك إن أردتَ　　　مُبرأً رُمتَ الشَطَطْ
من الذي ما ساءَ قَطّ　　　ومن له الحسنى فقطْ

ولكنَّ المؤمنَ الصادقَ في إيمانه مع ذلك كلِّه يُدركُ خطورةَ المعصيةِ، وشناعتَها ، وأنَّها جُرْأَةٌ على مولاه ، فإذا وقع فيها تحت ضعفٍ بشريٍّ، واقَعَها مواقعةَ ذليلٍ خائفٍ ، يَتَمَنَّى ذلك اليوم الذي يُفارقُ فيه الذنبَ ، ويتخلَّصُ من شُؤْمِ المعاصي.

فالواقعون في المعاصي أحُد رجلين:

إمَّا رجلٌ يقعُ في المعصية حباً لها ، وشغفاً بها ، تَتَحَكَّمُ المعصيةُ من قلبه، وتسطو على تفكيره ، حتَّى يسعى بكلِّ جوارحِه للوقوعِ فيها ، وقد يبذل مالاً أو جاهاً حتَّى يقعَ فيها ، فإذا حالَ بينه وبينَ الوقوعِ فيها حائلٌ أخذَتْهُ الحَسَرَاتُ ، وعَصَرَهُ النَّدَمُ على أنه لم يَتَمَكَّنْ من فِعْلِهَا ، كلُّ ذلك

دونَ رادعٍ من دينٍ أو خُلُقٍ أو ضمير ، فلا يُفكِّرُ بالتوبةِ ، ولا يُقِيمُ لها وزناً ، فهذا وأمثاله لا تزال خطواتُه تقودهُ من معصيةٍ إلى أخرى ، ومن صغيرةٍ إلى كبيرةٍ حتّى تَكُبَّهُ على وجههِ في النار عياذاً با لله.

وإمَّا رجلٌ يُبغضُ المعصيةَ ، ويُقبلُ على الطاعةِ ، لكنَّه تأخذُه في لحظةٍ من اللحظاتِ حالةُ ضعفٍ بشريٍّ، فيواقِعُ المعصيةَ - أيّاً كانت - وما أنْ يُفارِقُها حتّى يلتهبَ فؤادُه ندماً وحسرةً ، وخوفاً ووجلاً من ا لله تعالى ، فيحتقرُ نفسَه ، ويمقتها ، ثمَّ يَتَجِّهُ إلى ا لله طارقاً بابه ، راجياً عفوَهُ وغفرانَه، فهذا مِمَّن قال ا للهُ فيهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ا للهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ ا للهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىَ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥].

ولقد صَوَّرَ ابنُ مسعودٍ -رضي ا لله تعالى عنه- حالَ المؤمنِ مع المعصية تصويراً بليغاً دقيقاً ، فقال: (إنَّ المؤمنَ يرى ذنوبَه كأنَّه قَاعِدٌ تحتَ جبلٍ، يخافُ أن يقعَ عليه ، وإنَّ الفاجرَ يرى ذنوبَه كَذُبَابٍ مرَّ على أنفِه ، فقالَ به بيدِه ، فطارَ).

قال المُحِبُّ الطبريُّ-رحمه ا لله-: (وإنَّما كانت هذه صفةَ المؤمنِ ؛ لشدَّةِ خوفِه من ا للهِ ، ومن عقوبته وسخطه ؛ لأنَّه على يقينٍ من الذنب ، وليس على يقينٍ من المغفرة ، والفاجرُ قليلُ المعرفة با لله ، فلذلك قلَّ خوفُه من ا لله ، واستهانَ بالمعصيةِ).

أيُّها المسلمون:

المعاصي سببُ كلِّ عناءٍ ، وطريقُ كلِّ تعاسةٍ وشقاءٍ ، ما حَلَّتْ في ديار إلاَّ أهلكتها ، ولا فشت في مجتمعاتٍ إلاَّ دَمَّرَتْها وأزالتها ، وما أهلكُ ا للهُ تعالى أُمَّةً من الأُمَمِ إلاَّ بذنبٍ ، وما نجى من نجى وفازَ من فازَ إلا بتوبةٍ وطاعةٍ ، فإنَّ ما أصابَ الناسَ من ضُرٍّ ، وضيقٍ في كلِّ مجالٍ من المجالات ، فردِيًّا كان أو جماعِيًّا ، هو بسبب معاصيهم وإهمالِهم لأوامرِ ا للهِ عزَّ وجلَّ، ونسيانِهم شريعَتِه ، وصدقَ ا للهُ سبحانه إذ يقولُ: ﴿ **وَمَآ أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ** ﴾ [الشورى:٣٠] ، ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [الروم:٤١].

وكتابُ ا للهِ تعالى خيرُ شاهدٍ ، فقد عمَّ قومَ نوحٍ الغَرَقُ ، وأهلكت عاداً الريحُ العقيمُ ، وأخذت ثمودَ الصيحةُ ، وقُلِبَت قُرَى قوم لوطٍ عليهم ، ﴿ **فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ا للهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ [العنكبوت:٤٠].

عباد ا لله:

وحينَ طَغَتِ على كثيرٍ من الناس النظرةُ المادية ؛ فضَعُفَ عندهم ربطُ الأسباب بمسبِّباتِها ، وغفلوا عن إدراك سننَ ا لله الكونيَّةِ ، وآياته المعجزة الظاهرة ، يؤازرُ ذلك ويُساعده تتابعُ الفتن والشهوات على الناس ،

صُدُّوا عن السبيلِ ، ووقعوا في المعاصي دون أدنى رقيبٍ أو محاسبة ، نعم عباد الله! لقد انتشرت الفواحشُ ، وعمَّت المنكراتُ ، واستُبيحت المحرَّماتُ ، ووقعَ الناسُ في الذنوبِ والموبقاتِ ؛ لَّما غابَ عنهم الرقيبُ ، وضَعُفَ في نفوسِهم الإيمانُ فهانوا على الله فلم يُبالِ بهم في أيِّ أوديَتِه هلكوا.

ذُكِرَ للحسنِ البَصْريِّ -رحمه الله- أنَّ قوماً وقعوا في المعاصي ، فقال: (هانوا على الله فعصَوْه ، ولو عزُّوا عليه لعصمَهم).

نعم أيُّها الإخوة ! لقد وقعَ الناسُ في المعاصي والذنوب لَّما اسْتَحْكَمَتِ الغفلةُ من القلوب ، ورَانَ حبُّ الدُّنيا على النفوسِ ، فَأَمِنتْ مكرَ الله.

عباد الله:

المعاصي مزيلةٌ للنعم ، جالبةٌ للنقم ، مؤديةٌ إلى الهلاك والدمار ، فقد روى ابنُ ماجةَ وغيُره عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: أَقْبَلَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ ، فقالَ: « يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمِ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ

تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلاَّ جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ)).

أيُّها المسلمون:

إنَّ أضرارَ المعاصي، وشؤمَ الذنوبِ عظيمٌ وخطيرٌ؛ فهي موجبةٌ للذُّل والحرمان، جالبةٌ للصَّدِّ عن سبيلِ الرحمنِ، تُفْسِدُ القلوبَ، وتُورثُ الهوانَ، وتوجبُ اللعنةَ من اللهِ ومن رسولِه، تُزيلُ النعمَ، وتجلبُ النقمَ، وتُلقي الرُّعبَ والخوفَ في القلوب، تُعمي البصيرةَ، وتطبعُ عليها، وتُسقطُ الكرامةَ، تُوجبُ القطيعةَ، وتمحقُ البركةَ، ما لم يَتُبِ العبدُ منها، ويرجعُ إلى الله تعالى خائفاً وجلاً، تائباً طائعاً. قال ابنُ المبارك -رحمه الله-:

رأيتُ الذُّنوبَ تُميتُ القلوبَ ... وقد يُورث الذُّلَ إدمانُها
وتركُ الذُّنوبِ حياةُ القلوبِ ... وخيرٌ لنفسِكَ عِصْيانُها

وقال مجاهدٌ -رحمه الله-: (إنَّ البهائمَ لَتَلْعَنَ العُصَاةَ من بني آدم إذا اشتَدَّتِ السَّنَةُ، وأمْسَكَ المَطَرُ، تقولُ هذا بِشُؤْمِ معصيةِ بني آدم).

وقال عكرمةُ -رضي الله عنه-: (دَوَّابُ الأرضِ وهوَّامُها يقولون: مُنِعْنَا القَطْرَ بذنوبِ بني آدم).

ولذلك كلِّه -عباد الله- فقد حَذَّرَ النبيُّ ﷺ من المعصية؛ لِمَا لها من آثارٍ سيئةٍ على الأفراد والمجتمعات؛ فقد روى الإمامُ أحمدُ -رحمه الله-

عن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ -رضي الله عنه- قال: (أوصاني رسولُ الله ﷺ بعشرِ كلماتٍ ، وذكرَ منها: « إِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ ؛ فَإِنَّ بِالْمَعْصِيَةِ حَلَّ سَخَطُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ »).

ثمَّ اعلموا -رحمكم الله- أنَّ للمعصيةِ ظُلْمَةً يجدها العاصي في قلبه، لا يبدُّدها ، ويجلوَها إلاَّ التوبةُ إلى الله تعالى ، والتقرُّب إليه بالأعمال الصالحة، قال ابنُ عباسٍ -رضي الله تعالى عنهما-: (إنَّ للحسنَةِ ضياءً في الوجهِ ، ونوراً في القلب ، وسَعَةً في الرِّزْقِ ، وقُوَّةً في البدن ، ومحبةً في قلوب الخلق ، وإنَّ للسيِّئَةِ سواداً في الوجه ، وظُلْمَةً في القلب ، ووهَناً في البدن ، ونقصاً في الرزق ، وبُغْضَةً في قلوب الخلق).

قال ﷺ : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ، وَلاَ يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلاَّ الدُّعَاءُ، وَلاَ يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلاَّ الْبِرُّ». [رواه أحمدُ، وابنُ ماجه، وهو صحيحٌ]

قال الفُضَيلُ بن عِيَاضٍ -رحمه الله-: (إنِّي لأَعْصِي الله تعالى فأرى ذلك في خُلُقِ دَابَّتِي وامرأَتي).

وإنَّ للمعاصي -أيُّها المسلمون- من الآثارِ القبيحة المذمومة المُضِرَّةِ بالقلب والبدن ، في الدُّنيا والآخرةِ ما لا يعلمهُ إلاَّ اللهُ ؛ من حِرْمَانٍ للرزقِ، ووحشةٍ يجدُها العاصي بينه وبين الناس وبينه وبين الله ، ومن تعسُّرِ الأمورِ عليه ، وحِرْمَانِ التوفيقِ، والظُّلْمَةِ في القلب ، وحِرْمَانِ الطاعةِ، ونقصٍ في العمر ، ومَحْقٍ للبركة ، وأعزُّ من ذلك كلِّه نقصُ العلم وحِرْمَانُه ، قال الشافعيُّ -رحمه الله-:

شكوتُ إلى وَكِيْعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إلى تَرْكِ المعاصي

وقالَ اَعْلَمْ: بِأنَّ العِلْـم نُـورٌ   ونـورُ الله لا يُؤتاهُ عاصي

وكذا هَوَانُ العبدِ على ربِّه ، وسقوطُهُ من عينهِ ، ﴿ وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الحج:١٨] ، ووقوعُ العاصي في الذُّل والمهانَةِ ؛ لأنَّ العزَّ كلَّه في طاعة الله.

قال الحسنُ البَصْرِيُّ -رحمه الله-: (إنَّهم وإن طَقْطَقَتْ بهم البغالُ، وهَمْلَجَتْ بِهِمُ البَرَاذِيْنُ إنَّ ذُلَّ المعصيةِ لا يُفارقُ قلوبهَم ، أبى اللهُ إلاَّ أن يُذِلَّ من عَصَاهُ).

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۞ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ ۞ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۞ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٦-٩٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

۞۞ ۞ ۞۞

● الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ حمـداً كثيراً طيِّباً مُبارَكاً فيه كما يُحبُّ ربُّنا ويرضى ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاشريكَ لـه ، وأشهدُ أنَّ محمـداً عبدُ الله ورسولُه صلَّى اللهُ عليه وعلى آلـهِ وصحبِه ومـن تبِعَهـم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا اللهَ رحمكم الله ، واعلموا أنَّ المعاصي إنَّما تُحَارَبُ بطاعةِ الله تعالى ومُرَاقَبَتِه والخَوْفِ منه ، واسْتِعْظَامِ الذُّنوبِ والتوبةِ منها عند الوقوعِ فيها ، ﴿ **وَتُوبُوٓاْ إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: ٣١].

عباد الله:

إنَّ اسْتِعْظَامَ الذَّنْـبِ يتولَّـدُ منـه لـدى صاحبِـهِ استغفارٌ ونـدمٌ وتوبـةٌ وإلحَاحٌ على اللهِ عزَّ وجلَّ بالدُّعَاءِ ، وسؤالِه سبحانه أن يُخلِّصَهُ من شُؤْمِه ووَبَالِه ، وما يَلْبَـثُ ذلـك أن يُوَلِّـدَ لـدى الإنسان دافعاً قويَّاً يُمَكِّنُهُ من الإنتصارِ على الشَّهَوَاتِ والسَّيْطَرَةِ على الهوى.

أمَّا أولئك الذين يحتقرونَ الذُّنوبَ فقد يشعرُ أحدُهم بالنَّدَمِ ، ويعزِمُ على التوبة لكنَّها عزيمةٌ باردةٌ ضعيفةٌ سرعان ما تنهارُ مرةً أخرى أمام دواعي المعصية. قال بعضُ السَّلَفِ: (لا تنظـرْ إلى صِغَرِ الخطيئةِ ، ولكن انظُرْ إلى عَظَمَةِ من عصيت).

روى البخاريُّ عن أنسٍ -رضي الله عنه- قال: « إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ ؛ يَعْنِي: الْمُهْلِكَاتِ ».

وروى ابنُ أبي عَاصِمٍ وأبو نُعَيْمٍ في الحِلْيَةِ عن حُذَيفَةِ بن اليَمَانِ -رضي الله تعالى عنه- قال: (إنْ كَانَ الرَّجُلُ ليتكَلَّمُ بالكلمةِ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فيصيرُ بها منافِقاً ، وإنِّي لأَسْمَعُها من أحَدِكُم في المَجْلِسِ الواحدِ أربعَ مرَّاتٍ).

وإنَّ المسلمَ ليقفُ أمامَ هذه الآثار مُتَسَائِلاً: ماذا عسى خيرُ القرون أن تقولَ أو تفعلَ من أفعالٍ تُعَدُّ من الموبِقَاتِ إذا ما قُورنت بما نقع فيه يا عباد الله من الجرائم العظام ، والذُّنوب الكبار التي لا نُبالي بها فالله المستعان.

فاحتقارُ الذُّنوب -معاشرُ الإخوة- والتهاونُ بها أمرٌ خطيرٌ ، فقد روى الإمامُ أحمدُ والطبرانيُّ عن ابنِ مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: « إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ، وَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلاً؛ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلاَةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَاداً، فَأَجَّجُوا نَاراً، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا ».

وهذا تشبيهٌ بليغٌ من أفصحِ الناسِ ﷺ لشؤم الذنوب وخطرها على العبد ، وهو لا يُبالي بها ، فالعودُ لا يصنعُ شيئاً ، والثاني كذلك ، لكنَّها حين تجتمع تُصبحُ حطباً يُشعلُ النارَ ، ويُنضجُ ما فيها.

ورحمَ ا للهُ ابنَ المُعْتَزِّ حينَ قال:

خَلِّ الذُّنوبَ صغيرَها وكبيرَها ذاكَ التُّقى
واصنعْ كماشٍ فوقَ أرضِ الشوكِ يحذرُ ما يرى
لا تحقِرَنَّ صَغِيْرَةً إنَّ الجبالَ من الحصى

أيُّها المسلمون:

وبِقَدْرِ ما يَصْغُرُ الذنبُ عند العاصي بقدر ما يعظُم عند ا لله ، وبقدر ما يَعْظُمُ عندَه يَصْغُرُ عندَ ا لله ، قال ابنُ القَيِّمِ رحمه ا لله-: (فاستقلالُ العبدِ للمعصيةِ عينُ الجُرْأَةِ على ا لله ، وجَهْلٌ بقَدْرِ من عصَاه ، وبقَدْرِ حَقِّهِ ، وإنَّما كانَ مُبَارَزَةً لأنَّه إذا اسْتَصْغَرَ المعصيةَ واستقلَّها هانَ أمرُها ، وخَفَّتْ على قلبهِ ، وذلك نوعُ مُبَارَزَةٍ).

ا للهُ أكبرُ -يا عباد ا لله- كم من كلمةٍ لا نُلقى لها بالاً ، يهوي بها الواحدُ منا في النار أبعدَ مِمَّا بينَ المشرقِ والمغربِ ؛ سُخْرِيَةً بمسلمٍ ، أو هَمْزَاً له ، أو وقوعاً في عِرْضِه ، أو كلمةً غيرَ صادِقةٍ، وكم من تقصيرٍ في واجبٍ لا نعبأُ به ، وارتكابٍ لمحَرَّمٍ لا نَتَوَرَّعُ عنه ، وهكذا تتراكم علينا الذنوبُ المهلكة، وبعد ذلك نسأل ! لماذا تقسو القلوب ، وتُظلِمُ النفوسُ ، وتضيقُ الصدورُ ، وندعو فلا يُستجابُ لنا ، ونسألُ فلا نُعطى ، ونستغفرُ فلا يُغفرُ لنا:

نحنُ ندعو الإلهَ في كلِّ كَرْبٍ ثمَّ ننساهُ عندَ كَشْفِ الكُرُوبِ
كيفَ نرجوُ إجابةً لدعاءٍ قد سددنا طريقَه بالذنوبِ

أيُّها المسلمون:

وثَمَّتَ جانبٌ آخرُ لا يقلُّ عما ذكرنا وهو المُجَاهَرَةُ بالمعصيةِ ؛ فحين يبتلي الله تعالى أحداً من عباده ، فتغلبه نفسُه الأمَّارَةُ بالسوء ، ويقودُه الشيطانُ والهوى إلى الوقوع في المعصية ، في غَيْبَةٍ من الناسِ ، وتَسَتُّرٍ وحياء -وقد ستره الله- لكنَّه ما أن يُفارقَ تلك المعصية حتَّى يذهبَ يكشفُ سترَ الله عليه؛ يقول: يا فلان ! عملتُ البارحة كذا وكذا ، مجاهرةً بمعصية الله تعالى ، فهذا إثمُهُ عظيمٌ ، وعقابُه أليمٌ ، قال ﷺ : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إلاَّ الْمُجَاهِرِينَ؛ وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ! عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ ». [رواه البخاري ومسلم]

فاتَّقوا الله عباد الله ، واحذروا المعاصي كبيرَها وصغيرَها ، وعليكم -رحمكم الله- بملازَمَةِ الاستغفارِ والتوبةِ ، فإنَّ الله سبحانه يغفرُ الذُّنوبَ جميعاً ما لم يُشْرَكْ بهِ ، يَبْسُطُ يدَهُ بالنَّهارِ ؛ ليتوبَ مُسِيءُ الليلِ ، وَيَبْسُطُ يدَهُ بالليلِ ؛ ليتوبَ مُسِيءُ النَّهارِ حتَّى تَطْلُعَ الشمسُ من مغربها ، حينها ﴿ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيَ إِيمَانِهَا خَيْراً﴾ [الأنعام:١٥٨].

وإنَّ رحمةَ اللهِ تعالى بعباده عظيمةٌ ، فَمَهْمَا بَارَزَهُ العبدُ بالمعصية ، ومَهْمَا ارتكبَ من سوءِ أدَبٍ في حَقِّهِ ثمَّ رَجَعَ إليه مُنِيْباً تائباً ، طارقاً بابَهُ ، سائِلاً عَفْوَهُ وغُفْرَانَهُ وجدَه سبحانه وتعالى غفوراً رحيماً ، أرحمَ بعباده

من الوالِدَةِ بولَدِها ، شديدَ الفرح بتوبـةِ عبـدهِ إذا تـابَ إليـه وأنـابَ، ولـو كان الإنسانُ يتعاملُ مع غيرِ اللهِ لوجدَ الفرقَ شاسعاً.

هذا وصلُّوا وسلِّمُوا رحمكم الله على المبعوثِ رحمةً للعـالمين محمـدِ بـن عبدِ الله عليه أفضلُ الصلاةِ وأتَمُّ التسليمِ....

❧ ❧ ❧

آداب الطـــريق وأحكـــامه

● الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الواحدِ الأحدِ ، الفردِ الصمدِ ، الذي لم يلـد ولم يولـد ، ولم يكن له كُفُوَاً أحد ، والصلاةُ والسلامُ على أفضلِ المُصْطَفَيْنِ محمَّـدٍ، وعلى آلهِ وصحبِه ومن تعبَّدَ .

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله معاشرَ المسلمين فـإنَّ تقـوى الله سـبحانه وتعـالى هـي الـزادُ المُبلِّغُ ، و الطريقُ الموصلُ إلى جنات النعيمِ ، من خَاف أَدْلَـجَ ، ومَـن أَدْلَـجَ بَلَغَ المنزلَ ، ﴿ **أَلآ إِنَّ أَوْلِيَـآءَ اللهِ لاَ خَـوْفٌ عَلَيْهِـمْ وَلاَ هُـمْ يَحْزَنُـونَ ۞ الَّذِيـنَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُـونَ ۞ لَهُـمُ الْبُشْـرَىَ فِي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وَفِـي الآَخِـرَةِ لاَ تَبْدِيـلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

عباد الله:

الطُّرُقُ في الإسلام وسائلُ إرْفَاقٍ وتوسعةٍ ، وتيسيرٍ على الناس في مجتمعاتهم ، ومن عظمة هذا الدين الخالدِ ، والشرعِ الفاضل أن حوت تعاليمُه وقيمُه ومبادئهُ كلَّ ما من شأنه أن يوَفِّرَ للمجتمع السعادةَ والراحَةَ والطمأنينةَ ؛ حتّى يتوجَّهَ الناسُ لربِّهم بالطاعَةِ ، ويفردوه بالعباده ، فالطريقُ في الإسلامِ واحدٌ من مَرَافِقِ المسلمين العامة التي شملتها تعاليمُه ، فحدَّدَت آدابَه ، ونَظَّمَت مجالِسَهُ ، وبيَّنَت حقوقَه ، وحقوقَ المارِّيْنَ به في أَدَبٍ رفيعٍ ، وسُمُوٌّ في الأخلاقِ أَصِيْلٍ.

ولقد وجَّه المصطفى ﷺ المسلمينَ إلى تنظيف الطرقات والأماكن العامة من المؤذيات ، والمستقبحات ، وبَيَّنَ في أحاديثَ كثيرةٍ أنَّ إمَاطَةَ الأذى عن الطريق من شُعَبِ الإيمانِ ، وأنَّها من محاسنِ الأعمال ، وجميلِ الخِصَالِ؛ لأنَّها خِدْمَةٌ جليلةٌ ، تعودُ بالنفع على كلِّ من مَرَّ بالطريقِ ، واستخدمَ تلك الأماكِنَ والمَرَافِقَ ، وهي بذلك تُعتبَرُ مظهراً من مظاهر مكارمِ الأخلاق.

قال رسولُ الله ﷺ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لاَ تُدْفَنُ ». [رواه مسلم]

وقال ﷺ : « لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ ». [رواه مسلم]

وفي روايةٍ لمسلمٍ قال: « مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَا للهِ لأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لاَ يُؤْذِيهِمْ. فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ ».

وفي لفظٍ للترمذيِّ والبُخَاريِّ في الأَدَبِ المُفْرَدِ أنَّه ﷺ قال: « تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ ».

عباد الله:

وإذا كان هذا الثوابُ العظيمُ لمن يَكُفُّ الأذى عن المسلمين في طرقاتهم، فكيف تكونُ العقوبةُ لمن يَتَعَمَّدُ إيذاءَ الناسِ في طُرُقَاتِهم ، ومرافِقِهم العامَّةِ ، ويجلِبُ المستقذراتِ ، لا سيَّمَا بين الجيران ، وينشرُ المخلَّفاتِ في متنزَّهَاتهم ، وأماكنِ استظلالِهم ، وجلوسِهم ؟! إنَّ هذه العقوبةَ يُبيِّنُها المصطفى ﷺ في قوله: « مَنْ آذَى المسْلِمِيْنَ فِي طُرُقَاتِهم وَجَبَتْ عَلِيهِ اللَّعْنَةُ ». [رواه الطبرانيُّ بسندٍ صحيح]

وعند مسلمٍ أنه ﷺ قال: « اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ ». قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ ا للهِ ؟ قَالَ: « الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ ».

ولقد وجَّهَ الإسلامُ أتباعَهُ إلى الأدبِ الرَّفِيْعِ في المشي في الطرقات ؛ بسكينةٍ ، ووقارٍ ، هوناً من غير تكلُّفٍ ولا تَصَنُّعٍ ولا كِبْرٍ ولا خُيَلاَءٍ ، مع خَفْضِ الصوتِ ، وطِيْبِ الكلامِ ، وردِّ السلام على من فيها ، ﴿وَعِبَادُ

الرَّحْمَـنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُواْ سَـلاَماً﴾ [الفرقان:٦٣] ، يُعِينُ ذا الحاجة ، ويدُلُّ الضَّالَ ، وينصرُ المظلومَ ، يأمرُ بالمعروف وينهى عن المنكر ، لا يحتقرُ صغيراً ، ولا يُسيءُ لكبيرٍ ، ولا يهزأُ من أحدٍ ، ولا يسخرُ من ذي صنعة.

عباد الله:

ولَمَّا كانت الطرقاتُ تتخلَّلُ بيوتَ المسلمين ، وقد تنكَشِفُ فيها للمارة، فيبدو ما بداخِلها لهم أمرَ الإسلامُ المسلمين بغضِّ البصر ؛ حفظْاً للحرمات ، وصيانةً للعورات ، وحمايةً للنفوس من الشهواتِ المحرَّمَةِ ، والنوايا الفاسدَةِ ، فالنظرُ بريدُ الخطايا ، ومن أطلق النظرات بلا زمامٍ تَجَرَّعَ الحسَرَاتِ ، وذاك الشاعر العربيُّ الجاهليُّ يقول:

وأغضُّ طرفي إن بَدَتْ لِيَ جَارَتِي حتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي مثواهَا

ومن أبرز آداب الطريق -معاشر الإخوة-: إفشاءُ السلام على من فيه من الناس ؛ فهو دليلٌ على المحبة المطلوبة بين المسلمين ، وعنوانٌ للأخوَّةِ والأُلْفَةِ بينهم ، وسببٌ لحصول الأجرِ والمثوبة من الله تعالى ، قال ﷺ : «لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ». [رواه مسلم]

وقد كان ابنُ عمر -رضي الله عنهما- يخرجُ إلى الأسواق ؛ لإفشاءِ السلامِ على المسلمين ، كَسْبَاً للأجرِ والثواب.

وإنَّ مِمَّا يُؤسَفُ له يا عباد الله: أن تفقدَ أسواقُ المسلمين ، وطرقاتُهم، ومجتمعاتُهم هذا الأدبَ الإسلاميَّ النبيلَ ، فيمُرُّ بعضهُم على بعضٍ دون سلامٍ ، بل لا يُسَلِّمُ أحدُهم -إن سلَّمَ- إلاَّ على من عرَفَه ، وبعباراتٍ مُلَفَّقَةٍ بعيدةٍ عن تعاليمِ الإسلام ، وألفاظِه المميَّزَةِ في السلام الشرعيِّ الذي أرشدَ إليه.

عباد الله:

وإذا كانت بعضُ النفوسِ قد تعوَّدَت على الجلوسِ في الطُرُقَاتِ والتجمُّعِ على أَرْصِفَةِ الشوارعِ العامَّةِ فإنَّ آدابَ الإسلام تنهى عن ذلك قبلَ وقوعِهِ ؛ لِمَا فيه من ذَهَابِ المروءَةِ ، وضَعْفِ الهِمَّةِ ، لكنَّه إذا كان لا بُدَّ من ذلك ؛ فإنَّ على الجالسِ في طَرِيقِ المسلمين أن يتأدَّبَ بما جاء عن المصطفى ﷺ في قوله: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا؛ نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ». قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ». [متفقٌ عليه]

وإنَّ من الناسِ -يا عباد الله- من يتخِذُونَ من الطرقات العامة ، وأماكِنِ البيعِ ، وأَرْصِفَةِ الشوارعِ مجالسَ وأنديةً ، ينشرون عليها الفُرشَ والمقاعدَ ؛ ليتتبَّعُوا العوراتِ ، ويُمزِّقوا الأعراضَ ، ويجرحوا أهلَ الأدب والمروءة ، ويتناولوا المارَّةَ غمزاً بالأبصار ، وطعناً بالألسنةِ ، لا بأدبٍ

يتأدبون ، ولا بأخلاق يتخلّقونَ ، ولا بمروءةٍ ينزجرون ، فلا يَغُضُّوا أبصارَهُم ، ولا يَكُفُّوا ألسِنَتَهم عن اللَّمْزِ والغَمْزِ والسُّخْرِيَةِ بعباد الله ، ناهيك عن الألفاظ القبيحة التي يعافُها كلُّ ذي عقلٍ ومروءة ، قد ضاق بهم الناسُ ذرعاً ، وآذوهم في مرافِقِهم وطرقَاتِهم ، ناهيك -أيضاً- عمَّن يتصيَّدُون مضائِقَ الطُّرُقِ ، ومُلْتَقى الأبوابِ ، ومواطنِ الزِّحَامِ فلا يحلو لهم الجلوسُ إلاَّ بها.

وإنَّ من أقبح الصورِ في ذلك: ما يفعله التائهون الضائعون الذين لا يحلو لهم الكلامُ ولا يطيبُ لهم الجلوسُ إلاَّ في مواطن تجمُّع النساء في الأسواقِ ، والمحلاَّتِ النسائيَّةِ ، ولا عَجَبْ فالطيورُ على أشبَاهِها تقَعُ:

والشَّقِيُّ بالشقَاءِ مُوْلَعٌ لا يَمْلِكُ الرَّدَّ لَهُ إذا أتى

ثمَّ لا تسلْ بعد ذلك عن حياءٍ مفقودٍ ، وعِفَّةٍ مُهْدَرَةٍ ، وكرامةٍ منتهكةٍ، وعِرْضٍ مُلَطَّخٍ بالتراب ، ولقد سُئل المصطفى ﷺ عن قول الله تعالى ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ [العنكبوت:٢٩] ، فقال: ((كَانُوا يَخْذِفُونَ أَهْلَ الطَّرِيقِ وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ؛ فَذَاكَ الْمُنْكَرُ الَّذِي كَانُوا يَأْتُونَ)).

[رواه أحمدُ في مسنده، والترمذيُّ في جامعِه]

وإنَّ أمثالَ هذه المجالسِ -عباد الله- يجبُ على أهل الفضل والمروءة أن يترَفَّعُوا عنها ، وعن المرور بها ، فضلاً عن الجلوسِ فيها ؛ لأنَّها مجالسُ سَافِلَةٌ ، لا يرتادها إلاَّ الأراذلُ من الناس الذين لا يتحرَّجُونُ من البَذَاءِ ، ولا يعرفون الاحتشامَ والعِفَّةَ.

﴿ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ۞ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ۞ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴾ [الإسراء:٣٦-٣٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيِّباً مُبارَكاً فيه كما يُحبُّ ربُّنَا ويرضى ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاشريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه صلَّى اللهُ عليه وعلى آلهِ وصحبِه ومن تبِعَهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٢].

ثُمَّ اعلموا رحمكم الله أنَّ شرائعَ الإسلامِ اسْتَوعَبَتْ شتَّى جوانبَ الحياةِ، وشئونَها ، ولا غَرْوَ أن تدخلَ توجيهاتُ الإسلام ، وأحكامُ الشريعة في تنظيم أمور الناس ، أفراداً ومجتمعات ؛ لأنَّ الإسلامَ هو الدينُ الخَاتَمُ ، والشريعةُ الخالِدَةُ إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها وهو خيرُ الوارثين.

وقد نصَّ فقهاءُ الإسلام -رحمهم الله- في مُدَوَّنَاتِ الفقهِ على أحكامِ الطُّرُقَاتِ والمرافِقِ ، ومن جُمْلَةِ ما بَيَّنُوه في ذلك: أنَّه لا يجوزُ مضايقةُ المسلمين في طُرُقَاتِهم ، بل يجبُ إفسَاحُ الطريقِ ، وإماطَةُ الأذى عنه ، ولا يجوزُ أن يُحْدِثَ المرءُ في مِلْكِهِ ما يُضايقُ طريقَ الناسِ؛ كأن يبني فوق الطريق سقفاً يَمْنَعُ مرورَ الرُّكْبَانِ والأَحْمَالِ ، أو يبني دَكَّةً للجلوسِ عليها يتضَرَّرُ بها الطريقُ ، ولا يجوزُ له أن يتَّخِذَ موقفاً لسيارتهِ بطريقِ المارَّةِ ؛ لأنَّ ذلك يُضَيِّقُ الطريقَ ، ويُسَبِّبُ الحوادِثَ.

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ -رحمه الله-: (لا يجوزُ لأحدٍ أن يُخرجَ شيئاً في طريقِ المسلمين من أجزاءِ البناءِ ، حتَّى إنَّه يُنهى عن تَجْصِيْصِ الحائِطِ ، إلاَّ أن يُدْخِلَ ربُّ الحائِطِ منه في حَدِّهِ بقدرِ غِلَظِهِ).

ويُمنعُ في الطريقِ العـام الغـرسُ ، والبنـاءُ ، والحفـرُ ، ووضـعُ الحطـب ، والذبحُ فيها ، وطرحُ القمامة والرمـاد ، وغـيرُ ذلـك مِمَّـا فيـه ضَـرَرٌ علـى المارَّةِ. وهذا كلُّه مِمَّا حرَّمَهُ الإسلامُ ، وأمَرَ بالإبتعادِ عنه ، فقـد قـالَ ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَـا نَهَـى اللهُ عَنْهُ ». [متفقٌ عليه]

وقـال ﷺ : « الإِيمَـانُ بِضْـعٌ وَسَبْعُونَ -أَوْ بِضْـعٌ وَسِـتُّونَ- شُـعْبَةً: فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَـا إِمَاطَـةُ الأَذَى عَـنِ الطَّرِيـقِ، وَالْحَيَـاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ ». [متفقٌ عليه]

وإذا كان الإسلام يُطالبُ بإزالَةِ النجاسةِ والأذى الحِسيِّ عن الطريـق ، فإنَّ إزالةَ الأذى المعنويَّ عنه مـن أعظَـمِ القُرُبَـاتِ عنـدَ اللهِ تعـالى، وذلـك بكَفِّ الأذى ، وغَضِّ البَصَرِ عن تَتَبُّعِ عوراتِ المسلمين ، وتَصَيُّدِ غَفَلاَتهم، وعَدَمِ التَعَرُّضِ لهم فيه بأذى ، قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُواْ فَقَدِ احْتَمَلُواْ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وقد ورد في سـبب نزولِهـا: أنَّ المدينـةَ كـانت ضَيِّقَـةَ المنـازِلِ ، وكـان النساءُ يخرجن بالليل ؛ لقضاءِ حوائجِهِنَّ ، وكان فُسَّاقٌ مـن فُسَّـاقِ المدينـة يخرجـون وراءَ النسـاءِ ، فيغمزونَهُـنَّ ، فـإنْ سَـكَتَتِ المـرأةُ اتَّبَعوهـا ، وإن زَجَرَتْهُم انْتَهُوا عنها ، ولم يكونوا يطلبون إلاَّ الإمَاءَ ، ولكن لم تكن المـرأةُ يومئذٍ تُعرَفُ من الأَمَةِ ؛ لأنَّ الأمرَ بالحجابِ لم ينزل بَعْدُ ، إنَّما يخرجن في دِرْعٍ وخِمَارٍ ، فشكونَ ذلك لأزواجِهِنَّ ، فذكروا ذلك للنبيِّ ﷺ ، فـأنزلَ اللهُ هذه الآية.

فاتّقوا الله عباد الله ، وتعاونوا على البرِّ والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثْمِ والعدوان ، ثمَّ صلُّوا وسلِّموا رحمكم الله على المبعوث رحمةً للعالمين؛ فقد أمركم الله تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ». [رواه مسلم]

෴ ෴ ෴

فضل الإنفاق في سبيل الله تعالى

● الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى عليه وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله سبحانه وتعالى حقَّ التقوى ، وراقبوه في السرِّ والنجوى، فبتقوى اللهِ عزَّ وجلَّ تجتمعُ الكلمةُ ، وتَتِمُّ النعمةُ ، وتتجلى الحكمةُ في خلقِ بني آدمَ ، ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً** ﴾ [الطلاق:٥].

عباد الله:

حين نتأمَّلُ ما رواه الإمامُ أحمدُ في مسندِهِ من قولِ رسولِ اللهِ ﷺ: «نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ». نجده حِكْمَةً نَبَوِيَّةً ، وتوجيهاً فريداً، يُبيِّنُ دورَ المالِ في حياةِ المسلمِ بين نَفْعِهِ وَضَرِّهِ ، ويؤكِّدُ على حقيقةٍ مهمَّةٍ تدلُّ بوضوحٍ على أنَّ العبرةَ ليست بكثرةِ المالِ أو قِلَّتِهِ ، وإنَّما هي بمدى نَفْعِهِ لصاحِبِه.

قال أبو ذرٍّ -رضي الله عنه-: (إنَّما مالُك لك ، أو للوارثِ ، أو للجائحةِ ، فلا تَكُنْ أعْجزَ الثلاثةِ).

وقال ابنُ المسيَّبِ -رحمه الله-: (لا خيرَ فيمن لا يَكْسِبُ المالَ ؛ ليَكُفَّ به وجهَهُ ، ويؤدِّي به أمانتَهُ، ويَصِلَ به رَحِمَهُ).

عباد الله:

إنَّ المالَ في حقيقته هو مالُ الله تعالى ، عَارِيَّةٌ أودَعها الإنسانَ ابتلاءً وامتحاناً ؛ لينظر من يسابقُ به في الخيراتِ مِمَّن يَبْخَلُ به ، ويَحْرِصُ على جَمْعِهِ واكتِنازِه ، ﴿ **وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ** ﴾ [النور:٣٣] ،

﴿**آمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ**﴾ [الحديد:٧].

إنَّ المالَ أيُّها الإخوة: غادٍ ورائح ، ومقبلٌ ومدبرٌ ، ما هو إلاَّ وسيلةٌ للبَذْلِ والعطاءِ ، جعَلَهُ الله تعالى مِنْحَةً لأقوامٍ ، ونِقْمَةً لآخرين ؛ لينظرَ كيفَ يعملون ، ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ۞ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى** ﴾ [الليل:٥-١١].

الإنفاقُ في سبيل اللهِ ، وبذلُ المالِ في وجُوهِهِ المشروعَةِ من أجَلِّ الطاعاتِ ، وأفضَلِ القُرُبَاتِ ، وهو البَقِيَّةُ الباقيةُ للمسلم من مالِه ؛ فإنَّ مالَ المسلم في الحقيقةِ هو ما ادَّخَرَهُ عندَ الله تعالى ، يرجو ثوابَه ، ويخشى عِقَابَهُ ، في صَدَقَةٍ جاريةٍ ، أو علمٍ يُنتفَعُ به ، أو مَسْجدٍ بناه ، أو نهرٍ لابن السبيل أجراه ، أو صدقةٍ على مسكينٍ ، أو فقيرٍ ، أو محتاجٍ ، أو يتيمٍ يسدُّ بها خَلَّتَهُ ، ويقضى بها حاجَتَهُ ، ويُفَرِّجُ بها كُرْبَتَه.

روى الإمامُ مسلمٌ في صحيحه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي ! وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ ».

وما أجملَ قولَ حاتِمِ الطائيِّ يومَ قال:

لعَمْرُكَ ما يُغني الثَّراءُ عن الفتى   إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاقَ بها الصدرُ
أمَاوِيَّ ! إنَّ المالَ غادٍ ورائحٌ   ويبقى من المال الأحاديثُ والذكرُ

قال الحسنُ البصريُّ -رحمه ا لله-: (بئسَ الرَّفِيْقُ ؛ الدِّرْهَمُ والدِّيْنَارُ، لا ينفعَانِكَ حتَّى يُفَارِقَانَكَ).

وحين يخشى أقوامٌ من الفقر بالإنفاقِ ، ويدَّعون أنَّهم إنَّما جمعوا المال ليؤَمِّنوا به مستقبَلَهم الدُّنيويَّ ، مع علِمهم أنَّهم لا يدرون هل يعيشون مستقبلاً يُمتَّعُون فيه بهذا المالِ ، أو يموتون ، ويتركونَه لغيرِهم، لكنَّهم لا يُفكِّرونَ أبداً في تأمين مستقبل الآخرةِ الذي لا بُدَّ لهم منه.

إنَّ الصدقةَ سببٌ بحول ا للهِ وقوَّتِه إلى نماءِ المالِ ، وزيادَتِه حِسَّاً ومعنى؛ لأنَّ المالَ ذَاهِبٌ لا محالَةَ ، وإنَّما سُمِّيَ المالُ مالاً ؛ لأنَّه يميلُ إلى هذا تارةً ، وإلى الآخر تارةً أخرى ، فإذا كان المالُ ذاهباً لا يبقى ، وعرضاً زائلاً يفنى، فما أحرى بالمسلم أن يدَّخِرَهُ عندَ ا للهِ تعالى لينالَ أجرَهُ وثوابَه في يومٍ هو أحوجُ ما يكون فيه إلى مثاقيل الذَرِّ من الحَسَنَاتِ. قال المصطفى ﷺ : ((مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ ا للهُ عَبْدَاً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزَّاً، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلاَّ رَفَعَهُ ا للهُ)). [رواه مسلم]

فكم للصدَقَةِ -عباد ا للهِ- من فضلٍ ومَزِيَّةٍ ، وكم جلبت من نعمةٍ، ودفعت من نقمة ، وكم أزالت من عداوةٍ ، وجلبت من صداقةٍ ومودَّةٍ، وكم تَسَبَّبَتْ لدعوةٍ مستجابةٍ من قلوبٍ صادقة ، رفعَ عنها المسلمُ بصدقته كربةً وضيقاً كانت تعاني منه الأمرَّين. وإنَّ ما أنفقه العبدُ من ماله ، يبتغي به وجهَ ا للهِ تعالى ومرضاته سيُخلِفُهُ ا للهُ له ، وهو خيرُ الرازقين ، وسوف يجدُ يومَ القيامة الأجرَ العظيمَ المضاعفَ أضعافاً كثيرةً ، قال سبحانه :

﴿وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَآءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٢].

فالإنفاقُ في سبيل الله-أخي المسلم- لك نفعُه في يومٍ أنت أحوجُ ما تكون فيه إلى حسنةٍ تمحو من سيئاتِكَ ، وترفعُ في درجاتك ، يوم تعود إلى ربِّكَ للحساب والجزاءِ ، فتجدُ أن صدقتَك مدخرةٌ لك ، وأنت واقفٌ بظِلِّها ، حينها تعلمُ يقيناً أنَّ مالَك الحقيقيَّ هو المالُ الذي أنفقته في سبيل الله ، وقدَّمْتَهُ صدقةً بين يديك ، وأنَّ المالَ الذي ادَّخَرْتَهُ هو مالُ وارثك ، أتعبتَ نفسك في تحصيله ، وأفنيتَ عُمَرَكَ في جمعه ، وتكثيره ثم تركته لهم، و لم تنتفع منه بشيء.

قال ﷺ : « أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ ؟ ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ ! قَالَ: « فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ». [رواه البخاري]

ولقد بَيَّنَ المصطفى ﷺ أعظمَ الصدقةِ ، وأفضلَها ؛ حين سُئل: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا ؟ قال: « أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلاَ تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلاَنٍ كَذَا وَلِفُلاَنٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ ». [متفقٌ عليه]

عباد الله:

إنَّ الشُّحَّ والبخلَ آفتان قبيحتان تمنعان من التصدُّق والإنفاق في سبيل الله ، وتورِدَانِ الإنسانَ مواردَ الهَلَكَةِ ، قال رسولُ اللهِ ﷺ : « مَثَلُ

الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ، مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إِلاَّ سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلاَ تَتَّسِعُ ». [متفقٌ عليه]

والمرادُ من الحديث: أنَّ الجَوَادَ إذا هَمَّ بالصدقة انفسحَ لها صدرُه، وطابت نفسُه، وتوسَّعَت يدُه في الإنفاقِ والبَذْلِ، والبخيلُ إذا حدَّثَ نفسَه بالصدقة شَحَّتْ بها، فضاقَ صدرُه، وانقبضت يدُه. قال عليٌّ -رضي ا لله عنه-: (البُخْلُ جِلْبَابُ المسكَنَةِ، وربَّما دخلَ السخيُّ بسخائه الجَنَّةَ).

إنَّ إعانةَ الفقراءِ والمحتاجين، والضُّعَفاءِ، والبحثَ عنهم في البيوت القديمة والأحياء الشعبية، وأحياناً في الأكواخ والعِشَشِ لمن أجَلِّ الطاعات، وأفضلِ الأعمال عند ا لله، وأعظَمِها في القُرْبَى والزُّلْفَى لديه، لا سيَّمَا في هذا الشهرِ المبارك - شهرِ رمضان-، وإنَّه لعَمَلٌ كبيرٌ أن يقومَ محسنٌ أو تاجرٌ بتَفَقُّدِ أهلِ حارته، والبحثِ عن المحتاجين منهم، ومَدِّهم بما يستطيعُ دون منٍّ ولا أذىً، ولا رياءٍ ولا سُمْعَةٍ؛ فإنَّ الغنيَّ الذي أعطاه ا للهُ من فضله، ثم لا يُحسُّ بأنَّ عليه للفقراءِ حقوقاً وواجباتٍ لقَاسِي القلبِ، خالٍ من الشَّفَقَةِ، بعيدٍ عن الرحمة.

وإنَّ في الأغنياءِ -يا عبادَ ا لله- من لا يَئِنُّ لمُتَأَلِّمٍ، ولا يَتَوَجَّعُ لِمُسْتَصْرِخٍ، ولا يَحِنُّ لبائِسٍ، تَجَرَّدَ من العاطفةِ، وحنانِ الإخاءِ، يقعُ أمامَه من الحوادثِ ما يؤلِمُ القلبَ، ويُدمي العينَ، فلا يتأثَّرُ، ولا يَتألَّمُ،

ولا يلينُ ، بل تجده كـالصخرة الصمَّاءِ الـتي لا تؤثِّـرُ فيهـا الأعاصيرُ، ولا تحرِّكُها الرِّيَاحُ.

وما علم أولئك أنَّ مالكَ الملك ، وخالقَ الخلق قادرٌ على أن ينزِعَ عـن الغنيِّ لباسَ الغنى ، ويُعطي البائسَ الفقيرَ ما يُرضيه من متـاعِ الحيـاةِ الدُّنيـا، ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَآءُ وَتُعِـزُّ مَن تَشَآءُ وَتُـذِلُّ مَـن تَشَـآءُ بِيَـدِكَ الْخَيْرُ إِنَّـكَ عَلَـىَ كُـلِّ شَـيْءٍ قَدِيـرٌ﴾ [آل عمران:٢٦]. وإنَّ من القَسْوَةِ أن يمنعَ المعونةَ من بسطَ ا لله عليه في الـرزق ، ويقبضَ يدَه شُحًّاً وبُخْلاً.

أَمِنَ الرَّحْمَةِ يا عباد ا لله: أن يكونَ المسلمُ في رغدٍ من العيش وسَعَةٍ من الرِّزْقِ ، ومَنْ أبقت عليهم صروفُ الحياةِ من أخوانِه المسلمين في شِدَّةٍ مـن الضِّيق وأَلَمٍ من الإعسَارِ ؟! أَمِنَ المروءَةِ أن يَتَمَتَّـعَ المسلمُ بملابسِ الزِّيْنَـةِ ، وإخوانُه المسلمون يُحْرِقُهم حرُّ الصيـف ، ويقرُصُهـم بـردُ الشتاءِ ؟! أَمِـنَ الأُخوَّةِ أن يُضيِّعَ المسلمُ أمـوالاً طائلـةً في الكماليـات الـتي لا حاجـةَ ماسَّـةً تدعو إليها ، في حين إنَّها قد تكفي البائِسَ الفقيرَ زمناً طويلاً ؟

فـاتَّقوا ا لله أيُّهـا المسـلمون وأدخلـوا السـرورَ علـى المسـاكين بالـبرِّ والإحسانِ ، لا سيَّمَا في هذا الشهر المبارك ، شهرِ الجودِ والإنفاقِ والبَـذْلِ والعطاء الذي من فَطَّرَ فيه صائماً كان له من الأجـر مثـلُ أجـره لا ينقـصُ ذلك من أجرِه شيئاً.

عباد ا لله:

لقد ضربَ ا للهُ تعالى في كتابه الكريم أبلغَ المثل لحال الذين يكنزون الأموال ، ويبخلون بها بقارونَ ؛ ﴿ **إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُوْلِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ ا للهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** ﴾ [القصص:٧٦] ، فلمَّا كنزَ النعمةَ ، ورفضَ الإحسانَ والشكرَ ، وقال: ﴿ **إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِيَ** ﴾ [القصص:٧٨] ، خَسَفَ ا للهُ به وبدارِه الأرضَ ﴿ **فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ ا للهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ** ﴾ [القصص:٨١] ، ﴿ **وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ** ﴾ [فُصِّلَت:١٦] ، ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ا للهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ** ﴾ [التوبة:٣٤-٣٥].

وإنَّ في المجتمع يا عباد ا لله: فقراءَ لا مواردَ لهم ، ونسوةً لا عائِلَ لَهُنَّ ، وأيتاماً لا آباءَ لَهُم ، ومشرَّدِينَ لا أوطانَ لَهُم ، عاجزين عن أن يصلوا إلى قوتِهم بأيديهم ، يتضوَّرونَ جوعاً ، ويتقَطَّعُونَ حسراتٍ ، قد تَحَجَّرَ الدمعُ في أعيُنِهم ، هنا وهناك في مجتمعاتِ المسلمين ، أزرى بهم الفقرُ وهم ذوو شَرَفٍ ، وأخرَتْهُم الحاجةُ عن المسابقةِ إلى الفضل، ولا عجب:

فالفقرُ يُزري بأقوامٍ ذوي حَسَبٍ وقد يُسوِّدُ غيرَ السيِّدِ المالُ

في حين إنَّ كثيراً من المسلمين يتخَوَّضون في مالِ الله بغير حقِّه ، وكم يرى المسلمُ في رمضان من موائدَ عريضة ، وصنوفاً من الطعام متنوِّعَةً ، لا يؤكلُ منها إلاَّ القليلُ ، ثم تُرمى في الأزقَّةِ والطُرُقاتِ والنفاياتِ ، فأينَ التعاطفُ ، وأين الرحمةُ ، وأين الصالحون الصائمون الذين يحملون بين جَوانِحِهم أفئدةً رقيقَةً ، ونفوساً رحيمَةً ، هَذَّبَها الصيامُ ، والقيامُ ، تتسابقُ في الخيرات ؟

وكم هو جميلٌ بالمسلم أَيُّها المسلمون أن يَحْنُوَ على إخوانِه من الفقراء والمساكين ، الذين تقَطَّعَتْ بهم السُّبُلُ ، وضاقت عليهم الأرضُ بما رَحُبَتْ، تقَطَّعَتْ ثيابُهم ، وبَلِيَتْ أجسادُهم ، وساءَ طعامُهم وشرابُهم ، ولعلَّ أحَدَهم لا يجدُ قوتَ يومِهِ ، عندها تزكو نفسُه ، وتسمو كلَّما كان سبباً في تفريج كربةٍ ، أو تضميدِ جراحاتِ مسلمٍ ، وهو بهذا المسلك النبيل يرتَفِعُ بنفسِه عن المستوى الآسِنِ الذي يقعُ فيه عُبَّادُ المالِ ، الذين يُركضون جهدَهم وراءَ المادَّةِ ، متغافلين عمَّا أوجبَهُ اللهُ تعالى في هذا المال من حقوقٍ للضعفاء والمساكين ، حتَّى أورَثَهُم ذلك قسوةً في القلوب ، وغِلْظَةً في النفوسِ.

ولقد وصفَ هؤلاء المصطفى ﷺ بقوله: « تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ؛ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ ». [الحديثُ رواه البخاريُّ]

بارك ا لله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ ا لله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ للهِ على إحسانهِ، والشكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ ا للهُ وحدَه لا شريكَ لَهُ تعظيماً لشأنهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ ا لله ورسولُه الداعي إلى رضوانهِ، صلَّى ا للهُ عليهِ وعلى آلهِ، وأصحابهِ، وإخوانِه، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا ا للهَ عباد ا لله ، واعلموا رحمكم ا لله أنَّ الصدقةَ من أعظم أسبابِ الوِقَايَةِ من النارِ ، ولو كانت باليسير ؛ قال المصطفى ﷺ : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ ». [متفقٌ عليه]

وهي دليلٌ على صدقِ إيمانِ العبدِ ؛ ولذلك قال ﷺ : « وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ». [رواه مسلم] ؛ فهي برهانٌ على إيمانِ العبد ؛ لأنَّ النفسَ مجبولةٌ على حُبِّ المالِ ، فإذا تغَلَّبَ المسلمُ على نفسِه وأنفقَ في سبيل الله كان ذلك برهانٌ على أنَّه يُقَدِّمُ مرضاةَ الله ومحبوباتِه على محبوباتِ نفسِه ، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

قال الحسنُ البصريُّ -رحمه الله-: (إذا أردتَ أن تعلمَ من أينَ أصَابَ الرَّجلُ مالَه فانظرْ فِيْمَ أنْفَقَهُ ، فإنَّ الخبيثَ يُنفَقُ في السَّرَفِ). وما أجملَ شعورَ المنفقِ أو المتصَدِّقِ -عباد الله- عندما يكون سبباً في مسحِ دموعِ مكروبٍ ، أو إدخالِ السرورِ على قلبِ فقيرٍ معدومٍ ، أو يتيمٍ فقد حنانَ والديه ، وإنّها لسعادةٌ عظمى لا تُوزنُ بأموال الدُّنيا كلِّها ، يَهَبُهَا الله تعالى لعباده المحسنين المنفقين ، والله يُحبُّ المحسنين.

دخل أعرابيٌّ قد ضرَبَه الفقرُ ، وأصابته الفاقةُ على عمرَ بنِ الخطاب -رضي الله عنه- ، ومعه صِبْيَةٌ صِغَارٌ ، لا يجدُ ما يستُرهُنَّ به ، فقال:

يا عمرَ الخير جُزِيْتَ الجَنَّةَ ... أُكْسُ بُنَيَّاتِي وأمَّهُنَّهْ
وكن لنا من الزمانِ جُنَّةً ... أُقسمُ بالله لتَفْعَلَنَّهْ

فقال عمرُ: فإن لم أفعل يكونُ ماذا ؟! فقال:

إذن أبا حَفْصٍ لأَذْهَبَنَّهْ.

قال: فإذا ذهبتَ يكونُ ماذا ؟! فقال:

يكونُ عن حالي لتُسألَنَّهْ ... يومَ تكونُ الأُعطياتُ هَنَّهْ
وموقفُ المسئولِ بينَهُنَّهْ ... إمَّا إلى نارٍ وإمَّا جَنَّهْ

فبكى عمرُ -رضي ا لله عنه- حتّى اخْضَلّتْ لحيتُه ، ثمَّ قال: يا غلامُ أعطِهِ قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره ، أما وا لله لا أملِكُ غيرَه!

هذا هو عمرُ -رضي ا لله عنه- الذي تعلَّمَ من حبيبِهِ ﷺ الذي كان أجودَ الناسِ ، وكان أجودَ بالخيرِ من الريحِ المُرْسَلَةِ في رمضان. يقولُ -رضي ا لله عنه- عامَ الرمادةِ ؛ الذي أصابَ الناسَ فيه الفقرُ: (وا للهِ لا أبتلُّ بسَمْنٍ ، ولا آكلُ سميناً حتَّى يُجَلّي ا للهُ الكُرْبَةَ عن المسلمين).

وقال مرةً لمولاه أَسْلَم: (أتنامُ الليل ؟!) ، قال: نعم !.قال عمر: (وا للهِ ما نِمْتُ منذُ ثلاثٍ ، فقد جعل ا للهُ في عنقي الأرملةَ ، والمسكينَ، والشيخَ الكبيَر ، والعجوزَ ، واليتيمَ).

نعم يا عباد ا لله! :

لقد بلغَ من رحمته -رضي ا لله عنه- أنَّه كان يسألُ عن أطفالِ المسلمين ماذا أكلوا ، وماذا شربوا ، وكيف ينامون ؟ وهذه في الحقيقة هي الرَّحمةُ التي علَّمَها رسولُ ا للهِ ﷺ أصحابَه ، ومن لا يَرْحَمُ الناسَ لا يَرْحَمُهُ ا للهُ. ومن نسي حقوقَ الناسِ وآلامَهم ومشكلاتِهم عرضَّ نفسَه للغضب والمَقْتِ من ا للهِ عزَّ وجلَّ.

وكم هو قبيحٌ بالمسلم أن يَشْبَعَ وجارُه جائعٌ ، وأن يلبسَ أفخرَ الثياب وجارُه أو أخوه المسلمُ لا يجدُ ما يستر به عورتَه ، أو ينامَ على الفُرُشِ الوثيرةِ والناسُ حولَهُ ينامون على الأرصفةِ ، بلا كساءٍ ولا غذاءٍ، ولا مأوىً ولا مسكنٍ ، ولسانُ حالِهِم ينادي:

لدى أطفالِكم لُعَبٌ وحلوى   وعند نسائكم ذهبٌ وطيبُ
وما وا لله نحسدُكم ولكن !   نقولُ أما لإخوتكم نصيبُ

فهل هذه هي الرحمةُ التي أتى بها النبيُّ ﷺ ؟ ، وهل هذا هو منهجُ الإسلامِ في التعامل مع المسلمين ؟ يقولُ المصطفى ﷺ : « تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْواً تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ». [متفقٌ عليه]

وفي الحديث القدسيِّ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ: « يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ! قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ! يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ! قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ! يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي ! قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقِهِ أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ». [رواه مسلمٌ في صحيحه]

فاتقوا اللهَ رحمكم الله ، وانتفعوا بأموالِكم ما دامت في أيديكم ؛ بالتقرُّبِ إلى الله ، والمسارَعَةِ إلى ما فيه رضاه ، ﴿ **آمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾ [الحديد:٧] ، ابتغوا بأموالِكُم الضُّعَفَاءَ والمساكينَ ، فإنَّما تُنصرون وتُرزقون بضعفَائِكُم ، أنفقوا عليهم من طَيِّباتِ ما كسبتم ومِمَّا أخرجَ اللهُ لكم من

الأرضِ ، ﴿ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة:٢٦٧] ، فإنَّ اللهَ تعالى طيِّبٌ لا يقبلُ إلاَّ طيِّباً ، وما تَصَدَّقَ أحدٌ بِعَدْلِ تمرةٍ من كسبٍ طيِّبٍ إلاَّ أخذَها الرَّحمنُ بيمينِه ، فتربوا عندَه حتَّى تكونَ أعظمَ من الجبلِ العظيم ، ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً ﴾ [المزَّمل:٢٠].

ثمَّ صلُّوا وسلِّموا رحمكم اللهُ على البشيرِ النذيرِ ، والسِّرَاجِ المنير محمدِ ابن عبدِ اللهِ عليه أفضلُ الصلاةِ وأزكى التسليمِ...

﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾

مفهوم الجود الواسع في الإسلام

● **الخطبة الأولى:**

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئاتِ أعمالِنا ، من يهده الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْلِل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريكَ لَهُ ، شرعَ لنا ديناً قويماً ، وهدانا إليه صراطاً مستقيماً ، وأشهدُ أنَّ نبيَّنَا وحبيبَنا محمداً عبدُ الله ورسولُه ، أرسلَه هادياً ومبشِّراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً منيراً ، فبَلَّغَ الرسالةَ وأدَّى الأمانةَ ، ونصحَ الأمَّةَ ، حتَّى تركَها على مثل البيضاءِ لا يَزِيْغُ عنها إلاَّ هَالِكٌ ، فجزاه اللهُ عن أمَّتِه خيرَ ما جزى نبيًّا عن قومِه ، وصلَّى الله وسلَّمَ وباركَ عليه وعلى آله وصحبه وأتباعِهِ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله تبارك وتعالى واشكروه على ما هداكم للإسلام، وجعلَكم من أمَّةِ خيرِ الأَنَامِ عليه الصلاةُ والسلامُ، راقبوه ولا تعصوه، واعلموا أنَّكم لديه محضرون، وعلى أعمالكم محاسبون، وعلى تفريطِكم نادمون.

عباد الله:

الآدابُ والأخلاقُ عنوانُ صلاحِ الأُمَمِ والمجتمعات، ومعيارُ فلاح الشعوب والأفراد، ولها الصِّلَةُ العُظْمَى بعقيدةِ الأُمَّةِ ومبادئِها، بل إنَّها التجسيدُ العَمَلِيُّ لِقِيَمِ الأُمَّةِ ومثُلِها، وعنوانُ تمسُّكها بالعقيدة، ودليلُ التزامها بالمنهج السليم، والصراطِ المستقيم، ولا يَتِمُّ التَّحَلِّي بالأخلاقِ العالية والآدابِ الساميةِ إلاَّ بتَرْوِيْضِ النفوسِ على نبيل الصفاتِ وكريم السجايا والعادات، تعليماً وتهذيباً، واقتداءً وتقويماً.

ومن شموليَّةِ هذا الدين وعظَمَتِه: أنَّه دينُ الأخلاقِ الفاضلةِ، والسجايا الحميدةِ، والصفاتِ النبيلةِ، جاءت تعاليمُه وقِيَمُه بالأمر بالمحافظة على الأخلاقِ الحسنةِ في كلِّ أحوالِ المسلمين؛ صغيرِها وكبيرِها، دقيقِها وجليلِها، أفراداً ومجتمعات، وأُسَراً وجماعات، ويكفي لبيان ذلك أن يَحْصُرَ النبيُّ ﷺ مُهِمَّةَ بعثتِه، وهدفَ رسالته في إصلاح الأخلاق وتهذيبها بقوله: « إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ ».[رواه البخاري]

دينٌ يُشَـــيِّدُ آيةً في آيـةٍ لَبِنَاتُهُ السُّـورَاتُ والأضواءُ
الحقُّ فيه هو الأساسُ وكيفَ لا وا للهُ مُنْزِلُهُ هُدَىً وضِيَاءُ

عباد الله:

وأعظمُ الأخلاق قدراً وأرفعُها مكاناً خُلُقُ الجـودِ والسخاءُ ؛ فإنَّـه مـن أبرَزِ أخلاقِ الأنبياءِ والمرسلين عليهم الصلاة والسـلام ، ذِرْوَتُهـم في ذلـكَ رسولُنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ ﷺ الذي كان أجودَ الناسِ ، وكان أجودَ بالخير من الريح المرسلةِ.

وصَفَه عليٌّ –رضي الله عنه– فقال: ((هُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّـينَ، أَجْـوَدُ النَّـاسِ كَفًّا، وَأَشْرَحُهُمْ صَدْرًا، وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَـةً، وَأَكْرَمُهُـمْ عِشْرَةً، مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، يَقُـولُ نَاعِتُـهُ: لَـمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ يُسْأَلُ شَيْئاً عَلَـى الإِسْلاَمِ إِلاَّ أَعْطَـاهُ؛ قَـالَ: فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَسَأَلَهُ، فَأَمَرَ لَهُ بِشَاءٍ كَثِيرٍ بَيْنَ جَبَلَيْـنِ مِـنْ شَـاءِ الصَّدَقَـةِ، قَـالَ: فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا؛ فَإِنَّ مُحَمَّـدًا ﷺ يُعْطِـي عَطَـاءً مَـا يَخْشَى الْفَاقَةَ)). [الحديثُ رواه مسلمٌ وأحمدُ والترمذيُّ]

وصدق الله العظيم حيثُ قال: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم:٤].

هو البحرُ من أيِّ النواحي أتيتَهُ فلُجَّتُه المعروفُ والجودُ ساحلُهُ
ولو لم يكن في كفِّه غيرُ روحهِ لجـــادَ بها فلـيتقِ الله سـائلُهُ

أيُّها المسلمون:

الجودُ خُلقٌ نبيلٌ آثرَ صاحبُه لذّةَ الثناءِ على لذّةِ المالِ ، وهـو مـن أُمَّـاتِ المحاسِنِ ، وأعلى منازلِ الكرم ، وله في القلوبِ منزلةٌ رفيعةٌ. قال المصطفـى ﷺ : ((خُلُقَان يُحبُّهمَا اللهُ عزَّ وجلَّ ، وخُلُقَـان يُبْغِضُهُمَـا ؛ فأمَّـا اللَّـذَان يُحِبُّهُمَـا اللهُ: فَالسَّـخَاءُ وَحُسْـنُ الخُلُقِ ، وَأَمَّـا اللَّـذَان يُبْغِضُهُمَـا: فَـالبُخْلُ وَسُوْءُ الخُلُقِ ، وَإِذِا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرَاً اسْتَعْمَلَهُ عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِ النَّاسِ)).

[رواه البيهقيُّ وهو حسنٌ]

وفي منثور الحِكَمِ: الجودُ حارسٌ للأعراضِ ، ومـن جـادَ سـادَ ، وجـودُ الرجلِ يُحبِّبه إلى أضدَادِهِ ، وخيرُ الأموالِ ما استَرَقَّ حُرَّاً.

و للهِ درُّ القائلِ:

أترجـو أن تسـودَ بلا عَنَاءٍ وكيفَ يسودُ ذو الدَّعَةِ البخيلُ

قيلَ للأحنفِ بن قيسٍ -رحمه الله-: ما الجودُ ؟ فقال: (بَذْلُ القِـرَى ، وَكَفُّ الأَذَى.

وقال معاويةُ بنُ أبي سفيانَ -رضي الله عنه- يوصي ابنَه يزيداً: (يا بُنيَّ اتَّخِذِ المعروفَ منالاً عندَ ذوي الأحسابِ تستملْ بـه مَوَدَّتَهـم ، وتعظُـمُ في أعينِهم ، وتَكُفُّ به عاديَهم ، وإيَّاكَ والمنعَ ؛ فإنَّه ضدُّ المعروفِ).

مـن يفعلْ الخيرَ لا يُعدم جوازيَهُ لا يذهبُ العُرفُ بين الله والناس

قال رسولُ الله ﷺ : «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ أَمَرَهُمْ بِالظُّلْمِ فَظَلَمُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا». [رواه أبو داود، وأحمدُ، والحاكمُ وصحَّحَه]

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩].

يروى أنَّ قيسَ بن سعدِ بن عبادة -رضي الله عنه- كان من الأجوادِ المعروفينَ حتّى إنّه مَرِضَ مرةً فاستبطأَ إخوانَه في العيادةِ ، فسألَ عنهم ، فقالوا: إنَّهم كانوا يستحيونَ مِمَّا لكَ عليهم من الدَّيْنِ. فقال: أخزى الله مالاً يمنعُ الإخوانَ من الزيارةِ ، ثُمَّ أمرَ منادياً يُنادي: من كان لقيسٍ عليه مالٌ فهو منه في حِلٍّ ، فما أمسى حتّى كُسِرتْ عتبةُ بابهِ لكثرة من عادَهُ.

ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضلِهِ ... على قومِه يُستغنَ عنه ويُذمَمِ

عباد الله:

ويخطئُ كثيرٌ من الناس عندَما يحصرونَ الجودَ في معنىً ضَيِّقٍ ؛ فيجعلونَه في الجودِ بالمالِ والبذل والعطاء ، وهذا فهمٌ سقيمٌ وخاطئٌ ؛ فالجودُ في الإسلامِ أسمى من ذلك وأعلى ، فدروبُ الخيرِ كثيرةٌ ، وحوائجُ الناسِ متنوِّعَةٌ: إطعامُ جائعٍ ، أو كسوةُ عارٍ ، أو عيادةُ مريضٍ وتعليمُ جاهلٍ ، وإنظارُ معسرٍ ، وإعانةُ عاجزٍ ، وإسعافُ منقطعٍ ، كلُّها ضروبٌ من الجودِ والكرم ، وأبوابٌ من السخاءِ والعطاءِ.

تطردُ عن أخيكَ همَّاً ، وتزيلُ عنه غَمَّاً ، تكفلُ يتيماً ، وتواسي أرملةً، وتكرمُ عزيزَ قومٍ ذلَّ ، وتشكرُ على الإحسانِ ، وتغفرُ الإساءَةَ، وتسعى في شفاعةٍ حسـنَةٍ ، تفكُّ بها أسيراً ، وتحقـنُ بها دماً ، وتجرُّ بها معروفاً وإحساناً ، وقلوبُ العبادِ جُبلت على حبِّ من أحسنَ إليها.

وما هذه الأيامُ إلاَّ مُعَـارَةٌ   فما اسطعتَ من معروفها فتزوَّدِ
فإنَّكَ لا تدري بأيَّةِ بلـدةٍ   تموتُ ولا ما يُحدثُ الله في غـدِ

معاشرُ المسلمين:

ولقد ذكرَ أهلُ العلم أنَّ الجودَ على مراتبَ متعدِّدَةٍ ؛ فمنها الجودُ بالراحةِ والرَّفَاهِيَّةِ في مصلحةِ المسلمين ، ومنها الجودُ بالعلمِ وبذلِه ، وهو من أعلى مراتبِ الجودِ ، وأفضلُ من الجودِ بالمالِ ؛ لأنَّ العلمَ أشرفُ من المالِ.

قال ابنُ المُعْتَزِّ -رحمه الله-: (النارُ لا يُنقصُها ما أُخِذَ منها ، ولكن يُخمِدُها أن لا تجدَ حَطَبًا ، كذلك العلمُ لا يُفنيه الاقتباسُ ، ولكن فقدُ الحاملينَ له سببُ عَدَمِهِ ، فإيَّاكَ والبخلَ بما تعلم).

فالبخلُ بالمال -عباد الله- لؤمٌ وظلمٌ ، والمنعُ منه حسدٌ وإثمٌ ، وكيفَ يسوغُ لهم البخلُ بما مُنحوه جوداً من غيرِ بخلٍ ، وأُتوه عفواً من غيرِ بذلٍ. قال الحقُّ سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِذَ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ** ﴾ [آل عمران:١٨٧].

والناسُ في الجود بالعلم على مراتبَ متفاوتةٍ ، وقد اقتضت حكمةُ الله تعالى وتقديرُه أن لا ينفعَ بالعلم بخيلاً أبداً. ومن الجودِ به أن تُعلِّمَه لمن جهلَه ، لا سيَّمَا الأقارب.

وإنَّنا لنعجبُ يا عباد الله من عُزُوفِ كثيرٍ من المنتسبين للعلم عن تعليم الناس أمورَ دينهم ، وأمرِهم بالمعروف ، ونهيِهم عن المنكرِحتَّى فشَت المنكراتُ ، وضُيِّعَتِ السُّنَنُ والآدابُ ، فضلاً عن الأركان والواجبات.

وكم في البيوت والأسرِ والمجتمعاتِ مِمَّن لا يُحسنونَ قرءَةَ الفاتحة التي بها قِوامُ صلاتِهم ، بل لا يُحسنونَ إقامَةَ أركانِ الإسلامِ الكبرى ، وربَّمَا كان بينهم من يحملُ أعلى الشهاداتِ العلميَّةِ ، فأينَ المتعلِّمون؟!

عباد الله:

ومن مراتبِ الجودِ: الجودُ بالنفع بالجاه ؛ كالشفاعةِ الحسنةِ والمشي مع الرجلِ إلى ذي سلطانٍ وإبلاغه حاجتَه ، والجودُ بنفع البدن على اختلاف أنواعه ، وهو الذي قال عنه المصطفى ﷺ : « كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ: كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ يَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ». [متفقٌ عليه]

ولقد حثَّ المصطفى ﷺ على قضاءِ حَوَائِجِ الناسِ ، والسعي في مصالحِ المسلمين ، وأخبرَ أنَّ من يفعلْ ذلك فإنَّ الله سَيَبْسُطُ له في رِزْقِه ، ويُنجِّيه

من كُرُبَاتِ يومِ القيامةِ ، ويرفعُ له درجتَه في الجنَّةِ ، فعن أبي بُرْدَةَ بْنِ أَبِـي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهم- قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَـةٌ قَالَ: « اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ ». [متفقٌ عليه]

وقال ﷺ : « مَنْ لَقِيَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ بِمَا يُحِبُّ ؛ لِيَسُرَّهُ بِذَلِكَ سَرَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». [رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ]

وإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ إذا أرادَ بعبدِه خيراً جعلَ قضاءَ حوائجِ الناسِ على يديه. ومن كثُرت نعمُ اللهِ تعالى عليه تعلَّقَ الناسُ به ، فإن قامَ بما يَجبُ عليه فيها فقد شكرَها ، وحافظ عليها ، وإن قصَّرَ وملَّ وتَبرَّمَ عرَّضَها للزَّوالِ ، وانصرَفَتْ وجوهُ الناسِ عنه.

قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ للهِ أَقْوَامَاً اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ عِبَادِهِ، يُقِرُّهَا فِيْهِم مَا بَذَلُوْهَا ، فَإِذَا مَنَعُوْهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ، فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِم ». [رواه الطبرانيُّ]

وفي الصحيحين أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمَاً سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».

قال عليٌّ -رضي اللهُ عنه-: (يا سُبحان الله ! ما أزهدَ كثيراً من الناسِ في الخير ، عجبتُ لمن يجيئُه أخوه لحاجةٍ فلا يرى نفسَه للخير أهلاً ، فلو كُنَّا لا نرجو جَنَّةً ولا نخافُ ناراً ولا ننتظرُ ثواباً ولا نخشى عقاباً لكان

ينبغي لنا أن نطلبَ مكارمَ الأخلاقِ ؛ فإنَّها تدلُّ على سُبُل النجاح ، ولقد أُتينا بسبايا طيءٍ ، وكان في الناس جاريةٌ حسناءُ تقدَّمت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا محمد ! هلَكَ الوالدُ وغابَ الوافدُ ، فإن رأيتَ ألاَّ تُخَلي عنِّي فلا تُشمتْ بي أحياءَ العربِ؛ فإنِّي بنتُ سيِّدَ قومي ، كان أبي يفكُّ العاني ، ويحمي الذِمارَ، ويقري الضيفَ ، ويُشبعُ الجائعَ ، ويُفرِّجُ عن المكروبِ ، ويُطعمُ الطعامَ ، ويُفشي السلامَ ، ولم يردَّ حاجةً قطُّ ، ثمَّ قالت: أنا بنتُ حاتم الطائيِّ. فقال رسولُ الله ﷺ : « يا جاريةُ ! هذه صفةُ المؤمن، خلُّوا سبيلَها فإنَّ أباها كان يُحبُّ مكارمَ الأخلاقِ»).

فاتقوا الله رحمكم الله ، وتعاونوا على البرِّ والتقوى ، وتواصلوا بالمعروف ، أقولُ ما تسمعونَ ، وأستغفرُ الله تعالى فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

●الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ذي القـوةِ المتين ، أحمـدُه سبحانه وأشكرُه ، وأتوبُ إليه وأستغفرُه ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له ، المَلِكُ الحقُّ المبين ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الصادقُ الأمينُ ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتقوا الله عباد الله ، واعلموا رحمكم الله أنَّ من أماراتِ الإيمان ودلائل الفضل أن يكونَ الإنسانُ جواداً بما لديه ، زاهداً بما في أيدي الناس، وما أجملَ طلاقةَ الوجهِ ، وابتسامةَ الثغرِ ، وجمالَ المَنْطِقِ في مُقَابَلَةِ المسلمين.

وما الخَصْبُ للأضيافِ أن يَكْثُرَ القِرَى
ولكنّما وجـــه الكـــريمِ خصيبُ

فالجودُ بالخلق والبِشر يُبلِّغُ الإنسانَ درجةَ الصائمِ القائمِ ، وهو أثقلُ ما يوضعُ في ميزان العبد يوم القيامةِ. قال رسولُ الله ﷺ :« لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئَاً وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ».[رواه مسلم]

وإنَّ المرءَ -عباد الله- ليعجبُ من أُناسٍ وجوهُهم عابسةٌ ، وصدورُهم ضَيِّقَةٌ ، وألفاظُهم بذيئةٌ ، لا يحتملُ أحدُهم مرورَ الذُّبابِ على أنفِه ، يُقابلُ الناسَ سيءَّ الخُلقِ وكأنَّه يحملُهم فوقَ رأسه ، ناسياً أنَّه لن يسعَ الناسَ بماله، ولا بجَاهِه ، ولكن يَسَعُهم بخُلُقِه وحِلْمِه وكَرَمِه بهم.

قال جريرُ بن عبد الله البجليِّ -رضي الله عنه-: « مَا حَجَبَنِي النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلاَ رَآنِي إلا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي، وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لاَ أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَضَرَبَ بِيَدِهِ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيَاً مَهْدِيَّاً ».[رواه البخاريُّ]

عباد الله:

ومن مراتب الجودِ: الجودُ بالعرضِ للمسلمين ، كجودِ أبي ضَمْضَم -رضي الله عنه- ؛ كان إذا أصبحَ قال: (اللهُم إنَّه لاَ مَالَ لِي أَتصَدَّقُ بِهِ عَلَى الناسِ ، وَقَدْ تَصدَّقْتُ عليْهِم بعِرْضِي ، فَمَنْ شَتَمَنِي أَوْ قَذَفَنِي فَهْوَ فِي حِلٍّ). فقال النبيُّ ﷺ : « مَنْ يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَكُوْنَ كَأَبِي ضَمْضَمَ ». [رواه الحاكمُ والبزّارُ]

وفي هذا النوع من الجودِ من سلامةِ الصدرِ ، وعلوِّ الهِمَّةِ ، وراحةِ القلبِ ، والتخلُّصِ من معاداةِ الخُلُقِ ، وصدقِ المحبَّةِ للمسلمين ما لا يخفى.

ومنها الجودُ بالصبرِ والاحتمالِ والإغضاءِ عن هَفَواتِ الناسِ وأخطائهم مِمَّا يُكْسِبُ المرءَ عِزّاً لنفسِه ، ونُصْرَةً لَهَا ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَزَآءُ

سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَـنْ عَفَـا وَأَصْلَـحَ فَـأَجْرُهُ عَلَـى ا للهِ إِنَّـهُ لاَ يُحِـبُّ الظَّـالِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

أمَّا الجودُ بالنفس: فهو السجيَّةُ الكبرى والمرتبـةُ العظمـى الـتي ظهـرت واضحةً جليَّةً في قَصَصِ الأنبياءِ مع أقوامِهم ، وإرْخَاصِ نفوسِهم من أجـل تبليغ دين ا لله تعالى ، وكذا مواقفِ الصحابة البطوليَّةِ التي بَلَّغَتْ هذا الدينَ مشارقَ الأرضِ ومغاربَها. ولقد أحسنَ من قال:

يجودُ بالنفسِ إن ضَنَّ البخيلُ بها والجودُ بالنفسِ أقصى غايةُ الجودِ

لم تَعْرِفِ الدنيا أشجعَ من المصطفى ﷺ الذي تربَّى أصحابُه على يديه. قال البراءُ بن عازبٍ -رضي ا لله عنه-: «كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ، وَلَقِيَ الْقَـوْمُ الْقَوْمَ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ ا للهِ ﷺ فَمَا يَكُونُ مِنَّـا أَحَـدٌ أَدْنَـى مِـنَ الْقَـوْمِ مِنْـهُ ». [رواه أحمَدُ، وسنَدُه حسَنٌ]

وحَسْبِي -عبـاد ا لله- أن أقِـفَ علـى نموذجـين مـن نمـاذجِ البطولـة والتضحية والجودِ بالنفس التي حقَّقَها الصحابةُ رضوان ا لله عليهم.

أمَّا أحدُهما: فهو موقفُ أنسِ بن النَّضْرِ -رضي ا لله عنه- حـين تخلَّـفَ عن غزوة بدرٍ ، فقال أنسُ بـنُ مـالكٍ : « لَـمْ يَشْـهَدْ مَـعَ رَسُـولِ ا للهِ ﷺ بَدْرًا، قَالَ: فَشَقَّ عَلَيْهِ؛ قَالَ: أَوَّلُ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ ا للهِ ﷺ غُيِّبْتُ عَنْهُ، وَإِنْ أَرَانِيَ ا للهُ مَشْهَدًا فِيمَا بَعْدُ مَعَ رَسُولِ ا للهِ ﷺ لَـيَرَانِي ا للهُ مَـا أَصْنَـعُ، قَـالَ: فَهَـابَ أَنْ يَقُـولَ غَيْرَهَـا، فَشَـهِدَ مَـعَ رَسُـولِ ا للهِ ﷺ يَـوْمَ أُحُـدٍ، فَاسْتَقْبَلَ سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ: يَا أَبَا عَمْرٍو أَيْنَ ؟ فَقَالَ: وَاهًا لِرِيـحِ الْجَنَّةِ أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ؛ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ، فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ

مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ، قَالَ أنسٌ: فَقَالَتْ أُخْتُهُ عَمَّتِيَ الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النَّضْرِ: فَمَا عَرَفْتُ أَخِي إِلا بِبَنَانِهِ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ **مِنَ الْمُؤمِنِيْنَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب:٢٣]. قَالَ: فَكَانُوا يُرَوْنَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ)).
[رواه مسلمٌ وغيرُه]

وأمَّا الثاني:

فهو موقفُ البراءِ بن مالكٍ -رضي الله عنه- في معركةِ اليَمَامَةِ حين تترَّسَ مسيلمةُ الكذَّابُ والمرتَدونَ معه بحديقَةِ الموتِ ، فأغلقوا أبوابَها ، وتحصَّنوا بعالي جدرانِها ، وجعلوا يُمطرونَ المسلمين بنبالهم من داخلها ، فتتساقطُ عليهم تساقُطَ المطرِ ، عند ذلك تقدَّمَ البراءُ بنُ مالكٍ وقال: يا قومِ ! ضعوني على تُرسٍ وارفعوا التُرسَ على الرمَاحِ ثُمَّ اقذفوني إلى الحديقة قريباً من بابها ، فإمَّا أن أفتحَ لكم البابَ ، وإمَّا أن أُستشهدَ.

فقذفوه -رضي الله عنه- بالرمَاحِ حتى ألقوه في الحديقَةِ بين الآلاف المؤلفَةِ من جُندِ مسيلمةَ ، فما زالَ يُجالدُهم أمامَ بابِ الحديقةِ ويُعملُ في رقابهم السيفَ حتى قتلَ عشرةً منهم وفتحَ بابَ الحديقةِ ، وبه بضعٌ وثمانونَ جراحة ، ما بين رميةٍ بسهمٍ أو ضربةٍ بسيفٍ أو طعنةٍ برمحٍ ، فتدَفقَ المسلمون على الحديقَةِ ، وأعملوا في رقاب عدوِّهم السيوفَ حتى قتلوا مسيلمةَ ، وانتصروا على المرتَدينَ.

وإذا كانتِ النُّفُوسُ كِبَارَاً ... تَعِبَتْ في مُرَادِها الأجسامُ

عباد الله:

صلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم اللهُ تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ: « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ». [رواه مسلم]

❧ ❧ ❧

الصداقة والمجالسة في ميزان الإسلام

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى عليه وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله سبحانه وتعالى حقَّ التقوى، وراقبوه في السرِّ والنجوى، وتزوَّدوا فإنَّ خيرَ الزادِ التقوى.

عباد الله:

إنَّ من الأمور الجِبليَّةِ الفطريَّةِ التي فطرَ الله تعالى الإنسانَ عليها في هذه الحياة: الصُّحْبةَ والمجالسَةَ؛ فلا بُدَّ للمرءِ في هذه الحياة من جُلساءَ وأصحاب، يتحدَّثُ معَهُم، ويتحدَّثون معه، يَبُثُّ إليهم همومَه، ويشكو إليهم أحزَانَهُ، ويستشيرُهم فيما يُلِّمُ به من أمور.

فالمصاحبةُ مما حثَّ الإسلامُ عليه، ورغَّبَ في السعي إليه، والصداقةُ تدعيمٌ للعلاقات الاجتماعيَّةِ، وتقويةٌ للمودَّاتِ، وشدٌّ لأواصرِ الصِّلاتِ الإنسانيةِ.

الصديقُ يا عباد الله: من ضروراتِ الحياة، وطبائعِ البشر، ومن ظنَّ أنَّه يمكنُ أن يستغني عن صديقٍ في هذه الحياة فمغرورٌ، فعن أبي هريرة -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ».[رواه أبو داود والترمذيُّ وصحَّحَهُ، وأحمدُ]

المرءُ في هذه الحياة على مَشْرَبِ صديقِهِ وجليسِهِ، ولا يشُكُّ عاقلٌ من الناس في أهميَّةِ الصداقةِ والمؤاخَاةِ في حياةِ المسلم، وأثرِها على سلوكِه، وأخلاقِه، فالأرواحُ جنودٌ مُجَنَّدَةٌ ما تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكرَ منها اختلفَ.

أيُّها المسلمون:

وأجملُ ما قيل في تعريف الصديق ما قاله بعضُهم: الصديقُ إنسانٌ هو أنت إلاَّ أنَّه غيرُك. ومثلُ هذا القول قد روي عن أبي بكرٍ الصديق -رضي الله عنه- حين أقطعَ طلحةَ بن عبيد الله أرضاً ، وكتبَ له بها كتاباً ، وأشهدَ فيه أُنَاساً منهم عمرُ بن الخطاب -رضي الله عن الصحابة أجمعين، فأتى طلحةُ بكتابه إلى عمرَ ليختِمَه له ، فامتنعَ عليه ، فرجعَ طلحةُ إلى أبي بكرٍ مُغْضَبَاً، وقال: والله ما أدري أأنتَ الخليفةُ أم عمرُ ؟! فقال أبو بكر: بل عُمَرُ لكنَّه أنا.

عباد الله:

وقد جاءت وصايا السَّلَفِ الصالحِ في الحثِّ على اختيار الأصدقاء ، وانتقاءِ الأصحابِ والأخلاَّءِ ، ومن ذلك قولُ أحدِهم: (اصْحَبْ مَن إذا صَحِبْتَه زَانَكَ ، وإذا خَدَمتَهُ صَانَكَ ، وإذا أصَابَتْكَ فَاقَةٌ جَادَ لَكَ بمَالِهِ ، وإذا رَأى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّها ، وإن رَأى سَيِّئَةً كَتَمَها وسَتَرَها ، لا تَخَافُ بوَائِقَه ، ولا تَخْتَلِفُ طَرَائِقُه) .

وصَاحِبْ إذا صَاحَبتَ حُرَّاً مُبرِّزَاً يَزينُ ، ويُزري بالفتى قُرَناؤه

وقال لقمانُ لابنه وهو يَعِظُهُ: (يا بُنَيَّ إيَّاكَ وصاحبَ السوءِ ؛ فإنَّه كالسَّيْفِ المَسْلول يُعجبُكَ منظرهُ ، ويقبحُ أثرُه. يا بُنَيَّ ثَلاثةٌ لا يُعرفون إلاَّ في ثَلاثةِ مواطنَ: لا يُعرفُ الحليمُ إلاَّ عندَ الغَضَبِ ، ولا الشُجاعُ إلاَّ عندَ الحَرْبِ ، ولاَ الأخُ إلاَّ عندَ الحَاجَةِ).

وقيل لخالدِ بن صفوان: (أيُّ إخوانكَ أحبُّ إليك ؟ قال: الـذي يغفـرُ زَلَلي ، ويَقبلُ عِلَلي ، ويَسدُّ خَلَلي).

وقال عليُّ بن أبـي طـالبٍ -رضـي ا لله عنـه-: (اصْحَـبْ مَـن ينسـى معروفَه عندكَ ، ويذكرُ حقوقَك عليه).

ولا خيرَ في صحبةِ من تجتمعُ فيه هذه الخلال: من إذا حدَّثَكَ كذَبك ، وإذا إئتمنتَه خانَك ، وإذا إئتمنَك اتَّهَمَكَ ، وإذا أنعمت عليه كفرَك ، وإذا أنعمَ عليك منَّ عليك.

أيُّها المسلمون:

لقد أصبحت الصداقةُ الحَقَّةُ من غرائبِ الدُّنيا وعَجَائِبِ الحيـاةِ لَّما بَعُدَ النـاسُ عـن المنهـجِ الصحيـح لـلرَّوَابطِ والعلاقـات بـين النـاس ، فـأصبحَ اجتماعُهم إلاَّ من رَحِمَ ا للهُ من أجل الدُّنيا ، يجتمعـون عليهـا ، ويتفرَّقـون من أجلِها ، حتَّى إنَّه ليصدُقُ فيهم قولُ القائل:

ما في زمَانِكَ ما يَعِزُّ وجودُه إن رُمْتَهُ إلاَّ صَدِيقٌ مُخْلِصُ

والمسلمُ العاقلُ يا عبـاد ا لله: يُـدركُ أنَّ الحصـولَ علـى الصديـقِ الوَفِـيِّ والخليلِ الحَمِيْمِ من أصعب الصعبِ ، إن لم يكـن مـن رابـعِ المستحيلات، ولذلك ينظرُ بعين البصيرة إلى أعمال وأخـلاقِ مـن يريـدُ صداقتَـه ، فمـن رضي أعمالَه وأخلاقَه صادقَه ، ومن سخِطَ أعمالَه وأخلاقَه ابتعدَ عنه.

قال الأوزاعيُّ -رحمه ا لله-: (الصاحبُ للصاحبِ كالرُّقعةِ للثـوبِ إن لم تكن مثلَه شانته).

عباد الله:

ولِما للصداقةِ من أهميَّةٍ بالِغَةٍ في حياةِ المسلمِ ، وتأثيرٍ عظيمٍ على سلوكِه فقد ذكر أهلُ العلم صفاتٍ يجب على المسلم أن يختارَ صديقَه وجليسَه على وفقها:

أولُها: أن يكون ذا دينٍ واستقامةٍ ، فإنَّ ذا الدينِ يقفُ به دينُه على الخيرات ، ويُجنبُهُ المحرَّماتِ ؛ مِمَّا يعودُ على صاحبِهِ بالخيرِ ؛ وتاركُ الدين عدوٌّ لنفسه ، فكيف تُرجى منه موَدَّةُ غيره.

قال أحدُ السلف: (اصْطَفِ من الإخوانِ ذا الدينِ والحسبِ ، والرأي والأدبِ ؛ فإنَّه رِدْءٌ لكَ عند حاجَتِكَ ، وَيَدٌ عندَ نَائِبَتِكَ ، وأُنسٌ عند وحْشَتِكَ ، وَزَيْنٌ عندَ عَافِيَتِكَ).

فالإسلام -معاشرُ الإخوة- شرطٌ ضروريٌّ للجليس الصالح ، والصديق الناصح ، ولن يكونَ صديقاً ناصحاً من يكونُ على غير دينك ، ولن يكونَ خليلاً وفيَّاً من يُخالِفُكَ في الاعتقادِ. وكلُّ صداقةٍ تُبنى على غير الإسلام فإنَّ ضرَرَها مُتَيَّقَنٌ منه قلَّ أو كثُر ، وستنقلبُ هذه الصداقةُ إلى عداوةٍ يومَ تتبيَّنُ الحقائقُ ، وتزولُ الغِشَاوَةُ عن العيونِ والبصائِرِ ، ﴿ **الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [الزخرف:٦٧].

والثاني: أن يكونَ عاقلاً ؛ فإنَّ العقلَ رأسُ المال ، والصديقُ الأحمقُ يُفسدُ أكثرَ مِمَّا يُصْلِحُ ، ويضرُّ أكثرَ مِمَّا يَنْفَعُ ، لذا كان لا بُدَّ أن يكون الصديقُ صاحبَ عقلٍ موفورٍ ، وسلوكٍ محمودٍ. ومن الجهل صحبةُ ذوي

الجهل والحماقةِ ، مِمَّن لا تدومُ صداقتُهم ، ولا تثبتُ مودَّتُهم ، وقديماً قيل:

احْذَرْ مَودَّةَ مَاذِقٍ ... مَزَجَ المَرَارَةَ بالحَلاَوَهْ
يُحْصِي الذُّنوبَ عليكَ ... أيَّامَ الصَّدَاقَةِ للعَداوَهْ

الثالثُ: أن يكونَ محمودَ الأخلاقِ ، مرضيَّ الفعالِ ، مؤثراً للخير آمراً به ، كارهاً للشرِّ ناهياً عنه.

والرابعُ: أن لا يكونَ فاسقاً ؛ فإنَّ الفاسقَ لا فائدةَ في صحبَتِهِ ، لأنَّ من لا يخافُ الله لا تؤمنُ غَائِلَتُه ، ولا يوثقُ بصِدْقِه ، بل يتغيَّرُ بتغيُّرِ الأغراضِ، ويَتَقَلَّبُ بتقلُّبِ الزمان.

مُجَالَسَةُ السَّفِيْهِ سَفَاهُ رَأيٍ ... ومن عَقْلٍ مُجَالَسَةُ الحَكَيْمِ
فَإنَّكَ والقَرِيْنَ مَعَاً سَوَاءٌ ... كَمَا قُدَّ الأَدِيْمُ مِنَ الأَدِيْمِ

والْخَصْلَةُ الخامسةُ: أن لا يكونَ مبتدعاً ؛ لأنَّ المبتدعَ خطرُه على صاحبه عظيمٌ ، فقد يُخرجُهُ من الإسلام إلى شؤمِ البدع والمحدثات.

قال عمرُ -رضي الله عنه-: (عليكَ بإخوانِ الصدقِ تعشْ في أكنافهم؛ فإنَّهم زَيْنٌ في الرَّخَاءِ ، وعُدَّةٌ في البَلاَءِ ، ولا تصحبِ الفاجرَ فتتعلَّمَ من فجوره ، ولا تُطْلِعَهُ على سِرِّكَ ، واستشرْ في أمرِكَ الذين يخشونَ الله تعالى).

أيُّها المسلمون:

ولقد حَذَّرَ المصطفى ﷺ من مجالَسَةِ الأشرارِ ومصاحبةِ الأنذالِ ، وحثَّ على اختيارِ الصديقِ الصالحِ والجليسِ المؤمنِ لِمَا له من نفعٍ في الدُّنيا والآخرةِ ؛ فعن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تجدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ؛ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تجدَ رِيحاً خَبِيثَةً ». [رواه البخاري ومسلم]

عباد الله:

وإذا كان رسولُ الله ﷺ قد ضربَ للجليس الصالح مثلاً بحامل المسك فإنَّه أعظمُ من ذلك وأنفعُ ، فهو إمَّا أن يُعلِّمَكَ ما ينفعُكَ في دينكِ ودنياكَ، أو يُهدي لك نصيحةً ، أو يُحذِّرُكَ من معصيةٍ ، أو يحثُّكَ على الطاعَةِ ، ويدعوكَ إلى مكارمِ الأخلاقِ ، ومحاسنِ العاداتِ بقوله وفعله، وأقلُّ ما تستفيده منه أن تنكَفَّ بسببهِ عن السيِّئاتِ والمعاصي رعايةً لحقِّ الصحبةِ ، ومنافسةً في الخير ، وترفُّعاً عن الشرِّ ، وهذه فائدةٌ عظيمةٌ لا توزنُ بشيءٍ ، وقديماً قيل: ما شيءٌ أسرعُ في فسادِ الرجلِ وصلاحهِ من صاحبهِ.

قال عديُّ بن زيدٍ -رحمه الله-:

عن المرءِ لا تسألْ وسلْ عن قرينِهِ ... فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ يقتدي

وصاحب أولي التقوى تَنَلْ من تقاهُم　　ولا تَصْحَبِ الأَرْدَى فتردى مع الرَّدِي

وفي الحديث أنَّه ﷺ قال: «لاَ تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِناً، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ». [رواه أبو داود والترمذيُّ وأحمدُ]

عباد الله:

إخوانُ الصدقِ هم خيرُ مكاسبِ الدُّنيا ، زينةٌ في الرَّخَاءِ ، وعُدَّةٌ في الشِّدَّةِ ، ومعونةٌ على خيرِ المعاشِ والمعادِ ، هم كما قيل: إن جالستهم نفعوا ، وإن شاورتَهم نصحوا ، وهكذا تكونُ مصاحبةُ الأخيار أهلِ العلم والفضلِ والتُقى والصلاح.

والصديقُ الفاسدُ والجليسُ السوءُ مِمَّا حَذَّرَ الله تعالى منه ورسولُه ، وقد ضربَ له النبيُّ ﷺ مثلاً بنافخِ الكِيْرِ ؛ لأنَّه يؤذي جليسَه على كلِّ حالٍ ، فهو كالحَدَّادِ الذين ينفُخُ في كِيْرِه ، ويضربُ على مَحمى حديده إذا لم يطرْ شيءٌ من شرار ناره ، وطائشِ قذائفه الملتهبةِ على ثيابكَ وجدتَ من حديدِهِ ونارِهِ وكلِّ ما يُحيطُ به ريحاً منتنةً مؤذيةً ، وهكذا من يُصاحبُ الأشرارَ وأهلَ السوءِ والفُحْشِ والمعاصي عياذاً با لله ، فهو إمَّا أن ينساقَ معهم إلى مواقعِ الإثمِ ومواطنِ الرِّيَب فتمسُّه نارُ المعصيةِ في الدُّنيا ، ويصلى نارَ جهنَّمَ في الأخرى ، وإمَّا أن ينالَه خبيثُ رائحتهم واقتباسُ سيرتهم ، فيجدُ ما يؤذيه من قولٍ وعملٍ ، ﴿**وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَآءَ قِرِيناً**﴾ [النساء:٣٨].

لا تَصْحَبِ الكسلانَ في حاجاتِه ... كم صالحٍ بفسادِ آخرَ يفسُدُ
عدوى البليدِ إلى الجليدِ سريعةٌ ... والجمرُ يوضعُ في الرمادِ فيخمُدُ

عباد الله:

إنَّ مصاحبةَ الأشرار سُمٌّ ناقعٌ وبلاءٌ واقعٌ ، فكم هَلَكَ بسببِهم أقوامٌ ، وكم فسدَ بِهِم أقرانٌ ، كم من شابٍّ وفتىً صغيرٍ أو كبيرٍ انحرفَ عن الطريق المستقيم ، وضلَّ عن الهدي القويمِ ، وسلكَ سبيلَ الهوى والشيطانِ الرجيمِ بسببِ صديقِ السوءِ ، وجليسِ الضلالة ، الذي قادَه إلى الخرابِ والهلاكِ ، وأوقعَه في الضلال والفسادِ خطوةً خطوةً حتَّى تركَ الصلاةَ ، واتَّبعَ الشَّهَوَاتِ.

وفي المقابل كم من ضالٍّ تائهٍ قاده الجليسُ الصالحُ إلى مجالسِ الخير ، وحلقات الذكرِ فهداه الله على يديه ، وأصبحَ من عباد الله المتقين ، يُنافسُ في الخير ، ويُسابقُ في العمل الصالح.

ولا أدلَّ على شِدَّةِ تاثيرِ الجليسِ على جليسه والصديقِ على صديقه مِمَّا رواه البخاريُّ ومسلمٌ عن سعيد بن المسيَّب عن أبيه قال: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبو جَهْلٍ، فَقَالَ: أَيْ عَمِّ ! قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُاللهِ بْنُ أَبي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ ؟! فَلَمْ يَزَالاَ يُكَلِّمَانِهِ حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ عَلَى: مِلَّةِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ. فَنَزَلَتْ: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ**

يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ ، وَنَزَلَتْ: ﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ ». فمات على الشرك بسببِ جُلسَاءِ السُّوءِ ودُعَاةِ الضلالةِ.

فاتَّقوا اللهَ تعالى رحمكم الله ، اتقوا الله في جُلَسَائِكُم واصحَابكم ، واحذروا من مجالسة أهل الزَّيْغِ والفسادِ؛ ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً ﴾ [الكهف:٢٨].

أقولُ ما تسمعونَ ، وأستغفرُ اللهَ تعالى من كلِّ ذنبٍ وخطيئةٍ فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله على ما أَوْلَى ، والشكرُ له على ما أَنْعَمَ وأَسْدَى ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له ، له الحمدُ في الآخرةِ والأولى ، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا محمداً عبدُ الله ورسولُه الصفيُّ المصطفى ، والنبيُّ الْمُجْتَبَى، صلَّى اللهُ وسلَّمَ وبارَكَ عليه ، وعلى آلهِ وصحبهِ والتابعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ، وسارَ على نَهْجِهم واقْتَفَى.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله عباد الله ، واعلموا أنَّ الصداقةَ النافعةَ هي كلُّ ما بُني على تقوى الله تعالى ومرضاته ، بعيداً عن مطامِعِ الدُّنيا ، وشَهَواتِ الحياة ، فهذه الصحبةُ هي النافعةُ في الدُّنيا قبل الآخرة ؛ لأنَّها سريعةُ الاتصال ، بطيئةُ الانقطاع ، قال اللهُ تبارك وتعالى: ﴿ **الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ * يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ** ﴾ [الزخرف:٦٧-٦٨].

قال رسولُ الله ﷺ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ؛ وَذَكَرَ مِنْهُمْ: وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ». [متفقٌ عليه]

وعن ابن عُمَرَ -رضي الله تعالى عنهما- قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ للهِ عِبَادَاً لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ ولاَ شُهَدَاءَ ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ

القِيَامَةِ ؛ لقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى ، وَمَجْلِسِهِمْ مِنْهُ ، هُمْ قَوْمٌ مِنْ أَقْنَاءِ النَّاسِ مِنْ نُزَّاعِ القَبَائِلِ ، تَصَادَقُوا فِي اللهِ ، وَتَحَابُّوْا فِيْهِ ، يَضَعُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُوْرٍ ، يَخَافُ النَّاسُ وَلاَ يَخَافُوْنَ ، هُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِيْنَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُوْنَ ».[رواه الحاكمُ وصحّحه ووافقه الذهبيُّ]

أمَّا صُحْبَةُ الأشرارِ فإنّها سريعةُ الانقطاعِ ، بطيئةُ الاتّصالِ ، تورثُ الخزي في الدُّنيا قبل الآخرة ؛ لأنَّ الإنسانَ موسومٌ بسيما من قارب ، ومنسوبٌ إليه أفاعيلُ من صاحب.

ولقد ذكر الله تعالى حالَهم يومَ القيامَةِ إذا تَقَطَّعَتْ بهم السبُل ، وغرَّهم السرابُ اللامعُ والبريقُ الخادعُ ، وهم يَصْطَرِخُونَ في النارِ ، ﴿ **فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۞ وَلاَ صَدِيقٍ حَمِيمٍ** ﴾ [الشعراء:١٠٠-١٠١].

﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ۞ يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَناً خَلِيلاً ۞ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً** ﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩].

ثمَّ اعلموا رحمكم الله أنَّ الناسَ على ثلاثِ طبقاتٍ: فمنهم من هو كالغذاءِ ، لا يُستغنى عنه ، ومنهم من هو كالدواءِ لا يُحتاجُ إليه إلاَّ زَمَناً معيَّناً ، ومنهم من هو كالداءِ لا يُحتاجُ إليه أبداً.

وليكن غرضُ الإنسان في اتخاذ الإخوان واصطناع النُصَحاء تكثيرُ العُدَّةِ، لا تكثيرُ العِدَّةِ ، وتحصيلُ النفعِ لا تحصيلُ الجَمْعِ ، فواحدٌ يحصلُ به المراد خيرٌ من ألفٍ تُكَثِّرُ بهم الأعداد.

قال بعضُ الحكماء: (الإخوانُ بمنزلـة النـار ، قليلُها متـاعٌ ، وكثيرُها بوارٌ ، فلا تُسَرَّنَّ بكثرةِ الإخوانِ ما لم يكونوا أخياراً).

ثمَّ اعلموا رحمكم الله: أنَّ للصداقةِ آداباً ، وللصحبةِ حقوقاً ، فـلا بُـدَّ من النصيحةِ للصديقِ في السرِّ والعَلَنِ ، وتخفيـفِ الأثقـالِ عنـه ، ومعاونتِه فيما ينوبُه من حادثات الدَّهرِ ، أو ينالُه من نكبات الحياة ؛ فإنَّ مراقبتَـه في الظاهر نفاقٌ ، وتركَه في الشدَّةِ لؤمٌ وخِسَّةٌ.

وعليه بعدَ ذلك أن لا يُفرطَ في حُبِّهِ ، بل يَترَفَّقْ ويَقْتَصِـدْ ؛ فـإنَّ الأيـامَ دُوَلٌ والدَّهرَ قُلَّبٌ ، وقد يصيرُ الصديقُ عَدُوَّاً ، والعدوُّ صديقاً.

قال عليٌّ -رضي الله عنه-: « أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنَاً مَا؛ عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمَاً مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنَاً مَا؛ عَسَى أَنْ يَكُـونَ حَبِيبَـكَ يَوْمَاً مَا». [رواه الترمذيُّ في جامعِه، والبخاريُّ في الأدب المفرد]

ولا بُدَّ من غضِّ الطرف عن الزَّلاَّتِ ، والتجاوزِ عن الهَفَوَاتِ بقـدرِ مـا يحفظُ الصداقةَ ، وتدومُ معَه العشرةُ ، فإنَّ من رامَ بريئاً من الهفوات، سليماً من الزَّلاَّتِ فقد رامَ مستحيلاً:

ومـن يَتَتَبَّعْ جَاهِـدَاً كُـلَّ عَـثْرَةٍ يَجِدْهَا ولاَ يَسْلَمْ له الدَّهْرَ صَاحِبُ

قال أبو الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه-: (مُعَاتَبَةُ الأخِ خيرٌ من فَقْدِهِ ، ومـن لكَ بأخيكَ كلِّه).

و لله درُّ القائل:

إذا كنـتَ في كلِّ الأمـورِ مُعـاتباً صَديقَـكَ لم تلقَ الذي لا تُعـاتِبَه
فعشْ واحـداً أو صِـلْ أخـاكَ فـإنَّه مقـارفُ ذنبٍ مـرةً ومجـانبُه

إذا أنتَ لم تشربْ مراراً على القَذَى ضَمِئتَ وأيُّ الناس تصفو مشاربُهُ

هذا وصلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم اللهُ تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ: « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَاً ». [رواه مسلم]

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ على عبدِك ورسولِك محمدٍ صلاةً وسلاماً متعاقباتٍ تترى إلى أن يرث اللهُ الأرضَ ومن عليها وهو خيرُ الوارثين، وارضَ اللَّهُمَّ عن أصحابِ نبيِّكَ أجمعينَ، وعن التابعينَ وتابعيهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، وعنَّا معَهم بمنِّكَ وكرَمِكَ يا ربِّ العالمين..

❧ ❧ ❧

فضيلة الإصلاح بين الناس

● الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى عليه وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا ا لله سبحانه وتعالى حقَّ التقوى ، فبتقوى ا لله تبارك وتعالى تزكو الأعمالُ ، وتصلحُ الأحوالُ. أكثروا من ذكره سبحانه فبذكره تطمَئِنُ القلوبُ ، وتهدأُ النفوسُ.

عباد ا لله:

الخلافُ بين الناس والخصومةُ بينهم غريزةٌ فطريَّةٌ أودَعها ا للهُ عزَّ وجلَّ في نفوس البشر منذُ خلقَهم ، وجعل سبحانه وتعالى لهذه الغريزةِ أسباباً ومحرِّكاتٍ تؤدي إلى غلَيَانِهَا في النفس ، وثَوَرَانِها في المجتمع ، حتَّى بين القريبِ وقريبه والأخِ وأخيه.

وأولُ هذه الأسباب: الشيطان الذي يأمرُ بالفَحْشَاءِ والمنكر ويَعِدُ الفقرَ، أيِسَ أن يعبدَه المسلمون فعمَدَ إلى التحريش بينهم ، وزَرْعِ الخلاف والفُرقةِ والشَّحْنَاءِ في نفوسِهم.

وثانيها: النفسُ الأَمَّارَةُ بالسوء والهوى والشُحِّ والبخل.

وثالثها: شياطينُ الإنس من البشر الذين يوحي بعضُهم إلى بعضٍ زُخرُفَ القول غروراً ، يسؤهم اجتماعُ الأخلاَّءِ وترابطُ الأقرباء مِمَّا يحمِلُهم على النميمةِ والتحريشِ بينهم ، واختِلاَقِ الأمور المفسدة للعلاقات حتَّى يتصدَّعَ بُنيانُ القرابةِ ، وتتزعزعُ رابطةُ الأخوَّةِ ، فيوجد الخلافُ وتثورُ الفتنةُ ، وتنتشرُ القطيعةُ حتَّى تُفَرِّقَ بين المحبِّ وحبيبه ، والقريب وقريبه ، والصاحب وصاحبه ، وحتَّى يَهْجُرَ الولدُ أباه ، والزوجُ زوجَه ،

والأخُ أخاه ، والجارُ جارَه ، مِمَّا يُفكِّكُ روابطَ المجتمعِ ويجعلَه لقمةً سائغةً في أيدي أعدائه أيَّاً كان جنسُهم.

عندها تفسُدُ النيَّاتُ ، وتتغيَّرُ القلوبُ ، وتتدابرُ الأجسادُ ، وتُظلمُ الوجوه فتقعُ الحالقةُ التي تحلقُ الدين ، وتُذهبُ الأخوَّةَ الإسلاميَّةَ.

عباد الله:

وأبرزُ أثرٍ ونتيجةٍ للخلاف والخصام بين المسلمين: التهاجرُ والقطيعةُ ؛ ولهذا نهى الله تعالى عن التهاجُرِ بين المسلمين ، وأمرَ بإصلاحِ ذاتِ البَيْنِ ، وجعل ذلك من أعظم القربات ، وأجلِّ الطاعات؛ لأنَّه السياجُ المنيعُ الواقي للأخوَّةِ الإسلاميَّةِ التي رغَّبَ فيها الإسلامُ ، والدرعُ الحصين لوحدة الأمَّةِ التي حَرِصَ الإسلامُ على تماسُكِها وسلاَمَتِها.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأنفَالِ قُلِ الأنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [الأنفال:١].

ولقد أخبر المصطفى ﷺ ((أنَّ مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ)). [رواه الحاكمُ وصحَّحَه، ووافقَه الذهبيُّ]

وقال ﷺ : ((لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ)). [متفقٌ عليه]

ولو لم يكن من شُؤْمِ الهَجْرِ والقطيعةِ إلاَّ ما ثبتَ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: ((تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ

لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً، إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ». [رواه مسلم]

لو لم يكن من شُؤْمِ الهَجْرِ والقطيعةِ إلاَّ هذه العقوبةُ المتمَثِّلَةُ في ردِّ الأعمال الصالحة وعدمِ قبولِهَا لكان خَلِيْقاً بالمسلمِ الحريصِ على دينه ونجاةِ نفسِه أن يبتعدَ عنه ويحذرَ منه ، ويعملَ جاهداً على غضِّ الطرف عن الزَّلاَّتِ ، والتجاوزِ عن الهَفَوَاتِ ، والحرصِ على سلامةِ الصدور ، وصفاء القلوب.

عباد الله:

ولِمَا للهجرِ والقطيعةِ بين المسلمين الناتجان عن الخلافِ والتخاصُمِ بينهم من هذه الآثار السيِّئةِ ندبَ الإسلامُ أتباعَه إلى أن يبذلوا الوسعَ والجهدَ في الإصلاح بين الناس ؛ رحمةً بهم ، وشَفَقَةً عليهم ، وطمعاً في فضل الله تعالى ورحمته الذين وعدهما من أصلحَ بين الناس أبتغاء مرضاة الله تعالى.

وإنَّ المتأمل لما صحَّ عن النبيِّ ﷺ في قوله: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ». [رواه مسلم] ؛ يجِدُه خيرَ مثالٍ يُصوِّرُ حقيقةَ المؤمنين في مجتمعهم ، فهم جسدٌ واحد كالبنيان المرصوص الذي يشدُّ

بعضُه بعضاً ، إذا انهدم منه ركنٌ أو اعتلَّ منه جزءٌ فسدَ حالُه ، وضعُفَ شأنُه.

وقوَّةُ المسلمين أبداً إنَّما هي في تَمَاسُكِهم وترابُطِهم ، وإنَّما يكونُ فشلُهم بتفرُّقهم ، وانفراطِ عقدِهم ، يظهرُ ذلك جَلِيًّا واضِحاً في قول الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ ا للهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].

أيُّها المسلمون:

الصلحُ بين الناس من أجلِّ الأخلاقِ الإسلاميَّةِ التي حَرِصَ الإسلامُ على تربيَةِ أتباعِه عليها ؛ إذْ بِهِ يُرفَعُ الخلافُ ، ويُقطَعُ النزاعُ الذي ينشأُ بين المتعاملين ماديًّا أو اجتماعيًّا ، ويعودُ بسببه الودُّ والإخاءُ بين الناس ؛ لكونه مُرضياً لجميعِ الأطرافِ في الغالب ، قاطعاً دابرَ الخِصامِ بينهم ، مُحقِّقاً للأخوَّةِ التي نشدَها لهم الشرعُ الحنيفُ ، ووصفَهم بها في قول ا للهِ تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُواْ ا للهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠].

وفي مثل هذا كتبَ عمرُ بن الخطاب إلى قاضيه أبي موسى الأشعري – رضي ا لله عنهما– يقول: (رُدَّ الخصومَ حتَّى يَصْطَلِحُوا ؛ فإنَّ فصلَ القضاءِ يُوْرِثُ بينَهُم الضَّغَائِنَ).

ولهذا –عباد ا لله– عُنِيَ القرآنُ عنايةً فائقةً بالصلح بين الناس أمراً به وترغيباً فيه ، وتنويهاً به وبأهلِه ، قال سبحانه وتعالى: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ

نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَآءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء:١١٤].

ووعد القائمين بالإصلاح بين الناس بالمغفرةِ والرحمةِ ، ﴿ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ [النساء:١٢٩].

وهذا كلُّه دليلٌ على عُلُوِّ منزلَتِه في الدين ؛ لِمَا له من أثرٍ عظيمٍ في إصلاحِ ذاتِ البَيْنِ الذي لطالَمَا تشوَّفَ الشارعُ الحكيمُ إليه في المجتمعات الإنسانيَّةِ.

ولقد بَيَّنَ المصطفى ﷺ ما للصلح بين الناس من الأجر العظيم بقوله: «أَلاَ أُخبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ ؟ ». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: « إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ». [أخرجه أبو داود والترمذيُّ وصحّحه]

ومن أجلِ هذا -عباد الله- كان الإصلاحُ بين الناس من أبرزِ أخلاق الرسلِ صَفْوَةِ الخلقِ عليهم الصلاةُ والسلامُ ، كما قال سبحانه وتعالى على لسانِ نبيِّهِ شُعَيْبٍ عليه السلامُ : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]. وقال على لسانِ نبيِّهِ موسى وهو يُخاطبُ أخاهُ هارونَ عليهما السلامُ : ﴿ وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٢].

فالإصلاحُ بين الناس من أبْرَزِ صفاتِ الأنبياءِ المرسلين -عليهم الصلاةُ والسلامُ- ؛ وذلك لكمالِ أخلاقِهم ، وفِطْنَتِهم ، ومعرفتِهم العريقةِ بأحوالِ أمَمِهم ، ولنا فيهم أعظمُ القدوةِ يا عباد الله.

ونبيُّنا محمدٌ ﷺ من أولئك الرسلِ الذين كانوا بهذه المثابةِ من التوفيق بين الناس ، وإصلاحِ ذاتِ بينهم في كلِّ مراحل حياته ، قبلَ البعثةِ وبعدَها.

لَمَّا هاجرَ المصطفى ﷺ إلى المدينة وجدَ ساكنيها من الأوسِ والخزرجِ كأشدِّ ما يكون عليه التنافرُ والشقاقُ ، لِمَا كانوا عليه من الحَمِيَّةِ الجاهليَّةِ التي كانت تُوَلِّدُ بينَهم الحروبَ الطاحنةَ على أَتْفَهِ الأَسْبَابِ ، فقد جاء نُقَبَاؤُهم إليه يُبايعونه عند العقبَةِ ، وهم يقولون بلسانٍ واحدٍ: إنَّا قد تركنا قومَنا ولا قومَ بينهم من العداوةِ والشرِّ ما بينهم ، وعسى أن يجمعَهم الله بك ، فسنقدُمُ عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرضُ عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يَجْمَعَهُم الله عليكَ فلاَ رَجُلٌ أعزَّ مِنْكَ.

فلَمَّا هاجرَ النبيُّ ﷺ إليهم ، ودخلوا جميعاً في الإيمان ، اصطلحوا، وزالَ ما بينهم من البغضاءِ والتَّنَافُرِ ، وأصبحوا بنعمة الله إخواناً.

وما كان شملُهم لِيَلْتَئِمَ لولا وجودُ النبيِّ ﷺ بين أظهرِهم ، والنورُ الذي أتى به في أفئدتهم ، يتمثَّلُ ذلك في قول المصطفى ﷺ مُمْتَنَّاً عليهم بهذه النعمةِ ، لَمَّا بَدَرَ من بعضِ صغارِ الأنصار ما يوحي بنسيانها: « يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ! أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلاَّلاً فَهَدَاكُمُ الله بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ الله بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ الله بِي ». [متفقٌ عليه]

وصدق الله العظيمُ إذْ يقول: ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ الله أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [الأنفال:٦٣].

فقد جمعَ النبيُّ ﷺ بين قلوب الأوس والخزرج التي تنافرت أعواماً ، وتقاتلت أزماناً ، ومُلِئت بالضَّغَائِنِ والأحقادِ الناشئةِ عن العصبية القبليَّةِ ، وهذا من أبرز معجزاته ﷺ ، فقد كان أحدُهم يُلْطَمُ اللَّطْمَةَ فيُقَاتِلُ عليها حتَّى يَسْتَقِيْدَها ، وكانوا أشدَّ خلقِ اللهِ حَمِيَّةً ، فألَّفَ الله بالإيمان بين قلوبهم حتى قاتلَ الرجلُ اباه وأخاه ؛ بسببِ الانضمام تحتَ لواء هذا الدين الحنيف.

وكان بروزُ خلقُ الإصلاحِ والحرصُ عليه في النبيِّ ﷺ أوضحَ وأجلى في صُلحِ الحُديبيةِ الذي تجلَّت فيه دلائلُ نبوَّتِه ومكارمُ أخلاقه ، فما كان بوسع أحدٍ أن يقبلَهُ إلاَّ هو ﷺ لِمَا جعلَ الله فيه من الصفات، وذلك لقسوَةِ شروطِهِ ، وجفاءِ لَهْجَتِه ، كيف لا ؟ والصحابةُ كلُّهم -رضي الله عنهم- إلاَّ أبا بكرٍ الصديق كانوا بين مُنْكِرٍ له عَلَنَاً ، وسَاكِتٍ عنه تأدُّباً مع النبيِّ ، وهو ﷺ يقول: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إلا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا ». [رواه البخاري]

عباد الله:

وإنَّما يكون الصُلحُ محموداً ومثاباً عليه إذا كان في حدود ما أحلَّ الله تعالى. أمَّا الصُلحُ الذي يُحرِّمُ حلالاً أو يُحلُّ حراماً فإنَّه صلحٌ مذمومٌ منهيٌّ عنه ، فقد قال رسولُ الله ﷺ : « الصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إلا صُلْحَاً حَرَّمَ حَلاَلاً أَوْ أَحَلَّ حَرَامَاً ». [رواه أبو داود والترمذيُّ وصحّحه]

فـاتقوا الله عبـاد الله ، واحــذروا مــن العــداوةِ والشــحناءِ بينكــم ، واحرصـوا رحمكـم الله علـى إصـلاحِ ذاتِ البَيْـنِ والتجـاوز عـن الهَفَـوَاتِ والزَّلاتِ طَلَبَاً لمرضاةِ الله تعالى ، وحِرْصَاً على الابتعاد عن سخطه.

بـاركَ الله لي ولكـم في القـرآن العظيـم ، ونَفَعَنـا بمـا فيـه مـن الآيــات والذكر الحكيمِ، أقول قولي هذا وأســتغفرُ الله لي ولكـم ولسـائرِ المسـلمين من كلِّ ذنبٍ وخطيئةٍ فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه كان غفوراً رحيماً.

❋❋ ❋ ❋❋

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيِّباً مُبارَكاً فيه كما يُحبُّ ربُّنا ويرضى ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لاشريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه صلَّى اللهُ عليه وعلى آلهِ وصحبِه ومن تبِعَهم بإحسانٍ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتقوا الله تبارك وتعالى -أيُّها الناس- ، واعلموا رحمكم الله أنَّ الإصلاحَ بين الناس من أفضلِ مقاماتِ الإيمان ، ولقد بلغت عنايةُ الإسلام به ، ومحبَّتُه له أن أباحَ فيه الكذبَ الذي هو من أقبحِ الرذائل الخُلُقيَّةِ ، إذا كان هذا الكذبُ وسيلةً لإصلاحِ خصومةٍ ورفعِ نزاعٍ.

قال رسولُ الله ﷺ : « لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا ». [متفقٌ عليه]

وقال ﷺ : « لاَ يَحِلُّ الْكَذِبُ إلا فِي ثَلاَثٍ؛ يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا، وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ، وَالْكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ ». [رواه أبو داود والترمذيُّ]

قال الإمامُ الخطَّابيُّ -رحمه الله-: (وهذه الأمورُ يُضطَّرُ الإنسانُ فيها إلى زيادةٍ في القولِ ، ومجاوزَةِ الصدقِ ؛ طلباً للسلامةِ ، ودفعاً للضَّررِ ،

فقد رُخِّصَ في بعض الأحوال في اليسير من الفساد ؛ لما يؤملُ فيه من الإصلاح الكبير).

والكذبُ في الحرب بين الأعداء: هو أن يُظهرَ الرجلُ من نفسه قوَّةً، ويتحدَّثُ بما يُقوِّي أصحابَه ويكيدُ به أعداءه ، فقد ذهب المسلمون لأداء عمرة القضاء في العام التالي للحُديبيةِ ، فقال المشركون: أتاكم اتباعُ محمدٍ قد نَهَكَتْهُم حُمَّى يثرب ، فأمرَهم النبيُّ ﷺ بالسعي في الطواف ؛ حتى يغيضوا الكفار ، ويردُّوا عليهم قولَتَهم.

وأمَّا كذبُ الرجلِ على زوجته: فهو أن يُظهرَ لها من المحبَّةِ أكثرَ مِمَّا في نفسِه ؛ ليستديمَ بذلك صحبتَها وألفتَها ، ويُصلحَ ما بينه وبينها من خِصامٍ، وهكذا تكونُ المرأةُ مع زوجها.

فقد روي : (أنَّ رجلاً قال في عهدِ عُمَرَ بنِ الخَطابِ -رضي الله عنه- لامرأته: نشدتُكِ بالله هل تُحبينني ؟! فقالت: أمَّا إذا نَشَدْتَنِي بالله فلا ! فخرجَ حتى أتى عمرَ فأخبرَهُ ، فأرسلَ إليها فقال: أنت تقولين لزوجِك لا أُحبُّكَ ؟ ، فقالت: يا أمير المؤمنين نَشَدَنِي بالله أفَأَكْذِبُ عليه؟! قال: نعم فاكذبيه ، ليس كلُّ البيوت تُبنى على الحبِّ ، ولكن الناس يتعايشون بالإسلامِ والأحسابِ).

فاتقوا الله عباد الله ، وأصلحوا ذات بينكم ، تستديموا المحبةَ فيما بينكم ، وتصلح أحوالُكم ، وتنالوا الأجرَ والثوابَ من الرحمن الرحيم.

ثمَّ صلُّوا وسلِّموا رحمكم الله على من أمركم الله تعالى بالصلاةِ والسلامِ عليه في قولِه: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللَّهُم صلِّ وسلِّم على عبدِكَ ورسولِكَ محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.....

الرأفة باليتامى والمساكين

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ با لله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده ا للهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ ا للهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلَّى عليه وعلى آله وصحبه وسلَّمَ تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ ا للهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ ا للهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ ا للهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ

اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

أوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ تبارك وتعالى في السرِّ والعَلَنِ فاتَّقوا اللهَ رحمكم الله وتزَوَّدوا فإنَّ خيرَ الزادِ التقوى.

عباد الله:

لحظةٌ عظيمةٌ ، وساعةٌ رهيبةٌ تلك الساعةُ التي يُودِّعُ الإنسانُ فيها هذه الحياة ، لحظةُ فراقِ الأهلِ والأصحابِ والزوجةِ والأولاد ، تاركاً وراءَهُ صِبْيَةً صِغَاراً ، وذُرِّيَّةً ضِعَافاً يخشى عليهم الفقرَ ومصائبَ الحياة، ويتمنَّى -وعيونُه تذرفُ دمعاً- وصِيّاً مُرْشِدَاً ، ووليّاً حَانِيَاً ليقومَ مقامَه، يرعاهم كرعايته ، ويسوسُهم كسياسته ، يُعزِّيهم بِرُّه ولطفُه عن فقد حنان الأب الراحل بما يجدونه في كنفه من العناية والرعاية.

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق:١٩].

ما أعظمَها من ساعةٍ تلك الساعةُ التي يحتضرُ فيها العبدُ وتخرجُ روحُه ، وأولادُه حولَه يبكون ويصيحون ، وهو ينظرُ إليهم تقذفُ عيونُه الدمعَ ، لا يستطيعُ أن يتكلَّمَ بكلمةٍ واحدةٍ.

لهذا ولغيره من معاني الرحمة والرَّأْفةِ -عباد الله- جاءَ الإسلامُ بنظامٍ شاملٍ حَقَّقَ من خلالِه التكافلَ الاجتماعيَّ الذي لم يقتصر على ذوى القرابة وإنَّما شَمِلَ كلَّ من بهِ فَاقَةٌ أو ضَعْفٌ أو يُتمٌ.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ : «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ ». [متفقٌ عليه]

أيُّها المسلمون:

لقد حثَّ الإسلامُ المسلمين - مُرغِّبًا ومُحَبِّبًا - على السعي لكشف كُرَب المكروبين من الضعفاء ، وصون حُرْمَتِهم لينالوا الأجرَ من الله ، فمن فرَّجَ عن مسلمٍ كُربةً من كُرَب الدُّنيا فرَّجَ اللهُ عنه كُربَةً من كُرَب يوم القيامة.

ففي دين الإسلامِ -عباد الله- شرائعُ محكمة جاءت لتحقيق التواصل بين المسلمين والترابُطِ بينهم ، تُربِّي النفوسَ على الخير ، وتُرشدُها إلى بذل المساعدات وصنائع المعروف ، سبقَ الإسلامُ بها كلَّ النظُمَ البشريَّةَ التي جاءت لحمايَةِ حقوقِ الإنسانِ ، تكافلٌ في المنافع ، وتضامنٌ في التخفيف من المتاعب ، تنفيسٌ للكروب ، ودفعٌ للخطوب ، وتصبيرٌ عند المضائق ، وتأمينٌ عند المخاوفِ.

وهذا التكافُلُ الفريدُ بابٌ من أبواب التراحُمِ الذي جاء به الإسلامُ وحثَّ عليه ورَغَّبَ أتباعَه فيه ، وجعلَه باباً واسعاً تُحفظُ به الحقوقُ ،

وتُصانُ به الواجباتُ ، ويُعرفُ لكلِّ فردٍ في المجتمع والأسرة ما يُناسبَه من حقوقٍ وواجباتٍ.

عن جَرِيْرِ بن عبدِ الله البَجَلِيِّ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ : «مَنْ لاَ يَرْحَمِ النَّاسَ لاَ يَرْحَمْهُ الله عَزَّ وَجَلَّ». [متفقٌ عليه]

وهذه الرحمةُ يجعلُها الله تعالى في قلوبِ عباده ، وإنَّما يَرْحَمُ الله من عباده الرُّحَمَاءُ.

قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِساً، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدَاً !! فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ». [رواه البخاريُّ وأبو داود]

عباد الله:

إنَّ الشَفَقَةَ والرحمةَ والرأفةَ بخلق الله تعالى جميعاً من آثار الرحمةِ التي يجعلُها الله عزَّ وجلَّ في قلوبِ عبادهِ الرُّحَمَاءِ ، ولا تُنزَعُ الرحمةُ إلاَّ من شَقِيٍّ. قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: سمعتُ ابا القاسم ﷺ يقولُ: «لاَ تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلاَّ مِنْ شَقِيٍّ». [رواه الترمذيُّ، وأحمدُ، وأبو داود]

ايُّها المسلمون:

ويتجلَّى خُلُقُ الرَّحْمَةِ في الرِّفْقِ بالمساكين ، وتَفَقُّدِ أحوالِهم ، ورعايةِ شئونهم ؛ الذين لا حولَ ولا طولَ ولا جاهَ ولا عِزَّةَ لَهُم ، أحوجُ ما يكونونَ ليدِ رحمةٍ تمسحُ عنهم وطأةَ المسكنةِ ، وتُزيلُ عنهم فاقةَ الحاجةِ.

ومحبَّةُ المساكين والرِّفْقُ بهم عنوان التواضُعِ ودليـلُ الرحمـةِ ، فقـد كـان من سُنَّةِ رسولِ ا الله ﷺ الجلوسُ مع المساكين ، وتَفَقُّدُ أحوالِهم ، والبحـثُ عن حوائجِهم ، والشفاعةُ لهم عند الناس ، بل كان من دعائـه كمـا رَوَتْ عائشةُ -رضي ا الله تعالى عنها-: « اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيناً، وَأَمِتْنِي مِسْـكِيناً، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ يَـا رَسُـولَ ا للهِ ؟! قَالَ: « إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً، يَا عَائِشَـةُ لاَ تَرُدِّي الْمِسْكِينَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، يَا عَائِشَـةُ أَحِبِّي الْمَسَـاكِينَ وَقَرِّبِيهِـمْ؛ فَإِنَّ ا للهَ يُقَرِّبُكِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». [رواه الترمذيُّ، والحاكمُ وصحَّحه ووافقه الذهبيُّ]

وقـال ﷺ – مُرَغِّبـاً في حـبِّ الضعفـاءِ والمسـاكين-: « هَـلْ تُنْصَـرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ ؟! ». [رواه البخاريُّ]

وفي هذا إرشـادٌ مـن النبـيِّ ﷺ إلى أنَّـه لا ينبغـي للأقويـاءِ القـادرين أن يستهينوا بالضعفاء العاجزين لا في أمورِ الجهادِ والنُّصْرَةِ ولا في أمور الرزقِ والعجزِ عن الكَسْبِ ؛ لأنَّ النصرَ علـى الأعـداءِ وبسـطَ الـرزقِ بيـد ا الله ، فقد يكونُ بسبب الضعفاء ؛ إمَّـا رحمـةٌ مـن ا الله لهـم ورأفـةٌ بحـالهم ، وإمَّـا بسـبب توَجُّهِهـم ودعـائِهم واسـتنصارِهم واسـترزاقهم ، « رُبَّ أَشْـعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى ا للهِ لأَبَرَّهُ ».[رواه مسلمٌ]

فالضعفـاءُ العـاجزون ألجـأتهم الضـرورةُ إلى أن يعلمـوا حـقَّ العلـم أنَّ كفايتَهم ورزقَهم ونصرَهم من عنـد ا الله تعـالى ، وأنَّهـم في غايَـةِ العجـزِ ، فانكسرت قلوبُهم ، وتوجَّهَت إلى ا الله بخالصِ الدُّعَاءِ فأنزل ا الله عليهم من

نصرِه ورزقِه ؛ من دفعِ المكارِه وجَلْبِ المنافعِ ما لا يُدركُه القادرونَ ، ويسرَّ للقادرينَ بسببهم من الرزق ما لم يكن لهم في الحسبان.

عباد الله:

ومن هؤلاء الضُعفاء الذين أمرَ الله تعالى بالعطفِ عليهم والرَّحْمَةِ لَهم: اليتامى ؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ اللهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [البقرة:٢٢٠].

لقد ذاقَ اليُتْمَ محمدٌ ﷺ فهو سَلْوَةُ اليتامى إلى يوم الدين ، مات أبوه وهو في بطنِ أمِّهِ ، ثمَّ ولدَتْهُ بعد شهورٍ يتيمَ الأب ؛ ليذوقَ اليُتمَ المبكِّرَ وهو لم يزل طفلاً ، ففقد بذلك كلَّ رعايةٍ إلاَّ من الله سبحانه وتعالى الذي تولَّى أمرَهُ وآواه بنِعَمِه ، وذكَّره بذلك بعد أن بعثه إلى خلقِه وهداه إلى سبيلِه ، وجعلَهُ رسولاً نبيًّا ، قال سبحانه: ﴿ **أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَى** ﴾ [الضحى:٦-٨].

عباد الله:

لقد حثَّ الإسلامُ على كفالة اليتيم بالرعاية التامة والتربية القويمة والمحبَّةِ الكاملَةِ ، وجعلَ ذلك من أهمِّ الأسبابِ التي ترفعُ منزلةَ المؤمن في الجنَّةِ ؛ ليكونَ قرينَ النبيِّ ﷺ ، قال رسولُ الله ﷺ : « وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي

الْجَنَّـةِ هَكَـذَا؛ وَأَشَـارَ بِالسَّـبَّابَةِ وَالْوُسْـطَى، وَفَـرَّجَ بَيْنَهُمَـا شَـيْئًا ››. [رواه البخاريُّ]

قال ابنُ حَجَرٍ -عليه رحمةُ الله-: (وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ بين درجـةِ النبيِّ ﷺ وكافلِ اليتيم قدرُ تفاوت ما بين السـبَّابَةِ والوسـطى ، ويكفـي في إثبات قُرب المنزلة من المنزلة أن ليس بين السبَّابَةِ والوسطى أصبعٌ أخرى).

قال قتادةُ -رحمه الله-: (كُن لليتيم كالأَبِ الرَّحِيْمِ).

أيُّها المسلمون:

لقد أوجبَ الإسلامُ على أتباعه رعايـةَ اليتيـم ، وحـرَّمَ إهمالَـه وإذلاَلـه وقهرَه ؛ لمـا يـؤدي إليـه ذلـك مـن تأثـيرٍ علـى سـلوكه مسـتقبلاً وإشـعاره بالضعف ، ولهذا أمرَ الله تعالى الأوصيـاءَ علـى اليتـامى بإحسـان المعاملـة، والقيامِ بأمرهم ، وكفالتهم ، وتأديبهم ، وتوجيههم حتَّى يتربَّوا على الخـير وينشـأوا علـى مكـارمِ الأخـلاقِ وجميـلِ العـاداتِ ، ويَجِـدُوا في ظـلِّ مـن يرعونهم كلَّ عطفٍ ومحبَّةٍ وحنوٍّ وإخلاصٍ.

قال ﷺ : « كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ. وَأَشَـارَ مَالِكٌ (رَاوِي الحَدِيْثِ) بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى ››. [رواه مسلم]

و لم يَكْتَفِ المصطفى ﷺ بذلك بل إلتجأَ إلى الله بالدعاء على من ضيَّعَ حقَّ اليتيمِ وغيرِه من الضُّعفاء ، فقال: « اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَـقَّ الضَّعِيفَيْـنِ؛ الْيَتِيمِ، وَالْمَرْأَةِ ››. [رواه البيهقيُّ وأحمدُ وابنُ ماجه]

وتعظمُ تعاليمُ هذا الدين عندما ينهى عن كلِّ ما يجرحُ شعورَ اليتيم من كلمةٍ جارحةٍ أو عبارةٍ مؤثِّرَةٍ ؛ لأنَّ اليتيمَ فقدَ الحنانَ والرحمةَ والرعايةَ والشفقةَ فكان الأجدرُ بالمسلمين أن يُراعوا حالتَه ، ويرحموا يُتمَه ، ويعطفوا على ضعْفِه.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١-٣].

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيمِ ، ونفَعَنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كلِّ ذنبٍ وخطيئةٍ فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه كان غفوراً رحيماً.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والعاقبةُ للمتقين ، ولا عدوان إلاَّ على الظالمين، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آله وصحبِه أجمعين.

أمَّا بعد:

فلقد غابت تعاليمُ الإسلام ومبادئه وقيمُه السامية عن أقوامٍ غلبت عليهم متعُ الحياة وشهواتُ النفوس فلم يحفظوا ليتيمٍ حقّاً ، ولم يرعوا له مالاً ، ولاَّهُمُ الله تعالى أمرَ اليتامى فبدَّدُوا أموالَهم ، وأكلوها إسرافاً وبداراً، وآخرون لا وِصَايَةَ لهم على اليتامى لكنَّهم لم يسلموا من أذاهم وشرِّهم استغلُّوا ضعفَ اليتيم وقلَّةَ حيلَتِه فهَضَمُوا حقَّه ، واجترأوا على أكلِ مالهِ ، وهؤلاء إنَّما يأكلون في بطونِهم ناراً ، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾ [النساء: ١٠].

بل إنَّ بعضَ غِلاظِ الأكبادِ وقُساةِ القلوبِ ينظرون إلى اليتيمِ والضعيف وكأنَّه قَذَىً في العين ، يُزلِقُونَه بأبصارِهم في نظراتٍ كلُّها اشمئزازٌ واحتقارٌ؛ ألاَ يعتبرُ هؤلاء بأقوامٍ دارَ عليهم الزمانُ وعدت عليهم العوادي ، واجتاحتهم صروفُ الليالي فاستدارَ عزُّهم ذُلاًّ وغناهُم فقراً ، ونعيمُهم جَحِيْمَاً ، وتلك الأيامُ يداولُها الله بين الناس.

أيُّها المسلمون:

لقد أرشدَ الله تعالى الأولياءَ إلى ما فيه دفعُ الضررِ عن اليتامى ، وجلبُ المصلحةِ لهم فيما يتَّصِلُ بالنفسِ والمالِ ، قال سبحانه: ﴿ **وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً**﴾ [النساء:٢].

حيثُ اشتملت هذه الآيةُ على تحذيرٍ يكفلُ حمايةَ اليتامى وأموالَهم إذا تطَّلَّعَتْ بعضُ النفوس إلى شيءٍ من الجشَعِ والطمع فَتَحَايَلَتْ على أكلِ أموالِ اليتامى ظُلماً.

ثمَّ يأتي الوعيدُ الشديدُ في صورةٍ مؤَثِّرةٍ على من كان له قلبٌ في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾ [النساء:١٠].

كلُّ ذلك عباد الله محافظةً على أموال اليتامى فلا تُقْرَبُ إلاَّ بالتي هي أحسَنُ حتَّى يَبْلُغُوا رُشْدَهم ، ﴿ **وَابْتَلُواْ الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [النساء:٦].

ثم يُحيطُ سبحانه وتعالى دفعَ المالِ إليهم بموجبَاتِ الحِفْظِ في قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيباً** ﴾ [النساء:٦].

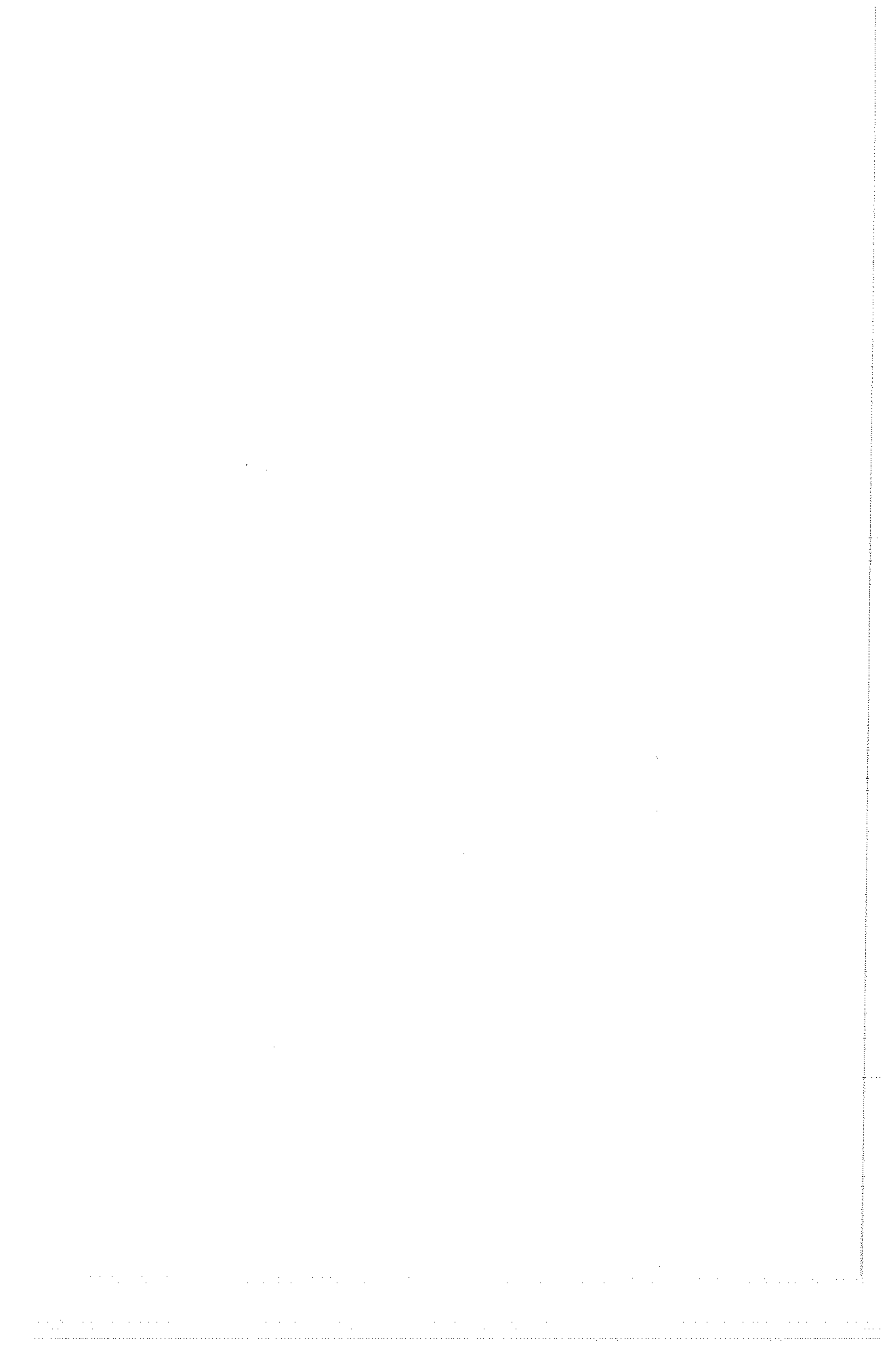
وفي هذا تنبيهٌ للأولياء وإيقاظٌ لوازعِ المُراقَبَةِ والخَشْيَةِ للهِ تعالى ليقوموا بواجبِ الحفظِ والرِّعَايَةِ لِمَا تحتَ أيديهم من أموالِ أولئك اليتامى ، وليتذكَّروا حالَ ابنائِهم من بعدِهم ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً** ﴾ [النساء:٩].

قال الإمامُ القرطبيُّ -رحمه الله-: (قالت طائفةٌ من العُلَمَاءِ: هذه الآيةُ واعِظٌ للأولياءِ أن يفعلَوا باليتامى ما يُحِبُّونَ أن يُفْعَلَ بأولادِهم من بعدِهم).

فهذه الآيةُ -عباد الله- تأتي بهذا التصويرِ البليغ لتصوِّرَ للأولياء حالةً رُبَّما تغيبُ عن أذهانِهم ، بل رُبَّما لا يُفكِّرُون فيها أصلاً ؛ وهي حالةُ أبنائِهم من بعدِهم ، فَرُبَّمَا صاروا يوماً من الأيامِ يتامى تحتَ وِلاَيَةِ غيرِهم فأصبحوا في حَاجَةٍ إلى الرِّعَايَةِ في أنفسِهم وأموالِهم.

فاتَّقوا الله عباد الله في اليتامى والمساكين والضعفاء ، وأحسنوا إليهم إنَّ الله يُحِبُّ المحسنين ، واحفظوا لهم حقوقَهم.

ثمَّ صلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم اللهُ تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَاً)). [رواه مسلم]



أشـراط السـاعة وعلامـاتها

● الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانَ إلاَّ على الظالمين، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه، بَعَثَهُ اللهُ رحمةً للعالمين، وقُدْوَةً للمهتدين، وحُجَّةً على الهالكين، أغنى به من فَقْرٍ، وهَدَى به من ضلالةٍ، وبَصَّرَ به من عَمَى، فَصَلواتُ اللهِ تعالى وسلامُه عليه وعلى آله وصحبِه أجمعين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

أوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ عزَّ وجلَّ في السرِّ والعَلَنِ، والخَلْوَةِ والجَلْوَةِ؛ فإنَّ تقوى اللهِ تعالى هي النَّجَاةُ والأمانُ من أهوالِ الفَزَعِ والنشورِ، هي الزادُ المُبَلِّغُ إلى جَنَّاتِ عدنٍ تجري من تحتها الأنهارُ، فيها ما

لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خَطَـرَ علـى قلـب بشـر ، فـاتّقوا ا لله رحمكم ا للهُ.

عباد ا لله:

يقول ا لله سبحانه وتعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَـاهَا قُـلْ إِنَّمَـا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَـأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ا للهِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّـاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف:١٨٧].

أيُّها الناس:

الإيمانُ بالساعةِ وأشراطِها من حيثُ وقوعُها صِدْقَـاً وعَـدْلاً كمـا أخـبر ا للهُ تعالى في كتابه وعلـى لسـانِ رسـولِهِ ﷺ مطلـبٌ مـن مطـالِبِ الإيمـان باليوم الآخر الذي هو أصلٌ مـن أصـولِ الإيمـان بـا لله تعـالى الـتي لا يصحُّ الإيمانُ إلاّ بها.

والساعةُ علمُها عندَ ا للهِ تعالى ، استأثرَ سـبحانه وتعـالى بعلمِهـا إلاَّ مـا أطلَعَ عليه رسولَه الأمينَ ﷺ من أماراتِها وعلاماتِها الـتي تـدلُّ علـى قُـرب وقوعِها ؛ حتّى لا يُؤخَـذَ النـاسُ علـى حـين غفلـةٍ ، وهـذا مـن رحمـةِ ا للهِ بعبادِه، قال رسولُ ا لله ﷺ : « مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ ا للهُ لاَ؛ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلاَّ ا للهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلاَّ ا للهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَـى يَأْتِي الْمَطَرُ أَحَدٌ إِلاَّ ا للهُ، وَلاَ تَدْرِي نَفْسٌ بِـأَيِّ أَرْضٍ تَمُـوتُ إِلاَّ ا للهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ ا للهُ » ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَـةَ: ﴿ **إِنَّ ا للهَ عِنـدَهُ عِلْـمُ**

السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلَيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:٣٤].[رواه البخاريُّ، وغيرُه]

وكان النبيُّ ﷺ يُكثرُ من ذكرِ الساعةِ وأهوالِها ، وكان الناسُ يسألونه عنها ، فيُخبرُهم أنَّ علمَها عندَ اللهِ ، وأنَّها قريبٌ ، وأنَّ المطلوبَ من العبادِ الاستعدادُ لها بالعملِ لِمَا بعدَها.

ولهذا لَمَّا سألَ جبريلُ النبيَّ ﷺ عن وقتِ الساعةِ ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: « مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ اللهُ، ثُمَّ تَلاَ النَّبِيُّ ﷺ : ﴿ **إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ﴾ الآيَةَ ». [رواه البخاريُّ ومسلم]

والمعنى عباد الله: أنَّ جبريلَ -عليه السلامُ- لا يدري متى تقومُ الساعةُ وكذلك النبيُّ ﷺ لايعلَمُ ذلك ، ولا يعلَمُ متى تقومُ الساعةُ إلاَّ اللهُ وحدَه.

قال ابنُ كثيرٍ -رحمه اللهُ-: (فهذا النبيُّ الأميُّ سيِّدُ الرُّسُلِ وخاتَمُهم صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه ، نبيُّ الرحمةِ ، ونبيُّ التوبةِ ، ونبيُّ الملحمةِ ، والعاقبُ ، والمُقَفِّي ، والحاشرُ الذي تُحشرُ الناسُ على قدميه مع قولِه فيما ثبتَ عنه في الصحيحِ: « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ أَوْ كَهَاتَيْنِ، وَقَرَنَ بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى » ، ومع هذا كلِّه قد أمرَه اللهُ تعالى أن يرُدَّ

علمَ الساعةِ إليه إذا سُئِلَ عنها ، فقال: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف:١٨٧].[والحديثُ رواه البخاريُّ]

وليس هناك أبلغُ من قولِهِ ﷺ في تقريبِ الساعةِ : ((بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ جَمِيعاً إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي)). [رواه أحمدُ وسندُه حسنٌ]

عباد الله:

ولقد جلَّى المصطفى ﷺ لأمَّتِه أمرَ الساعةِ ، ووضَّحَ لهم في غيرِ ما حديثٍ أماراتِها ؛ ليكونَ الناسُ على بصيرةٍ من أمرِ ربِّهم ، ولا يَنْغَمِسُوا في الغَفْلَةِ حتَّى تأتيَهم الساعةُ بغتةً وهم لا يشعرون ، فيندمون ولاتَ ساعةَ مَنْدَمٍ.

ومن الأحاديثِ الصحيحةِ التي بيَّنَ فيها المصطفى ﷺ أماراتِ الساعةِ الصُّغْرَى قولُه: ((لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلاَثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ، حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لاَ أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ ! وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ - يَعْنِي: آمَنُوا أَجْمَعُونَ- فَذَلِكَ حِينَ ﴿ **لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا**

خَيْرًا ﴾ ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ وَلاَ يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلاَ يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلاَ يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُهَا ».[رواه البخاريُّ]

وفي الصحيح عن عوف بن مالكٍ الأشْجَعِيِّ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في غزوةِ تبوكٍ ، وهو في قُبَّةٍ من أَدَمٍ فقال: « اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلاَّ دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا».[رواه البخاريُّ]

أيُّها المسلمون:

وبين يدي الساعةِ سنواتٌ خَدَّاعَةٌ يُتَّهَمُ فيها الأمينُ ، ويُؤتَمَنُ فيها الخائنُ ، وينطقُ فيها الرُّوَيبِضَةُ ؛ وهم الفَسَقَةُ والسُّفَهَاءُ الذين يتكلمون في أمر العامة ، ويتطاولُ الحُفاةُ العُراةُ العالةُ رِعاءُ الشاءِ والغنمِ في البنيان ، وتُضيَّعُ الأمانةُ ، فتُوسَّدُ الأمورُ إلى غير أهلِها ، ويسودُ كلَّ قبيلةٍ منافقوها، ويُرفَعُ العلمُ ، ويُقبضُ العلماءُ ، ويكثُرُ الجهلُ ، ويوضَعُ الأخيارُ ، ويُرفعُ الأشرارُ ، ويُقرَّبون ، ويتَباهَى الناسُ في المساجد ، فيُحَسِّنونَ بناءَهَا ، ويُضيِّعونَ الصلاةَ التي بُنيت المساجدُ لأجلِها.

كلُّ هذه العلاماتُ والأماراتُ ثبَتَتْ بها السُّنةُ الصحيحةُ عن رسولِ الله ﷺ .

عباد الله:

والأمرُ خطيرٌ ، والغفلةُ عظيمةٌ ، والساعةُ أدْهَى وأمَرُّ ، ﴿ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ** ﴾ [الحج:٢].

ولقد أحصى بعضُ أهلِ العلمِ أماراتِ الساعة الصغرى وعلاماتِها فوجدوا أنَّها قد وَقَعَتْ ، بل إنَّ بعضَها قد وقَعَ في عصر النبيِّ ﷺ ؛ كانْشِقَاق القمَرِ ، بل إنَّ بِعْثَتَهُ ﷺ ، وموتَه علامَتَان من علامَاتِ الساعَةِ. وهذا يدلُّ على قُرْبِ نهايةِ هذه الحياة الدُّنيا وفنائِها ، مِمَّا يُحتِّمُ على الناس أن يعودوا إلى رَبِّهم عَوْدَةً صَادِقَةً ، ويؤمنوا به ، ويستعدُّوا لِلقَائِه قبل وقوعِ النَّدَمِ.

أيُّها المسلمون:

وأمَّا علاماتُ الساعةِ الكُبْرَى فقد ذكرها النبيُّ ﷺ في حديثِ حُذَيْفَة ابْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ – رضي الله تعالى عنه– قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ ؟». قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ: فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السَّلَامُ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ؛ خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ

بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ ». [رواه مسلم]

وقد ذكر أهلُ العلم -عباد الله- أنَّ علاماتِ الساعةِ الكبرى إذا وقعت إحداها تتابعت الأخرى على إِثْرِها ، بحيثُ تقعُ كلُّها في قُرابةِ أَشْهُرٍ معدودَةٍ وا لله المستعان.

يؤكِّدُ ذلك ما رواه مسلمٌ في صحيحه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَىً، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبَاً ».

فاتقوا ا لله عبادَ ا لله ، واستعدُّوا من أيَّامكم لِمَا أمامَكم ، واحذروا التسويفَ والغفلةَ.

﴿ **فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ** ﴾ [محمد:١٨].

بارك ا لله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ ا لله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

●الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على إحسانهِ، والشكرُ له على توفيقِه وامتنانِه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَهُ تعظيماً لشأنهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الداعي إلى رضوانهِ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ، وأصحابهِ، وإخوانِه، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أَمَّا بعد:

فاتقوا اللهَ عبادَ الله ، واعلموا رحمكم الله أنَّ منِ أماراتِ الساعة الكبرى التي تؤذنُ بخرابِ الدنيا خروجَ يأجوجَ ومأجوجَ ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **حَتَّىَ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَـٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء:٩٦-٩٧].

وقد ذكرَ اللهُ تعالى في سورة الكهف أنَّه سخرَ ذا القَرْنَيْنِ الملكَ الصالحَ لبناءِ السدِّ العظيم ؛ ليحجُزَ بين يأجوجَ ومأجوجَ القومِ المفسدين في الأرض وبين الناس ، فإذا جاءَ الوقتُ المعلومُ ، واقتربت الساعة اندَّكَ هذا السدُّ ، وخرجَ يأجوجُ ومأجوجُ بسرعةٍ عظيمةٍ ، وجمعٍ كبيرٍ لا يقفُ امامَه أحدٌ من البشر ، فماجوا في الناس ، وعاثوا في الأرض الفساد ، وهذا علامةٌ على قُربِ النفخُ في الصور ، وخرابِ الدنيا ، وقيامِ الساعة.

وأصلُ يأجوجَ ومأجوجَ من البشر من ذُرِّيَّةِ آدم وحواء -عليهما السلام- ، وهم من ذُرِّية يَافِثْ أبي التُرْكِ ، ويَافِثُ من ولد نوحٍ -عليه السلام-.

عن عبدِ الله بنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « إنَّ يَأجُوْجَ ومَأجُوْجَ مِن وَلَدِ آدَمَ ، وإنَّهُم لَو أُرْسِلُوا إلى الناسِ لأَفْسَدُوا علَيْهم معَايِشَهُم ، ولن يَمُوتَ منهم أحدٌ إلاَّ تَرَكَ من ذُرِّيتِهِ ألفاً فصَاعِداً». [قال الهيثميُّ: رواه الطبرانيُّ ورجالهُ ثقاتٌ]

وصفتُهم التي جاءت بها الأحاديثُ: أنَّهم يُشبهون أبناءَ جنسِهم من الترك الغُتْمِ المَغُوْلِ ، صغارُ العيون ، ذلفُ الأنوف ، صُهبُ الشعور، عراضُ الوجوه ، كأنّ وجوهَهم المجانُّ المُطرَقَة ، على أشكال الترك وألوانهم.

والذي تدلُّ عليه الأحاديثُ الصحيحةُ أنَّهم رجالٌ أقوياءٌ لا طاقةَ لأحدٍ بقتالهم ، يخرجون على الناس عند كثرةِ الخَبَث.

دخلَ المصطفى ﷺ فَزِعاً على زينبَ بنتِ جَحْشٍ -رضي الله عنها- وهو يقولُ: « لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ ! وَيْلٌ للعَرَبِ مِنْ شرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ؛ فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدمِ يَأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذه ، وحلَّقَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ ، الإبْهَامَ وَالتِي تَلِيْهَا ». فقلتُ يا رسولَ الله: أَنَهْلِكُ وَفِيْنَا الصالِحُوْنَ ؟! قَالَ: « نَعَمْ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ ».[رواه البخاري ومسلم]

وفي حديث النوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ -رضي الله عنه- أنَّه ﷺ قال: «وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ كَمَا قَالَ اللهُ: ﴿ **مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ** ﴾ ،

قَالَ: فَيَمُرُّ أَوَّلُهُمْ بِبُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ فَيَشْرَبُ مَا فِيهَا، ثُمَّ يَمُرُّ بِهَا آخِرُهُمْ فَيَقُولُ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ ، ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ بَيْتِ مَقْدِسٍ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الأَرْضِ فَهَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مُحْمَرًّا دَمًا)). [رواه مسلم]

والنصوصُ عباد الله ثابتةٌ تفيدُ العلمَ اليقينيَّ بظهورِ هذه الأُمَّةِ المفسدةِ في آخر الزمان عند فساد الناس ، والتي تعملُ بقدرةِ اللهِ تعالى على إهلاكِ الناسِ ، فتوبوا إلى الله جميعاً -عباد الله- ، ﴿**وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الأنفال:٢٥].

ثمَّ صلُّوا وسلِّموا رحمكم اللهُ على السراجِ المنيرِ والبشيرِ النذيرِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ عليه الصلاةُ والسلامُ.....

خطرُ التحاسُدِ بين المسلمين

● الخطبة الأولى:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، الرحمنِ الرحيمِ ، مالكِ يوم الدين ، أحمدُه تعالى وأشكرُه ، وأتوبُ إليه وأستغفرُه ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له ، إلهُ الأولين والآخرين ، وقيُّومُ يوم الدين ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه إمامُ المتقين ، وسيِّدُ الخاشعين ، وقدوَةُ الناس أجمعين ، صلَّى الله وسلَّم وباركَ عليه وعلى آله الطيِّبين وصحبِه الطاهرين والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله تعالى ربَّكم وأشكروه على وافِرِ نِعَمِهِ ، وأطيعوه وأعبدوه ما لكم من إله غيره ولا ربَّ لكم سِوَاه ، الزموا أمره ، واحذروا نهيه فبذلك أمرَكم وشرعَ لكم.

أيُّها المسلمون:

هناك مرضٌ خطيرٌ وداءٌ عُضالٌ يَفْصِمُ عُرَى الأُخوَّةِ الإنسانيَّةِ ، وينشرُ البُغضَ بين البشريَّةِ ، مفسدٌ للأمَّةِ ، جَالِبٌ للنقمةِ ، متى ما فَشَى في المجتمعِ قَادَهُ إلى الهلاكِ وأوقعَه في الدمار ، تشمئِزُ منه النفوسُ السويَّةُ ، وتَسْتَقْبِحُه العقولُ السليمةُ ، ذلكم يا معاشرُ المسلمين هو داءُ الحسدِ.

عباد الله:

لقد حرص الإسلامُ على صفاء قلوب أتباعه ، وسلامةِ صدورهم ، ونقاءِ نفوسِهم ، ولا يكون ذلك إلاَّ بالبُعْدِ عن الغِلِّ والحِقْدِ والحَسَدِ ؛ فإنَّها أمراضٌ اجتماعيَّةٌ مُكَدِّرَاتٌ لصفو المجتمع ، ومُخَلْخِلاَتٌ لبنائِه.

قال رسولُ الله ﷺ : «لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ».
[رواه البخاريُّ ومسلم]

أيُّها المسلمون:

الحسدُ في أصله هو تَمَنِّي زوالَ النعمةِ عن صاحبِها سواءٌ أكانت نعمةَ دينٍ أم نعمةَ دنيا. وقد حذَّرَ اللهُ تعالى منه أيَّما تحذيرٍ ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىَ مَآ آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً** ﴾ [النساء:٥٤].

وأمرَ سبحانه بالاستعاذة منه ومن شرّه ، في قوله تعالى: ﴿ **بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ▪ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ❋ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ❋ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ**

إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ* وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

[الفلق: ١-٥].

وقال رسولُ ا لله ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ؛ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، أَوْ قَالَ: الْعُشْبَ ». [رواه أبو داود]

وقال ﷺ : « إنَّ لِنِعَمِ ا للهِ أَعْدَاءً ». قِيْلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُوْلَ ا للهِ ؟ قَالَ: « الَّذِيْنَ يَحْسُدُوْنَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ ا للهُ مِنْ فَضْلِهِ ».[رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ حسن]

وقال ﷺ : « دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ؛ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ؛ هِيَ الْحَالِقَةُ، لاَ أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَاكُمْ لَكُمْ ؟! أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ ». [رواه الترمذيُّ وصحَّحَهُ، وأحمدُ]

عباد ا لله:

الحسدُ من صفاتِ أصحابِ الدَّنَاءَةِ وقليلي المروءَةِ وأصحاب النفوس الضعيفة ، ونتائجه عظيمةُ العواقب ، شديدةُ البَوَايِقِ ، مُعَجَّلَةُ العقوبة في الدُّنيا، ولعذابُ الآخرة أكبرُ لو كانوا يعلمون.

الحاسدُ -عباد ا لله- يموتُ غيظاً من حسده ؛ لأنَّ الحسدَ داءُ الجَسَدِ حتَّى قال بعضُ الحُكَمَاءِ: الحسودُ من الهمِّ كساق السُّم ، فإن سرى سُمُّه زالَ عنه همُّه.

وتنخفضُ منزلةُ الحاسد عند الناس ، وتَضْعُفُ مرتبته عندَهم ؛ فإنَّ الكريمَ لا يحسُد ، والناسُ يبتعدون عن الحاسدِ ويَنْفِرُون منه ، وقد قيل في مَنْثُورِ الحِكَمِ: الحسودُ لا يسودُ أبداً.

ويحظى الحسودُ من الناس بالمَقْتِ له حتَّى لا يَجِدَ منهم له مُحبَّاً ، ويكسبُ عداوتهم حتّى لا يرى فيهم وليَّاً ، إضافةً إلى ما في الحسد من إسخاط الله تعالى في معارضةِ الحاسد قضاءَه وتقديره ، واجتناء الأوزار في مخالفَتِه ؛ فإنَّ الحسودَ لا يرضى بقضاء الله عدلاً ، ولا لنعمةِ الله من الناس أهلاً ، يقولُ بلسانِ حالِه: ربَّنا لقد أسأتَ التدبيرَ ، وأخطأتَ التقديرَ. وكفى بذلك إثماً مبيناً ، فهو ساخطٌ لقسمةِ الله كأنَّه يقولُ لربِّه -تعالى الله عن ذلك-: لِمَ قسمتَ هكذا ؟ والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [الزخرف:٣٢].

الحسودُ يا عباد الله:

ينالُ الذمَّ من الناس ، ويستوجبُ لعنةَ الملائكة وغضبهم ، يتجرَّعُ الجَزَع من الغُصَّةِ ، وينالُه الغمُّ عند حلولِ النعمَةِ والهمُّ في الخَلْوَةِ ، ويُصيبه الهولُ والشِدَّةُ عندَ النَزْعَةِ ، وينالُ الفضيحةَ والنكالَ في موقفِ القيامَةِ.

أيُّها المسلمون:

وحقيقةُ الحسدِ: شِدَّةُ الأسى على الخيراتِ التي تكون عند الناس ، فإذا أنعمَ ا للهُ على أخيك المسلمِ بنعمةٍ فلك منها حالان: إمَّا أن تَكْرَه تلك النعمةَ وتُحبَّ زوالَها عنه ، فهذا هو الحسدُ المحرَّمُ المذمومُ. وإمَّا أن لا تُحبَّ زوالَها ولا تكره وجودَها ودوامَها عليه لكنَّك تشتهي مثلَها ، فهذه هي الغِبْطَة ، وقد تُسمَّى المُنَافَسَةَ ، وهذه لا بأسَ بها لا سيِّمَا إذا كانت منافسةً في الخيرات ومسابقةً إلى الصالحات.

قال بعضُ السلف: (الحسدُ أولُ ذنبٍ عُصيَ ا للهُ به في السماء حين حسدَ إبليسُ آدمَ فلم يسجد له ، وأولُ ذنبٍ عُصيَ ا للهُ به في الأرضِ حين حسدَ ابنُ آدمَ أخاه حتَّى قَتَلَهُ).

عباد ا لله:

وبِحَسَبِ فضلِ الإنسان وظهور نعمةِ ا لله تعالى عليه يكونُ حسدُ الناسِ له ، فإذا كثُرَ فضلُه كثُرَ حُسَّادُه ، وإذا قلَّ قَلُّوا. ورُبَّمَا كان الحسدُ مُنبِّهاً على فضلِ المحسودِ ونَقْصِ الحاسِدِ ، كما قال أبو تَمَّامَ -رحمه ا لله-:

وإذا أرادَ ا للهُ نشرَ فضيلةٍ طُويت أتاحَ لها لسانَ حسودِ
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورت ما كان يُعرفُ طيبُ عَرْفِ العودِ

ويعظمُ الحسدُ في الإثم ، ويؤثِّرُ في النفسِ -عباد الله- حين يكونُ بين الأقاربِ والأصدقاءِ والأقْرَانِ ، فإنَّ العداوةَ إذا وجدَتْ بين الأقارب كانت صعبةَ الانحلال ، فكيف إذا كانت عداوةَ حسدٍ والله المستعان.

ولقد أصابَ من قال:

كلُّ العداوةِ قد تُرجى إماتتُها ... إلاَّ عداوةَ من عادَاكَ من حسدِ

أيُّها المسلمون:

وأسبابُ الحسدِ في الغالب لا تخرجُ عن ثلاثةٍ: **أحدُها:** بُغضُ المحسودِ مِمَّن حسَدَهُ بسببِ ظهورِ فضائِله ، وشكرِ الناسِ لمناقِبه. **وثانيها:** ظهورُ فضلٍ من المحسودِ يعجزَ عنه الحاسدُ مِمَّا يُثيرُ غضبَه وحقدَه وحسدَه عليه. **وثالثُها:** أن يكون الحاسدُ بخيلاً بالنعمةِ ، شحيحاً بالفضائلِ ، وهي ليست عندَه ؛ لأنَّها مواهِبُ قد قسمَها اللهُ بين عباده ، ووهبَها من شاء من خلقه فيحسِدُ من أعطاه اللهُ إيَّاها ، ويتمنَّى زوالَها عنه. وهذا هو أعظمُ أنواع الحسد إثماً وأخبثُها ضرراً ، وليس لصاحبه راحةٌ ، وهو عامٌّ في الناس إلاَّ من عصمَ الله. ولقد أحسنَ من قال:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيَه ... فالقومُ أعداءٌ له وخصومُ

كضَرَائِرِ الحَسْنَاءِ قُلنَ لوجهِها ... حسَداً وبغياً إنَّه لَدميمُ

وليس شيءٌ أضرَّ من الحسدِ فإنَّه مُهْلِكٌ لصاحبه إذْ يَصِلُ إلى الحاسِدِ خمسُ عقوباتٍ قبل أن يصلَ إلى المحسود شيءٌ من بغيه:غمٌّ لا ينقطع ،

ومصيبةٌ لا يؤجرُ عليها ، ومذَمَّةٌ لا يُحمدُ عليها ، وسخطُ الربِّ سبحانه وتعالى عليه ، وتُغلَقُ عليه أبوابُ التوفيق والخير.

وإنَّ من يتدبَّرُ كتابَ الله تعالى يجدُ فيه مصيرَ أهلِ البغي والحسد ، وعاقبةَ المتقين من المحسودين وغيرهم ، كما ذكر الله في قصَّةِ قابيلَ وهابيلَ وفي قصَّةِ يوسف وإخوتِه عندما حسدوه لفضلِه فأظهره الله تعالى عليهم.

ويجدُ كذلك صفاتِ الدعاةِ المخلصين الصادقين في دعوتِهم ؛ من الذين كانت قلوبُهم سليمةً من الغلِّ والحسَدَ ، كما ذكر الله حالَ صاحبَ يس الذي قال بعد أن قتلَه قومُه: ﴿ **قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ**﴾ [يس:٢٦-٢٧].

مَرَّ أنسُ بن مالكٍ -رضي الله عنه- على ديارٍ خَرِبَةٍ خاويةٍ فقال: (هذه أهلكَها وأهلَكَ أهلَها البغيُ والحسدُ ، إنَّ الحسدَ ليطفئُ نورَ الحسناتِ ، والبغيَ يُصدِّقُ ذلك أو يُكذِّبُه ، فإذا حَسَدْتُمْ فلاَ تَبْغُوا).

عباد الله:

ولو لم يكن من ذَمِّ الحسدِ إلاَّ أنَّه خُلُقٌ دنيءٌ يتوَجه نحو الأكفاءِ والأقاربِ ، ويختصُّ بالمخالطِ والصاحبِ لكانت النزاهةُ عنه كرماً والسلامةُ منه مغنماً ، فكيف وهو بالنفس مُضرٌّ وبالدين مفسدٌ حتى لرُبَّما أفضى إلى التلف من غير نكايةٍ في عدوٍّ ولا إضرارٍ بمحسودٍ.

قال ابنُ المعتزِّ -رحمه الله-:

اصبرْ على كيدِ الحسودِ فإنَّ صبركَ قاتِلُه

كالنارِ تأكلُ بعضَها إن لم تَجِدْ ما تأكُلُه

وقال بعضُ البُلَغَاءِ:

(الناسُ حاسدٌ ومحسودٌ ، ولكلِّ نعمةٍ حسودٌ ، وما رأيتُ ظالماً أشبَه بمظلومٍ من الحسود ، نَفَسٌ دائمٌ ، وهمٌّ لازمٌ ، وقلبٌ هائمٌ ، لا يُرضيه إلاَّ زوالُ النعمَةِ عَمَّن حسدَه ، وذلك بيدِ الله وحده).

وقال معاويةُ -رضي الله عنه- يوصي ابنَه : (يا بُنَي إيَّاكَ والحسدَ فإنَّه يَتَبَيَّنُ فيك قبلَ أن يتبيَّنَ في عدوِّكَ).

فاتقوا الله تبارك وتعالى أيُّها المسلمون ، وابتعدوا عن الحسدِ فإنَّه صفةٌ مذمومةٌ لا تجلب منفعةً ، ولا تُزيلُ نعمة ، تؤدي بصاحبها إلى الهلاك دون أدنى فائدة ، وسَلُو الله من فضله فإنَّ الفضلَ بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضلِ العظيمِ.

سبحانك اللهُم وبحمدِكَ أشهدُ أن لا إله إلاَّ أنت أستغفرُك وأتوبُ إليك.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله وحدَهُ ، والصلاةُ والسلامُ على من لا نبي بعدَهُ محمدِ بنِ عبدِ الله عليه أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليمِ ، وبعد:

فاتقوا الله أيُّها المسلمون فإنَّ تقواه سبحانه وتعالى خيرُ زادٍ يُدَّخَرُ في هذه الحياة وبعد الممات ، وليُحبَّ كلُّ واحدٍ منكم لأخيه ما يُحبُّ لنفسه فإنَّ الإيمانَ لا يَتِمُّ إلاَّ بذلك ، فإذا رأى المسلمُ على أخيه نعمةً فلْيَسأَلِ الله تعالى مثلَها من غير تمنٍّ لزوالِها عن أخيه ، فهذه هي الغِبطةُ المحمودة.

ثم أعلموا رعاكم الله أن للأخلاق حدٌّ متى جاوزته صارت عدواناً وبغياً ، ومتى قَصُرت عنه كانت نقصاً ومهانةً ، فإذا كان الحسدُ مذموماً شرعاً ، ومنبوذاً عُرفاً فإنَّ هناك منه ما هو محمودٌ ألاَ وهو المنافسةُ في الصالحات ، والمسابقةُ إلى الخيرات ، فقد أمرَ الله بها عباده فقال سبحانه : **﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾** [الحديد: ٢١].

وقال رسولُ الله ﷺ : « لاَ حَسَدَ إلا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا ». وفي روايةٍ: « ورَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ». [رواه البخاري ومسلم]

فالتنافسُ في مجال الخير محمودٌ ، والمسارعةُ إلى الخيرات مأمورٌ بها والمسلمُ الصادقُ في إيمانه يتألَّمُ حينَ يرى غيرَه قد عمل صالحاً لم يستطع هو أن يعملَه أو كفَّ عن منكرٍ لم يستطع هو أن يكُفَّ عنه.

قال رسولُ الله ﷺ : « مَثَلُ هَذِهِ الأُمَّةِ مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً وَعِلْماً فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ فِي مَالِهِ فَيُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْماً وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالاً فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ مَا لِهَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : فَهُمَا فِي الأَجْرِ سَوَاءٌ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْماً فَهُوَ يَخْبِطُ فِيهِ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْماً فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ مِثْلُ هَذَا عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ ». [رواه أحمدُ وابنُ ماجه]

كما أنَّ على المسلم إذا حسده أحدٌ أن يتوكَّلَ على الله ، وأن يستعيذَ به فإنَّ الله هو حسبُه ، وعلى المسلم أن يُحافظ على الأذكار والأوراد الشرعية كالمعوِّذَاتِ ونحوِها ، فقد أمرَ اللهُ نبيَّهُ محمداً ﷺ بالتعوُّذِ من شَرِّ حاسدٍ إذا حسدَ.

ومن الرُّقى الشرعيةِ في ذلك ، قولُه ﷺ : « مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ ».[رواه مسلم]. وعند البخاري: « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ ».

ومنها قولُه ﷺ : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ

اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلا طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ)). [رواه الإمامُ أحمدُ بإسنادٍ صحيحٍ]

كما أنَّ عليه أن يصبرَ على كيدِ الحسودِ وحسَدِهِ حتى يُهلكَه غيظُه، وليكُنْ لسانُ حاله كما قال الأولُ:

إن يحسدوني فإنِّي غيرُ لائمِهم ... قبلي من الناسِ أهلُ الفضلِ قد حُسِدوا

ثم أعلموا رحمكم الله: أنَّه لا بدَّ من تَحَلِّي المسلمين بسلامة الصدور ، والبعد عن العداوةِ والغِلِّ والحسد ؛ لإصلاحِ ذات البين ، فإنَّ هذه الخصالُ من لوازم التقوى ولهذا قرن الله تبارك وتعالى بينها في قوله : ﴿ **فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [الأنفال:١].

قال ابنُ عباسٍ –رضي الله عنهما–: (هذا تحريجٌ من الله ورسوله أن يتّقوا الله ويُصلحوا ذاتَ بينهم).

ولَما سُئلَ ﷺ أيُّ الناسِ أفْضَلُ ؟ قال: ((كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ)). قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ ؟! قَالَ: ((هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لاَ إِثْمَ فِيهِ، وَلاَ بَغْيَ، وَلاَ غِلَّ، وَلاَ حَسَدَ)). [رواه ابنُ ماجة وإسنادُه صحيحٌ]

وروى الإمامُ أحمد من حديث أنسٍ –رضي الله عنه– قال: كُنَّا جُلُوساً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ: ((يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)). فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ

الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الأُولَى، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضاً، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: إِنِّي لاَحَيْتُ أَبِي - يَعْنِي: خَاصَمْتُهُ- فَأَقْسَمْتُ أَنْ لاَ أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلاَثاً، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ. قَالَ: نَعَمْ ! قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِيَ الثَّلاَثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئاً، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلاَةِ الْفَجْرِ، قَالَ عَبْدُ اللهِ غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلا خَيْرَاً. فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلاَثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْتَقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ ! إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلاَ هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلاَثَ مِرَارٍ: « يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ». فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلاَثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟! فَقَالَ: مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ ! قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لاَ أَجِدُ فِي نَفْسِي لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشَّاً وَلاَ أَحْسُدُ أَحَداً عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لاَ نُطِيقُ ».رضي الله عنهم وأرضاهم.

فاتَّقوا اللهَ رحمكم الله ، وطهِّرُوا أنفسَكم من الغشِّ والحسَدِ للمسلمين تفوزوا وتفلحوا ... ثم صلُّوا وسلِّموا رحمكم الله على البشير النذير والسراجِ المنيرِ محمدِ بنِ عبدِ الله عليه الصلاةُ والسلامُ....

التواضعُ والتكبُّر في ميزان الإسلام

● **الخطبة الأولى:**

الحمدُ لله وليِّ المتقين ، ولا عدوانَ إلاَّ على الظالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَهُ لا شريكَ له الملكُ الحقُّ المبين ، رفعَ شأنَ المتواضعين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الأمين ، إمامُ المتقين ، وقائدُ الدعاة والمصلحين ، وقدوةُ العاملين المُخلَصين ، وشفيعُ يوم الدين ، وسيِّدُ ولدِ آدمَ أجمعين ، صلَّى الله وسلَّم وباركَ عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغرِّ الميامين ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله عباد الله ، راقبوه ولا تعصوه ، واعلموا أنَّكم لديه محضرون وعلى أعمالكم محاسبون ، وعلى تفريطِكم نادمون. فاتَّقوا الله رحمكم الله.

أيُّها المسلمون:

مـن الأمـراض الاجتماعيـة الخطـيرة الـتي راجـت بضاعتُهـا ، وقـامت سوقُها، وسرت في المجتمعات كسَرَيَانِ النار في الهشيم داءٌ عُضالٌ ، ومرضٌ وبيـلٌ ، وشـرٌّ مستطيرٌ ، مـا فشـى في مجتمـعٍ إلاَّ صـدَّعَ بنيانَـه ، وقــوَّضَ أركانَه، وقادَه إلى الدمارِ والبوارِ ، وما وقع فيه شخصٌ إلاَّ زعزعَ حياتَـه ، وأوردَه موارد السوء والهلاك ، وخفَضَه في أسفل السافلين ، وإن بـدا في نفسه أنَّه رفيعُ الجانبِ ، مهابٌ من الناسِ.

ذلكم يا معاشرُ المسلمين هـو داءُ التكـبُّر والعظَمـةِ ، ومـرضُ التعـالي والعُجْب.

عباد الله:

التكبُّرُ سببٌ للعناءِ والشـقاءِ ، موجـبٌ للحرمـان مـن رحمـة الله تعـالى ورضوانه على ما فيه مـن التعالي علـى الخلـقِ والحـقِّ مِمَّـا يُسَبِّبُ خـرابَ المجتمع إذا فشَى فيه ، وأصحـابُ التكـبُّر مـن أهـمِّ وسـائلِ الهـدمِ في كيـان المجتمعات ، ولا يزالون يتكبَّرُون ويبحثونَ عن الأسبابِ الجالبـةِ لهـذا الـداء المفسد حتَّى يخفِظَهم الله تعالى فلا يُبالي بهم في أيِّ أوديَتِه هَلَكُوا.

وهل كفرَ إبليسُ بربِّه وأُخرِجَ من الجنةِ ، وطُردَ عن الرحمـةِ ، وحقَّـت عليه اللَّعْنَةُ إلاَّ بتكبُّره وعنادِه ، وإعجابه بنفسِه ؟! وهـل كفـرَ مـن كفـرَ ، وطغى من طغى إلاَّ بتكبُّرِهـم على اللهِ تعالى ، وإعجابِهم بما هـم عليـه مـن نعمةٍ وصحَّةٍ ؟

عن سَلَمَةِ بنِ الأَكْوَعِ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: « لاَ يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْجَبَّارِينَ فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ».[رواه الترمذيُّ وحسَّنه]

قال شيخُ الإسلام ابن تيميَّةَ -رحمه الله-: (التكبُّرُ شرٌّ من الشرك؛ فإنَّ المتكبِّرَ يتكبَّرُ عن عبادةِ اللهِ تعالى ، والمشركَ يعبدُ اللهَ وغيرَه ، ولذلك جعل اللهُ النارَ دارَ المتكبِّرين ، فقال عزَّ من قائلٍ: ﴿ **ادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ [الزمر:٧٢]. وأخبر أنَّ أهلَ الكبرِ والتجبُّرِ هم الذين طبعَ اللهُ على قلوبهم فاتَّبَعُوا أهواءَهُم كذلك يطبعُ اللهُ على كلِّ قلبِ متكبِّرٍ جبَّارٍ ، ﴿ **وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً**﴾ [الإسراء:٣٧].

والمعنى عباد الله: لا تَمْشِ في الأرض مُتَبَخْتِرَاً كمشْيَةِ الجبَّارين ؛ فإنَّك لن تَخْرِقَ الأرضَ بمشيك عليها وشدَّةِ وطْئِكَ ، ومهما شَمَخْتَ بأنفكَ عالياً فلن تبلغَ الجبالَ ارتفاعاً.

أيُّها المسلمون:

التكبُّرُ خصلةٌ ذميمةٌ تُفسدُ المجتمع الإنسانيَّ ، وتُورثُ الحرمانَ الإلهيَّ ، وتجلبُ الشقاء النفسيَّ. وأسبابه في الجملة ترجعُ إلى شعورِ المتكبِّرِ المغرورِ بالاستعلاءِ الذاتيِّ على أقرانِه ، والرغبةِ في الامتيازِ على الآخرين والانتفاخِ والتعالي عليهم ، والاستغناء عنهم ، إضافةً إلى الشعورِ بالنقصِ الداخليِّ مِمَّا يدعوه إلى تكميلِه -على حسب نظره القاصر- بالتكبُّرِ

الخارجيِّ ؛ ولذلك كلِّه فإنَّ المتكبِّرينَ من أجبن الناس إطلاقاً ، ومن أكثرِهم جهلاً ، وأبعدِهم عن صفات الشجاعةِ والمروءةِ والرجولة:

وَرحِمَ الله من قال:

كِبْراً علينا وجُبْناً عن عدوِّكم لبئست الخَلَّتَانِ الكِبْرُ والجُبْنُ

ومن أهمِّ أسبابِ التكبُّرِ وأخطرِها:

تزكيةُ النفسِ وحبُّ الظهور ، وحكايةُ الأحوال للغير على وجه المفاخرةِ والتكاثُرِ والتفاخرِ بالنسبِ والأصلِ والقبيلةِ أو الوظيفةِ والمرتبة.

قال رسولُ الله ﷺ : « قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ ». [رواه أحمدُ وأبو داود ومسلمٌ]

﴿ **وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [لقمان:١٨] ، أي: لا تُميلُ خدَّكَ وتُعرِضُ به عن الناس تكبُّراً عليهم ، ولا تمشِ في الأرضِ متبختراً مُعجَبًا بنفسك ؛ فإنَّ هذا مِمَّا يُبغضُه الله.

عباد الله:

وأقبحُ حالات التكبُّرِ: أن يتكبَّرَ الفتى من غير سببٍ يدعوه للتكبُّر، فهذا من أشرِّ الناس منزلةً عند الله يوم القيامة ، قال المصطفى ﷺ : «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ - فَقِيرٌ- مُسْتَكْبِرٌ ». [رواه مسلم]

ألاَ ما أقلَّ حظَّ المتكبِّرين ، وما أعظمَ خسرانَهم المبين ، فقد خسروا بتكبُّرِهم الإيمانَ والأعمالَ الصالحةَ ، وخسروا ما أعدَّه ا للهُ للمتواضعينَ من الثواب والنعيم ، وخسروا محبَّةَ الناس أجمعين ، فالناسُ جُبلوا على محبَّةِ المتواضعينَ ، ومَقْتِ المتكبِّرين ، ومن أظهرَ من الناسِ تعظيمَهم ومحبَّتَهم فذلك نفاقٌ وخِداعٌ لمصالحَ معيَّنةٍ يذهبُ بانقضائِها.

عباد ا للهِ:

علاَمَ يتكبَّرُ الناسُ والجميعُ من ترابٍ ؟! وعلاَمَ يتجبَّرُ المتجبِّرون والموتُ مصرعُهم ؟! وبماذا يتعالى بعضُ الناس على بعضٍ والقبورُ بعد هذه الدارِ منازلُهم ؟!

كيف يتكبَّرُ الإنسانُ وهو مخلوقٌ ضعيفٌ فقيرٌ ناقصٌ من كلِّ وجهٍ، فأولُه نُطفةٌ مَذِرَةٌ ، وآخرُه جيفةٌ قَذِرَةٌ ، وبين جنبيه يحملُ العَذِرَة ؟!

إنَّ الواجبَ على المسلم أن يتواضعَ لعبادِ ا للهِ تعالى ، ويُلينَ لهم جانبَه ، ويُحبَّ لهم الخيرَ والنُصحَ في كلِّ حالةٍ من أحوالِهم ، يحترمُ كبيرَهم ، ويحنوَ على صغيرهم ، ويوقِّرَ عالِمَهم ، ويحفظَ لذي مكانتهم مكانتَه ومنزلتَه. فقد تكاثرت نصوصُ الكتاب والسنَّةِ في الأمر بالتواضعِ للحقِّ والخلق ، والثناءِ على المتواضعين ، وذكرِ ثوابِهم في العاجلِ والآجل.

فالعبوديَّةُ للهِ وحده وطاعتُه في أمره ونهيه كلُّ ذلك خضوعٌ وانقيادٌ للصوابِ والحقِّ ، فإنَّ أعظمَ الحقوقِ على العباد حقُّ ا للهِ تعالى عليهم أن يعبدوه وحده لا يشركون به شيئاً ، فمن خضعَ لهذا الحقِّ في أصولِ الدين وفروعِه فهو المتواضعُ الخاضعُ للهِ ، ومن أعرضَ عنه وعارضَه فهو المتكبِّرُ ،

﴿ وَمَن يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً﴾ [النساء:١٧٢].

﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر:٨٨].

عن عِيَاضِ بن حِمَارٍ -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: « إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ ». [رواه مسلمٌ وابنُ ماجه]

وعن أبي هريرةَ -رضي اللهُ عنه- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدَاً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزَّاً، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ ». [رواه مسلم]

تواضعْ تكنْ كالنَّجْمِ لاَحَ لِنَاظِرٍ ... على صَفَحَاتِ الماءِ وهو رَفِيْعُ

ولا تَكُ كالدُّخَانِ يَعْلُو بنفسِهِ ... إلى طَبَقَاتِ الجَوِّ وهو وَضِيْعُ

أيُّها المسلمون:

إنَّ التواضعَ خُلُقُ الأنبياءِ والمرسلين عليهم الصلاةُ و السلامُ ، ووصفُ المؤمنين المتقين ، يزيدُ الشريفَ شرفاً ، ويرفعُ للوضيعِ ذكراً وقدراً حتَّى يُبلغَه مقاماتِ الأولياءِ والأصفياءِ. ما وُصِلَ إلى المنازِلِ العاليَةِ إلاَّ بتقوى الله تعالى والتواضع ، ولا أُدركتُ الأخلاقُ الجميلةُ إلاَّ بالانقيادِ للحقِّ وتعظيمِ حقوقِ الخَلْقِ ، فكم حصلَ للمتواضعِ من مودَّةٍ وصفاءٍ ، وكم تَمَّ له من محبَّةٍ وثَنَاءٍ ، وما تواضعَ أحدٌ لله إلاَّ رَفَعَهُ الله.

وأفضلُ الناس -عباد الله- من تواضعَ عن رِفْعةٍ ، وزَهِدَ عن قدرةٍ، وأنصفَ عن قوَّةٍ. قال الفضيلُ بنُ عِيَاضٍ -رحمه الله-: (التواضعُ: أن

يُخْضِعَ الرجلُ نَفْسَهُ للحقِّ وينقادَ له ، ويقبلَه مِمَّن قالَهُ ، ولا يَرَى لنفْسِهِ قِيْمَةً ، فَمَنْ رَأى لنفسِهِ قِيْمَةً فَلَيْسَ لَهُ في التواضُعِ نَصِيْبٌ).

تواضعْ إذا ما نِلتَ في الناسِ رِفْعَةً   فإنَّ رفيعَ القومِ من يتواضَعُ

يروي أهلُ السيرِ أنَّه كان عندَ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ -رضي ا لله عنه- قومٌ ذاتَ ليلةٍ في بعض ما يحتاجُ إليه ، فَغَشِيَ سِرَاجُه ، فقامَ إليه فأصلحَه. فقالوا: يا أميرَ المؤمنين ألاَ نَكْفِيْكَ ؟ قال: وما ضَرَّنِي ، قُمْتُ وأنا عمرُ بنُ عبدِ العزيز ، ورَجَعْتُ وأنا عمرُ بنُ عبد العزيز.

ا للهُ أكبرُ يا عباد ا لله هكذا فَهِمَ المتقونَ التواضعَ فطبَّقُوه واقِعاً مَلْمُوساً في حياتِهم ، فعاشوا أصفياءَ ، وماتوا سُعداءَ. لم يعرفوا للتكبُّرِ رواجاً عندَهم ، وقد كانوا يملِكُون أسبابَه ووسائله ودواعيه.

وهذا لا يُنافي أن يكونَ للمؤمن هَيْبَةٌ يحفظُ بها قَدْرَهُ ، ويصونُ بها عِرْضَهُ ؛ فإنَّ من قَلَّتْ هَيْبَتُه قلَّ حياؤه ، ومن قلَّ حياؤُهُ قلَّ إيمانُه ، ومن أكثرَ من الضَحِكِ والمِزَاحَ مع الناس أُستُخِّفَ به ، وأجترأَ الناسُ عليه ، والسعيدُ من جمعَ بين التواضعِ والهَيْبَةِ فلم يتكبَّرْ على عبادِ ا لله ولم يُفْقِدْ نفسَه هيبتَها.

فقد كانَ الرَّسولُ ﷺ على عَظيمِ ما عُرِفَ من دَمَاثَةِ خُلُقِه وعظيمِ تواضُعِه حَيِّياً مَهِيْباً حتَّى قال عنه عمرو بنُ العاصِ -رضي ا للهُ عنه-: (وا للهِ ما ملأتُ عينيَّ من رسولِ ا للهِ ﷺ مَهَابَةً وحياءً منهُ وإجلالاً، ولو سألتموني أن أصِفَهُ لكم لما استَطَعْتُ !).

وهكذا كان صحابتُه من بعِده -رضي الله عنهم- وأتباعُهم الذين فَهِموا معنى الأخلاقِ والتواضُعِ، فطَبَّقوها واقِعاً ملموساً في حياتِهم، فعاشوا سُعداءَ أصفياءَ، لم يعرِفوا للتَّكبُّرِ رواجاً عندَهم، وقد كانوا يملكونَ أسبابَه ودواعيَه.

فهذا على سبيلِ المثالِ -لا الحَصْرِ- عمرُ بن الخطاب -رضي الله عنه- الذي بلغَ من تواضعه وكريمِ خُلُقِه انَّه كان يتناوبُ مع خادمهِ الركوبَ على دابَّةٍ واحدةٍ حين ذهبَ إلى فلسطين فاتحاً، وهو أميرُ المؤمنين، ولمَّا جاء دورُه ليمشي صادفَ ذلك ساعةَ الوصولِ إلى بيتِ المقدسِ، وكان في استقبالهِ القَسَاوِسَةُ والرُّهْبَانُ فأبى الخادمُ أن يركبَ لكنَّ عمرَ أصرَّ على عدالة القسمةِ بينه وبين خادمِهِ، ودخلَ عمرُ فلسطينَ وهو يقودُ زمامَ الناقةِ وعليها خادمُه، فما زادَه ذلك في أَعْيُنِ القومِ إلاَّ إجلالاً وإكباراً حتى سُمِعَ نَشِيْجُهم وبكاؤُهم لعدلِ الإسلامِ ورَحْمَتِهِ وتواضُعِ أبنائه.

ومع ذلك فقد كان -رضي الله عنه- ذا هَيْبَةٍ ووَقَارٍ، حتَّى قالَ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ -رضي الله عنهما-: مَكَثْتُ سنةً كاملةً وأنا أُريدُ أن أسألَ عمرَ بنَ الخطَّابِ -رضي الله عنه- عن آيةٍ من كتابِ اللهِ فلا أستطيعُ أن أسألَه هَيْبَةً له.

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً ﴾ [الفرقان:٦٣]. **﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [القصص:٨٣].

أقولُ ما تسمعون ، وأستغفرُ الله فاستغفروه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

*** * ***

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله حمدَ من شكرَ ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ إرْغاماً لمن جَحَدَ به وكَفَرَ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه سيِّدُ البشرِ والشافِعُ المُشَفَّعُ في المحْشَرِ صلى اللهُ وسلم عليه وعلى آلهِ وصحبهِ السادَةِ الغُرَرِ ، والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعَاقَبَ الليلُ والنهارُ الشمسُ والقمرُ.

أمَّا بعد:

فاتقوا الله عباد الله ، وليكن لكم في رسولِ اللهِ ﷺ أُسوةٌ حسنةٌ، فقد كان شديدَ التواضعِ مع علوِّ قدره ورفعةِ منزلته ﷺ ، تقولُ عائشةُ -رضي الله عنها-: « كان رسولُ الله ﷺ يَخْصِفُ نعلَهُ، ويُرَقِّعُ ثوبَهُ، ويَحْلِبُ الشاةَ لأهلِهِ، ويَعْلِفُ البعيرَ، ويأكلُ مع الخادِمِ، ويُجالِسُ المساكينَ، ويمشي

مع الأَرْمَلَةِ واليتيمِ في حاجَتَيْهما ». [رواه أحمدُ، والبخاريُّ في الأدب المفرد وهو صحيحٌ]

روى البخاريُّ عن أنسِ بنِ مالكٍ -رضي الله عنه- قال: « إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ ».

وكان ﷺ يبدأُ من لَقِيَهُ بالسلامِ، ويُجيبُ دعوةَ من دعاهُ ولو إلى شيءٍ يسيرٍ، هَيِّنَ المؤونَةِ، لَيِّنَ العَرِيْكَةِ، كريمَ الطبعِ، جميلَ المُعاشَرَةِ، طَلِقَ الوَجْهِ، بَسَّاماً، مُتواضِعاً من غيرِ ذِلَّةٍ، جواداً من غيرِ سَرَفٍ، رقيقَ القلبِ، رحيماً بكلِّ مسلمٍ، خافِظاً جناحَهُ للمؤمنينَ، لَيِّنَ الجانِبِ لهم، يعودُ مريضَهم، ويَشهَدُ جنازَتَهم، ويَركَبُ الحِمارَ، وكانَ يومَ بني قُرَيْظَةَ على حِمارٍ مَخْطومٍ بحبلٍ من ليفٍ، عليه إِكَافٌ من ليفٍ. [رواه ابنُ هشامٍ]

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ: « لَهُ هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ ». [رواه ابنُ ماجه، وابنُ هشامٍ في السيرةِ]

حتى وصَفَه الله تعالى بقولِه: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [آل عمران:١٥٩].

﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم:٤].

وهكذا كان صحابتُه من بعده رضي الله عنهم وأرضاهم ، أذلَّةً على المؤمنين أعزَّةً على الكافرين ، رُحَماءَ بينهم.

فما بالُ أقوامٍ لا يساوونَ عندَ اللهِ مَوْطِئَ قَدَمِه ﷺ ، ولا مَوْطِئَ قَدَمِ أحدٍ من أصحابه يتكبَّرُون على عبادِ الله ، ويتكَلَّفُون الشطَطَ في المعاملةِ مع الناس ، ويرون الناسَ في أعيُنِهم كأنَّهم القَذَى.

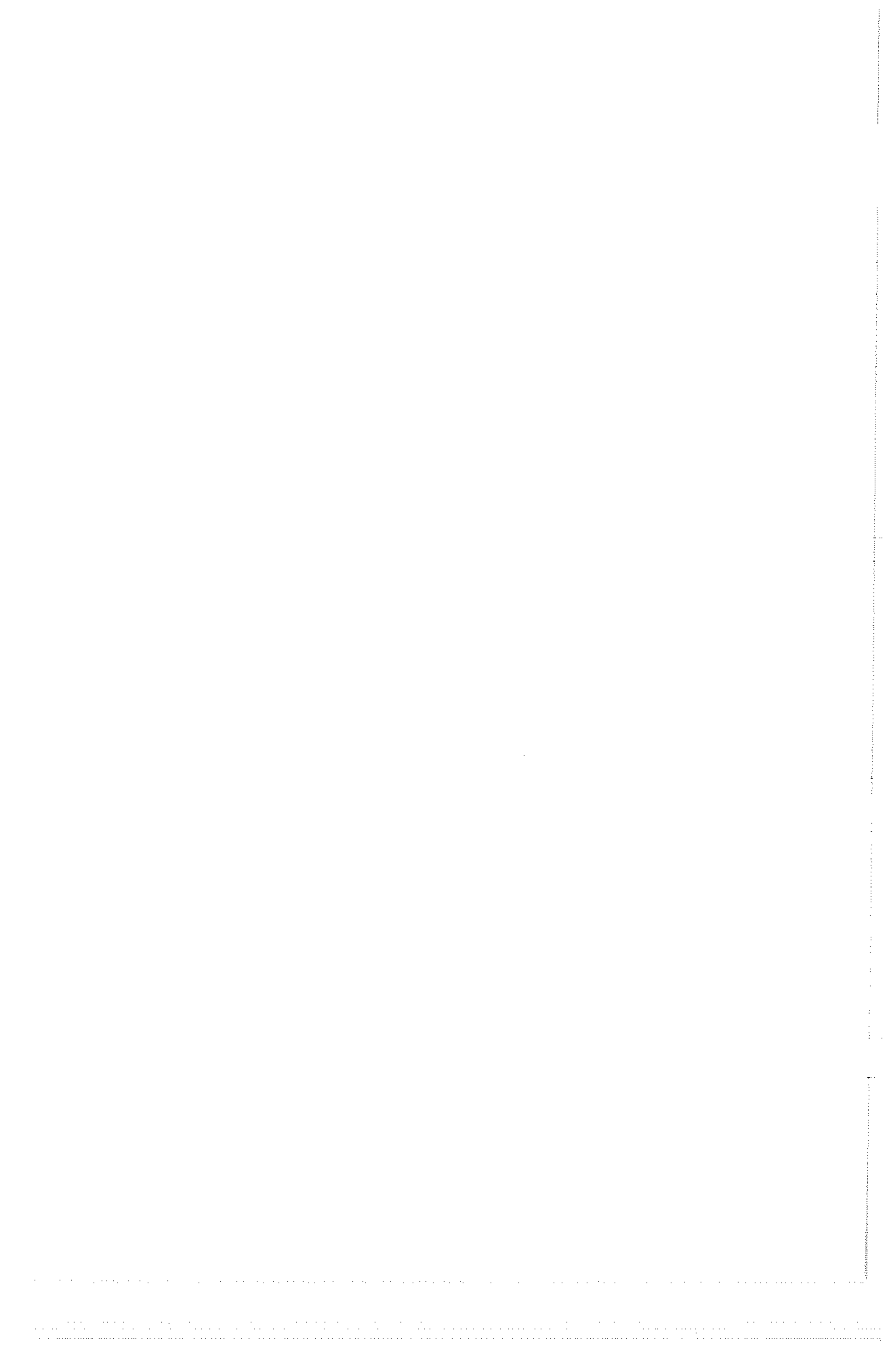
أيُّها المسلمون:

إنَّ التكبُّرَ من الخصال الذميمةِ ، والخِلاَلِ الممقوتةِ ، متوَعدٌ عليه بالعذابِ الشديدِ من العزيز الحميدِ ، فإنَّ المتكبِّرين يُحشرون يوم القيامةِ كالنملِ -أضعف الحشرات- يطأُهم الناسُ بأقدامِهم كما صحَّ بذلك الخبرُ عن المعصوم ﷺ .[كما روى ذلك أحمدُ والترمذيُّ].

وعن ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ : «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. فَقَالَ ﷺ : «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ». [رواه مسلم]

والمعنى عباد الله: أنَّ التكبُّرَ إنَّما هو ردُّ الحقِّ على قائله ، واحتقارُ الناسِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله ، واحذروا من الكبر ، وتواضعوا لله تعالى ثم لعبادِهِ تفوزوا وتفلحوا. وصلُّوا وسلِّموا رحمكم الله على البشير النذير والسراج المنير محمدِ بنِ عبدِ الله عليه أفضلُ الصلاةِ وأزكى التسليمِ..



ضوابطُ القرض في الشريعة

● **الخطبة الأولى:**

اللَّهُمَّ إنَّا نحمدُك ونستعينُك ونستغفرُك ونتوبُ إليك ، ونثني عليك الخيرَ كلَّه ، نحمدُكَ اللَّهُمَّ كما ينبغي لجلالِ وجهكَ وعظيمِ سُلْطَانِكَ ، لكَ الحمدُ كُلُّهُ ، وإليكَ يُرْجَعُ الأمرُ كُلُّهُ ، لكَ الحمدُ حتَّى ترضى ، ولكَ الحمدُ إذا رَضِيْتَ ، ولكَ الحمدُ بعدَ الرِّضَى ، لكَ الحمدُ كالذي نَقُولُ وخيراً مِمَّا نَقُولُ ، ولكَ الحمدُ كالذي تَقُولُ ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَهُ لا شريكَ له وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، أرسلَه رحمةً للعالمين ، وحُجَّةً على الهالِكِين ، فصلَّى الله عليه وعلى آلِهِ الطيبين الطاهرين ، وصحبه الغُرِّ الميامين ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله ربَّكم فبتقواه سبحانه وتعالى تزكوا النفوسُ، وتصلحُ الأحوالُ، ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ [البقرة:١٩٧]، ﴿ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [البقرة:٢٠٣].

أيُّها المسلمون:

من محاسن شريعتنا الغرَّاءِ سعيُها لتحقيق مصالح العباد في أمور المعاش والمعاد، وحرصُها على إقامةِ المجتمع الإسلاميِّ الفريد المتماسكِ المتعاضد، في بُعدٍ عن الأنانيَّةِ وحبِّ الذَّاتِ، وعدمِ الشعور والإهتمام بأحوال المسلمين وظروفهم.

ولذلك كلِّه حرصَ الإسلامُ على إشاعةِ المحبَّةِ بين أفرادِ المجتمع، وتقويةِ الروابط والصِّلاَتِ والعلائِقِ والموَدَّاتِ، ولا يكون ذلك إلاَّ بالتعاون والتساعُدِ والتعَاضُدِ بين أفرادِ المجتمعِ.

ومن جانبٍ آخر فقد نظَّمَ الإسلامُ جوانبَ المعاملاتِ في المجتمع بصورةٍ فريدةٍ لا مثيلَ لها في غيره من الأنظمةِ البشريَّةِ، وما ذاك إلاَّ لأنَّ الإسلامَ شريعةٌ إلَهِيَّةٌ من الإلهِ الحقِّ المبين سبحانه، العليمِ بمصالِحِ عباده وما يدفع عنهم المفاسدَ ويقِيَهُم المضارَ.

عباد الله:

ومن أبرز هذه الأمور التي شرعها الإسلامُ، ونظَّمَها ورغَّب فيها: القرضُ والسلفُ.

فالقرضُ في الإسلام من محاسن الشريعة ، ومن نِعَمِ الله تعالى على البشريَّةِ ؛ لأن الإنسانَ في هذه الحياة مُعَرَّضٌ للابتلاءِ والامتحانِ ، ومُعَرَّضٌ لِمَحِنِ الدُّنيا ونائباتِ الدَّهر ، فقد تظْهَرُ له حاجةٌ ، أو تُلِمُّ به فَاقَةٌ لا يجدُ ما يسُدُّها ولا ما يقضيَها به ، مِمَّا قد يوقِعَهُ في الحرجِ والكَرْبِ والضِّيْقِ.

وبهذا -عباد الله- تبرزُ مكانةُ القرض في الشريعة ، فحين يحتاجُ المسلمُ لمبلغٍ من المال ؛ لحاجةٍ نازلةٍ أو فاقةٍ أو جائحةٍ فإنَّ الشريعة تُتيحُ له الاقتراضَ من أخيه المسلم لسدِّ حاجته ، وإغناءِ فَاقَتِهِ ، وتفْرِيْجِ كُرْبَتِهِ.

وقد كان رسولُ الله ﷺ يستقرضُ من الصحابة -رضي الله عنهم- عند حاجتِه ، قال عبدُ الله بن أبي ربيعة المخزوميّ -رضي الله عنه-: اسْتَقْرَضَ مِنِّي النَّبيُّ ﷺ أَرْبَعِينَ أَلْفاً، فَجَاءَهُ مَالٌ فَدَفَعَهُ إِلَيَّ وَقَالَ: « بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْحَمْدُ وَالأَدَاءُ ». [أخرجه النسائيُّ وابنُ ماجه]

كما ندبَ الإسلامُ إلى مساعدة المسلم عند حاجته ، وأمرَ بإقراضِهِ وتفريجِ كُرْبَتِه ؛ حِرْصاً من الإسلامِ على ألاَّ يَقَعَ المسلمُ بدافع الحاجةِ في ارتكاب أمورٍ لا تُحمدُ عقباها ؛ كالسرقة والاختلاس ، ونحو ذلك من الأمور المحرَّمةِ.

روى البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحِيهما عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ

ا للهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ ا للهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَا للهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)).

وروى ابنُ ماجةَ من حديثِ ابن مسعودٍ -رضي ا لله عنه- أنَّ رسولَ ا للهِ ﷺ قال: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِماً قَرْضَاً مَرَّتَيْنِ إلاَّ كَانَ كَصَدَقَتِهَا مَرَّةً)).

معاشرُ المسلمين:

ولقد تواترت نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ وإجماعُ الأمَّةِ سَلَفاً وخَلَفاً على فضلِ القرض وثوابه ، بل إنَّ القرضَ في الشريعةِ الإسلاميَّةِ من أبرز مبادِئِها، وأظهرِ معالِمِها الدَّالَةِ على سَعْيِها للتيسيرِ والتسهيلِ على المسلمين.

يقولُ ا للهُ سبحانه وتعالى: ﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ ا للهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَا للهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [البقرة:٢٤٥].

وقد ذكر ا للهُ هذه الآيةِ في كتابه مِرَاراً مُبَيِّناً فضلَ القرضِ وثوابَه ، وأنَّه سبحانه مُتَكَفِّلٌ بالأجرِ العظيم ، والثوابِ الكبير لمن أقرضَ مسلماً، ونفَسَّ عنه كُربَتَه.

وعن أنسِ بن مَالِكٍ -رضي ا لله عنه- قالَ: قال رسولُ ا للهِ ﷺ : ((رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ مَكْتُوباً: الصَّدَقَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَالْقَرْضُ بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ، فَقُلْتُ يَا جِبْرِيلُ: مَا بَالُ الْقَرْضِ أَفْضَلُ مِنَ

الصَّدَقَةِ؟! قَالَ: لأَنَّ السَّائِلَ يَسْأَلُ وَعِنْدَهُ وَالْمُسْتَقْرِضُ لاَ يَسْتَقْرِضُ إِلاَّ مِنْ حَاجَةٍ)). [رواه ابنُ ماجة]

وقال أبو الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه-: (لأَنْ أُقْرِضَ مسلماً دِيْنَارَيْنِ ثم يُرَدَّان ثُمَّ أُقْرِضَهُما أحبُّ إليَّ من أن أَتَصَدَّقَ بِهِمَا).

وما ذاك -عباد الله- إلاَّ لِمَا في القرضِ من تفريجِ كُرَبِ المسلمين، وقضاءِ حوائجِهم، والعونِ لَهم على البُعدِ عن الحرام.

أيُّها المسلمون:

وكما أمرَ الإسلامُ بالقرض وندبَ إليه أمرَ بالوفاء به وحرص عليه؛ وفاءً لحقوقِ الناس، وشكراً لجميلهم، وعرفاناً بفضلِهم.

وقد بيَّنَ رسولُ الله ﷺ وجوبَ أداءِ الدَّيْنِ، والنِّيَّةِ الحسنةِ في قضائه، وبيَّنَ أنَّ مدارَ الأعمالِ على ذلك، وأنَّ من استدانَ الناس ناوياً الإيفاءَ لحقِّهم أعانَهُ الله على قضاءِ دينِه، فقد روى البخاريُّ وغيرُه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: ((مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخذَ يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ)).

وعندَ ابنِ ماجةَ والدارميِّ والحاكِمِ بإسنادٍ حَسَنٍ أنَّه ﷺ قال: ((إِنَّ اللهَ مَعَ الدَّائِنِ حَتَّى يُقْضَى دَيْنُهُ مَا لَمْ يَكُنْ فِيمَا يَكْرَهُ اللهُ)).

عباد الله:

ولكنَّه ومع شديد الأَسَفِ لَمَّا ضَعُفَ الإيمانُ عند كثيرٍ من الناس، وضيَّعُوا الأمانةَ لم يعودوا يهتمُّون بوفاءِ ديونِ الناسِ، وإعطائِهم حقوقِهم،

بل يُمَاطِلُونَ صاحبَ الحقِّ حقَّه ، ولذلك أحجمَ كثيرٌ من الناس عن القرض والتسليف خوفاً على أموالِهم من الضياع ؛ لِضَعْفِ ذِمَمِ الناس ؛ حيثُ يأتي الإنسانُ إلى أخيه المسلم فيشكو إليه الحاجةَ والفقرَ حتَّى يُقرضَه على أن يردَّ إليه حقَّه بعد شهرٍ أو بعد سنةٍ أو نحو ذلك.

فإذا استقرضَ منه مضى الشهرُ والشهران والسنةُ والسنون ، وهو يُمَاطِلُهُ في الوفاءِ بحقِّهِ ، حتَّى لرُبَّمَا شابَ الإنسانُ ودخلَ في المتاهَاتِ التي ليس لها نهايةٌ وهو يُطالِبُ بحقِّهِ فلا يجدُ وفاءً. فإذا بالجميلِ يَنْقَلِبُ على صاحبِهِ هَمَّاً ونَدَمَاً. والكثيرُ منهم قد يجحدون الحقَّ.

وهذا من الأمور المحرَّمَةِ التي نهى الإسلامُ عنها ، فإنَّما يكون جزاءُ الإحسانِ بالإحسانِ ، قال رسولُ الله ﷺ : ((لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ)). [رواه أبو داود والنسائيُّ وصحَّحَه وابنُ حبَّانَ]

والمرادُ بذلك: أنَّ مَطْلَ الغنيِّ لحقوقِ الناسِ يُحلُّ التظلُّمَ عليه بقوله مطلَني حقّي ، ويُحلُّ حبسَه عقوبةً له على ذلك حتى يفي بالدَّيْنِ لصاحبه.

ومثلُه ما ثبتَ في الصَّحِيْحَيْنِ من قولِهِ ﷺ : ((مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ)).

عباد الله:

إنَّ الواجبَ على المسلم إذا اقترضَ من أخيه مبلغاً من المال ، أو استلفَ منه شيئاً أن يَرُدَّهُ إليه شاكراً لفضلِه ، معترفاً بجميلِهِ ، سائلاً له الأجرَ من الله تعالى.

فقد ورد الترهيبُ والوعيدُ على عدم وفاءِ الحقوقِ والديون لأصحابها، عن جابرٍ –رضي الله عنه– قال: تُوُفِّيَ رَجُلٌ، فَغَسَّلْنَاهُ وَحَنَّطْنَاهُ وَكَفَّنَّاهُ ثُمَّ

أَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي عَلَيْهِ، فَقُلْنَا تُصَلِّي عَلَيْهِ، فَخَطَا خُطَىً، ثُمَّ قَالَ: «أَعَلَيْهِ دَيْنٌ ؟!». قُلْنَا: دِينَارَان ! فَانْصَرَفَ، فَتَحَمَّلَهُمَا أَبُو قَتَادَةَ، فَأَتَيْنَاهُ، فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ: الدِّينَارَان عَلَيَّ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أُحِقَّ الْغَرِيمُ وَبَرِئَ مِنْهُمَا الْمَيِّتُ ؟». قَالَ: نَعَمْ ! فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ بيَوْمٍ: «مَا فَعَلَ الدِّينَارَان ؟». فَقَالَ: إِنَّمَا مَاتَ أَمْسِ ! قَالَ: فَعَادَ إِلَيْهِ مِنَ الْغَدِ. فَقَالَ: لَقَدْ قَضَيْتُهُمَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «الآنَ بَرَدَتْ عَلَيْهِ جِلْدُهُ». [رواه أحمدُ وأبو داود والنسائيُّ وصحّحه وابنُ حبّان والحاكمُ]

في روايةِ الحاكِمِ: أنَّه ﷺ جعَلَ إذا لَقِيَ ابا قتادةَ يقولُ: «مَا صَنَعَتِ الدِّيْنَارَانِ ؟». حَتَّى كَانَ آخرُ ذلك أن قَالَ: قَضَيْتُهَا يَا رَسُوْلَ اللهِ ، قَالَ: «الآنَ بَرَدَتْ جِلْدَتُهُ».

وروى الشيخان عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمُتَوَفَّى عَلَيْهِ الدَّيْنُ فَيَسْأَلُ: «هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلاً؟!». فَإِنْ حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدَيْنِهِ وَفَاءً صَلَّى، وَإِلاَّ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ».

فاتّقوا الله رحمكم الله ، أدُّوا الحقوقَ لأصحابها ، وإيَّاكم ومُمَاطَلَةَ ذِي الحقِّ حقَّه ، وحاسبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسبوا ، وزِنُوا أعمالَكُم قبل أن تُوزنوا ، وتزيَّنُوا للعرضِ الأكبرِ على الله يؤمئذٍ تُعرضون لا تخفى منكم خافية ، واحذروا دعوةَ المظلوم فإنّه ليسَ بينها وبين الله حجاب ، واستغفروا الله وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَهُ لا شريكَ لَهُ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبِه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه ، واعلموا أنَّكم مُلاَقُوْه.

عباد الله:

لقد وضعت الشريعةُ الإسلاميةُ للقرض الحسن المشروع ضوابطَ شرعيَّةً تُحقِّقُ المقصودَ منه دون ضررٍ أو إضرار ، وتُخرِجُه من الرِّبَا والشُّبُهَاتِ المُحَرَّمَةِ ، ومن أهمِّ هذه الضوابط:

أن يُردَّ القرضُ كما هو دون زيادةٍ أو نُقصان. وأن لا يكونَ القرضُ وسيلةً وحيلةً توْصِلَهُ إلى المُحَابَاةِ في بيعٍ أو شراءٍ أو نحوه. وأن لا يشترط المقرضُ شرطاً فيه ضررٌ على المقترض ؛ كاشتراط الوفاء ببلدٍ مُعَيَّنٍ يكون في الوفاء فيه كُلفةٌ ومشقةٌ على المقترض.

وذلك لما أخرَجَهُ الإمامُ البغويُّ وغيرُه من حديثِ العَلاَءِ بنِ مُسْلِمٍ أنَّه ﷺ قَالَ: « كُلُّ قَرْضٍ جَرَّ مَنْفَعَةً فَهُوَ رِبَا ». وهذا الحديثُ ضَعَّفَهُ جمهورُ المحدِّثِيْنَ لكنَّ العملَ عندَ أهلِ العلمِ بِمَا دَلَّ عليه ، وله من الأحاديثِ والآثار ما يُعضِّدَه ويُقوِّيْه ، فقد روى البيهقيُّ بسندٍ صَحِيْحٍ عن أُبيٍّ بنِ

كعبٍ وابن مسعودٍ وابن عباسٍ –رضي ا لله عنهم أجمعين-: (أنَّهم نَهَوْا عن قَرْضٍ جَرَّ مَنْفَعَةً).

ومثلُه ما رواه البخاري والبيهقِيُّ والطبرانيُّ من حديثِ أبي بُردةَ عن أبيه –رضي ا للهُ تعالى عنه– قال: « أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيتُ عَبْدَا للهِ بْنَ سَلاَمٍ –رَضِي ا للهُ عَنْه– فَقَالَ: أَلاَ تَجِيءُ فَأُطْعِمَكَ سَوِيقَاً وَتَمْرَاً وَتَدْخُلَ فِي بَيْتٍ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّكَ بِأَرْضٍ الرِّبَا بِهَا فَاشٍ، إِذَا كَانَ لَكَ عَلَى رَجُلٍ حَقٌّ فَأَهْدَى إِلَيْكَ حِمْلَ تِبْنٍ أَوْ حِمْلَ شَعِيرٍ أَوْ حِمْلَ قَتٍّ فَلاَ تَأْخُذْهُ فَإِنَّهُ رِبَاً».

وعند البيهقيِّ وصحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ من حديثِ الأَثْرَمِ: « أَنَّ رَجُلاً كَانَ لَهُ عَلَى سَمَّاكٍ عِشْرُوْنَ دِرْهَمَاً ، فَجَعَلَ يُهْدِي إِلَيْهِ السمَكَ ، وَيُقَوِّمُهُ حَتى بَلَغَ ثَلاَثَةَ عَشَرَ دِرْهَمَاً ، فَسَأَلَ ابْنَ عَباسٍ فَقَالَ: أَعْطِهِ سَبْعَةَ دَرَاهِمَ ».

فلا يجوزُ أيُّها الإخوة الاقتراضُ بفائدةٍ كما هو الحالُ في البنوك الربويَّةِ وغيرِها ؛ فإنَّ ذلك رِبَاً مُحَرَّمٍ.

وأمَّا ما رواه الإمامُ مسلمٌ في صحيْحِهِ عن أبي رَافِعٍ –رضي ا لله عنه– قال: أَنَّ رَسُولَ ا للهِ ﷺ اسْتَسْلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرَاً، فَقَدِمَتْ عَلَيْهِ إِبِلٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَأَمَرَ أَبَا رَافِعٍ أَنْ يَقْضِيَ الرَّجُلَ بَكْرَهُ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ أَبُو رَافِعٍ فَقَالَ: لَمْ أَجِدْ فِيهَا إِلا خِيَارَاً رَبَاعِياً. فَقَالَ: « أَعْطِهِ إِيَّاهُ، إِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً ». فإنَّه محمولٌ على حُسْنِ القضاءِ منه ﷺ ، وردِّهِ لجميلِ المقرضِ ، واعترافه بفضله ، وإحسانه إليه دون أن يكونَ هناكَ شرطٌ من المقرضِ أن يردَّ إليه زيادةً على قرضه. فأمَّا إذا وجدَ الشرطُ بالزيادةِ عن

الاقتراض ؛ كأن يُقرضَه ألفاً ، ويشترطَ عليه أن يـردَّ ألفـين -مثـلاً- فهـذا هو الربَا الذي لا يَجُوْزُ.

فاتقوا الله تعالى أيُّها المسلمون ، وحرِصوا على إقراض المسلمين، وعلى وفاءِ حقوقِهم، واحذَروا من الربا في القرضِ فإنَّه من كبائرِ الذنوب.

ثم صلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم اللهُ تعالى بـالصَّلاةِ والسَّـلامِ عليـه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَـتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُـواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحـزاب:٥٦]. وقـال ﷺ : « مَـنْ صَلَّـى عَلـيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَاً ». [رواه مسلم]

❧ ❧ ❧

حالُ الدنيا ووداعُ العامِ الهجريِّ

● **الخطبة الأولى:**

الحمدُ لله بـارئ النَّسَمَاتِ، ومُبْدِعِ الكائنـاتِ، لـه الأسمـاءُ الحسـنى وعظيمُ النُّعُوتِ والصِّفَاتِ، أحمدُه على نعمَـهِ الظـاهراتِ، وأشـكرُه علـى آلائِه البَيِّنَاتِ، وأشـهدُ أن لاإلـه إلاَّ اللهُ وحـدَهُ لا شـريكَ لَـهُ إلـهُ الأرض والسموَاتِ، وخالقُ الكونِ والكائنـات، وأشـهدُ أنَّ نبيَّنَـا وحبيبَنـا محمـداً عبدُ الله ورسولُه أزكى البريَّاتِ، وخاتَمُ الرُّسُـلِ والرِّسَـالاَتِ، صلَّـى الله عليه وعلى آله وصحبه أولي الفَضْلِ والمَكْرُمَاتِ والتابعين لهم بإحسنٍ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا اللهَ تبارك وتعالى واشكروه وتمسَّكُوا بأمره واجتنبوا نهيـه ذلكـم وصَّاكُم بهِ لعلَّكُم تَتَّقُون.

عباد الله:

يقولُ الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴾ [الكهف:٤٥]. ﴿ اعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠].

أيُّها المسلمون:

موعِظَةٌ بليغةٌ ووقفةٌ للمحاسبة عظيمةٌ ، ونحن نعيشُ هذه الأيام في وداعِ العامِ الهِجْرِيِّ الذي تصرَّمت أيامُه ، وقُوِّضت خيامُه كَلَمْحَةِ بَرْقٍ أو غَمْضَةِ عَيْنٍ ، عامٌ مضى وانقضى من أعمارِنا ولن يعودَ إلى يوم القيامة.

رحلَ هذا العامُ مُخلِّفاً ذكرىً وموعظةً في قلوب المؤمنين أنَّ هذه الدُّنيا ليست بدارِ قرارٍ ، كتب الله عليها الفناء ، وكتب على أهلها فيها الضَعَن فكم من عامرٍ عَمَّا قليلٍ يخرب ، وكم من مقيمٍ مُغتبطٍ عَمَّا قليلٍ يرحل.

لا تبقى على حالةٍ ، ولا تخلو من استحالةٍ ، تُصلحُ جانباً بفسادِ جانب، وتَسُرُّ صاحِباً بمساءَةِ صاحبٍ ، فالركونُ إليها خطرٌ ، والثقةُ بها غررٌ ، كثيرةُ التغيير ، سريعةُ التنكير ، شديدةُ المكر ، دائمةُ الغدر.

أمانيها كاذبةٌ ، وآمالُها باطلةٌ ، عيشُها نكد ، وصفوُها كدرٌ والمرءُ منها على خطر ، إمَّا نعمةٌ زائلةٌ ، أو بليَّةٌ نازلةٌ ، أو مصيبةٌ موجعةٌ ، أو

ميتةٌ قاضيةٌ ، ما هي إلاّ أيامٌ معدودةٌ ، وآجالٌ مكتوبةٌ ، وأنفاسٌ محدودةٌ ، وأعمالٌ مشهودةٌ ، إن أَضْحَكَتْ قليلاً أبكت كثيراً ، وإن سرَّت يوماً ساءَتْ أشهراً وأعواماً ، وإن مَتَّعَتْ قليلاً مَنَعَتْ طويلاً ، وما حَصَّلَتْ للعبدِ فيها سروراً إلاَّ خبأَتْ له شروراً ، ولا ملأَتْ بيتاً فرحاً إلاّ مَلأَتْهُ تَرَحاً وحُزناً.

﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر:٣٩].

عباد الله:

لقد حذَّرَ الله تبارك وتعالى من فتنة الأموال والأولاد في هذه الحياة، حتَّى لا ينشَغِلَ العبدُ بها عن الاستعدادِ لِمَا أرادَ الله منه ، وهو العبادة ، ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال:٢٨].

ونهى جلَّ وعَلاَ عن النظرِ إلى ما في أيدي الناس لأنَّ ذلك مَدْعَاةٌ إلى الرُّكُونِ إلى الدُّنيا والانشغالِ بها عن الدارِ الآخرةِ الباقيةِ ، ﴿ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه:١٣١].

أيُّها المسلمون:

إنَّ الدُّنيا ظلٌّ زائلٌ ، وسرابٌ راحلٌ ، غناها مصيرهُ إلى فقرٍ ، وفرحُها يؤولُ إلى ترح ، وهيهات أن يدومَ بها قرارٌ ، وتلك سنةُ الله تعالى في

خلقِه أيَّامٌ يُدَاوِلُها بين الناس ؛ ليعلم الله الذين آمنوا ويَمْحَقَ الكافرين ، إنَّما هي منازلٌ؛ فَرَاحِلٌ ونَازِلٌ ، وهي بزينتها وبريقِها ونعيمِها إنَّما هي:

أحلامُ نومٍ أو كظلٍّ زائلٍ   إنَّ اللَّبِيْبَ بمثلِها لا يُخدعُ

جعل الله ما عليها فتنةً للناس لِيبلُوَهم أيُّهم أحسنُ عملاً ، وقد ورد في الأثر: (أنَّ الله تعالى لم يخلق خلقاً أبغضَ إليه من الدُّنيا ، وإنَّه مُنْذُ خلقَها لم ينظُرْ إليهَا).

وعند ابن ماجة وأحمدَ والترمذيِّ عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ:كُنْتُ فِي رَكْبٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ مَرَّ بِسَخْلَةٍ مَيْتَةٍ مَنْبُوذَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((أَتَرَوْنَ هَذِهِ هَانَتْ عَلَى أَهْلِهَا ؟)). فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مِنْ هَوَانِهَا أَلْقَوْهَا ! قَالَ: ((فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا، وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ)).

وقال موسى عليه السلام -يوصي أصحابَه-: (الدُّنيا قَنْطَرَةٌ ، فَاعْبُرُوْهَا ولاَ تَعْمُرُوهَا ، ولاَ تُنَازِعُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ فَيُنَازِعُوكُمْ فِي دِيْنِكُمْ ، فَلاَ دُنْيَاهُمْ أَصَبْتُمْ وَلاَ دِيْنِكُمْ أَبْقَيْتُمْ).

تلكم هي الدُّنيا -أيُّها المسلمون- التي شُغل بها كثيرٌ من الناس ، وغَرَّهُم سرابُها وبريقُها وزينتُها ، فراحوا يتَهَافَتُونَ على جمعِها ، ويتنافسون في اكتنازِها ، ورضوا منها بالإقامةِ والتمتُّعِ بشهواتها وملاَّذِّهَا ، وتركوا الاستعدادَ ليومِ الرَّحِيْلِ والعملَ لدارِ القَرَارِ. ونسوا أنَّها في حقيقتها ماهي

إلاَّ مَعْبَرَاً إلى الدارِ الآخرةِ ، وميداناً يتنافسُ فيه المتنافسون ، ويتسابقُ فيه المتسابقون للفوز بالدارِ الآخرةِ.

وقد كان المصطفى ﷺ يَتَخَوَّفُ الدُّنيا على أصحابه أن تُبسطَ عليهم كما بُسطت على من كان قبلهم ، فيتنافسوها كما تنافسَها القومُ فتُهلِكَهم كما أهلكت من كان قبلَهم.

قال ﷺ : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ ». [رواه مسلم]

عباد الله:

ومن يرى الناسَ وهم يتَصَارَعُونَ على هذِه الدُّنيا ، ويَتَكَالَبُوْنَ عليها يُدركُ لماذا يفقدُ البعضُ دينَه ، ويُضَيِّعُ الكثيرُ أهلَه وأبناءه ، وتنتشرُ الأحقادُ، وتُزرعُ الضغائنُ ، وتعمُّ البغضاءُ. وهذا مصداقُ ما قاله النبيُّ ﷺ: « مَنْ كَانَ هَمُّهُ الآخِرَةَ جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ الدُّنْيَا فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ ». [رواه أحمدُ والترمذيُّ وأبو داودَ]

عباد الله:

عَجَبَاً لغفلَتِنَا في هذه الحياةِ مع كَثْرَةِ العِبَرِ والمواعِظِ ، يضحكُ أحدُنا مِلْءَ فيه ولعلَّ أكفانَه عندَ القَصَّارِ ينسجُها ، ويلهو ويلعبُ وربَّما ملكُ الموت واقفٌ عند رأسه يستأذنُ ربَّهُ في قَبْضِ رُوْحِهِ ، يُخيَّلُ إليه أنَّه مُقِيمٌ

مُغْتَبطٌ وهو راحلٌ مُفْتقَدٌ يُساقُ سوقاً حثيثاً إلى أجله ، الموتُ مُتَوَجِّهٌ إليه والدُّنيا تطوى من ورائه ، وما مضى من عمرِه فليسَ براجعٍ عليه ، ولسانُ الحالِ كما قالَ النَّابغَةُ الجَعْدِيُّ -عليه رحمةُ الله-:

المرءُ يرغبُ في الحياة — وطولُ عيشٍ قد يضرُّه
تفنى بشاشتُه ويبقى — بعد حلوِ العيش مرُّه
وتسوءه الأيامُ حتى — ما يرى شيئاً يسرُّه

أيُّها المسلمون:

كَمْ وَدَّعْنَا من أَبٍ وأمٍّ ، وكم نَعَيْنَا من وَلَدٍ وبنتٍ ، وكم دَفَنَّا من أخٍ وأختٍ ، ولكن أين المعتبرون ؟ فأكثرُ الناس إلاَّ من عصم الله في هذه الحياةِ مهمومٌ مغمومٌ في أمورِ الدُّنيا ، لكنَّه لا يتحرَّكُ له طَرْفٌ ولا يهتزُّ منه ساكنٌ إذا فاتته مواسمُ الخيراتِ ، أو ساعاتُ تحريِّ الإجاباتِ، تراه لاهياً ساهياً غافلاً ، يجمعُ ويطرحُ ، ويزيدُ ويُنقصُ ، وكأنَّ يومَه الذي يمرُّ به سيعودُ إليه ، أو شهرَه الذي مضى سيرجعُ عليه.

وإنَّ من أعظمِ الغفلةِ أن يعلمَ الإنسانُ أنَّه يسيرُ في هذه الحياةِ إلى أجَلِه ينقصُ عمرُه ، وتدنو نهايتُه ، وهو مع ذلك لاهٍ غافلٍ لا يَحْسِبُ ليوم الحساب ، ولا يتجهَّزُ ليومِ المعَادِ ، يؤمِّلُ أن يُعمَّرَ عُمَرَ نوحٍ وأمرُ اللهِ يطرقُ كلَّ ليلةٍ ، والواعظُ يقولُ له:

يا راقِدَ الليلِ مَسْرُوراً بأوَّلِهِ — إنَّ الحوادِثَ قد يَطْرُقْنَ أَسْحَاراً

معاشرُ المسلمين:

وكم رأينا في هذه الحياةِ من بنى وسكنَ غيرُه ، وجمعَ وأكلَ وارثُه، وتعبَ واستراحَ من بعده.

دَخلَ أبو الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه- الشامَ فقالَ: (يَا أَهْلَ الشَّامِ ! اسْمَعُوا قَوْلَ أَخٍ نَاصِحٍ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ: مَالِي أَرَاكُمْ تَبْنُونَ مَالاَ تَسْكُنُوْنَ ، وَتَجْمَعُونَ مَالاَ تَأكُلُوْنَ ، إنَّ الَّذِيْنَ كَانُوا مِنْ قَبْلِكُمْ بَنُوا مَشِيْدَاً، وَأَمَّلُوا بَعِيْدَاً ، وَجَمَعُوا كَثِيْرَاً فَأَصْبَحَ أَمَلُهُمْ غُرُوْرَاً ، وَجَمْعُهُمْ ثُبُوْرَاً ، وَمَسَاكِنُهُمْ قُبُوْرَاً).

عباد الله:

ألم يَأنِ للغافلين اللاهينَ في هذه الحياة أن يُدركوا حقيقتَها ، وأنَّ حياتَها عناءٌ ، ونعيمَها ابتلاءٌ ، جديدَها يبلى ، ومُلكَها يفنى ، ونحنُ مع ذلك غافلين كأنَّ الموتَ فيها على غيرنا كُتِبَ ، وكأنَّ الحقَّ فيها على غيرنا وجَبَ ، وكأنَّ الذين نُشيِّعُ إلى القبور من الأموات سَفْرٌ عمَّا قليلٍ إلينا راجعون ، نُبوئُهم أجداثَهم ، ونأكلُ تُراثَهم ، كأنَّا مُخلَّدونَ بعدَهم ، قد نسينا كلَّ واعظةٍ ، وأمنَّا كلَّ جائحةٍ.

ولقد كان السلفُ الصالِحُ – ولنا فيهم أعظمُ أُسوةٍ- على غير هذه الحالِ ، مع شدَّةِ إيْمَانِهم ، وتبشيرِهم بالجنَّةِ. يقولُ الحسنُ البصريُّ -رحمه الله-: (أَدْرَكْتُ أَقْوَامَاً لاَ يَفْرَحُوْنَ بِشَيءٍ مِنَ الدُّنْيَا أَتَوْهُ ، وَلاَ يَأسَفُوْنَ

عَلَى شَيءٍ مِنْهَا فَاتَهُمْ ، وَلَقَدْ كَانَتِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ مِنَ التُّرَابِ الذِي يَمْشُوْنَ عَلَيْهِ).

قدوتُهم في ذلك محمدٌ ﷺ ، الذي ارتسمت على لسانه نظرتُه إلى الدُّنيا بقولهِ في الحديثِ الصحيحِ: « مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؛ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إلا كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا ». [رواه أحمدُ والترمذيُّ وحسَّنَه]

وأرشدَ صحابتَه بقوله لعبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ ». فَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: (إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ). [رواه البخاري]

وهكذا كان السلفُ -عليهم رحمة الله- ، كان أحدُهم إذا بلغَ أربعين سنةً طوى فراشَه ، لا ينامُ من الليل إلاَّ قليلاً ، يُصلِّي ويُسَبِّحُ ويستغفرُ ، يَسْتَدْرِكُ ما مضَى من عمرِه ، ويستعدُّ لما أقبلَ من أيامه ، حتى ليصدُقُ فيهم قولُ القائل:

إنَّ للهِ رِجَالاً فُطَنَاً ... طلَّقُوا الدُّنيَا وخَافُوا الفِتَنَا
نظروا فيها فَلَمَّا عَلِمُوا ... أنَّهـا ليست لحيٍّ وطَنا
جعَلَوُها لُجَّةً واتَّخذُوا ... صَالِحَ الأعمالِ فيها سُفُنا

فتزَودُوا رحمكم الله من الأعمال الصالحة ، ولا تَغْتَروا بهذِه الدنيا الفَانِيَةِ ، واعلموا أنَّكم راحلون عمَّا قريبٍ ومفارقون لهذه الدنيا ، فالكيِّسُ

من دانَ نفسَه وَعمِلَ لِمَا بعد الموت ، والعاجزُ من أتبعَ نفسَه هواها وتمنّى على الله الأمانيَّ.

أقولُ ما تسمعونَ ، وأستغفرُ الله ، فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ للهِ على إحسانِهِ، والشكرُ له على توفيقِهِ وامتنانِهِ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ لَهُ تعظيماً لشأنِهِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الداعي إلى رضوانِهِ، صلّى اللهُ عليهِ وعلى آلِهِ، وأصحابِهِ، وإخوانِهِ، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ ، واعلموا رحمكم الله أنَّه مع هذه الصفاتِ السيِّئةِ للدنيا إلاَّ أنها فُرْصَةٌ ثَمِيْنَةٌ ، ومزرعةٌ للآخرةِ نفيسَةٌ ، فهي موسمٌ

للطاعاتِ، وزمنٌ للعباداتِ ، وميدانٌ للتنافس في الصالحات ، فيها يتزَوَّدُ المسلمُ للآخرة ، ويعملُ للباقية ، وما فازَ من فازَ يومَ القيامةِ إلاَّ بما أسلفَ في الإيمان الخالية ، وقدَّمَ في هذه الدُّنيا الفانية ، فإنَّ الدنيا دارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَها ، ودارُ نجاةٍ لِمَنْ فَهِمَ عنها ، ودارُ غنىً لِمَنْ تزَودَ منها ، وكثيرٌ هم الذين يَذُمونَ الدُّنيا ، ويزعمون أنَّها السببُ في الطُّغيانِ والبُعْدِ عن الطاعة، وما عَلِمُوا أنَّها دارٌ للاستزادةِ ، فبها الطريقُ إلى الجنَّة يُبنى ، وبها التزَوُّدُ من الدرجاتِ العُلاَ ، ولقد أحسنَ من قال:

يعيبُ الناسُ كلُّهم الزمانَا ... وما لزِمَانِنا عَيْبٌ سِوَانَا

نعيبُ زمانَنا والعيبُ فينا ... فلو نَطَقَ الزمانُ بهِ رَمَانَا

أيُّها الناس:

وفي توديع عامٍ واستقبالِ آخرَ تعظمُ مسئوليَّةُ المسلم في محاسبةِ نفسه ، فها نحنُ اليوم نعيشُ في آخرِ هذا العام الهجريِّ الذي تصرَّمت أيامُه وانقضت لياليه ، ووا لله لكأنِّي بالأمسِ القريبِ حين دخلَ هذا العامُ ، وها هو ينتهي وكأنَّه ما كان ، وهكذا الدنيا.

وفي هذا -عباد الله- تذكيرٌ بانقضاءِ الآجالِ ، وانتهاءِ الأعمَارِ ، والانتقالِ إلى الدارِ الآخرةِ حيثُ الجزاءُ والمحاسبةُ ، والمُنصَرفُ إمَّا إلى جنةٍ وإمَّا إلى نارٍ.

وكم يفرحُ المرءُ بذهاب الليالي والأيام ؛ لرغبةٍ أو مطمْعٍ ، ولكنَّه مع ذلك يجبُ أن لا ينسى أنَّ ذلك يُنقصُ من عمره ، ويُدني إلى أجله، وأنَّها

مراحلُ يقطعُها من سفره ، وخطواتٌ يمشيها إلى قبره ، فهل يفرحُ بذلك إلاَّ من استعدَّ للقدوم على الله بعملٍ صالحٍ يُرضي الله عنه ؟!

فتذكَّرُوا رحمكم الله بانقضاءِ العامِ انقضاءَ الآجالِ ، وبسرعةِ مرور الأيامِ دنوَّ الأجال ، وحلولَ هاذم اللَّذات ، وبتغيُّر الأحوال في هذه الحياةِ زوالَ الدنيا وحلولَ الآخرة.

واعلموا أنَّ واقعَ الأيامِ وسيرَها يحكي: أنَّما أمسٌ فعل ، واليومُ عمل ، وغداً أمل.

خطب عمرُ بن عبد العزيز -رحمه الله- الناسَ فقال: (أيُّها الناس! لكلِّ سَفَرٍ زَادٌ ، فَتَزَودُوا لِسَفَرِكُمْ مِنَ الدنيَا إلِى الآخِرَةِ بالتَقْوَى ، وكونوا كَمَنْ عَايَنَ مَا أعَدَّ الله لَهُ مِنَ العَذَابِ فَتَرَغبُوا وتَرَهبُوا ، ولاَ يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الأَمَدُ فتقْسُوَ قُلُوبُكم ، وتَنْقَادُوا لعَدُوِّكُم فَإِنَّـهُ والله مَا بُسِطَ أَمَلُ مَنْ لاَ يَدْرِي لَعَلَّهُ لاَ يُمْسِي بَعْدَ صَبَاحِهِ ، وَلاَ يُصْبِحُ بَعْدَ مَسَائِهِ ، وَرُبَّمَا كَانَتْ لَهُ كَامِنَةٌ بَيْنَ ذَلِكَ ؛ خَطَرَاتُ المَوْتِ وَالمَنَايَا ، وَإِنَّمَا يَطْمَئِنُّ مَنْ وَثِقَ بَالنجاةِ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَأَهْوَالِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، فَأَمَّا مَنْ لاَ يُدَاوِي مِنَ الدنيَا كَلْمَاً إِلاَّ أَصَابَهُ جَارِحٌ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى فَكَيْفَ يَطْمَئِنُّ ؟).

عباد الله:

لقد رأينا من يملكُ هذه الدنيا الفانيةَ وقد رحلَ منها بكفنٍ ، ومن لا يملكُ منها شيئاً قد رحلَ بكفنٍ مثلِه ، فالجميعُ لا شكَّ متساوون في القبور المُعظَّمُ والمُحتقرُ ، ولكنَّ بواطنَ القبور مختلفة ؛ إمَّا روضةٌ من رياض الجنّةِ ،

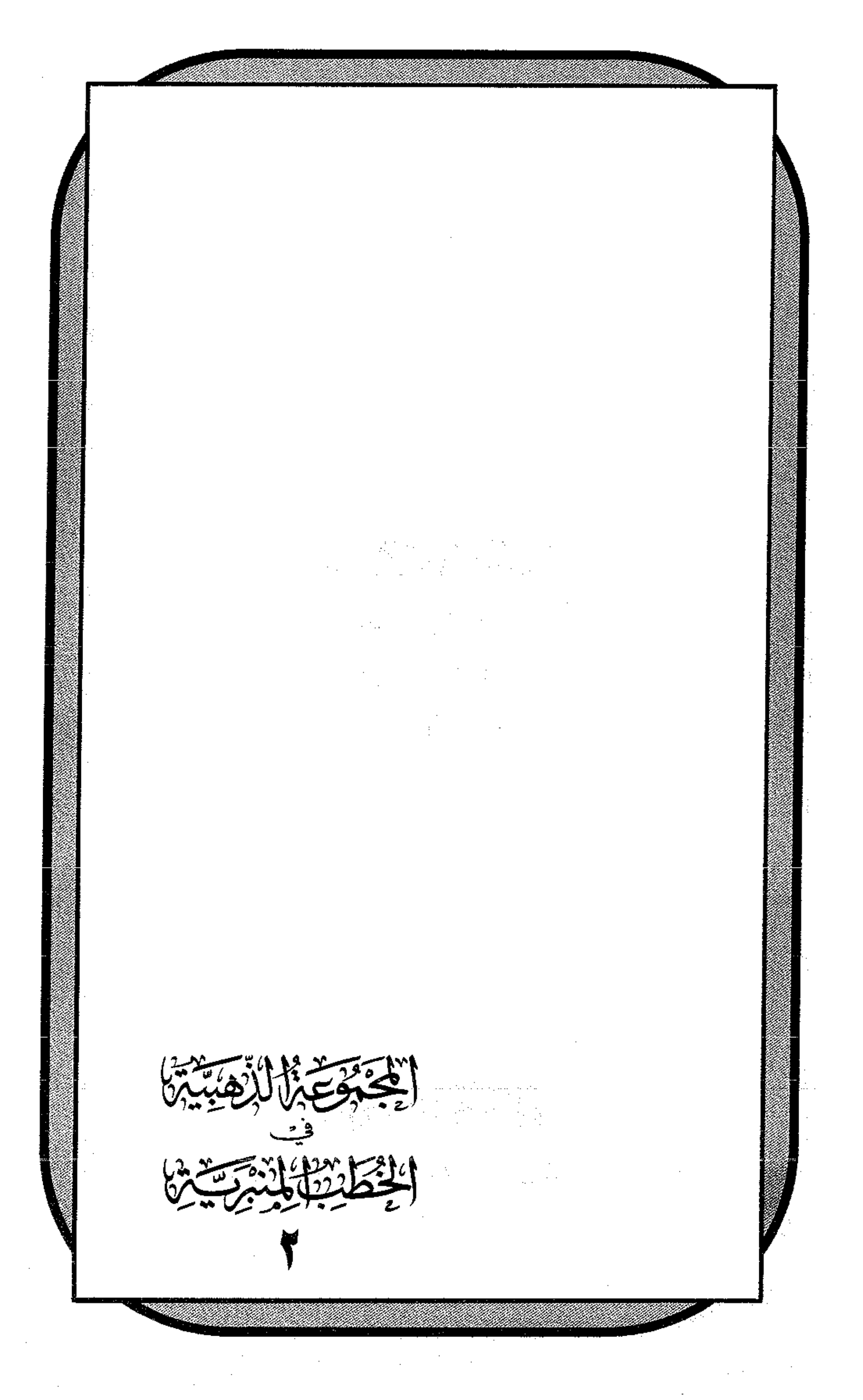
وإمَّا حفرةٌ من حفر النيران -عياذاً با لله- ، فمن عمل في هذه الحياة صالحاً واستعدَّ للقاء ا لله ، واستثمرَ أوقاتها فيما يعودُ عليه بالنفع فَرِحَ يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلاَّ من أتى ا للهَ بقلبٍ سليمٍ، يومَ تتطايرُ الصُحُفُ ، وترتجفُ القلوبُ ، وتتقلَّبُ الأفئدةُ ، وترى الناسَ سُكارى وما هم بسُكارى ولكنَّ عذابَ ا للهِ شديدٌ.

وإنَّ كثيراً من الناس يا عباد ا لله: مع شديدِ الأسفِ لا يزيدُهم تعاقبُ الأيامِ ، وتتابُعِ الأعوامِ ، وإمهالُ ا للهِ لهم إلاَّ عناداً وكفراً ، وبُعداً عن ا لله تعالى ، ناسينَ أنَّ ا للهَ يُمهلُ ولا يُهملْ ، غرّهم طولُ الإمهال ، وخدَعَهم التسويفُ والأملُ ، وشرُّ الناس من طال عمرُه وساءَ عملُه.

فاتقوا ا للهَ عباد ا لله ، وحاسبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسبوا ، واعملوا صالحاً ما دمتم في فُسْحَةِ الأَمَلِ تنعمون بنعمتين عظيمتين مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس ؛ الصحة والفراغ.

ثمَّ صلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم ا للهُ تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ ا للهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّىَ ا للهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَاً)). [رواه مسلم]

❧ ❧ ❧


المجموعة الذهبية
في
الخطب المنبرية
٢

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
الطبعة الثانية
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار طيبة الخضراء
مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٥٥٨٩٠٢٧ - فاكس: ٥٥٨٩٧٨٠ - ص ب: ٦٩٥٨

المجموعة الذهبية
في
الخطب المنبرية

بقلم

ناصر بن محمد بن مشري الغامدي

المدرس بقسم القضاء

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

قدم له

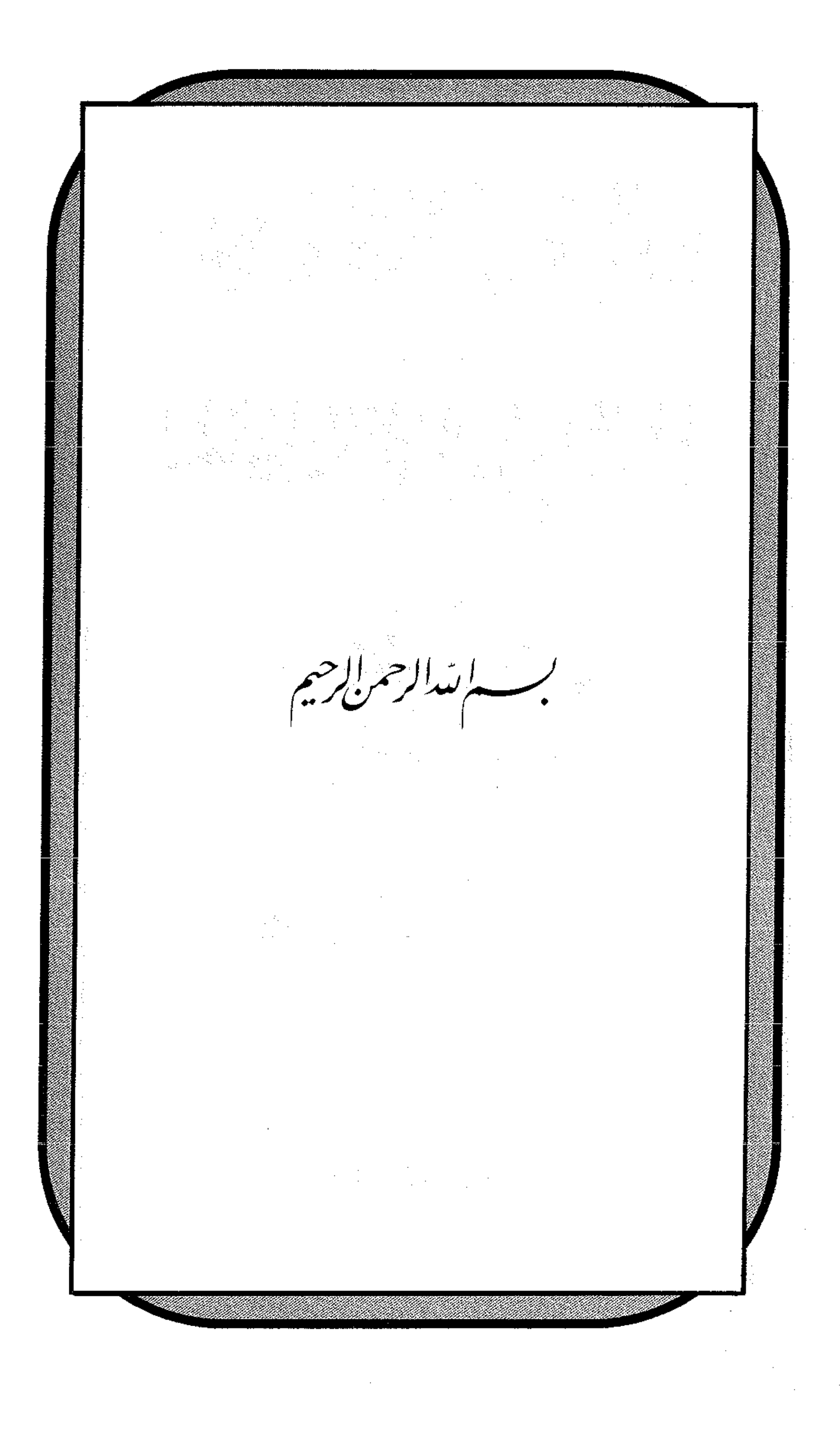
فضيلة الشيخ علي بن عبد الخالق القرني

الداعية المعروف والمدرس بالمعهد العلمي بمكة

- المجموعة الثانية -

دار طيبة الخضراء

مكة المكرمة


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ
علي بن عبد الخالق القرني

اللهُمَّ لك الحمدُ وبكَ الاستعانةُ، ومنكَ التوفيقُ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلاَّ بك، وصلّى اللهُ وسلَّمَ على خاتمِ الرسلِ أجمعين، وعلى خلفائِه الراشدين، وآلِهِ وصحابتِه والتابعين، أمَّا بعد:

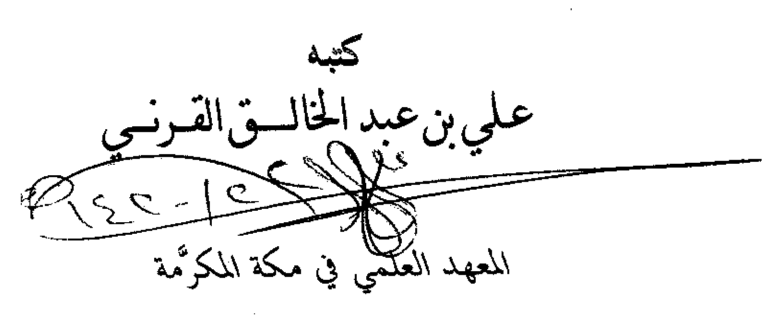
فقد اطَّلعتُ في عُجالةٍ على غالبِ هذه المجموعةِ الذهبيَّةِ في الخطب المنبريَّة، لفضيلة الشيخ/ ناصر بن محمد بن مشري الغامدي... وفقّه الله. فألفيتُها نفيسةً في بابِها، بهيَّةً في محتواها، جليلةً في هدفِها. جمع فيها أخونا خُطباً انتظمت مواضيعَ شتّى كان النصيبُ الأعظمُ فيها للجانب العقَديِّ، دبَّجَها بنصوصِ الوحي، ونَمنَمَها بحكمةِ الحكيمِ، وشعرِ الشاعرِ، فجاءت كحديقةٍ غنَّاءَ، أنَّى اتَّجهتَ فيها لن تُعدَمَ عَبَقاً لأريجِها.

وعلى هذا فإنِّي أحثُّ من يثقُ بي خصوصاً أخي الخطيب على أن يطَّلعَ عليها، أو بعضِها، ويشمَّ من عَبَقِها، وضمنَ مراجعِه ليجعلَها.

أرجو اللهَ أن ينفعَ بهامَنْ كتبَها، وقارئَها، وسامعَها، هو وليُّ المؤمنين، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

كتبه

علي بن عبد الخالق القرني



المعهد العلمي في مكة المكرَّمة



المقـــدِّمَة

الحمدُ لله وكفى، والصلاةُ والسلامُ على عبده ورسوله المصطفى؛ محمدِ بن عبد الله القرشيِّ الهاشميِّ، وعلى آله وصحبه أولي الأحلام والنُهى، ومن بهديهم اهتدى، ولأثرِهم اقتفى، أمَّا بعد:

فهذه هي المجموعة الثانية من كتابي: « المجموعة الذهبيَّة في الخطب المنبريَّة » ضمّنتُها سبعاً وعشرين خطبةً في موضوعاتٍ شتّى، تتعلّقُ بحياةِ المسلمين، وشؤونِهم العامة، وأمورِ دينهم، راجياً من الله العظيمِ الجليلِ أن يجعلَها خالصةً لوجهِه الكريم، وأن ينفعَ بها عامَّةَ المسلمين وخاصَّتهم، وأن يجعلَها من العلم النافع الذي لا ينقطع أجرُه، وأن يتجاوزَ عمَّا فيها من الخطأ والتقصيرِ والغفلةِ، فهو سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير.

وأرجو ممّن اطّلع عليها أن يغفر الزلّةَ، ويُغضي عن الهفوةِ، ويبذُلَ النصيحةَ، وإن لم يجد فيها بُغيَتَه، فليجعلها كالزهرة تُشَمُّ ولا تُعكُّ، وكالطيبِ يُقبلُ ولا يُردُّ.

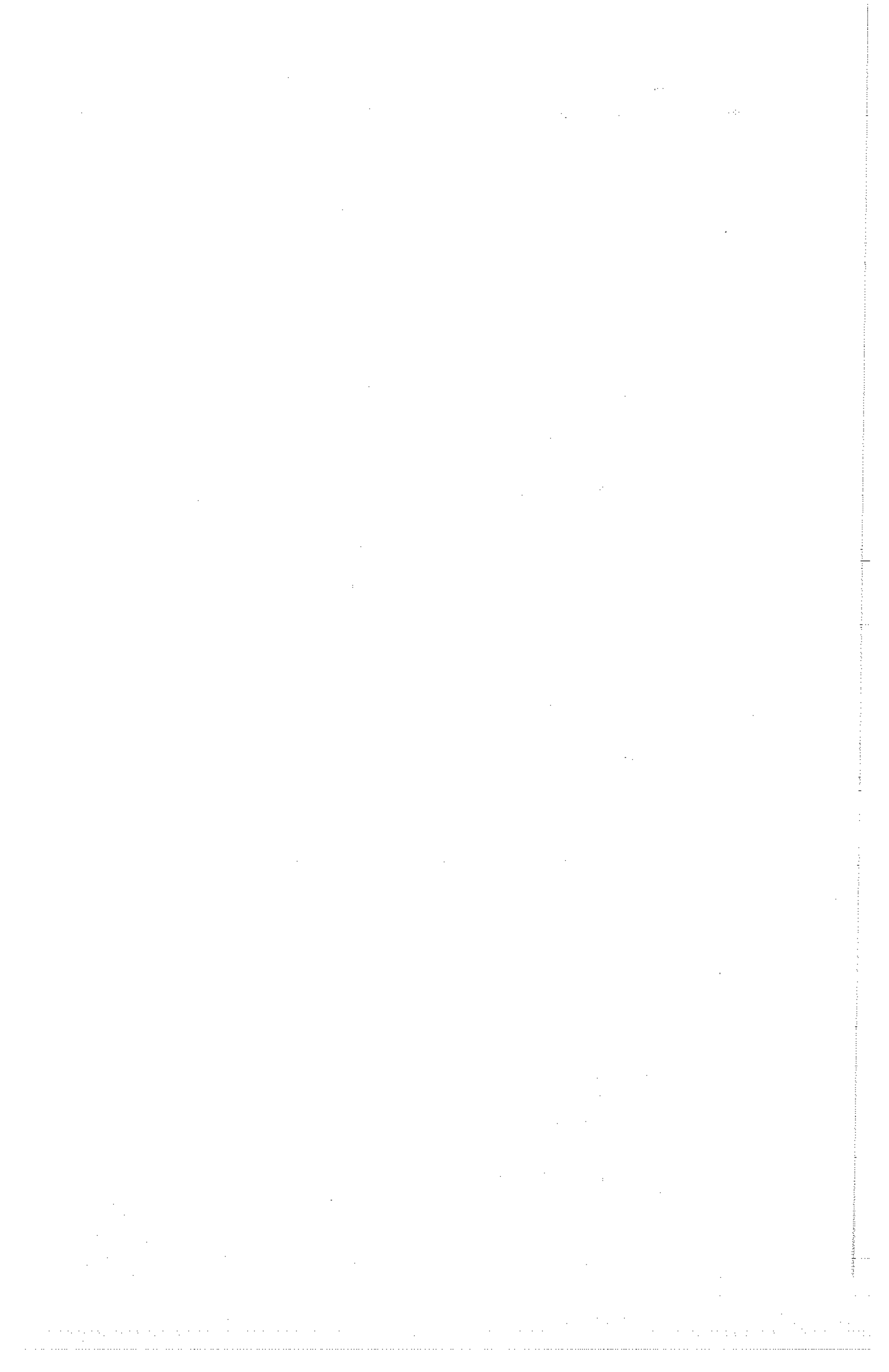
وفق الله الجميعَ لمرضاتِه والعملِ بطاعتِه، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

كتبه

ناصر بن محمد بن مشري الغامدي

مكة المكرمة

١/١١/١٤١٩هـ



النية وأثرها في عمل العبد

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً ، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾ [النساء:١] ، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا ا لله تبارك وتعالى حقَّ التقــوى ، وتـزودّوا مـن الأعمـالِ الصالحـةِ للأخرى، وتأهبوا ليوم العرض الأكبر على ا لله، ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَـى مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ [الحاقة:١٨].

أيّها المسلمون:

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عمرَ بن الخطـاب -رضـي ا لله عنـه- قـال: سمعتُ رسولَ ا لله ﷺ يقول: « إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وإِنَّمـا لكُـلِّ امـرئٍ ما نوى؛ فَمَنْ كَانتْ هِجْرَتُـهُ إلى ا للهِ ورسـولِه فَهجرتُـه إلى ا للهِ ورسـولِهِ، وَمَنْ كَانتْ هِجْرَتُه لدُنيا يُصيبُها، أو امرأةٍ ينكِحُهـا فَهِجرتُـه إلى مـا هـاجرَ إليه » .

وهذا الحديثُ العظيمُ الجليلُ، المنبعثُ من مشكاةِ النبوَّة من جوامعِ كَلِمِ المصطفى ﷺ التي أجمعت الأمةُ على عظيمِ موقعهِ وجلالةِ قـدرهِ في الديـن؛ فهو إحدى قواعد الإيمان، وأعظمُ دعائمه، وآكدُ أركان عمله، حتـى لقـد اتفقت كلمةُ الفقهاءِ والمحدثين على كفايته في البلاغِ، واحتوائِـه علـى جُـلِّ شعائرِ الإسلامِ.

قال الإمام الشافعيُّ -رحمه ا لله-: (يدخلُ هذا الحديثُ في سبعينَ بابـاً من أبوابِ الفقهِ، وهو ثلثُ العلمِ). ومثلُه رَوِيَ عن الإمام أحمدَ بن حنبـل -رحمه ا لله-.

وقد وجّه الإمامُ البيهقيُّ -عليه رحمةُ الله- كونَ هذا الحديث ثلثَ العلمِ بقوله: (إنَّ كسبَ العبد يقعُ بقلبه ولسانه وجوارحه؛ فالنيَّةُ أحدُ أقسامها الثلاثة وأرجحُها؛ لأنَّها قد تكونُ عبادةً مستقلّةً وغيرُها يحتاجُ إليها، ولذا وردَ في الأثرِ: نيّةُ المؤمن خيرٌ من عمله، فإذا نظرتَ إليها كانت خيرَ الأمرين).

عباد الله:

النيّةُ هي القصدُ ؛ وهي عزيمةُ القلبِ على فِعْلِ ما يريدُ أو تركِه، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥].

وهي من أعظمِ ما يملكُ الإنسانُ فعلَه؛ إذْ عليها مدارُ الفلاحِ أو الخسرانِ، ولهذا حَرِصَ العارفون بالله سبحانه وتعالى على تعلُّمِ النيَّةِ والمحافظةِ عليها؛ لأنَّها أبلغُ من العمل.

قال مُطَرِّفُ بن عبد الله -رحمه الله-: (صلاحُ القلبِ بصلاحِ العملِ، وصلاحُ العملِ بصلاحِ النيَّةِ). وقال عبدُ الله بن المبارك -رحمه الله-: (رُبَّ عَمَلٍ صَغيرٍ تُعظّمه النيَّةُ، ورُبَّ عَمَلٍ كبيرٍ تُصغّرُه النيَّةُ).

وصلاحُ النيَّةِ يكونُ بإخلاصِها لله سبحانه وتعالى، والإخلاصُ أعزُّ شيءٍ في حياةِ البشرِ، وعليه مدارُ قبولِ جميعِ أعمالهم. قال ابنُ عبّاسٍ -رضي الله تعالى عنهما-: (إنَّما يُعطى الرجلُ على قدرِ نيَّتِهِ). وقال

سُفيانُ الثوريُّ -رحمه الله-: (ما عالجتُ شيئاً أشدَّ عليَّ من نيَّتي؛ إنَّها تَتقلَّبُ عليَّ).

ولهذا -عباد الله- أُثِرَ عن جمعٍ من السلفِ أنَّهم كانوا إذا طُلِبَ منهم القيامُ بأعمالِ الطاعةِ امتنعوا، وقالوا: حتى تجيءَ النيةُ. وما ذاك إلاَّ لخوفِهم من الرياءِ والشركِ وشوائبِ النيَّةِ التي تُنَافي إخلاصَها، وتُفسدُها. فقد كان تخليصُ النيَّةِ من فسادِها عندَهم أشدَّ عليهِم من طولِ الاجتهادِ؛ لما يعلمون من أهميَّتِها في حياةِ المسلمِ.

وفي مثل هذا قال الإمامُ الذهبيُّ -رحمه الله-: (ينبغي للعالم أن يتكلَّمَ بنيَّةٍ وحُسْنِ قَصْدٍ، فإن أعجبَه كلامُه فليصمت، وإن أعجبَه الصمتُ فَلْيَنْطِقْ، ولا يَفْتُر عن محاسبةِ نفسِه؛ فإنَّها تُحبُّ الظهورَ والثناءَ، وقد كانوا -يعني السلف- مع حُسْنِ القَصْدِ، وصحَّة النيَّةِ غالباً يخافون من الكلامِ، وإظهارِ المعرفةِ، واليومُ يُكثرون الكلامَ مع نَقْصِ العِلمِ، وسوءِ القَصْدِ، ثم إنَّ الله يَفْضَحُهم، ويلوحُ جهلُهم فيما عَلِموه).

وهذا لا يعني تركُ العلمَ والعملَ والدعوةَ إلى اللهِ والعبادةَ، بل على الإنسان أن يعملَ ويتعلَّمَ، ويأمرَ بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعبدَ الله على وفقِ ما أمر ، مجتهداً في ذلك على تحرِّي الإخلاصَ، وحُسْنِ القَصْدِ، وأن يحذرَ من الرِّياءِ والتَّصنُّعِ للخلقِ؛ فلقد جاء في رسالة الفاروق -رضي الله عنه- إلى قاضيه أبي موسى الأشعريِّ: (فمن خلُصَت نيَّتُه في الحقِّ ولو على نفسِه كفاه اللهُ ما بينَه وبينَ الناسِ، ومن تزيَّنَ بما ليس فيه شانه اللهُ).

قال سهلُ بن عبد الله التُّستُري: (ليسَ على النفسِ شيءٌ أشقّ من الإخلاصِ؛ لأنَّه ليس لها فيه نصيبٌ).

عن ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: (كان فينا رجلٌ خطب امرأةً يُقالُ لها: أمَّ قيسٍ، فأبت أن تتزوّجَه حتى يُهاجرَ، فهاجَرَ، فتزوَّجَها، فكُنَّا نُسمِّيه: مُهَاجِرَ أمِّ قيسٍ. مَنْ هَاجَرَ لشيءٍ فهو له). [رواه سعيدُ بن منصور، وسنده صحيح]

عباد الله:

ولأهميّةِ النيَّةِ، واعتبارِها في قبولِ الأعمالِ وصلاحِها فقد حثَّ النبيُّ ﷺ على إخلاص النيّاتِ في الأعمال؛ لتكونَ مقبولةً، جاء ذلك في توجيهاتٍ نبويّةٍ كريمةٍ، منها:

ما رواه مسلمٌ في صحيحه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنّ رسولَ الله ﷺ قال: « إنَّ الله لا يَنْظُرُ إلى أجسادِكُم، ولا إلى صورِكُم، ولكن يَنْظُرُ إلى قلوبِكُم وأعمالِكُم ».

ومنها قولُه ﷺ : « قد أفلحَ من أَخْلَصَ قلبَه للإيمان، وَجَعَلَ قلبَه سليماً، ولسانَه صادقاً، ونفسَه مُطْمَئنةً، وخليقتَه مستقيمةً، وجعلَ أُذنَه مستمعةً، وعينَه ناظرةً ». [رواه أحمد، وقال الهيثميُّ في المجمع: إسناده حسن]

فالمرءُ المسلمُ إذا أسلمَ وجهَه لله، وأخلصَ نيَّتَه له فإنَّ حركاتِه وسكناتِه تُحتسبُ في مرضاة الله ، وقد يعجزُ عن عملِ الخيرِ، والمساهمةِ فيه لقلّةِ اليدِ، أو لمرضِه وعجزِه، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى المُطّلعَ على خبايا

النفوس، والعالمَ بما تُخفي الصدور يرفعُه بنيّته الصالحة إلى مراتب الصالحين الأخيار؛ فلقد جاء البكاؤون في غزوة تبوكٍ إلى النبيِّ ﷺ، جائدين بأنفسهم في سبيل الله، يريدون قتال الكفار معه، والغزوَ في سبيل الله، غيرَ أنَّ الرسولَ ﷺ لم يجد ما يحملُهم عليه، فتولّوا وأعينُهم تفيضُ من الدَّمعِ؛ حَزَناً أن يتخلَّفوا في المدينةِ عن الجهادِ مع رسولِ الله، فأنزلَ الله سبحانه على رسولِه قولَه: ﴿ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَآءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ للهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنْفِقُونَ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة:٩١-٩٣].

والنِّيَّةُ -عباد الله- تدخلُ في جميعِ الأعمالِ، ويترتَّبُ عليها الجزاءُ أو العقابُ، فالعاصي إذا خبُثَت نيَّتُه، وساءَ قصدُه من معصيته؛ كإضلال الناسِ بها وإفسادِهم تضاعفَ عليه وزرُها، وعظُمَ عليه وبالُها.

والمسلمُ إذا تقرَّبَ إلى اللهِ بطاعةٍ من الطاعات فإن قصدَ بها غيرَ الله، أو رياءَ الناس رُدَّ عليه عملُه؛ فإنَّ الله تعالى أغنى الشركاءِ عن الشركِ والرِّياءِ، من عَمِلَ عملاً أشركَ معَه فيه غيرَه تَرَكَه وشِركَه.

قال الفضلُ بنُ زيادٍ: سألتُ أبا عبد الله -يعني: أحمدَ بن حنبل- عن النيَّةِ في العملِ، قلتُ: كيفَ النيّةُ؟. قال: يُعالجُ نفسَه إذا أرادَ عملاً لا يريدُ به الناسَ.

عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ :
((رُبَّ قَتِيْلٍ بَيْنَ الصَّفَيْنِ اللهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ)) . [رواه أحمد]

إنَّ صلاحَ النيَّةِ، وإخلاصَ القلب عن التعلُّق بغير الله سبحانه يرتفعان بمنزلةِ العملِ الدنيويِّ البحتِ فيجعلانه عبادةً عظيمةً مأجوراً عليها، وإنَّ فسادَ النيَّةِ يَهْبطُ بالطاعات المحضَة فيُصيِّرُها معاصٍ باطلةً، لا يجني العبدُ منها بعد التعب في أدائها إلاَّ الفشلَ والخسارَ ؛ ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ [الماعون:٤-٧]. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٦٤].

وإنَّ الرجلين ليقفان في الصفِّ الواحد في الصلاة، أحدُهما ترفعهُ صلاتُه درجاتٍ عند الله، والآخرُ لا تجاوزُ صلاتُه رأسَه؛ لتفاوت ما بينَهما من النيَّة؛ فأحدُهما قامَ يُصَلِّي للهِ تعالى راجياً عفوَه وغفرانَه، والآخرُ قامَ يُصَلِّي رياءً وسمعةً ، ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء:١٤٢].

جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: أرأيتَ رجلاً غزا يلتمسُ الأجرَ والذكرَ، ما لَهُ ؟. فقال: ((لا شَيءَ لَهُ ، إنَّ اللهَ لا يَقبلُ مِنَ العَمَلِ إلاَّ مَا كَانَ خَالِصاً، وَابتُغِيَ بِهِ وَجْهُه))، [رواه النسائي والطبراني وهو حسن] وصدق الله

سبحانه القائل: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود:١٥-١٦].

فمن سرَّه أنْ يكمُلَ له عملُه فليُحَسِّنْ نيَّتَه؛ فإنَّ الله سبحانه يأجرَ العبدَ إذا حسنُت نيّتُه حتى باللُّقمة يضعُها في فمِه يبتغي بها التَقَويَ على طاعةِ الله، بل إنَّ لذاتِ النفسِ الخالصةِ، وشهواتِها المحضَةِ المُباحَةِ إذا صاحبتها النيَّةُ الحسنةُ، والمقصدُ النبيلُ تحوَّلت إلى إلى قُرُبَاتٍ يُؤجَرُ المرءُ عليها.

فالزوجُ الذي يقصدُ امرأتَه ليُعفَها ويُعِّفَ نفسَه، ويصونَها عن الحرامِ مأجورٌ على ذلك ؛ فقد قال المصطفى ﷺ : « وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ!». قالوا: يا رسولَ اللهِ أيأتي أحدُنا شهوتَه ، ويكونُ لهُ أجرٌ ؟! «قَالَ: نَعَمْ ! أرَأَيتُمْ لَو وَضَعَها في الحَرَامِ أَكَانَ عليهِ وِزْرٌ ؟ ، فكذلِكَ إذا وَضَعَها في الحَلاَلِ كَانَ لَهُ أجْرٌ ». [رواه مسلم]

والإنفاقُ على النفسِ والزوجةِ والأولادِ إذا صاحبته النيَّةُ الصالحةُ، واحتسبَهُ الإنسانُ عندَ الله نالَ عليه من الله الأجرَ المضاعفَ ؛ قال ﷺ لسعدِ بنِ أبي وقاصٍ -رضي الله عنه-: « إنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغي بها وَجْهَ اللهِ إلاَّ أُجِرْتَ عليها، حَتّى مَا تَجعَلُهُ في فِيِّ امرَأَتِكَ» . [رواه البخاري]

ولهذا قال معاذُ بن جبلٍ -رضي الله عنه-: (إنِّي لأحتسبُ على الله نومتي كما أحتسبُ قومتي).

وعن عُبَادةَ بنِ الصامت -رضي ا لله عنه- قال: قال رسولُ ا لله ﷺ : «مَنْ غَزَا فِي سَبِيْلِ ا للهِ وَلَمْ يَنْوِ إلاَّ عِقَالاً فَلَهُ مَا نَوىَ» . [رواه أحمدُ والنسائي وسنده صحيحٌ]

وقولُه ﷺ : «إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ» . معناه: أنَّ الأعمالَ تكون مقبولةً أو مردودةً، صالحةً أو فاسدةً، مثاباً عليها أو مُعَاقَباً بحسب النيَّةِ الباعثةِ عليها، والتي صاحبتها، فصلاحُ العمل أو فسادُه بصلاحِ النيَّة أو فسادِها.

وقولُه ﷺ : «وإنَّما لكلِّ امرئٍ مَا نَوَى» . إخبارٌ منه بأنَّه لا يحصلُ للعبد من عمله إلاَّ ما نواه؛ فإن نوى خيراً حصل له خيرٌ، وإن نوى شراً حصل له شرٌّ والعياذُ با لله تعالى.

بارك ا لله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ ا لله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فيا أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه ، واعلموا أنّكم ملاقوه.

ثمّ اعلموا رحمكم الله أنَّ النيَّةَ شُرعَتْ في الإسلامِ لمعانٍ مهمّةٍ؛ أولُها: تمييزُ العبادات عن بعضها؛ كتمييز صلاة الظهر عن العصر، وتمييز الصيام عن الزكاة والحجّ، وتمييز العبادات عن العادات؛ كتمييز الغُسْلِ من الجنابة عن غُسْلِ التنظُّف والتبرُّد.

وثانيها: تمييزُ رُتَبِ العبادات عن بعضها؛ كتمييز النفل عن الواجب، والتطوّعِ عن الفرض.

وثالثُها: تمييزُ المعبودِ المقصودِ بالعملِ؛ هل هو الله وحده لاشريك له، أم اللهُ وغيرُه. ولقد كان المصطفى ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال: « وَجَّهتُ وَجهِيَ للذي فَطَرَ السَّمَواتِ والأرضَ حَنِيْفاً مُسْلِماً وَمَا أَنَا مِنَ المُشركين، إنَّ صَلاتي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العالمينَ، لاَ شَريكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمينَ ». [رواه مسلم]

والنيّةُ عباد الله: تتقلّبُ في العبدِ على ثلاثِ مراحل؛ الأولى: مرحلةُ الخواطرِ ومحادثةِ النفسِ، وهذه لا يملكُ الإنسانُ دفعَها عن نفسهِ؛ فما من نفسٍ بشريَّةٍ إلاّ وهي توسوسُ بصاحبها وتأمرُه بالسوء إلاّ ما رحمَ ربي؛ ولهذا فقد اقتضت حكمةُ الله تعالى وعدلُه ومنّهُ على عباده أن تجاوزَ لهذه الأمَّةِ عمَّا حدَّثت به أنفسَها ما لم تعملْ به أو تتكلَّمْ. قال ﷺ : « إنَّ الله تجاوزَ لأُمَتي مَا حَدَّثتْ بهِ أنْفُسَها ، مَا لَمْ يتكلَّموا أو يَعْمَلوا بهِ » . [رواه مسلم]

والمرحلةُ الثانيةُ للنيَّة: مرحلةُ الهمِّ بالعملِ؛ وهذه الأخرى تداركتها رحمةُ اللهِ تعالى بعبادِه وفضلُه عليهم؛ حيث تجاوزَ عن الهمِّ بالسيئات؛ لما يعلم من ضعف بني آدم أمامَ الإغراءات والشهوات، وضاعفَ الأجرَ على الهمّ بالحسنات؛ ترغيباً للعباد في الخير ومسارعةً إليه. قال ﷺ : « يقولُ الله تعالى: إذا أرادَ عَبدي أنْ يَعملَ سيئةً فلاَ تَكتبوهَا عليه حَتّى يَعْمَلهَا، فَإنْ عَمِلَها فاكتبوها بمثلِها، وإنْ تَرَكَها مِنْ أجلي فَاكتبُوها لَهُ حَسَنةً، وَإذَا أرادَ أنْ يَعملَ حَسنةً فَلَمْ يَعْملْها فَاكتبُوها لَهُ حَسنةً، فَإنْ عَمِلَها فَاكتبُوها لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِها إلى سَبعمائةٍ ». [رواه البخاري]

والمرحلةُ الثالثةُ: العزمُ على الفعلِ؛ وذلك أنَّ العبدَ قد يَعزِمُ على فعل الشيء، ويكابدُ من أجله، لكن تحولُ بينَه وبينَ فعلِهِ موانعُ وعوائقُ، فهذا يؤجرُ على نيَّتِه ومقصدِه إنْ كانَ حَسَناً، ويُعَاقبُ عليهِ إنْ كانَ سَيِّئاً ، ولقد قال المصطفى ﷺ لأصحابِهِ وهو في طريقهِ إلى تبوك: « إنَّ بالمدينةِ أقواماً ما قطعنا وادياً، وَلا وَطِئْنَا مَوطِئاً يَغيظُ الكُفّارَ، وَلاَ أَنفقنَا نَفقةً، وَلاَ

أَصَباتَنا مَخْمَصَةٌ إلاَّ شَرَكُونا فِي ذَلِكَ وَهُمْ بالمدينةِ ». قالوا: وكيف ذلك يا رسولَ الله وليسوا مَعَنَا ؟! قالَ: « حَبَسَهُمْ العُذْرُ ». [رواه مسلم]

وقال ﷺ : « من تزوّجَ امرأةً على صَداقٍ وهو لا ينوي أداءَه فهو زَانٍ، وَمَن ادَّانَ دَيْناً وَهو لاَ يَنْوِي قَضَاءَه فَهو سَارِقٌ» .[رواه أحمدُ وابنُ ماجه]

ثم اعلموا رحمكم الله: أنَّ النيَّةَ هي قصدُ القلب وعزمُه على فعل الشيء أو تركه، ولا يجوزُ التلفُّظُ بها في شيءٍ من العبادات ، لا في الصلاة ولا في غيرها، قال ابن القيّم -رحمه الله-: (كان ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال: الله أكبر ، ولم يقل شيئاً قبلها ، ولا تَلَفَّظَ بنيَّةٍ البتّة، ولا قال: أُصلي صلاةَ كذا ، مستقبلَ القبلة، أربعَ ركعات، إماماً أو مأموماً، ولا قال: أداءً ولا قضاءً ولا فرضَ الوقت ، وهذه عشرُ بِدَعٍ لم يَنْقُلْ عنه أحدٌ قَطُّ بإسنادٍ صحيحٍ ولا ضعيفٍ ولا مسندٍ ولا مرسلٍ لفظةً واحدةً منها البتّة، بل ولا عن أحدٍ من أصحابه ، ولا استحسنه أحدٌ من التابعين، ولا الأئمةِ الأربعةِ). أ.هـ

﴿ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات:١٦].

هذا وصلّوا وسلّموا رحمكم الله على المبعوث رحمةً للعالمين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة واتّم التسليم...

حقيقة الإيمان ومقتضياتـه

●الخطبة الأولى:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، الرحمنِ الرحيمِ ، مالكِ يوم الدين ، أحمدُه تعالى وأشكرُه ، وأتوبُ إليه وأستغفرُه ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، إلهُ الأولين والآخرين ، وقيّومُ يوم الدين ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه إمامُ المتقين ، وسيِّدُ الخاشعين ، وقدوةُ الناس أجمعين ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيّبين وصحبه الطاهرين والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين.

أمّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا الله تعالى ربَّكم وأشكروه على وافرِ نعمه ، وأطيعوه وأعبدوه ما لكم من إلهٍ غيرُه ولا ربَّ لكم سواه ، إلزموا أمره ، واحذروا نهيه فبذلك أمركم وشرع لكم؛﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً** ❁

يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٢].

أيُّها المسلمون:

لقد كرَّم اللهُ تعالى بني آدمَ، وأنعمَ عليهم بوافر النِّعَم، وحباهم من الخيرات ما يعجزون عن شكرِهِ والقيامِ لله سبحانه بحقِّه. وإنَّ أفضلَ نعمةٍ أنعَمَها اللهُ على الإنسان وكرَّمَه بها وميَّزَه عن سائر المخلوقات: العقلُ والإدراكُ. وإنَّ من تمام هذه النعمةِ اتِّباعَ الدينَ الذي شرعَه، والإيمانَ بالإسلامِ الذي اختاره للعالمين ديناً لا يقبلُ من أحدٍ سواه.

عباد الله:

القلبُ هو مدارُ صلاحِ الإنسانِ، ومعيارُ استقامتِه وتقواه، إذا صلحَ قلبُه أفلحَ وفازَ، وإذا فسدَ قلبُه خابَ وخسرَ. عن النُّعمانِ بن بشيرٍ -رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسولُ الله ﷺ يقول: «الْحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ؛ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَىً، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ» .[متفقٌ عليه]

قال سفيانُ بن عُيينه -عليه رحمة ا لله-: (من أصلحَ سريرتَه أصلحَ ا للهُ علانيتَه، ومن أصلحَ ما بينه وبين ا لله أصلحَ ا للهُ ما بينه وبين النـاس، ومـن عملَ لآخرتِه كفاه ا لله أمرَ دنياه).

قال سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ا للهُ ثُمَّ اسْـتَقَامُواْ تَتَـنَزَّلُ عَلَيْهِـمُ الْمَلاَئِكَـةُ أَلاَّ تَخَـافُواْ وَلاَ تَحْزَنُـواْ وَأَبْشِـرُواْ بِالْجَنَّـةِ الَّتِـي كُنتُـمْ تُوعَـدُونَ** ﴾ [فصّلت: ٣٠].

الإيمانُ هو المقبولُ عندَ ا للهِ دونَ سواه، وهو عصمةٌ للإنسان في الدنيـا، وحفظٌ له في الآخرةِ، قال رسولُ ا لله ﷺ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّـاسَ حَتَّـى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَـهُ وَنَفْسَـهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ» .[رواه البخاري]

من رضي با لله تعالى ربّاً، وبالإسـلامِ دينـاً، وبمحمـدٍ ﷺ نبيّـاً ورسـولاً فقد ذاقَ طعمَ الإيمانِ وحلاوةَ الحياةِ، فعاشَ مطمئنّاً، ومات آمناً، لرحمةِ ا للهِ راجياً.

وإذا تمكّنَ الإيمانُ من النفوسِ، وخالطت بشاشتُه القلوبَ خرجَ الإنسانُ من ظلمات الجهل والشكِ والخُرَافَةِ إلى نورِ الإيمـانِ واليقـينِ، وشـرحَ ا للهُ صدرَه، ويسّرَ أمـرَه، وأصلـحَ لـه شـأنَه، فـأصبحَ مـن أوليـاءِ ا لله الذيـن لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

أيُّها المسلمون:

الإيمانُ من أجلِّ نعَمِ ا لله تعالى علـى العبـاد، ﴿ فَمَن يُـرِدِ ا للهُ أَن يَهْدِيَـهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّـدُ فِي السَّمَآءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ ا للهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:١٢٥].

ومعنى الإيمان: التصديقُ والاعتقادُ الجازمُ بأنَّ ا للهَ تعـالى هـو ربُّ كـلِّ شيءٍ ومليكُه، وخالقُهُ ومدبِّـرُه، وأنَّـه وحـدَه الـذي يستحقُّ العبـادةَ؛ مـن صلاةٍ وصومٍ ودعاءٍ ورجاء، وخوفٍ وذُلٍّ وخضوعٍ، وأنَّه المتَّصفُ بصفات الكمال كلِّها، المنزَّهُ عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ.

فالإيمانُ با لله تعالى وحدَه يتضمَّنُ توحيدَه في ثلاثـة أمورٍ: في ربوبيّتِـه، وفي ألوهيّتِه، وفي أسمائِه وصفاتِه، وهذا يعني تفرُّدُه سبحانه وتعالى بالربوبيّـة والألوهيَّةِ وصفاتِ الكمالِ وأسماءِ الجلالِ. لا كما فعلَ أهلُ الجاهليّةِ الأولى الذيـن أقـرّوا لله بالربوبيَّـةِ، وأشـركوا معَـه في الألوهيّـةِ، ﴿ وَإِذَا قِيـلَ لَهُـمُ اسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـنِ قَـالُواْ وَمَـا الرَّحْمَـنُ أَنَسْـجُدُ لِمَـا تَأْمُرُنَـا وَزَادَهُـمْ نُفُـوراً﴾ [الفرقان:٦٠].

وأركانُ الإيمان التي لا يسلمُ لأحدٍ دينُـه مـا لم يؤمـن بهـا إيمانـاً جازمـاً هي: الإيمان با لله تعالى، وملائكتِه، وكتبه، ورسلِه، واليومِ الآخرِ، وبـالقدرِ خيرِه وشرِّه من ا لله.

ففي حديث جبريلِ المشهور حينَ جاء إلى النبيِّ ﷺ فسأله عن الإيمان، فقال: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ». [رواه البخاري]

وهذه هي أركانُ الإيمان التي من آمنَ بها فقد نجا وفازَ، ومن جَحَدَها فقد خابَ وخسرَ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾ [النساء:١٣٦].

أيُّها المسلمون:

الإيمانُ قولٌ باللّسانِ، وتصديقٌ بالجَنَانِ، وعملٌ بالجوارحِ والأركان. يزيدُ بالطاعةِ وينقصُ بالعصيان. ولقد ضلّت طوائفُ من أهلِ البدعِ والأهواءِ في معنى الإيمان؛ فمنهم من زعَمَ أنَّ الإيمانَ هو مجرَّدُ التصديقِ بالقلبِ دونَ عملٍ بالجوارحِ أو نُطقٍ باللّسان، ومنهم من زعَمَ أنَّ الإيمانَ مجرَّدُ النُطقِ باللّسانِ وحدَه دونَ تصديقٍ أو عمل، ومنهم من زعَمَ أنَّ أهلَ الكبائر مخلَّدون في النار، وطائفةٌ زعَمَوا أنَّ من آمنَ بقلبه، ونطقَ بلسانه فهو في الجنّةِ ولو ارتكبَ الذنوبَ العِظامَ.

وهذا كلُّه جهلٌ وضلالٌ، وتخبُّطٌ وفسادٌ ما أنزلَ الله به من سلطانٍ، وهؤلاء إنّما يدّعونَ الإيمانَ ادّعاءً لا حقيقةً وانتماءً.

والدعاوى ما لم يُقيموا عليها   بيِّناتٍ أصحابُها أدعياءُ

يقولُ الحسنُ البصريُّ -عليه رحمةُ الله-: (ليسَ الإيمانُ بالتحلّي، ولا بالتمنّي، ولكن هو ما وقرَ في القلوب، وصدَّقتُه الأعمالُ).

وصدقَ رحمه الله: فإنَّ الإيمانَ إذا تمكّنَ من النفوس، وخالطت بشاشتُه القلوبَ ظهرت نتائجُه من خلال الأعمال، فكيفَ يزعمُ هؤلاء الجُهّالُ الضُّلّالُ أنَّ الإيمانَ مجرَّدُ التصديقِ بالقلبِ، أو النُطقِ باللّسانِ، دونَ عملٍ واجتهادٍ، وكأنَّ إبليسَ وفرعونَ وهامانَ لم يُصدِّقوا، ولم يُقرّوا بوجودِ الله تعالى، وأنّه المُستحقُّ للعبادةِ دونَ من سواه. وكأنَّ أهلَ الجاهليّة الأولى كانوا يُنكرونَ وجودَ الخالقِ سبحانه وتعالى، وقد قال الله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ ﴾ [الزمر:٣٨].

أمَّا أهلُ السنَّةِ والجماعةِ فإنَّ الإيمانَ عندَهم قولٌ وتصديقٌ وعملٌ، يزيدُ بالطاعةِ، وينقصُ بالعصيانِ، وممَّا يؤكّدُ ذلكَ أعظمَ التأكيدِ قَرْنُ اللهِ تعالى في كتابه العزيز في مواضعَ عديدةٍ بين الإيمان والعمل الصالح، بل لا تكادُ تجدُ آيةً في كتاب الله تعالى تدعو إلى الإيمان إلاّ وتذكرُ العملَ الصالحَ معَه؛ ممّا يدلُّ على أنَّ مجرَّدَ التصديقِ أو النُطْقِ وحدَه لا يكفي.

وأمَّا أهلُ الكبائرِ من المسلمين عندَ أهلِ السنّةِ والجماعةِ فهم تحتَ مشيئةِ الله تعالى؛ إن شاءَ عذبَهم وإن شاءَ غفرَ لهم، ولا يُخلَّدونَ في النارِ ما داموا مسلمين؛ فإنَّ الله تعالى لا يغفرُ أن يُشركَ به، ويغفرُ ما دونَ ذلكَ لمن يشاءُ.

قال الإمامُ ابنُ عطيّةَ -عليه رحمةُ الله-: (وقد أجمعت العلماءُ -لا خلافَ بينهم- أنّه لا يُكفّرُ أحدٌ من أهلِ القبلةِ بذنبٍ، ولا نُخرجُه من الإسلامِ بمعصيتِه، نرجو للمحسنين، ونخافُ على المسيئين).

قال رسولُ ا لله ﷺ : «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» .[متفقٌ عليه]

وقال ﷺ : «فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ».[متفقٌ عليه] وعن أنس -رضي ا لله عنه- قال سمعتُ رسولَ ا لله ﷺ يقول: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً» .[رواه الترمذيُّ وحسّنه]

عباد ا لله:

الإيمانُ بِضْعٌ وستون شُعْبَةً، أعلاها قولُ لا إلـه إلاّ ا لله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان. والإيمانُ أمانةٌ بين العبد وربِّه، وعهدٌ بينه وبين الناس، فمن ضاعت أمانته ذهبَ إيمانُه، ومن خانَ عهدَه قلَّ إيمانُه، فلا إيمانَ لمن لا أمانةَ له، ولا دينَ لمن لا عهدَ له.

الإيمانُ يحملُ صاحبَه على مكارمِ الأخلاقِ، وجميلِ السجايا والصفات، فيُحبُّ للناس ما يُحبُّ لنفسِه، ويعيشُ مع إخوانِه في العقيدةِ آلامَهم وآمالَهم، يحزنُ لحزنِهم، ويفرحُ لفرحِهم. يخافُ ا لله ويتّقيه، ويُعظِّمه عن أن يكونَ أهونَ الناظرين إليه.

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ا للهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال:٢-٤].

قال مجاهدٌ: (هو الرجلُ يُهِّمُ بالمعصيــة فيتذكَّرُ مقامَه بين يدي ا لله، فيتركَها خوفاً من ا لله).

وأوثقُ عُرى الإيمان: الحبُّ في ا للهِ تعالى والبُغْضُ فيه، قال ابنُ عباسٍ – رضـي ا لله عنهمـا–: (مـن أحــبَّ في ا لله وأبغــضَ في ا لله، ووالى في ا لله وعادى في ا لله فإنّما تُنالُ ولايةُ ا لله بذلكَ، ولن يجدَ عبدٌ طعمَ الإيمـانِ وإن كَثُرت صلاتُه وصيامُه، حتّى يكـونَ كذلـك، وقـد صـارت عامّـةُ مؤاخـاةِ الناسِ على أمرِ الدنيا، وذلك لا يُجدي على أهلِه شيئاً).

قال ا لله سبحانه: ﴿لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِا للهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ا للهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آبَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَـئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ا للهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَـئِكَ حِزْبُ ا للهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ ا للهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

وفي الصحيحين من حديث أنسٍ –رضي ا لله عنه– أنَّ رسـولُ ا لله ﷺ قال: « ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيـهِ وَجَـدَ حَـلاَوَةَ الإِيمَـانِ: أَنْ يَكُـونَ اللَّـهُ وَرَسُـولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَـرْءَ لاَ يُحِبُّـهُ إِلاَّ لِلَّـهِ، وَأَنْ يَكْـرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ» .

ومن كمال الإيمان: قولُ الخيرِ والصمتُ عمَّا عداه، وحفظُ حقوقِ الجارِ، والبعُدُ عن أذاه، وإكرامُ الضيفِ؛ قال ﷺ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ » .[رواه البخاريُّ وغيرُه]

بل إنَّ اللِّسانَ هو السببُ العظيمُ في صلاحِ القلب أو فسادِه، فعن أنسٍ -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « لاَ يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، وَلاَ يَدْخُلُ رَجُلٌ الْجَنَّةَ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» .[رواه أحمدُ]

ومن علامات الإيمان : محاربةُ المنكراتِ، ونشرُ الخير، والدعوةُ إلى المعروف، قال ﷺ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ» .[رواه مسلم] وعنده من حديث ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ».

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

** * **

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله الواحدِ الأحدِ الفردِ الصمدِ ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ لـه ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فاتّقوا الله أيُّها الناس ، واعلموا رحمكم الله أنَّ أكثرَ الناسِ أو جُلَّهم يدَّعونَ الإيمانَ، وما أكثرُ الناسِ ولو حرصتَ بمؤمنين.

من الناس من حظُّه من الإيمانِ مجرَّدُ الإقرارِ بوجودِ الخالقِ ، وأنَّه الذي خلقَ السموات والأرضَ وما بينهما، وهذا لم ينكره حتّى عُبَّادُ الأوثانِ والأصنامِ.

وآخرون إيمانُهم مجرَّدُ النُطقِ بالشهادتين، دونَ عملٍ أو متابعةٍ أو استجابةٍ لله تعالى ولرسوله.

وآخرونَ إيمانُهم عبادةٌ للهِ تعالى على وفقِ أذواقِهم، ومواجيدِهم وما تهواه نفوسُهم، من غير تقيُّدٍ بما جاءَ به الرسولُ ﷺ من عند ا لله سبحانه وتعالى.

وطائفةٌ إيمانُهم ما وجدوا عليه آباءَهم وأسلافَهم كائناً ما كان، ولو كان مخالفاً للشرعِ الحنيفِ. وفئامٌ من الناسِ إيمانُهم مكارمُ أخلاقٍ، وحُسنُ معاملةٍ، وطلاقةُ وجهٍ. وفريقٌ من الناس إيمانُهم تجرُّدٌ من الدنيا وعلائقِها، وتفريغٌ للقلب منها، والزهدُ فيها، فمن كان هكذا جعلوه من سادات أهلِ الإيمان، وإن كان مُنْسَلِخاً من ربقةِ الإيمانِ علماً وعملاً، وهذه رهبانيَّةٌ ابتدعوها ما كتبها ا للهُ عليهم، فإنَّ الدينَ يُسرٌ، ولن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلاّ غلبَه.

وقد كان المصطفى ﷺ وهو القدوةُ والأسوةُ، وسيِّدُ العُبَّادِ والمؤمنين جامعاً بينَ الدنيا والآخرة بقدَر، يأكلُ الطعامَ، ويمشي في الأسواقِ، يُجالسُ أصحابَه، ويُمازحُهم، ويتزوَّجُ النساءَ، ويصومُ ويُفطرُ، ويقومُ وينامُ، فمن رغِبَ عن سُنّتِه فليس منه.

وهذه الطوائفُ كلُّها لم تَعْرِفْ حقيقةَ الإيمانِ، ولا قامَ بها ولا قامت به؛ فالإيمانُ هو معرفةُ ما جاءَ به الرسولُ المصطفى ﷺ ، والتصديقُ به

اعتقاداً، والإقرارُ به قولاً ونُطقاً، والانقيادُ لـه محبّةً وخضوعـاً، والعمـلُ بـه باطناً وظاهراً، وتنفيذهُ والدعوةُ إليه بحسبِ الإمكانِ.

وكمالُ الإيمانِ يكونُ بكمال الحبِّ في ا لله تعالى والبُغْضِ فيه، والعطـاءِ لله والمنعِ لله، ومنه محبةُ رسولِ ا للهِ ﷺ.

قال ﷺ : «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِـنْ وَالِـدِهِ وَوَلَـدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» .[رواه البخاري]

ألاَ وإنَّ مـن محبتـهِ ﷺ محبَّـةَ أتباعِـه والمُتمسـكين بسـنَّتِه في كـلِّ زمـان ومكان، واتّباعَ أمرِهِ، وتحكيمَ سنَّتِهِ، واجتنـابَ مـا عنـه نهـى وزجـرَ، وألاَّ يُعبدَ ا للهُ سبحانه وتعـالى إلاَّ بمـا شـرعَ. ﴿ **وَمَـا كَـانَ لِمُؤْمِـنٍ وَلاَ مُؤْمِنَـةٍ إِذَا قَضَى ا للهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ا للهَ وَرَسُـولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِيناً**﴾ [الأحزاب:٣٦].

أيُّها المسلمون:

الإيمانُ حصنٌ حصينٌ من الشهواتِ، والمحرَّماتِ ففي الحديـث عـن أبـي هريرة -رضي ا لله عنه- أنّه ﷺ قال: «لاَ يَزْنِـي الزَّانِـي حِـينَ يَزْنِـي وَهُـوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَـا أَبْصَـارَهُمْ حِـينَ يَنْتَهِبُهَـا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» .[متفقٌ عليه]

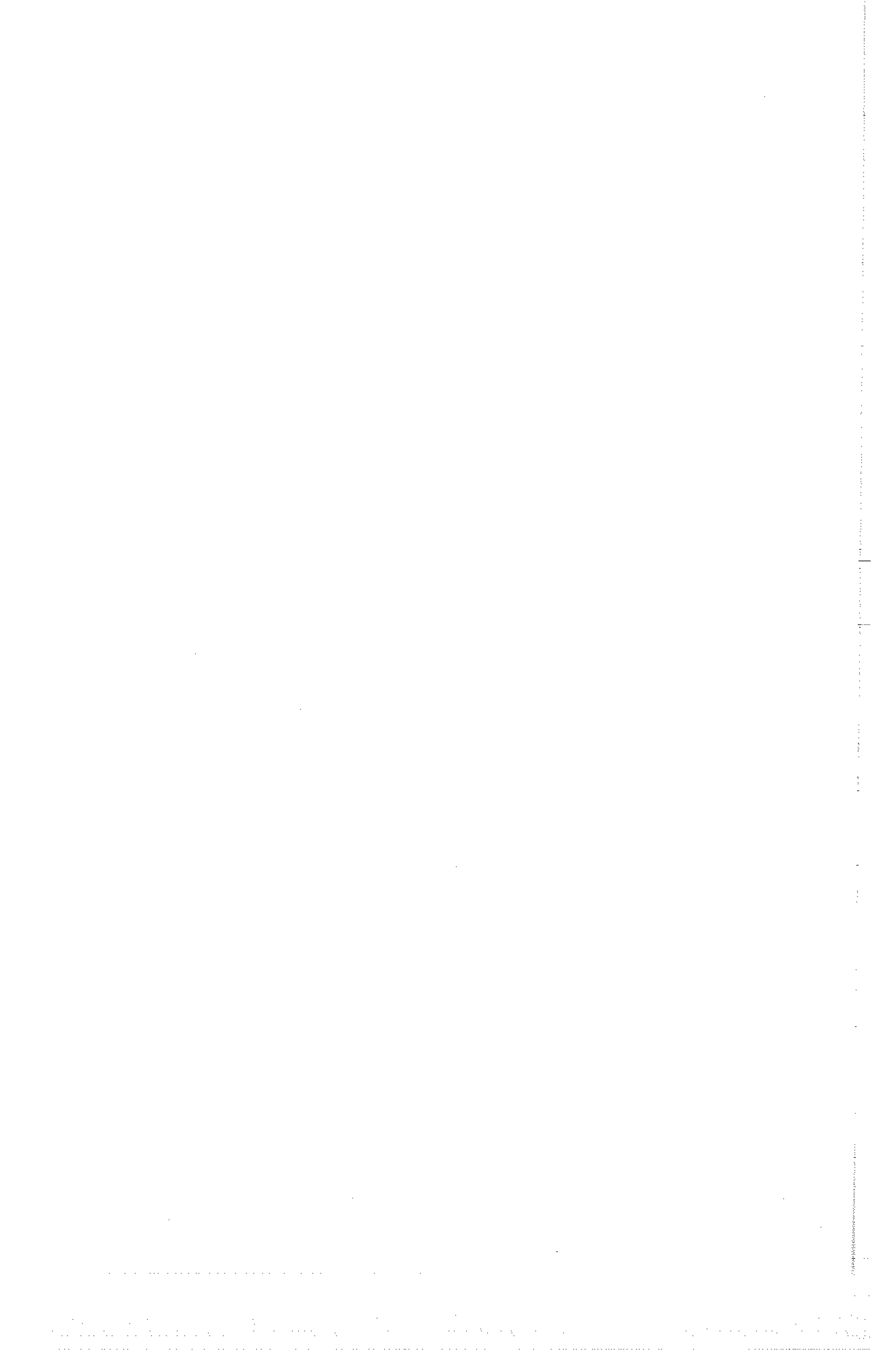
وهو سببٌ للأمنِ والطمأنينةِ في الدنيا والآخرة، ﴿**الَّذِينَ آمَنُـواْ وَتَطْمَئِـنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ ا للهِ أَلاَ بِذِكْرِ ا للهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد:٢٨].

فالمؤمنون لهم الأمنُ في الدارين، أمنٌ وسلامٌ، وهدايةٌ وتوفيقٌ في الدنيا، وأمنٌ من المخاوفِ، وسلامةٌ من المضائقِ يومَ الفزَعِ الأكبر، ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ** ﴾ [الأنعام:٨٢]. قال الحسنُ -رحمه الله-: (لهم الأمنُ في الآخرةِ، وهم متهدونَ في الدنيا).

وفي الصحيحين عن أبي هريرةَ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ : « قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ **فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ** ﴾ » .

اللهُّم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد بن عبد الله صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين ، وارضَ اللهُّم عن أصحاب نبيّك أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.....

❧ ❧ ❧



اتق الله حيثما كنت

●الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ هو أهلُ التقوى وأهلُ المغفرة، أحمدُه تعالى وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له، جعلَ التقوى سبباً لمغفرةِ الذنوبِ وسترِ العيوبِ، اللَّهُمَّ إنَّا نسألُكَ التُقى والهُدى، والعفافَ والغنى. وأشهدُ أنّ محمداً عبدُ الله ورسولُه، إمامُ المتقين، وقدوةُ العاملين، وسيِّدُ الناسِ أجمعين، بعثَه الله تعالى رحمةً للعالمين، وحُجَّةً على الهالكين، صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وصحبه الغُرِّ الميامين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فاتّقوا الله أيُّها الناسُ فإنّ تقوى الله تعالى خيرُ زادٍ يُتزوَّدُ به للدار الآخرة، ﴿ **وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىَ**

وَاتَّقُونِ يَاأُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ [البقرة:١٩٧]. وهي وصيّةُ الله تعالى للأولين والآخرين من خلقه، ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ للّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ غَنِيّاً حَمِيداً** ﴾ [النساء:١٣١]. فاتّقوا الله رحمكم الله، اجعلوا بينكم وبين عذاب اللهِ وِقايةً؛ باجتنابِ نواهيه ، واتّباعِ أوامره.

أيُّها الناس:

التقوى وصيّةٌ عظيمةٌ من الله تعالى لعباده، وهي في حقيقتها: العملُ بالتنزيل، والخوفُ من الجليل سبحانه، والرِّضا بالقليلِ، والاستعدادُ ليومِ الرحيلِ والقدومِ على الله، ﴿ **يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

والتقيُّ من عباد الله مُرْهَفُ الضمير، دائمُ الخشيةِ، سريعُ الإنابةِ، يسيرُ في سبيلِ الله تعالى، ويتّقي أشواكَ الطريقِ المُهلكةِ، فؤادُه موصولٌ بمولاه، وَجِلٌ من الشهواتِ والرَّغائبِ، بعيدٌ عن المطامع والدَّنايا.

عن سفيان بن عبد الله الثقفيِّ -رضي الله عنه- قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الإِسْلاَمِ قَوْلاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، أو غَيْرَكَ. قَالَ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ». [رواه مسلم]

وهذه العبارةُ البليغةُ ممّن أُوتي جوامعَ الكَلِمِ ﷺ تفسيرٌ للتقوى على حقيقتِها الشرعيّةِ، وهي أنْ يؤمنَ الإنسانُ بالله سبحانه وتعالى إلهاً وخالقاً،

وربًّاً ومدبِّراً، ثمَّ يستقيمُ على منهجِ ا لله السويِّ، ويلتزمُ بصراطِه المستقيم اتّباعاً للأوامرِ، واجتناباً للنواهي، وبُعداً عن المحرّمات.

أيُّها المسلمون:

يقولُ الحقُّ سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ ا للهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران:١٠٢].

فهل اتّقى ا للهَ حقَّ تُقاتِه من انتهكَ محارمَه وضيّعَ أوامرَه ونواهيه ؟ وهل اتّقى ا لله حقَّ تُقاتِه من ضيّعَ شبابَه في غير طاعة ا لله سبحانه ؟ وصرفَ عُمرَه في معصية ا لله، دونَ أن يُقدّمَ لنفسهِ ما يُخلِّصُها من عذاب ا لله، ويُدخلها الجنّةَ برحمةِ ا لله ؟ وهل اتّقى ا لله حقَّ تُقاتِه من كسبَ المالَ من الحرام والغشِّ والخِداعِ، وأنفقَه في الحرامِ ؟ وهل اتّقى ا لله حقَّ تُقاتِه من أضاعَ الأمانةَ، ولم يَقُمْ بالمسئوليّة المُلقاةِ على عاتقهِ نحو ا للهَ سبحانه وأهلَه ومن تحتَ يده ؟

إنَّ التقوى في حقيقتها ليست ادِّعاءً مُجرَّداً عن الحقيقة والانتماء، وإنَّما هي شعورٌ يختلجُ في الصدر، فيظهرُ على الجوارحِ من خلالِ العملِ الصالح والخوفِ والخشيةِ من ا لله سبحانه، والاستعدادِ ليومِ القدومِ على ا لله.

ولستُ أرى السعادةَ جَمْعَ مالٍ ولكنَّ التّقيَّ هو السعيدُ
فتقوى ا لله خيرُ الزادِ ذُخراً وعندَ ا لله للأتقى مزيدُ

وتبلغُ التقوى تمامَها -كما قال أبو الدَّرْدَاءِ رضي ا لله عنه- حين يتّقي العبدُ ربَّه من مثقالِ الذرَّةِ، ويتركَ ما يرى أنَّه حلالٌ مخافةَ أن يكونَ حراماً؛

ليكونَ حِجاباً بينَه وبينَ الحرامِ، فإنَّ الله سبحانه قد بيَّنَ لعباده ما يُصيِّرُهم إليه فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ [الزلزلة:٧-٨].

عباد الله:

إنَّ التقوى كما وردت في عباراتِ السلفِ الصالحِ -رضوانُ اللهِ عليهم- هي: أن يعملَ الإنسانُ بطاعةِ الله على نورٍ من الله، يرجو ثوابَ الله، وأن يترُكَ معصيةَ اللهِ على نورٍ من الله، يخافُ عقابَ الله. يُوضِّحُ ذلك ما قالَه الحقُّ سبحانه وتعالى في مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ آتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُوْلَـئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون:٦٠-٦١].

وأعظمُ ما تكونُ التقوى إذا خلت النفسُ مع ربِّها، وطغت عليها شهواتُها، وانفردَ بها شيطانُها، فتذكَّرتْ عالمَ السرِّ والنجوى الذي يسمعُ دبيبَ النملةِ السوداءِ على الصخرةِ الصَّماءِ في الليلة الظلماءِ، ويرى نياطَ عروقِها ومكانَها، وخافت من نارٍ تلظّى، لا يصلاها إلاّ الأشقى، الذي كذّبَ وتولّى، فآثرت هُداهَها على هواها، وعادت إلى ربِّها، وذكرت أمرَ خالقِها، ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأتْقَى * الَّذِى يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىَ ﴾ [الليل:١٧-١٨].

عن أبي ذرٍّ -رضي الله عنه- قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» .

[رواه الترمذيُّ، وأحمدُ، وهو صحيحٌ]

ومن وصايا بعضِ السلفِ لبعضٍ: (أوصيكَ بتقوى ا لله الذي هو نجيُّكَ في سريرتكَ، ورقيبُكَ في علانيّتكَ، فاجعلِ ا للهَ من بالكَ على كلِّ حالٍ، في ليلكَ ونهارك، وخفِ ا للهَ بقدر قُربه منكَ وقدرته عليك).

إنَّ ا لله سبحانه وتعالى أهلٌ أن يُخشى ويُتّقى، ويُهابُ ويُعظَّمُ في صدور عباده، حتّى يعبدوه ويُطيعوه لما يستحقُّ من الإجلالِ والإكرامِ، وصفاتِ الكبرياءِ والعظَمَةِ، وقوَّةِ البطشِ وشدَّةِ البأس.

وإنَّ التقوى هي المُحرِّكُ للمؤمنِ، والباعثُ للمتواني على القيام بالتكاليف الشرعيَّةِ التي افترضَها ا للهُ على العباد؛ فكم من أعمالٍ وواجباتٍ تضعُفُ عنها النفوسُ الضعيفةُ، وتستثقلُها القلوبُ المريضةُ ما حملَ المؤمنَ على القيامِ بها، والعناءَ من أجلِها، والصبرِ عليها إلاّ التقوى والمحاسبةُ. فأصحابُ القلوبِ النقيّة تهونُ عندهم الدنيا، وتصغُرُ في أعينِهم كبارُ مصائبِها، ويتحمّلونَ العذابَ والمشاّق في سبيل المحافظة على إيمانِهم، وسلامةِ تقواهم.

سُئلَ رسولُ ا لله ﷺ عن أكثرِ ما يُدخلُ الناسَ الجنَّةَ، فقال: « تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ» .[رواه أحمدُ والترمذيُّ وصحّحَه]

وقال عمرُ بن عبد العزيز -رحمه ا لله-: (ليس تقوى ا للهِ بصيامِ النهار، ولا بقيامِ الليل، والتخليطِ فيما بين ذلك، ولكنَّ تقوى ا للهِ تركُ ما حرّم ا لله، وأداءُ ما افترضَ ا لله، فمن رُزِقَ بعدَ ذلك خيراً فهو خيرٌ إلى خيرٍ).

وعن أبي ذرٍّ -رضي الله عنه- أنّ رسولَ الله ﷺ قال: « أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا رَأْسُ الأَمْرِ كُلِّهِ» .[رواه ابن حبّان]

أيُّها المسلمون:

كم للتقوى من ذكرٍ في كتاب الله، وكم عُلِّقَ عليها من خيرٍ، ووعِدَ عليها من ثوابٍ، ورُبِطَ بها من فلاحٍ، وانعقدَ عليها من كرامةٍ؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالى مع المتقين بنصرهِ وتأييدهِ، وتوفيقِه وهدايتهِ، ومن كان الله معه فمن يضرُّه ؟!

﴿ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨]. إنَّ استجلابَ الخيراتِ، وتنزُّلَ البركاتِ لا يكونُ إلاَّ بالإيمان الصادق بالله تعالى المقرونِ بالتقوى، ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٣] ، ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦] ، ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ [الطلاق:٢-٣].

ولهذا كلّه فما زالَ السلفُ -رضي الله عنهم- يتواصونَ بالتقوى، ويتعاهدونَ بعضَهم بالوصيَّةِ بها. كتبَ عمرُ بن عبد العزيز -رحمه الله- إلى رجلٍ ، فقال: (أوصيكَ بتقوى اللهِ عزَّ وجلَّ التي لا يقبلُ غيرَها، ولا

يرحمُ إلاّ أهلَها، ولا يُثيبُ إلاّ عليها، فإنَّ الواعظين بها كثيرٌ، والعاملين بها قليلٌ، جعلَنا ا للهُ وإيَّاكَ من المتقين).

وكتبَ بعضُهم إلى صاحبه: (أوصيكَ بتقوى ا للهِ؛ فإنَّها أكرمُ ما أسررتَ، وأحسنُ ما أظهرتَ، وأفضلُ ما ادَّخرتَ، أعاننا ا للهُ وإيَّاكَ عليها، وأوجبَ لنا ولكَ ثوابَها).

عباد ا لله:

وحين تتمكَّنُ التقوى من النفوسِ، وتتربَّعُ في سويداءِ القلوبِ تجعلُ صاحبَها عبداً لله حقَّاً، إذا خلا بمحارمِ ا لله خافَ ا للهَ تعالى واتَّقاه، وعظَّمَه أن يكونَ أهونَ الناظرين إليه.

عن ثوبانَ –رضي ا لله عنه– أنَّ المصطفى ﷺ قال: « لأَعْلَمَنَّ أَقْوَاماً مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا ». قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ. قَالَ: « أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا» .[رواه بانُ ماجة بسندٍ صحيحٍ]

وإذا خلوتَ بريبةٍ في ظُلمةٍ والنفسُ داعيةٌ إلى الطُغيانِ
فاستحيِ من نظرِ الإلهِ وقلْ لها إنّ الذي خلقَ الظلامَ يراني

يقولُ ابنُ رجبٍ –عليه رحمةُ ا لله– موضِّحاً السببَ المباشرَ وراءَ تلكَ الحياةَ الكريمةَ التي حقَّقَها السلفُ الصالحُ من الصحابةِ والتابعين هم

بإحسانٍ في القرون الماضية: (ما زالتِ التقوى بالصحابةِ حتّى تركوا كثيراً من المباحاتِ خشيةَ أن تكونَ من المُحرّمات).

كان عمرُ بن الخطّاب -رضي ا لله عنه- كثيراً ما يقولُ: (وا لله إنّي لأخشى أن أكونَ ممّن يُقالُ لهم يومَ القيامةِ أذهبتُم طيّباتكم في حياتكم الدنيا، واستمتعتُم بها، ثمّ يبكي حتّى يبلَّ الثرى).

وذكرَ البخاريُّ عن عائشةَ -رضي ا لله عنها- قالت: (كان لأبي؛ -أبي بكر الصديق- غلامٌ يأكلُ من خراجِه، فجاءه ذاتَ يومٍ بطعامٍ؛ فأكلَ منه، فلَمَّا فرغَ قال له الغلامُ: يا أبا بكرٍ! أتدري من أيِّ طعامٍ أكلتَ ؟ قال: لا ! قال: إنّي كنتُ تكهَّنتُ في الجاهليّة، ولم أكنْ أُحسنُ الكِهانةَ، فأصبتُ مالاً، وإنَّ هذا الطعامَ من بقايا ذلك المال. فقام أبو بكرٍ -رضي ا لله عنه- فأدخلَ يدَه في فمِه، فقاءَ ما في بطنِه كلَّه، مخافةَ أن يدخلَ جوفَه حرامٌ).

وذكرَ أهلُ السيرِ أنَّ امرأةً كانت تغزلُ للناسِ، فجاءت إلى الإمامِ أحمدَ ابن حنبلَ -رحمه ا لله-، فسألته، فقالت: يا أبا عبد ا لله ! إنّي امرأةٌ أغزلُ للناس وأنسُج لهم، وإنّي أغزلُ في الليل على ضوء السراج، فينطفيءُ أحياناً، فأغزلُ على ضوءِ القمرِ، فهل يلزمُني أن أُبيِّنَ للناسِ ما غزلتُه على ضوءِ السراجِ، وما غزلتُه على ضوءِ القمرِ ؟! فبكى الإمامُ أحمدُ من ورعِ المرأةِ، ثمّ سألها عن أهلِها، فذكرت أنّها أُختُ بِشْرٍ الحافيِّ رحمةُ ا لله على الجميع.

بمثل هذه النماذج الرائعةِ في الورعِ والتقوى، وتحقيق الخشيةِ لله تعالى وفقَ ما أمرَ به سبحانه سادَ السلفُ على العالم، يومَ أن حقّقوا التقوى واقعاً ملموساً في حياتِهم، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، ومن اتّقى الشُبُهات فقد استبرأ لدينِه وعرضه. حتّى ليصدُقُ فيهم قولُ القائل:

كُنّا جبالاً في الجبالِ ورُبَّما ... سِرْنَا على موجِ البحارِ بحاراً

بمعابدِ الإفرنجِ كان أذانُنا ... قبلَ الكتائبِ يفتحُ الأمصارا

لم تنسَ أفريقيا ولا صحراؤها ... سجَدَاتِنا والحربُ تقذفُ ناراً

كُنّا نرى الأصنامَ من ذهبٍ ... فنحطمُها ونحْطِمُ فوقَها الكُفّارا

فاتّقوا الله عباد الله، واقتفوا آثارَ سلفكمِ الصالح، **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** [الحشر:١٨].

أقول قولي هذا وأستغفرُ الله تعالى فاستغفروه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ على إحسانِه، والشكرُ له على توفيقه وامتنانه، وأشهدُ أن لا إله إلاّ ا للهُ وحده لا شريك له ، تعظيماً لشأنِه ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ ا للهِ ورسولُه الدّاعي إلى رضوانِه، صلى ا للهُ عليه وعلى آلــه وصحبــه وإخوانِــه، وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم القيامة.

أمّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتّقوا ا للهَ تعالى واشكروه وأطيعــوه وراقبــوه ، واعلمــوا أنّكــم ملاقــوه، فكونوا مع المتقين.

عباد ا للهِ:

المتقون ذوو نفوسٍ تقيّةٍ، وقلوبٍ زكيّةٍ، تتوقّى الضلالةَ، وتجتنبُ سُبلَ الغِوايةِ، يُعظّمونَ شعائرَ ا للهِ ، فيأتونَ الحلالَ تقرُّباً إلى ا للهِ، وحُبَّاً في الخـيرِ، ويبتعدونَ عن الحرامِ امتثالاً لأمر ا للهِ، وبُغْضاً لمـا حـرَّمَ ا للهُ. ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ ا للهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [الحج:٣٢].

المتقونَ أبعدُ الناسِ عن الانخداعِ بنزغاتِ الشيطانِ وتوهيمِه، فإذا مسَّهم طائفٌ منه تذكّروا فإذا هم مبصرون. قال معاذُ بن جبلٍ -رضي ا للهُ عنــه: (يُنادى يومَ القيامةِ أينَ المتقون ؟ فيقومــونَ في كَنَـفِ الرحمـنِ، لا يحتجـبُ

منهم ولا يستترُ. قالوا: ومن المتقون ؟ قال: قومٌ اتّقوا الشركَ وعبادةَ الأوثانِ، وأخلصوا لله العبادة).

وقال ابنُ عباسٍ -رضي ا لله عنه-: (المتقونَ هم الذين يحذرون من ا لله عقوبتَه في تركِ ما يعرفون من السيئاتِ والهُوى، يرجونَ رحمتَه بالتصديقِ بما جاءَ به من البيِّناتِ والهُدى).

المتقونَ -يا عباد ا لله- قومٌ تنزَّهوا عن أشياءَ من الحلالِ المباحِ مخافةَ أن يَقعوا في الحرام، فسمَّاهم ا للهُ مُتقينَ. ولقد قال المصطفى ﷺ : « لاَ يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لاَ بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ الْبَأْسُ ».

[رواه الترمذيُّ، وابنُ ماجه]

وأصلُ التقوى؛ أن يعلمَ الإنسانُ ما يتقى ثم يتقيه. وفي صفات أهل الإيمان والتقوى يقولُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ -رضي ا لله عنه-: (هم أهلُ الفضلِ، منطقُهم الصوابُ، وملبسُهُم في اقتصادٍ، ومشيُهم في تواضُعٍ، غضّوا عن الحرامِ أبصارَهم، ووقفوا على ما يُستفادُ أسماعَهم، نزلت أنفسُهم منهم في البلاء كما نزلت في الرَّخاءِ، عظُمَ الخالقُ في نفوسِهم، فصَغُرَ ما دونَه في عيونِهم، قلوبُهم محزونةٌ، وشرورُهم مأمونةٌ، مطالبُهم في الدنيا خفيّةٌ، وأنفسُهم عمَّا فيها عفيفةٌ، صبروا أيَّاماً قصيرةً، فأعقبَهم راحةً طويلةً، يصفّونَ أمامَ ربِّهم، جاثونَ على الرُّكَبِ، يطلبونَ النجاةَ من العَطَبِ، لا يرضونَ من الأعمالِ الصالحةِ بالقليل، ولا يستكثرونَ منها

الكثيرَ، من ربِّهم وجلون، ومن أعمالِهم مشفقونَ، يتحمَّلونَ في الفاقةِ، ويصبرون في الشدَّةِ، ويشكرونَ على النعمةِ، قريبٌ أملُهم، قليلٌ زَلَلُهم، الخيرُ فيهم مأمولٌ، والشرُّ منهم مأمونٌ).

أيُّها المسلمون:

قد يُرى المُتقيّ في هذه الحياةِ رثَّ الثيابِ، خَشِنَ المنظرِ، ضعيفاً مُتضَّعَفاً، فتزدريه العيونُ، وتحتقرُه النفوسُ، وهو من أولياءِ الله الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتّقون.

ورُبَّ أشعثَ أغبرَ ذي طِمْرين بالين لا يُؤْبَهُ له، مدفوعٌ بالأبوابِ لو أقسمَ على الله تعالى لأبرَّ اللهُ قسمَه.

المتقون: رضوا بالله تعالى ربَّاً، وبالإسلامِ ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبيّاً ورسولاً، لا يأكلون الرِّبا، ولا يستمعونَ الغناءَ، ولا يستحلّون الرِّشَا، يُطعمونَ الطعامَ، ويُفشونَ السلامَ، ويُصلُّونَ بالليل والناسُ نيامٌ، ويَصِلُونَ الأرحامَ طمعاً في دخولِ الجنّةِ دارِ السلام. يأمرونَ بالمعروف، وينهونَ عن المنكر، ويُخلصونَ النصيحةَ للمسلمين، يؤثرون على أنفسِهم ولو كان بهم خصاصةٌ، أذلّةٌ على المؤمنين، أعزَّةٌ على الكافرين، يُجاهدونَ في سبيل الله ولا يخافون لومةَ لائمٍ، لا يستهينون بصغيرةٍ من الذنوب، ولا يتجترئونَ على كبيرةٍ، ولا يُصرّون على خطيئةٍ وهم يعلمون.

عباد ا لله:

وإذا تحلَّى العبدُ بالتقوى اتَّصفَ بالإخلاصِ لله في كلِّ عملٍ، وصِدقِ الاتِّباعِ للرسولِ ﷺ ، فصارَ جميلَ الخُلُقِ، طيِّبَ القولِ، منافساً في الخيرِ، سبّاقاً إلى كلِّ فضيلةٍ، يعبدُ ربَّه عبادةَ من يوقنُ بالوقوفِ بين يديهِ، والعرضِ عليه، ويخشاه خشيةَ من يعلمُ أنَّ ا لله مُطَّلِعٌ عليه ويراه أينما كان، وأنَّه سبحانه وتعالى يجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

وهناكَ جانبٌ مُهِمٌّ يغفلُ عنهُ فئامٌ من الناس، وهو أنَّ كثيراً منهم يظنُّ أنَّ التقوى هي القيامُ بحقوق ا لله تعالى ، والابتعادُ عن معصيتِه فقط، ويُفرِّطوا في حقوقِ الناس، وهذا جميلٌ وحسنٌ، ولكنَّ التقوى الكاملةَ هي القيامُ بحقوقِ ا للهِ تعالى وحقوقِ الناسِ جميعاً.

يقولُ الحافظُ ابنُ رجبٍ -رحمه ا لله-: (وكثيراً ما يَغْلِبُ على من يعتني بالقيامِ بحقوقِ ا لله، والانعكافِ على محبّتِه وخشيتِه وطاعتِه إهمالُ حقوقِ العبادِ بالكُلِّيَّةِ أو التقصيرُ فيها، والجمعُ بين القيامِ بحقوقِ ا لله وحقوقِ عباده عزيزٌ جدًّا، لا يقوى عليه إلاَّ الكُمَّلُ من الأنبياءِ والأتقياءِ).

فاتّقوا ا لله تعالى حقَّ التقوى، حقّقوا التقوى واقعاً ملموساً في حياتكم، قوموا بحقوق ا لله تعالى وحقوقِ عباده على الوجهِ الذي يُرضى ا لله عنكم.

ثم صلّوا وسلّموا رحمكم الله على المبعوث رحمةً للعالمين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتّم التسليم...

ﻬ ﻬ ﻬ

مفهوم الولاء والبراء في الإسلام

●الخطبة الأولى:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، أمرَ عبادَه المؤمنين بمعاداة الكافرينَ، فقالَ وهو أحكمُ الحاكمين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الممتحنة:١]. أحمدُه تعالى وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له ألّفَ بين قلوب المؤمنين، وجعلَهم إخوةً في الدينِ متراحمينَ مُتحابين. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه المبعوثُ بالهدي القويم، والشرعِ المُبينِ إلى العالمين، صلّى الله وسلّم وبارك عليه وعلى آله الطيّبين الطاهرين وصحبِه الغُرِّ الميامين.

أمّا بعد:

فاتّقوا الله عباد الله، وراقبوه سبحانه وتعالى وأطيعوه، ما لكم من إلهٍ غيره، ولا ربَّ لكم سواه، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ

وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ ا للهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ ا للهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١].

أيُّها الناس:

من أهمِّ القضايا العقَديّة التي تربطُ بين أبناء المسلمين، وتصلُ بين أفرادِهم، في بُعدٍ عن النّعَرَاتِ الجاهليّةِ، والرّوابطِ الأرضيّة الماديّةِ: قضيَّةُ الولاءِ والبراءِ؛ الولاءِ في ا لله ومن أجلِهِ، والبراءِ في ا لله ومن أجلِهِ، الولاءِ للمؤمنين، والبراءِ من الكافرينَ والمنافقينَ وسائرِ أعداءِ الدين.

الولاءُ والبراءُ: أصلٌ عظيمٌ من أهمِّ أصولِ العقيدةِ الإسلاميّة ، المميَّزةِ لأتباعِها، من أجلها أهلكَ ا للهُ المُكذِّبينَ، وأنجى الموحِّدين، من أجلِها أغرقَ ا لله ولدَ نوحٍ لّما كفرَ با لله، وأنقذَ أهلَه من الطوفانِ لّما آمنوا، من أجلِ الولاءِ والبراءِ في ا لله تبرَّأ إبراهيمُ عليه السلامُ من أبيهِ وقومِهِ، وهاجرَ إلى ربِّه، ومن أجلِه قاتل الصحابةُ الكرامُ -رضوانُ ا لله عليهم- آباءَهم وأبناءَهم وإخوانَهم وعشيرتَهم لّما كفروا، وتبرَّأوا منهم، وقامت سوقُ الجنّة والنار.

عن أنسِ بن مالكٍ -رضي ا لله عنه- أنَّ رسولَ ا لله ﷺ قال: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النّارِ» .[متفقٌ عليه]

الولاءُ والبراءُ في الإسلامِ: معناه ومفهومُه أن تواليَ من أجل ا لله تعالى، وتُعادي من أجلِهِ، تُحبُّ في ا لله ، وتُبغضُ فيه، فالحبُّ في ا لله والبُغضُ في

ا لله من أوثقِ عُرى الإيمان، وهو أصلٌ عظيمٌ من أصولِ العقيدةِ والإيمان، يجبُ على العبدِ المسلمِ مراعاتُه ، وبناءُ علاقاتِه مع الناس عليه، فقد روى الإمامُ أحمدُ عن البراءِ بن عازبٍ -رضي ا لله عنه- أنَّ رسولَ ا لله ﷺ قال: « إِنَّ أَوْسَطَ عُرَى الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ » .

ولقد أكثرَ ا للهُ سبحانه وتعالى من ذكر الولاء والبراءَ في كتابه الكريم؛ تبييناً لأهميَّتِهِ ومكانتِهِ في حياةِ المسلمين. قال ا لله سبحانه: **﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ا للهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ ا للهُ نَفْسَهُ وَإِلَى ا للهِ الْمَصِيرُ﴾** [آل عمران:٢٨].

قال بعضُ المفسِّرين: (نهى ا للهُ عبادَه المؤمنين أن يوالوا الكافرينَ؛ كقرابةٍ بينهم، أو صداقةٍ قبلَ الإسلام، أو غيرِ ذلك من الأسبابِ التي يُتصادقُ بها ويُتعايشُ).

وقال ابنُ عباسٍ -رضي ا لله عنهما-: (نهى ا للهُ المؤمنين أن يُلاطفوا الكُفّارَ، ويتّخذوهم وليجةً من دونِ المؤمنين، إلاّ أن يكونُ الكُفّارُ ظاهرين، فيُظهروا لهم اللُطفَ، ويُخالفوهم في الدين، وذلكَ قولُه تعالى: **﴿ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾**).

وقال سبحانه وتعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ ا للهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** [المائدة:٥١]. قال حُذيفةُ -رضي ا لله عنه-: (ليتقِ أحدُكم أن

يكونَ يهوديًّا أو نصرانيًّا وهـو لا يشعرُ؛ فإنَّ الله يقولُ: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾).

نعم عباد الله ! كيفَ يدّعي رجلٌ محبّةَ رسولِ الله وهو يُحبُّ أعداءَه الذين ظاهروا الشياطينَ على عداوتِهم، واتّخذوهم أولياءَ من دون الله.

أتُحبُّ أعداءَ الحبيبِ وتدّعي	حُبّاً له ما ذاكَ في إمكانِ
وكذا تُعادي جاهداً أحبابَه	أينَ المحبةُ يا أخا الشيطانِ ؟
شرطُ المحبّةِ أن توافقَ من تُحبُّ	على محبّتِه بلا عصيانِ
فإذا ادّعيتَ له المحبّةَمع خلافِك	ما يُحبُّ فأنتَ ذو بُهتانِ

أيُّها المسلمون:

إنَّ عقيدتَنَا تُحرِّمُ علينا موالاةَ الكافرينَ والمشركينَ واليهودَ والنصارى والمجوسَ والذين أشركوا، ولو كانوا من أقربِ الناسِ إلينا نَسَباً، وتوجبُ علينا البراءَةَ منهم والبُعدَ عنهم، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَآءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَآءَ إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة:٢٣]. ﴿لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آبَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢].

فقد نفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عمَّن هذا شأنُه ولو كانت مودّتُه ومحبّتُه ومناصحتُه لأبيهِ وأخيهِ وأبنهِ، ونحوهِم من أقربائِه فضلاً عن غيرِهم مِمّا يدلُّ على عِظَمِ الأمرِ وخطورتِه، وأنّ الواقعَ فيه قد يخرجُ من الإيمان إلى الكفر بمقدار ما قامَ به من ولاءٍ ومحبّةٍ لهم.

قال الإمامُ المُجدِّدُ شيخُ الإسلامِ محمد بن عبد الوّهاب -رحمه الله-: (من لم يُكفِّرِ الكافرينَ أو يشكُّ في كُفرِهم أو يتبرأ منهم كفرَ).

ولقد عاتبَ الله بعضَ المؤمنينَ لموالاتِهم ونُصحِهم للمشركين، شاهدُ ذلك: ما ذكرَه ابنُ إسحاقَ في السيرةِ عن عروةِ بن الزُّبير -رضي الله عنه- قال: لمّا أجمعَ الرسولُ ﷺ المسيرَ إلى مكّةَ لفتحِها، أخفى الأمرَ، فكتبَ حاطبُ بنُ أبي بَلْتَعَةَ كتاباً إلى أهلِها، يُخبرُهم بالذي أجمعَ عليه رسولُ الله ﷺ من الأمرِ في السيرِ إليهم، ثمَّ أعطاه امرأةً من مُزينَةَ مولاةً لبني عبد المطّلب، وجعلَ لها جُعْلاً، على أن تُبلِّغَه المشركينَ، فجعلته في رأسِها، ثمَّ فتلت عليه شعرَها، وخرجت به، وأتى رسولَ الله الخبرُ من الله بما صنعَ حاطبُ، فبعثَ عليّاً والزُّبيرَ، وقال لهما: « أدركا امرأةً قد كتب معها حاطبُ كتاباً إلى مكّةَ ، يُحذِّرُهم ما قد أجمعنا لهم من أمرنا ». فخرجا حتى أدركا المرأةَ بالخُليفةِ، فاستنزلاها، واستخرجا الكتاب من عِقَاصِها، فاتيا به رسولَ الله ﷺ ، فدعا حاطباً، فقال: « يا حاطبُ ! ما حملَكَ على هذا ؟ ». قال يا رسولَ الله ! أما والله إنّي لمؤمنٌ بالله وبرسولِه، ما غيّرتُ ولا بدّلتُ، ولكنّي كنتُ امرءً ليس لي في القوم من أهلٍ ولا عشيرةٍ، وكان لي بين أظْهُرِهم ولدٌ وأهلٌ أخشى عليهم،

فصانعتُهم من أجلِهم. فقال عمرُ -رضي الله عنه-: دعني يا رسولَ اللهِ أضربُ عُنُقَ هذا المنافقَ. فقال ﷺ: « وما يُدريكَ يا عمرُ لعلَّ الله اطّلعَ على أهلِ بدرٍ، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرتُ لكم ». فأنزلَ الله تعالى قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ**﴾ [الممتحنة: ١].

روى الإمامُ أحمدُ والترمذيُّ وحسّنَه عن ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: « لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ وَالْتَقَوْا فَهَزَمَ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ، فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلاً وَأُسِرَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلاً، فَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ وَعَلِيًّا وَعُمَرَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! هَؤُلاءِ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةُ وَالإِخْوَانُ، فَأَنَا أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنْهُمُ الْفِدَاءَ، فَيَكُونُ مَا أَخَذْنَا مِنْهُمْ قُوَّةً لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ، وَعَسَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَهْدِيَهُمْ فَيَكُونُونَ لَنَا عَضُدًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ فَقَالَ: قُلْتُ وَاللَّهِ مَا أَرَى مَا رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَنِي مِنْ فُلاَنٍ -قَرِيبٍ لِعُمَرَ- فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَ حَمْزَةَ مِنْ فُلاَنٍ -أَخِيهِ- فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، حَتَّى يَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ، هَؤُلاَءِ صَنَادِيدُهُمْ وَأَئِمَّتُهُمْ وَقَادَتُهُمْ. فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَأَخَذَ مِنْهُمُ الْفِدَاءَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ قَالَ عُمَرُ: غَدَوْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَإِذَا هُوَ قَاعِدٌ وَأَبُو بَكْرٍ، وَإِذَا هُمَا يَبْكِيَانِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي مَاذَا يُبْكِيكَ أَنْتَ وَصَاحِبَكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ

أَجدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا. قَالَ: قَالَ: النَّبيُّ ﷺ الَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنَ الْفِدَاء، وَلَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ -لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ- وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ** ﴾ ، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ **لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ** ﴾ أي : مِنَ الْفِدَاءِ ، فقال رسولُ الله: «إِنْ كَانَ لَيَمَسَّنَا فِي خِلاَفِ اِبْنِ الخَطَّابِ عَذَابٌ عَظِيْمٌ، وَلَو نَزَلَ عَذَابٌ مَا أُفْلِتَ إلاَّ عُمَرَ ».

فأينَ هذا مِمّا يفعلُه كثيرٌ من المسلمين من موالاةِ أعداءِ الأمّة، والسعي في مصالحِهم، ومُحاربةِ أبناءِ جلدتِه من المسلمين.

لقد ضيّعَ فئامٌ من المسلمين هذا الأصلَ العظيمَ مع شديد الأسف، وجَهِلوا مفهومَه، واتّخذوا الكُفّارَ واليهودَ والنصارى أولياءَ؛ إخواناً وأصدقاءَ. ناهيكم -عباد الله- عمّا يقعُ في مجتمعات المسلمين من تضييعِ أُسُسِ هذا الجانب العَقَديِّ، والتفريطِ فيه، فتجدُ من يوالي المنافقين والعِلْمانيين والمُرْجئة، ويُبادُلهم المحبّةَ، بحجّة أهلِ النفاقِ الدَّاحضةِ: ﴿ **إِنْ أَرَدْنَآ إِلاَّ إِحْسَاناً وَتَوْفِيقاً** ﴾ [النساء:٦٢]. بل ويتنصَّلُ من ولاءِ المؤمنين، والبراءِ من أجلهم، ويعمدُ إلى سبّهم، والتشهيرِ بهم، وعدمِ المبالاة بما يقعُ فيه من تجريحِ أعراضِهم، والوقيعةِ في الأذيَّةِ لهم.

وأينَ الولاءُ والبراءُ مِمّا عليه كثيرٌ من المسلمين، لا سيّما أبناؤهم من التشبُّه بالكفرة والملحدينَ في لباسِهم، وميوعتِهم، وكلامِهم وأخلاقِهم، مِمّا يؤكّدُ على الحبِّ لهم ، وهذا يورثُ نوعاً من التّبَعيّة لهم، فمن تشبّه

بقومٍ فهو منهم. ومن السفر إلى بلادهم لأغراضٍ متعدّدةٍ منها النُزهةُ ومُتعةُ النفسِ -على حدِّ زعمهم- ، وهو في الحقيقةِ إزهاقٌ لأنفسِهم.

وقد قال المصطفى ﷺ : «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ». [رواه الترمذيُّ، وأبو داود]

وقد استثنى العلماءُ من ذلك: المجاهدَ في سبيل ا لله، والداعيةَ إلى ا لله، والمسافرَ للعلاجِ أو الدراسةِ التي تنفعُ المسلمين، أو للتجارة، كلُّ ذلك مشروطٌ بأن يكونَ المسلمُ مظهراً لدينه، عالماً بما أوجبَ ا لله عليه، قويَّ الإيمانِ با لله، قادراً على إقامةِ شعائره، وللضرورةِ حينئذٍ أحكامُها.

وأينَ الولاءُ والبراءُ ممّن يُعينُهم ويُناصرُهم على المسلمين بأيٍّ وسيلةٍ كانت، بل ويمدحُهم ويذُبُّ عنهم ؟ وهذا من أسبابِ الرِّدَةِ ونواقضِ الإسلامِ عياذاً با لله.

وأينَ الولاءُ والبراءُ ممّن يستعينُ بهم من دون المؤمنين، ويثقُ بهم، ويولّيهم المناصبَ التي فيها أسرارُ المسلمين، ويتّخذُهم بطانةً ومستشارين ؟ وقد قال ا لله سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ [آل عمران:١١٨].

واينَ الولاءُ والبراءُ -أيُّها المسلمون- ممّن يستقدمونَ الكفرةَ إلى بلاد المسلمين، ويجعلونَهم عُمّالاً وسائقينَ ومربيّنَ في البيوت، ويتركونَ المسلمينَ المحتاجينَ دونَ عملٍ أو صناعةٍ ؟

وأينَ الولاءُ والبراءُ ممّن يُشاركونَهم في أعيادِهم ومناسباتِهم، وتهنئتِهم بها، ويمدحونَهم، ويُشيدونَ بماهم عليه من مدنيّةٍ وحضارةٍ، ويُعجَبونَ بأخلاقِهم ومهاراتِهم، دونَ نظرٍ إلى عقائدِهم الباطلةِ، ودينهم الفاسدِ ؟؟

وأين الولاءُ والبراءُ عمّن يُخاطبُهم بألفاظِ الإحترام والتبجيل، وقد نهى النبيُّ ﷺ عن ذلك بقوله: « لاَ تَقوُلوُا لِلمُنَافِقِ يَا سَيِّدَ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدَاً فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُم عَزَّ وَجَلَّ» .[رواه البخاريُّ وغيرُه]

أيُّها المسلمون:

إنَّ الولاءَ والبراءَ أُسٌ من أُسُسِ العقيدة المهمّةِ التي لن يسلمَ لأحدٍ دينُه إلاّ بالمحافظةِ عليه، فإنَّ اليهودَ والنصارى والذين أشركوا يُدبِّرون ضدَّ المسلمين الخُطَطَ، ويحيكونَ لهم المؤامراتِ، مهما كانت ثقةُ المسلمين بهم، وصدق الله العظيمُ حيثُ يقولُ: ﴿ **وَلَنْ تَرْضَىَ عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَىَ حَتَّىَ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَىَ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**﴾ [البقرة:١٢٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، ولا عدوانَ إلاّ على الظالمين، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، إلهُ الأولين والآخرين، وقيّومُ يوم الدين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه المبعوثُ رحمةً للعالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: فيا أيُّها الناس:

يروى أنَّ عمرَ بن الخطّاب-رضي الله عنه- دخلَ على قاضيه أبي موسى الأشعريِّ، فسألَه عن كاتبه، فقال: لي كاتبٌ نصرانيٌّ. فقال: قاتلكَ اللهُ ! أما سمعتَ قولَ اللهِ عزّ وجلّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة:٥١]. ألا اتّخذتَ كاتباً حنيفاً ؟ قال: يا أمير المؤمنين ! لي كتابتُه وله دينُه ، فقال عمرُ: ألاَ لا تُكرموهم وقد أهانَهم اللهُ، ولا تُعزُّوهم وقد أذلَّهم اللهُ، ولا تُدنوهم وقد أقصاهم اللهُ.

وروى مسلمٌ في صحيحه وأحمدُ واللفظُ له: « عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى بَدْرٍ فَتَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلَحِقَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ، فَقَالَ: إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَتْبَعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ قَالَ: تُؤْمِنُ باللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ ؟ قَالَ: لاَ! قَالَ: ارْجِعْ فَلَنْ نَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ . قَالَ: ثُمَّ لَحِقَهُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَفَرِحَ بِذَاكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ لَهُ قُوَّةٌ وَجَلَدٌ،

فَقَالَ: جِئْتُ لأَتْبَعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ. قَالَ: تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ قَالَ: لاَ! قَالَ: ارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ، قَالَ: ثُمَّ لَحِقَهُ حِينَ ظَهَرَ عَلَى الْبَيْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ قَالَ: نَعَمْ! قَالَ: فَخَرَجَ بِهِ» .

عباد الله:

وإذا كان الله عزَّ وجلَّ حرَّمَ موالاةَ الكُفَّارِ أعداءِ العقيدة الإسلاميّة، فقد أوجبَ سبحانه وتعالى موالاةَ المؤمنين، ومحبّتَهم، فقال سبحانه وتعالى: **﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ* وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾** [المائدة:٥٥-٥٦].

فالمؤمنون إخوةٌ في العقيدة وإن تباعدت أنسابُهم وأوطانُهم، واختلفت أجناسُهم وأزمانُهم، يجبُ على المسلم مناصرتُهم، ومعاونتُهم بكلِّ ما يملكُ، والتألمُ لألمِهم، والسرورُ بسرورِهم، والنصحُ لهم، ومحبّةُ الخيرِ لهم، وعدمُ غِشهم، وخديعتِهم، واحترامُهم، والرِّفقُ بهم، والدعاءُ لهم، وهذا من أهمِّ معالم الإيمان التي لا يكملُ إلاّ بها، فقد قال رسولُ الله ﷺ : « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » .[رواه البخاري]

ثم اعلموا رحمكم الله:

أنَّ الناسَ في الولاءِ والبراءِ على أقسامٍ ثلاثةٍ: أولُهم: من تجبُ محبّتُه محبةً خالصةً لله تعالى، لا معاداةَ فيها، وهم المؤمنون، من الأنبياء والصديقين

والشهداء والصالحين، وعلى رأسِهم نبيُّنا محمدُ بن عبد الله ﷺ، وصحابتُه من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.

وثانيها: من يُبغَضُ ويُعادى بُغضاً ومعاداةً خالصين لله تعالى لا محبّةَ فيهما ولا موالاةَ معهما ، وهم الكُفّارُ والمنافقون والمشركون على اختلافِ أجناسِهم وشعوبِهم.

وثالثُها: من يُحب من وجهٍ، ويُبغَضُ من وجهٍ، فتجتمعُ فيه المحبّةُ والعداوةُ، وهم العُصاةُ من المؤمنين، يُحبّونَ على قدر ما فيهم من الإيمان، ويُبغَضونَ لما فيهم من المعصية التي لم تبلغ درجةَ الكفر والشرك، وهذه المحبّةُ لهم تقتضي مناصحتَهم، والإنكارَ عليهم، فلا يجوزُ السكوتُ على معاصيهم، بل يُنكَرُ عليهم، ويؤمرونَ بالمعروفِ، ويُنهونَ عن المنكر.

ألا فاتقوا الله تبارك وتعالى أيُّها المسلمون ، وصلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم الله تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ». [رواه مسلم]

❧ ❧ ❧

الوضوء: أحكامه وفضله

●الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ القويِّ المتين، خلقَ فسوّى، وقَدّرَ فهدى، وأخرجَ المرعى فجعَله غُثاءً أحوى، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الحمدُ في الآخرة والأولى، وله الحكم وإليه الرُّجعى، يوم يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسوله إمام الهدى، وصفوة الورى، صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آله وصحبه أولي الأحلام والنُهى، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فيا أيُّها الناس اتقوا الله سبحانه وتعالى وراقبوه في السرِّ والنجوى، وتزوّدوا من الأعمالِ الصالحةِ في الحياةِ الدنيا، واعملوا صالحاً، وافعلوا الخير لعلّكم ترحمون.

عباد الله:

الوضوءُ سمةٌ من سماتِ الدينِ الإسلامي الحقِّ الذي حرص على طهارة أتباعه طهارةً حسيّةً ومعنويةً، وهو فرضٌ من فروض الأعيان في الإسلام التي يجب على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أن يحرصا عليها، وأن يتعلّماها على الوجه المشروع، وأن يحذرا من التفريط أو الإفراط فيها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [المائدة:٦].

والوضوءُ -عباد الله- من خصائصِ أمَّةِ محمدٍ ﷺ التي خصّها الله تعالى بها عن سائر الأمم؛ تشريفاً لها وتتويجاً، وتطهيراً لها وتمييزاً؛ قال ﷺ: « إِنَّ أُمَّتِي يُدعونَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ ». [رواه البخاري]

قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: سمعتُ خليلي ﷺ يقول: « تَبْلُغُ الحِلْيَةُ مِنَ المؤمَنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضُوءُ ». [رواه مسلم]

وبجانبِ كونِ الوضوءِ وسيلةً من وسائل التطهُّر والطهارة في حياة المسلم الذي يتوضأُ في اليوم والليلة خمسَ مراتٍ فهو كذلك من أعظمِ

مكفِّراتِ الذنوبِ ومُذْهِبَاتِ الخطايا والآثام؛ فقد قال المصطفى ﷺ لأصحابِهِ: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يُكفِّرُ اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ» قالوا: بلى يا رسولَ الله. قال: «إِسْبَاغُ الوُضُوْءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ...الحديث». [رواه مسلمٌ في صحيحه]

والمَكَارِهُ: تكونُ بشدَّةِ برودةِ الماءِ، أو حرارتِه، أو تألُّمِ الجسمِ منه بمرضٍ ونحوه.

عباد الله:

وإذا كان الوضوءُ أهمَّ شرطٍ لقبولِ الصلاة في قولِهِ ﷺ -فيما رواه مسلمٌ في صحيحه-: «لاَ يَقْبَلُ اللهُ صَّلاةً بِغيرِ طَهُوْرٍ، وَلاَ صَدَقَةٍ مِنْ غُلُولٍ» ، فإنَّ المحافظةَ عليه، والتنبُّهَ لنواقضهِ وشروطهِ وسننِه وآدابهِ علامةٌ من علاماتِ الإيمانِ الصادقِ في العبدِ المسلمِ؛ قال ﷺ : «لا يُحَافِظُ عَلَى الوُضُوءِ إلاَّ مُؤمِنٌ». [رواه أحمدُ وابنُ ماجه]

معاشرُ المسلمين:

وصفةُ الوضوءِ المشروعِ الذي جاءت به السنةُ النبويّةُ المطهرةُ، وبيّنته الأحاديثُ النبويةُ الشريفةُ: تتلّخصُ في أنْ ينوي الإنسانُ الوضوءَ لما يُشرعُ له من صلاةٍ، وتلاوةِ قرآنٍ، وطوافٍ، ونحوها، ثم يُسمّي، ثم يغسلُ كفيّه ثلاثاً، ثم يتمضمضُ ثلاثاً، ويستنشقُ ثلاثاً، ويغسلُ وجهَه ثلاثَ مراتٍ مع غسل لحيته، ثم يغسلُ يديه مع المرفقين ثلاثَ مراتٍ، ثم يمسحُ رأسَه كاملاً وأذنيه مرةً واحدةً بالماء، ثم يغسلُ رجليه ثلاثَ مراتٍ مع الكعبين.

ويُشترطُ لذلك كلِّه: أن يكون المتوضيءُ مسلماً عاقلاً مُميّزاً لـه نيـةٌ في العبادة، وأن يكون الماءُ طهوراً غيرَ نجسٍ؛ والماءُ الطهورُ هو الماءُ الباقي على خلقته التي خلقه الله عليها لم يتغيّر لونُه أو طعمهُ أو ريحهُ، وأن يكون المـاءُ مباحاً غيرَ مغصوبٍ، وأن يُزيلَ المتوضيءُ قبل الوضوءِ ما يمنـعُ وصـولَ المـاء إلى بشرته؛ من طينٍ وعجينٍ وشمعٍ وأصباغ.

عباد الله:

ومن السنن الـتي تراعـى في الوضـوء: السـواكُ؛ ومحلُّـه عنـد المضمضـة، وغسلُ الكفين ثلاثاً قبل البدءِ بالوضوء، والبـداءةُ بالمضمضـة والاستنشـاق قبل غسل الوجه، والمبالغةُ فيهما لغير الصائم، وتخليلُ اللحية الكثيفـة بالمـاء حتى يبلـغَ داخلهـا، وتخليـلُ أصـابع اليديـن والرجلـين، والتيـامنُ في غسـل الأعضاء، والزيادةُ على الغسلة الواحـدة؛ فـإنَّ غسـلَ العضـو الواحـد مـرةً واحدةً هو الواجب وما عدا ذلك سُنَّةٌ.وهـذه السـننُ مكمِّـلاتٌ للوضـوء، وفيها زيادةُ أجرٍ ومثوبةٍ، وتركُها لا يمنعُ صحةَ الوضوء.

فإذا توضأ المسلمُ هذا الوضوءَ فقد جاز له أن يُصلي، وأن يقرأَ القرآنَ، وأن يطوفَ بالبيت، ولو طال الزمنُ على وضوئه مـا لم يحصـل منـه نـاقضٌ من نواقض الوضوء؛ وهي: الخـارجُ مـن السـبيلين مـن بـولٍ وغـائطٍ ومـنيٍّ ومذيٍّ ودمِ استحاضةٍ وريـحٍ، وزوالُ العقـل وتغطيتـه بـالنوم أو الجنـون أو الإغماء، وأكلُ لحم الإبل قليلاً كان أو كثـيراً. هـذه هـي النواقـضُ المتفـقُ عليها بين الفقهاء، فمن حصل منه شيءٌ منها انتقض وضوءه، ووجب عليه

إذا أراد الصلاة وتلاوة القرآن أن يتوضأ من جديدٍ؛ لقوله ﷺ -فيما أخرجه الشيخان-: « لاَ يَقْبَلُ ا للهُ صَّلاَةَ أَحَدِكُم إِذَا أَحْدَثَ حتّىَ يَتوضّأ». وقوله -فيمن شكَّ هل خرجَ منه ريحٌ أو لا- « فَلاَ يَنْصَرِفُ حَتّىَ يّسْمَعَ صَوتَاً أو يَجِدَ رِيْحَاً ». [رواه مسلم]

وقال ﷺ لفاطمةَ بنتَ أبي حُبَيْشٍ، وكانت امرأةً كثيرةَ الاستحاضة: «فَتَوَضَّئِي وَصَلِّي؛ فَإِنَّمَا هُوَ دَمُ عِرْقٍ؛ أيْ دَمُ فَسَادٍ ». [رواه أبو داود ، والدارقطنيُّ بسندٍ صحيحٍ]

وثبت عنه ﷺ في الصحيح أنَّه أمر بالوضوءِ من أكلِ لحومِ الإبلِ.

عباد ا للهِ:

وأمّا الخارجُ من البدن من غير السبيلين؛ كالدمِ، والرِّعافِ، ومسِّ المرأة بشهوةٍ، وتغسيلِ الميت، وحملِهِ، والرِّدةِ عن الإسلام فموضعُ خلافٍ بين أهل العلم -رحمهم ا للهُ- هل تنقضُ الوضوءَ أم لا؟ ، والراجحُ من قولي العلماء: أنّها لا تنقضُ، لكنَّ الوضوءَ منها -خروجاً من الخلاف- أحسنُ وأفضلُ؛ براءةً للذمةِ، وحرصاً على كمالِ العبادةِ، وتحصيلِ الأجرِ.

عباد ا للهِ:

وإسباغُ الوضوء واجبٌ من واجبات الوضوء، ومعناه: إتمامُ الوضوء باستكمال الأعضاء وتعميمُ كلِّ عضوٍ بالماء، وأن لا يتركَ منه شيئاً لم يُصِبْهُ

الماءُ؛ فقد رأى النبيُّ ﷺ رجلاً يُصلي في ظهر قدمهِ لُمْعَةٌ كقدرِ الدِّرْهَـمِ لم يُصبْها الماءُ فأمَرَه أنْ يُعيدَ الوُضُوءَ والصَّلاةَ [كما روى ذلك الإمامُ أحمدُ وأبو داود، وإسناده صحيحٌ].

ويستعجلُ بعضُ الناس فلا يُسبغُ الوضوءَ على جميعِ أعضائهِ، فرُبَّما ترى من يُصلي وَعَقِبُهُ لم يُصبْه الماءُ، بل إنّ بعضَهم لَيَصُبُّ الماءَ على رجليه صَبًّا دون مسحٍ لها، أو تفقُّدٍ لما قد يكون عالقاً بها من وساخةٍ وقَذَرٍ، ودون اكتراثٍ لعدد الغسلات التي أمر بها الشارعُ الحكيمُ في الوضوء، فيقعون بذلك في وعيدِ النبيِّ ﷺ حين قال: « وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ ». [متفقٌ عليه]

ويُخطيءُ في الفهم -عباد الله- من يَظُنُّ أنَّ معنىَ إسباغِ الوضوءِ كثرةُ صبِّ الماءِ على الأعضاء؛ فترى أحدَهم يتوضأُ بما يُعادلُ بِرْكةَ ماءٍ؛ مُسْرِفاً في الماء، مُضَيِّعاً له، وقد كان المصطفى ﷺ -كما ثبت عنه في الصحيحين-: «يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ بالصَّاعِ». والمُدُّ: مِلءُ كفي الإنسانِ المُعْتَدِلِ إذا ملأهُما، ومدَّ يدَه بهما.

ومعنى الإسباغِ المأمور به شرعاً: تعميمُ العضو المغسولِ بجَرَيَانِ الماءِ عليه كلّه. أمَّا كثرةُ صبِّ الماء فهذا إسرافٌ مذمومٌ نهى عنه النبيُّ ﷺ، وحذّر منه؛ فقد مرَّ صلواتُ الله وسلامه عليه بسعدٍ -رضي الله عنه-

وهو يتوضأُ، فقال: « مَا هَذَا السَّرَفُ ؟ ». قال: أفي الوضوء إسرافٌ ؟! فقال ﷺ : « نَعَمْ ! وَلَو كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ ». [رواه أحمدُ وابنُ ماجه]

وروى عمرو بن شعيبٍ عن أبيه عن جده قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ ، فسأله عن الوضوء، فأراه ثلاثاً ثلاثاً، وقال: « هَذَا الوُضُوءُ. فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَساءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ ». [رواه أحمدُ والنسائيُّ، وسنده صحيحٌ]

وكم شكا الناسُ من قلّة المياه، وتضجّروا من تكاليفها الباهضة في بعض المواسمِ، وهم الجُناةُ عليها بالإسرافِ فيها، وعدمِ المحافظةِ عليها، حتى إنَّ بعضَ البيوت والحارات لتجري منها الفيضاناتُ المُدمّرةُ، والسيولُ العارِمَةُ، والسماءُ صحوٌ لم تمطر بقطرةٍ واحدةٍ؛ من كثرة ما يُستهلكُ فيها من المياه، ويُضيَّعُ، فا لله المستعانُ !

بارك ا لله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَنا جميعاً بهدي سيِّدِ المرسلين، أقول قولي هذا وأستغفرُ ا للهَ تعالى فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

• الخطبة الثانية:

الحمدُ لله الواحدِ الأحدِ الفردِ الصمدِ ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ لـه ، وأشـهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّمَ تسليماً كثـيراً إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فاتقوا الله أيُّها الناس ، واعلموا أنَّ الوضـوءَ في الإسـلام شـأنُه عظيـمٌ، وأمرُه جسيمٌ؛ ولأجل ذلك فقد شرَعَه الله سبحانه وتعالى في مواضعَ عدّةٍ؛ لما له من أثرٍ في تحقيق الطُمأنينةِ للنفس، وإخماد ثورانِها؛ فقد شَرَعَ الوضوءَ عند الغضبِ؛ لأنَّ الغضبَ من الشيطانِ المخلوقِ من النار، والماءَ من أفضل الوسائل لإخمادها؛ قال المصطفى ﷺ : « فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّـأْ ». [رواه أحمدُ]

وقد صحَّ عنه ﷺ أنّه كان يتوضأُ وضوءَه للصلاةِ عند نومه، وقـال ﷺ للبَرَاءِ بن عازبٍ -رضي الله عنه-: « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُـوءَكَ لِلصَّلاَةِ ». [رواه البخاري]

ويُشرَعُ الوضوءُ -كذلك- عندَ الأكلِ لمن كان جُنُباً من جماعٍ ونحـوه؛ قالت عائشةُ -رضي الله تعالى عنهـا-: « كَـانَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ إِذَا كَـانَ جُنُباً فَأَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَنَامَ تَوَضَّأَ وَضُوءَه لِلصَّلاَةِ ». [رواه مسلم]

وقال ﷺ : « إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيَتَوَضَّأْ؛ فَإِنَّهُ أَنْشَطُ لِلعَوْدِ ». [رواه مسلم]

والوضوءُ مشروعٌ للعائنِ لِيَصُبَّهُ على من عانَهُ؛ فقد اغتسلَ أبو سهل بن حنيف، فنزعَ جُبّةً كانت عليه وعامرُ بن ربيعة ينظرُ، وكان سهلٌ رجلاً أبيضاً حسنَ الجلد، فقال له عامرٌ: ما رأيتُ كاليوم، ولا جلدَ عذراء. فوُعِكَ سهلٌ مكانه، فأُخبرَ رسولُ الله ﷺ بذلك، فقال: « عَلاَمَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ؟!، أَلاَ بَرَّكْتَ عَلَيْهِ، إِنَّ العَيْنَ حَقٌّ، تَوَضَّأْ لَهُ ». فتوضأ له عامرٌ، فراحَ سهلٌ مع رسول الله ﷺ . [رواه مالكٌ في الموطأ]

عباد الله:

ومع شرفِ الوضوء في الإسلام ومكانته وثوابه ويسره وسهولته، وعناية الإسلام به في مواطنَ شتّى إلاّ أنَّ الناسَ فيه طرفان ووسطٌ؛ فطرفٌ فرّطوا في الوضوء، لا يُقيمون له وزناً، لا أحكاماً ولا سنناً ولا واجباتٍ له يُحافظون عليها أو يتعلّمونها، وربّما استحلَّ بعضُهم الصلاةَ وتلاوةَ القرآن وهو غيرُ طاهرٍ من الحَدَثِ ونحوِه، بل لم يجزم بعضُهم بعدُ بوجوب الوضوء للصلاة. وطرفٌ ثانٍ من الناس أفرطوا في الوضوء، فترى أحدَهم يتوضأُ للصلاة الواحدة عشرات المرّات، كلّما خرجَ يريدُ الصلاةَ وسوسَ له الشيطانُ أنَّ وضوءَكَ غيرُ تامٍّ، أو أنّه انتقضَ، فيمكثُ الساعات الطوال في دورات المياه، وقد تفوته الصلاةُ مع الجماعة وهو مُعذّبٌ باستعمال الماء ووسوة الشيطان. وطرفٌ ثالثٌ وَسَطٌ، يُحافظون على

الوضوء بصفته الشرعية التي أمرَ الشارعُ بها دون إفراطٍ أو تفريطٍ، وهؤلاء هم أولى الناس بالفوز بالنجاة يوم القيامة؛ إذْ يُبعثون غُرًّا مُحَجَّلِيْنَ من آثار الوضوءِ.

اللهُمَّ صلِّ وسلّم على عبدِكَ ورسولِكَ محمدٍ وعلى آله وصحبه.....

الأحكام الشرعية للرؤيا

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفُره ، ونتـوبُ إليـه ، ونعـوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا ا لله سبحانه وتعالى حقَّ التقوى ، بطاعته فـلا يُعصـى ، وبشـكره فلا يُكفر ، وبذكره فلا يُنسى.

عباد ا لله:

الرؤى والأحلامُ من الأمورِ الجبليّةِ الفطريّةِ التي يتعرّضُ لها النـاسُ علـى الدوام، وهي اعتقاداتٌ تقومُ بقلبِ النائمِ ، يخلقُهَا ا لله فيـه كمـا يخلقُهَـا في قلب اليقظان، وا للهُ سبحانه وتعالى يفعلُ ما يشاءُ بعبادهِ لا يمنعُه منهم نـومٌ ولا يقَظَةٌ من إمضاء ما يريد، يُجري ا للهُ تعـالى هـذه الاعتقـاداتِ وكأنّهـا علَماً على أمورٍ أُخَر تلحقُها فيما بعد، يظهرُ فيها النفـعُ أو الضـرُّ للإنسـان الذي جرت له في منامه أو لقريبٍ له.

ورؤيا الأنبياءِ -عباد ا لله- حقٌّ، وهي من الوحي؛ فإنّهم معصومون من الشيطان، ولهذا أقدمَ الخليُ على ذبح ابنـه إسمـاعيل -عليهمـا السـلام- لّما رأى في المنام أنّه يذبحه. وأمّا رؤيا غيرهم من البشـر فتعـرضُ علـى الوحـي الصريح؛ فإن وافقته وإلاّ لم يُعمل بها، ولم يُلتفت إليها.

وأصدقُ الناسِ رؤيا أصدقُهم حديثاً؛ وهم عبادُ ا لله المتقون الصـالحون، قال ا لله سبحانه وتعالى: ﴿ **أَلآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَىَ فِي الْحَياةِ الدُّنْيَـا وَفِـي الآخِـرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

وقد أجمعَ عددٌ من المُفسِّرين من الصحابة والتابعين -رضي ا لله عنهم وأرضاهم- على أنَّ المرادَ بالبُشرى: الرُّؤيا الصالحةُ. قال عروةُ بنُ الزُّبير- رضي ا لله عنه-: (هي الرُّؤيا الصالحةُ يراها الرجلُ المسلمُ أو تُرى له).

وعن أبي هريرة -رضي ا لله عنه- قال: قال رسول ا لله ﷺ : « لَمْ يَبْقَ بَعْدِي مِنْ النُّبُوَّةِ إلاّ المُبَشِّراتِ ». قالوا: وما المُبشِّراتُ يا رسولَ ا لله ؟ قال: « الرُّؤيا الصَّالِحَةُ ». [رواه البخاري]

عباد ا لله:

وأمرُ الرُّؤيا من الأمورِ التي اعتنت بها الأممُ عبرَ العصور؛ لخوفِهم وهلَعِهم مِمّا قد يتبعُها من تبعاتٍ تحملُ الضَّرَرَ في طيّاتها، ومن ثَمَّ زادت عنايةُ الأنبياءِ بها وعلى رأسهم نبيُّنا محمدُ بنُ عبد ا لله ﷺ الذي كان إذا جلَسَ مع أصحابهِ سألَهم عن الرُّؤى التي قد يرونها في مناماتهم.

وفي هذا الزمن اختلطَ على كثيرٍ من الناس أمرُ الرؤيا؛ لّما كثُرت الرؤى والأحلام، وبعُد الناسُ عن هدي الشرع الحنيف، فاجتالتهم شياطينُ الإنسِ والجنِّ بغير زمامٍ، فصار بعضُهم يُصرعُ في نومهِ وبعد قيامه مرَّاتٍ؛ لشدة ما يرى من أهوالٍ مخيفةٍ، وقوارعَ شديدةٍ. وظنَّ بعضُهم أنَّ كلَّ ما يرى في المنام حقٌّ واقعٌ لا محالة، وربّما تراهم يتهافتون على المعبّرين للرؤى والأحلام يستفتونهم في مصير رؤاهُم وأحلامِهم.

والحقُّ -عباد الله-: أنَّ الرُّؤى والأحلامَ من الأمور المهمَّةِ التي عظُمت عنايةُ الإسلامِ بها، وقد بيّن النبيُّ ﷺ ذلك في أحاديثَ كثيرةٍ من السُّنَّةِ النبويَّةِ؛ لأنّها مِمّا عمّت به البلوى.

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال: « إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيْثاً، وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ (أو ستةٍ) وَأَرْبَعِيْنَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلاَثَةٌ: فَرُؤْيَا صَالِحَةٌ بُشْرَى مِنَ اللهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِيْنٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمّا يُحَدِّثُ بِهِ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَإِذَا رَأى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلاَ يُحَدِّثْ بها النَّاسَ ». [رواه مسلم]

والمرادُ من كون الرؤيا جزءاً من النبوّة: أنَّ في المنام إخباراً بالغيب؛ وهو إحدى ثمرات النبوّة؛ فإنَّ المصطفى ﷺ أولَ ما بُديءَ به من الوحي الرُّؤيا الصادقةُ، فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثلَ فَلَقِ الصبحِ، وهذا يسيرٌ في جنب النبوّة؛ فقد يبعثُ اللهُ عزَّ وجلَّ نبيّاً يشرعُ الشرائعَ ويُبيّنُ الأحكامَ، ولا يُخبرُ بغيبٍ أبداً، وذلك لا يقدحُ في نبوَّتِهِ.

وأصدقُ الرؤيا ما كان في السَحَر؛ فإنّه وقتُ النزولِ الإلهيِّ، واقترابِ الرحمةِ والمغفرةِ، وسكونِ الشياطين، وعكسُه رؤيا العَتَمَةِ عند انتشار الشياطين، وإذا تواطأت رؤيا المسلمين على شيءٍ لم تكد تكذبُ؛ فقد قال ﷺ لأصحابه لمّا أُروا ليلةَ القدرِ في العشرِ الأواخر من رمضان: « أَرَى رُؤْياكُمْ قَدْ تَواطَأَت في العشرِ الأواخرِ، فَمَنْ كانَ مِنْكُم مُتَحَرِّيَها فليتحرَّها في العشرِ الأواخرِ مِنْ رَمَضَانَ ». [متفقٌ عليه]

أيُّها المسلمون:

ومن الناس من إذا رأى شيئاً في منامه حدّثَ به كلَّ من يعرفُ، سواءٌ أكان ما رأه حسناً أم سيّئاً. وقد يُصاب بعضُهم بالضيق والهمِّ لسوءِ ما يرى في منامه. ولقد أرشدَ النبيُّ المصطفى صلواتُ الله وسلامه عليه إلى ما يفعلُه العبدُ المسلمُ إذا رأى في منامِه شيئاً بتوجيهاتٍ نبويّةٍ كريمةٍ، يجبُ العنايةُ بها وحفظُها؛ لكثرة ما يحدثُ للناسِ من الرُّؤى والأحلامِ حتى يكونَ المسلمُ على بصيرةٍ من أمرِهِ فلا يقعُ في المخالفةِ من حيثُ لا يشعر.

فعن جابرٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ : « إذَا رَأى أحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاَثَاً، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ ثَلاَثَاً، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الذي كانَ عَليهِ ». [رواه مسلم]

وعن أبي سلمة -رضي الله عنه- قال: (إن كنتُ لأرى الرؤيا فتمرضُني حتى سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: « الرُّؤيا الصالحةُ من الله؛ فإذا رأى أحدُكم ما يُحبُّ فلا يُحدِّثْ بها إلاّ من يُحبُّ، وإن رأى ما يكره فَلْيَتْفُلْ عن يسارِهِ ثَلاَثَاً، وَلْيَتَعَوَّذْ بالله من شرِّ الشيطان وشرِّها، ولا يُحدِّثْ بها أحَدَاً؛ فإنّها لَنْ تَضرَّهُ »). [رواه الترمذيُّ]

والنكتةُ اللطيفةُ في ذلك -عباد الله-: أنَّ الرُّؤيا إذا عُبِّرت وقعت، فإذا كان فيها مكروهٌ ووقع ندم الإنسانُ على ذلك، وتمنّى أنّه لم يُخبر بها أحداً، فحَسَمَ الشرعُ الحنيفُ ذلك قبل وقوعه. قال ﷺ : « رُؤيا المؤمنِ

جُزءٌ من سِتَةٍ وأربعينَ جُزءاً مِنْ النُّبوَّةِ، وهي على رِجْلِ طائرٍ ما لم يُحـدِّثْ بها، فإذا حدَّثَ بها وقعتْ ». [رواه الترمذيُّ، وسنده صحيحٌ]

قال أبو سعيدٍ الخدريِّ -رضي ا لله عنه-: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: « إذْا رَأى أحَدُكُمْ رُؤيا يُحبُّها فإنّما هي مِنَ ا للهِ، فَلْيَحْمَدِ ا لله عليها، وَلْيُحَـدِّثْ بها، وَإذا رَأى غيرَ ذَلِكَ مِمّا يَكْرَه فَإنّما هِي مِنَ الشَّـيْطانِ، فَلْيَسْتَعِذْ بـا للهِ مِنْ شَرِّها، ولا يَذْكُرْها لأحدٍ فإنّها لا تضرُّه ». [رواه البخاري]

وفي صفةِ التعوَّذِ من شرِّ الرُّؤيا: يقـولُ إبراهيـمُ النَخَعِـيُّ -رحمـه ا لله-: (إذا رأى أحدُكم في منامِهِ ما يكره فليقُلْ إذا استيقظ: أعوذُ بما عـاذت بـه ملائكةُ ا للهِ ورسلُهُ من شرِّ رؤيايَ هذه أن يصيبَني فيهـا مـا أكـرهُ في ديـني ودنياي). [رواه سعيدُ بن منصور في سننه، وابنُ أبي شيبه، وسنده صحيح]

عباد ا لله:

ومن الإرشادات النبويّةِ الكريمةِ في ذلك: ألاّ يُخبرَ الإنسـانُ بمـا يـراه في منامه إلاّ عالماً يَعْبُرُ له رؤياه؛ قال أبـو هريـرة -رضـي ا لله عنـه-: « كـان رسـولُ ا لله ﷺ يقـولُ: لا تَقُـصُّ الرؤيـا إلاّ علـى عَـالِمٍ أو نَـاصِحٍ ». [رواه الترمذيُّ وصححّه]

ومن الناس -عباد ا لله- من يتلّعبُ بـه الشـيطانُ في منامـه، ثـم يصبـحُ يعرضُ هذا على من يجدُ من الناس؛ علّه يجدُ عنـده تفسـيراً يرتـاحُ لـه، وفي مثل هذا قال جابرٌ -رضي ا لله عنه-: جاء أعرابـيٌّ إلى النـبيِّ ﷺ فقـال يـا رسولَ ا لله: رأيتُ في المنام كأنَّ رأسي ضُرب، فتدحرجَ، فاشـتُدِدتُ علـى

أَثَرِهِ. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « لا تُحَدِّثِ الناسَ بتلعُّبِ الشيطانِ بِكَ في مَنَامِكَ ». [رواه مسلم]

وأخبرَ المصطفى ﷺ بعِظَمِ الإثمِ والنكالِ لمن يدّعي أنّه رأى في المنام شيئاً وهو كاذبٌ، في قوله ﷺ : « من تَحلّمَ بحُلُمٍ لم يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بينَ شَعِيْرَتينِ، وَلَنْ يَفْعَلْ ». [رواه البخاري]

وكم في الناس -عباد الله- من الدجّالين والأفّاكين وأضرابِهم مِمّن يخترعون الرؤى والأحلامَ الكاذبةَ، ويبثّونها بينَ الناس؛ لتحصيلِ أغراضٍ ومطامعَ دنيويّةٍ، أو ليقضي على أوقاتهم بهذه الشائعات، مثيراً الرُّعبَ والقَلَقَ بين الناس.

فعلى المسلمِ أن يحذرَ من ذلك كلَّ الحذرِ، فإن رأى في منامه خيراً فَلْيَحْمَدِ الله، وإن رأى غيرَ ذلك فَلْيَسْتَعِذْ بالله من شرِّه، ولا يُخبر به أحداً فإنّه لن يضرَّه، ﴿ **قُل لن يُصِيبَنَآ إلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [التوبة: ٥١]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله الواحدِ الأحدِ الفردِ الصمدِ ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ لـه ، وأشـهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلمّ تسليماً كثـيراً إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فاتقوا الله أَيُّها النـاسُ ، واعلمـوا أنَّ مـن الأمـور الشـرعيّةِ الواقيـة مـن تَلاَعُـبِ الشيطانِ بقلبِ ابنِ آدمَ في منامه: المحافظـةَ علـى الأذكـارِ الشـرعيّةِ للنوم؛ كقراءة آية الكرسيِّ، والمعوّذات، وخواتيمِ سورة البقرة.

قال ﷺ : ((مَنْ قَرأَ بالآيتينِ مِنْ آخـرِ سـورةِ البَقَـرةِ في ليلـةٍ كَفَتَـاه)). [رواه البخاري]. وقال ﷺ : ((إذْا قُلتَ: قُلْ هـوَ الله أحَـدٌ، قُـلْ أعَـوذُ بِـرَبِّ الفَلَقِ، وقُلْ أعَـوذُ بِـرَبِّ النـاسِ ثَـلاثَ مـراتٍ حِينَ تُصبْـحُ وَحـينَ تُمْسِـي تَكْفِيْكَ مِنْ كُلِّ شَيءٍ)). [رواه الترمذيُّ، وحسّنه]. وقال ﷺ : ((مَـا مِـنْ عَبْـدٍ يَقولُ في صَباحِ كُلِّ يومٍ ومساءِ كُلِّ ليلةٍ: بِسْمِ اللهِ الذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْـمِهِ شَيءٌ في الأَرْضِ وَلاَ في السماءِ وهو السـمِيعُ العليـمُ ثَـلاثَ مَـراتٍ فَيَضُـرُّه شَيءٌ)). [رواه الترمذيُّ، وسنده حسنٌ]

أيُّها المسلمون:

ولقد شُغل كثيرٌ من الناس بتأويلِ الأحلامِ، وتَعْبيرِ المناماتِ معَ أنّ أكثرَهم ليس له في ذلك وِرْدٌ ولا صَدَر، وإنّما يَتأكلونَ بها في كتبٍ تُبَاعُ، أو رواياتٍ تُحكى يُخوّفون بها الناس؛ لتحقيق مطامعَ ومصالحَ؛ كالرؤى التي يُروّجُ لها أربابُ الصوفيةِ على اختلاف أشكالها، ويزعمون فيها أنّ من روّجها بين الناس، وفعل ما فيها حصل له من الفضل كذا وكذا، وأنّ من أعرضَ عنها، ولم يفعلْ ما فيها أصابه من الضُرِّ ما الله به عليمٌ.

والحقُّ -عباد الله- أنّ في الناس من وفقهُ الله سبحانه وتعالى لتَعْبيرِ الرؤى، وتفسيرِ المناماتِ تفسيراً مُقَارِباً للصواب؛ كما وقعَ للأنبياء -عليهم الصلاةُ والسلام- كنبيِّ اللهِ يوسفَ الذي بلغَ في تأويل الأحلام مبلغاً عظيماً؛ لما علّمه الله.

والمناماتُ مُبشِّراتٌ لا يُعقدُ عليهنّ حُكمٌ شرعي، والله وحدَهُ هو مالكُ الضُرِّ والنفع، ولو اجتمع أهلُ السموات والأرضِ على نفع عبدٍ أو ضُرِّه بشيءٍ لم يكتبْهُ الله تعالى عليه لم يستطيعوا، جَفّتِ الأقلامُ وطُويَتِ الصحُفُ بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة.

ولقد كان ابنُ سيرين -رحمه الله- من أشهرِ من يَعْبُرُونَ الرؤيا، ومع ذلك فقد قال عنه هشامُ بن حسّان: (كان ابنُ سيرين يُسألُ عن مئةِ رؤيا فلا يجيبُ فيها بشيءٍ إلاّ أن يقول: اتقِ الله، وأَحْسِنْ في اليَقظَةِ فإنّه لا

يضرُّكَ ما رأيتَ في النوم. وكان يجيبُ في خلال ذلك ويقول: إنّما أُجيبُه بالظنِّ، والظنُّ يخطيءُ ويُصيبُ).

عباد الله:

ومن الأداب الشرعيّةِ التي ينبغي على من أُخبِرَ برؤيا أن يفعلها: أن يَعْبُرَها على خيرٍ، وأنْ يحذرَ من تخويف الناس بها. قالت عائشةُ -رضي الله عنها-: كانت امرأةٌ من أهل المدينة لها زوجٌ يختلف (يعني في التجارة)، فأتت رسولَ الله ﷺ فقالت: إنَّ زوجي غائبٌ، وتركَني حاملاً، فرأيتُ في المنام أنّ ساريةَ بيتي انكسرت، وأنّي وَلَدْتُ غُلاماً أعورَ. فقال: « خيرٌ ، يرجعُ زوجُكِ إنْ شاءَ اللهُ صَالِحَاً وَتَلِدِيْنَ غُلاَمَاً بَرّاً ». فذكرت ذلك ثلاثاً، فجاءت ورسولُ الله ﷺ غائبٌ، فسألتها عائشةُ، فأخبرتها بالمنام، فقالت: لئنْ صَدَقَت رؤياكِ ليموتَنَّ زوجُكِ، وَتَلِدِيْنَ غلاماً فاجراً. فقعدت تبكي، فجاء رسولُ الله ﷺ ، فقال: « مَهْ يا عائشةُ! إذا عَبرّتُمُ الرؤيا فَاعْبُرُوها على خيرٍ؛ فإنَّ الرؤيا تكونُ على ما يَعْبُرُها صاحبُها ». [رواه الدارميُّ في سننه]

فاتقوا اللهَ عباد الله، وتمسّكوا بشرعه الحنيف تفوزوا وتفلحوا، ثمّ صلّوا وسلّموا على المبعوث رحمةً للعالمين محمد بن عبد الله اللهُّم صلِّ وسلّم على عبدِكَ ورسولِكَ محمدٍ وعلى آله وصحبه.....

التحذير من البدع والمحدثات

●الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي أرسلَ رسلَه بالبيّنات؛ ليُخرجوا الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم إلى صراطِ العزيزِ الحميدِ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، القائلُ في محكم التنزيل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران:١٩]. ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه ومصطفاهُ وخليلهُ، شرحَ اللهُ صدرَه، ووضع عنه وزره، ورفع في العالمين ذكرَه، وجعل الذِلَّةَ والصَغَارَ على من خالفَ أمرَه، تركَنا على المحجّةِ البيضاء؛ ليلُها كنهارها، لا يزيغُ عنها إلاّ أهلُ الأهواء، أتمَّ اللهُ به النعمةَ، وأكملَ به الشريعةَ، وختمَ به النبوّةَ، فما التحقَ بالرفيق الأعلى حتى أنارَ اللهُ به القلوب، ووضّحَ به السبيلَ، وهدى به النفوسَ،

حتى قال عنه أنسُ بن مالكٍ -رضي الله عنه-: (توفي رسولُ الله ﷺ وما طائرٌ يُقلِّبُ جناحيه في السماء إلاَّ وذكرَ لنا منه عِلماً).

فالخيرُ ما جاءَ به ، والدينُ ما شرعَه، والحقُّ ما التزمَه، فصلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين؛ جزاءَ ما جاهدوا ونصروا ودافعوا، وعلى التابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأُوصيكم أيُّها الناس ونفسي بتقوى الله تبارك وتعالى في السرِّ والعَلَن، والتمسُّكِ بهديه وشرعه، والوقوفِ عندَ حدوده وأوامرِه ونواهيه، ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [الحج:٣٢].

عباد الله:

الإسلامُ دينٌ كاملٌ، وعقيدةٌ صافيةٌ، وشريعةٌ وافيةٌ، تولى الإلهُ الحكيمُ -سبحانه وتعالى- رسمَ أُسَسِها ووضعَ قواعِدها، وأمرَ بالتمسُّكِ بالعروة الوثقى، ولزومِ سُنَّةَ النبيِّ المُثلى، والتحذيرِ من كلِّ بدعةٍ وهوى.

ولا خيارَ للمسلمِ في هذه الحياة، لا سيّما مع كثرة الفتن، وغَلَبةِ الاختلاف والهوى، وشيوعِ مظاهرِ المُخَالفَةِ للكتابِ والسنة إلاَّ أن يسير في حياته ملتزماً بكتاب اللهِ وسُنّةِ نبيِّه الكريم ﷺ ، مُقتدياً برسول الله، وبصحابته، والقرون الثلاثة الأولى المُفضّلة، المشهود لهم بالخيريّة على لسانِ رسولِ الله ﷺ ، فالدينُ اتّباعٌ لا ابتداعٌ، والشرعُ تمسُّكٌ وانقيادٌ لا تفرُّقٌ

واختلاف؛ فإنَّ الكتابَ والسُّنّةَ لم يتركا في سبيلِ الهدايةِ قولاً لقائل، ولا مجالاً لُمشَرِّعٍ يشرعُ في دين الله ما لم يأذن به الله.

قال رسولُ الله ﷺ: «ما تركتُ شيئاً يُقرِّبكم إلى اللهِ إلاَّ وقد أمرتُكم بهِ، وما تركتُ شيئاً يُبعِّدكم عن اللهِ إلاَّ وقد نهيتُكم عنه». [رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ]. ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيراً﴾ [النساء:١١٥].

قال عبدُ الله بن مسعودٍ -رضي الله عنه-: خطَّ رسولُ الله ﷺ خطّاً ثم قال: «هَذا سَبيلُ اللهِ». ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وشماله، وقال: «هَذهِ السُّبُلُ المُتفرِّقةُ عَلى كلِّ سَبيلٍ مِنْهَا شَيطانٌ يدعوا إليهِ»، ثم قرأ قولَ الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]. رواه النسائيُّ وأحمد

عباد الله:

إنَّ طريقَ النجاةِ هو التمسُّكُ بكتاب الله تعالى وسُنّةِ نبيِّه ﷺ، ولا يتمُّ ذلك إلاَّ بالبُعْدِ عن البدعِ والخُرافاتِ التي ابتدعَها المبتدعةُ، وأحدثَها المُحدِثون، وروّجَها المُبطلون؛ من دعاةِ النِحَلِ المختلفةِ، والطرقِ المُتشعِّبَةِ التي ليست من الإسلام في شيءٍ، وإنّما تتسمَّى باسمه وتدَّعى السير على نهجه وهي من أبعد الناس عنه.

ولقد ذمَّ اللهُ تعالى تلكَ الطُرقَ المُنحرفةَ الكثيرةَ التي جعلت المسلمين شِيَعَاً وأحزاباً، وشتَّت شملَهم، وجعلتهم لُقمةً سائغةً لأعدائهم، لا لقلّة

العدد والعُدَّة، وإنَّما لتمزُّق الشمل وتفرُّق الكلمة التي جعلتهم غُثاءً كغثاء السيلِ.

ومِمَّا لا شكَّ فيه -عباد الله- أنَّ البدعَ أعظمُ فساداً للدين، وأشدُّ تقويضاً لبنيانه، وأكثرُ تفريقاً لشمل الأمَّةِ.

والبدعةُ في أصلها: مأخوذةٌ من البَدْعِ؛ وهو: الاختراعُ على غير مثالٍ سابق، ثمَّ أُطلقت وصارت عَلَماً على كلِّ ما أحدثَه الناسُ في الدين من محدثاتٍ ليست منه.

والبدعُ في الدين بكلِّ صورها وأشكالها محرَّمةٌ؛ لما فيها من الضَّلال والبُعْدِ عن الحقِّ والصوابِ، ومخالفةِ سُنَّةِ الحبيبِ المصطفى ﷺ، القائل: «مَن عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَليهِ أَمْرُنَا فَهو رَدٌّ، وَمَن أَحْدَثَ فِي أَمْرِنا هَذا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهو رَدٌّ؛ أَيْ: مَردودٌ عليهِ» .[رواه البخاري ومسلم]

قال عمرُ بن عبد العزيز -رضي الله عنه-: (سنَّ رسولُ الله ﷺ وخلفاؤه من بعده سُنَناً الأخذُ بها تصديقٌ لكتاب الله، واستعمالٌ لطاعة الله، وقوَّةٌ على دين الله، ليس لأحدٍ تغييرٌ فيها، ولا النظرُ في رأيٍ يُخالفُها، من اقتدى بها فهو مهتدٍ، ومن خالفَها واتَّبعَ غيرَ سبيل المؤمنين ولاَّه اللهُ ما تولَّى، وأصلاه جهنَّمَ وساءت مصيراً).

والبدع -أيُّها المسلمون-: تتفاوت درجاتُها ما بين بدَعٍ مُكفِّرةٍ مُخْرجَةٍ من الملّة،وبِدَعٍ قادِحةٍ في التوحيد؛ تُنافي كمالَه المُطلَقَ، وبدَعٍ مُفسِّقةٍ، وبِدَعٍ هي إلى المعصيةِ أقربُ؛ فدعاءُ الموتى وسؤالُهم، والتَّشفُّعُ بهم، والتوسلُ إليهم، وسؤال الشياطينَ وغيرِهم فيما لا يقدرُ عليه إلاَّ الله تعالى من صور البدعِ المُكفِّرَةِ التي هي من وسائلِ الشركِ، وقد تخرجُ صاحبَها من الملّة والعياذُ با لله تعالى.

والدعاءُ عند القبور، والصلاةُ عندها، والبناءُ عليها، وإحياءُ الموالد للموتى كلُّها صورٌ للبدع القادحةِ في التوحيد، وتنافي كمالَه.

وما وقعت فيه الفرقُ المُبتدعةُ من تأويلِ صفات الله عزّ وجلّ عن وجهها الصحيح، والقولُ بأنَّ الإيمانَ مجرَّدُ اعتقادٍ دونَ عملٍ، والقولُ في القدَر ونحو ذلك هو من البِدَعِ المُفسِّقَةِ التي لا تُخرِجُ من المِلّةِ.

أمَّا الغلوُّ في العبادة ، والزيادةُ عليها، والتكلُّفُ فيها فهو من المعاصي التي نهى الله تعالى عنها، وشرُّ الأمور مُحدثاتُها.

والبِدَعُ -عباد الله- مُبْعِدَةٌ عن اللهِ، مُقرِّبةٌ من الشيطان، مفرِّقةٌ لصفوف المسلمين، مُحبطةٌ للأعمال، وما رؤي الشيطانُ أفرحَ ولا أغبطَ منه بصاحب البدعة؛ لأنَّ المُبتدعَ يرى أنّه على صوابٍ وأنَّ غيرَه على خطأ. وإنّما كانت البدعُ مردودةً على من عملها؛ لأنَّ إحداثَ مثل هذه البدع يُفهم منه أنّ الله سبحانه وتعالى لم يُكمل الدينَ لهذه الأمّة، وأنَّ الرسولَ المصطفى ﷺ لم يُبلّغْ عن ربِّه ما ينبغي للأمّة أن تعملَ به مِمّا يُقرِّبها إلى الله ، وهل بعد ذلك من اعتراضٍ على الله تعالى وعلى شرعه وعلى رسوله، واستدراكٍ عليهما، واتّهامٍ لرسوله الأمين ﷺ بالكتمان والخيانة في تبليغ الرسالة ؟!!

وحاشاه صلواتُ الله وسلامُه عليه عن ذلك، وهو الموصوفُ على لسان ربِّه الذي أرسلَه وأختارَه لتبليغ رسالته بقوله جلَّ شأنُه: ﴿ **لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة:١٢٨].

أيُّها المسلمون:

ليس هنال إلاَّ طريقان؛ طريقُ الهُدى، وطريقُ الهوى، فا للهُ عزَّ وجلَّ يقولُ لرسوله ﷺ : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ا للهِ إِنَّ ا للهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

فمن اتَّبعَ هواه، وعبدَ ا للهَ بمستحسناتِ العقولِ والأهواءِ، وخالفَ ما جاء به الرسولُ الأمينُ ﷺ فهو معاندٌ للشرعِ، مُشَّاقٌ للهِ ولرسولِه؛ لأنَّه يستدركُ على الشريعة النقائصَ، ويزعمُ أنَّها غيرُ تامَّةٍ، وأنَّه ببدعتِه تلك يُكمّلها.

والُمبتدعةُ بذلك قد أضاعوا السُنَنَ والأحكامَ، وراحوا يتهافتون على البدع والُمحدثات، ولو عقلوا لكفاهم ما شرعَه ا للهُ ووضّحَه رسولُه ﷺ ، ولكن لا حيلةَ في هدايةِ من أرادَ ا للهُ غوايتَه؛ فمن يُضلل فلن تجدَ له وليّاً مرشداً.

أخرجَ الإمامُ أحمدُ والبزَّارُ من حديث غُضيف بن الحارث مرفوعاً: «مَا أَحْدَثَ قَومٌ بدعةً إلاَّ رُفعَ مثلُها من السنَّةِ، ومَا مِنْ أَمَّةٍ ابتدعت بعدَ نبيِّها في دينِها بدعةً إلاَّ أضَاعت مِثْلَها مِن السُنَّةِ».

والمبتدعةُ من أكسلِ الناسِ عن الطاعةِ، وأكثرِهم بُغضاً للسُنَّةِ، وبُعداً عن الملّة، وإنَّما نشاطُهم كلُّه في إحياءِ البدعِ، والبحثِ عن الأحاديث الموضوعةِ والضعيفة، والقصص الُمخترَعَة، والمناماتِ الُملفّقةِ المكذوبةِ التي تؤيّدُ ما ذهبوا إليها من بدعٍ ومُستحسنات، فإذا ذُكّروا بالكتابِ والسنّة

أعرضوا عنهما، وأولوهما على غيرِ المُرادِ منهما وعلى غير معناهما الصحيح.

ولقد جاءَ رجلٌ إلى الإمامِ مالكِ بن أنسٍ -رحمه الله-: فقال: من أينَ أُحرمُ بالحجِّ ؟ قال: من الميقات الذي وقتَّ رسولُ الله ﷺ ، وأحرمَ منه ! فقال الرجلُ: فإن أحرمتُ من أبعدَ من ذلك ؟! فقال الإمامُ مالكٌ: لا أرى ذلك. فقال الرجلُ: وما تكره من ذلك ؟ قال: أكره عليك الفتنةَ. قال الرجلُ: وأيُّ فتنةٍ في ازديادِ الخير ؟! فقال مالكٌ: إنَّ الله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]. وأيُّ فتنةٍ أعظمُ من أنَّك خَصَصْتَ نفسكَ بفضلٍ لم يختصَّ به رسولُ الله ﷺ . ؟!!

وقد ذكر الله تعالى حالَ أهلِ البدع، وبيَّنَ أنَّهم يعملون، ولكنَّ وجوهَهم يوم القيامة خاشعة، عاملةٌ ناصبةٌ تصلى ناراً حاميةً؛ لأنَّهم أتعبوا أنفسَهم بالأعمال البدعيّة فكانت عاقبتهم النار؛ لأنَّ عملَهم على غير الدين القويم، وكلُّ عملٍ خلا عن شرطي المتابعةِ لرسول اللهِ ﷺ والإخلاصِ للهِ تعالى فهو مردودٌ على صاحبهِ.

قال العلامةُ ابنُ كثيرٍ -رحمه الله- عند قول الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۞ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۞ تَصْلَىٰ نَاراً حَامِيَةً﴾ [الغاشية:٢-٤]، قال:(هذه عامةٌ في كلِّ من عبد الله على غير طريق الحقِّ يحسبُ أنَّه مُصيبٌ فيها وأنَّ عملَه مقبولٌ ، وهو مخطيءٌ، وعملُه مردودٌ).

وقال الحسنُ البصريُّ -رحمه الله-: (لا يقبلُ الله لصاحبِ بدعةٍ صوماً ولا صلاةً ولا حجّاً ولا عمرةً حتى يدعَ بدعتَه).

وقال محمد بن مسلمٍ -رحمه الله: (من وقرَّ صاحبَ بدعةٍ فقد أعانَ على هدم الإسلام).

فاتَّقوا الله تعالى أيُّها المسلمون، تمسَّكوا بكتاب اللهِ وسُنَّةِ رسولهِ ﷺ ، وعضُّوا عليها بالنواجذ، واحذروا البدعَ والمحدثاتِ؛ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار ، أقول قولي هذا وأستغفرُ الله تعالى فاستغفروه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه ، واعلموا أنَّكم ملاقوه.

عباد الله:

روى البخاري ومسلم من حديث أبي بكرة -رضي الله عنه-، أنَّ النبيَّ ﷺ خَطبَ في حَجَّةِ الوَدَاعِ فقال: «إنَّ الزَّمَانَ قَدْ اِسْتَدارَ كَهيئتِهِ يَومَ خَلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ، السَّنَةُ اثنا عَشَرَ شَهْراً، مِنها أربَعةٌ حُرُمٌ: ثلاثةٌ متوالياتٌ؛ ذُو القِعْدَةِ ، و ذُو الحِجَّةِ ، والمُحَرَّمُ ، ورَجبُ مُضَرَ الذي بين جُمادى وشعبانَ».

ولقد سُمِّيت هذه الأشهرُ الأربعةُ بالحُرُم: لِعِظَم حرمتها، وحُرْمَةِ الذَّنْبِ فيها ، وتيسيراً على الناس الذين يريدون الحجَّ والعُمرةَ ليأمنوا على أموالهم ودمائهم.

أيُّها المسلمون:

ونحنُ في هذه الأيَّامِ في شهرِ رَجبٍ الذي تعوَّد الجهلةُ والمبتدعةُ وأهلُ الأهواءِ والآراءِ على تخصيصِهِ بأنواعٍ من العبادات، وهذا من أخطر البدع وأشدِّها ضرراً على المسلمين؛ فشهرُ رَجبٍ كغيره من الشهورِ لا مزيَّةَ له عليها ولا فضلَ، وهؤلاء المبتدعةُ يزعمون أنَّ له فضائل وكرامات، فيخصّونَه بقيام بعض لياليه أو صيام بعض أيَّامه، أو الذبح فيه تقرُّباً لله تعالى -على حدِّ زعمِهم- وهو في الحقيقة مجاراةٌ لعقولِهم، واتّباعٌ لأهل

الأهواءِ والبدعِ الذين اتّخذوهم أرباباً من دون الله تعالى، يشرعون لهم الشرائعَ، ويسنُّونَ لهم السننَ والفضائل.

ويزعمون كذلك أنَّ عمرةً فيه أفضل من عمرةٍ فيما سواه، إضافةً إلى تخصيص ليلةَ السابع والعشرين منه باحتفالاتٍ وعباداتٍ متنوّعة بزعم أنّها ليلةُ الإسراءِ والمعراج، وقد نفى أهلُ العلمِ ذلك وأنكروه.

ومِمّا أُحْدِثَ في هذا الشهر من البدع: تعظيمُ أول خميسٍ فيه، وقيامُ أول ليلةِ جمعَةٍ فيه؛ وهي ما يُسمّونه بصلاة الرَّغائبِ، وهذه كلُّها بدعٌ وضلالاتٌ ما أنزلَ الله بها من سلطان.

عباد الله:

وإنَّ من الأحكام المتعلّقة بشهرِ رجبِ المحرَّم: تحريمُ القتال فيه بين المسلمين، والاعتداءُ على الآمنين، وترويعُ الغافلين؛ فعن جابرٍ -رضي الله عنه- قال: «لم يَكُنْ رسولُ الله ﷺ يَغزو في الشَّهرِ الحَرامِ إلاَّ أنْ يُغزى فَيغزو، فإذا حَضَرَهُ أقامَ حتَّى يَنْسَلِخ». [رواه أحمد]

ومن الأحكام كذلك: تحريمُ الذبائحَ التي كان الجاهليون يذبحونها لهذا الشهر؛ وهي: الفَرَعُ والعَتِيْرَةُ؛ أولُ نِتَاجِ الإبلِ والغَنَمِ، كان أهلُ الجاهلية يذبحونه في هذه الشهر لآلهتهم، يتبرَّعون لها بذلك، وهي التي تُسمَّى: الرَّجَبِيَّةَ. قال المصطفى ﷺ : «لاَ فَرَعَ وَلاَ عَتِيْرَةَ». [متفقٌ عليه]

ومِمّا يُشبه ذلك: اتّخاذُ شهرِ رجبٍ عيداً وموسماً ، فقد نهى ابنُ عباسٍ -رضي ا لله تعالى عنهما- عن ذلك، وعدَّه من البدع التي يجبُ الحذرُ منها.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميّة -رحمه ا لله-: (واتّخاذُ شهرِ رجبٍ موسماً للعبادة بحيثُ يُفردُ بالصوم مكروه عند الإمام أحمدَ وغيرِه، كما رُوي ذلك عن عمر بن الخطاب وأبي بكرةَ وجمعٍ غفيرٍ من الصحابة والتابعين. أمّا تعظيمُ أول خميسٍ فيه، وقيامُ أولِ ليلةِ جُمُعَةٍ فهو بدعةٌ مُحدَثةٌ إنّما أُحدِثت في الإسلام بعد المائةِ الرابعةِ؛ لحديثٍ موضوعٍ باتّفاق العلماء ، ... إلى أن قال: والصوابُ الذي عليه المحققون من أهل العلم: النهيُ عن إفراد هذا اليوم بالصوم، وعن هذه الليلة المُحدَثة، وعن كلِّ ما فيه تعظيمٌ لهذا اليوم أو هذا الشهر، وإنّما الذي ورد: أنَّ هذا من الأشهرِ الحُرُم التي يحرمُ القتالُ فيها).

وقال الحافظ ابنُ رجبٍ -عليه رحمةُ ا لله-: (لم يَردْ في فضلِ شهرِ رجبٍ ، ولا في صيام شيءٍ معيّنٍ منه، ولا في قيامِ ليلةٍ مخصوصةٍ منه حديثٌ صحيحٌ يصلحُ للحجّة).

ثمَّ اعلموا -عباد ا لله- أنَّ ما ذهبَ إليه بعضُ الناسِ منْ تقسيم البدعِ إلى بدعةٍ حسنَةٍ، وبدعةٍ سيئةٍ طريقةٌ غيرُ مرضية، لا دليلَ عليها من كتابٍ

أو سنَّةٍ، و لم يكن ذلك من عادةِ السلف، بل كانوا ينظرون إلى البدعِ جميعاً على أنَّها ضلالةٌ يجبُ البُعدُ عنها، والحذرُ من الوقوع فيها.

فاتَّقوا الله تعالى أيُّها الناس، واحذروا من البدع التي يُروِّجُ لها أصحاب الضلالةِ ، وأدعياءُ الجهالةِ في هذا الشهرِ وغيرِه، واعبدوا الله تعالى على وفق شَرْعِهِ، وعلى سُنَّةِ نبيه الكريمِ ﷺ ، وعلى منهجِ سلفِ هذه الأمة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وأرضاهم.

ثم صلُّوا وسلِّموا رحمكم الله على المبعوث رحمةً للعالمين محمد بن عبد الله عليه أفضلُ الصلاةِ واتَمُّ التسليمِ...

❧ ❧ ❧

فتنة المسيح الدجال

•الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّمَ تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

أُوصيكم ونفسي بتقوى ا لله تبارك وتعالى في السرِّ والعَلَـنِ، والتمسُّـكِ بهديهِ وشرعِه، والوقوفِ عندَ حدودِه وأوامرِه ونواهيه، ﴿ **ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ ا للهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [الحج:٣٢].

عباد ا لله:

مع مرور السِّنونَ، وتعاقُبِ الأيَّامِ والأعوامِ تكثرُ علـى المسـلمين الفِتَـنُ، وتعظُمُ المِحَنُ، فيُرِّقِّقُ بعضُها بعضاً، ولا تقـومُ السـاعةُ حتّـى يتعـاقبَ علـى المسلمين فتنٌ مُمحِّصةٌ، وابتلاءاتٌ ما حقةٌ، يمحقُ ا للهُ تعالى بهـا الكـافرينَ، ويُثبِّتُ بها المؤمنينَ، نعم عباد ا لله ! إنَّ بـينَ يـدي السـاعة سنواتٌ شـدادٌ يُخوَّنُ فيها ألامينُ ، ويؤتَمنُ الخائن، ويُصدَّقُ فيها الكاذبُ، ويُكذَّبُ فيهـا الصادقُ، يُصبحُ المعروفُ منكراً، والمنكرُ معروفاً، تتقلّـبُ الموازيـنُ، وتختـلُّ الفِطَرُ، ويكثرُ الشرُّ، ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَـنَّ ا للهُ الَّذِيـنَ صَدَقُـوا وَلَيَعْلَمَـنَّ الْكَـاذِبِينَ**﴾ [العنكبوت:٢-٣]. ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّـا يَعْلَـمِ ا للهُ الَّذِيـنَ جَـاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٤٢].

وهناك فتنةٌ عُظمى، وبليَّةٌ كُـبرى، ستمرُّ علـى النـاسِ طـالَ الزمـانُ أو قَصُر، ما بين خلقِ آدمَ إلى قيامِ الساعةِ من فتنةٍ إلاَّ وهي تضعُ لها؛ لشـدّتِها وهولِها، تلكم -يا عباد ا لله- هي فتنةُ المسيح الدَّجَّـالِ، ومـا أدراكـم مـا المسيحُ الدَّجَّالُ، منبعُ الكفرِ والضلالِ، وينبوعُ الفِتَنِ والأوجالِ، قد أنذرت

به الأنبياءُ أُمَمَها، وحذّرت منه أقوامَها، ونعتته بالنعوت الظاهرة، ووصفته بالأوصاف الباهرة، وحذّرَ منه المصطفى ﷺ وأنذرَ، بل إنّه ما كان يخافُ على أمتِّهِ أمراً أعظمَ من الدّجّالِ؛ وذلك لعِظَم فتنتِه، وكِبَرِ بَليَّتِةِ المسلمين به.

عن النّوّاسِ بن سمعانَ -رضي الله عنه- «أنّه ﷺ ذَكَرَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَقَالَ: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» .
[رواه مسلمٌ وغيرُه]

وقد كان الصحابةُ -رضي الله عنهم- يتخوّفون الدَّجَّالَ، ويستعيذونَ با لله من فتنتِه العظيمة التي قال عنها المصطفى ﷺ : «مَا كَانَتْ وَلاَ تَكُونُ فِتْنَةٌ حَتّى تَقُوْمَ السَّاعَةُ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمَا مِنْ نَبيٍّ إلاَّ وَحَذَّرَ قَوْمَهُ الدَّجَّالَ» .[رواه الحاكمُ بسندٍ صحيحٍ عن جابرٍ رضي الله عنه]

والدَّجَّالُ رجلٌ من بني آدمَ له صفاتٌ كثيرةٌ جاءت بها الأحاديثُ النبويّةُ الشريفةُ لتعريف الناس بحقيقتِه، وتحذيرِهم من شرّهِ؛ حتّى إذا خرجَ عَرَفَه المؤمنون الصادقون فلا يُفتنونَ به، بل يكونونَ على علمٍ بصفاتِه التي أخبرَ بها رسولُ الأمّة ﷺ عن ربِّه جلَّ في عُلاه.

وهذه الصفاتُ تُميّزُه عن غيره من الناس، فلا يُفتَنُ به إلاّ الجاهلُ الـذي سبقت عليه الشِّقْوَةُ ، والعـذابُ مـن الله ، نسـألُ الله تعـالى العصمـةَ مـن كيدهِ وفتنتِه.

ومن هذه الصفات التي أخبرَ بها الرسولُ ﷺ : أنّه شـابٌ أحمـرُ، قصـيرٌ أفْحَجُ، جَعْدُ الرأسِ، أجْلَى الجبهةِ، عريضُ النَّحْـرَ، ممسـوحُ العـين اليُمنـى، وعينُه اليُسرى عليها لحمةٌ غليظةٌ، مكتـوبٌ بـين عينيـه كـافرٌ، يقـرؤه كـلُّ مسلمٍ يكتبُ أو لا يكتبُ. وهو عقيمٌ لا يولدُ له.

عن ابن عمرَ -رضي الله عنهما- أنّه ﷺ ذكـرَ الدَّجَّـالَ بـين ظهرانـي الناس، فقال: « إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِـأَعْوَرَ، أَلاَ إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّـالَ أَعْـوَرُ الْعَيْـنِ الْيُمْنَى؛ كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ » .[متفقٌ عليه]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسـولُ اللهِ ﷺ : « وَأَمَّـا مَسِيحُ الضَّلاَلَةِ فَإِنَّهُ أَعْوَرُ الْعَيْـنِ، أَجْلَـى الْجَبْهَـةِ، عَرِيـضُ النَّحْـرِ، فِيـهِ دَفَـأٌ (أي: انحناءٌ)، كَأَنَّهُ قَطَنُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ يَضُرُّنِي شَبَهُهُ؟ قَالَ: « لاَ ! أَنْتَ امْرُؤٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ امْرُؤٌ كَافِرٌ » .[رواه أحمدُ]

وعـن أنـسٍ -رضـي الله عنـه- أنّ رســولَ الله ﷺ قــال: « الدَّجَّــالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْـهِ كَـافِرٌ، ثُـمَّ تَهَجَّاهَـا (ك ف ر)، يَقْـرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ » .[متفقٌ عليه]

قـال الإمـامُ النـوويُّ: (والـذي عليـه المحقّقـونَ أنَّ هـذه الكتابـةَ علـى ظاهرِها، وأنّها كتابةٌ حقيقيّةٌ، جعلَها الله آيةً وعلامـةً مـن جملـة العلامـات

القاطعةِ بكفره وكذبه وإبطالِه، يُظهرُها الله تعالى لكلِّ مسلمٍ كاتبٍ وغير كاتبٍ، ويُخفيها عمّن أرادَ شَقاوتَه وفتنتَه).

أيُّها المسلمون:

والدَّجَّالُ يخرجُ من جهةِ المشرقِ؛ من خُرَسَان، من يهوديّةِ أصبهانَ، ثمَّ يسيرُ في الأرض فلا يترُك بلداً إلاّ دخله، إلاَّ مكَّةَ والمدينةَ فلا يستطيعُ دخولَهما؛ لأنّ الملائكةُ تحرسُها.

عن أبي بكرٍ الصديقَ -رضي الله عنه- أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا خُرَاسَانُ، يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ » .[رواه الترمذيُّ وحسّنه، وأحمدُ وابنُ ماجه]

وعن أنس بن مالكٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ : «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ مِنْ يَهُودِيَّةِ أَصْبَهَانَ، مَعَهُ سَبْعُونَ أَلفاً مِنْ اليَهُودِ » .[رواه أحمدُ، وصحّحَه الحافظُ ابن حجر عليهما رحمة الله]

وأصبهانُ: بلدٌ في المشرقِ، يُعرفُ هذه الأيامِ بشِهْرِسْتَان، وبها حرَّةٌ يُقالُ لها اليهوديَّة، يخرجُ منها الدَّجَّالُ، فإذا خرجَ لم يدعْ بلداً إلاّ دخلَه، ما عدا مكّةَ والمدينةَ؛ فإنّهما محروستان منه، مُحرَّمتان عليه، فقد أخبرَ ﷺ عن الدَّجَّال أنّه يقول: « وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ، فَلاَ أَدَعَ قَرْيَةً إِلاَّ هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِدًا مِنْهُمَا

اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلائِكَةً يَحْرُسُونَهَا ». [رواه مسلم]

وثبت في الحديث الصحيح الذي رواه الإمامُ أحمدُ في مسنده: « أَنَّ الدَّجَّالَ لا يَدْخُلَ أَرْبَعةَ مَسَاجِدَ: المَسْجِدَ الحَرَامَ، وَمَسْجِدَ المَدِيْنَةِ، وَمَسْجِدَ الطُّوُرِ، وَالمَسْجِدَ الأَقْصَى ».

عباد الله:

وأكثرُ أتباع الدَّجَّالِ من اليهود والعَجَم والتُّركِ، وأخلاطٌ من الناس غالبُهم الأعرابُ والنساءُ. عن أنس بن مالكٍ -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفاً، عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ ». [رواه مسلم]

وعن أبي بكرٍ -رضي الله عنه- قال: قال ﷺ : «الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا خُرَاسَانُ، يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ ». [رواه الترمذيُّ، وهو حسنٌ]

قال ابنُ كثيرٍ-رحمةُ الله عليه-: (والظاهرُأنّ المُرادَ بهؤلاء أنصارُ الدَّجَّالِ من التُركِ).

وإنَّما يكثرُ أتباعُه من الأعراب؛ لغلبَة الجهلِ عليهم، ولما جاء في حديث أبي أُمامةَ -رضي الله عنه- من قوله ﷺ : « وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ، فَمَنِ ابْتُلِيَ بِنَارِهِ فَلْيَسْتَغِثْ بِاللَّهِ، وَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ الْكَهْفِ فَتَكُونَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلامًا كَمَا كَانَتِ النَّارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ،

وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لأَعْرَابِيٍّ: أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ ! فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَيَقُولاَنِ: يَا بُنَيَّ ! اتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ رَبُّكَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلَّطَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَيَقْتُلَهَا وَيَنْشُرَهَا بِالْمِنْشَارِ، حَتَّى يُلْقَى شِقَّتَيْنِ ثُمَّ يَقُولَ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا فَإِنِّي أَبْعَثُهُ الآنَ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا غَيْرِي فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ، وَيَقُولُ لَهُ الْخَبِيثُ: مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَأَنْتَ عَدُوُّ اللَّهِ، أَنْتَ الدَّجَّالُ ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ بَعْدُ أَشَدَّ بَصِيرَةً بِكَ مِنِّي الْيَوْمَ ». [رواه ابنُ ماجه، وهو صحيحٌ]

وأمّا النساءُ فحالُهنَّ أشدُّ من حالِ الأعراب؛ لسرعة تأثّرهنَّ، وغلبة الجهلِ عليهنَّ، فعن ابن عمرَ -رضي الله عنهما- أنَّ المصطفى ﷺ قال: «يَنْزِلُ الدَّجَّالُ فِي هَذِهِ السَّبَخَةِ بِمَرِّقَنَاةَ، فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْجِعُ إِلَى حَمِيمِهِ وَإِلَى أُمِّهِ وَابْنَتِهِ وَأُخْتِهِ وَعَمَّتِهِ فَيُوثِقُهَا رِبَاطًا مَخَافَةَ أَنْ تَخْرُجَ إِلَيْهِ، ثُمَّ يُسَلِّطُ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ فَيَقْتُلُونَهُ وَيَقْتُلُونَ شِيعَتَهُ، حَتَّى إِنَّ الْيَهُودِيَّ لَيَخْتَبِئُ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَوِ الْحَجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرَةُ لِلْمُسْلِمِ: هَذَا يَهُودِيٌّ تَحْتِي فَاقْتُلْهُ ». [رواه أحمدُ بسندٍ صحيحٍ]

أيُّها المسلمون:

وفتنةُ الدَّجَّالِ أعظمُ الفتنِ منذُ خلقَ اللهُ آدمَ إلى قيامِ الساعةِ، وذلك بسبب ما يخلقُ اللهُ تعالى معه، ويُجريه على يديه من الخوارقِ العظيمةِ التي

تبهرُ العقولَ، وتُحيِّرُ الألبابَ، ليبتليَ الله سبحانه وتعالى عبادَه، فيُميِّزُ المؤمنَ من الكافر، بعدلِهِ ورحمتِه.

قال المصطفى ﷺ : « مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرَ مِنَ الدَّجَّالِ » .[رواه مسلم]

وعن حُذيفةَ -رضي الله عنه- أنَّ الرسولَ ﷺ قال: « لأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ: أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ » .[رواه مسلم]

ولقد جاءت الأحاديثُ النبويّةُ الصحيحةُ ببيانِ الخوارقِ التي مع الدَّجَّال، منها حديثُ النّواس بن سمعانَ -رضي الله عنه-أنّ رسولَ الله ﷺ قال في وصف الدَّجَّال: « إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالاً، يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا ! ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا لَبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: « أَرْبَعُونَ يَوْمًا؛ يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: « لاَ ! اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: « كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعاً، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ،

وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ ! فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ؛ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ ». [رواه مسلم]

وجاءَ في روايةِ البخاريِّ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ -رضي الله عنه-: «أَنَّ الدَّجَّالَ يَأْتِي وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْزِلُ بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ ! فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْيَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلاَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ ».

عباد الله:

ولا يزالُ الدَّجَّالُ بعد خروجه طوالَ الأربعينَ يوماً التي أخبرَ عنها النبيُّ ﷺ يعيثُ في الأرض فساداً، يُضلُّ به اللهُ الكافرينَ والمنافقين، ويُثبّتُ به المؤمنينَ، وتعمُّ فتنتُه، فلا ينجو منها إلاّ القلّةُ من المؤمنين ، حتّى ينزلَ عيسى ابنُ مريمَ -عليه السلامُ- على المنارة الشرقيّة بدمشق، فيلتّفُ حولَه عبادُ الله المؤمنين، فيسيرُ بهم قاصداً المسيحَ الدَّجَّالَ، ويكونُ الدَّجَّالُ عند نزول عيسى متوجِّهاً إلى بيت المقدس، فيلحقُ به عيسى عندَ بابِ لُدٍّ، وهي بلدةٌ قُرْبَ بيت المقدس، فإذا رأه الدَّجَّالُ ذابَ كما يذوبُ الملحُ، فيقولُ له عيسى -عليه السلامُ-: إنَّ لي فيكَ ضربةً لن تفوتني، فيتداركَه فيقتلَهُ

بحربتهِ، وينهزمُ أتباعُهُ، فيتبعُهم المؤمنون، فيقتلونَهم، حتّى يقولَ الشجرَ والحجرُ: يا مسلم ! يا عبد الله ! هذا يهوديٌّ خلفي تعالَ فاقتلهُ إلاَّ الغَرْقَدَ فإنّه من شَجَرِ اليَهودِ. (جاء ذلك في رواية مسلم).

اللّهُمَّ إنّا نسألُكَ الثباتَ بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وإذا أردتَ بعبادك فتنةً فاقبضنا إليكَ غيرَ مفتونين يا ربَّ العاليمن.

أقول قولي هذا وأستغفرُ الله تعالى فاستغفروه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتّقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه ، واعلموا أنّكم ملاقوه. سلوا الله الثباتَ على دينه، والسلامةَ من الفتن، فإنَّ فتنةَ الدَّجَّالِ عظيمةٌ

وخطرَه كبيرٌ، وقد وردَ أنَّ الرجلَ يرى من نفسِه الصلاحَ، فإذا أتى الدَّجَّالَ انخدعَ به؛ لِعِظَمِ ما يرى معَه من الآيات والخوارق.

قلوبُ العباد بين أصبعين من أصابعِ الرحمنِ سبحانه يُقلِّبُها كيفَ يشاءُ، وقد كان أكثرُ دعاءِ المصطفى ﷺ : «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» . [رواه الترمذيُّ]

ومن حكمةِ الله تعالى كثرةُ الفتنِ التي تسبقُ قيامَ الساعة في آخر الزمان لتمحيصِ المؤمنين ومَحْقِ الكافرين؛ فإنَّ الجنّةَ غاليةٌ نفيسةٌ، وقد حُفَّت بالمكارهِ، والنارُ حُفَّت بالشهوات، ولن يدخلَ الجنّةَ أحدٌ إلاّ بعد التمحيص والبلاءِ؛ ليتبيّنَ المُحقُّ من الكافر، إلاّ من رحمَه الله سبحانه.

وإنَّ على المسلم أن يتقِ الله سبحانه وتعالى، وأن يُخلصَ العبادةَ له، وأن يحرصَ على الثبات على دينه، فإنَّ العُمُرَ قصيرٌ، والزمنَ يمضي، ومن يدري ! لرُبَّما كان يومُ القيامةِ غداً، **﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** [لقمان:٣٤]. **﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً﴾** [الأحزاب:٦٣].

ومن يدري ! لرُبَّما كان موعدُ خروجِ الدَّجَّالِ قريبٌ.

فإلى المُقصّرينَ، وكلُّنا ذاكَ الرجل، وإلى المُسوِّفينَ، وما أكثرَهم ! أقبلوا على الله، وعودوا إلى دينه، واتَّبعوا شرعَه، قبلَ **﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطَتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ**

هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر:٥٦-٥٨].

قال رسولُ الله ﷺ : « ثَلاَثٌ إِذَا خَرَجْنَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالدَّجَّالُ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ » .[رواه مسلم]

عباد الله:

ولقد أرشدَ النبيُّ ﷺ أمتَّه إلى ما يعصمُها من فتنة المسيح الدَّجَّال، فقد تركَ أمتَّه على مثل البيضاء ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلاّ هالكٌ. فلم يدعْ ﷺ خيراً إلاّ ودلَّ الأمّةَ عليه، ولا شرًّا إلاّ وحذّرَها منه؛ ومن جملة ما أنذرَ منه وحذّرَ: فتنةُ المسيح الدَّجَّال؛ لأنّها أعظمُ فتنةٍ تواجهُها الأمّةُ إلى قيام الساعة، وكان كلُّ نبيٍّ يُنذرُ قومَه الأعورَ الدَّجَّالَ، إلاَّ أنَّ النبيَّ المصطفى ﷺ اُختُصَّ بزيادةِ التّحذير والإنذار؛ فإنَّ الدَّجَّالَ خارجٌ في هذه الأمّةِ لا محالةَ؛ لأنّها آخرُ الأمَمِ، ومحمداً آخرُ الرسلِ وخاتمُ النبيّين.

ومن هذه الإرشاداتِ النبويّة: التّمسُّكُ بالإسلامِ، والتّسلُّحُ بسلاح الإيمانِ، ومعرفةِ أسماءِ الله وصفاتهِ الحسنى التي لا يشاركُه فيها أحدٌ، فيعلمُ أنَّ الدَّجَّالَ بشرٌ يأكلُ ويشربُ والله تعالى مُنزَّهٌ عن ذلك كلّه. وأنَّ الدَّجَّالَ أعورُ العين اليُمنى، والله تعالى ليسَ بأعورَ، وأنّه لا أحدَ يرى ربّه حتّى يموتَ، والدَّجَّالَ يراه الناسُ عندَ خروجِه، مؤمنُهم وكافرُهم.

ومنها: التعوُّذُ با لله تعالى من فتنة الدَّجَّالِ، وخاصّةً في الصلاة، فقد روى الشيخان عن عائشة -رضي ا لله عنها- قالت: إنَّ النبيَّ ﷺ كان يدعو في صلاتهِ، فيقولُ: « اللَّهُمَّ إنّي أعوذُ بكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وأعوذُ بكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيْحِ الدَّجَّال ».

وعن أبي هريرة-رضي ا لله عنه- أنَّه ﷺ قال: « إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ باللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ؛ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ». [رواه مسلم]

ومنها: أنَّه ينبغي على كلِّ مسلمٍ -لا سيَّما من عنده علمٌ- أن يبثَّ أحاديثَ الدَّجَّال بين الناس، فقد وردَ إنَّ من علامةِ خروجهِ: نسيانُ ذكره على المنابرِ، قال ﷺ : « لا يَخْرُجُ الدَّجَّالُ حَتّى يَذْهَلَ النَّاسُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَحَتّى تَتْرُكَ الأَئمَّةُ ذِكْرَهُ عَلىٍ المَنابرَ ». [رواه البيهقيُّ]

ومنها: حفظُ آياتٍ من سورة الكهف؛ فقد أمرَ النبيُّ ﷺ من أدركَ الدَّجَّالَ أن يقرأَ عليه بفواتيحِ سورةِ الكهفِ، وفي بعضِ الرواياتِ بخواتيمِها. وعن أبي الدَّرداءِ -رضي ا لله عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ ». وفي روايةٍ: « مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ ». [رواهما مسلمٌ في صحيحه]

وهذا من خصوصيّات سورةِ الكهفِ التي جاءت الأحاديثُ بالحثّ على قراءتها، وخاصّةً في يومِ الجُمُعة، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ -رضي ا لله

عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « مَنْ قَرأَ سُورَةَ الكَهْفِ يَوْمَ الجُمُعَـةِ أضَـاءَ لَـهُ مِـنْ النُّوْرِ مَا بَيْنَ الجُمُعَتَيْن » .[رواه الحاكمُ، وهو صحيحٌ]

فينبغـي لكـلِّ مسـلمٍ أن يحـرصَ علـى قـراءةِ هـذه السـورةِ، وحفظِهـا، وترديدِها، خصوصاً في يوم الجُمُعَةِ خيرِ يومٍ طلعت عليه الشمسُ.

عباد الله:

صلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم الله تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قولـه عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَـتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّـواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : « مَـنْ صَلَّـى عَلـيَّ صَـلاةً وَاحِدَةً صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَاً ». [رواه مسلم]

بدعة الاحتفال بالمولد النبويّ

●الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي أرسلَ رسلَه بالبيّنات والهدى ليُخرجوا الناس من الظلمات إلى النور بإذنِ ربِّهم إلى صراطِ العزيزِ الحميد، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له، أمرَ ألاّ تعبدوا إلاّ إيَّاه ذلك الدينُ القيِّمُ ولكنَّ أكثرَ الناس لا يعلمون، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه، ومصطفاه وخليلُه، شرحَ الله صدرَه، ورفعَ في العالمين ذكرَه، ووضعَ عنه وزرَه، وجعلَ الذِّلَّةَ والصَّغارَ على من خالفَ أمرَه، بعثَه بالهُدى ودين الحقِّ، فأقامَ معالِمَ الدين، وأرسى قواعدَ المِلَّةِ، وتركَنا على مثل البيضاء ليلُها كنهارها لا يزيغُ عنها إلاّ هالكٌ، لا خيرَ إلاّ دلَّ الأمَّةَ عليه، ولا شرَّ إلاّ حذَّرَها منه، فأتمَّ الله به الدينَ، وأكملَ به النعمةَ، وختمَ به الرسالةَ، فصلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آله وصحبه خيرِ هذه الأمَّةِ، وأطوعِها له، وأحبِّها

لرسوله عليه أفضلُ الصلاةُ وأزكى السلامُ، ورضي الله عنهم وأرضاهم، ومن لزمَ هديَهم، ودعى بدعوتهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيُّها الناس: اتّقوا الله تباركَ وتعالى وأشكروه على ما أكرمَكم به من هذا الدين القويم، والصراط المستقيم، الذي لا لبسَ فيه ولا اعوجاج، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ**﴾ [الأنفال:٢٠]. ﴿**وَأَطِيعُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ [آل عمران:١٣٢].

عباد الله:

مع بزوغِ فجر الرسالةِ المحمديّةِ، وطلوعِ شمس النبوَّةِ، وانتشارِ الإسلامِ في العالمِ أنارَ الله تعالى الطريقَ لكلِّ سالكٍ، وأخذَ بيد كلِّ هالكٍ، فدخلَ الناسُ في دين الله أفواجاً، يدفعُهم الشوقُ العظيمُ والحبُّ الكبيرُ للدخول في الدينِ الجديد، والدِّفاعِ عنه بالغالي والنفيسِ، فقامت للإسلام دولةٌ قويّةٌ ذاتُ مَنَعَةٍ وحمايةٍ، وعاشَ المسلمونَ في عصر النبوّةِ حياةً كريمةً لم يسبقْ لها نظيرٌ في دنياهم، ولم يوجد لها مثيلٌ في عالمهم؛ توحيدٌ خالصٌ، وعدلٌ منصفٌ، وطاعةٌ لله تعالى ولرسوله ﷺ خالصةٌ، وعزَّةٌ وكرامةٌ، وهَيْبَةٌ في قلوبِ الأعداءِ، ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [المنافقون:٨].

ولم ينتقلِ المصطفى ﷺ إلى الرفيقِ الأعلى إلاَّ بعدَ أن كَمُلَ الإسلامُ ديناً صافياً، وعقيدةً خالصةً، لا تقبلُ الزيادةَ ولا النقصانَ، ونزلَ قولُه تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الأِسْلاَمَ دِيْنَاً﴾ [المائدة:٣].

نزلت هذه الآيةُ على الرسولِ ﷺ وهو واقفٌ بعرفةَ في حجّةِ الوداع، فقال لأصحابه: « وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُبُهَا إِلَى النَّاسِ: اللَّهُمَّ اشْهَدِ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ » .[رواه ابن ماجه وغيره]

وتُوفيِّ المعصومُ ﷺ بعد ذلك بأيامٍ قلائلَ، وقد تركَهم على منهجٍ مصونٍ، في أيدٍ آمينةٍ، ونفوسٍ مؤمنةٍ قويّةٍ، حريصةٍ على الأمّةِ، ربّاهم النبيُّ ﷺ على المنهج والطريقِ الواضحِ، وحذّرهم من الانحرافِ والابتداعِ في الدينِ، والتّفرُّقِ والأهواءِ؛ لئلاّ تعودَ الأمّةُ إلى الجاهليَّةِ الأولى من جديدٍ، فالدينُ اتّباعٌ لا ابتداع، والشرعُ تمسُّكٌ وانقيادٌ لا تفرُّقٌ واختلافٌ، والكتابُ والسُّنّةُ لم يتركا مجالاً لُمشرِّعٍ، ولا قولاً لمستدركٍ يشرعُ في دين ا لله ما لم يأذن به ا لله ورسولُه ﷺ .

روى الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ أنَّه ﷺ قال: « مَا تَرَكْتُ شَيْئَاً يُقَرِّبُكُمْ إِلَىَ ا للهِ إلاَّ وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَمَا تَرَكْتُ شَيْئَاً يُبَعِّدُكُمْ عَنِ ا للهِ إلاَّ وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ » .

قال حُذيفةُ بن اليمان -رضي ا لله عنه-: (كلُّ عبادةٍ لم يتعبّدَها أصحابُ مُحمدٍ ﷺ فلا تعبّدوها؛ فإنَّ الأولَ لم يدعْ للآخرِ شيئاً).

وقال عمرُ بن عبد العزيز -رضي ا لله عنـه-: (سنَّ رسولُ ا لله ﷺ ، وخلفاؤه من بعده سُنَناً الأخذُ بها تصديقٌ لكتـاب ا لله، واستعمالٌ لطاعـة ا لله، وقـوّةٌ علـى ديـن ا لله، ليس لأحـدٍ تغيـيرٌ فيهـا، ولا النظـرُ في رأيٍ يُخالفُها، من اقتدى بها فهو مُهتَدٍ، ومن خالَفَها واتّبعَ غـيرَ سبيلِ المؤمنـين ولاّهُ ا للهُ ما تولّى، وأصلاهُ جهنّمَ وساءت مصيراً).

وخيرُ الأمور السالفاتُ على الهدى   وشرُّ الأمورِ المحدثاتُ البدائـعُ

واستمرَّ هـذا المنهـجُ في الصفـاءِ والاجتمـاعِ حتّـى امتـدَّت يـدُ الهَمَـجِ الرَّعَـاعِ إلى التحريـفِ والتّبديـعِ في ديـن ا لله؛ عـن طريـق البـدعِ الـتي استحسنوها -على حدِّ زعمهم-، وجعلوها دينـاً يُتّبعُ، وهـدىً يُحتـذى، ولقد أحسنَ وصفَ حالِهم الإمامُ الشافعيُّ -رحمه ا لله- حين قال:

لم يبرَحِ الناسُ حتّى أحدَثوا بِدَعَـاً   في الدين بالرأي لم يُبعث بها الرسلُ
حتّى استخفَّ بدين ا للهِ أكثرُهـم   وفي الذي حُمِّلوا من حقّهِ شُغُـلُ

وظهرت في أواخرِ عهدِ الخلافةِ الراشـدةِ مقدّمـاتُ البـدعِ؛ كـالخوارج الغالين في الدين، والشيعة الغالين في أهل البيت، الكارهين للخلفاء الثلاثة؛ أبي بكرٍ ، وعمرَ ، وعثمانَ وغيرِهم من الصحابةِ رضي ا لله عنهم أجمعين.

ثمّ تتـابعت بعـد ذلـك البـدعُ والمحدثـاتُ؛ متمثّلـةً في الجبريّـة؛ القـائلين بالقدر، والجهميِّةِ؛ القائلين بخلقِ القرآنِ، والمعتزلةِ والأشـعريةِ، المخـالفين في الصفات، وغيرها من الغيبيّات.

فتفرَّقَ المسلمون شِيَعَاً وأحزاباً، ومذاهبَ وجماعاتٍ، كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون.

وصدقَ فيهم قولُ الرسولِ الكريم ﷺ حين قال: « افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ. وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ ؟ قَالَ: « الْجَمَاعَةُ ». [رواه ابنُ ماجه، وأبو داودَ، والترمذيُّ، وأحمدُ، وهو صحيحٌ]

وهكذا -عباد الله- ظهرت البدعُ، وعمَّ الجهلُ بعد صَفاءِ التوحيدِ، وطهارةِ التعبّدِ لله على الوجه الصحيح، في صورٍ ملوّنةٍ، وقوالبَ مُحرّفةٍ، وكان من بين هذه الجاهليات التي طرأت على الأمّة: جاهليّةُ التصوُّف، والتي ظهرت وانتشرت بعد انقراض القرون الثلاثةِ المُفضّلة التي قال عنها المصطفى ﷺ : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ». [متفقٌ عليه]

ظهرت هذه البدعةُ في ظلِّ الدولةِ الفَاطِمِيَّةِ (العُبَيْدِيَّة).

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميّة -رحمه الله-: (ظهرت الصوفيّةُ أولَ ما ظهرت في البصرة بالعراق على أيدي بعض العُبّادِ الذين عُرفوا بالغلوِّ في العبادة والزهد، والزُّهد والتقشُّف المُبالغ فيه، بل لقد زيّن لهم الشيطانُ أن يتّخذوا لباسَ الشهرة، فلبسوا الصوفَ، وقاطعوا القطنَ بدعوى أنّهم يريدون التشبُّه بالمسيح -عليه السلامُ-، فنُسِبوا إلى الصوف، وقيلَ لهم

الصوفيّةُ، فدعوى أنّهم منسوبونَ إلى أهـل الصُفّـةِ، أو إلى الصـفِّ المتقـدّم دعوىً باطلةٌ، يُكذّبُها الواقعُ واللّغةُ).

عباد الله:

لم تكن الصوفيّةُ إبَّانَ خروجِها في العراق ذلك الوقتِ بِدْعًاً مـن الأمـر، فقد سبقَ لها إرهاصاتٌ ومقدِّماتٌ من الغلوِّ في الدين، والتكلُّفِ في العبـادة والتعُّمقِ فيها، لكنّها قُمعت في عُقْرِ دارِها.

وبيَّنَ النبيُّ ﷺ أنَّ الدينَ يُسـرٌ، ولـن يُشَـادَّ الديـنَ أحـدٌ إلاَّ غلَبَـه، وأنَّ شريعةَ الله سبحانه وتعالى لا تقبلُ الزيادةَ ولا النقصانَ، وأنَّ دعوى حُسْـنِ النيّةِ، وسلامةِ القصْدِ والرّغبةِ في الاكثار من التعّبـدِ والطاعـة كـلُّ ذلـك لا يشفعُ لصاحب البدعةِ في قبول بدعته.

فقد روى أنسُ بن مالكٍ -رضي الله عنه- قال: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْـطٍ إِلَـى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَـا تَقَـدَّمَ مِـنْ ذَنْبِـهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِـمْ فَقَـالَ: « أَنْتـُمُ الَّذِيـنَ قُلْتـُمْ كَـذَا وَكَـذَا ! أَمَـا وَاللَّـهِ إِنِّـي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّـي وَأَرْقُـدُ، وَأَتَـزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ». [رواه البخاري]

فهؤلاء الثلاثةُ لم يحملهم على ما عزموا على فعله إلاّ الرَّغبةُ في الخير بالإكثارِ من العبادة، رغبةً في ثواب الله تعالى، وما أعدّه لعباده الطائعين. فنيّتُهم صالحةٌ، ومقصدُهم حسنٌ، إلاّ أنّ الذي فاتهم هو التقيُّدُ بالسنّةِ التي موافقتُها هي الأساسُ في قبول الأعمال، مع الإخلاص للهِ عزَّ وجلَّ.

عن عائشةَ -رضي الله عنها- قالت: قال رسولُ الله ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » .[رواه البخاري ومسلم]

قال الحسنُ -رحمه الله-: (لا يقبلُ اللهُ لصاحب بدعةٍ صوماً، ولا صلاةً، ولا حجّاً، وعمرةً حتى يدعَ بدعتَه).

والصوفيّةُ كغيرِها من البدعِ؛ ظهرت مُغلّفةً بغلاف العبادةِ والزهدِ، وهما أمران مرغوبٌ فيهما في الإسلام، ومقبولان في الشريعة، لكنّها مع مرور الزمن أخذت تَلُمُّ حولَها شتاتاً من البدع، وصنوفاً من التُرَّهات التي ما أنزلَ الله بها من سلطان، شَوَّهت جَمالَ الدين، وغيّرت مفاهيمَ العبادةَ لدى كثيرٍ من المخدوعين؛ الذين يُحسنونَ الظنَّ بكلِّ ذي عِمامةٍ مكوَّرةٍ، وسجّادةٍ مُزخرَفةٍ، وسُبْحَةٍ طويلةٍ، فاستحسنوا صنيعَ القومِ، وظنّوا أنَّ هذه هو الدينُ والشرعُ، وبئسَ ما ظنّوا؛ فإنّه ليسَ ثمَّ إلاّ طريقان: طريقُ الشرعِ والحقِّ، وطريقُ الهوى والباطلِ.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [القصص:٥٠].

فمن اتّبعَ هواه، وعبدَ الله بمستحسناتِ العقولِ والأهـواءِ، وخـالفَ مـا جاء به الرسولُ الأمينُ ﷺ فهو معاندٌ للشـرع، مُشـاقٌّ لله ولرسـولِه؛ لأنّـه بذلك يزعـمُ أنَّ الدين نـاقصٌ، وهـو بذلـك يستدركُ علـى الشـريعةِ الـتي أكملَها الله، وأنّه ببدعته تلك يُكمّلها.

قال الإمامُ مالكُ بن أنسٍ -رحمه الله-: (من ابتدعَ في الإسـلام بدعـةً يرى أنّها حسنةً فقد زَعَمَ أنَّ محمداً خانَ الرسالةَ؛ لأنّ الله يقـولُ: ﴿ **الْيَـوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُـمْ دِينَكُـمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَيْكُـمْ نِعْمَتِـي وَرَضِيـتُ لَكُـمُ الأِسْـلاَمَ دِيْنَـاً**﴾ [المائدة:٣]. فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا يكونُ اليومَ ديناً).

عباد الله:

لقـد ضَيَّـعَ المبتدعـةُ السـننَ والأحكـامَ، وراحـوا يتهـافتونَ علـى البـدعِ والمُحدثات، ولو عقلوا لكفاهم الكتابُ والسنةُ، ولكـن لا حيلـةَ في هدايـةِ من أرادَ الله غِوايتَه؛ فمن يُضللِ الله فلن تجدَ له سبيلاً.

وأهلُ البدع -مع ذلك- من أكسلِ الناس عن الطاعة، وأكثرِهم بُغْضـاً للسّنةِ وبُعداً عن الملّةِ، وإنّما نشاطُهم كلُّه في إحيـاء البـدع، والبحـث عـن الأحاديثِ الموضوعةِ والضعيفةِ، والحكايات المُختَرَعَةِ المكذوبةِ التي تؤيّدُ مـا ذهبوا إليه، فإذا ذُكِّروا بالكتاب والسـّنَةَ أعرضـوا عنهمـا، وأوّلوهمـا علـى غيرِ معناهما الصحيح.

وما رؤي الشيطانُ أفرحَ ولا أغبطَ منه بصاحب البدعةِ؛ لما يُحدثُه مـن خَلَلٍ وفسادٍ في ديـن الله. ولقـد ورد الوعيـدُ الشـديدُ في ذلـك؛ فعـن ابـن

مسعودٍ -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا، لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فأَقولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي» .[رواه البخاري ومسلم]

﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

اللَّهُمَّ اجعلنا متّبعينَ لا مبتدعين، وأجعل أعمالَنا خالصةً لوجهكَ يا أرحمَ الرّاحمين، وجنّبنا البدعَ والمُحدثات. أقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله تعالى فاستغفروه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله الواحدِ الأحدِ، الفردِ الصمدِ، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، والصلاةُ والسلامُ على أفضل المصطفين محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن تعبّد.

أمّا بعد:

فاتّقوا الله عباد الله، واعلموا أنَّ خيرَ الهـدي هـديُ محمـدٍ ﷺ ، وشرَّ الأمور مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدَثَةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالـةٍ في النار.

أيُّها الناس !

لقد تميّزت الصوفيّةُ عـن بقيّـةِ الفِـرَقِ الخارجـةِ عـن منهـجِ أهـلِ السنّة والجماعة ببدعة الاحتفال بالمولد النبويِّ؛ المصادفِ للثـاني عشـرَ مـن ربيـع الأولِ من كلِّ عام، والمُتتّبعُ لتأريخِ الإسلامِ والمسلمين يجدُ أنّ هـذه البدعـةَ لم تكن معروفةً ولا موجودةً عند القرون الأولى المُفضّلةِ حتّى جاءت الدولة الفاطِمِيَّةُ (العُبَيْدِيَّةُ)، التي انتسبت كَذِبَاً إلى فاطمةَ -رضي الله عنها-.

والمُحققّونَ من أهل العلم يرونَ أنّهـم ينحـدرونَ مـن أصـلٍ يهـوديٍّ أو مجوسيٍّ.

وقد احتفلَ الفاطميونَ بأربعةِ أحداثٍ: مولدِ النبيِّ ﷺ ، ومولدِ علـيٍّ -رضي الله عنه-، وولايةِ الحسنِ والحسين رضي الله تعالى عنهما.

وقسَّمَ العلماءُ الاجتماعَ الذي يُسمّونَه المولدَ إلى قسمين: أحدُهما: مـا خلا من المحرّمات؛ فهذا بدعةٌ لها حكمُ غيرِها مـن البـدع ، وهـي مـردودةٌ على صاحبِها. قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميّة: (واتّخاذُ الموالدِ عيداً بدعةٌ من البدع التي لم يستَحبَّها السلفُ الصالحُ، ولم يفعلوها، مع قيامِ المُقتضـي لـه، وعدمِ المانع منه، ولو كان هـذا خـيراً محضـاً، أو راجحـاً لكـان السـلفُ -

رضي الله عنهم- أحقَّ به منّا؛ فإنّهم كانوا أشدَّ محبّةً لرسولِ اللهِ ﷺ، وتعظيماً له منّا، وهم على الخيرِ أحرصُ).

وقال الفاكهانيُّ في هذا النوعِ من المولد: (لا أعلمُ لهذا المولدِ أصلاً في كتابٍ ولا سنّةٍ، ولا يُنقلُ عملُه عن أحدٍ من علماء الأمّةِ الذين هم القدوةُ في الدين، والمتمسِّكون بآثارِ المتقدِّمين، بل هو بدعةٌ أحدَثَها البطّالون، وشهوةُ نفسٍ اعتنى بها الأكّالونَ، بدليلِ أنّا إذا أدرنا عليه الأحكامَ الخمسةَ قلنا: إمّا أن يكونَ واجباً، أو مندوباً إليه، أو مباحاً، أو مكروهاً، أو مُحَرَّماً، وليسَ بواجبٍ إجماعاً، ولا مندوبٍ إليه؛ لأنَّ حقيقةَ المندوبِ إليه ما طلَبَه الشرعُ من غير ذمٍّ على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرعُ، ولا فعلَه الصحابةُ ولا التابعون ولا العلماءُ المتديّنون فيما علمتُ، ولا جائزٌ أن يكونَ مباحاً؛ لأنَّ الابتداعَ في الدين ليسَ مُباحاً بإجماعِ المسلمين، فلم يبقَ إلاّ أنْ يكونَ مكروهاً أو حراماً).

وأمّا القسمُ الثاني من عمل المولدِ؛ وهو المحتوي على المُحرّمات: فهذا منعَه العلماءُ إجماعاً؛ لمنع المسلمِ من الحرام. قال شيخُ الإسلام ابن تيميّة - قدّس الله روحَه-: (فأمَّا الاجتماعُ في عملِ المولدِ على غناءٍ ورقصٍ، واتّخاذُ ذلك عبادةً فلا يرتابُ أحدٌ من أهلِ العلمِ والإيمانِ في أنَّ هذا من المنكرات التي يُنهى عنها، ولا يَستحبُّ ذلك إلاّ جاهلٌ أو زنديقٌ).

أيُّها المسلمون:

والمُحتفلون بالمولدِ يدَّعونَ العواطفَ الكاذبةَ، وحبَّ الرسولِ ﷺ ، وإحياءَ ذكرِه، ونحوَ ذلك من الدعاوى. وكلُّ هذا حُجّةٌ عليهم لا حُجّةَ لهم فيه؛ إذْ كيفَ يجتمعُ حبُّ الرسولِ ﷺ ومخالفةُ أمرِه في النهي عن الإحداثِ في الدين، بل كيفَ يجتمعُ حبُّه وذكرُه مع تلك المُحرَّمات التي تُفعلُ في تلك الليلة المزعومة؛ من رقصٍ وخمورٍ ولهوٍ وغناءٍ مُحرَّمٍ، وقد نهى النبيُّ ﷺ عن ذلك كلِّه، وبيّنَ حرمتَه، ووضَّحَ اللهُ سبحانه وتعالى الميزانَ الصحيحَ لمحبتِه؛ ألا وهو اتّباعُه ﷺ ، وتنفيذُ أمرِه، وتحكيمُ سنّته في دنيا الواقع، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

إضافةً إلى ما في هذا الاحتفالِ من الإساءةِ إلى الرسولِ ﷺ ؛ لأنَّه إنّما يحتفلُ بموتِه، وكفى بذلك قُبحاً وضلالاً؛ فإنَّ المؤرِّخينَ مجمعونَ على أنَّه ﷺ توفي في الثاني عشرَ من ربيع الأول، ولكنّهم مُختلفون في تحديدِ مولده، وقد رجَّحَ أكثرُهم أنّه لم يكن في ربيع الأول.

فالمحتفلُ في هذه الليلة إنّما يحتفلُ بوفاته ﷺ ، كما ذكرَ ذلكَ الحافظُ ابنُ حَجَرَ -عليه رحمةُ الله-، وكفى بذلك خِزْياً وندامةً.

وعلى فرضِ أنّه ولدَ في الثاني عشرَ من ربيع الأول، فإنَّ صاحبَ العقل السليمِ يُدركُ أنَّ الفرَحَ في تلكَ الليلةِ ليسَ بأولى من الحُزنِ على وفاتِه ﷺ ؛

فإنَّ الأمَّةَ ما أُصيبت بأعظمَ من فقده ﷺ ، ولكنّها القلوبُ الضعيفةُ الإيمان، التي غلبت عليها الأهواءُ والشُّبه، فالله المستعان.

هذا وصلّوا وسلّموا رحمكم الله على المبعوث رحمةً للعالمين محمد بن عبد الله عليه أفضلُ الصلاة وأزكى التسليمُ ، اللهُّم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد بن عبد الله صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين ، وارضَ اللهُّم عن أصحاب نبيّك أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.....

❧ ❧ ❧



فتن المجلات وأخطارها على الأمة

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾ [النساء:١] ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله تباركَ وتعالى واشكروه، وأنيبوا إليه واستغفروه.

أيُّها المسلمون:

إنَّ ممَّا ابتُلِيَ المسلمونَ به اليوم: ما قذفت به المدنيّةُ الغربيّةُ من سمومٍ قاتلةٍ، ووسائلَ مهدّمةٍ للمسلمين وأخلاقِهم التي ما فتِئُوا يُحافظون عليها ردْحَاً من الزمن.

ومن أهمِّها وأعظمِها خطراً على الأسرِ والبيوتات، والأفراد والمجتمعات: المجلاَّتُ والصُحُفُ، التي تحملُ في طيّاتها السُّمَ الزُّعافَ، والداءَ العُضالَ على المسلمين والمسلمات، في أساليبَ برَّاقةٍ، وكلماتٍ معسولةٍ، وشُبَهٍ مُضَلِّلةٍ، وشهواتٍ مُهدِّمةٍ، ما هي إلاّ نوعٌ من أنواع الغزو الفكريِّ المُركَّزِ على بلادِ المسلمين، ضدَّ عقيدتِهم، ومبادئِهم، وقيَمِهم وأخلاقِهم، بهدف القضاءِ على كلِّ هذه القيَمِ وتلكَ المفاهيمَ والمبادئَ والأخلاقَ التي ربّاهم عليها إسلامُهم ودينُهم الحقُّ المُنزَّلُ من عند خالقِهم الخبيرِ بما يصلحُهم، ويدرأُ عنهم الفسادَ والضلالَ.

أيُّها المسلمون:

وبدأت هذه الشبُهاتُ والشهواتُ تدبُّ إلى قلوبِ السُّذَجِ من الناس، وتستولي على مشاعرِهم، وتأسُرَ نفوسَهم عندما انفتحت الطاقةُ الكبرى والبليّةُ العُظمى؛ تلك الصحفُ والمجلاّتُ الهابطةُ، المتحلّلةُ من كلِّ أدبٍ وفضيلةٍ، والمُنسلخةُ من كلِّ دينٍ وحياءٍ، والداعيةُ إلى المجونِ والفسوقِ،

والخَلاَعَةِ، في عصرٍ كثُرَ فيه الفراغُ الجسميُّ، والفكريُّ والنفسيُّ لدى المسلمين، وسيطرت الفطرةُ البهيميّةُ على عقولِ كثيرٍ منهم بعدَ سنواتٍ عديدةٍ من الغزو المُركّزِ على الأمّة من أعدائها؛ الذين يعملون ليلاً ونهاراً لإردائها في الحافرةِ، وإنزالِها من عليائها إلى دنيا الحضيضِ التي يعيشُها الكفارُ.

نعم عباد الله ! عكفَ المسلمون على هذه المجلاّت، وأضاعوا بذلكَ مصالحَ دينهم ودنياهم، فصاروا فريسةً لذلك الداءِ العُضالِ، نسألُ الله لنا ولهم السلامةَ.

وهذه المجلاّتُ الهابطةُ إنّما تُصدِّرُ عفنَ القومِ وصديدَهم؛ بهدفِ تخريبِ البيوتِ المسلمةِ، وتدميرِ الأخلاقِ النبيلةِ. وأعداءُ الأمَّةِ إنَّما دخلوا عليها من بابِ الشهواتِ والفتنِ، فهم دعاةٌ على أبواب جهنّمَ، من أجابَهم قذفوه فيها، فالنّارُ حُفّت بالشهوات، وليس عجباً أن يصدُرَ كلُّ هذا من أعداء الأمّة؛ الحاقدين عليها، وقد قال الله تعالى عنهم: ﴿**وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً**﴾ [النساء:٨٩]. ﴿**وَلَنْ تَرْضَىَ عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَىَ حَتَّىَ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَىَ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**﴾ [البقرة:١٢٠].

نعم ! ليس عجباً أن يصدُرَ هذا من أعداءِ الأمّةِ، ولكنَّ العجبَ كلَّه أن تجدَ من أبناء المسلمين من يسعى وراء هذه المجلاّت الهابطةِ، ويلهث في سبيل استيرادها وتصديرِها، ونشرِها في بلادِ المسلمين، وأيصالِها إلى بيوتِهم، ومجتمعاتهم.

وإن تعجب من ذلك، فعَجبٌ أن ترى من المسلمين من يُنفقُ مالَه الذي أُمِرَ بحفظهِ في شراءِ هذه المجلاّت، ثمَّ يُدخلُها بيتَه لتقعَ في أيدي ابنائهِ وبناتِه وزوجتهِ، وحينئذٍ فقل على الفضيلة السلامُ، وقد خابَ من استرعى الذئبَ الغنمَ.

ولك أن تعلمَ أخي المسلم أنّما يبذلُه هؤلاء من جُهدٍ ووقتٍ في تتبُّع هذه المجلاّت، الوافدة إلينا من أعدائنا، واللَّهَثِ خلفها، والإعجابِ بما فيها إنّما هو خسارةٌ من أعمارهم، وهَدَرٌ في أقاتِهم، وإضاعةٌ لأموالِهم، وكلُّ ذلك مُحاسبونَ عليه غداً عندَ أحكمِ الحاكمين، وأسرعِ الحاسبين سبحانه وتعالى.

عن عبد الله بن مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ: « لاَ تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ » .[رواه الترمذيُّ]

وكم هو مؤسفٌ ومؤلمٌ أن يدخلَ الإنسانُ بعضَ المراكزِ التجاريّةِ والمكتباتِ والبَقّالاتِ وغيرَها فيرى أولَ ما يرى تلكَ السلّةَ القبيحةَ المنظر، وتلكَ الرفوفُ السوداءُ بما جُمعَ فوقها من صُحُفٍ سافلةٍ، ومجلاّتٍ فاضحةٍ، تدعو -كتابةً وتصويراً- إلى التّحلُّلِ من الفضيلةِ، والتّردي في هُوَّةِ الرّذيلةِ.

مجلاّتٌ سافلةٌ تنشرُ الخلاعةَ، والبذاءَ والسُفُولَ، مُهدِّمةٌ للأخلاق، مُفسدةٌ للأمّة، لا يشكُّ عاقلٌ حصيفٌ ماذا يُريدُ مروّجوها بمجتمعٍ إسلاميٍّ محافظٍ على إسلامه.

وكم يروعُك المنظرُ عندما ترى أغلفَةَ هذه المجلاّت وقد غُلِّفت بصورِ الفاتناتِ الزانياتِ العاهراتِ المُتحلّلاتِ، من كلِّ حياءٍ وعفّةٍ، بمختلف المقاسات، وبالألونِ والأصباغِ المختلفة الداعيةِ إلى الزّنى والفتنة، والتي لو وُضعت على حيوانٍ قبيحٍ لفُتِنَ به الناسُ في عصرٍ كَثُرَ فسادُه، وقلّت فيه العِفّةُ والحياءُ.

والغلافُ وحده يكفي لهدمِ أمّةٍ بكاملها، وما بالداخل أعظمُ؛ حيثُ تحتوي تلك المجّلاتُ على أقوالٍ ساقطةٍ، وعباراتٍ ماجنةٍ نابيةٍ، يمجُّها كلُّ ذي خلُقٍ فاضلٍ، ودينٍ مستقيمٍ، وكلماتٍ تدعو إلى العزفِ المُحرَّمِ، والموسيقى السافلةِ، واللّهوِ الفاضحِ، ونساءٍ كاسياتٍ عارياتٍ على رؤوسِهنَّ كأسنمَةِ البُختِ المائلةِ، في أزياءَ منحطَّةٍ، تصوِّرُ المرأةَ على أنّها سلعةٌ تجاريّةٌ تُعرضُ بأبخسِ الأثمان.

ناهيكم -عباد الله- عن المجلاّت الخاصةِ بالفيديو وبرامج القنواتِ الفضائحيَّةِ، التي تحتوي على صورة الرجلِ والمرأة وهما يقترفان الفاحشة، ويُعانقان الرَّذيلةَ، في بُعدٍ عن الحياءِ والفضيلةِ، ومن لم يستحِ صنعَ ما شاء. وهذه والله إنّها لتُحرِّكُ من لا شهوةَ له، فكيف بمن له شهوةٌ يُكابدُها ليلاً ونهاراً، نسألُ الله العافية.

قلْ لي بربِّكَ: كيفَ يكونُ حالُ الفتاةِ والفتى عندما تقعُ أنظارُهم على هذه المجلاّت الهابطةِ التي قد مُلئت بصورِ العاهراتِ الكاسياتِ، والزُّناة والزواني، أجارنا الله. هذه المجلاّتُ الساقطةُ التي تُعرَضُ بها صور حُثالَةِ المجتمع؛ الممثلين، والممثلات، كيومِ ولدتهم أمهاتُهم، فبالله عليكم أيُّها المسلمون كيف يكونُ حالُ شبابنا وشاباتنا المراهقين إذا وقعت هذه المجلاّتُ في أيديهم.

الله أكبرُ كم أفسدت من مجتمعٍ، وكم هدَّمت من أُسَرٍ، وكم جرَّعت من غُصَصٍ، وكم زرعت من الشقاقِ والنفاقِ والفُرْقَةِ التي لا تلاقي بعدها أبداً بين الزوجين، عندما يرى الزوجُ صورَ العاهراتِ المُغيِّراتِ خَلقَ اللهِ فيها، وقد يكونُ بينهنَّ من هي أجملُ من امرأته، ولا بُدَّ، فيبدأُ الشيطانُ يوسوسُ له حتّى يتركَ زوجتَه، ويلهثَ وراءَ البريقِ اللاّمعِ، والسرابِ الخادعِ، وهكذا حالُ المرأة عندما ترى رجلاً أجملَ من زوجها.

كلُّ الحوادثِ مبدؤها من النظرِ ... ومعظَمُ النارِ من مُستَصغَرِ الشَّرَرِ
كم نظرةٍ فتكتْ في قلب صاحبِها ... فتكَ السِّهامِ بلا قوسٍ ولا وَتَرِ
والمرءُ ما دامَ ذا عينٍ يُقلِّبُها ... في أعيُنِ الغِيْدِ موقوفٌ على الخَطَرِ
يسرُّ مُقلتَه ما ضرَّ مُهجَتَه ... لا مرحباً بسرورٍ جاءَ بالضَّرَرِ

أيُّها المسلمون:

إنَّ هذه المجلاّت ذاتُ مفاسدَ عديدةٍ، وأخطارٍ جسيمةٍ على الأسر والمجتمعات، ومن هذه المفاسد -على سبيل المثال لا الحصر-: إضاعةُ المال

الذي جعلَه ا للهُ سبحانه وتعالى قياماً للناس، لمصالحِ دينِهم ودنياهم، وصرفُه فيما لا نفعَ فيه، بل فيه الضررُ والهلاكُ والفسادُ المُحقّقُ.

ومنها: إضاعةُ الوقتِ الذي هو حياةُ الإنسانِ في مطالعةِ وقراءةِ ما يضرُّ ويُفسد، بل إنَّ من اللاّهثين وراءَ هذه المجلاّت من يهجرُ القرآنَ الكريمَ وكتبَ السُّنّةِ والسيرةِ، ويصرفُ وقتَه كلَّه في قراءةِ هذه المُفْسِدَاتِ.

ومنها: ما يحصلُ للقلب من هُيامٍ في الحبِّ الكاذبِ، وإغراقٍ في الخيالِ الذي لا حقيقةَ له، وإنّما هو ﴿ **كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْـآنُ مَـآءً حَتَّـىَ إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِـدْهُ شَـيْئاً وَوَجَـدَ ا للهَ عِنـدَهُ فَوَفَّـاهُ حِسَـابَهُ وَا للهُ سَـرِيعُ الْحِسَـابِ**﴾ [النور:٣٩].

وهذا كلُّه يدعو إلى القَلَقِ النفسيِّ، والتَّشتُتِ الفكريِّ، والانشغالِ عن مصالحِ الدينِ والدنيا.

ومن أعظمِ مفاسدِ هذه المجلاّت: تأثيرُها على الأخلاق والآداب بما يُشَاهَدُ فيها من صورٍ وأزياءَ، فينقلبُ المجتمعُ إلى مجتمعٍ بهيميٍّ مطابقٍ لتلك المجتمعات الكافرة.

وحتّى تتأكدوا من مفاسدَ هذه المجلاّت الوافدةِ علينا من بلاد الكفرِ والضلالِ، وخطرِها على الأجيالِ المسلمةِ، فإنّي أنقلُ لكم بعضَ الأقوالِ الساقطةِ الهدَّامةِ التي تردُ في تلك المجلاّت، وما لم يقع في يدي أعظمُ وأعظمُ، إلى جانب ما تحتويه من صورٍ فاضحةٍ فاتنةٍ.

فمن ذلك: ما وردَ في صحيفة (الشرق الأوسط) على لسان أحدِ المُحدَثين؛ حيثُ يقول: (أبو هريرة يروي أحاديثَ تنافي الذّوقَ السليم، مثلَ حديث الذُّبابةِ).

وحديثُ الذُّبابة الذي عناه هذا الغرُّ الساخر من كلام المعصوم ﷺ الذي لا ينطقُ عن الهوى؛ إن هو إلاّ وحيٌ يوحى، وهو حديثٌ ثابتٌ في الصحيح، ولكنَّ ذلك المجرمَ إنّما يريدُ بقوله ذلك الطعنَ في أصحابِ رسولِ الله -رضي الله عنهم وأرضاهم-، ومن ثَمَّ الطعنَ في رسولِ الله ﷺ ، والتشكيكَ في الدين الذي جاءَ به، والتَّهجُّمَ على هذا الصحابيِّ الجليل الذي هو من أفضل الصحابة علماً وورعاً ونقلاً للسنّة النبويّة الشريفة. وقد قال عن نفسه -رضي الله عنه- عندما اتُّهِمَ بالوَضْعِ في الحديث؛ لإكثارِهِ من الرواية: (يقولُ الناسُ أكثرَ أبو هريرة، والله المَوْعِدُ، إنّي كنتُ امرءً مُلصَقاً برسولِ الله، آخذُ عنه العلمَ والدينَ، وكان الناسُ يشغلُهم الصَفْقُ في الأسواق).

يقولُ الإمامُ أبو زُرْعَةَ الرَّازيُّ -رحمه الله-: (إذا رأيتَ الرجلَ ينتقصُ أحداً من أصحابِ النبيِّ فأعلم أنّه زنديقٌ؛ وذلك أنَّ الرسولَ ﷺ حقٌّ، والقرآنَ حقٌّ، وما جاءَ به حقٌّ، وإنّما أدّى ذلكَ إلينا الصحابةُ، وهؤلاءِ الزنادقةُ يريدونَ أن يجرحوا شهودَنا ليُبطلوا الكتابَ والسنّةَ، فالطعنُ بهم أولى).

والحديثُ الذي عَنَاهُ هذا: هو قولُه ﷺ : « إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ، ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ؛ فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً، وَفِي الآخَرِ دَاءً » .[رواه البخاريُّ، وأهلُ السُّنَن]

وهذا الحديثُ العظيمُ الذي كشفَ الطبُّ الحديثُ عن فائدته ومعجزته في القرن الرابعَ عشر للهجرة لم ينفرد به أبو هريرةَ وحدَه، وإنّما ذكر الحُفّاظُ أنَّه رواه أبو سعيدٍ الخدريُّ وغيرُه. وهؤلاء الجهلةُ لم يعلموا بروايةِ غيرِ أبي هريرة، فطعنوا فيه لأنَّه لم يوافق عقولَهم وأهوائِهم، وهذا طعنٌ في الدين؛ إذْ من القواعد المُقرَّرةِ عندَ أهلِ الحديثِ: أنَّ الحديثَ إذا صحَّ كان حُجَّةً، ولو كان الراوي له واحداً.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله رب العالمين ، ولا عدوانَ إلاّ على الظالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ وحده لا شريك له إلهُ الأولين والآخرين ، وقيّومُ يومِ الدين ، وأشهدُ أن محمداً عبدُ الله ورسولُه خاتمُ المرسلين ، وإمامُ المتقين ، صلى

ا لله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فمن الأقوال الضالة المُضلّة التي تطفحُ بها هذه المجلاّتُ: ما وردَ في مجلّة (سيِّدَتِهم) ! في العدد الحادي والخمسين: « من عُيوبِ الزوجِ العربيِّ: الغيرةُ ».

ا للهُ أكبرُ ! أهذا من العيوب، وقد قال النبيُّ ﷺ لأصحابه: « أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي» .[متفقٌ عليه]

وذاكَ الجاهليُّ العربيُّ يقولُ:

إذا وقعَ الذبابُ على طعامٍ رفعتُ يدي ونفسي تشتهيهِ
وتجتنبُ الأُسودُ ورودَ ماءٍ إذا كُنَّ الكلابُ ولغنَ فيهِ

فكيف بالرجلِ المسلمِ الذي أكرَمَه ا للهُ بالإسلامِ الذي حَفِظَ عليه عرضَه، وميّزَه بالغيرة على محارمه، وصانَه عن صفة الدِّياثةِ.

ومن ذلك: ما وردَ في مجلّةِ (كلِّ الناس) في العدد الثامن والخمسين: « ما ذا لو قالتِ المرأةُ هذا الرجلُ صديقي ؟!! ».

ا للهُ أكبرُ يا عباد ا لله، هل بعد ذلك من دِيَاثَةٍ، وتطاولٍ على شرعِ ا للهِ ودينِه. أيسوغُ لامرأةٍ تؤمنُ با لله واليوم الآخر أن تتخذَ أخداناً تُعانقُ معَهم الرَّذيلةَ، وزوجُها لا يُحرِّكُ ساكناً، ثمَّ لا يكونُ بعد ذلك في هذا شيءٌ ؟!!

نعم ! هذا عندهم ليس عَيْباً، إنّما العيبُ في عُرْفِهم -لّما انتكست مفاهيمُهم- أن يغارَ الرجلُ على أهله وزوجِه، ويصونَها عن أيدي العابثين.

أيُّها المسلمون:

وقد وردَ في مجلّة (فرج) في العدد الرابع والثلاثين ما نصّهُ: (الزواجُ المُبكّرُ إرهاقٌ للمرأة، وصُداعٌ للرجل).

وهؤلاء السَّفَلَةُ يُحاربون الفضيلةَ، ويدعون إلى الرَّذيلةَ، فالزَّواجُ المُبكّرُ عندهم مصيبةٌ، لكن لا بأس أن تزني الفتاةُ والشابُ، ويتعلّما في الصِغَرِ أساليبَ الحياة الزوجيّة، فهذا لا يؤدي في نظرِهم إلى الإرهاقِ والتعب !!

ولكَ أخي المسلم أن تتساءل: هل تتعبُ المرأةُ مع زوجٍ يحفظُ كرامتَها، ويصونُ عرضَها، ولا تتعبُ وهي في مستنقعات الفسادِ، وأديرَةِ الخَنا والزنا، يتعاقبُها الذكورُ بين الساعةِ والأخرى ؟ ألا ساءَ ما يحكمون.

ومن ذلك -أيضاً-: ما ورد في مجلّة (المصوّر) في العدد السابعِ وخمسمائة وثلاثة الآف: (عادل إمام مثلُ أبي ذرٍّ الغفاري، يمشي وحدَه، ويموتُ وحدَه، ويُبعثُ يومَ القيامة وحدَه).

ما أجملَ المقاييسَ الشيطانيةَ ، عادل إمامُ الماجنُ الفاسقُ التافهُ مثلَ أبي ذرٍّ الغفاري، صاحبِ رسول الله ﷺ ، المجاهدِ في سبيل الله، الذي بشّرَه النبيُّ ﷺ بالجنّة، وأخبرَه أنّه يموتُ وحدَه، ويُبعثُ يوم القيامة وحدَه، شرفاً

له وفضلاً عندما خالفَ المنافقين، وخرجَ مجاهداً في إثْرِ جيشِ النبيِّ ﷺ لغزوةِ تبوك.

ولقد جاء في مجلّةِ (سلوى) في العدد الثالث والعشرين ما نصُّهُ: (في حياتنا اهتماماتٌ لا داعي لها، يمكنُ أن نُلغيَها، كمعاملِ الأبحاثِ الذريَّةِ مثلاً، لأنّنا لن نستفيدَ شيئاً، لكن سوفَ نستفيدُ كثيراً لو أنشأنا مدرسةً للرّقص الشرقيِّ، تتخرَّجُ منه راقصةٌ مثقَّفةٌ متعلّمةٌ لجذبِ السُّيّاحِ).

ا لله المستعانُ ! أهكذا يجبُ أن تكونَ اهتماماتُ المسلمين، أعداءُ الأمّةِ يتقدَّمون في مجالِ الذرَّةِ والأسلحةِ والابتكاراتِ التي حاربوا بها بلادَ المسلمين، واستعمروهم ماديَّاً ومعنويَّاً وفكريَّاً، ونحنُ أقصى اهتماماتنا أن نُخرِّجَ راقصةً عاهرةً زانيةً تجذُبُ السُّيّاحَ إلى مجتمعاتنا لنشرِ الفسادِ والفجورِ ؟!

أهكذا ننتصرُ على أعدائنا بالرَّقصِ، وقد قال ا لله تعالى في محكم التنزيل: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ ا للهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ ا للهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ا للهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

بل لم يكتفوا بذلك؛ فقد تطاولوا على ا لله سبحانه وتعالى، وأساءوا الأدبَ في حقّهِ ؛ فقد وردَ في مجلّة (روز اليوسف) في العدد ثلاثة الآف وثلاثمائة وثمانيةَ عشر: (لقد خلقَ ا للهُ الإنسانَ وسكنَ فيه).

تعالى ا لله عمّا يقولُ الظالمون عُلُّواً كبيراً.

وهذا عباد ا لله فيضٌ من غيضٍ ما تطفحُ بـه تلـك المجـلاّت الوافـدة إلى بلاد المسلمين من ضلالٍ وكفرٍ واسـتهزاءٍ بالمسـلمين والمسـلمات، وتهجُّـمٍ علـى أخلاقِهـم وعقيدتِهـم، وعلـى رسـولِهم وصحابتِـه، وعلمـاءِ الأمَّـةِ وفضلائِها، واهتمامٍ بالتافهين والسـاقطين. وتلـك إحصـاءاتٌ قديمـةٌ جـدّاً، وإلاّ فإنَّ الفسادَ اليـومَ فيهـا أكـثرُ، وا لله المستعان؛ وإنَّمـا قصدنـا التمثيـلَ والتَّحذيرَ عن طريق ضربِ الأمثلةِ التي يتّعِظُ بها من كان له قلـبٌ أو ألقـى السَّمعَ وهو شهيدٌ.

يحدثُ هذا والمسلمون مـع الأسـفِ لا يُحرِّكـون سـاكناً، بـل يزيـدون أعداءَ الأمَّةِ مساعدةً وتقويةً بشرائها وترويجها بين المسلمين.

أيُّها المسلمون:

هل يجوزُ بعد هذا أن تُباعَ هذه المجلاّتُ، وتُنشرَ وتُوزَّعَ بين المسـلمين، وفي عُقرِ دارِهم ؟ لا شكَّ أنَّ ذلك محرَّمٌ، بل لقد أفتى عُلماءُ الأمّة في هـذه البلاد المباركة وفقهم ا لله بتحريم بيعِهـا وشـرائِها، وتحريـمِ ثمنِهـا، وتحريـمِ تأجيرِ المَحَلاَّتِ لمن يبيـعُ تلـكَ المجـلاّت؛ لأنَّ هـذا كلَّـه تعـاونٌ علـى الإثـم والعدوان، وا للهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْـبِرِّ وَالتَّقْـوَى وَلاَ تَعَـاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُـدْوَانِ وَاتَّقُـواْ ا للهَ إِنَّ ا للهَ شَـدِيدُ الْعِقَـابِ**﴾ [المائدة:٢]. هـذا إلى جانب مفاسدِها التي لا يشكُّ عاقلٌ منصفٌ في تحقُّقِها.

وإنّني أُحرِّجُ بعد هذا على كلِّ صاحبِ بقّالةٍ، أو مكتبةٍ، أو غيرِها أن يتّقِ الله تعالى، وأن يُخرجَ هذه المُفسداتِ من محلّه، وليعلم أنّه مسئولٌ عن مالهِ من اينَ اكتسبَه ، وفيمَ أنفقَه.

وهل يقولُ مسلمٌ بعد ذلك: إنَّ الكسبَ من وراء هذه المجلاّت حلالٌ؟ أم هل يشكُّ عاقلٌ في حرمتِها وخطرِها على المسلمين ؟

وَلْيَعْلَمْ كلُّ من يبيعُ هذه المجلاّت أو يُروِّجُها أنَّ كلَّ فسادٍ حصلَ من ورائِها فإنَّ عليه إثمَه إلى يومِ القيامةِ، لا ينقصُ ذلك من آثامِ من ضلَّ بها شيئاً.

فلا تُدنّسوا ربحكَم أيُّها المسلمون بالحرام، فإنَّ كُلَّ جِسْمٍ نبت من السُّحتِ فالنارُ أولى به. واتّقوا الله أيُّها الأولياءُ وأربابُ البيوت، احذروا من دخول هذه المجلاّت المفسدةِ إلى بيوتكم؛ فإنّها رأسُ كلِّ بلاءٍ وفتنةٍ.

وعلى كلِّ شابٍ أن يتقِ الله تعالى في نعمة البصر والوقت التي أنعمَ الله بها عليه، فلا يُضيّعَها في الحرام فـ ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء:٣٦].

ثم اعلموا رحمكم الله: أنَّ البديلَ عنها موجودٌ بحمد الله لمن أرادَ معرفةَ الأخبارِ ونحوَها، ممّا يصدرُ في هذه البلاد -حرسَها الله من كيدِ الأعداء- وفي غيرِها من بلادِ المسلمين من مجلاّتٍ وجرائدَ محافظةٍ على الخير، وبعيدةٍ عن المحرَّمات؛ كمجلّةِ المجتمعِ، والإصلاحِ، والدعوةِ،

والتوحيدِ، والبنيانِ المرصوصِ، والحكمةِ، والبحوثِ الفقهيّةِ، والبحوثِ الإسلاميةِ، والجرائدِ المحليّةِ.

ألا فاتقوا الله تبارك وتعالى أيُّها المسلمون ، وصلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم الله تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)). [رواه مسلم]



مسجدُ الضرار ومؤامرات المنافقين

●الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الكريمِ الوهّابِ، غافرِ الذّنبِ وقابلِ التّوبِ شديدِ العقابِ، ذي الطولِ لا إله إلاّ هو إليه أدعو وإليه متاب، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له، ربُّ الأربابِ ومُسَبّبُ الأسباب، وخالقُ البشرِ من ترابٍ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ من صلّى وأناب، وخيرُ من استغفرَ وتاب، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، وعلى آله وصحبه، خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم المآب.

أما بعد:

فأُوصيكم أيُّها الناسُ ونفسي بتقوى الله تبارك وتعالى في السرِّ والعَلَنِ، فهي وصيّةُ اللهِ تعالى للأولينَ والآخرينَ من خلقهِ، ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ**

أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ غَنِيّاً حَمِيداً ﴾ [النساء:١٣١].

تقوى الله سبحانه أعظمُ وسيلةٍ للرِّفعةِ والشَرَفِ، والفلاحِ والنجاةِ، فاتّقوا الله رحمكم الله، واستعدّوا لما أمامَكم، وحاسبوا أنفسَكم، وافعلوا الخيرَ لعلّكم تفلحون.

عباد الله:

النفاقُ من اللّوثاتِ الخبيثةِ، والأمراضِ المعنويّةِ الخطيرةِ التي يُعاني منها الإسلامُ على مرِّ الأيامِ والدّهورِ بمرارةٍ، وهو انحرافٌ خُلُقيٌّ خطيرٌ في حياة الفردِ والجماعةِ؛ إذْ يقومُ بعمليّات الهدمِ الشنيعِ، والتفتيتِ الفَضيعِ للمجتمع من الداخل، وصاحبُه آمنٌ مُسْتَأمَنٌ، لا تُراقبُه الأعينُ، ولا تَطيفُ بذكره الألسُنُ، ولا تَحْسِبُ حساباً لمكرهِ ومكائدهِ الأنفُسُ.

النفاقُ -يا رعاكم الله-: سلوكٌ مُركّبٌ في الفردِ، يرجعُ إلى عناصرَ خُلُقيّةٍ مُتعدّدةٍ؛ أهمُّها: الكذبُ، والجُبْنُ، والطَمَعُ في حُطامِ الدنيا الفاني، والإعراضُ عن الحقِّ وجحودُه، وتلك بمجموعِها تُمثّلُ شبكةً شيطانيّةً عنيدةً، يصعُبُ التعاملُ معها، والحذرُ منها.

ترى الواحدَ منهم يعيشُ بين الناس بلسانين، وتتلّونُ نفسُه لونين، يقودُ نفسَه بزمامِ الشيطان إلى الرَّذائلِ والمُحرّماتِ، فإذا همّت بالمعروف قال لها: مهلاً !

وتبرُزُ خطورةُ النفاق والمنافقين على المؤمنين: في تدبير المؤامراتِ، وَحَبْكِ الدسائسَ ضدَّ المسلمين، والمشاركةِ فيها، والاستجابةِ لمروِّجيها؛ لأنّهم قومٌ بُهْتٌ خَوَنَةٌ، لا تصفو مودَّتُهم لأحدٍ، ولا يسلمُ من أذاهم بشرٌ، قد صَدقَ فيهم قولُ المصطفى ﷺ : ((تَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ؛ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَيَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ)) .[رواه البخاري ومسلم]

ترى أحدَهم يتقلَّبُ بين الأفرادِ والجماعاتِ، لا يدري مع من يَأمنُ، ولا من يُخالطُ ويرضى، مُنطبقاً عليه قولُ المصطفى ﷺ : ((مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ؛ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً)) .[رواه مسلم]

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۞ وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة:٦٧-٦٨].

عباد الله:

ومن أبرزِ المُخَطَّطاتِ النِّفاقيَّةِ التي سَجَّلَها القرآنُ الكريمُ وَصْمَةَ عارٍ على جبينِ المنافقينَ إلى يومِ القيامة: مُخَطَّطُ مسجدِ الضِّرارِ ؛ التي دبَّرَها المنافقُ أبو عامرٍ الرَّاهب مع فريقٍ من المنافقين من جهةٍ، ومع الرُّومِ من الجهةِ الأخرى؛ بقصدِ القضاءِ على المسلمين سِرّاً وهم غافلون.

كان أبو عامر الرَّاهبُ؛ عبدُ عمرو بن صَيفيٍّ بن مالكٍ بن النعُمان أحدُ بني ضُبيعةَ خزرَجيّاً من أهــل يثرب، وقـد تنصَّـرَ قبـلَ الإسـلامِ، وكـان ذا مكانةٍ في قومِه، فلمَّا هاجرَ رسولُ الله ﷺ إلى المدينـة، وبنـى مسـجدَ قُبـاءَ أولَ مسجدٍ أُسِّسَ على التقـوى، ورأى هـذا المنـافقُ تجمُّـعَ المسـلمين فيـه، وظهورَ أمرِهم أعلنَ عِداءَه الأكيدَ للرسولِ ﷺ وأتباعِه، وأخذَ يؤلِّبُ عليـه من استطاعَ صَدَّهُ عن الإسلامِ من قومِه.

غيرَ أنَّ هذا المنافقَ لم يظْفَرْ بما يُريدُه داخلَ المدينةِ، فخرجَ منها إلى مكّةَ مُحرِّضـاً المشـركينَ فيهـا علـى مُحَارَبـةِ المسـلمين، بعـد أن شَـرِقتْ نفسُـه بانتصارِ المسلمينَ في غزوةِ بدرٍ الكبرى.

وكان قد حلَفَ ليُحاربنَّ محمـداً مـع كـلٍّ مـن يحاربُـه. وقـال لمشـركي مكّةَ: إنَّ لي أنصاراً في يثربَ، إذا رأوني لم يختلف عليَّ منهم رجلان.

فخرجَ مع المشركينَ في غزوة أُحُدٍ، وكان في أولِ جيشـهم؛ لِيَسْتَحِثَّ قومَه الذين في صفوفِ المسلمين على طاعتِه وخُذْلانِ الرسولِ ﷺ وصحبـه رضي الله عنهم. لكنّهم لم يستجيبوا له بعد أن شَرُفتْ نفوسُهم بالإسلام، ونَعُمَتْ قلوبُهم ببَرْدِ الطاعةِ وحلاوةِ الإيمان. فرجعَ إلى مكّةَ مع المشـركينَ مُمتلئاً غيظاً وحقداً على المسلمين الذين فَرَّقوا بينَه وبينَ قومِه -بزعمه-.

وما بَرِحَ هذا المنافقُ يُدبِّـرُ الخُطَـطَ، ويَحِيْـكُ المؤامـراتِ ضـدَّ المسـلمين حتّى فتحَ الله مكّةَ على رسولِه ﷺ وعلى المؤمنين. وخرجَ رسـولُ الله ﷺ

لفتح الطائف، فَانضَمَّ هذا المنافقُ إلى قبائل هوازنَ وثقيفَ ومن معهم يُقاتلُ المسلمين.

ولكنَّ الله جلَّ شأنُه نصرَ المسلمين في حُنينٍ، فَيئسَ أبو عامرِ الرّاهبُ من الاعتماد على قُوَّاتِ الشِرْكِ داخلَ الجزيرةِ، وقلبُه يغلي كراهيَةً وبُغْضَاً للإسلامِ والمسلمين.

فقرَّرَ أن يستعينَ على المسلمين بهِرَقْلِ الرُّومِ في الشام، فَهَرَبَ إليه، واتّفقَ معه على أن يُرْسِلَ معَه جُنداً لحربِ محمدٍ وأصحابِه، في عمليّةِ انقضاضٍ ماكرةٍ خبيثةٍ على عاصمةِ الإسلامِ والمسلمين.

وفي سبيل إحكامِ هذه المؤامرة، ولتكون حملةً شَرِسَةً خاطفةً لا يتنبّهُ لها أحدٌ أخذَ أبو عامر يُراسلُ خُلَصاءه من المنافقين في المدينة سِرّاً بما اتّفقَ عليه مع قَيْصَرِ الرُّومِ، ويأمرُهم بالاستعداد بكلِّ ما استطاعوا من قوّةٍ وسلاحٍ، وأن يبنوا قاعدةً سِرِّيَّةً في ضاحيةِ المدينةِ، لا يشعرُ المسلمونَ لما يُرادُ منها، تمثّلت هذه القاعدةُ في مسجدٍ يبنيه المنافقون، ويجتمعونَ فيه، مُتَّخذينَ لإقامته المُبرّراتِ الكافيةَ أمامَ الرسولِ ﷺ ؛ حتّى يأذنَ لهم بإقامته.

وفي سبيل تنفيذ هذه المؤامرةِ الماكرةِ اجتمعَ اثناعشرَ منافقاً من بني غَنَمِ ابنِ عَوْفٍ، وقَرَّروا إقامةَ مسجدِهم هذا قريباً من مسجدِ قُباء، وقد تمّ بناؤه بينما كان النبيُّ ﷺ يتجهَّزُ للسفرِ إلى تبوك؛ لغزو الرُّومِ.

فلّما فرغوا من بنائِه أتوا رسولَ ا للهِ ﷺ ، فقالوا له: يا رسولَ ا للهِ ! إنّا قد بنينا مسجدً لذي العلّةِ والحاجةِ والليلةِ المطيرة، وإنّا نُحِبُّ أن تأتِيَنا فتُصلّيَ لنا فيه. فقال ﷺ : « إنّي عَلىَ جَنَاحِ سَفَرٍ، وحَالِ شُغْلٍ، ولو قَدمنا إنْ شاءَ ا للهُ لأتيناكُم فصَلّينا لَكُمْ فِيه » .

وخرجَ المصطفى ﷺ بالمسلمين إلى تبوك دون أن يُصلّي لهم في مسجدِهم هذا، وبينما هو عائدٌ من تبوك، راجعٌ إلى المدينة، وقد أنهكتهُ مؤامراتُ المنافقين الذين رافقوه في غزوة تبوكٍ، نزلَ عليه الوحيُ يُخبرُه بمؤامرة المنافقين، وحالِ المسجدِ الذي بنوه في المدينة، وينهاهُ عن الصلاة فيه، قائلاً سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ ا للهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَا للهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَا للهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ۞ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ ا للهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَا للهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَا للهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:١٠٧-١١٠].

فلّما وصلَ النبيُّ ﷺ إلى المدينة أتاهُ أصحابُ مسجدِ الضِّرارِ، فسألوه أن يأتي مسجدَهم ويُصلّي لهم فيه، فدعى نفراً من أصحابه، وأمرَهم أن

ينطلقوا إلى المسجدِ الظالمِ أهلُه فيهدموه ويُحرِّقوه، فانطلقوا حتّى أتوه، فهدموه وحرّقوه.

وانكشفت مكيدةُ المنافقينَ، وتمَّ وأدُها في مهدِها، وتوقَّفت مكائدُ المنافقِ أبي عامر الرَّاهبِ، ثمَّ هلكَ في قنّسْرينَ من أرضِ الشام، إلى جهنّمَ وبِئسَ القرارُ.

أيُّها الناسُ:

لقد بنى المنافقونَ مسجدَ الضِّرارَ اضراراً بالمسلمين، وتفريقاً بينهم، وقصدوا من خلاله مُباهاةَ أهلِ الإسلامِ، وتقويةَ أهلِ النفاقِ، والإرصادَ والتجميعَ لحربِ اللهِ ورسولِه والمؤمنين، ولكنَّ اللهَ غالبٌ على أمره، **﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾** [الأنفال:٣٠]. **﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾** [التوبة:٣٢].

إنَّ مسجدَ الضِّرارَ الذي بناه المنافقون: هو بمثابة الأساسِ الخَربِ لكلِّ مُخطَّطٍ يُقصَدُ من خلالهِ الإضرارُ بالمسلمين وإسلامِهم إلى يومِ القيامةِ؛ فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى قال: **﴿ لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾** ؛ أي: لا تزالُ الرِّيبةُ والمكرُ والعِداءُ للإسلامِ وأهلِه في نفوس المنافقين قائمةً ما داموا على قيدِ الحياةِ حتّى يُقتّلوا

أو يتوبوا إلى الله توبةً تتقطَّعُ لها قلوبُهم نَدَماً وأسفاً على تفريطِهم وعدوانِهم للإسلامِ وأتباعِه.

وإنَّ مسجدَ الضِّرارَ الذي بناه المنافقون في الصَّدرِ الأولِ ما يزالُ اليومَ يُتَّخَذُ في صورٍ شتّى من الوسائلِ الماكرةِ التي يتّخذُها أعداءُ الإسلامِ لحربِ المسلمين، وتفريقِهم، وتشويهِ صورةِ الإسلامِ في نفوسِهم عبرَ وسائلهم المختلفةِ؛ فقنواتٌ البثِّ المباشرِ الناشرةِ للرَّذيلةِ، والمجلاتُ الفاتنةُ الفاضحةُ، والجرائدُ المنحرفةُ الضّالةُ، والكتبُ الهدّامةُ، والبنوكُ الرِّبويَّةُ ما هي إلاّ صورٌ جديدةٌ، وقوالبُ مختلفةٌ لمسجدِ الضِّرار، وإن تلّبست باسم الإسلام، وافتتحت بمقدماتِه، ونشرت بعضَ قيَمِه وأخلاقِه، فهي تحملُ في طيَّاتِها الفسادَ والانحلالَ والغزوَ الفكريَّ المُركّزَ ضدَّ عقيدةِ المسلمين، وتربيتِهم وقيَمِهم وأخلاقهم، وإنّما يتأكّلون باسمِ الإسلام.

وعلى شاكلتها كلُّ محلٍّ ينشرُ الرَّذيلةَ، أو يبيعُ الفسادَ والخُبثَ للمسلمين؛ كمحلاتِ الفيديو ومحلات الأشرطةِ الغنائيّةِ، والأزياءِ الفاضحة، والمكتبات التي تُروّجُ للفساد والإفساد بين المسلمين.

وكثيرٌ من المنظمات والجماعات والأحزاب المنتمية للإسلام، والفرق الخارجة عنه إنّما هي صورٌ مُشكّلةٌ مُزخرفةٌ لمسجدِ الضِّرار، ترفعُ لافتةَ الإسلامِ، وتدّعي الدِّفاعَ عنه، وتتحدَّثُ باسمِهِ، وتزعُمُ أنَّها الطائفةُ المنصورةُ، والفِرْقَةُ الناجيةُ، وكلُّها في النارِ إلاّ من كان على مثل ما كان

عليه الرسولُ ﷺ وصحابتُه -رضوانُ الله عليهم-، وما هي إلاّ وسائلُ فُرْقَةٍ وهَدمٍ للإسلامِ والمسلمين، وإرصاداً لمن حاربَ الله ورسولَه من قبلُ، يُذبحُ المسلمونَ على أيديهم في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، ويُمحَقُ الإسلامُ بمخطَّطاتِهم، وتُداسُ أوامرُه ونواهيَهُ على أيديهم، ومع ذلك يَزْعُمونَ أنَّ الإسلامَ بخيرٍ، وأنَّ المسلمين بأمنٍ وأمانٍ، لا خوفٌ عليهم، ولا هم يحزنون. ﴿ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة:٣٠].

بل إنَّ مسجدَ الضِّرارَ -معاشرَ المسلمين-: ما هو إلاّ صورةٌ جامدةٌ للنفاقِ والمنافقين، فقد يتمثَّلُ ذلك المسجد في مُنَافقٍ يمشي بالنفاقِ بين الناس، يُخذِّلهم ويُثبِّطُهم عن نُصْرة الإسلام والمسلمين، والدِّفاعِ عن كرامتهم، وحماية حقوقهم، وينشرُ بينهم من الرّذائلِ والموبقاتِ ما تنهدمُ به مجتمعاتُهم، وتفسدُ به أخلاقُهم؛ كمروّجي المخدّرات، وبائعي الأفلامِ الخبيثةِ، والمجلات الفاضحةِ، والكذَبَةِ والنَّمامين والواشينَ ومن في حكمهم.

ولكنَّ الفرجَ والغَلَبَةَ للمسلمين؛ فإنَّ التعبيرَ القرآنيَّ الفريدَ في آياتِ مسجدِ الضِّرار يَرْسُمُ الصورةَ النهائيَّةَ التي توضِّحُ بجلاءٍ مصيرَ كلِّ وسيلةِ اضرارٍ بالمسلمين تُقامُ إلى يومِ القيامةِ، ويكشفُ عن نهايةِ كلِّ مُحاوَلةٍ خادعةٍ تُخفي وراءَها نيّةً خبيثةً ضدَّ المسلمين، ﴿ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر:٤٣]. ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ

أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِـهِ فِي نَـارِ جَهَنَّـمَ وَا للهُ لاَ يَهْـدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة:١٠٩].

بارك ا لله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفرُ ا لله فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

*** *** ***

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله ذي القوة المتين ، أحمدُه سبحانه وأشكرُه ، وأتوبُ إليه وأستغفرُه ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ ا لله وحده لا شريك له ، الملكُ الحقُّ المبين ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ ا لله ورسولُه الصادقُ الأمينُ ، صلى ا لله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فاتّقوا الله أيُّها الناسُ، واعلموا رحمكم الله أنَّ آياتِ مسجدِ الضِّرار اشتملت على عددٍ من التوجيهاتِ الفريدةِ التي يجبُ العنايةُ بها، والحذَرُ من نقيضها:

أولُها: أنَّ اتّخاذَ المسجدَ الذي يُقصَدُ به الضِّرارُ بمسجدٍ آخرَ قريبٍ منه محرَّمٌ، يجبُ هدمُه إذا اطُّلعَ على مقصودِ أهله.

وثانيها: أنَّ كلَّ وسيلةٍ يحصلُ بها التفريقُ بين المؤمنين هي من المعاصي التي يتعيَّنُ تركُها، وإزالتُها. كما أنَّ كلَّ وسيلةٍ يحصلُ بها جمعُ المسلمين، وائتلافُهم يتعيَّنُ اتّباعُها والأمرُ بها والحثُّ عليه.

وثالثُها: النهيُ عن الصلاةِ في أماكنِ المعصيةِ، والبُعْدُ عنها.

ورابعُها: أنَّ المعصيةَ تؤثِّرُ في البقاعِ؛ كما أثّرت معصيةُ المنافقين في المسجد الذي بنوه. وكذلك الطاعةُ تؤثّرُ في الأماكنِ، ولهذا كان لمسجدِ قُباءَ من الفضل ما ليس لغيره ، فقد كان المصطفى ﷺ يزورُه كلَّ سبتٍ، يُصلّي فيه، وحثَّ على الصلاة فيه بقوله: « مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قُبَاءَ فَصَلَّى فِيهِ صَلاةً كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ » .[رواه أحمدُ، وابنُ ماجه، والنسائيُّ]

وخامسُها: أنَّ كلَّ عملٍ فيه مُضّارةٌ لمسلمٍ، أو فيه معصيةٌ لله تعالى، أو فيه تفريقٌ بين المؤمنين، أو مساعدةٌ لمن عادى الله ورسولَه والمؤمنينَ فإنّه

مُحرَّمٌ ممنوعٌ منه، فليحذرْ كلُّ مسلمٍ من المشاركة بمالِه أو بجهـدِه في شـيءٍ من ذلك؛ فإنَّ كلَّ من شـاركَ بمالـه في بـاطلٍ، أو بـاعَ أذىً للمسـلمين أو أعانَ على نشرِ فسادٍ بينهم، أو عقدَ عقـداً أو أجّرَ أجـاراً فيـه ضـررٌ علـى المسلمين فهو كالمنافقين الذين اتّخذوا مسجدَ الضِّرار.

وسادسُها: أنَّه يجبُ هدمُ كـلِّ مكـانٍ يَضُـرُّ بالمسـلمين، وينشـرُ الفسـادَ بينهم، ويُفرِّقُ جماعتَهم ، ويُهدِّمُ أخلاقَهم؛ لأنَّ شرَّه وفسـادَه لا ينتهـي إلاّ بهدمِهِ والقضـاءِ عليـه، كمـا هـدمَ ﷺ مسـجدَ الضِّـرار الـذي قـد يُسـتغلُّ للطاعةِ؛ لمَّا تيقَّنَ من ضَرَرِهِ علي الإسلامِ والمسلمين.

ألا فاتقوا الله تبارك وتعالى أيُّها المسلمون ، وصلُّـوا وسـلّموا علـى مـن أمركم الله تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليـه في قولـه عـزَّ مـن قـائلٍ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْـهِ وَسَـلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَـلاةً وَاحِـدَةً صَلَّـىَ اللهُ عَلَيْـهِ بِهَا عَشْرَاً ». [رواه مسلم]

الربا؛ أنواعه وخطره على الأمّة

●الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي أرسلَ رسلَه بالبيّنات، وأيّدَهم بالمعجزات الظاهرات، وأمرَهم بالأكل من الطيّبات، أحمدُه تعالى وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريكَ له، القائلُ في محكم الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَآ أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٣٠]. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه؛ أزكى البريَّاتِ، وخاتمُ الرُّسلِ والرِّسالاتِ، قال في حجَّتهِ حجَّةِ الوَدَاع: «أَلاَ وَإِنَّ رِبَا الجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِباً أَضَعُ رِبَا عَمِّي العَبَّاسَ بنِ عبدِ المطَّلبِ». [رواه مسلم] ، صلى الله وسلّم عليه وعلى آله أولي الفضلِ والمكرماتِ، والتابعين لهم بإحسانٍ ما دامت الأرضُ والسموات.

أما بعد:

فأوصيكم أيُّها الناسُ ونفسي بتقوى ا لله عزَّ وجلَّ فإنَّها وصيةُ ا لله تعالى للأولين والآخرين من خلقه : ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ ا للهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ ا للهُ غَنِيّاً حَمِيداً** ﴾ [النساء:١٣١]. تقوى ا للهِ هي النجاةُ والفلاحُ، والسعادةُ والاطمئنانُ، هي الخلفُ من كلِّ شيءٍ، والداعي إلى كلِّ خيرٍ، والعاصم من كلِّ سوءٍ ، ﴿ **ذَلِكَ أَمْرُ ا للهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ا للهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً** ﴾ [الطلاق:٥].

عباد ا لله:

لقد جاء الإسلامُ ديناً قويماً، وصراطاً مستقيماً بالحثّ على الأكل من الطيّبات، والبُعدِ عن الشُبَه والمحرّمات، وإطابة المطعم والمشرب، وإنَّ مِمّا عمّت به البلوى في هذه الأزمان تساهلَ كثيرٍ من الناس في هذا الجانب، والرُّكون إلى حُطام الدنيا الزائل، والتسابقَ إلى اكتنازها، والتنافسَ في جمع حُطامها، غيرَ مُبالين أمن حرامٍ أَمْ من حلالٍ ما جمعوا، مصداقاً لما أخبرَ به النبيُّ ﷺ من أنَّه يأتي على الناس زمانٌ لا يُبالي الرجلُ من أينَ أصابَ المالَ؛ مِنْ حَلالٍ أو حَرَام.[رواه البخاري]

وإنَّ أعظمَ مصيبةٍ وقع الناسُ فيها، وتساهلوا بها: التعاملُ بالرِّبا؛ أكلاً ومؤاكلةً، وبيعاً وشراءً، حتّى قلَّ من يسلمُ من الوقوع فيه، وصدق المصطفى ﷺ حين قال: « يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَأْكُلُونَ فِيْهِ الرِّبَا ». قيلَ:

كلُّهم يا رسولَ ا لله ؟!. قال: « مَنْ لَمْ يَأْكُلُه أَصَابَهُ مِنْ غُبَارِهِ ». [رواه أحمد عن أبي هريرة، وسنده صحيح]

عباد ا لله:

الرِّبا من أعظم المحرَّمات، وأشدِّ الموبقاتِ، مَاحِقٌ للبركةِ، جالبٌ للحرمانِ عن الحقِّ والصوابِ، وقد تظافرت نصوصُ الكتاب والسنة، وأقوالُ الصحابة والتابعين وعلماءِ الأمَّةِ بعدَهم سلفاً وخلَفاً على تحريمه والتحذير من الوقوع فيه؛ فقد خاطبَ ا للهُ الأمَّةَ بتركه، وحذَّرَها من تعاطيهِ والوقوعِ فيه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ ا للهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَآ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [البقرة:٢٧٨]. وقال جلّ شأنُه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَآ أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ ا للهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران:١٣٠].

وقد جعلَه من أوتي جوامعَ الكَلِمِ ﷺ من السَّبعِ الموبِقَاتِ؛ ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة –رضي ا لله عنه– أنَّه ﷺ قال: « اِجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ؛ وَذَكَرَ مِنْهَا: أَكْلَ الرِّبَا ».

بل لقد لعنَ رسولُ ا لله ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وموكِلَهُ، وكَاتِبَه، وشَاهِدِيهِ، وقال: « هُمْ سَوَاءٌ؛ أَيْ: فِي الإِثْمِ ». [رواه مسلمٌ وأصحابُ السنن]

ويكفي في قبح الرِّبا والزّجر عن إتيانه أن شبّه المصطفى ﷺ أيسرَه كأن يأتي الرجلُ أمّه علانيةً ليزني بها والعياذ با لله، فأيُّ قُبحٍ أعظمُ من أن يزني الرجلُ بأمّه التي حملته وولدتهُ وأرضعتهُ وربتهُ، ثم يزني بها بدل البرِّ بها؛

روى الحاكمُ وغيرُه عن ابن مسعودٍ -رضي ا لله عنه- أنّه ﷺ قال: « الرِّبا ثَلاَثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابَاً، أَيْسَرُها كَأَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ ». وهل بعد ذلك من مصيبةٍ أعظمُ -يا عباد ا لله-.

بل لقد أخبرَ ﷺ : أنَّ دِرْهَمَ ربَاً واحداً أشدُّ في الإسلام من ثلاثٍ وثلاثين أو ستٍّ وثلاثين زنيةً. والزِّنا محرمٌ في الإسلام، وقرنَه ا للهُ تبارك وتعالى بجريمتين عظيمتين؛ لقبحه وخطره، هما الإشراكُ با لله ، وقتلُ النفسِ التي حرّم ا لله تعالى إلاّ بالحقِّ؛ قال سبحانه: ﴿ **وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ ا للهِ إِلَـهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ ا للهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً** ﴾ [الفرقان:٦٨].

وفي الصحيحين من حديث ابن مسعودٍ -رضي ا لله عنه- قال: أيُّ الذنب أعظمُ يا رسولَ ا لله ؟. قال: « أنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وهُو خَلَقَكَ ». قال: ثُمَّ أيٌّ يا رسولَ ا لله ؟. قال: « أنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قال: ثُمَّ أيٌّ ؟. قال: « أنْ تُزَانِي حَلِيْلَةَ جَارِكَ ».

وفي الصحيح أنَّه ﷺ قال: « ما عُصِيَ ا للهُ بذنبٍ أعظمَ مِن الشِّرْكِ بِهِ مِنْ نُطْفَةٍ يَضَعُها الرَّجُلُ فِي فَرْجٍ لاَ يَحَلُّ لَهُ ». هذا في جريمة زناً واحدةٍ فكيف بستٍّ وثلاثين زنيةً يا عباد ا لله ؟؟!

أيُّها المسلمون:

الرِّبا وإن كَثُرَ فإنّ عاقبتَه إلى قُلٍّ ، ﴿ **يَمْحَقُ ا للهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَا للهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** ﴾ [البقرة:٢٧٦]. ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ ا للهَ**

وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَآ إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩].

ولم يُعلنِ الله تعالى الحربَ على أحدٍ إلاّ على أكلَةِ الرِّبا؛ قال ابنُ عباسٍ -رضي الله تعالى عنهما-: (يُقالُ لآكلِ الرِّبا يومَ القيامةِ: خُذْ سلاحَكَ، واستعدَّ للحَربِ معَ اللهِ، وما لأحدٍ بالله من طاقة).

ولقد وصفَ الله تعالى حالَ أكَلَةِ الرِّبا يوم القيامة بأشنعِ وصفٍ وأقبَحِه؛ كالمجنونِ الذي يتخبَّطُه الشيطانُ من المسِّ؛ ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوَاْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** [البقرة:٢٧٥].

وروى البخاريُّ وغيرُه في قصّة الإسراء والمعراج بنبيِّنا محمدٍ ﷺ: « أنَّه رأى ليلةَ أُسْرِيَ بِهِ قَوْمًا لهم بطونٌ عظيمةٌ قد مَالَتْ بِهِمْ، لا يستطيعون القِيَامَ منها في طريقِ آلِ فرعونَ حِينَ يُعرَضونَ عَلى النارِ غُدوًّا وعشيًّا، يطأونَهم بأقدامِهم، فهذا عذابُهم في البَرْزَخِ إلى يومِ القيامةِ. فسأل جبريلَ عنهم. فقال: هؤلاءِ أكَلَةُ الرِّبا ».

هذا ما ينتظرُهم في الآخرةِ، ﴿ **وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى**﴾ [طه:١٢٧].

أمّا في الحياة الدنيا فإنّ جنودَ الله كثيرةٌ، ومِحَالَه شديدٌ، منها ما يُرسلهُ الله عزَّ وجلَّ من آفاتٍ مُهْلكةٍ، تمحقُ البركةَ، وتقضي على الأموال،

فالأموالُ كثيرةٌ، والرواتبُ كبيرةٌ، ولكنَّ البركَةَ منزوعةٌ، والثمرةَ معدومةٌ، فمهما كَثُرت أموالُ المرابي وتضخّمت فهي ممحوقةُ البركة، لا خيرَ فيها، وإنّما هي وبالٌ على صاحبها؛ تعبٌ في الدنيا، ولعذاب الآخرة أكبرُ لو كانوا يعلمون، وهذا في الغالب لا يخرجُ عن أسبابٍ ثلاثةٍ؛ هي: عدمُ الإنفاق والتصدُّقِ من هذه الأموال، ومَنْعُ إخراجِ الزكاةِ، والتعاملُ بالرِّبا على شتى الحِيَلِ.

قال الله تعالى -مقارناً بين الرّبا والصدقة-: ﴿ **وَمَآ آتَيْتُم مِّن رِّباً لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِندَ اللهِ وَمَآ آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** ﴾ [الروم:٣٩].

وروى البزّارُ عن عائشةَ -رضي الله عنها- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « وَمَا خَالَطَتِ الزَّكَاةُ مَالاً قَطُّ إلاَّ أَهْلَكَتْهُ ».

ومِمّا يُذْهِبُ بركَةَ الأموال: الإسرافُ والبَذَخُ والتخوُّضُ في مال الله تعالى بغير حقّه، وهذه نتيجةٌ حتميَّةٌ للرِّبا؛ فإنَّ المُرَابيَ لا يعلمُ بقيمةِ المال لأنّه حصلَ عليه بكلِّ سهولةٍ، ولو تعِبَ في جَمْعِهِ وَكَدَّ في تحصيلهِ لكانَ عليه أَحْرَصُ.

أيُّها المسلمون:

الرِّبا في أصلهِ هو الزيادةُ على وجهِ الخصوص في أموالٍ مخصوصةٍ. وهو من أبرَزِ صفاتِ اليهودِ الذين استحقُّوا عليها اللعنةَ المتواصلةَ الخالدةَ إلى يوم القيامة، ﴿ **فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ**

عَن سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً * وَأَخْذِهِـمُ الرِّبـا وَقَـدْ نُهُـواْ عَنْـهُ وَأَكْلِهِـمْ أَمْـوَالَ النَّـاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [النساء:١٦٠-١٦١].

ولقد حرَّمَ اللهُ تعالى الرِّبا لما فيه مـن أكـلِ أمـوالِ النـاسِ بالبـاطل؛ لأنَّ المُرَابيَ يأخذُ من الناسِ المالَ الزائدَ عن حقِّهِ من غير أن يستفيدوا منه عمـلاً في مقابلِهِ، ولِمَا فيه من الإضرارِ بالفقراءِ والمحتاجينَ بمضاعفةِ الديونَ عليهـم عند عجزِهم عن تسديدِها، ولِمَا فيه من قطعِ المعروفِ بين النـاسِ ، وسـدِّ بابِ القرضِ الحَسَنِ، وفتحِ بابِ القرضِ بفائدةٍ تُثْقِلُ كَاهِلَ الفقيرِ، ولِمَا فيه كذلك من تعطيلِ المكاسبِ والتجاراتِ والأعمالِ التي لا تنتظمُ حياةُ الناس إلاّ بها؛ لأنَّ المُرَابيَ إذا حصلَ على الفوائدِ الماليةِ بواسطةِ الرِّبا بـدون تعـبٍ ولا عملٍ فلن يلتمسَ طريقاً للكسـب غـير ذلـك؛ لمـا جُبِلـت عليـه نفـوسُ البشرِ من حبِّ الراحةِ والكَسَلِ.

والرِّبا -عباد الله- نوعان: أشدُّه خطَراً، وأعظمُه ضَرراً: ربـا النسـيئة؛ وهو ما كان يتعاملُ به أهلُ الجاهليّة الأولى ، والمُسـمّى بقلـب الديـن علـى المعسر. وصورتُه: أن يُدَاينَ الرجلُ الرجلَ مبلغاً من المـال إلى وقـتٍ معيّـن، فإذا حان موعدُ السداد ولم يستطعِ الوفاءَ قال له: إمّـا أن تـوفيّ، أو تُربـي. فلا يستطيعُ الوفاءَ لإعساره، فيؤجِّلَه عليه مُدَّةً أُخرى في مقابل زيادةٍ معيّنـةٍ في الدين يتّفقان عليها. فيتضاعفُ المالُ في ذمّة المدين الفقـير لـيزيده عُسْـراً وإرهاقاً على عُسْرِه وإرهاقِه، وهذا النوعُ يكثرُ وقوعُه في هذه الأيام، وهـو محرَّمٌ بإجماعِ المسلمين.

وهو يتنافى مع توجيهات الإسلام ومبادئه الداعيةِ إلى التساهُلِ والتجاوزِ عن المعسر وإنظاره إلى ميسرة، في قول الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٨٠].

والثاني: ربا الفضل؛ وهو أن يبيعَهُ جنساً بجنسه مع التقابُضِ في الحال، لكنَّ أحدَهما زائدٌ عن الآخر، كمن يبيعَ كيلو تمرٍ بكيلوين.

والرِّبا يكون في أصنافٍ محدودةٍ، وضّحَها حديثُ عبادةَ بن الصامت وابي سعيدٍ الخدريّ -رضي الله تعالى عنهما- في الصحيحين وغيرِهما أنّه ﷺ قال: «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، والفِضَّةُ بالفِضَّةِ، وَالبُرُّ بِالبُرِّ، وَالشَّعِيْرُ بالشَّعِيْرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالمِلحُ بِالمِلحِ، يَداً بِيَدٍ، مِثْلاً بمِثْلٍ، فَمَنْ زَادَ أو اسْتَزادَ فَقَدْ أَرْبَى، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الأَجْنَاسُ فَبِيْعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَداً بِيَدٍ».

وقد استنبطَ أهلُ العلم من نصِّ النبيِّ ﷺ على هذه الأصناف بعينِها علةَ الرِّبا، وأنَّ الرِّبا لا يحرمُ إلاَّ في أموالٍ مخصوصةٍ لعلَّةٍ تجمعُ بينها، يقتضي العدلُ الذي جاء به الإسلامُ أن تُمْنَعَ، فألحقوا بها ما كان مساوياً لها في العلة؛ وهي نوعان: الأولى: كلُّ ما كان مكيلاً مطعوماً، أو موزوناً مطعوماً؛ كالتّمرِ والبُرِّ واللَّحْمِ وغير ذلك من المطعومات. والثانيةُ: كلُّ ما كان ثمناً للأشياء كالذهب والفضّةِ، والتي حلَّ محلَّها الآن الأوراقُ النقديةُ التي يتعاملُ بها الناسُ؛ كالرّيال والجُنيه والدُّولارِ ونحوها مِمّا يبيعُ به الناسُ ويشترون في أيِّ بلدٍ كان.

فيدخلُ فيها ربا الفضلِ؛ وهو الزيادةُ؛ إذا بيعَ أحدُها بجنسه، كالتَّمْرِ بالتَّمْرِ، والذَّهَبِ بالذَّهَبِ، وكان أحدُهما زائداً عن الآخر.

ويدخلُ فيها ربا النسيئةِ؛ وهو التأجيلُ؛ إذا بيعَ أحدُها بجنسه، كالشعير بالشعير، والفضّةِ بالفضّة، أو بغير جنسه كالذَّهبِ بالفضَّةِ، مع كونِ أحدِهما مؤجَّلاً والآخرِ حاَّلاً مقبوضاً في المجلس الذي تبايعا فيه.

ويدخلُ فيها ربا الفضلِ وربا النسيئةِ إذا بيعَ أحدُها بجنسه متفاضِلاً كالذهب بالذهب، وأحدُهما حاَّلٌ والأخرُ مؤجَّلٌ.

ومن الأحكامِ الفقهيَّة المتعلِّقةِ بالبيع: أنَّه لا يجوزُ بيعُ مكيلٍ بجنسهِ إلاَّ كيلاً، ولا موزونٍ بجنسِه إلاَّ وزناً، فلا يجوزُ بيعُ المكيلِ أو الموزونِ بجنسِهما جُزافاً؛ لأنَّ ذلك يكونُ ذَرِيْعَةً للتفاضُلِ والزِّيادةِ. قال ﷺ: «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَزْنَاً بوَزْن، وَالفِضَّةُ بِالفِضَّةِ وَزْنَاً بوَزْن، وَالبُرُّ بِالبُرِّ كَيْلاً بِكَيْلٍ، وَالشَّعِيْرُ بِالشَّعِيْرِ كَيْلاً بِكَيْلٍ» . [رواه مسلم وأحمد والنسائي]

عباد الله:

ومن صور الرِّبا العظيمةِ في الحُرْمة: مسألةُ بَيْعِ العِيْنَةِ؛ وهي: أن يبيعَ الإنسانُ سلعةً على غيره بثمنٍ مؤجَّلٍ، ثُمَّ يشتريها منه في الحال بأقلَّ من الثمن الذي باعها عليه به، سُمّيت عينةً؛ لأنَّ الإنسانَ يسترجعُ سلعتَه بعينها، والأصلُ في تحريمها والتحذير منها قولُ المصطفى ﷺ: « إذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ

سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ ». [رواه أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما]

والنَقْدُ -عباد الله-: لا يجوزُ بيعُه وصَرْفُه بجنسِه إلاَّ متساوياً مقبوضاً؛ كالريال بالريال، وبعضُ الناس ربَّما يحتاجُ أحياناً لصرفِ مائةِ ريالٍ من بقالةٍ أو من شخصٍ آخر، فيعطيه إيَّاها ولا يتمكَّنُ الآخرُ من صرفها كاملةً، فيعطيه ما معَهُ -عن حُسْن نيَّةٍ، وبدون قصدٍ- ويبقى له جزءٌ منها، ليوفيَّهُ له فيما بعد وهذا ربا فضلٍ ونسيئةٍ في آنٍ واحد، فليُتنبّه لهذا.

ومن المعاملات الرِّبويّة المنتشرة في هذه الأيام -عباد الله-: القرضُ بفائدةٍ من البنوك الرِّبوية أو من غيرها، وصورةُ ذلك: أن يقترضَ إنسانٌ من بنكٍ، أو من شخصٍ آخرَ مبلغاً من المال بشرط أن يُوفيِّه أكثرَ منه.

ومن المعاملات الرِّبويّة كذلك: ما يجري في البنوك من الإيداعِ بفائدةٍ، وهي الودائعُ الثابتةُ إلى أجلٍ، يتصرَّفُ فيها البنكُ إلى تمامِ الأجلِ، ويدفعُ لصاحبها فائدةً ثابتةً بنسبةٍ معيَّنةٍ في المائةِ، كعشرةٍ أو خمسةٍ في المائة كلَّ شهرٍ أو كلَّ عامٍ.

باركَ الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه كما يُحبُّ ربنا ويرضى ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فاتقوا الله أيُّها الناسُ ، واعلموا رحمكم الله أنَّ الرِّبا من أخطرِ الموبقات وأعظمِ الذنوبِ التي تستوجبُ غضبَ الله ونقمتَه ولعنَه وحرمان توفيقه، ولقد توعّد الله تبارك وتعالى الذي يعودُ إلى أكل الرِّبا بعد معرفة تحريمه بالخلود في نار جهنّم عياذاً بالله: ﴿ **فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [البقرة:٢٧٥].

وإنَّ كثيراً من الناس اليوم يارعاكم الله: يستحلونَ الرِّبا بأدنى الحِيَل، بل ويُخادعون الله تعالى كما يُخادعونَ الناسَ، والله خادعُهم، وهذا هو فعلُ اليهودِ الذين ارتكبوا المحرَّماتِ واستحلُّوها بأدنى الحِيَلِ. وهذا لا يرفعُ المفسدةَ التي حُرِّم الرِّبا من أجلها بل يزيدُها إثماً وجُرْماً.

أيُّها المسلمون:

ومِمّا عمَّت به البلوى في هذه الأيّام ، وتَهَالَكَ الناسُ عليه ما يُسمّى بمسألةِ التَّوَرُّقِ؛ وهي : أن يحتاجَ الإنسانُ لمبلغٍ من المال، فيذهبَ إلى

شخصٍ آخر، أو إلى أحدِ معارض السيارات ، أو الشركات أو البنوك، فيشتري منه سلعةً أو سيّارةً أو غيرَها بثمنٍ مؤجَّلٍ؛ ليبيعَها ويتوسَّعَ بثمنها، وهذه على خلافٍ في جوازِها بينَ أهلِ العلمِ، والصحيحُ الذي عليه المحقّقون من أهلِ العلمِ: أنَّها جائزةٌ بشروطٍ؛ أهمُّها: ألاّ يجدَ الإنسانُ المالَ إلاّ عن طريقِها، فإن استطاعَ الحصولَ على المال بالاقتراضِ من غيره حرُمت عليه. وأن يبيعَها على غير من اشتراها منه لئلاّ تكونَ بيعَ عينةٍ. وأن يكونَ الإنسانُ مضطّراً ومحتاجاً إلى المالِ. وأن يحذرَ فيها من شُبَه الرِّبا في شرائها وبيعِها.

ثم اعلموا رحمكم الله: أنَّ الإسلامَ حين حرَّمَ الرِّبا على المسلمين، وأمرَهم بالبُعْد عنه شرعَ لهم من البدائلِ الشرعيَّةِ الحَسَنَةِ ما يكفلُ لهم الرِّبحَ الحلال، ويسدُّ حاجتهم ويُغنيهم عن الحرام؛ ومن هذه البدائل الشرعيّة:

بابُ السَّلَمِ الذي أشارَ إليه المولى اللطيفُ الخبيرُ بمصالحِ عبادِهِ في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ**﴾ [البقرة:٢٨٢]. وفي الصحيح أنَّه ﷺ قال: « مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيءٍ فَلْيُسْلِفْ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ، وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ إلى أَجَلٍ مَعْلُومٍ » . فبالسلم يستفيدُ البائعُ من الثمن المعجَّل لقضاءِ لوازمِهِ، ويستفيدُ المشتري شراءَ السلعةِ بثمنٍ رَخيصٍ.

والبيعُ بالتقسيط المؤجل آجالاً معلومةً مع زيادةِ الثمنِ في مُقَابلِ الأَجَلِ.

وشركاتُ المُضارَبةِ على اختلاف أشكالها؛ وهي: أن يدفعَ الرجلُ مالَه إلى آخر، أو إلى شركةٍ أو مؤسسةٍ تتّجرُ فيه، وتعملُ به في البيعِ والشراءِ والتأجيرِ، والرِّبحُ بينَهما على كيفيَّةٍ يتّفقان عليها.

والقرضُ الحَسَن، الذي أشار الله تعالى في غيرما آيةٍ إلى فضله وثوابه؛ كقوله سبحانه: ﴿**مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [البقرة:٢٤٥].

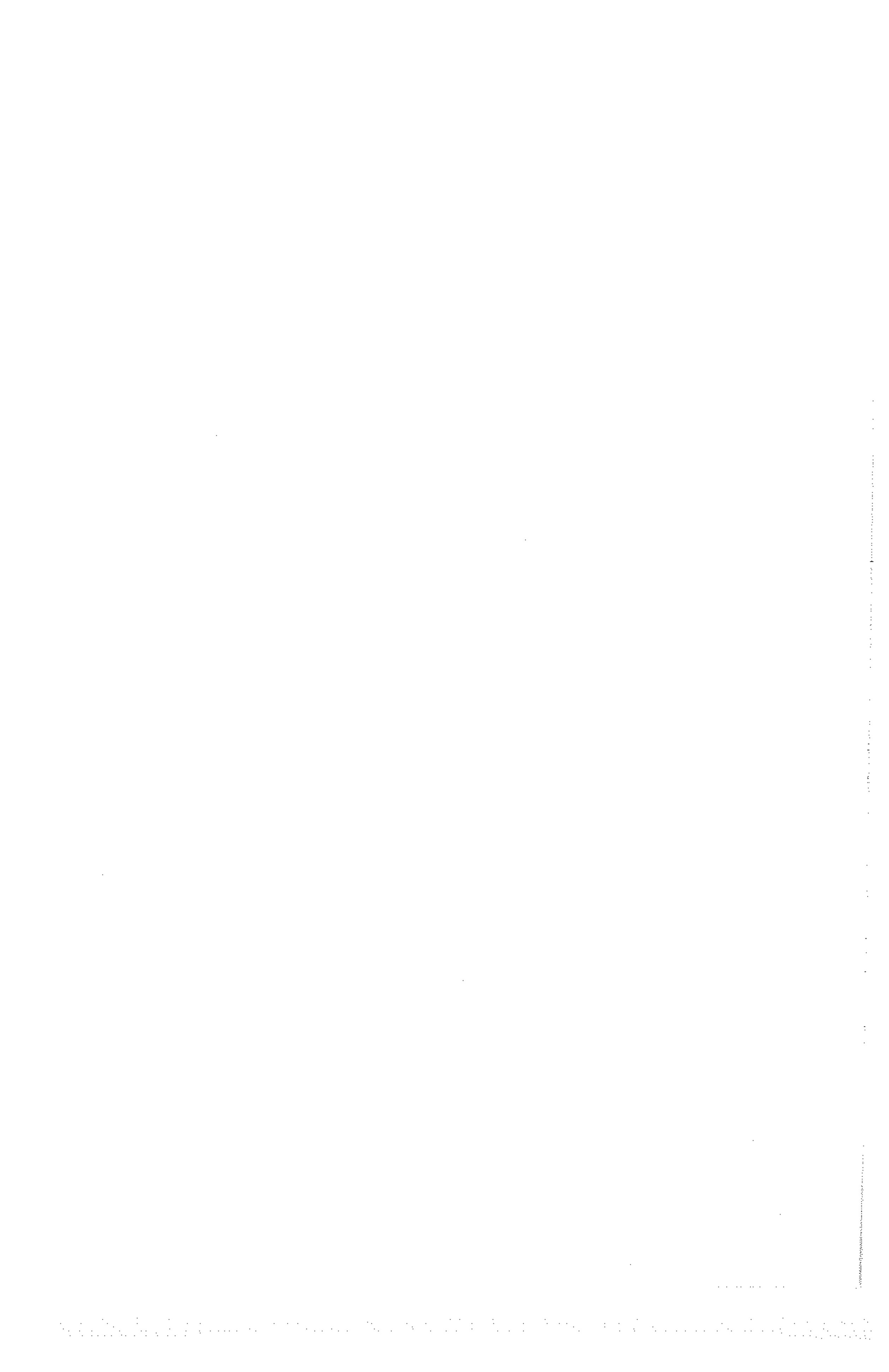
وروى النسائيُّ وابنُ ماجةَ من حديث ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- أنّه ﷺ قال: « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِماً قَرْضاً مَرَّتَيْنِ إلاَّ كَانَ كَصَدَقَةٍ مَرَّةً ».

إلى غيرِ ذلك من أضْرُبِ المعاملاتِ الفقهيَّةِ الشرعيَّةِ التي أوجدَها الإسلامُ بدائلَ عن المُحرَّماتِ.

فاتقوا الله تبارك وتعالى أيُّها المسلمون، واعلموا أنَّه يجبُ على المسلم أن يتعلَّم أحكامَ دينِه، وألاَّ يدخلَ في معاملةٍ تجاريةٍ إلاَّ بعدَ التأكُّدِ من سلامتِها وبُعْدِها عن الرِّبا، وإذا كان يجهلَ بعضَ الأمور فعليه سؤالُ أهل العلم عن ذلك ليسلم له ماله من الحرام.

اللهُّم صلِّ وسلّم على عبدِكَ ورسولِكَ محمدٍ وعلى آله وصحبه.....

❧ ❧ ❧



كيف يُستقبلُ شهرُ الصيام والقيام

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ با لله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده ا للهُ فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ ا لله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى ا لله عليه وعلى آله وصحبه وسلّمَ تسليماً كثيراً ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ ا للهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ ا للهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ ا للهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ ا للهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ا للهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

أوصيكم ونفسي بوصيّة الله تعالى لجميع خلقه؛ بتقوى الله ، فاتّقوا الله رحمكم الله، سدّدوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وتذكّروا نعمَ الله عليكم، وتفريطَكم في جنبها، فاتّقوا الله لعلّكم تُرحمون.

أيّها المسلمون:

لقد حلَّ بساحةِ المسلمين ضيفٌ كريمٌ، وموسمٌ عظيمٌ، جعلَه اللهُ سبحانه وتعالى ميداناً يتنافسُ فيه المتنافسون، ومضماراً يتسابقُ فيه الصالحون، ومجالاً لتهذيبِ النفوسِ، وتزكيةِ القلوبِ.

ذلكم يا عباد الله هو شهرُ رمضانَ المباركُ، شهرُ الصيام والقيام، والقرآن والجود، الذي يصومُ المسلمون نهارَه فرضاً، ويقومون ليلَه تطوُّعاً، يتقرّبون فيه إلى الله بأنواعِ الطاعاتِ، وصالحِ الأعمالِ والقُرُباتِ.

رمضانُ شهرٌ كريمٌ تُفتَّحُ فيه أبوابُ الجنان، وتُغلّقُ فيه أبوابُ النيران، وتُسلسلُ مردةُ الشياطين، وتُضاعفُ الحسناتُ، وتُغفرُ السيئاتُ، ويُعتقُ العبادُ من النيران. من صامَه إيماناً واحتساباً غُفرَ له ما تقدّم من ذنبه. اختَّصَّه اللهُ من بين سائر الطاعات له، ووعدَ عليه بجزيل الأجر، وعظيم الثواب.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ؛ الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمثالِها إلى سبعمائةِ ضعفٍ، فيقولُ اللهُ تباركَ وتعالى: إلاّ الصَّومُ فإنّه لي وَأَنا أجزي بِهِ، يَدَعُ شَهوَتَه وطَعَامَه من أجلي.

للصائم فرحتان؛ فرحةٌ عند فطرِهِ، وفَرحةٌ عندَ لقاءَ ربِّه، ولخلوفُ فيهِ أطيبُ عندَ اللهِ من رِيْحِ المِسْكِ » .[رواه البخاري ومسلم]

وروى الطبرانيُّ من حديث عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ : « أتاكُم شَهرُ رَمضانَ، شَهرُ بَرَكَةٍ، يَغشَاكُمُ اللهُ فيه برحمتِه، ويَحُطُّ الخطايا، ويَستجيبُ الدعاءَ، ينظرُ إلى تَنَافُسِكُم فيه، ويُبَاهي بِكُم مَلائكتَه، فَأروا اللهَ مِنْ أَنْفُسَكُم خَيْرَاً فإنَّ الشَّقِيَّ مَن حُرِمَ رَحْمَةَ اللهِ» .

في الصيام عباد الله: تحقيقُ التقوى والعبوديّة لله في أسمى صورها، وقهرُ النفوس وإذلالُها، وتربيتُها على حُسْنِ الاستجابةِ والامتثالِ لأوامر الله، وتربيةُ الضمائر على مراقبةِ اللهِ وخشيتِه، وتعويدُ الأجسامِ على الجدِّ والتحمُّل، والصبرِ والمجاهدةِ، مِمَّا يُهذِّبُ النفوسَ، ويُربيّ العقولَ على الصبر دائماً وأبداً عمَّا حرَّمَ اللهُ عزَّ وجلَّ.

في الصيام: مواساةٌ للفقراء، ومشاطرةٌ للمساكين؛ إذْ يَتَّعِظُ المسلمُ بصيامِهِ وحاجتِهِ إلى الطعامِ والشرابِ أياماً معدودةً، وساعاتٍ محدودةً بحال الفقراء والمساكين وأصحاب الحاجات؛ الذين تمرُّ عليهم الأيامُ والشهورُ والأعوامُ ولا يجدونَ ما يسدُّون به جوعتَهم. فكان في تشريعِ الصيامِ حثٌّ على الرحمةِ بهم، وإطعامِهم، وسدِّ جوعتِهم؛ لما عانا الصائمُ من شدَّةِ الحاجةِ أثناءِ صومهِ إلى الطعامِ والشرابِ.

وقد قيلَ ليوسفَ -عليه السلامُ-: (أتجوعُ وأنتَ على خزائن الأرض؟! فقال: إنّي أخافُ أن أشبعَ فأنسى الجائعَ). كيف لا ؟ وشهرُ رمضانَ شهرُ الجودِ والعطاء.

الصيامُ عباد الله: فريضةٌ من فرائض الإسلام المهمّة، وشعيرةٌ من شعائر هذا الدين الأساسيّة التي بُني عليها، به يَعْرِفُ المسلمُ حقيقةَ ذاته، وصدقَ عبوديّته لخالقه ومولاه سبحانه وتعالى. فيه تصفو الأرواحُ، ويعلو الإيمانُ، وتطيبُ المناجاة، ويزدادُ اليقينُ، ويتدرَّجُ المسلمُ في مدارجِ التقوى، ويَسْلُكُ سبيلَ الهدايةِ واليقين.

الصومُ: حصنٌ حصينٌ من الشهوات، وجُنّةٌ من النار، خصّه الله سبحانه وتعالى ببابٍ من أبواب الجنّة، يَفْطِمُ الأنفسَ عن شهواتِها، ويحبسُها عن مألوفاتِها، فتصبحُ القلوبُ خاشعةً، والنفوسُ مطمئنّةً، والجوارحُ ضارعةً بالعبادة إلى الله.

ها هو شهرُ رمضانَ المبارك، شهرُ الصيام والقرآن، اللّذان يشفعان للعبد يوم القيامة يُشْرِفُ على الناس لِيُنيبوا إلى ربِّهم، ويؤمُّوا بيوتَه فيعمروها بالتراويحِ والذِّكرِ وتلاوةِ القرآنِ.

أيُّها الناس:

لقد سلكَ الناسُ مع رمضانَ مسالكَ شتّى ، وطُرُقاً متفرِّقةً لا تجتمعُ أبداً؛ فمن الناس من ينظرُ إلى رمضانَ على أنّه حرمانٌ من اللذّات والشهوات لا فائدةَ فيه، فتراه خَامِلاً كسلاناً، يصومُ عن الطعامِ والشرابِ

على مَضَضٍ، وربَّما لم يسلمْ له صيامُه من ذلك، لا يتورَّعُ عن غيبةٍ، ولا يتنزَّه عن نميمةٍ، وجهُهُ محمرٌّ، وصدرُه ضيِّقٌ، لا يحتملُ مرورَ الذُّبابِ على أنفِه، يُخاصمُ ويُشاتمُ، ويسبُّ ويصخبُ، ورُبَّ صائمٍ حظُّه من صيامه الجوعُ والظمأُ. قد سَئِمَ ذكرَ رمضانَ -والعياذُ با لله- فهو أثقلُ الشهور عليه، يكابدُ فيه العناءَ من الجوع، والمشقّةَ من العطش، لا يرى في رمضانَ إلاَّ وِثَاقاً مشدوداً أمامَ رغباتِه وشهواتِه.

والصومُ الحقيقيُّ -عباد ا لله- أبعدُ من ذلك كلِّه؛ فإنَّ الصومَ وقايةٌ لصاحبِه من اللّغوِ والرَّفَثِ والآثامِ، ولذا قال المصطفى ﷺ : « وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ، وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ » .[رواه البخاري] ؛ والرَّفَثُ: هو الفُحْشُ في القولِ والعملِ، والصَّخَبُ: هو الخِصَامُ والصِّياحُ.

ومن الناس -عباد ا لله-: من ينظرُ إلى رمضانَ على أنَّه موسمٌ للبطون، ومضماراً تتنافسُ فيه الموائدُ الزاخرةُ بصنوف الأطعمةِ وألوانِ الأشربةِ؛ فتراهم قبل دخول هلالِ رمضانَ يفزعونَ إلى الأسواق من كلِّ فجٍّ عميق، يكيلونَ من الأطعمةِ، ويتزوَّدونَ من الكمالياتِ، وكأنَّ رمضانَ حَفْلَةُ زِفَافٍ أو وَلِيْمَةُ نَجَاحٍ تُبسطُ فيها الموائدُ العريضةُ، وتنشرُ الأطعمةُ المتنوّعةُ، ثم تُرمى في النّفاياتِ، ولا تعجبوا بعدَ ذلك من إصابةِ بعضِ هؤلاءِ بالتُّخْمَةِ في رمضان.

ولقد صحَّ عن رسولِ الله ﷺ أنّه قال: «حَسْبُ ابنِ آدمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً فثُلثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلثٌ لِنَفسِهِ، وَثُلثٌ لِمائِهِ».

ومن الناس أشقياءٌ لم يعرفوا من رمضانَ إلاّ كونَه فُرْصَةً سانحةً للّهوِ والسَّمَرِ الممتدين إلى قُبيلِ الفجرِ، ثمَّ انطراحٌ في الفُرُش كالموتى إلى الغروب، لا بصيامٍ يتلّذذون، ولا بقيامٍ يتعبّدون، ليلُهم ضياعٌ، ونهارُهم خُسْرَانٌ، بل حتى الصلواتُ المكتوبةُ لا يؤدونها في أوقاتها مع جماعة المسلمين. ويا سبحان الله ! ماذا يستفيدُ مَنْ فرَّطَ في الصلاةِ التي هي آكدُ أركانِ الإسلامِ بعد الشهادتين من صومه ؟ والتي لم يكن أصحابُ رسولِ الله ﷺ ، ورضي الله عنهم يرونَ شيئاً من الأعمالِ تركُه كُفْرٌ غيرَها.

وانظروا -يا رعاكم الله- إلى الشباب الضائعين التائهين، الذين يعيشون في رمضان سَبَهْلَلاً في الشوارع، يتصيَّدونَ عثراتِ الناس، ويتَتّبّعونَ عوراتِهم، ويؤذونَهم في الطُرُق والممرَّات، يُعاكسونَ ويُشاكسون، ويتواعدونَ مع الكاسياتِ العارياتِ المائلاتِ المميلاتِ حتى في حرمِ اللهِ الآمن، تُصفّدُ الشياطينُ في رمضانَ، فيتسلّمونَ منها الزِّمامَ بلا خِطَامٍ، فيؤذونَ ويستوذون، يصبحونَ في سخط الله، ويُسمونَ في غضبه، والله المستعانُ وبيده الهدايةُ والصلاحُ.

يا ذا الذي ما كفاهُ الذنبُ في رَجَبٍ	حتى عصى ربَّه في شهرِ شعبانِ
لقد أضلّكَ شهرُ الصومِ بعدَهُما	فلا تُصيّره أيضاً شهرَ عصيانِ
كم كنتَ تعرفُ ممّن صامَ في سلَفٍ	من بين أهلٍ وجيرانٍ وإخوانِ

أفناهم الموتُ واستبقاكَ بعدَهمُـــو حيّاً فما أقربَ القاصي من الداني

وفئامٌ من الناس لا يعرفونَ اللهَ عزَّ وجلَّ إلاَّ في رمضانَ، فكم ممَّن يدَّعي الإسلامَ، ويُجاورُ مساجدَ الله لم يُرَ فيها مصليَّاً إلاَّ في رمضان، وبئسَ القومُ لا يعرفونَ اللهَ إلاّ في رمضان.

وإن تعجبْ فعجبٌ حالُ هؤلاء الذين فرَّقوا بين ربِّ الشهورِ وهو واحدٌ، وحكموا على أنفسِهم بالنفاقِ، وأشهدوا الناسَ على سوءِ صنيعِهم؛ إذا جاء رمضانُ رأيتَهم رُكَّعاً سُجَّداً، خاشعينَ ضارعينَ، قد صُفِّدت شياطينُهم، وطابت نفوسُهم، فإذا انسلخَ رمضانُ ولوّا على أدبارِهم نفوراً، ونكصوا على أعقابِهم، وعادوا لما نُهوا عنه من المعاصي والآثام، ولسانُ حالِهم يُنادي:

رمضانُ ولّى هاتِها يا ساقي مشتاقةٌ تسعى إلى مُشْتاقِ
ما كان أكثَرَه على أُلاَّفِها وأقلَّه في طاعةِ الخَلاَّقِ

حتى إنَّ السنةَ لتمضي ولم يُرَ أحدُهم في المساجد مع المصلِّين ، قد سوَّلَ لهم الشيطانُ في فعلِهم، وأملى لهم في المعصيةِ، ﴿ **يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [النساء:١٤٢]

وخيرُ الناس –عباد الله–: من ينتظرون رمضانَ بفارغِ الصبر، وتزدادُ فرحتُهم بدخوله، فيُشمِّرونَ عن ساعدِ الجدِّ، ويجتهدونَ في الطاعةِ بشتّى

أنواعِها؛ من صيامٍ، وقيامٍ، وتلاوةٍ، وتسبيحٍ، واستغفارٍ، وذكرٍ وتصدُّقٍ، وإحسانٍ.

قال ابنُ عباسٍ -رضي الله تعالى عنهما-: « كان النبيُّ ﷺ أجْوَدَ الناسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكونُ فِي رَمَضَانَ، حِيْنَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ » .[رواه البخاري]

وهكذا كان حالُ السلف، يستقبلون رمضانَ بالبُكَاءِ من خشيةِ اللهِ سبحانه وتعالى، يرجونَ رحمتَه، ويخافونَ عذابَه، ويسألونَ اللهَ قبولَه منهم، والعفوَ عنهم فيه، والتجاوزَ عن سيّئاتِهم.

ونحنُ نستقبلُ رمضانَ بالفَزَعِ إلى الأسواق، والتفنُّنِ في المطاعم والمشارب، وكأنَّ رمضانَ ليسَ شهرَ القيامِ والصيامِ بل شهرُ الأكلِ والنومِ.

نعم عباد الله ! ها هو شهرُ رمضانَ المبارك ، شهرُ الصيامِ والقيامِ يُطلُّ علينا بأمنِه وإيمانِه، وروحانيَّتِه وفضائلِه، وفي الأمَّةِ أشقياءُ مَرَدَةٌ لم يستفيدوا من فضائلِه ونفحاتِه بشيءٍ، بل إنَّ فسادَهم وجنونَهم لا يزدادُ إلاّ في رمضان.

فأفيقوا أيُّها المسلمون، جدّدوا التوبةَ، وأخلصوا النيّةَ. واعلموا أنّ بلوغَ رمضانَ أُمنيةٌ عظيمةٌ، وهدفٌ نبيلٌ، ولقد كان رسولُ الله ﷺ يسألُ ربَّه بلوغَه؛ قال أنسُ بن مالكٍ -رضي الله عنه-: كان رسولُ الله ﷺ يقول: « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ » .[رواه أحمد]

فاحمدوا اللهَ يا من بلّغكم اللهُ رمضانَ، واغتنموا فُرَصَه، وتعرَّضوا لنفحات المغفرة والرضوان فيه، وتذكّروا رحمكم الله بعضَ من صامَ معكم

رمضانَ المنصرمَ أين صاروا ؟ لقد اخترَمهم هاذمُ اللّذات، وأبادَهم مُفرِّقُ الجماعات، وأفناهم مُبيدُ الأممَ والشعوبَ، فهل يطمعُ أحدٌ في البقاء والخلودِ إلاّ مغرورٌ جاهل ؟!

تمرُّ بنا الأيامُ تترى وإنّما نُساقُ إلى الآجال والعينُ تنظرُ

واحذروا من تصرُّمِ أيامِ وليالي رمضانَ في غفلةٍ ولهوٍ، فكم أدركنا من رمضانٍ، ثمَّ ودَّعناه كما استقبلناه والحالُ هي الحالُ، وا للهُ سبحانه لا يُغيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسِهم.

كم توالى علينا شهرُ رمضانَ وحالُنا فيه كحالِ أهلِ الشِّقوةِ، لا الشابُّ منّا ينتهي عن الصَّبْوَةِ، ولا الشيخُ ينزجرُ عن القبيح فيلتحقُ بالصَّفْوَةِ، لا قلبٌ يخشعْ، ولا عينٌ تدمعْ، ولا صيامٌ يُصانُ عن الحرامِ فينفعْ، ولا قيامٌ استقامَ فيُرجى في صاحبهِ أن يشفعْ، قلوبُ كثيرٍ من الناسِ خلَتْ من التقوى فهي خرابٌ بلقعْ، تراكمت عليها ظُلمةُ الذنوبِ حتى أصبحت لا تُبصرُ ولا تسمعْ، وا لله المستعانُ وإليه الملجأُ.

فاتّقوا ا للهَ أيُّها الناسُ، وقوموا بحقِّهِ كما أمرَ، واحذروا نهيَه وسخطَه. بارك ا لله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفرُ ا لله فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

** * **

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله على إحسانه ، والشكرُ له على توفيقه وامتنانه ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ ا لله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ ا لله ورسولُه الداعي إلى رضوانه ، صلى ا لله عليه وعلى آله ، وأصحابه ، وإخوانه ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: أيُّها المسلمون:

اتّقوا ا لله ، واعلموا أنَّه يجبُ صومُ رمضانَ إذا عُلِمَ بدخولِ الشهرِ الذي يثبتُ حُكماً بأحدِ أمرين: رؤيةِ الهِلاَلِ، أو إكمالِ شعبانَ ثلاثينَ يوماً إن لم يُرَ الهِلاَلُ؛ لحديثِ أبي هريرة -رضي ا لله عنه- أنَّ رسولَ ا للهِ ﷺ قال: « صُومُوا لِرُؤيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤيَتِهِ، فَإِنْ غُبِّيَ -أو غُمَّ- عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثِينَ » .[متفقٌ عليه]

فمتى أُعْلِنَ دخولُ الشهرِ وجبَ الصومُ على كلِّ من كان من أهلِه؛ وهم: كلُّ مسلمٍ عاقلٍ بالغٍ صحيحٍ مقيمٍ سالمٍ من الموانعِ الشرعيَّةِ؛ وهي: الحَيْضُ، والنِّفاسُ للمرأةِ المُسلِمَةِ.

ثمَّ اعلموا رحمكم ا لله: أنَّه يجبُ على المسلم أن يبتغي بصيامِه وجهَ ا لله تبارك وتعالى، فقد قال المصطفى ﷺ : « مَنْ صَامَ رَمضانَ إيمَاناً وَاحْتِسَاباً غُفِرَ له مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .[متفقٌ عليه]

وأن يُبيِّتَ النيَّةَ للصِّيَامِ من الليلِ؛ لقولهِ ﷺ : « لاَ صِيَامَ لِمَنْ لَـمْ يُبَيِّـتِ النِّيَّـةَ » . [رواه أصحابُ السُّنَن] ، وأن لا يُفـرِّطَ في السَّحُورِ مـا اسـتطاعَ إلى ذلك سبيلاً؛ فإنَّه بَرَكةٌ وسُنَّةٌ ومخالفةٌ لأهلِ الكتابِ؛ قال ﷺ : « السَّـحورُ بَرَكَةٌ، فَلاَ تَدَعوه، وَلَو أنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُـمْ جَرْعَـةَ مَـاءٍ؛ فَـإِنَّ ا للهَ وَمَلاَئِكَتَـهُ يُصَلُّونَ عَلَىَ المُتسَحِّرِينَ » .[رواه أحمدُ، وإسنادُه جيّدٌ]

والسُّنَّةُ في السَّحور: أن يُؤخَّرَ إلى قُبيـلِ الفجـرِ، والسُّنَّةُ في الفطـور أن يُعجَّلَ، وأن يكونَ على تمرٍ أو ماءٍ ؛ لقوله ﷺ : « لاَ يَزَالُ الدِّينُ ظَاهِراً مَـا عَجَّلَ الناسُ الفِطْرَ؛ لأنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارى يُؤَخِّـرونَ » .[متفقٌ عليه] وقـال ﷺ : « إذا أفطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلى تَمْرٍ؛ فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ، فَإِنْ لَـمْ يَجِـدْ تَمْـراً فَالمَاءُ، فَإِنَّهُ طَهورٌ » .[رواه أحمدُ، وأهلُ السُّنن]

وَلْيَحْرِصِ المسلمُ – رعاكم ا للهُ– علـى أن يدعـوَ عنـد فطـره؛ فـإنَّ لـه دعوةً مستجابة، وَلْيَحْرِصْ كذلك علـى تفطيرِ الصـائمين؛ فقـد صـحَّ عـن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: « مَن فَطَّرَ صَائِمَاً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئَاً » .

ثمَّ اعلموا رحمكم ا للهُ: أنَّ شهرَ رمضانَ شـهرُ الحـبِّ والوئـامِ والرحمـة والمغفرةِ، فكونوا فيه من أسرعِ الناسِ إلى الخير، وأقربهـم إلى الطاعـةِ، مـن أوسعِ الناسِ صدوراً، أرحمَ قلوباً، وألينَ نفوساً، وأندى ألسُناً، وابعـدَ عـن المخاصمةِ والمشاتمةِ والسِّبابِ، اغفروا الزَّلَّةَ، واكظموا الغيظَ، وتجاوزوا عـن المخطئين فتلك أسمى معاني الصيام التي يجبُ أن يتربّى الناسُ عليها.

قال ﷺ : « مَن لَمْ يَدَعْ قَولَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ » .[رواه البخاري]

هذا وصلُّوا وسلِّموا رحمكم الله على المبعوث رحمةً للعالمين محمد بن عبد الله عليه أفضلُ الصلاةِ واتَّمُ التسليمِ...

ꕥ ꕥ ꕥ

أحكامُ الصيامِ ورُخَصُهُ

●الخطبة الأولى:

الحمدُ لله على إحسانه، والشكرُ له على توفيقِه وامتنانه، أحمدُه تعالى حمداً يليقُ بجلاله، وأشكرُه شكراً يوازي نعمَه وآلاءه، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنِه، وإقراراً بربوبيَّتهِ وألوهيَّتهِ، لا معبودَ بحقٍّ سواه، ولا خالقَ للكون ومن فيه إلاّ إيَّاه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الداعي إلى رضوانه، والمُبلِّغُ للناس دينَه وهداه، صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آله وصحبه، ومن تبعَهم بإحسانٍ وإيمانٍ إلى يوم نلقاه.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتّقوا الله سبحانه وتعالى حقَّ التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، جدّدوا التوبةَ، وأخلصوا العملَ والنيَّةَ، وتزوَّدوا من الأعمال

الصالحة، واعلموا أنَّ خيرَ الزادِ التقوى، واحذروا من سخط الله تعالى ونقمته فإنّ أقدامَكم على النار لا تقوى.

عباد الله:

يقولُ الله سبحانه وتعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [البقرة:١٨٣-١٨٤]

الصيامُ هو الركنُ الرابعُ من أركان الإسلام العُظْمَى، ودعائمِه الكبرى التي لا يصحُّ الإسلامُ إلاّ بها، وقد أوجبَه الله تبارك وتعالى على كلِّ مسلمٍ بالغٍ عاقلٍ صحيحٍ مقيمٍ، ومن هنا تُعلمُ شروطُ وجوبِ الصيامِ على المسلم؛ **فأولُها**: أن يكونَ المسلمُ بالغاً عاقلاً، فالصغيرُ والمجنونُ والمُغمى عليه جميعَ النهار لا يلزمُهم الصومُ؛ لفقد العقل والتمييز.

قال ﷺ: « رُفِعَ القَلَمُ عَن ثَلاثَةٍ؛ النَّائِمِ حَتّى يَسْتَيْقِظَ، وَالمَجْنُونِ حَتّى يُفِيْقَ، وَالصَّغِيْرِ حَتّى يَبْلُغَ ». [رواه أحمدُ، وأبو داود، والنسائيُّ]

ويجبُ على المُغمى عليه جميعَ النهار القضاءُ. وينبغي لوليِّ الصغيرأن يأمرَه بالصيام متى أحسَّ أنّه يُطيقُه؛ تمريناً له على الطاعة، وليكونَ متهيِّئاً لأحكام الصوم والمحافظة عليه بعد البلوغ، كما يتأكّدُ الأمرُ به إذا قاربَ البلوغَ. فعن الرُّبيِّعِ بنتِ مُعوِّذٍ -رضي الله عنها- قالت: « كُنّا نُصومُ

صبيانَنا، ونجعلُ لهم اللُّعبَة من العِهْنِ -يعني: الصوفِ- فإذا بكى أحدُهم على الطعام أعطيناه ذلك، حتّى يكونَ عند الإفطار ». [رواه البخاري]

والثاني من شروطِ وجوبِ الصومِ: القدرَةُ على الصيام، وعدمُ العجز عنه، وللعجزِ عن الصيامِ صُوَرٌ؛ أولُها: الكِبَرُ؛ فالكبيرُ الهَرِمُ، الذي أصابَه الخَرَفُ، وزالَ عقلُه، وذهبَ تمييزُه، ولم يَعُدْ قادراً على الصوم لاصوم عليه ولا قضاءَ ولا كفارة، بل هو معفوٌّ عنه؛ إذْ لا يُكلِّفُ اللهُ نفساً إلاّ وسعَها.

وثانيها: الحملُ والإرضاعُ؛ فالمرأةُ الحاملُ والمرضعُ إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما فإنّهما تُفطران، ويلزمُهما القضاءُ فقط، ولا إطعامَ عليهما في أصحِّ أقوالِ أهلِ العلمِ. قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾ [البقرة:١٨٤]، والحاملُ والمُرْضِعُ في معنى المريض.

وقد وردَ في السُّنَنِ من حديث أنس بن مالكٍ الكَعْبِيِّ -رضي الله عنه- أنّه جاء إلى النبيِّ ﷺ، فوجدَه يتغدَّى، فقال: « ادْنُ فَكُلْ ». فقال: إنّي صائمٌ. فقال النبيُّ ﷺ: « اجْلِسْ أُحَدِّثْكَ عَنِ الصَّلاَةِ وَعَنِ الصِّيَامِ، إنَّ اللهَ تَعَالَى وَضَعَ شَطْرَ الصَّلاَةِ وَالصَّوْمَ عَنِ الْمُسَافِرِ، وَعَنِ الْمُرْضِعِ أَوِ الْحُبْلَى الصَّوْمَ ». [رواه أبو داود، والترمذيُّ، والنسائيُّ، وسندُه صحيحٌ]

وثالثُ صورِ العجزِ عن الصيامِ: المرضُ؛ وهو نوعان: أحدُهما المريضُ الذي يُرجى بُرْؤُه وشِفَاؤه من مرضِه؛ كالمحمومِ والمزكومِ، فهذا يُفطرُ إن إحتاجَ إلى الفطر، ويقضي متى شُفي من مرضِه، فإنْ ماتَ قبلَ أن يُشفى فلا شيءَ عليه، ولا على ورثَتِه، أمَّا إن كان تمكَّنَ من القضاءِ وفرَّطَ فيه،

فعلى ورثتِه أن يُطعموا عنه أو يصوموا ، وعلى هذا يُحملُ قولُ النبيِّ ﷺ :
((مَن مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ)) .[متفقٌ على صحّته]

وثانيهما: المريضُ الذي لا يُرجى شِفَاؤُه من مرضِه؛ كمن أُصيبَ بالسرطانِ أو فشلِ الكِلَى أجارنا اللهُ جميعاً منهما، فهذا يُفطرُ ويُطعمُ عن كلِّ يومٍ مسكيناً.

والإطعامُ المشروعُ المجزئُ: هو نصفُ صاعٍ من بُرٍّ، أو من غيره من طعامِ البلدِ، يُدفعُ لكلِّ مسكينٍ عن اليوم الواحد. وإن صنعَ طعاماً ودعا إليه من المساكين بعدد الأيّام التي أفطرَها جازَ له ذلك، ولا حرجَ عليه إن شاء اللهُ تعالى.

عباد الله:

وإذا صامَ المريضُ وتحمَّلَ المشقَّةَ بصومه فإنَّ صومَه صحيحٌ، إلاّ أنّه مُعْرِضٌ عن الرُّخْصَةِ الشرعيَّةِ التي يُحبُّها اللهُ تعالى، فإنَّ اللهَ سبحانه شرعَ لعباده رُخَصاً؛ تخفيفاً عنهم، ورِفْقاً بهم، وهو سبحانه يُحبُّ أن تُؤتَى رُخَصُه كما يُحبُّ أن تُؤتَى عزائمُه. وقد يلحقُه بصومه الضررُ، واللهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً** ﴾ [النساء:٢٩] ، ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا**﴾ [الحج:٧٨].

والثالثُ من شروطِ وجوبِ الصومِ على المسلم: أن يكونَ مُقيماً غيرَ مسافرٍ سفراً يُبيحُ له الفطرَ وقصرَ الصلاةَ؛ وهو ما زادَ على أربعٍ وثمانينَ كيلو متر على رأي جمهور أهل العلم.

فالمسافرُ يُباحُ له الفطرُ، ولو كان مسافراً في طيّارةٍ أو سيّارةٍ مريحةٍ، وهذا من رحمةِ اللهِ سبحانه وتَيسيره على عبادِه؛ لأنَّ السفرَ كما أخبرَ النبيُّ ﷺ : « قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ » .[متفقٌ عليه] ، ففيهِ معنى المشقّةِ مهما تيسَّرَتْ سبُلُه ووسائلُه.

فإنْ صامَ المسافرُ صحَّ منه الصومُ ، ولا حرجَ عليه إن شاءَ اللهُ تعالى. قال حمزةُ الأسلميُّ -رضي الله عنه-: يا رسولَ الله ! أجدُ فِيَّ قوةً على الصومِ في السفرِ، فهل عليَّ جُناحٌ أن أُفطرَ ؟ فقال ﷺ : « هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالى، فَمَنْ أَخَذَ بِها فَحَسَنٌ، وَمَنْ أَحَبَّ أنْ يَصُومَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيهِ ». [رواه مسلم]

والشرطُ الرابعُ لوجوبِ الصومِ على المسلم: أن يكونَ سليماً من الموانعِ الشرعيّةِ؛ وهي الحيضُ والنِّفاسُ بالنسبة للمرأةِ المسلمةِ؛ فإنَّ الصيامَ من المرأةِ إذا كانت حائضاً أو نُفَساءَ لا يصحُّ، بل يحرمُ عليها، ويجبُ عليها القضاءُ.

ودمُ الحيض والنفاسِ من مبطلات الصوم؛ فإذا نزلَ على المرأةِ أثناءَ النهار ولو قُبيلَ الغروبِ بطلَ صومُ ذلكَ اليومِ، ووجب عليها أن تقضيَ يوماً بدلاً عنه. وإن لم تَطْهُرَ المرأةُ إلاّ بعد طلوعِ الفجرِ لم يصحَّ منها صيامُ

ذلك اليوم، أمّا لو طَهُرَتْ قبلَ طلوعِ الفجرِ ولم تغتسل إلاّ بعدَ الفجرِ فإنَّ صومَها صحيحٌ.

قالت عائشةُ -رضي الله عنها-: «كان يُصيبُنا ذلك -يعني: الحيضُ- على عهد النبيِّ ﷺ، فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ، وَلاَ نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلاَةِ». [رواه مسلم]

والصيامُ الشرعيُّ -عباد الله-: هو الإمساكُ عن المُفطِّراتِ من طلوعِ الفجرِ الثاني الذي يدخلُ به وقتُ صلاة الفجر إلى غروب الشمس، بنيّةِ التعبُّدِ لله تعالى.

فمن أكلَ أو شربَ أو جامعَ زوجتَه مُتَعَمِّداً من غير إكراهٍ ولا نسيانٍ فصيامُه فاسدٌ، ويجبُ عليه الإمساكُ بقيّةَ يومهِ والقضاءُ بدلاً عنه، ولا كفّارةَ عليه في الأكلِ والشربِ. قال سبحانه وتعالى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة:١٨٧] والخيطُ الأبيضُ والأسودُ: هما بياضُ الفجر من سواد الليل.

ويجبُ على من جامعَ امرأتَه في نهار رمضانَ وهو صائمٌ عامداً مُتَعَمِّداً غيرَ مُكرَهٍ ولا مسافرٍ أن يُكَفِّرَ عن فعلهِ ذلك، ويتوبَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ؛ لانتهاكِه حُرْمَةَ الشهرِ.

وقد جاءت الكفّارةُ مُرَتَّبَةً في حديثِ أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: هلكتُ يا رسولَ الله ! قال: « وَمَا أَهْلَكَكَ؟! ». قال: وقعتُ على امرأتي في رمضانَ. فقال: « هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً ؟ » . قال: لا ! قال: « فَهَلْ تَسْتَطِيْعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ » . قال: لا ! قال: « فَهَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتِّيْنَ مِسْكِيْنَاً ؟ » . قال: لا ! قال: ثمَّ جَلسَ ، فأتى النبيُّ ﷺ بعَرَقٍ فيه تمرٌ -وهو مكيالٌ كبيرٌ، ويُسمّى: القُفَة، أو السلَّة، فقال: « تَصَدَّقَ بهَذَا » . قال: فهل عليها أفقرُ منَّا ؟!! ما بين لابَتَيْهَا ؛ -يعني: المدينة- أهلُ بيتٍ أحوجُ إليه مِنَّا. فَضَحِكَ النبيُّ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَقال: « اِذْهَبْ، فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ » .[رواه الجماعة]

تجبُ هذهِ الكفّارةُ على الزوج والزوجة إذا كانت مطاوعةً لزوجِها في فعله، فإن كانت مُكرَهَةً وجبت على الزوج وحده، ولا شيءَ على الزوجة.

ومن المفطّرات: القيءُ عمداً؛ وهو إفراغُ ما في معدةِ الإنسان من الطعام أو الشراب ؛ إمَّا بإدخالِ أصبعَهِ في فمهِ، أو بالتعرُّضِ قَصْداً لكلِّ ما يُهيِّجُ المعدةَ، فهذا يُفسدُ الصيامَ، ويوجبُ القضاءَ. وأمَّا من غلَبَه القيءُ بدون قصدٍ وتعمُّدٍ فصومُه صحيحٌ لا قضاء عليه؛ قال ﷺ : « مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ -أي: غلَبَه- فَلاَ قَضَاءَ عَلَيْهِ ، وَمَنِ اسْتَقَاءَ فَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ » .[رواه أبو داود، والترمذيُّ، وابنُ ماجه، وأحمدُ، وهو صحيحٌ]

ومن المُفطِّراتِ: إخراجُ الدمِ بالحِجَامة؛ وهي: أَخْذُ الدمِ من الرأسِ أو غيره من أعضاءِ البدنِ. قال ﷺ : « أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ » .[رواه أبو داود، والترمذيُّ، وأحمدُ وابنُ ماجه، وهو صحيحٌ] ، قال البخاريُّ -رحمه الله-: (ليسَ في الباب أصحُّ منه).

ويُلحَقُ بالحِجامةِ: إخراجُ الدمِ من البدن بالفصْدِ، أو التبرُّع ممّا يضرُّ الصائمَ، ويُنهِكُ بدنَه.

أمَّا خروجُ الدمِ بالرُّعافِ، أو خلعِ السِّنِ، أو شقِّ الجُرْحِ، أو أخذُ الدم من الوريد للتحليل فلا يُفطّرُ ولا يضرُّ الصائمَ، والأفضلُ له الاحترازُ عن ذلك كلّه؛ حِفاظاً على صحّةِ صومِه.

عباد الله:

هذه هي المُفطِّراتُ المشهورةُ، ويدخلُ فيها ما كان في معنى أحدِها، فالإبرُ المُغذِّيَةُ التي يستغني بها الإنسانُ عن الأكلِ والشُرْبِ تُفطِّرُه؛ لأنَّها في معنى الأكلِ والشربِ، وإنزالُ المنيِّ باختيار الإنسان من غير جماعٍ عن طريق تقبيل الزوجة أو لمسها أو مباشرتِها أو الاستمناءِ بيدِها، أو تكريرِ النظرِ إلى المحرّمات؛ من صورٍ ، وأفلامٍ يُفسدُ الصومَ، ويوجبُ التوبةَ والقضاءَ؛ لأنّه في معنى الجماع، لكنَّ كفَّارةَ الجماع لا تجبُ عليه.

وأمَّا إنزالُه بالاحتلام المُجرَّدِ، أو التفكير المُجرَّدِ فلا يُفسدُ الصومَ، ولا يوجبُ القضاءَ.

فاتّقوا الله -عباد الله-، وصونوا صيامَكم عن هذه المُفطِّرات الحسيّةِ، واعلموا رحمكم الله: أنَّ هُناكَ مُفطِّراتٌ معنويَّةٌ تُفسدُ الصيامَ وتخدشُه، وتُذهبُ أجرَه؛ وهي: كلُّ فعلٍ أو قولٍ مُحرَّمٍ في غير الصيام كالغيبة والنميمة، والسباب والشتم، وقول الزور، والنظرِ إلى ما حرَّمَ الله تعالى ورسولُه ﷺ من النساء، والصورِ الفاتنةِ، والأفلامِ الخليعةِ، والاستماع إلى الأغاني والمعازفِ والمزاميرِ، كلُّ ذلك مُحرَّمٌ، يؤثِّرُ على الصيام، ويوجبُ الآثامَ، فليسَ الصيامُ مُجرَّدَ تركِ الطعامِ والشرابِ، بل هو أسمى من ذلك وأعظمُ.

فاتّقِ الله أيُّها المسلمُ، ولا تجعلْ يومَ فطركِ ويومَ صومِكَ سواءً، وليَصُمْ معكَ لسانُكَ وقلبُكَ وبصرُكَ عن الحرام.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه ، واعلموا أنَّكم ملاقوه، صونوا صيامَكم عن اللَّغو والرَّفَثِ والفسوقِ، وتقرَّبوا إلى الله تعالى بصالِحِ الأعمالِ، واغتنموا أيامَ وليالي هذا الشهرِ الكريمِ فيما يعودُ عليكم بالفوزِ بالجنّةِ والنجاةِ من النارِ إن شاءَ اللهُ تعالى.

ثمَّ اعلموا -عباد الله-: أنَّ الله سبحانه وتعالى قد امتنَّ على عباده الصائمين بالتيسيرِ ورفعِ الحرَجِ والمشقّةِ عنهم، فالإسلامُ دينُ اليُسْرِ والرِّفْق، ولذا فقد رخَّصَ اللهُ لعباده الصائمين في بعض الأمور التي قد تقعُ جبراً عنهم، أو نسياناً منهم، أو لا تؤثّرُ في معنى الصومِ الحسيِّ والمعنوي.

ومن هذه الرُّخَصِ الشرعيّةِ: أنَّ من أكلَ أو شرِبَ ناسياً وهو صائمٌ فصومُه صحيحٌ غيرُ فاسدٍ، ولا قضاءَ عليه، لكنّه متى عَلِمَ وتذكّرَ أنّه

صَائمٌ، وفي فمه شيءٌ وجبَ عليه أن يلفِظَه، كما يجبُ على من رآه من المسلمين أن يُذكِّرَه أنَّه في نهارِ رمضان.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ؛ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ ». [متفقٌ عليه]

ومن أصبحَ جُنُباً من جماعٍ أو احتلامٍ من ليلٍ أو غُسلِ طُهْرٍ من حيضٍ أو نفاسٍ فإنّه يصومُ ولا شيءَ عليه، ويغتسلُ بعد ذلك، كما ثَبتَ عن النبيِّ ﷺ.

والمضْمَضةُ والاستنشاقُ للصائم مُرَّخَصٌ فيها على ألاّ يُبالغَ فيهما؛ خشيةَ أن يصلَ شيءٌ من الماءِ إلى حلقِهِ فيُفطر. قال ﷺ لِلَقيطِ بن صَبُرَة: «وَبَالِغْ فِي المَضْمَضَةِ والاسْتِنْشَاقِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ صَائِمًا ». [رواه أبو داود، وأحمدُ، والترمذيُّ، وصحّحه]

قال ابنُ قدامةَ -رحمه الله-: (وإن تَمَضْمَضَ أو استنشقَ في الطهارةِ، فَسبقَ الماءُ إلى حلقِه من غيرِ قَصْدٍ ولا إسرافٍ فلا شيءَ عليه، رُوِيَ ذلك عن ابن عبّاسٍ رضي الله تعالى عنهما).

كما يجوزُ للصائم -عباد الله-: الاكتحالُ، والقطرةُ في العينِ أو الأذنِ، ونحوهما، سواءٌ أوَجَدَ طعمَها في حلقهِ أم لا ، لأنَّ العينَ والأذنَ

ليستا بمنفَذٍ إلى الجوفِ، وقد كـان أنسُ بـن مـالكٍ؛ خـادمُ رسـول ا لله – رضي ا لله عنه– يكتحلُ وهو صائمٌ.

ويُباحُ للصائم كذلـك استعمالُ بعـض الأدويـة الخاصـة بـالرَّبو، والـتي تؤخـذُ عـن طريـق الاستنشـاق، إذا دعـت إليهـا الحاجـة، وكـان الطبيـبُ الواصفُ لها موثوقاً في دينه وأمانتـه (على مـا أفتـى بـه المحقّقـون مـن أهـل العلم).

ويُباحُ له ذلك: أن يُقبِّلَ امرأتَه، ويُعانقَها، ويلمسَها إذا كان قادراً على ضبط نفسه؛ فقد ثبتَ عن عائشة –رضي ا لله عنها– أنَّهـا قـالت: « كَـانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُقبِّلُ وَهُوَ صَائِمٌ، وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَـائِمٌ، وَلَكِنَّـهُ كَـانَ أَمْلَـكَ لِإِرْبِهِ ».[رواه أبو داود، وأصلُه في الصحيحين]

وقـال عمـرُ بـن الخطـاب –رضـي ا لله عنـه–: هَشَشْـتُ يَوْمًـا –أي: نَشَطْتُ– فَقَبَّلْتُ وَأَنَا صَائِمٌ، فَأَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ ، فَقُلْتُ: صَنَعْتُ الْيَـوْمَ أَمْـرًا عَظِيمًا فَقَبَّلْتُ وَأَنَا صَائِمٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَرَأَيْتَ لَوْ تَمَضْمَضْـتَ بِمَـاءٍ وَأَنْـتَ صَـائِمٌ ». قُلْـتُ: لاَ بَـأْسَ بِذَلِـكَ. فَقَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ : «فَفِيمَ؟!! ». يعني: السؤال، أرادَ أنْ يُفْهِمَه أنَّ فعلَـه جـائزٌ. [رواه أحمدُ، وأبو داود، والبيهقيُّ بسندٍ صحيحٍ]

كما يجوزُ للصائم: الاغتسالُ لدفع العطشِ، أو الحرِّ، أو نحو ذلك، ولو كان قبلَ الغروب بلحَظاتٍ، فقد روى عبدُ الرحمن بن أبي بكرٍ عن بعض أصحاب النبيَّ ﷺ أنّه قال: « لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْعَرْجِ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِهِ مِنَ الْعَطَشِ أَوْ مِنَ الْحَرِّ ». [رواه أحمدُ، ومالكٌ بإسنادٍ صحيحٍ]

ويُباحُ للصائمِ: ما لا يُمكنُ التّحَرُّزُ منه؛ كبلعِ الرِّيْقِ، وغُبارِ الطريقِ، ونحو ذلك. قال ابنُ عبّاسٍ -رضي الله عنهما-: (لا بأسَ أن يذوقَ الطعامَ؛ كالخَلِّ والشيءِ يُريدُ شراءَه). وكذلك المرأةُ: يجوزُ لها تذوُّقُ الطعامَ وهي تُصلِحُهُ للحاجة، على ألاّ يدخلَ جوفها منه شيءٌ، بل تذوقه بلسانها فقط.

والسواكُ للصائم -عباد الله-: مُستحبٌّ ومشروعٌ كلَّ وقتٍ، فقد قال ﷺ : « لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ». [متفقٌ عليه]

وأمّا حديثُ عليٍّ -رضي الله عنه- قال: « إذا صُمْتُم فَاسْتَاكوا بالغَدَاةِ، ولا تَسْتَاكوا بالعَشِيِّ ». [رواه البيهقيُّ، والدارقطنيُّ] فهو حديثٌ ضعيفٌ جدّاً، لا حُجّةَ فيه، بل الثابتُ من سنّته ﷺ المحافظةُ على السواك في جميع أحواله، لا فرق في ذلك بين الصيام والإفطار.

ألا فاتقوا الله تبارك وتعالى أيُّها المسلمون ، وصلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم الله تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ». [رواه مسلم]

۞ ۞ ۞

مصعب بن عمير: الداعية المجاهد

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّمَ تسليماً كثيراً ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا ا لله سبحانه وتعالى حقَّ التقوى ، اتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى ا لله، يومَ يُنفخُ في الصورِ ، ويُبعثُ من في القبور ، ويظهـرُ المستورُ ، يـوم تُبلـى السرائرُ، وتُكشفُ الضمائرُ ، ويتميّزُ البرُّ من الفاجرِ.

عباد ا لله:

تصوغُ العقيدةُ الإسلاميةُ رجالها صياغةً فذّةً، في صورة من يرى النـاس في سيرتهم مرآةً صادقةً عن الإسلام، يتمثّلُ فيها عمقُ الإيمان بـا لله تعـالى، وعظيمُ البـلاءِ في سـبيل نُصْـرَةِ دينـه، والتضحيـة في سـبيله بـالنفس والمـال والأهل والجاه.

ولقد كان صحابةُ رسول ا لله ﷺ ، ورضي ا لله تعالى عنهم خيرَ البشـر على الإطلاقِ بعدَ الأنبياءِ والرسلِ عليهم الصلاة والسلام، أسلموا فحَسُـن إسـلامُهم، وابتُلـوا بالسـرّاء والضـرّاء والشـدّة والرّخـاء حتـى كـانوا خـيرَ المؤمنين الذين حملوا لواء الدعوة إلى ا لله بكلِّ إخلاصٍ وأمانة، حتى صـدَقَ فيهم قولُ الحـقِّ سـبحانه وتعـالى: ﴿ **إِنَّ ا للهَ اشْـتَرَىٰ مِـنَ الْمُؤْمِنِـينَ أَنفُسَـهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ا للهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْـهِ حَقّـاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ ا للهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّـذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة:١١١].

وما زلنا في القرن الخـامس عشـرَ نـترّحمُ عليهـم، ونـترّضى عنهـم؛ لمـا بذلوه في سبيلِ الإسلام؛ولمّا علمَ ا للهُ صدقَهم خلّد ذكرَهم،وفي الحديث أنَّ

المصطفى ﷺ قال: « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَناً فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَناً فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ ». [رواه البخاري]

وحين نتذكّرُ حياةَ سلفنا الصالح نتذكّرُ معهم الحياةَ الإيمانيّةَ الحقّةَ بأبهى صورها، نتذكّرُ معهم الزهدَ والورعَ والتقوى والجهادَ والبلاءَ والشجاعةَ في الحقِّ، والصبرَ والثباتَ في سبيل نشر العقيدة وحمايتها؛ ابتغاء ما عند الله.

وقد كان منهم صحبٌ كرامٌ كانوا من السابقين الأولين إلى الإسلام، فتوالى عليهم من البلاء والمحن والتعذيب ما لا يعلمه إلاّ الله، ولكنّهم صبروا وصدقوا ما عاهدوا الله تعالى عليه، وصدق المولى القديرُ سبحانه وتعالى حيثُ قال: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب:٢٣].

ومن هؤلاء النفر القلائل: مصعبُ بن عُمير؛ الداعيةُ المجاهدُ، والصحابيُّ المناضلُ، سفيرُ رسولِ اللهِ ﷺ إلى المدينة، وحاملُ لواءِ الدَّعوةِ إلى الأَوْسِ والخَزْرَجِ قبل قدوم النبيِّ إلى يثرب.

معاشر المسلمين:

بدأ النبيُّ ﷺ دعوته سرّاً والمشركون يتربّصون به الدوائر، كلٌّ منهم يُحاولُ قتلَه وإخمادَ أمرِه ودعوتِه، ولكنَّ الله تعالى إذا أرادَ أمراً فإنّما يقولُ

له كُنْ فيكون، ولو اجتمع البشرُ كلُّهم على خلافِه ومقاومته فلن يستطيعوا ، فما لأحدٍ با لله تعالى من طاقة، ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ا للهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَا للهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:٨].

واتّخذ المصطفى ﷺ من دارِ الأَرْقَمِ بنِ أبي الأَرْقَمِ -رضي ا لله عنه- ملتقىً لأصحابه، يلتقي فيها مع القلّةِ المستضعفين الذين آمنوا به على خوفٍ من دُعاةِ الضلالة وَعَبَدَةِ الأوثان أن يعلموا بهم فيكيدوا لهم كيداً، ويستقبلُ فيها المسلمين الجُدَد؛ الذين يريدون الدخولَ في هذا النور الجديد.

قدم مصعبُ بن عُميرٍ -رضي ا لله عنه- مستخفياً إلى النبيِّ ﷺ في دار الأَرْقَمِ بنِ أبي الأَرْقَمِ فأسلمَ وكتمَ إسلامَه؛ خوفاً من أمّه وقومه.

قال محمد بن سعدٍ -رحمه ا لله- في طبقاته: (لّما بلغَ مصعبَ بن عُميرٍ أنّ رسولَ ا لله يدعو إلى الإسلام في دار الأَرْقَمِ بنِ أبي الأَرْقَمِ دخلَ عليه فأسلمَ، وصدَّقَ به، وخرجَ فكتمَ إسلامَه؛ خوفاً من أمّه وقومه، وكان يختلفُ ؛ أي: يأتي إلى رسولِ ا لله سرّاً، وكان إسلامُه في السنوات الثلاث الأولى من الدعوة قبل أن يَصْدَعَ النبيُّ ﷺ بالدعوةِ الجهريَّةِ).

وقد لقي السابقون إلى الإسلام من الأذى والنّكالِ ما تنهدُّ له الجبالُ الراسياتُ، ولكنّهم آثروا ما عند ا لله تعالى على مُتَعِ هذه الحياة الفانية؛ لّما خالطت بشاشةُ الإيمان قلوبَهم. أُلقوا في رمضاءَ مكةَ المُحْرِقَةِ، ووُضِعَتِ الحجارةُ القاسيةُ على صدروهم، وضُربوا بالسياطِ، وشُنقوا بالحبال، وقُطّعوا بالسيوف، وأُدميت جلودُهم وقلوبُهم على أيدي كفّارِ مكةَ وسادات الشرك، وعبّاد الأوثان.

يقولُ خبَّابُ بنُ الأَرَتِّ -رضي الله عنه-: أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَقَدْ لَقِيْنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ شِدَّةً، فَشَكَوْنَا إِلَيْهِ فَقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللهَ لَنَا، فَجَلَسَ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ، فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ فِرْقَتَيْنِ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ مِنْ لَحْمٍ وَعَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَحَضْرَمُوتَ مَا يَخَافُ إِلاَّ اللهَ تَعَالَى وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ». [رواه البخاريُ، وأحمدُ، وأبو داود]

أخفى مصعبُ -رضي الله عنه- إسلامَه على أُمِّهِ وأهلِهِ؛ خوفاً على نفسه من الفتنة؛ وكتماناً لأمر رسول الله ﷺ، ولكنَّ الواشينَ من المشركين لّما علموا بإسلامِه سارعوا إلى الوشَايَةِ به عندَ أُمِّه وقومِه؛ نِكَايَةً فيه، وصَدًّا له عن سبيل الله، ﴿ **وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً**﴾ [النساء:٨٩].

ولّما علمَ عثمانُ بن طلحةَ بإسلام مصعبَ أخبرَ قومَه، فغضبوا عليه، وحبسوه وأوثقوه، فلم يزلْ -رضي الله عنه- محبوساً حتّى فرَّ بدينه وهاجر إلى الحبشة مع النفر القلائل من المسلمين الذين أذنَ لهم النبيُّ ﷺ في الهجرة إلى الحبشة؛ طَمَعَاً في الأمنِ بجوارِ ملكِها النجاشيِّ -رضي الله عنه- الذي تواترت عنه الأخبارُ أنّه لا يُظلمُ عنده أحدٌ.

كان مصعبُ بن عُمير –رضي ا الله عنه– فتىَ مكةَ شباباً وجمالاً، وكان أبواه يُحبَّانه حُبَّاً عظيماً، وكانت أمُّهُ من أغنى أهل مكـةَ، تكسـوه أحسـنَ الثيابِ، وأجملَ اللباسِ، وكان أعطرَ أهلِ مكةَ، يلبسُ الحضرميَّ من النِّعَالِ– أنفسَ ما يوجدُ ذلك الزمان–.

وكان رسولُ ا الله ﷺ يذكره ويقـول: « مـا رأيـتُ بمكـةَ أحسنَ لمـةً ، وأرقَّ حُلّةً ، ولا أنعمَ نعمةً من مصعب بن عُمير ». [رواه الترمذي]

وكانت أمّهُ شديدةَ الكَلَفِ به، وكان يبيتُ وقدحُ الحَيْسِ عنـد رأسـه، يستيقظُ فيأكلُ؛ لئّلا تصيبَه جَوْعَةٌ.

فلّما أسلمَ انخلعَ من ذلك كلِّه، وأصابَه من الشدَّةِ والتعذيبِ والبلاءِ مـا غيّرَ لونَه، وأذهبَ لحمَه، ونهَكَ جسمَه، حتى كـان رسـولُ ا الله ﷺ ينظـرُ إليه، وعليه فروةٌ قد رقَعَها، فيبكي ﷺ ؛ لِما كان يعرفُ من نعمته.

وحلفت أمُّهُ حين أسلمَ وهاجرَ ألاَّ تأكلَ ولا تشربَ ولا تستظلَّ حتـى يرجعَ إليها، فكانت تقفُ في الشمس حتـى تسـقطَ مغْشيّاً عليهـا، وكـان بنوها يحشونَ فاها بالأعواد فيصبُّون فيه الطعامَ حتى لا تموت.

أقبلَ مصعبُ بن عُميرٍ –رضي ا الله عنه– ذاتَ يومٍ، والنبيُّ ﷺ جـالسٌ في أصحابه، وقد ارتدى ثوباً موصولاً بإهـابٍ فبكـى للـذي كـان فيـه مـن النِّعمةِ، ونكسَ أصحابُ النبيِّ –رضي ا الله عنهم– رؤوسَهم رحمةً له، ليـس عندهم من الثياب ما يُقدّمونه له، فسلّمَ، فردَّ النبيُّ ﷺ عليه، وأحسنَ عليـه الثناء، ثم قال: « الحمدُ لله الذي يُقلّبُ الدنيا بأهلهـا، لقـد رأيـتُ هـذا –

يعني مصعباً- وما بمكةَ فتىً من قريشٍ أنعمَ عند أبويه نعيماً منه، ثم أخرجَه من ذلك الرغبةُ في الخير؛ في حبِّ ا لله ورسوله ». [رواه الترمذي]

وقال عمرُ بن الخطاب -رضي ا لله عنه-: نظرَ النبيُّ ﷺ إلى مصعب، فقال: « انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نوّر ا لله قلبَه، لقد رأيتُه بين أبوين يغذوانه بأطيب الطعام والشراب، فدعاه حبُّ ا لله ورسولِ إلى ما ترون ». [رواه الطبرانيُّ والبيهقيُّ]

وعند الحاكم من حديث الزُّبير -رضي ا لله عنه- قال: كان رسولُ ا لله ﷺ جالساً بقباءَ، ومعه نفرٌ، فقدم مصعبُ بن عُميرٍ عليه بُرْدَةٌ ما تكادُ تواريه، ونكسَّ القومُ رؤوسَهم، فجاءَ فسلَّم، فردُّوا عليه، فقال النبيُّ ﷺ خيراً ، وأثنى عليه، ثمَّ قال: « لَقَدْ رَأيتُ هَذا عِنْدَ أبويهِ بمكةَ يُكرمانِه ويُنعِّمانِه، وما فتىً من قريشٍ مثلُهُ، ثمَّ خَرجَ ابتغاءَ مرضاةِ ا للهِ ونُصْرَةِ رسولِه، أما إنَّه لا يأتي عليكم كذا وكذا حتّى يَفتحَ ا للهُ عليكم فارِسَ والرومَ، فيغدوا أحدُكم في حُلَّةٍ، ويَروحُ في حُلَّةٍ، ويُغدَى عليكم بقَصْعَةٍ »، قالوا: يا رسول ا لله: نحنُ اليومَ خيرٌ أو ذلك اليوم ؟. قال: « بل أنتُمْ اليَومَ خيرٌ منكم ذلكَ اليَومِ، أما لو تعلمونَ مِنَ الدُّنيا مَا أعْلَمُ لاستراحت نفوسُكُمْ مِنْهَا ».

وخرج مصعبُ بن عُميرٍ من النعمةِ الوارفةِ التي كان يعيشُ فيها مؤثراً الشظَفَ والفاقةَ، وأصبح الغنيُّ المتأنِّقُ المُعطَّرُ لا يُرى إلاّ مرتدياً أخشَنَ الثياب، يأكلُ يوماً ويجوعُ أيّاماً، ولكنَّ روحَه المُشرَبةَ بسموِّ العقيدة كانت قد جعلت منه إنساناً آخرَ يملأُ الأعيُنَ إجلالاً، والأنفسَ روعةً وحياءاً.

هذه الصفاتُ كلُّها جلعت النبيَّ ﷺ يختارُه لأعظمَ مهمّةٍ في حياة الدعوة الإسلامية؛ حيث اختاره ليكون سفيرَه إلى المدينة، فلّما انصرفَ أهلُ العقبة الأولى، وفشا الإسلامُ في دور الأنصار أرسلوا لرسول ا لله يطلبون منه أن يرسلَ لهم رجلاً يُفقّهُهُم في الدين ويُقرئُهم القرآنَ، فأرسلَ ﷺ مصعبَ بن عُميرٍ -رضي ا لله عنه- إليهم، فلّما قدم المدينة نزلَ على أسعدَ بن زُرارةَ، وكان يأتي الأنصارَ في دورهم في عوالي المدينة فيدعوهم، فيُسلمُ الرجلُ والرجلان حتى ظهر الإسلامُ وفشا في المدينة، فكتبَ إلى رسول ا لله ﷺ يستأذنُه أن يُجمِّعَ بالأنصار، فأذنَ له ، وكتبَ إليه: « أن انظُر من اليوم الذي يجهرُ فيه اليهودُ لسبتهم، فإذا زالت الشمسُ فازدلفْ إلى ا لله فيه بركعتين، واخطب فيهم ». [الحديثُ في الصحيح]

فجمَّعَ بهم مصعبُ في دار سعدِ بن خَيْثَمة، وهم اثنا عشرَ رجلاً -رضي ا لله عنهم أجمعين-، فكان أوّلَ من جمّعَ في الإسلام جُمُعَةً -رضي ا للهُ عنه وأرضاه-.

وهاجرَ النبيُّ ﷺ إلى المدينة، واستبشرَ المسلمون في المدينة بقدومه، واستمرّ مصعبُ يدعو إلى ا لله، وينشر الإسلامَ، ويغرسُ العقيدةَ، سيفاً شهيراً في يدِ النبيِّ ﷺ يوجِّههُ حيثُ شاءَ.

ووقعت معركةُ أُحُدٍ في العام الثالث من الهجرة النبوية، وشارك فيها مصعبُ بن عُمير مشاركةَ الأبطال، وأبلى فيها بلاء المؤمنين الصابرين المحتسبين، وحمّله المصطفى ﷺ رايةَ المسلمين، وثبت مصعبُ -رضي ا لله عنه- مع القلّة المؤمنةِ التي أحاطت بالنبيِّ ﷺ ، ودافعتِ المشركينَ عنه لّما

تخلخلت صفوفُ المسلمين وأصبحت الجولةُ للمشركين، وبقي اللواءُ في يدِ مصعب يُمسكُه بقوّةٍ وثبات ويدافعُ عن النبيِّ ﷺ.

وتدافعَ المشركون نحو اللواءِ، وأقبلَ ابنُ قُمْئَةَ -عليه من الله ما يستحقُّ-، فشدَّ على مصعب، فضرب يدَه اليمنى فقطعَها، ومصعبُ يُردِّدُ قولَ الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفإِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران:١٤٤]. ثم أخذَ اللواءَ بيده اليسرى؛ حتى لا يقعَ، فضربَ ابنُ قُمْئَةَ يدَه اليسرى فقطعَها، فحنا على اللواء وضمّه بعَضُديه إلى صدره، ثم حمل عليه الثالثةَ بالرُّمح فأنفذَه إلى صدره، ووقع مصعبُ بن عُميرٍ -رضي الله عنه- شهيداً مُضَرَّجاً بدمائِهِ، فلمّا انتهت المعركةُ وقفَ رسولُ الله ﷺ على مصعب وهو مُنجَعِفٌ على وجهه، فقرأ قولَه تعالى: ﴿ **مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىَ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب:٢٣].

أيُّها المسلمون:

وهكذا سقطَ مصعبُ بن عُميرٍ -رضي الله عنه- مجاهداً شهيداً، وهو ابنُ أربعينَ سَنَةٍ، في رَيْعَانِ شبابِهِ وفتوّتِهِ، ماتَ -رضي الله عنه- ميتةَ الأبطالِ، وهو عند الله تعالى من الشهداءِ الأبرارِ إن شاءَ اللهُ سبحانه ﴿ **مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيماً** ﴾ [النساء:٦٩-٧٠].

وأشرفَ المصطفى ﷺ على الشهداءِ من أصحابِهِ -رضي ا لله عنهم- ودموعُه تسيلُ من عينيه، فقال: «أنا شهيدٌ على هؤلاء أنّه ما من جريحٍ يُجرحُ في سبيل ا لله إلاّ وا لله يبعثُه يوم القيامةِ يدمي جرحُه، اللونُ لونُ الدم، والريحُ ريحُ المسك، انظروا أكثرَ هؤلاء جمعاً للقرآن فاجعلوه أمامَ صاحبه في القبر، ثم قال: أشهدُ أنّ هؤلاء شهداءٌ عند ا لله يوم القيامة، فأتوهم فزوروهم، والذي نفسي بيده لا يُسلّمُ عليهم أحدٌ إلى يوم القيامة إلاّ ردّوا عليه». [الحديثُ في الصحيح]

قال الصحابيُّ الجليلُ خبّابُ بن الأرَتِّ -رضي ا لله عنه-: هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَبْتَغِي وَجْهَ ا للهِ، فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى ا للهِ، وَمِنَّا مَنْ مَضَى أَوْ ذَهَبَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا كَانَ مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ لَمْ يَتْرُكْ إلاَّ نَمِرَةً كُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلاَهُ وَإِذَا غُطِّيَ بِهَا رِجْلاَهُ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلِهِ الإِذْخِرَ، أَوْ قَالَ أَلْقُوا عَلَى رِجْلِهِ مِنَ الإِذْخِرِ»، وَمِنَّا مَنْ قَدْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِبُهَا. [رواه البخاري]

هذا هو مصعبُ بن عُميرٍ ذلكم الرجلُ الذي كان يلبسُ أجملَ الثياب في شبابه، ويأكلُ أطيبَ الطعام، ترمُقُه العيونُ إكباراً وإعجاباً لحسنه وغناه ومكانته، ينسلخُ من ذلك الترف والنعيم كلّه مبتغياً وجه ا لله تعالى، وما أعدّه لعباده المؤمنين، ثم يجاهدُ مع رسول ا لله بائعاً نفسَه من ا لله حتى قُتِلَ شهيداً لا يجدُ المسلمون عند موته غيرَ ثوبٍ قصيرٍ بالٍ لا يكفي كفناً له،

فرضي الله عنه وأرضاه ، وجعل أعالي الفردوس مثـواه، وجمعنـا بـه في دار كرامته ومستقرِّ رحمته.

أقـول مـا تسـمعون، وأستغفرُ الله تعـالى فاسـتغفروه إنَّـه هـو الغفـورُ الرحيمُ.

** * **

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله الواحدِ الأحدِ الفردِ الصمدِ ، الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ لـه ، وأشـهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثـيراً إلى يوم الدين.

أمّا بعد:

فاتقوا الله أيُّها النـاس ، واعلمـوا رحمكـم الله أنَّ الجنّـةَ غاليـةٌ نفيسـةٌ، حريّةٌ بالمسلم أن يسعى لها سعياً حثيثاً، وأن يُقدِّمَ الغاليَ والنفيسَ في سـبيل الحصول عليها، وتلك الأمنيةُ العُظمى والمطلبُ الغالي الـذي مـن فاتـه فقـد

خُرِمَ الخيرَ كلَّه، ومن فازَ به فَنِعْمَ الفوزُ وَنِعْمَ الجِوارُ؛ جوارُ ربِّ العالمين سبحانه وتعالى.

عباد الله:

هذه سيرةٌ من سِيَرِ سلفنا الصالح -رضوانُ الله تعالى عليهم-، سيرةُ بطلٍ جاهدَ في الله حقَّ جهاده؛ لنيل الشهادة في سبيله فأعطاه الله ما تمنّى، والحقُّ سبحانه وتعالى يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [محمد:٧]. وسيرةُ داعيةٍ قدَّمَ الأنفسَ العديدةَ فأدخلَهم في الإسلام، وسيرةُ شهيدٍ أبلى في سبيل الله البلاءَ الحسن فشهدَ له رسولُ الهدى ونبيُّ الرّحمة ﷺ بالجنّة.

ولنا مع سيرة هذا الصحابيِّ الداعيةِ المجاهد وِقْفاتٌ وعِظَاتٌ:

الوِقْفَةُ الأولى: أنّ هذا الرجلُ كان في الجاهليّة خاملَ الذكر، لا يُعْرَفُ إلاَّ معَ المشركين، ولا يُذكرُ إلاَّ معَ المُتْرَفِيْنَ، فلمَّا دخلَ في الإسلام ارتفعَ ذكرُه، وعلا قدرُه، وكأنّه قد وُلِدَ من جديدٍ.

وقد ذكر شيخُ الإسلام ابنُ تيميّة -رحمه الله- أنَّ للإنسانِ ميلادين اثنين: الميلادُ الأولُ: يومَ أن يخرجَ الإنسانُ من بطن أمِّهِ وليداً صغيراً، وهذا يشتركُ فيه جميعُ المخلوقات. وأمّا الميلادُ الثاني: فلا يعيشُه إلاّ المتّقون الذين أنعمَ اللهُ تعالى عليهم بنعمة الهداية، وهو يومَ أن يدخلَ الإنسانُ في هذا الدين الحنيف، ويومَ أن يخرجَ من ظلمات الجهل والكفر والفسوق والنفاق والغفلة إلى نور الإيمان والعبادة والطاعة. وذاك الشاعرُ العربيُّ يقول:

ولـدتكَ أمُّكَ باكـياً مُـسْتَصْرِخـاً والناسُ حولكَ يضحكونَ سُرُوراً
فاعْملْ لنفسكَ أن تكونَ إذا بكوا في يومِ موتِكَ ضـاحكاً مَسْرُوراً

الوِقْفَةُ الثانيةُ: لقد آثرَ هذا الصحابيُّ الجليلُ الحياةَ الآخـرةَ علـى الدُّنيـا الفانيةِ؛ إذْ كان -رضي الله عنه- في الجاهلية يعيشُ حيـاةَ الغنـى والنعومـة والراحة الدنيويّة، لكنّه ما أنْ عَلِمَ أنَّ الإسلامَ حقٌّ حتى دخلَ فيه راجياً مـا عندَ الله، واثقاً بموعوده، متحمّلاً القهرَ والتعذيـبَ والبـلاء، عائشـاً عيشـةَ الفقر والفاقة والحاجة؛ كلُّ ذلك حبّاً لله تعالى ورسوله، ورغبةً فيما أعـدّه الله تعالى لعباده المتقين.

إذا شَامَ الفتى بَرْقَ المعاني فَأهونُ فائتٍ طيبُ الرُّقَادِ

الوِقْفَةُ الثالثةُ: مات مصعـبُ بـن عُمـيرٍ -رضـي الله عنـه- شـهيداً في سبيل الله تعالى، ولم يُخلّف وراءَه من الدُّنيا شيئاً، وما وجدوا معه إلاَّ ثوباً مُرقَّعاً لم يكفي لتكفينه؛ لإنّه اشتغلَ عن جمع المالِ بعبادةِ الله الواحدِ القهَّارِ الرَّازقِ الوهَّابِ، بل تركَ مالَـه كلَّه ودخـلَ في ديـن الله تعـالى يجـاهدُ مـع الرسول ﷺ، ويدعو إلى الله، لإنّه يعلمُ أنَّ من تـركَ شـيئاً لله عوَّضَـه الله خيراً منه، يأتي مصعبُ بن عُميرٍ -رضي الله عنه- يومَ القيامـة وفي مـيزان حسـناته عشـراتُ الصحابـةِ الكـرام -رضـوان الله تعـالى عليهـم- الذيـن أسلموا على يديه، وقد قال المصطفى ﷺ لعليٍّ بن أبي طالبٍ -رضـي الله

عنه-: « فَوَاللهِ لأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ ».

[رواه البخاري]

يأتي مصعبُ بذلك يومَ القيامة يومَ يأتي كثيرٌ من أمّته ﷺ يحملون أوزارَهم على ظهورهم أمثال الجبال؛ لِمَا أضلّوا من الخلق، وصدّوا عن سبيل الله. ﴿ **أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوَاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [السجدة:١٨-٢١].

أيُّها المسلمون:

صلّوا وسلّموا على من أمرَكم الله تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ». [رواه مسلم]

اللهُّم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد بن عبد الله صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين ، وارضَ اللهُّم عن أصحاب نبيّك أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.....

غـــزوة مــؤته؛ أحـــداث وعــبر

●الخطبة الأولى:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانَ إلاّ على الظـالمين، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شـريكَ لـه، وليُّ الصـالحين، وأشـهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، إمامُ المتقـين، وخـاتمُ الأنبيـاء والمرسلين، وقـائدُ الغُـرِّ المُحجّلين، صلي الله عليه وعلى آله وصحبه وسلمّ تسليماً كثيراً إلى يـوم الدين.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا الله سبحانه وتعـالى حـقَّ التقـوى، راقبـوه ولا تعصـوه، واعلمـوا أنّكـم ملاقـوه، فاسـتعدُّوا لِلِقَائـهِ بالأعمـالِ الصالحـة المنجيــةِ مــن عذابــه وسخطه، والموجبة لرحمته وغفرانه.

أيُّها المسلمون:

تشرفُ الأمـمُ بقـراءةِ سـيرةِ روّادهـا، وتُولَـعُ الشعوبُ بـالنظر في عِـبرِ زعمائها، وتنهالُ الأجيالُ على الاقتداءِ بأبطالها، وهـؤلاءِ الزُّعَمـاءُ والقـادةُ والرُّوادُ يختلفون ويتفاوتون في زعامتهم وقيادتهم.

وعندنا نحنُ المسلمين قائدٌ لا كالقادة، وزعيمٌ لا كالزُّعمـاء، ورجـلٌ لا كالرجال، فتح ا لله به أعيناً عُميـاً، وآذانـاً صُمّـاً، وقلوبـاً غُلفـاً، وأنقـذَ بـه العالمين من الضلال، وأخرَجهم مـن الظلمـات إلى النـور، خفقـت بعظمتـه الدنيـا بأسـرها، وشـهدت بريادتـه الأجيـالُ كلُّهـا، وخضعـت لزعامتـه الصفوفُ، واجتمعت على حبّه القلوبُ.

ذلكم -يا عباد ا لله- هو محمدُ بـنُ عبـدِ ا لله النبيُّ المجتبى ، والرسـولُ المصطفى ﷺ .

وكـم تحتـاجُ الأمّـةُ وهـي تعيشُ أزماتهـا القاسية، وتتقلّـبُ في محنهـا الشديدة أن تعـود إلى سـيرته ﷺ ؛ لتسـتفيدَ منهـا في جهادِهـا، ودعوتِهـا، وصبرِها، وثباتِها. نعم يا عباد ا لله ! كم تحتاجُ الأمـةُ المسـلمةُ اليوم وهـي تعصفُ بها الأحداثُ العِظامُ، وتتقاذفُها الخُطوبُ الجِسـامُ أن تتذكّـر حيـاةَ الرعيلِ الأول؛ محمدٍ ﷺ ، وحزبه من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهـم بإحسانٍ رضي ا لله عنهم ورضوا عنه. فهم القدوةُ والأُسـوةُ؛ ﴿ **لَّقَدْ كَـانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ا للهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَـانَ يَرْجُـو ا للهَ وَالْيَـوْمَ الآخِـرَ وَذَكَـرَ ا للهَ كَثِيراً** ﴾ [الأحزاب:٢١]. ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِـي الأَلْبَـابِ مَـا كَـانَ**

حَدِيثاً يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف:١١١].

عباد الله:

واليوم نتذكّرُ جانباً من جوانب سيرته ﷺ، ونُقلّبُ صفحةً من صفحات جهاده وصبره، وبلائه وتضحيته، مع صحبه الكرام -رضوان الله تعالى عليهم- في سبيلِ نشرِ الإسلام، والدعوة إلى الله. نعيشُ اليوم معَهم في غزوةِ مؤته؛ التي وقعت في العام الثامن من الهجرة النبوية الشريفة إلى المدينة المنورة على صاحبها أفضلُ صلاةٍ وأزكى تحيّةٍ.

أيُّها المسلمون:

بعد صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ تفرَّغَ النبيُّ ﷺ لدعوته؛ فبعث الرسلَ إلى الملوك والولاة في شمال الجزيرة وغربها، وجنوبها وشرقها، يدعوهم إلى الإسلام لله ربِّ العالمين لا شريكَ له، وتَرْكِ العِبَادِ الذين تحت أيديهم لِيُسلموا لله، ويتّبعوا رسولَه، ويخرجوا من الظلمات إلى النور.

وكان من بين هؤلاء الرسل: الحارثُ بن عُمَيْرٍ الأزديٌّ -رضي الله عنه- الذي بعثه المصطفى ﷺ بكتابه إلى هِرقل الروم بالشام، وخرج الحارثُ بالرسالة، فلمّا نزلَ مؤتةَ في شمال الجزيرة العربية عرضَ له عاملُ قيصرَ على الشمال؛ شُرحبيلُ بن عمروٍ الغسّانيُّ، فأوثَقَه رِباطَاً، ثم قدّمه فضربَ عنقَه ليموتَ شهيداً -رضي الله عنه وأرضاه-.

ويُروى أنّه تهدَّد المسلمين في المدينة بأن يُرسلَ إليهم جيشاً عظيماً لا طاقةَ لهم به، يؤدبَهم ويُعرِّفهم سوءَ صنيعِهم -على حدِّ زعمهِ-؛ حتى يعلموا أن لا طاقةَ لهم بحربِ الرُّومِ ؛ القوَّةِ العُظمى في ذلك الزمان.

وبلغَ الخبرُ رسولَ ا لله ﷺ ، فأصابه همٌّ عظيمٌ لقتل رسولِهِ ، إذْ كان الحارثُ -رضي ا لله عنه- الرسولُ الوحيدُ من بين رسلهِ الذي تعرَّضَ للقتل والأذى، وكانت الرسلُ لا تُقتل.

فقام النبيُّ ﷺ وجَمَعَ المسلمين، وأخبرَهم الخبرَ، ثم جهَّز جيشاً قِوَامُهُ ثلاثةُ آلافِ مقاتلٍ لغزو مؤته؛ انتصاراً لهذا الصحابيِّ الجليلِ الذي قُتل؛ لأنَّ دمَ المسلم في الإسلام نفيسٌ.

ولَمّا تجهَّزَ الجيشُ، وعزمَ على الرحيلِ قامَ فيهم النبيُّ ﷺ وعقدَ لهم لواءاً أبيضَ، ودفعَه إلى زيد بن حارثة -رضي ا لله عنه-، وأمّرَه عليهم -كما روى البخاريُّ في المغازي- ، ثم قال: « إن أُصيبَ زيدٌ فجعفرُ بن أبي طالبٍ على الناس، فإن أُصيبَ جعفرٌ فعبدُ ا لله بن رواحةَ على الناس » ، وأوصاهم ﷺ أن يأتوا مقتلَ الحارثَ بن عُميرٍ، وأنْ يدعوا مَنْ هُنالِكَ إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلاّ استعانوا عليهم با لله سبحانه وتعالى وقاتَلُوهم.

ثم قال المصطفى ﷺ : «اغزوا بسم ا لله، في سبيل ا لله من كفر با لله، لا تغدروا، ولا تُغيروا، ولا تقتلوا وليداً، ولا امرأةً، ولا كبيراً فانياً، ولا مُنعزلاً بصَوْمَعَةٍ، ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرةً، ولا تهدموا بناءً ». [رواه الترمذيُّ، ومالكٌ في الموطأ]

وهذه من أبرز تعاليم الحروب في الإسلام؛ فإنّ القتال في الإسلام إنّما شُرِعَ لنُصْرة المستضعفين، والدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، لا إلى التخريب والاعتداء.

ولَمّا تهيّأ الجيشُ للخروج حضرَ الناسُ يودِّعون أُمراءَ الرسولِ ﷺ، ورضي الله عنهم، ويُسلّمونَ عليهم، فبكى عبدُ الله بن رواحة -رضي الله عنه-، فقالوا: ما يُبكيكَ يا ابنَ رواحة ؟ قال: أما والله ما بي حبُّ الدنيا، ولا صبابةٌ بكم، ولكنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأُ آيةً من كتاب الله تعالى، يذكر فيها النارَ ، ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىَ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً**﴾ [مريم:٧١]، فلستُ أدري واللهِ كيفَ لي بالصدر بعد الورود.

ثم قال:

لكنّني أسألُ الرَّحمنَ مغفرةً ... وضَربةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا
أو طعنةً بِيَديْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً ... بِحربَةٍ تُنْفِذُ الأحشاءَ والكَبِدا
حتّى يُقالَ إذا مَرُّوا على جَدَثِي ... أرْشَدَهُ اللهُ من غازٍ وقد رَشدَا

وخرج الجيشُ من المدينة، قيلَ في جمادى الأولى، وقيلَ في الثانية، وقيلَ غيرُ ذلك. وخرج معهم المصطفى ﷺ في مجموعةٍ من أصحابه -رضي الله عنهم-؛ مُشيّعاً لهم حتى بلغَ ثنيّةَ الوَداعِ، ثم ودّعَهم والدموعُ تفيضُ من عينيه صلوات الله وسلامه عليه، ومن عيونِ أمرائهِ الثلاثةِ -رضي الله عنهم وأرضاهم-. وكان آخرُ من ودّعَه عبدُ الله بن رواحةَ -رضي الله عنه-؛ ودَّعَه مُجْهَشاً بالبكاء، وهو يقول:

فَثَبَّتَ اللهُ ما آتـاكَ من حسنٍ تثبيتَ موسى ونصراً كالذي نُصِروا
إنّي تفرّستُ فيكَ الخيرَ أعرفُهُ واللهُ يعلمُ أنْ ما خانني البصرُ
أنتَ النبيُّ ومن يُحرم شفاعتَه والوجْهَ منكَ، فقد أزرى به القدَرُ

فقال رسولُ الله ﷺ : « وأنتَ فثبّتكَ اللهُ يا ابنَ رَوَاحةَ ». قال هشام ابن عروة -رحمه الله-: « فثبّته اللهُ عزّ وجلّ أحسنَ الثبات، فَقُتِلَ شهيداً، وفُتحت له الجنةُ فدخلَها ».

وتحرّك الجيشُ الإسلاميُّ إلى الشمال حتى نزلَ مُعَانَ من أرض الشام، فبلغتهم الأخبارُ بأنّ هِرَقْلَ ملكَ الروم قد نزلَ مَآب من أرض البَلْقَاء في مائة ألفٍ من الروم، وانضمَّ إليهم من نصارى العرب: لَخْمٍ وجُذام وبَلْقَيْن وبَهْراء وبَلِيّ مائةُ ألفٍ أُخرى، يقودهم مالكُ بنُ زَافِلَةَ النَّصْرَانيُّ.

فلّما علموا بذلك أصابَهم من الغَمِّ والحُزن ما الله به عليمٌ. ولكم أن تتصوّروا الموقفَ ! ثلاثةُ آلافٍ يقفونَ مقابلَ مائتي ألفٍ من الرومِ وأعوانِهم، أكبرِقوّةٍ على وجه الأرض آنذاك.

اجتمعَ المسلمون ، وتشاوروا في أمرهِم، وأقاموا في مُعَانَ ليلتين يُفكّرون في الأمر، ثم قالوا: نكتبُ إلى رسول الله ﷺ ، ونخبرُه بعدد عدوِّنا، وما أعدُّوا لنا، فإمّا أن يُمدِدْنا بمَدَدٍ من عنده، وإمّا أن يأمرَنا بأمره فنمضي له.

فقام عبدُ الله بن رواحة يُشجّعُ الناسَ، ثم قال: (أَيُّها الناس ! واللهِ إنّ التي تكرهونَ للتي خرجتم تطلبونَ ؛ يعني: الشهادةَ ، وما نُقاتلُ الناسَ بِعَدَدٍ

ولا قوَّةٍ ولا كَثْرَةٍ، ما نُقاتلُهم إلاَّ بهذا الدين الذي أكرمَنا الله به، فانطلقوا، فإنّما هي إحدى الحُسْنَيين: إمّا ظُهورٌ، وإمّا شهادةٌ).

فتشجّعَ المسلمون، ومضوا لقتال عدّوهم في سبيل الله، حتى نزلوا مؤتةَ بأرض الشام، وكان الرومُ قد نزلوا قريةً مجاورةً لمؤتةَ يُقالُ لها مشارف. واقترب الفريقان، والتقى الجمعان، وبدأت المعركةُ، واعتصمَ المسلمون بالله الواحد الأحد؛ الذي يُجيبُ دعوةَ المُضطّر إذا دعاه، ويكشفُ السوءَ، وطلبوا المَدَدَ والنصرَ من القويِّ العزيز سبحانه، الذي ينصرُ عباده المؤمنين في الحياة الدنيا ويومَ يقومُ الأشهادُ، ﴿ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر:٥٢].

معركةٌ عجيبةٌ غريبةٌ في دنيا الواقع، تشاهدُها الدنيا بالدَّهْشَةِ والحَيْرَةِ؛ حيثُ يقفُ ثلاثةُ آلافِ مسلمٍ أمام مائتي ألفٍ من الروم وأحلافِهم يتقاتلون!! تستغربُها موازينُ البشر ، وتعجزُ عن إدراكها عقولُهم وأفئدتُهم!

ولكن لا عجبَ ! فإذا كان الله عزّ شأنه مالكُ الملك وربُّ الأرباب مع المسلمين فمن يهزمُهم ؟! وممّن يخافون والناصرُ هو الله؟! ﴿ الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُنْ مِّنكُمْ مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوَاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٦٦].

أخذَ الرايةَ زيدُ بن حارثة أولُ الأمراء الثلاثة، مولى رسول الله ، وحبُّه، فقاتل قتالاً مريراً، وقدَّمَ من ضُروبِ البَسَالةِ والشجاعة ما يعجزُ عنه

الوصفُ، وبينما هو كذلك أصابه رُمحٌ من رِماحِ الأعداء، فخـرَّ شـهيداً ، رضي ا لله عنه وأرضاه.

فتقدَّمَ جعفرُ بنُ أبي طالبٍ، واستلمَ الرايةَ، ودافعَ عنها كدفاع صاحبه، وهو يقول:

يا حَبَّذَا الـجَـنّـةُ واقترابُـها　　　طـيِّـبَةً وبارداً شرابُـهـا

والرومُ رومٌ قد دنا عذابُها　　　كافِرَةٌ بعـيدةٌ أنـسابُهـا

عَليَّ إذْ لاقيتُها ضِرَابُهـا

فلمّا اشتدَّ القتالُ نزلَ جعفـرُ -رضـي ا لله عنـه- عـن فـرسٍ لـه شـقراءَ فعقرَها، ثم تقدّمَ يُقاتلُ، فقُطِعتْ يدُه اليُمنى، فاستلمَ الرايةَ بيــده اليُسـرى، فقُطِعتْ، فاحتضَنها بعَضُديـه؛ لئـلاّ تسـقطَ رايـةُ رسـولِ ا لله ﷺ ، فينهـزمَ المسلمون. فلم يزل رافعاً لها حتى ضربَه روميٌّ ضربةً قطعته نصفين.

روى البخاريُّ عن نافعٍ عن ابن عمرَ قال: (فَالْتَمَسْنا جعفراً، فوجدناه في القتلى، ووجدنا في جسده بِضْعَاً وتسعين طعنـةً ورميـةً، وكـانت كلُّهـا فيما أقبلَ من جسده).

وتلك شجاعةٌ فذّة، وبطولةٌ نادرة، وإقدامٌ لا يتكرّرُ إلاّ قليلاً.

ثمّ تقدّم الأميرُ الثالثُ عبـدُ ا لله بن رواحـة، فاسـتلم الرايـةَ، وكـادَ أن يرجعَ وتردّد بعضَ التردُّد، ثم ارتجزَ بأبياتٍ جميلةٍ، وتقدّم وهو يقول:

أقـسمـتُ يا نفـسُ لتَنْزِلِــنّه　　　طـائعــةً أو لتُـكْـــرَهِــنَّهْ

إنْ أجلَبَ الناسُ وشَدّوا الرَّنَّهْ　　　ما لي أراكِ تكـرَهِينَ الجَنّـهْ

قد طَالَما مُذْ كُنتِ مُطْمَئِـنَّهْ　　　هل أنـتِ إلاّ نُطْـفَةٌ في شَنَّهْ

ثم نزل للقتال، فأتاه ابنُ عمٍّ له بعظمٍ من لحم، وقال: أُشدُد بهذا صُلبَك؛ فإنّك قد لقيتَ في أيّامك هذه ما لقيتَ. فأخذَه منه، وانتهَس منه نهسةً، ثم ألقاه من يده، وأخذَ سيفَه، وقاتل حتى قُتلَ -رضي ا لله عنه-.

ومات الأمراءُ الثلاثةُ، أُستُشهدوا جميعاً. وارتبكَ الناسُ، واختلطوا، فتقدّم ثابتُ بن أَرْقَم العجلانيِّ، وأخذَ الرايةَ، وقال: (يا معشرَ المسلمين ! اصْطَلحوا على رجلٍ منكم). قالوا: أنت ! قال: (ما أنا بفاعلٍ) ، فاصطلحَ الناسُ على خالدِ بن الوليد -رضي ا لله عنه-، ولم يمضِ على إسلامه خمسةُ أشهرٍ بعدُ، فقد أسلمَ بعدَ الحُدَيْبِيَةِ، ولكنّها الرجولةُ التي قال ا لله تعالى عنها: ﴿ **مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ ا للهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً** ﴾ [الأحزاب:٢٣].

وفي الحديث أنّه ﷺ قال: « النَّاسُ مَعَادِنٌ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، خِيَارُهمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهمْ فِي الإِسْلاَمِ إذا فَقُهُوا ». [رواه البخاري].

استلمَ القيادةَ خالدُ بن الوليد، فنظّمَ الجيشَ إلى ميمنةٍ وميسرةٍ ومقدّمةٍ ومؤخّرة، وهجمَ على الروم، فلمّا رأوا هذا المشهدَ في الجيش المسلم قذف ا للهُ في قلوبهم الرُّعبَ، وقالوا: قد جاء للمسلمين مَدَدٌ من المدينة، فاستطاع خالدٌ -رضي ا لله عنه- بهذه الخُطّة الحربيّة أن يُخلّص الجيشَ المسلم من عدّوه، وأن يُحقّق النصرَ المعنويّ العظيمَ للقلّة المسلمة.

روى البخاريُّ وغيُره أنَّ خالدَ بن الوليد -رضي ا لله عنه- قال: (لقد انقطعت في يدي يومَ مؤته تسعةُ أسيافٍ، فما بقي في يدي إلاّ صفيحةٌ يمانيةٌ).

وانتهت المعركةُ، وعادَ المسلمون يَنْعَمُونَ، ﴿ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الروم:٥].

وكان الرسولُ ﷺ وهو في المدينة يُشاهدُ المعركةَ عن طريق الوحي الذي تنزّل به جبريلُ -عليه السلام-، فجمع المسلمين، وأمر منادياً يُنادي فيهم، فاجتمعوا ثم أخبرَهم عن إخوانهم المجاهدين، فقال: « أَخَذَ الرايةَ زيدٌ فقاتلَ حتّى قُتِلَ شهيداً، ثم أخذَها جعفرٌ فقاتلَ حتّى قُتِلَ شهيداً »، ثم صمتَ ﷺ حتى تغيَّرت وجوهُ الأنصارِ، وظنّوا أنّه كان في عبدِ الله بنِ رواحةَ بعضُ ما يكرهون، فقال: « ثم أخذها عبدُ الله بن رواحة، فقاتل حتى قُتِلَ شهيداً ». ثم قال: « لقد رُفعوا إليَّ في الجنّة فيما يرى النائمُ على سريرٍ من ذهبٍ، فرأيتُ في سريرِ عبدِ الله بن رواحةَ ازوراراً عن سريري صاحبيهِ، فقلتُ: بِمَ هذا ؟. فقيلَ لي: مضيَا وتردّدَ بعضَ التردُّدِ، ثم مضى. ثم أخذَ الرايةَ سيفٌ من سيوفِ اللهِ؛ يعني: خالد، حتى فتحَ اللهُ عليهم ». [رواه أحمدُ]

وانصرف النبيُّ ﷺ وعيناهُ تَذْرِفَان بالدموع يتفقّدُ أُسرَ الشهداء الثلاثة.

تقولُ أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ؛ زوجُ جعفرٍ -رضي الله عنها-: (أتاني رسولُ الله وقد فرغتُ من اشتغالي ، وغسّلتُ أولادَ جعفرٍ ودهنتُهم، فأخذَهم وشمّهم واحتضَنَهم، ودموعُه تسيلُ من عينيه، فقلتُ: يا رسولَ الله ! أَبَلَغَكَ عن جعفرٍ شيءٌ ؟ قال: « نعم ! لَقَدْ أُصِيْبَ هَذَا اليَوْمَ ». ثم عاد إلى أهله وقال: « اصْنَعوا لآلِ جعفرٍ طَعَاماً فَقَدْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ ».

[رواه أحمد، وغيره]

وعاد الجيشُ إلى المدينة، واستقبلَه الرسولُ ﷺ ، وصحابتُه الكرامُ – رضوان الله عليهم–، يُحيّونَه على هذا الفتح العظيم ضدَّ أكبرِ قوةٍ عرفَها العالَمُ آنذاك.

أيُّها المسلمون:

هذه بعضُ أخبار تلك الغزوة العُظمى التي نصرَ الله عبادَه فيها نصراً مؤزَّراً، وارهبتِ الرومَ في شمال الجزيرة العربية، وقذفت الرُّعْبَ في قلوبِ الذين كفروا في جزيرة العرب، فصاروا يحسبون للمسلمين ألفَ حِساب، وقَدِمَتِ الوفودُ على رسولِ الله ﷺ بعدَها تتحالفُ معه، وزادَ الداخلون في دين الله.

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۞ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ [النجم:١-٥]. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد:٧]. ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران:١٦٠].

أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله تعالى فاستغفروه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

• الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه ، والشكرُ له على توفيقه وامتنانه ، وأشـهدُ ألا إله إلاّ الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه ، وأشهدُ أنّ محمداً عبد الله ورسوله الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله ، وأصحابه ، وإخوانه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: فيا أيُّها الناس:

إنَّ هذه الغزوةَ لتُذكِّرُنا بمآسي المسلمين المتكررةِ في هذه العصور المتأخِّرَةِ؛ فقد قامت غزوةُ مؤته انتصاراً لمسلمٍ واحدٍ قتلَه الأعداءُ في سبيل الله؛ لإنّ دمَ المسلمين في الإسلام غالٍ ونفيسٌ، بل إنّ زوال الدنيا بأسرها أهونُ على الله تعالى من قتل امرئٍ مسلمٍ.

وهكذا كانت الغزواتُ في الإسلام انتصاراً للمسلمين، والمستضعفين، وما فتحُ عمُّوريّةَ عنّا ببعيدٍ؛ والتي قامت من أجل صَرْخَةِ امرأةٍ مسلمةٍ اعتدى عليها عِلْجٌ كافرٌ، فصاحت : وامعتصماه ! فلمَّا بلغَ الخبرُ المعتصمَ- الخليفةَ العبّاسيَّ- أجابها بجيشٍ عظيمٍ أوّلُه في عمُّوريّةَ وآخرُه عنده في العراق، فانتصرَ لها، وردَّ لها كرامتَها، وفتحَ عمُّوريّةَ فتحاً عظيماً.

وفي زماننا هذا تتابعُ صيحاتُ الثكالى، ونداءاتُ اليتامى من المسلمين، الذين أثقلتهم المحنُ والفتنُ على أيدي المشركين، بالعشرات يوميّاً ولا

مجيبُ، ويبكي اليتامى والمستضعفون من المسلمين في كلِّ مكانٍ ولا نصير، ولكن لهم الله جلّ شأنُه الذي نصرَ عباده في مؤته وغيرها من الغزوات.

في كلِّ يومٍ يتجمّعُ أعداءُ الأمّة عليهم في بلادٍ منكوبة، ووطنٍ سليبٍ من أرضِ الإسلامِ، بهدفِ إبادتِهم والقضاءِ عليهم.

يقولُ أحدُ زُعماءِ الأعداء: (نحنُ لا نخشى الاشتراكيّات ولا الثوريّات، نحنُ فقط نخشى الإسلامَ ! هذا المارد الذي نام طويلاً، وبدأ يتململُ من جديد). ويقولُ آخرُ: (إنَّ أخشى ما نخشاه أن يظهرَ في العالم العربيِّ محمدٌ جديدٌ).

يقولونَ ذلك بكلِّ صَلَفٍ ورُعُوْنَةٍ، وبكلِّ تبجُّحٍ وهمَجِيَّةٍ، والمسلمون مع الأسف الشديد غافلون، ينامون ملءَ جفونهم، ويضحكون ملءَ أفواهِهم، ويأكلون ملءَ بطونهم، دون أن تتحرَّكَ المشاعرُ لما يجري لإخوانهم في العقيدة في أنحاء المعمورة المنكوبة.

ومع كثرة المسلمين العدديّة إلاّ أنّهم كغُثاء السيل؛ القلوبُ متنافرةٌ، والأفكارُ متباعدةٌ، والنفوسُ متباغضةٌ، وإن قاتل بعضُهم فإنّما يقاتلون عصبيّةً لا يقاتلون حمِيَّةً لدينهم، وغضباً له، ولقد قالها عبدُ الله بن رواحة -رضي الله عنه-: (ما نُقاتلُ الناسَ بعددٍ ولا قوّةٍ ولا كثرةٍ، ما نُقاتلهم إلاّ بهذا الدين الذي أكرمَنا الله به).

عباد الله:

صلُّوا وسلِّموا على من أمركم الله تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهُّم صلِّ وسلِّم على عبدِكَ ورسولِكَ محمدٍ وعلى آله وصحبه.....

فضلُ العلمِ والعُلماءِ

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفُره ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ با لله من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالنا ، من يهده ا لله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ ا لله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى ا لله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ ا للهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ ا للهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ ا للهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ ا للهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ا للهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقـوا الله تبـاركَ وتعـالى حـقَّ التقـوى، وراقبـوه في السرِّ والنجـوى، واعلموا أنّكم ملاقوه وإليه الرُّجعى، حاسـبوا أنفسَكم، وزنـوا أعمـالَكم، وتزّينوا للعرضِ الأكبرِ على اللهِ، ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَـةٌ**﴾ [الحاقة:١٨].

عباد الله:

يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُـلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِـي الدِّيـنِ وَلِيُنـذِرُواْ قَوْمَهُـمْ إِذَا رَجَعُـوَاْ إِلَيْهِـمْ لَعَلَّهُـمْ يَحْذَرُونَ**﴾ [التوبة:١٢٢].

إخوةَ الإسلام:

لقد رفعَ اللهُ تعالى شأنَ العلمِ وأهلِه، وبيّـنَ مكـانتَهم، ورفـعَ مـنزلتَهم، فقال سـبحانه وتعـالى: ﴿**يَرْفَـعِ اللهُ الَّذِيـنَ آمَنُـواْ مِنكُـمْ وَالَّذِيـنَ أُوتُـواْ الْعِلْـمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [المجادلة:١١].

ولم يأمُرِ اللهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ بالاستزادةِ من شيءٍ إلاّ من العلمِ، فقـال لـه سبحانه وتعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً**﴾ [طه:١١٤] ، وما ذاك إلاّ لما للعلـمِ من أثرٍ في حياةِ البشرِ، فأهلُ العلمِ هم الأحياءُ، وسائرُ الناس أمواتٌ.

العلمُ يجلو العمى عن قلبِ صاحبه ... كمـا يُجلّي سوادَ الظُلمةِ القمرُ

فلولا العلمُ ما سعدت نفوسٌ ... ولا عُرِفَ الحلالُ ولا الحرامُ

فبالعلم النجاةُ من المخـازي ... وبالجهـلِ المذّلـةُ والرَّغـامُ

ولقد منعَ الله سبحانه المساواة بين العالِمِ والجاهلِ؛ لما يختصُّ به العالِمُ من فضيلة العلمِ ونورِ المعرفة، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو الأَلْبَابِ ﴾ [الزُّمر:٩].

فالعلمُ شرفٌ لا قدرَ له، ولا يجهلُ قدرَ العلمِ وفضلَه إلاّ الجاهلون. قال عبدُ الملك بن مروان لبنيه: (يا بَنِيَّ ! تعلّموا العلمَ؛ فإنْ كنتم سادةً فُقْتُم، وإنْ كُنْتُمْ وَسَطَاً سُدْتُم، وإنْ كُنْتُمْ سُوَقَةً عِشْتُم).

فمن لم يَذُقْ مُرَّ التعلُّمِ ساعةً　　　تجرَّع ذُلَّ الجهلِ طُولَ حياتِه

ومن فاتَه التعليمُ حالَ شبابِهِ　　　فكبِّر عليه أربعاً لوفاتِه

عباد الله:

إنَّ طلبَ العلمِ خيرُ ما ضُيِّعت فيه الأعمارُ، وأُنفقت فيه الساعاتُ، فالناسُ إمّا عالِمٌ أو مُتعلِّمٌ، أو هَمَجٌ رَعَاعٌ ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَـؤُلاَءِ وَمَن يُضْلِلِ الله فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾ [النساء:١٤٣].

ولقد جاءت نصوصُ الكتاب والسُّنّةِ منوّهةً بفضل العلم وأهله، والحثّ على تعلُّمِه وكسبه، فقد شرّف الله تعالى هذه الأمّة؛ حيثُ جعلَها أمّةَ العلمِ والعملِ معاً، تمييزاً لها عن أُمَمِ الظُلمِ والجهلِ. وجاءت الصيحةُ الأولى المدّويةُ التي أطلَقَها الإسلامُ في أنحاء المعمورة لِتُنوّهَ بقيمة العلم والعلماء، وتسمو بقدره، وتجعلَ أوَّلَ لَبِنَةٍ في بناءِ الأفرادِ والشعوبِ، وكِيَانِ الأُمَمِ والمجتمعات القراءةَ والكتابةَ.

عن أبي الدَّرْدَاءِ –رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» .[رواه أحمدُ وأبو داودَ، والترمذيُّ، وأصله في الصحيحين]

عباد الله:

بالعلم تُبنى الأمجادُ، وتُشيّدُ الحضاراتُ، وتسودُ الشعوبُ، وتُبنى الممالكُ، بل لا يستطيعُ المسلمُ أن يُحقّقَ العبوديّةَ الخالصةَ لله تعالى على وفْقِ شرعِهِ، فضلاً عن أن يبني نفسَه كما أرادَ اللهُ سبحانه، أو يُقدِّمَ لمجتمعِه خيراً، أو لأمتِهِ عزّاً ومجداً ونصراً إلاّ بالعلمِ.

وما فشى الجهلُ في أمّةٍ من الأمَمِ إلاّ قوّضَ أركانَها، وصدَّعَ بُنْيَانَها، وأوقعَها في الرَّذائلِ والمتاهاتِ المُهْلكةِ.

وإنَّ كبيرَ القومِ لا علمَ عندَه   صغيرٌ إذا التّفت عليه المحافلُ

ومن سلكَ طريقاً يظنُّه الطريقَ الموصلَ إلى الله تعالى بدون علمٍ فقد سلكَ عسيراً، ورامَ مستحيلاً، فلا طريقَ إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، والوصول إلى رضوانِه إلاّ بالعلمِ النافعِ الذي بعثَ اللهُ به رسلَه، وأنزلَ به

كُتُبَه، فهو الدليلُ عليه، وبه يُهتدى في ظُلُمـات الجهـلِ، وشُبُهاتِ الفسـادِ والشكوكِ.

والعلمُ الشرعيُّ: وهـو العلـمُ بكتـاب ا لله وسنَّةِ نبيِّه ﷺ هـو القـاعدةُ الكبرى الـتي تُبنى عليهـا سـائرُ العلـومِ، وحملـةُ العلـمِ الشـرعيِّ هـم ورثـةُ الأنبياء، والأُمَناءُ على ميراثِ النبوَّةِ، ومتى ما جمعوا بينَ العقيدةِ الصحيحةِ والعلمِ الشرعيِّ المتوَّجِ بالأدلَّةِ الشرعيّةِ مع الإخلاصِ للهِ سبحانه والتـأدُبِ بآدابِ العلمِ وأهلِهِ فهم الأئمةُ الثقاتُ، والأعـلامُ الهُـداةُ، مثلُهـم في الأرضِ كمَثَلِ النجومِ يُهتدى بها، قال ﷺ : « إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَـاءِ فِـي الأَرْضِ كَمَثَـلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ؛ يُهْتَدَى بِهَا فِي ظُلُمَـاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْـرِ، فَـإِذَا انْطَمَسَـتِ النُّجُومُ أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ » .[رواه أحمدُ]

قال الحافظُ بن رجبٍ -عليه رحمةُ ا للهِ-: (وهذا مَثَلٌ في غاية المطابقة؛ لأنَّ طريـقَ التوحيـدِ والعلـمِ بـا للهِ وأحكامـهِ وثوابـهِ وعقابـهِ لا يُـدرَكُ إلاّ بالدليل، وقد بيّن ا لله ذلك كلَّه في كتابه، وعلى لسانِ رسولِه، فالعلماءُ بما أنزلَ ا للهُ على رسـولِه هـم الأدِّلاءُ الذيـن يُهتـدى بهـم في ظُلماتِ الجهـلِ والشُّبَهِ والضَّلالِ، فإذا فُقِدوا ضلَّ السالكُ).

العلماءُ با للهِ تعالى وبشرعِهِ هم أهلُ خشيةِ ا للهِ، وشهداءُ ا للهِ في أرضه، وخلفاءُ الرسول في أمّته، فمن كان بـا للهِ أعـرفُ كـان منـه أخـوفَ؛ لأنَّـه كلّما كانت المعرفةُ للعظيم الكريم، الموصوف بصفات الكمال، والمنعوتِ بالأسماءِ الحُسنى، كلّما كانت المعرفةُ به أتمَّ، والعلمُ به أكملَ كانت الخشيةُ له أعظمَ، وأكثرَ.

قال ابنُ عباسٍ -رضي ا لله عنهما-: (العالِمُ بالرحمن من عباده: مَن لم يُشركْ به شيئاً، وأحلَّ الحلالَ، وحرّمَ الحرامَ، وحفِظَ وصيّه ا لله، وأيقَنَ أنّه ملاقيه، ومُحاسبَه بعمله).

فالخشيةُ: هي التي تحولُ بينَ العبدِ وبينَ معصيةِ ا لله، وتدعوه إلى طاعتِه والسعي في مرضاته. قال الحسنُ البصريُّ -رحمه ا لله-: (العالِمُ؛ من خشي الرحمنَ بالغيبِ، ورَغِبَ فيما رَغِبَ ا للهُ فيه، وزَهِدَ فيما سَخِطَ ا للهُ فيه، ثمَّ تلا قولَ ا لله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى ا للهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ ا للهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾ [فاطر:٢٨].

وهذا هو العلمُ الحقيقيُّ الذي ينفعُ صاحبَه؛ فإنَّ العلمَ ليس عن كثرةِ المعرفةِ والحفظِ، ولكنَّ العلمَ عن كثرةِ الخشيةِ، فهو نورٌ يجعلُه ا للهُ في القلب، ولقد أحسَنَ من قال:

لا تحسَبَنَّ العلمَ ينفعُ وحدَه   ما لم يُتوَّجْ ربُّه بِخَلاَقِ

فالعالِمُ بغير ورعٍ ولا طاعةٍ كالسراجِ يُضيءُ البيتَ بنوره، ويُحرقُ نفسَه. وماذا يُفيدُ العلمُ جُمّاعَ القولِ المُصرِّين على معاصيهم وأخطائهم، الذين يستمعون القولَ ولا يتّبعونَ أحسَنَه.

روى عبدُ ا لله بنُ وهبٍ عن سُفيان: أنَّ الخَضِرَ قال لموسى -عليهما السلامُ-: يا ابنَ عِمْرانَ! تعلَّمَ العلمَ لتعملَ به، ولا تتعلّمه لتُحدِّثَ به، فيكونُ عليكَ بورُهُ، ولغيرِكَ نورُه.

وقال أبو الدَّرْدَاءِ -رضي ا لله عنه-: (أخوفُ ما أخافُ إذا وقفتُ بين يدي اللهِ أن يقولَ: قد عَلِمْتَ فماذا عَمِلْتَ).

وفي منثور الحِكَمِ: لم ينتفعْ بعلمه من تركَ العملَ به. فثمرةُ العلمِ أن يُعملَ به؛ لأنَّ العلمَ يهتفُ بالعملِ فإن أجابَه وإلاّ ارتحلَ. وخيرُ العلمِ ما نفعَ، وخيرُ القولِ ما رَدَعَ، ومن تمامِ العلمِ استعمالُه، ومن تمامِ العملِ استقلالُه، فمن استعملَ علمَه لم يخلُ من رشادٍ، ومن استقلَّ عَمَلَه لم يُقصِّر عن مُرادٍ.

وإنَّ القلبَ ليعتصرُه الألمُ اعتصاراً حينما يرى بعضَ من طَرَقوا أبوابَ العلمِ الشرعيِّ، فلم يرفعوا بذلك رأساً، تعلّموا من العلومِ والأحكامِ الكثيرَ، ولكنَّ الأثرَ مفقودٌ.

وإنَّ المرءَ ليتساءلُ ! أينَ العلمُ الشرعيُّ ممّن أضاعوا الصلواتِ، واتَّبعوا الشهواتِ، وأينَ العلمُ الشرعيُّ ممّن أسبلوا الثيابَ، وحلقوا اللّحى، وتعاملوا بالرّبا، وهجروا الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ، ووقعوا في المعاصي، مع أنّهم يعلمونَ يقيناً أنّ هذه كلَّها مُحرّمةٌ ممنوعةٌ على المسلم. فا للهُ المستعانُ.

وقد أُثِرَ عن جماعةٍ من السلفِ أنّهم كانوا لا يتجاوزنَ عشرَ آياتٍ من كتاب ا للهِ حتّى يتعلّموا ما فيها من العلم ويعملوا به. قال بعضُ السلف: (كُنّا نستعينُ على حفظِ العلمِ بالعملِ به). فتركُ العملِ بالعلمِ من أقوى الأسبابِ في ذهابه ونسيانِه.

قال عليٌّ -رضي ا للهُ عنه-: (يا حَمَلَة العلمِ اعمَلوا به، فإنَّ العالِمَ من عَمِلَ بما عَلِمَ، فوافقَ عملُهُ عِلمَه، وسيكونُ أقوامٌ يتعلّمون العلمَ لا يُجاوزُ تراقِيَهُم، يُخالفُ عملُهم عِلمَهم، وتُخالفُ سريرتُهم علانيتَهم، يجلسونَ حِلَقاً، فيُباهي بعضُهم بعضاً، حتّى إنَّ الرجلَ ليغضبُ على جليسِه إذا

جلسَ إلى غيره وتركَه، أولئكَ لا تصعدُ أعمالُهم في مجالسِهم تلكَ إلى الله عزّ وجلّ).

ولقد ضربَ المصطفى ﷺ مثلاً لطُلّاب العلم، وأحوالِهم في الاستفادة ممّا تعلّموا، فقال: « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ؛ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» .[متفقٌ عليه]

ثمَّ اعلموا رحمَكُم الله: أنَّ من آفاتِ العلمِ، وأسبابِ محقِ البركةِ عنه أن تُطلَبَ به الرئاسةُ على الخلقِ، والتعاظُمُ عليهم، وأن يُريدَ طالبُه بعلمِهِ أن ينقادَ له الناسُ، ويخضعوا له، وأن يصرفوا إليه وجوهَهم؛ فيُظهرُ للناس زيادةَ علمه على العلماء، لِيَعْلُوَ به عليهم، ونحو ذلك، فهذا موعدُه النارُ – عياذاً بالله– فقد قال المصطفى ﷺ : « مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ» .
[رواه الترمذيُّ، وابنُ ماجه] وفي روايةٍ لابن ماجه: « لاَ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلاَ لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلاَ تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ » .

قال الحسنُ البصريُّ -رحمه الله-: (لا يكُنْ حظُّ أحدِكم من علمه أن يقولَ له الناسُ: عَالم).

كما أنَّ عليه أن يُخلِصَ في طلبِ العلمِ للهِ تعالى، وأن يصبرَ فيه وعليه ويُصابرَ، ويحذرَ من الاستعجال في الحصادِ؛ فإنَّ البدايةَ مزلّةٌ، ومن تصدّر قبل حينه، فضحه الله في حينه.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا ا للهَ تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبـوه، ولا تعصـوه، فـإنّ التقـوى هي أساسُ العلم، ومفتاحُ الفهـم،﴿ وَاتَّقُـواْ ا للهَ وَيُعَلِّمُكُـمُ ا للهُ ۗ وَا للهُ بِكُـلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٢].

عباد ا لله:

يستعدُّ الأبناءُ في هذه الأيامِ لاستقبالِ عامٍ دراسيٍّ جديدٍ، يقضونَـه بـين أَرْوِقَةِ المدارسِ والمعاهدِ والجامعاتِ؛ لِيَنْهَلوا من مناهلِ العلمِ والمعرفـةِ، علـى حسب مسـتوياتهم واتّجاهـاتهم، ويشَّـجعُهم على ذلـك ويدفعُهـم أوليـاءُ أمورِهم والقائمون على تدريسـهم؛ مـن مربيّـن ومدرسـين؛ والذيـن يقـعُ عليهـم العبءُ الأكبرُ في تربية الناشـئة التربيـةَ الإسـلاميةَ الهادفـةَ الـتي تعـودُ عليهم بالنفع في دنياهم وآخرتهم، ولا يتـمُّ ذلـك إلاّ بالتعـاون الجـادُّ بـين البيتِ والمدرسةِ، وقيامُ كلٍّ منهما بما له وما عليه تجاه أبناء المسلمين.

فَلْيَعْلَمْ كلُّ من اشتغلَ بالتدريس: أنَّ أَقَلَّ ما يُنتظَرُ من المعلـمِ أن يكـونَ مظهرُه إسلاميّاً، وأن يتّقِ ا للهَ سبحانه وتعالى في قولِه وفعلِه وسـلوكِه، وأن يكونَ ذلك كلُّه متّفقاً مع شرعِ ا للهِ، في التعاملِ مع الطـلابِ، والتخـاطُبِ معَهم، وأن يَرَوا فيه القُدْوَةَ الصالحةَ التي تُحتذى.

وما اختلّت موازينُ الأمّـة، وفسـدَ أبناؤهـا -يـا عبـاد ا لله- إلاّ حينمـا ضاعَ الأبناءُ بين أبٍ مُفرِّطٍ، لا يَعلـمُ عـن حـالِ أبنائـهِ، ولا في أيِّ مرحلـة يدرسون، ولا مع من يذهبون ويُجالسون، ولا عن مستواهـم التحصيليِّ في

الدراسة، وبين مُدرِّسٍ خانَ الأمانةَ، وتهاونَ في واجبهِ، ولم يُدرك مسئوليتَه.

وهذا الحكمُ ليسَ عامّاً؛ فإنَّ بينَ صفوفِ المدرِّسينَ أتقياءُ بَرَرةٌ، ومُرّبونَ أوفياءُ، وهم كثيرٌ بحمدِ اللهِ تعالى، وإنَّ المنصفَ ليُدرُكُ دورَ ذلك الجنديِّ المجهولِ-المُعَلِّمِ المُخْلِصِ- في تعليمِ الأجيالِ، وتربيتِهم، وتقويمِ سلوكِهم، وإنَّ واجبَ الأمّة نحوه: أن تشكرَ جهودَه، وتؤدي إليه بعضاً من حقّه، وأن تعرفَ له قدرَه واحترامَه وفضلَه.

إنَّ المُعلِّمَ والطبيبَ كليهما ... لا ينصحانِ إذا هُما لم يُكرَما
فاصبرْ لدائكِ إن أهنتَ طبيبَه ... واصبرْ لجهلِكَ إن جَفَوْتَ مُعلِّماً

عباد الله:

تعلَّموا رحمكم اللهُ العلمَ النافعَ، وعلّموه، فمن يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفقِّههُ في الدين؛ فإنّ العلمَ منه ما هو واجبٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، لا يقدرُ أحدٌ على تركِه؛ إذْ تركُه مُخلٌّ بحياتِه ودينِه؛ كأحكامِ العقيدةِ، والطهارةِ، والصلواتِ، والزكاةِ، والصومِ، والحجِّ، فالواجبُ على المسلم أن يسألَ عن ذلك ، ويتعلَّمَ أحكامَ دينِهِ؛ فإنّما شِفَاءُ العِيِّ السؤالُ.

وكم هو شديدُ الوقع على النفوس -يا عباد الله-: أن يُرى في الناس من شابَ رأسُه، ورقَّ عظمُه، وهو يتعبّدُ اللهَ على غيرِ بصيرةٍ، ولقد يُصلي بعضُ الناس أربعين سنةً، أو عشرينَ سنةً، أو أقلَّ أو أكثر وهو لم يُصلِّ في

الحقيقة؛ لأنَّ صلاتَه ناقصةُ الأركانِ، أو مُختلَّةُ الشروطِ والواجباتِ. ومع ذلك لا يُحاولُ تعلُّمَ أحكامِها، بينما يُرى حريصاً على دنياه. ويكفي هذا دليلاً على أنّ الله سبحانه وتعالى لم يُرِدْ به خيراً، ولو تَعلَّمَ العلومَ الدنيويّةَ، وتبحَّرَ فيها؛ لأنَّها علومٌ معاشيّةٌ فقط، لا تستحقُّ مدحاً ولا ذمّاً.

وقد وصف الله تعالى أصحابَها بقوله تعالى: ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾ [الروم:٧]. ﴿ **بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ** ﴾ [النمل:٦٦].

قال ابنُ كثيرٍ –رحمه الله–: (فهؤلاءِ ليسَ لهم عِلمٌ إلاّ بالدنيا، وأكسابِها، وشئونِها، وما فيها، فهم حُذّاقٌ أذكياءُ في تحصيلِها، ووجوه مكاسبِها، وهم غافلون عن أمور الدين، وما ينفعُهم في الدارِ الآخرةِ، كأنَّ أحدَهم مُغفَّلٌ لا ذِهْنَ له، ولا فِكْرَة).

وقال الحسنُ البصريُّ: (والله ليبلُغُ أحدُهم بدنياه أنّه يُقلِّبُ الدِّرهَم على ظُفُرِه، فيُخبِرُكَ بوزنه، وما يُحسنُ أن يُصلّي).

وقال ابنُ عباس –رضي الله عنهما– في الآية: (والمرادُ بذلك الكُفّارُ؛ يعرفونَ عِمْرانَ الدُّنيا، وهم في الدِّين جُهّالٌ).

ثمَّ اعلموا –رحمكم الله–: أنَّ بقاءَ العلم الشرعيِّ مرهونٌ ببقاء حملته، فإذا ذهبوا وقع الناسُ في الضلالِ؛ حيثُ يكثرُ الجهلُ بعلومِ الشريعةِ، وهذا

من علاماتِ الساعةِ، فحقيقٌ بكلِّ مسلمٍ أن يحرصَ على طلب العلم؛ تعلُّماً، وتعليماً، وتطبيقاً.

قال ﷺ: « إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَثْبُتَ الْجَهْلُ، وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا » .[متفقٌ عليه]

وارتفاعُ العلمِ إنّما يكونُ بموتِ العلماءِ؛ حيثُ يموتُ علمُهم معَهم؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: « إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا » .[متفقٌ عليه]

والمرادُ بقبض العلمِ: هو موتُ العلماءِ، وذهابُ الفُضَلاءِ والفقهاءِ؛ فقد جاءَ في تفسير قولِه تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [الرعد:٤١] ؛ عن عطاءٍ -رحمه الله- قال: (هو موتُ العُلَماءِ، وذهابُ الفُضَلاءِ، وفقهاءِ الأرضِ وخيارِ أهلِها).

وقال ابنُ عباسٍ -رضي الله عنه-: (لا يزالُ عالِمٌ يموتُ، وأثرٌ للحقِّ يندرسُ، حتّى يكثُرَ أهلُ الجهلِ، ويُرفعَ العلمُ).

فاتّقوا اللهَ أيُّها المسلمون، واحرصوا على تعلُّم العلم الشرعيِّ، وتعلّموا له السكينةَ والوقارَ، وهذّبوا به أخلاقَكم، وقوّموا به أفعالَكم وأقوالَكم. ثُمَّ

صلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم اللهُ تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عـزَّ من قائلٍ: ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِـدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَاً)). [رواه مسلم]

❧ ❧ ❧

صور من المعاملات المحرّمة في البيوع

●الخطبة الأولى:

الحمدُ لله كما ينبغي لجلالِ وجهِهِ وعظيمِ سلطانه، والشكرُ له على جزيل فضلهِ وكريمِ إحسانِه، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له، اعترافاً بحقٍّ وبجوده وامتنانِه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الداعي إلى جنّتِه ورضوانِه، والمُبَلِّغُ للناسِ دينَه وقرآنَه، صلّى الله وسلّم وباركَ عليه وعلى آله وصحبِه وإخوانه، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يوم القيامه.

أمّا بعد:

فاتّقوا الله تعالى أيُّها المسلمون، اتّقوا الله حقَّ تُقاتِه، اتّقوا الله وابتغوا إليه الوسيلةَ، واعتصموا بحبلهِ، واسعوا إلى مرضاته، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٢].

أيُّها الناس:

شرائعُ الإسلامِ نوعان: عباداتٌ، ومعـاملاتٌ؛ فالعبـاداتُ هـي كـلُّ مـا يكونُ بـينَ العبـدِ وربِّـه مـن صـلاةٍ وصـومٍ وحـجٍّ، وزكـاةٍ ونـذرٍ، وطاعـةٍ لأوامرِهِ، واجتنابٍ لنواهيه. والمعاملاتُ: هي ما يكونُ بينَ العبدِ وغيرِه، ممّـا يتعاملُ به الناسُ من معاملاتٍ، وأهمُّها ما يتعاملُ به الناسُ في مجال الأمـوالِ بالبيعِ والشراءِ، والإجارةِ ونحوها.

والمسلمُ مطالبٌ بأن تكونَ عبادتُه ومعاملاتُه صحيحةً على المنهج الذي أمرَ الله به، وبيَّنَه رسولُه الكريمُ ﷺ . ولّما كان كثيرٌ من الناس يهتـمُّ بـأمر العبادات ويسألُ عنها، ويحـرصُ على معرفـةِ أركانهـا وشـروطِها وسـنَنِها ومستحباتِها، وهـذا هـو المطلـوبُ مـن المسـلم أن يعبـدَ الله سبحانه علـى بصيرةٍ، وأن يتقرَّبَ إليه بما شرعَه وعلى وفقِ ما أمرَ بـه، لكـنَّ الكثـيرَ مـن الناس لا يهتمُّ بجانبِ المعاملاتِ مع الناس؛ بيعاً وشراءً وإجارةً، مع أنَّ البليّةَ بها أعظمُ، والسـلامةَ مـن الخطـأ فيهـا أصعـبُ، وهـذا سـببُه جهـلُ النـاسِ بأحكامِها، وظنُّهم أنَّ المحاسبةَ عليها يسيرةً.

أيُّها المسلمون:

إنَّ التعاملَ مع الناس؛ بيعاً وشراءً ونحو ذلك أمرٌ خطـيرٌ وعظيـمٌ، ولقـد جاءَ الوعيدُ الشديدُ على من غشَّ فيها أو خدعَ أو أخذَ مالَ أخيـه المسـلمِ بغيرِ حقٍّ.

عن ابي أُمَامَـةَ -رضـي ا لله عنـه- قـال: قـال رسـولُ ا للهِ ﷺ : «مَـنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّـةَ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَـيْئًا يَسِـيرًا يَـا رَسُولَ اللَّـهِ ؟ قَـالَ: « وَإِنْ كَـانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ ». [رواه مسلم]

وا للهُ تعالى حينَ يجمعُ العبادَ يومَ القيامة يقتصُّ بحكمِه وعدلـهِ لبعضِهـم من بعضٍ، فلا يدعُ لصاحبِ حقٍّ حقّاً، ولا لمظلـومٍ مظلمـةً؛ حـين يقضـي سبحانه بينَ الخلائقِ، ويؤتي كلَّ إنسانٍ كتاباً لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها.

ومن عِظَمِ البليّةِ، وخطرِ المصيبةِ أنَّ فئامـاً مـن النـاس لا يُلقـونَ لجـانب المعاملة مع الآخرين بالاً، فرُبّما ترى الرجلَ كثيرَ الصـلاةِ والصـومِ والزهـدِ والعبادةِ، لكنَّه إذا باعَ أو اشترى غشَّ الآخرينَ وخدعَهـم وأكـلَ أموالَهـم بالباطل، بل لرُبَّما احتالَ بأنواعِ الحِيَلِ على ذلك.

لّمـا كـان الأمـرُ كذلـك -أيُّهـا الإخـوةُ- أحببـتُ أن أنبِّـهَ علـى بعـضِ المعاملات التجاريّة المحرّمةِ؛ حتّى لا يقـعَ فيهـا المسـلمُ الحريـصُ علـى دينـه ونجاةِ نفسهِ من مظالمِ العبادِ، وليعلَمَ العبادُ شرعَ ا للهِ تعـالى، فتقـومَ عليهـم الحُجّةُ به، فيعلمُه من جهلَه، فقد انتشرت المعـاملاتُ المحرَّمـةُ بـين التُّجـار، وفشت في الأسواق، ووقعَ الناسُ فيها، ما بينَ عالمٍ بحرمتِهـا مُتهـاونٍ فيهـا، وجاهلٍ أنّها مُحرّمةٌ، وهي أكثرُ من أن تُحصى، وأعظمُ من أن تُحيطَ بهـا خُطبةُ جُمُعَةٍ، ولكنَّ المسـلمَ الحريـصَ علـى صيانـةِ مالـه مـن الحـرامِ يتّعـظُ بالقليلِ، ويسألُ عن المشتَبه.

وأولُ هذه المحرَّماتِ التي عمّت بها أسواقَنا، وانتشرت في معاملاتنا: تطفيفُ الموازين، والتلاعُبُ بالمكائيل، وهذا أمرٌ محرَّمٌ يجبُ البعدُ عنه والحذرُ منه، لأنّه من صفاتِ اليهودِ والنصارى والأممِ الكافرةِ ، قال الله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُمْ مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المطففين: ١-٦].

وأمرَ الله تعالى بالوفاءِ بالكيلِ والوزنِ؛ لما فيه من تحقيقِ العدلِ، وصيانةِ الحقوقِ، ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [الإسراء:٣٥]. ﴿ وَأَقِيمُواْ الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُواْ الْمِيزَانَ ﴾ [الرحمن:٩].

والتشديدُ في الميزانِ أمرُه عظيمٌ؛ لما يؤدي إليه ذلك من الغشِّ والخديعةِ بين الناس، وأكلِ المالِ بغير حقّه، فكثيرٌ من الباعةِ إذا اكتالَ لنفسِه وفّاها حقّها، وإذا كال لغيره بخسَ الميزانَ والمكيالَ، وأنقصَه عن حدّه، بل إنَّ بعضَ ضِعافِ الإيمان ليُغيِّروا في وزنِ العداد أو الميزان؛ ليُظهرَ أنَّ الوزنَ على حقيقتهِ، وهو على غيرها، كلُّ ذلك طمعاً في الحرام أعاذنا الله جميعاً منه.

وأكثرُ ما يقعُ ذلك عند محلاّتِ الذهبِ والمجوهراتِ، ففيهم من يبيعُ بأكثرَ ممّا يشتري، ويبيعُ الذهبَ المخلوطَ بالخرَز وغيره بسعرِ الذهبِ الخالصِ، ولا يشتري إلاّ ما كان خالصاً.

وكذا الجزَّارين الذين يبيعُ بعضُهم اللحمَ، فيزنُ معَه من العظامِ والشحمِ أضعافَ ما يزنُ من اللحم. وغيرُهم كثيرٌ وكثير.

وجزاءُ المطففين في المكيال والميزانِ عظيمٌ عند الله؛ فقد أهلكَ الله تعالى أمَّةً من الأمَمِ ودمَّرَها وعذَّبها تعذيباً على ما كانوا يبخسونَ الناسَ في الميزان، ويُنقصونَ المكيال، وهم أهلُ مدينَ قومُ شُعيبٍ، وما ينتظرُهم في الآخرةِ أعظمُ، وما هي من الظالمين ببعيد.

ومن المعاملاتِ المحرَّمةِ في البيعِ والشراءِ: الغشُ والخديعةُ فيه، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ الله ﷺ : مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟ ». قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: « أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي ». [رواه مسلم]

فهذا الحديثُ العظيمُ دليلٌ واضحٌ على تحريمِ الغشِّ في البيعِ، وأنَّ من باعَ سلعةً وبها عيبٌ وهو يعلمُه، ثمَّ لم يُبيّنهُ للمشتري فقد بَرِئَتْ منه ذِمَّةُ اللهِ ، واستحقَّ الخروجَ عن هدي رسولِه الأمين ﷺ ، والعقابَ الأليمَ من اللهِ تعالى يوم الدين.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميّة -رحمه الله-: (والغشُّ يدخلُ في البيوعِ بكِتْمَانِ العيوبِ، وتدليسِ السِلَعِ؛ مثلُ أن يكونَ ظاهرُ المبيعِ خيراً من باطنِه كالذي مرَّ عليه النبيُّ ﷺ ، وأنكرَ عليه، ويدخلُ في الصناعات؛ مثلُ الذين يصنعونَ المطعومات من الخبزِ، والطّبخِ، والشِواءِ، وغير ذلك، أو يصنعونَ

الملبوساتِ؛ كالنسّاجينَ والخيّاطينَ، ونحوهم، أو يصنعونَ غيرَ ذلك من الصناعات، فيجبُ نهيُهم عن الغشِّ والخيانة والكِتْمانِ).

ويكثرُ مثلُ هذا الذي وقع للنبيِّ ﷺ في هذه الأيام؛ فما أكثرُ من يُدلِّسُ في البيع؛ فيُظهرُ منه الطيِّبَ، ويُخفى باطنَه الفاسدَ عن الناس، لا سيَّما في محلاّت الفواكهِ والخضرواتِ والتمورِ، فالله حسيبُهم.

ومِمّا يجبُ على المسلمين من بابِ النصيحةِ لإخوانِهم، وأبراءِ الذِمَّةِ أن إذا علمَ أحدُهم عيباً في السلعةِ ورأى إنساناً يريدُ شراءَها وهو لا يعلمُ بذلكِ العيبِ الذي فيها أن يُبيِّنَه له، ويُنبّهَهُ عليه، فكثيرٌ من الناس لا يهتدون لمعرفةِ عيوبِ السلعة فيمرُّ الشخصُ فيرى رجلاً غِرًّا يريدُ شراءَها والعيبُ فيها، فيسكتُ عن نُصْحِهِ حتّى يغشَّه البائعُ، ويأخذَ مالَه بالباطل، وما علمَ ذلك الساكتُ أنَّه شريكٌ للبائع في الإثمِ والحُرْمَةِ؛ فإنَّ المؤمنين نصَحَةٌ والمنافقين غَشَشَةٌ، والدينُ النصيحةُ.

عباد الله:

ومِمّا عمَّت به البلوى في هذه الأيام: كثرةُ الحَلِف، فتجدُ البائعَ يُكثرُ من الحَلِف، وقد يكونُ في بعضهِ كاذباً؛ لكي يُنفِّقَ سلعتَه. وكثيرٌ منهم لا يقتصرُ على ذلك، بل يحلفُ بغيرِ اللهِ تعالى كالشَّرَف والجاه والعِرْضِ ونحو ذلك، فيدخلُ بهذا في قول النبيِّ ﷺ : « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ » .[رواه الترمذيُّ، وأبو داود، وأحمدُ]

وكثيراً ما تكونُ تلكَ الأيمانُ كاذبةً غموساً، تغمسُ صاحبَها في الإثمِ في نارِ جهنّمَ عياذاً با لله. عن أبي ذرٍّ -رضي ا لله عنه- قال: قال رسولُ ا لله ﷺ : « ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ». قَالَ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاَثَ مِرَارٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: « الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ ». [رواه مسلمٌ وغيرُه]

وعن أبي هريرة -رضي ا لله عنه- قال: قال رسولُ ا للهِ ﷺ : «الْحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ ». [متفقٌ عليه] ؛ والمعنى: أنَّ البائعَ إذا حلَفَ على سلعتِه أنَّه أُعطي فيها كذا وكذا، أو أنّه اشتراها بكذا وكذا، أو أنَّ فيها كيتَ وكيتَ من الصفات، فظنّه المشتري صادقاً فيما حلفَ عليه، فأخذَها بزيادةٍ على قيمتِها، والبائعُ كاذبٌ، إنّما حلَفَ طمعاً في الزيادة، فيكونُ بذلك قد عصى ا للهَ وخالَفَ أمرَه، فيُعاقبَه ا للهُ تعالى بمحقِ البركةِ، فإذا ذهبت بركةُ كسبِهِ دخلَ عليه من النقصِ أعظمُ من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حَلِفِه، ورُبَّما ذهبَ ثمنُ تلكَ السلعةِ رأساً، وما عند ا للهِ لا يُنالُ إلاَّ بطاعته، وإن تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتُها اضمحلالٌ وذهابٌ وعقاب.

عن أبي هريرة -رضي ا لله عنه- قال: سمعتُ رسولَ ا لله ﷺ يقول: «ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ؛ رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلُ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ، فَمَنَعَهُ مِنِ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا، لاَ يُبَايِعُهُ إِلاَّ لِدُنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ، وَرَجُلٌ

أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ لَقَدْ أَعْطَيْتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ رَجُلٌ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران:٧٧] ». [رواه البخاري]

وأعظمُ من ذلك خطرًا، وأشدُّ إثماً أن يحلفَ وهو كاذبٌ مُتعمّدٌ؛ فهذا من علامات النفاق، وقد أخبرَ المصطفى ﷺ أنَّ من تحرَّى الصدقَ والأمانةَ كان في زُمرةِ الأبرارِ من النبيّين والصدِّيقين والشهداءِ والصالحين وحَسُنَ أولئكَ رفيقاً، قال ﷺ: « التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ ». [رواه الترمذيُّ، وحسّنه، والدارميُّ]

أيُّها المسلمون:

ومن المُحرّمات التي نهى اللهُ تبارك وتعالى عنها: البيعُ على البيعِ، والشراءُ على الشراءِ، والسومُ على السومِ؛ لأنَّ ذلك كلَّه مدعاةٌ إلى التباغُضِ والتحاقُدِ بين المسلمين، عن ابن عمرَ -رضي الله عنهما- أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « لاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ». [متفقٌ عليه]

ومثالُ البيعِ على البيعِ: أن يقولَ لمن اشترى شيئاً ولم يَحُزْهُ إلى رحلهِ، أو كانَ ذلك في مُدّة الخيار التي بينه وبين البائع: افسخْ هذا البيعَ وأنا أبيعُكَ مثلَه بأرخصَ منه، أو أجودَ منه بثمنه، ونحو ذلك، فهذا حرامٌ بنصِّ الحديثِ السابق.

ومثالُ الشراءِ على الشراءِ: أن يقولَ للبيائع في مُدَّةِ الخيارِ: افسخْ هذا البيعَ، وأنا أشتريه منك بأكثرَ من هذا الثمن الذي بعتَه به.

وأمَّا السومُ على السومِ: فهو أن يكونَ مالكُ السلعة أو صاحبُها قد اتّفقَ مع الراغب فيها على البيع، ولم يعقدْهُ معَه، فيقولُ الرجلُ للبائع: أنا أشتري منك السلعَةَ بأغلى ممّا اشتراها به ذلك الشخص، وهذا حرامٌ بعدَ استقرار الثمن، وهو يكثرُ اليومَ فيما يُسمّى بالمزادِ العَلَنِيِّ، وهو منهيٌّ عنه، وذلك لما يؤدي إليه من فشوِّ العداوةِ بين المسلمين، وقطع أرزاق الذين لا يقدرون على الشراءِ بالغلاءِ، ووقوعِ الخصومةِ والحقدِ ممّا قد لا تُحمَدُ عُقباه، والإسلامُ حريصٌ على توثيقِ أواصرَ الإخاء والمحبّةِ بين المسلمين.

قال رسولُ الله ﷺ: « لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ ».[رواه مسلمٌ، وأهلُ السُّنَن]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

*** * ***

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله على إحسانه ، والشكرُ له على توفيقِه وامتنانِه ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له تعظيماً لشأنه ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله ، وأصحابه ، وإخوانه ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيراً .

أمّا بعد:

فاتّقوا الله عباد الله ، واعلموا رحمكم الله أنَّ من المعاملات التي حرَّمها الله تعالى ونهى عنها: البيعُ بعدَ النداء الثاني لصلاة الجُمُعة، وتَخلُّفُ الباعةِ والمشترين عن الصلاة؛ قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الجمعة:٩-١٠].

ومع أنَّ هذه الآيات لا يجهلُها أحدٌ من المسلمين إلاّ أنَّ الكثيرَ منهم لا يُدرِكُ معناها، ولا يعملُ بما فيها، ويجتبُ ما نهت عنه.

ويدخلُ في عمومِ هذا التحريمِ: الشراءُ، والسومُ، وسائرُ العقودِ الأخرى كالإجارة ونحوها في قولِ كثيرٍ من المحقّقين من أهلِ العلمِ؛ كشيخ الإسلامِ ابن تيميّة وغيره، وإنّما ذُكرَ البيعُ لأنّه الغالبُ، والأكثرُ. فتخلُّفُ

الباعـةِ عـن صـلاةِ الجمُعـةِ كثـيرٌ في هـذه الأيَّـام، لا سـيِّما الذيـن يـأتون ببضاعتِهم ليبيعوا على أبوابِ المساجد، فتجدُ الإمـامَ يخطـبُ علـى المنـبرِ، ويعظُ الناسَ، وهم في الخارج أو على باب المسجد يُنادون على بضـائعِهم، ويُدلِّلون وَيَنْعِقُونَ، وكأنَّهم ليسـوا مخاطبين بـالصلاة، وبذلـك جمعوا بـين مصيبتين:

الأولى: اتّخـاذُ المسـاجدِ مكانـاً للتكسُّـبِ، بـالبيعِ في فنائِهـا، وداخـلَ أحواشِها؛ وهذا محرَّمٌ ، بل لقد أمرَ النـبيُّ ﷺ -فيمـا صـحَّ عنـه- مـن رأى إنساناً يبيعُ في المسجد أن يقـولَ لـه: لا ربَّحَـكَ الله، لأنَّ المسـاجدَ لم تُـبنَ لهذا، إنَّما بُنيت للصلاة والعبادة.

والمصيبةُ الثانيةُ: وقوعُهم في البيعِ بعد النداءِ للصلاةِ، وهذا فعلٌ محرَّمٌ في هذا الوقت، دخلوا به تحتَ الوعيدِ الشديدِ في حقِّ من تَخلَّـفَ عـن صـلاة الجُمُعة. عن أبي هريرة-رضي الله عنه- أنّه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ: ((لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ)) .[رواه مسلم]

ومن البيوع المنهيِّ عنها التي كَثُرت في هذه الأيَّام: بيـعُ النّجَشِ؛ وهـو الزيادةُ في ثمن السلعة ممّن لا يريدُ شراءَها؛ ليقـعَ غـيرُه فيهـا، سُمّي بذلـك لأنَّ النـاجشَ يُثـيرُ الرَّغبـةَ في السـلعة، ويقـعُ ذلـك بمواطـأةِ البـائع أحيانـاً، فيشتركان في الإثم، وقد يقعُ ذلك بغـيرِ علمِـه، فيختـصُّ ذلـك بالنـاجشِ،

وقد يختصُّ به البائعُ وحده كمن يُخبرُ بأنّه اشترى سلعةً بأكثرَ ممّا اشتراها به ليُغرَّ غيرَه ممّن يُريدُ شراءَها.

قال ابنُ عُمرَ -رضي ا لله عنهما- إنَّ النبيَّ ﷺ «نَهَى عَنِ النَّجْشِ».

[رواه البخاري ومسلم]

قال ابنُ أبي أوفى -رضي ا لله عنه-: (الناجشُ آكلُ رباً خائنٌ).

وقال البخاريُّ -رحمه ا لله: (النجشُ؛ هو خداعٌ باطلٌ لايصحُّ).

عباد ا لله:

وما أكثرَ ما يقعُ النجشُ في معارضِ السياراتِ، أو أماكنِ الحراجِ؛ حينَ يتّفقُ بعضُ الناسِ مع صديقهِ أو صاحبِه ليرفعَ في ثمن سيّارتِه، وهو لا يُريدُ شراءَها حقيقةً، وإنّما ليرفعَ ثمنَها على المشترين، فيقعانِ في الحرام، ويبيعانِ دينَهما بِعَرَضٍ من الدنيا زائلٍ.

ومن البيوع المحرَّمة -كذلك-: بيعُ الغَرَرِ؛ وهو كلُّ بيعٍ احتوى على جهالةٍ، أو تضمَّنَ مُخاطرةً أو قِماراً، فقد نهى الشارعُ الحكيمُ عنه، ومنع منه، حفظاً لحقوق الناس، وصيانةً لأموالِهم. عن أبي هريرة -رضي ا لله عنه- قال: «نهى رسولُ ا لله ﷺ عَنْ بَيْعِ الْحَصَاةِ وَعَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ». [رواه مسلمٌ وغيرُه]

قال الإمامُ النوويُّ -رحمه ا لله-: (النهيُ عن بيع الغَرَرِ أصلٌ عظيمٌ من أصولِ البيوعِ، ويدخلُ فيه مسائلُ كثيرةٌ غيرُ مُنحصرةٍ؛ كبيع الآبِقِ (العبد

المملوك الشارد) ، والمعدومِ، والمجهولِ، ومالا يقدرُ على تسليمه، ومالا يتمُّ ملكُ البائعِ عليه، وكبيع السَّمَكِ في الماءِ، واللبنِ في الضَّرعِ، والحَمْلِ في بطنِ أمِّهِ، ونظائرُ ذلك، وكلُّ هذا بيعٌ باطلٌ لا يجوزُ؛ لأنَّه غَرَرٌ من غير حاجةٍ).

ومن صور الغَرَر في البيوع -عباد الله-: أن يذهبَ الإنسانُ إلى محلاّت بيع التقسيطِ، فيتّفقُ معَهم على شراءِ سيّارةٍ، أو أجهزَةٍ أو نحو ذلك، وهي ليست عندهم، ثمَّ يتعاقدونَ، ويدفعُ لهم عُرْبوناً، أو قِسْطاً من الثمنِ، ثمَّ يذهبُ صاحبُ المحلِّ ويشتري السلعَة من مكانٍ آخر، ويُحضرُها للمشتري.

وقد يقعُ أحياناً أن يذهبَ المشتري إلى بنكٍ من البنوك الرِّبويَّةِ فيتّفقُ معَه على الشراءِ، ثمَّ يذهبُ إلى أحدِ المعارضِ أو المحلاّتِ التجاريّة ويشتري سلعتَه، على أن يدفعَ البنكُ لهذا المحلِّ القيمةَ كاملةً، في حين يدفعُها المشتري للبنكِ على أقساطٍ شهريَّةٍ، فكلُّ هذا ونظائرُه من الغَرَرِ والرِّبا المحرَّمِ الذي لا يجوزُ لما روي حكيمُ بنُ حِزَامٍ -رضي الله عنه- قال: يَا رسولَ اللهِ يَأْتِينِي الرَّجُلُ يَسْأَلُنِي مِنَ الْبَيْعِ مَا لَيسَ عِنْدِي، أَبْتَاعُ لَهُ مِنَ السُّوقِ ثُمَّ أَبِيعُهُ ؟ قَالَ: « لاَ تَبِعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ ».[رواه الترمذيُّ، وأبو داود والنسائيُّ، وأحمدُ]

فاتّقوا الله عباد الله، وتعلّموا أمورَ دينكِم، وكونوا على بصيرةٍ بها، تفوزوا وتفلحوا.

اللهُّم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد بن عبد الله صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين ، وارضَ اللهُّم عن أصحاب نبيّك أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.....

شدّة الحرِّ من فيح جهنّم

●الخطبة الأولى:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوان إلاّ على الظالمين، أحمده تعالى حمدَ الشاكرين، واستغفرُه استغفارَ المنيبين، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له، إلهُ الأولين والآخرين، وقيُّومُ يومِ الدين، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الأمينُ إلى العالمين، صلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا الله تبارك وتعالى حقَّ التقوى، اطيعوه ولا تعصوه، وراقبوه ولا تنسوه، واعلموا أنّكم لديه محضرون، وعلى أعمالكم محاسبون، وعلى تفريطكم نادمون، ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

عباد الله:

الزمانُ بليله ونهاره، وشهوره وأعوامه آيةٌ من آيات الله تبارك وتعالى التي نصبَها للعباد ذكرى وموعظةً بما أهلكَ الله فيها من القرون، وما دَمَّرَ من الأمَمِ المكذّبةِ لرسلهِ المبتعدةِ عن سبيلهِ وشرعِه.

وكم ضرب الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز من الأمثال، وذكر من الآيات لعلّهم يتّقونَ أو يُحدثَ لهم ذكرى؛ بالرّيحِ العقيمِ، والطوفانِ، والجرادِ والقُمَّلَ والضفادعَ والدَّمَ؛ آياتٍ مفصّلات، ومع ذلك كلّه فإنّ كثيراً من الناس لا يزيدُهم تعاقبُ الليل والنهار، وتتابعُ الشهور والأعوام إلاّ بُعداً وإعراضاً عن الله ، غرّهم الإمهالُ، وخدعَهم التسويفُ والأملُ، وما أوجدَ الله على أيديهم من وسائلَ مُخترعة لتحقيق السعادة والراحة الدُّنْيويَّةِ، ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾ [الروم:٧].

عباد الله:

واشتدادُ الحرِّ والبرد في هذه الحياة الدنيا من جملة الآيات الكونيّة التي يُخوِّفُ الله تعالى بها العبادَ، ويُخطيءُ كثيراً من ينسبُ شدّة الحرِّ أو البرد إلى فصولٍ معيّنةٍ من السنة أو إلى بروجٍ قمريّةٍ؛ فإنّ الأيامَ والأعوامَ والشهورَ لا تأثيرَ لها في خلق الله، بل هي خلقٌ من خلق الله تعالى جعلَها

مواقيتَ للناس؛ ليعلموا عددَ السنينَ والحساب؛ ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٥-٦].

وإنَّ اشتدادَ الحرِّ في هذه الحياة إنَّما هو من نَفَسِ النار؛ من شدّة حرِّها، يُخوّفُ الله تعالى به عبادَه، ويُذكّرُ به من يتذكّر ليتّعظوا وينزجروا عمّا هم فيه من غفلةٍ وإعراضٍ عن الله تعالى.

ولذلك -عباد الله- ترونه يختلفُ من سنةٍ إلى أخرى، ومن عامٍ إلى آخر وكلُّ ذلك بقدرِ بُعْدِ العبادِ عن الله أو قُرْبهم منه سبحانه، ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف:٩٦]. ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۞ يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ۞ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾ [نوح:١٠-١٢].

قال المصطفى ﷺ : « اشتكتِ النارُ إلى ربِّها، فقالت: ربِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً، فَأَذِنَ لها بنفَسَيْنِ؛ نَفَسٍ في الشِّتَاء، ونَفَسٍ في الصَّيْفِ، فهو أَشَدُّ مَا تَجِدُوْنَ مِن الحَرِّ، وأَشَدُّ مَا تَرَوْنَ مِن الزَّمْهَرِيْرِ؛ يعني: البَرْد ». [متفقٌ عليه].

وفي روايةٍ للبخاريِّ قال: « فَإِذَا اشْتَدَّ الحَرُّ فَأَبْرِدُوا بالصَّلاَةِ؛ فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ ». والمقصودُ: تأخيرُ صلاة الظهر إلى قرب العصر عند اشتداد الحرِّ.

أيُّها المسلمون:

ما عُبِدَ اللهُ عزّ وجلّ بمثلِ الخوف منه؛ من عقابه وناره وغضبه. قال أبو سليمان الداراني -رحمه الله-: (أصلُ كلِّ خيرٍ في الدنيا والآخرة الخوفُ من اللهِ عزَّ وجلَّ، وكلُّ قلبٍ ليس فيه خوفٌ لله فهو قلبٌ خَرِبٌ).

ولقد حذّر الله عباده من النار، وكرَّرَ الوَعيدَ بها، وضَربَ لها من الأمثال في كتابه العزيز وعلى لسان رسوله الأمين صلواتُ الله وسلامه عليه ما تشيبُ منه الولدانُ، وتتقطّعُ منه القلوبُ والأفئدةُ، ولكن أين المعتبرون ؟ وأين الخائفون من الله حقَّ خوفه ؟

هل انتبهت من نومها القلوبُ الغافلةُ ؟ وهل ثابت إلى رشدها النفوسُ السادرةُ ؟ أين الخوفُ من النار الذي نال الملائكةَ المقرّبين في قول الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿ **وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيَ إِلَـهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنبياء:٢٩]. وأين الخوفُ من النار الذي لحقَ الأنبياءَ والمرسلينَ في قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَـهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً** ﴾ [الإسراء:٣٩]. وأين الخوفُ من النار الذي أقضَّ مضاجعَ الصالحين فـ ﴿ **كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الذاريات: ١٧-١٨] ، ﴿ **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [السجدة:١٦].

ما أُنذِرَ العبادُ - رعاكم الله- بشيءٍ أشرَّ من النار؛ النارُ موحشةٌ، أهوالُها عظيمةٌ، وأخطارُها جسيمةٌ، وعذابُها أبداً في مزيد، كلّما خَبَت زادَها الله سعيراً.

قال رسولُ الله ﷺ: « إنَّ الصَخْرَةَ العَظِيْمَةَ لَتُلْقَى مِنْ شَفِيْرِ جَهنَّمَ فتهوي فيها سَبعينَ عَاماً مَا تُفْضِي إلى قَرَارِهَا ». قال عمرُ -رضي الله عنه- وهو راوي الحديث: (اكثروا ذكرَ النار؛ فإنّ حرّها شديدٌ، وقعرَها بعيدٌ، وإنّ مقامعَها حديدٌ). [رواه الترمذي]

يؤتى بالنار -عباد الله- يومَ القيامة لها سبعون ألفَ زمامٍ، مع كلِّ زمامٍ سبعونَ ألفَ ملكٍ يجرّونها [كما روى ذلك الإمامُ مسلمٌ في صحيحه]. أُوقِدَ عليها ألفُ عامٍ حتى احمّرت، وألفُ سنةٍ حتى ابيضّت، وألفُ سنةٍ حتى اسودّت فهي سوداءُ مظلمة، لها تغيُّظٍ وزفيرٌ، ﴿ **إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً ۞ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً** ﴾ [الفرقان:١٢-١٣]. ﴿ **وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ** ﴾ [الحجر:٤٣]. ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ۞ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً** ﴾ [مريم:٧١-٧٢].

عباد الله:

إنَّ الناسَ كلَّهم حريصون على راحة أنفسهم وأهليهم، يوفّرونَ لهم الوسائلَ الواقيةَ من الحرِّ والبرد، وإذا ما اشتدّت عليهم سمومُ الحرّ رأيناهم

يتنقَّلُونَ إلى المصائف والمنتجعات الباردة في انحاء العالم، وكم هو عظيمُ الأسى عندما نرى أكثرَهم لا يُقيمُ وزناً لنار جهنّم، ولا يعملُ على وقاية نفسه ومن تحت يده منها، والله عزّ وجلّ قد خاطب عباده المؤمنين وحذّرهم منها بقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم:٦].

وإنَّ من علاماتِ الشِّقْوَةِ العملَ للدُّنيا والإعراضَ عن الآخرةِ.

تفرُّ من الهجير وتتّقيه فهلاَّ من جهنّمَ قد فررْتا

ذكر رسولُ الله ﷺ النارَ يوماً، فقال لأصحابه: «أَتَرَوْنَها حَمْرَاءَ كَنَارِكُمْ هَذِهِ ؟! لَهِيَ أَسْوَدُ مِنَ القَارِ». [رواه مالكٌ بسندٍ صحيح]

﴿ **وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيراً جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ** ﴾ [التوبة:٨١-٨٢].

عباد الله:

ما أكثرَ العبرَ وما أقلّ الاعتبار !، النارُ التي خوّفَ اللهُ بها عبادَه أيّما تخويفٍ، وحذَّرهم منهم أيّما تحذيرٍ، نرى أكثرَهم لا يُقيمُ لها وزناً، مع أنّه لا يخلو بيتٌ من نارٍ تُوقد، ولا يخلو يومٌ من حريقٍ يلتهب، ولكن أين المعتبرون ؟! وأين المقارنةُ -يا رعاكم الله- بين حرِّ الدنيا ونارِها وبين حرِّ الآخرة ونارها، في الدنيا إذا اشتدَّ الحرُّ رأينا المتذّمرون المتضجّرون مع ما أنعم الله تعالى به عليهم به من وسائل للاستظلال والتكييف في البيت

والسيارة والعمل، أمّا الآخرة: فإنّ الشمسَ تدنو من الخلائق بمقدار ميل حتى إنّ العرَقَ ليُلجمُ بعضَهم في عرصات القيامة التي يُحشرُ الناسُ فيها عُرَاةً حُفَاةً غُرْلاً بُهْمَاً كيومِ ولدتهم أمهاتُهم.

قال ﷺ : « نَارُكُمْ هَذِهِ التي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِيْنَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ». قالوا: وا للهِ إنْ كانت لكافيةً يا رسولَ ا لله ! قال: « فَإِنَّها فُضِّلتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَتِسْعِيْنَ جُزْءاً كُلُّها مِثْلُ حَرِّها ». [متفقٌ عليه]

وقال ﷺ : « إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابَاً يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ يُوْضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي المِرْجَلُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدَاً أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابَاً، وَإِنَّهُ لأَهْوَنُهمْ عَذَابَاً ». [متفقٌ عليه].

اللهُّم اضلّنا تحتَ ظلّ عرشك يوم لا ظلّ إلا ظلُّك، اللهُّم هوّن علينا الحساب، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهُّم أجرنا من النار، اللهُّم أجرنا من النار، استغفرُ ا للهَ العظيم الجليلَ لي ولكم ولسائر المسلمين من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه كان للآوابين غفوراً.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه كما يُحبُّ ربنا ويرضى ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ ا لله وحده لاشريك له وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ ا لله ورسولُه صلى ا لله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فاتقوا الله أيُّها المسلمون ، واعلموا رحمكم الله أنَّ هذا البلد أحبُّ البقاع إلى الله تعالى، وأشرفُها وخيرُها؛ فإنّ الله تبارك وتعالى اختاره لنبيّه ﷺ ، وجعلَه مناسكَ لعباده، وأوجبَ عليهم الإتيانَ إليه من كلِّ فجٍّ عميق، قال ﷺ، وهو يودّعُ مكةَ إبّان مُهاجَرِهِ إلى المدينة: « واللهِ إنّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلا أَنّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ ». [رواه الترمذيُّ وصحّحه].

أيُّها المسلمون:

ومِمّا ميَّزَ اللهُ تعالى به هذا البلدَ الأمين؛ مَهْبِطَ الوحي، وأمَّ القُرَى: ازديادُ الحرِّ فيها، ولذا قيلَ إنّها إنّما سُمّيت مكة لأنّها تَمُكُّ المنافقين وتمطُّهم عنها؛ لأنّهم لا يصبرون على حرّها؛ ولذا -عباد الله-: فإنَّ الواجب على المسلم أن يُخلصَ الحبَّ الصادقَ لهذا البلد الحرام، وأن يصبرَ على حرّه ولأوائه ابتغاءَ وجه الله ، وأن يحذر من التضجُّر من ذلك، أو سبّها أو كراهتها فإنّ ذلك من علامات النفاق عافانا الله وإيّاكم منه ، وأن يكون حرُّها عبرةً له وزاجراً عن معصية الله بتذكُّر حرِّ نار جهنّم، أعاذنا الله جميعاً منها.

اللهُّم صلِّ وسلّم على عبدِكَ ورسولِكَ محمدٍ وعلى آل وصحبه.....

الوقت أنفاسٌ إذا مرّت لا تعود

●الخطبة الأولى:

الحمدُ لله أكرمَنا بدينِه، وأعزَّنا بطاعتِه، وجعلنا من خير أمَّة، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريكَ في السماء ملكُه، وفي الأرض سلطانُه، وفي البحر عَظَمتُه، عزَّ جاهُه، وتقدَّست أسماؤه، ولا إله غيرُه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وصفيُّه من خلقه، بعثه بين يدي الساعة، فبلّغَ الرسالة، وأدّى الأمانةَ، ونصحَ الأمّةَ، وجاهدَ في الله تعالى حقَّ جهاده، فصلى الله وسلّم وباركَ عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله تباركَ وتعالى واشكروه؛ فإنَّ تقواه سبحانه وتعالى هي العروةُ الوُثْقَى، والسعادةُ الكبرى، والنجاةُ العُظْمى، في الآخرة والأولى، ﴿**ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً**﴾ [الطلاق:٥].

عباد الله:

إنَّ العُمَرَ الذي يملكُه الإنسانُ في هذه الحياة نعمةٌ كبرى، يجبُ عليه حمدُ الله تعالى عليها، والحياةُ التي أعطاها الله تعالى لابن آدمَ فُرصةٌ عظيمةٌ للحياةِ الكريمةِ المطمئّنةِ عاجلاً وآجلاً، ولذلك امتنَّ الله سبحانه وتعالى على عباده بالشروقِ والغروبِ، في قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ** ﴾ [يونس:٦٧].

والوقتُ -عباد الله-: نعمةٌ من أجلِّ وأعظم نعَمِ اللهِ التي أنعمَ بها على البشرِ؛ يقولُ الله جلَّ ثناؤه في بيانِ هذه النعمةِ التي هي من أصولِ النِّعَم: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ [النحل:١٢]. ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً** ﴾ [الفرقان:٦٢].

الوقتُ: هو حياةُ الإنسانِ وعُمرُه؛ الذي هو أنفاسٌ تترَدَّدُ وتتعدَّدُ، وآمالُه التي تضيعُ إن لم تتحدَّد، فدَّقاتُ قلب المرءِ في صدره تُشعرُه في كلِّ لحظةٍ بأنَّ الحياةَ دقائقٌ وثوانٍ، تمرُّ به متواليةً مُتتابعةً، في ساعاتٍ وأيامٍ، وشهورٍ وأعوامٍ كلّما ذهبَ منها شيءٌ ذهبَ معه عُمرُه، حتّى ينتهي به ذلك إلى الدار الآخرة؛ إمّا إلى جنّةٍ، وإمّا إلى نارٍ، أجارَنا الله منها.

فحريٌّ بالمسلم أن يصرفَ أوقاتَه ولحظَاتِه فيما يعودُ عليه بالنفع والفائدةِ في الدنيا والآخرة.

والوقتُ -عباد الله- يمرُّ سريعاً كمرِّ السحاب، فما كان من وقتِ الإنسانِ لله؛ في طاعتِه ومرضاتِه وعبادتِه فهو حياتُه وعُمرُه، وما ضاعَ في اللَّهوِ والغفلةِ ونحو ذلك فليسَ محسوباً من حياته، وإن عاشَ فيه عِيْشَةَ الملوكِ المُترَفين، أو البهائمِ المُهملين.

الوقتُ أنفسُ ما عُنِيَ الإنسانُ بحفظِه والحرصِ عليه، فهو أغلى من كلِّ نفيسٍ؛ لأنّه هو الحياةُ والعُمرُ، والإنسانُ يفتدي عُمرَه بكلِّ ما يملكُ من غالٍ ونفيس، حتّى قال عبدُ الله بن مسعودٍ -رضي الله عنه-: (ما نَدمتُ على شيءٍ نَدَمِي على يومٍ غَرَبت شمسُه، نقصَ فيه أجلي، ولم يزْدَد فيه عملي).

ونلحظُ أيُّها المسلمون: في زماننا هذا الجهلَ بقيمةِ الوقتِ، والتفريطَ فيه؛ حيثُ ماتت الهِمَمُ في المسلمين، وخَارتِ العزائمُ، وتعوّدت النفوسُ على الدَّعَةِ والراحةِ والكَسَل؛ تمرُّ الساعاتُ والأيامُ والشهورُ ولا يُحْسَبُ لها حسابٌ، بل إنَّ فئاماً من الناس لا يُوقظُهم من سُباتِهم العميقِ إلاّ المناسباتُ والحوادثُ التي تمرُّ عليهم مَرَّ السحابِ.

نعم عباد الله ! فُرِّطَ في الوقت وقلّتْ قيمتُه عندَ الناسِ بسببِ ما يسعى إليه أعداءُ الأمّة في محاولةٍ جادّةٍ لصرفِ المسلمين عن استثمار أوقاتِهم، وتوفيرِ فُرَصِ الخيرِ، وجَلْبِ العَبَثِ لهم وتهيئةِ وسائلِه المختلفةِ من آلاتٍ مُلهيةٍ، وألعابٍ مُسليّةٍ، إلى غير ذلك ممّا غزا الأفكارَ، وسلبَ العقولَ والأذهانَ، عبرَ الأفلامِ والقنوات المختلفة التي شُغِلَ المسلمون بها حتّى عن أركان دينِهم الخمسة.

قال الإمامُ ابنُ الجوزيِّ -رحمه الله-: (رأيتُ عمومَ الخلائقِ يدفعونَ الزمنَ دفعاً عجيباً؛ إن طالَ الليلُ فبشيءٍ لا ينفع، وإن طالَ النهارُ فبالنومِ المُغْرِقِ، وهم في أطراف النهار على دِجْلَةَ أو في الأسواقِ. ولقد شاهدتُ خلقاً كثيراً لا يعرفون معنى الحياةِ، فمنهم من يخلو بلُعبِ الشَطْرَنْجِ، ومنهم من يُقطِّعُ الزمانَ بكثرةِ الحواديثِ، فعلمتُ أنّ الله تعالى لم يُطلعْ على شَرَفِ العُمُرِ، ومعرفة قدر أوقاتِ العافيةِ إلاّ من وفقّه وألهَمَه اغتنامَ ذلك).

﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصّلت:٣٥].

إنَّ الفراغَ -معاشرَ المسلمين- من أجلِّ نعَمِ الله تعالى على عباده، وليتذكّرْ من رزَقَه اللهُ الوقتَ والفراغَ أقواماً لا يجدونَ لذّةَ الراحةِ، ولْيَحْمَدِ اللهَ، ولْيَستَعِنْ بهِ على طاعةِ اللهِ، ولْيَصْرِفْهُ للهِ وحدَه دونَ سواه. قال المصطفى ﷺ: ((نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ)). [رواه البخاري]

والمعنى -عباد الله-: أنَّ الناسَ إذا توفّرت لهم الصحةُ، وامتدَّ أمامهم حبلُ الفراغِ ولم يُحسنوا استخدامَ ذلك في العملِ المبرورِ والسعي المشكور فقد باءوا بالفشلِ الذّريْعِ والخُسْرَانِ المبين. وإنَّ من أكبرِ علاماتِ المقتِ إضاعةُ الوقت فيما لا نفعَ فيه ولا فائدةَ منه، وكثيرٌ من المفاسدِ العظيمةِ سببُها الفراغُ الذي لم يُحرَصْ على استغلاله والمحافظة عليه.

لقد هاجَ الفَرَاغُ عليه شُغْلاً ... وأسبَابُ البلاءِ من الفَرَاغِ

وإنَّ ممّا يؤسفُ له حقّاً أن يعيشَ شبابٌ في عُمرِ الزهورِ، واكتمالِ القوى، لا يُبالونَ بإضاعةِ أوقاتِهم سُدىً؛ في المدرَّجاتِ، والملاهي

والأسواقِ والأرصفةِ، والمُتنزّهات، ليلُهم ونهارُهم ضياعٌ ولهوٌ، لا في أمر دنياً يشتغلون، ولا في أمر أُخرى يعملون، بل إنَّ كثيراً منهم ليسطونَ على أوقاتِ الآخرين ليقطعوها باللَّهوِ والباطل، قد أضاعوا أوقاتِهم، وهدموا أعمارَهم. ولقد قال بعضُ الحُكَماء: من أمضى يومَه في غير حقٍّ قضاه، أو فَرْضٍ أدّاه، أو مجدٍ حقّقَه، أو حمدٍ حصّلَه، أو خيرٍ أسَّسَه، أو عِلْمٍ اقتبَسَه فقد عقَّ يومَه، وظلمَ نفسَه.

قال الحسنُ البصريُّ -رحمه الله-: (إنَّ من علامةِ إعراضِ الله عن العبد أن يجعلَ شُغْلَه فيما لا يعنيه؛ خُذْلاَناً من اللهِ عزَّ وجلَّ. ولقد أدركتُ أقواماً كان أحدُهم أشحَّ على عُمرهِ منه على درهمِه).

أخي المسلم:

رأسُ مالكَ في هذه الحياةِ دقائقٌ وثوانٍ وأيامٌ وشهورٌ، فماذا قدَّمتَ فيها من أعمالٍ صالحةٍ، وماذا سجَّلتَ في صحائفِ أعمالِك ؟ هل تسرُّكَ إذا نظرتَ إليها يومَ القيامة، أم تسؤوك ؟ فالكيِّسُ من حفِظَ وقتَه، واستغلّه فيما يعودُ عليه بالنفعِ، والخلاصِ من النارِ، فمن خافَ أدلجَ، ومن أدلجَ بلغَ المنزلَ، وسلعةُ الله غاليةٌ، والنارُ لا ينامُ هاربُها، والجنّةُ لا ينامُ طالبُها.

قال بعضُ السلف: (مَا مِن يومٍ ينشقُّ فجرُه إلاّ وينادي: يا ابنَ آدم ! أنا خلقٌ جديدٌ، وعلى عَمَلِكِ شَهيدٌ، فاغتنمني فإنّي إذا مضيتُ لا أعودُ إلى يومِ القيامةِ).

وإنَّ كلَّ يومٍ يعيشُه المسلمُ في هذه الحياة غنيمةٌ يجبُ ألاّ تضيعَ منه. فالأوقاتُ والأزمنةُ عمرٌ قصيرٌ، وأجلٌ محدودٌ، ولكنّها رأسُ مالِ المؤمن، ربحُها الجنّةُ، وخسرانُها النارُ، وذلك ما أكّدَ عليه النبيُّ ﷺ بقولهِ لعبدِ الله ابنِ عمرو: « اغْتَنِمْ خَمْساً قَبلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ». [رواه الحاكمُ، والبيهقيُّ]

المؤمنُ عباد الله -كما قال قتادةُ رحمه الله-: (لا تلقاهُ إلاّ في ثلاثٍ؛ مسجدٍ يعمرُه، أو بيتٍ يسترُه، أو حاجةٍ من أمرِ دنياهُ لا بأسَ بها).

والمسلمُ مسئولٌ عن وقتِه، ومُطالبٌ بالمحافظة عليه، ولن تزولَ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتّى يُسألَ عن عُمرِهِ فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، كما صحَّ بذلك الخبرُ عن المصطفى ﷺ.

وهناك تُسْكَبُ العبراتُ، وتَكْثُرُ الحَسَرَاتُ على أوقاتٍ ضُيِّعتْ، ولحظَاتٍ ذَهَبتْ في غيرِ طاعةِ الله، ﴿ **حَتَّىَ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىَ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠]. ﴿ **وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** ﴾ [فاطر:٣٧].

فاتّقوا اللهَ في أوقاتكم أيُّها المسلمون، اعمروها بطاعة الله، واحرصوا على استغلالِها، وعدمِ التفريطِ فيها، أو شغلِها بالمعاصي والآثام.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

*** *** ***

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، ولا عدوانَ إلاّ على الظالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ وحده لا شريك إله الأولين والآخرين ، وقيِّومُ يوم الدينِ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه خاتمُ المرسلين ، وإمامُ المتقين ، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فاتقوا الله رحمكم الله، واعلموا أنَّ مرورَ الأزمانِ بسرعةٍ خاطفةٍ، ولحظَةٍ عابرةٍ فيه أبلغُ عِبْرَةٍ، وأصدَقُ تنبيهٍ للغافلين في هذه الحياة؛ فكم من

سنواتٍ مرَّت كلمْحِ البصرِ، أو كأضغاثِ أحلامٍ، نقترِبُ بمُضيِّها من نهايةِ أعمارِنا في هذه الحياة، ولكنَّنا غافلون، أو مُتغافلون !

والدُّنيا كما وصفها أحدُ السلف: ثلاثةُ أيامٍ؛ أما أمسٌ فقد ذهبَ بما فيه، وأمَّا غَداً فلعلَّكَ لا تُدرِكُه، فاليومُ لكَ فاعملْ فيه.

وهذا صباحُ اليومِ ينعاكَ ضوءُه ... وليلتُه تنعاكَ إن كنتَ تشعرُ
ألم ترَ أنَّ اليومَ أسرعُ ذاهبٍ ... وأنَّ غداً للناظرينَ قريبُ

وينبغي على المسلم: أن يتَّخذَ من مرور الليالي والأيام عِبْرَةً لنفسِه؛ فإنَّ الليلَ والنهارَ يُبليانِ كلَّ جديدٍ، ويُقرِّبانِ كلَّ بعيدٍ، ويطويانِ الأعمارَ، ويُشيبانِ الصغارَ، ويُفنيانِ الكبارَ.

ولو لم يبكِ العاقلُ فيما بقي من عمرهِ إلاّ على تفويتِ ما مضى منه في غير الطاعة لكان خليقاً أن يحزَنَ على ذلك إلى الممات، فكيفَ بمن يستقبلُ ما بقي من عُمره بمثلِ ما مضى من جهلِه؛ تسويفاً وغروراً وطولَ أملٍ.

وما أكثرُ الذين يتَّخذونَ من التسويف شِعاراً لهم، يُمكِّنونَه من قلوبِهم، حتّى تقطَّعت آمالٌ، وتصرَّمت آجالٌ، اغترُّوا بالصحة والفراغ، والقوّة والشبابِ، فساروا في ركبِ الحياةِ لاهينَ ساهينَ، يفرحونَ بمغيبِ الشمس وطلوعِ النهار من كلِّ يومٍ، ولا يُدركونَ أنَّ هذه نهايةُ يومٍ من أعمارِهم لن يعودَ إلى يومِ القيامةِ.

إنَّا لنفرَحُ بالأيامِ نقطعُها ... وكلُّ يومٍ مضى يُدني من الأجَلِ

ثمَّ اعلموا–عباد الله–: أنَّ مراعاةَ الأوقاتِ، والمحافظةَ على الأزمانِ من علامات التيقُظِ ، والزمنُ هو الزمنُ في جريهِ وتقلُّباتِه، ولكنْ من الناس من يعمرُه بالطاعة، فيشعرُ بقيمته ونفعه، ومنهم من يقطعُه باللعبِ واللّهو فيذهبُ وقتُه سُدىً لا فائدةَ فيه، ولا يُحافظُ على الوقت تمامَ المحافظةِ إلاّ الترتيبُ والتنظيمُ؛ فقد قال الصدِّيقُ لخليفته الفاروقِ –رضي الله عنهما–: (اِعْلَمْ أنَّ للهِ عَمَلاً بالنهار لا يقبلُه بالليل، وعَمَلاً بالليل لا يقبلُه بالنهار).

ويقترنُ بالمحافظةِ على الأوقاتِ واغتنامِ الليالي والأيام مسارعةٌ في الخيرات من غير تكاسُلٍ ولا تثاقُلٍ، قبلَ حلولِ مَرَضٍ مُقْعِدٍ، أو كِبَرٍ مُفْنِدٍ، أو بَلاءٍ مُشْغِلٍ.

ألا فاتقوا الله تبارك وتعالى أيُّها المسلمون ، وصلُّوا وسلّموا على من أمرَكم اللهُ تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَاً)). [رواه مسلم]

اللّهُم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد بن عبد الله صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين ، وارضَ اللّهُم عن أصحاب نبيّك أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.....

༺ ༻ ༺༻ ༺ ༻



شهادةُ الزور ؛ حرمتُها وأضرارُها

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضلل فلا هاديَ له ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، شرع لنا ديناً قويماً ، وهدانا إليه صراطاً مستقيماً ، وأشهدُ أنَّ نبيَّنَا وحبيبَنا محمداً عبدُ الله ورسولُه ، أرسله هادياً ومُبشِّراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فبلّغَ الرسالةَ وأدّى الأمانةَ ، ونصحَ الأمّة ، حتى تركها على مثل البيضاء لا يزيغُ عنها إلاّ هالكٌ ، فجزاه الله عن أمّته خيرَ ما جزى نبيّاً عن قومه ، وصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتّقوا الله تبارك وتعالى واشكروه على ما هداكم للإسلام، وجعلكم من أمّة خير الأنام عليه الصلاةُ والسلامُ، راقبوه ولا تعصوه، واعلموا أنّكم لديه مُحْضَرونَ، وعلى أعمالكِم مُحَاسبونَ، وعلى تفريطِكم نادمون.

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الحشر:١٨].

عباد الله:

لقد جاءَ الإسلامُ، وهو الدينُ القويمُ، والصراطُ المستقيمُ بحفظِ حقوقِ الناس، وتحقيقِ العدلِ بينهم بكلِّ الوسائلِ المشروعةِ؛ حيثُ جاءَ بحفظ الضروراتِ الخمسِ التي حُفظت في كلِّ ملَّةٍ، وأمَّةٍ؛ وهي: الدينُ، والنفسُ، والعقلُ، والعِرْضُ، والمالُ.

وفي سبيل ذلك شرعَ الطُرُقَ المختلفةَ لإثباتِ الحدودِ، وتبيينِ الحقوقِ عند التنازُعِ فيها؛ لأنَّ الناسَ لو يُعطى كلٌّ منهم بدعواه لادَّعى رجالٌ أموالَ قومٍ ودماءَهم، ولكنَّ البيِّنَةَ على المُدَّعي، واليمينَ على من أنكر.

وأهمُّ طُرُقِ حفظِ الحقوقِ، وإقامةِ الحدودِ التي يستدلُّ بها القضاةُ على الحقِّ، فيحكمون بموجَبها، بعد أخذِ الحَيْطَةِ والحذَر، وبذلِ الوسعِ والجُهد: الشهادةُ.

وما أولى ا للهُ سبحانه وتعالى وسيلةً من وسائلِ الإثباتِ الشرعيّةِ ما أولاه الشهادةَ من العنايةِ؛ حيثُ تكرَّرَ الحديثُ عنها؛ بياناً لأحكامها في القرآن والسُّنّة النبويّة المُطهّرةِ عشرات المرَّات؛ لأنّها من أهمِّ وسائلِ إثباتِ الحقوقِ، وتخضعُ لنزَواتِ النفوسِ، حيثُ يدخلُها الحسدُ والبغضاءُ، والعداوةُ والأهواءُ، فتُحملُ على غيرِ وجهِ الصوابِ والحقيقةِ.

وحاجةُ الناسِ لا تستقيمُ بدونِ الشهادةِ؛ إذْ هي سببٌ في إثباتِ الحقوقِ، وحفظِ الأرواحِ والأموالِ والأنسابِ والعقولِ، فهي طريقٌ لإنصاف المظلومين، وردْعِ الظالمين، وحَسْمِ نزاعِ المتنازعين.

ولذا ندبَ الإسلامُ إلى أداء الشهادة، بل أوجبَ ذلك عند الحاجة إليها، أو ضياعِ حقٍّ بدونها؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَا للهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة:٢٨٣] ، قال ابنُ عباسٍ -رضي ا لله عنهما-: (شهادةُ الزور من أكبر الكبائر، وكِتْمَانُ الشهادةِ كذلك).

وقد قالَ بعضُ السلفِ: ما أوعدَ ا للهُ على شيءٍ كإيعاده على كِتْمَان الشهادةِ؛ فإنَّ قولَه تعالى: ﴿ **فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ** ﴾ يُرادُ به مَسْخُ القلبِ. وخُصَّ القلبُ بذلك؛ لأنّه موضعُ العلمِ بالشهادةِ، ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ ا للهِ وَمَا ا للهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة:١٤٠] ، ﴿ **وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ ا للهِ إِنَّآ إِذاً لَّمِنَ الآَثِمِينَ**﴾ [المائدة:١٠٦]

عباد ا للهِ:

ومِمّا أوجبَه الله تعالى على عباده: الشهادةُ بالحقِّ ولو على النفسِ أو الوالدين والأقربين، لا تأخذُ الإنسانَ في ذلك لومةُ لائمٍ، ولا يصرفُه عن ذلك طمعٌ أو خوفٌ أو مُحاباةٌ لأحدٍ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءِ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَا للهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ا للهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ [النساء:١٣٥].

وقد قال المصطفى ﷺ : « أَلاَ لاَ يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ؛ فَإِنَّهُ لاَ يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ وَلاَ يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ » .[رواه أحمدُ بسندٍ صحيحٍ]

عباد الله:

ومع عِظَمِ أمرِ الشهادةِ وقداستِها إلاَّ أنَّ الناسَ تساهلوا فيها كثيراً؛ فبعضُهم يشهدُ بما لم يرَ أو يعلمْ، وإنّما تحملُه العاطفةُ على تصديقِ من أخبرَه.

ومنهم من يتساهلُ في أمر تزكيةِ الشهودِ دونَ علمٍ بحال من يُزكّيه، أو معرفةٍ لسلوكه، ودونَ اعتبارٍ لما يترتّبُ على هذه التّزكيَةِ من مَخاطِرَ، بل إنَّ بعضَ ضِعافِ النفوسِ ليطلبونَ الشهادةَ من أيِّ شخصٍ يُقابلونَه في أيِّ دائرةٍ حكوميّةٍ؛ لإثبات بعض ما يحتاجونَ إليه، وكأنَّ المُرادَ ليسَ الشاهدَ نفسَه وإنّما بِطاقةُ الأحوالِ التي يحملُها.

ومن التساهُلِ في الشهادة: ما يفعلُه بعضُ الناسِ في المحاكمِ الشرعيَّةِ من قولِه لشخصٍ يُقابلُه هناك: اشهدْ لي ، وأشهدُ لكَ. فيشهدُ له في أمرٍ يحتاجُ إلى علمٍ بالحقيقةِ والحال؛ كأنَ يشهدَ له بملكيّةِ أرضٍ، أو بيتٍ، أو تزكيةٍ وهو لم يُقابلْهُ إلاَّ على أَعْتَابِ بابِ المحكمةِ. وهذا كلُّه كذبٌ وزورٌ وبُهتانٌ سيُسألُ عنه المرءُ يومَ القيامة.

والواجبُ أن تكونَ الشهادةُ كما وردَ في كتابِ اللهِ سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴾ [يوسف:٨١].

عباد الله:

إنَّ شهادةَ الزور هي الحالقةُ التي تحلقُ الدينَ، وتجعلُ الحلالَ حراماً والحرامَ حلالاً، والباطلَ حقّاً، والحقَّ باطلاً. والأصلُ في الزور: هو تحسينُ الشيءِ ووصفُه بخلافِ صفتهِ التي هو عليها؛ حتّى يُخيَّلُ إلى من يسمعُه أو يراهُ أنّه خلافُ ما هو به. والزورُ هو الباطلُ والكذبُ؛ سُمّيَ زوراً: لأنه أميلُ عن الحقِّ، وكلُّ ما عدا الحقِّ فهو باطلٌ وكذبٌ وزورٌ.

قال الإمامُ القرطبيُّ -رحمه الله-: (شهادةُ الزورِ هي الشهادةُ بالكذب؛ ليتوصَّلَ بها إلى إتلافِ نفسٍ، أو أخذِ مالٍ، أو تحليلِ حرامٍ، أو تحريمِ حلالٍ، فلا شيءَ من الكبائرِ أعظمُ ضَرَراً منها، ولا أكثرُ فساداً بعد الشركِ بالله من شهادةِ الزورِ).

ولِعِظَمِ خَطَرِ وضَرَرِ شهادة الزور فقد قَرَنَ اللهُ جلَّ جلالُه بين التحذيرِ من قولِ الزورِ وبينَ التّحذيرِ من الشركِ بالله وعبادةِ الأوثانِ؛ فقال

سبحانه: ﴿ فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُواْ قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَآءَ للهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِا للهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣٠-٣١] وقال سبحانه في وصفِ عبادِه المتّقين: ﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً﴾ [الفرقان:٧٢].

وما أكثرَ شهودَ الزورِ في هذه الأيامِ -لا كثَّرَهم ا للهُ- الذين باعوا دينَهم بعرَضٍ من الدنيا زائلٍ، فللّهِ كم نفسٍ أُزْهِقت ظُلماً بسببِ شهادةِ الزورِ، وكم من حقٍّ اُقتُطِعَ وأُكِلَ بها، وكم من باطلٍ زائفٍ زُيِّنَ وصُدِّقَ بشهادةِ الزورِ، وهذا مصداقُ ما أخبرَ به النبيُّ ﷺ في قوله: « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ » . [رواه البخاري]

وعن ابي بكرةَ ، عن أبيه -رضي ا للهُ عنه- قال: قال رسولُ ا للهِ ﷺ : « أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ! »، ثَلاَثًا. قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، -وَجَلَسَ، وَكَانَ مُتَّكِئًا- فَقَالَ: أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ ، وشهادةُ الزورِ »، قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ.[متفقٌ عليه]

وإنَّما اهتمَّ ﷺ بشهادةِ الزورِ؛ لأنَّ الوقوعَ فيها أسهلُ على الناس، والتهاونَ بها أكثرُ، ومفسدتَها أعظمُ وأكثرُ وقوعاً من غيرها، فإنَّ الشركَ ينبو عنه المسلمُ، ويبتعدُ منه، والعقوقَ ينفرُ منه طبعُ الكثيرين، وأمّا قولُ الزورِ فإنَّ الحواملَ عليه كثيرةٌ، فحَسُنَ الاهتمامُ بها.

وعند أبي داودَ وأحمدَ من حديث خُرَيْمِ بن فَاتكٍ قال: صلّى رسولُ اللهِ ﷺ صلاةَ الصبحِ، فلمّا انصرفَ من صلاتِه قامَ قائماً فقال: « عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بالإِشْرَاكِ باللَّهِ -ثَلاَثَ مِرَارٍ-، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ** ﴾ ».

وشهادةُ الزورِ -عباد الله-: عظيمةُ الخطَرِ، كبيرةُ الضَّرَرِ؛ لما يترتّبُ عليها من عظائمَ الإجرامِ، والتي من أهمِّها: تضليلُ الحُكّامِ عن الحقِّ، والتّسبُّبُ في الحكم بالباطلِ؛ لأنَّ الحكمَ ينبني على أمورٍ منها أنَّ البيّنةَ على المُدّعي واليمينَ على من أنكرَ، فإذا كانت البيّنةُ كاذبةً أثّرت على حُكْمِ الحَاكِمِ، فكان بخلافِ الحقِّ، والإثمُ على الشاهدِ في ذلك.

ومنها: الظلمُ لمن شهدَ له؛ لأنّه ساقَ إليه ما ليسَ له بحقٍّ بسببِ شهادته له زوراً، فوجبت له النارُ بذلك، ويومُ القيامةِ يتبرّأُ منه، ويلعنُه، وقد قال المصطفى ﷺ : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْهُ؛ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ».[رواه البخاري ومسلم]

ومنها: الظلمُ لمن شهدَ عليه؛ حيثُ أخذَ مالَه أو حقَّه بشهادةٍ كاذبةٍ، وقد يتعرَّضُ بذلكَ لدعوة المشهودِ عليه بغيرِ الحقِّ ظُلماً، ودعوةُ المظلومِ مستجابةٌ لا تُردُّ، وليس بينها وبين الله تعالى حِجابٌ، قال ﷺ : « ثَلاَثَةٌ لاَ يُرَدُّ دُعَاؤُهُمْ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا

اللَّهُ فَوْقَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: بِعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ››.[رواه أحمدُ والترمذيُّ]

وعندَ مسلمٍ أنّه ﷺ قال: ‹‹ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ››. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: ‹‹ وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ ››.

أيُّها المسلمون:

ومن أضرارِ شهادةِ الزورِ: تخليصُ المجرمين من عقوبةِ الجريمةِ التي ارتكبوها بشهادةِ الزورِ، وذلك سببٌ لارتكابِ الجرائمِ الخطرة اتّكالاً على شهادةِ الزورِ.

كما يترتّبُ عليها: انتهاكُ المحرَّماتِ، وإزهاقُ النفوسِ المعصومةِ، وأكلُ أموالِ الناسِ بالباطلِ.

والحاكمُ والمحكومُ له وعليه بالباطل خُصَماءُ لشاهدِ الزور عندَ أحكمِ الحاكمين سبحانه وتعالى يومَ القيامة. ولرُبَّما أخذت شاهدَ الزورِ النشوةُ والفرحُ حين تجلبُ له شهادتُه مصلحةً، لكنّه أغفلَ أو تغافلَ عن عاقبةِ جُرْمِه، فلا خيرَ في لذّةٍ من بعدها النارُ والعياذُ با لله.

قال رسولُ ا لله ﷺ : ‹‹ لَنْ تَزُولَ قَدَمَا شَاهِدِ الزُّورِ حَتَّى يُوجِبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ›› .[رواه ابنُ ماجه، والحاكمُ، وقال: صحيحُ الإسناد]

وقد يترتّبُ على شهادةِ الزورِ: القولُ على ا لله تعالى بدونِ علمٍ، وبغيرِ حقٍّ، وذلك من أعظمِ الفِتَنِ، وأسبابِ البُعْدِ والصَّدِّ عن سبيلِ ا للهِ،

واضلالِ الناسِ، وهو من الجُرْأةِ على ا لله، وقد قال ا لله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَـذَا حَلاَلٌ وَهَـذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ا للهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ا للهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

أقول قولي هذا وأستغفرُ ا للهَ تعالى فاستغفروه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

** * **

● الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه ، والشكرُ له على توفيقه وامتنانه ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ ا لله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُ ا لله ورسولُه الداعي إلى رضوانه ، صلى ا لله عليه وعلى آله ، وأصحابه ، وإخوانه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فاتقوا ا لله عباد ا لله، فبتقواه سبحانه وتعالى تصلُحُ الأحوالُ ويتبيّنُ الحلالُ من الحرام، واعلموا رحمكم ا لله أنَّ يجبُ على المسلمِ أن يحفظَ لسانَه عن أن يقولَ زوراً، أو يغشى فجوراً، أو يرتكبَ مُحرّماً.

وعليه: فلا يجوزُ للإنسان أن يتحمّلَ الشهادةَ على الجَوْرِ والمُحرَّمِ، ولو كان يعلمُ المشهودَ عليه، ولا بُدَّ أن تكونَ الشهادةُ على أمرٍ مشروعٍ، معلومٍ علمَ اليقين.

عن النُّعْمَانِ بنِ بَشِيْرٍ –رضي الله عنه– أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلاَمًا كَانَ لِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا ؟ ». فَقَالَ لاَ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « فَارْجِعْهُ؛ فَإِنِّي لاَ أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ ». [رواه مسلمٌ، والنسائيُّ، والترمذي، ومالكٌ]

وفي هذا عباد الله: دليلٌ على أنّه لا يجوزُ للإنسان أن يشهدَ على جَوْرٍ؛ لأنَّ شهادتَه ستكونُ وسيلةً لثبوته، فيكونُ مُعيناً على الجَوْرِ، وكذلك المُحرَّم كالرِّبا ونحوِه، لا تجوزُ الشهادةُ عليه، ومن شَهِدَ عليه فقد باءَ باللّعنةِ من المصطفى ﷺ الذي « لَعَنَ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَشَاهِدِيهِ، وَكَاتِبَهُ ». [رواه البخاريُّ، وأحمدُ وابنُ ماجه]

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذُبك من قولِ الزورِ وشهادةِ الزورِ، ونعوذُبك اللَّهُمَّ أنْ نَغشىَ فُجُوراً أو نَرتكبَ حراماً...

اللهُّم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد بن عبد الله صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين ، وارضَ اللهُّم عن أصحاب نبيّك أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.....

❧ ❧ ❧

الكلمة الطيّبة صدقة

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيُّها الناسُ ونفسي بتقوى الله تعالى، وصيَّتُه سبحانه وتعالى للأولين والآخرين من خلقه ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ غَنِيّاً حَمِيداً** ﴾ [النساء:١٣١]. عظِّموا أمرَه، واحذَروا سخطَه، زِنوا

أعمالَكم، وحاسبوا أنفسَكم، واحفظوا جوارحَكم، وأعملوا صالحاً، وافعلوا الخيرَ لعلَّكم تُرحمون.

أيُّها الناس:

للألفاظِ والكلماتِ دلائلُها ومعانيها التي تحملُ في طيَّاتها الخير فيُجازى عليها الإنسانُ بالإحسان إحساناً، أو تحملُ في طيَّاتها الشرَّ والفُحْشَ والبذاءَ فيُجازى عليها بالسيئات المضَاعَفَةِ إلى يوم المعاد.

وإنَّ أعظمَ مثلٍ توضيحيٍّ لذلك: ما ضَرَبه اللهُ تعالى في كتابه الكريم؛ في قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ * تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَآءُ**﴾ [إبراهيم:٢٤-٢٧].

عباد الله:

إنَّ جارحةَ اللسانِ لها أعظمُ الأثرِ في حياةِ المسلمِ ديناً ودنيا، ربطَ اللهُ عليها الفلاحَ، وعلَّقَ عليها السعادةَ أو الشقاوةَ في العاجلِ والآجلِ، ورتَّبَ عليها الجزاءَ والعقابَ.

والكلماتُ هي التُرجمانُ المعبِّرُ عن مستودعات الضمائر، والكاشفُ عن مكنوناتِ السرائرِ، بلكمةٍ واحدةٍ يدخلُ العبدُ في الدينِ والملَّة؛ ألا وهي كلمةُ التوحيدِ الخالصِ؛ لا إله إلاّ الله محمدٌ رسولُ الله. وبكلمةٍ واحدةٍ

يتبوّأُ العبدُ في الجنة غُرفاً من فوقها غُرفٌ مبنيّةٌ تجري من تحتها الأنهار، وبكلمةٍ أُخرى يزلُّ العبدُ في النار أبعدَ ممّا بين المشرق والمغرب، ولرُبَّ كلمةٍ أوردت صاحبَها المواردَ، فندمَ عليها ولاتَ ساعةَ مندم.

ولأجل هذا -أيُّها الناسُ-: كان من أولى الاهتمامات في حياة المسلم حفظُ لسانه إلاّ من الخير، وإطابةُ كلامه، قال المصطفى ﷺ: « مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ » . [متفقٌ عليه]

اللسانُ هو الميزانُ الذي توزنُ به الرجالُ، والمعيارُ الذي تُعرفُ به أقدارُها، حتى قال بعضُ السلف: (إنّي لأرى الرجلَ فيُعجبُني، فإذا تكلّمَ سقطَ من عيني).

قال عليٌّ -رضي الله عنه-: (اللسانُ معيارٌ أطَاشَهُ الجهلُ، وأرجحَهُ العقلُ). وكان ابنُ مسعودٍ -رضي الله عنه- يقول: (يا لسانُ ! قُلْ خيراً تغنمْ، واسكتْ عن شرٍّ تسلمْ قبل أن تندمَ).

وإذا أنعم الله سبحانه وتعالى على العبد بصدق اللهجة، وطيب الحديث، وجمال المنطق، شَرُفَ قدرُهُ، وحُمِدت سيرتُهُ، وحَسُنَت عاقبتُهُ، فملكَ قلوبَ الناس، وأمنوه على أقوالِهم ووصاياهم وأماناتِهم. من صَلُحَ منطقُ لسانه وطاب ظهرَ ذلك على سائرِ عملِهِ، فأكسبَه حُسْناً وأجراً وقبولاً، ومن فسَد منطقُهُ وخَبُثَ انعكس أثرُه على سائر عمله.

قال بعضُ السلف: (لا تجدُ شيئاً من البرِّ يتبعُه البرُّ كلُّه غيرَ اللسان؛ فإنّكَ تجدُ الرجلَ يصومُ النهارَ، ويُفطرُ على الحرامِ، ويقومُ الليلَ ويشهدُ الزورَ بالنهار، ولكنّكَ لا تجدُه لا يتكلّمَ إلاّ بحقٍّ فيُخالفُ ذلك عملُه أبداً).

الكلامُ هو حصادُ اللسان، ولذا كان لِزَاماً على المرءِ العاقل أن يكون كلامُه فيما يعودُ عليه بالنفع ويُجنّبه الضّررَ، وأن يحترسَ من زَلَلِهِ، وأن يحذرَ من فضولِه بالإمساكِ عن كثيرِه، والإقلالِ منه إلاّ ما كان في طاعة الله سبحانه من تهليلٍ وتحميدٍ، وذكرٍ وتسبيحٍ ودعاءٍ واستغفارٍ؛ فإنَّ الإكثارَ منه هو النجاةُ.

جاءَ أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال: دُلَّني على عَملٍ يُدخلُني الجَنَّةَ. قَالَ: «أَطْعِمِ الجَائعَ، وَاسْقِ الظَمآنَ، وأمُر بالمعروفِ، وَأَنْهَ عن المنكرِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ فَكُفَّ لِسَانَكَ إلاَّ مِنْ خَيْرٍ ». [رواه ابنُ أبي الدنيا بإسنادٍ جيّدٍ]

قال عطاءُ بن أبي رباحٍ -رحمه الله-: (فضولُ الكلام: ما عدا تلاوةَ القرآن، والقولَ بالسنّة عند الحاجة، والأمرَ بالمعروف، والنهيَ عن المنكر، وأن تنطقَ في أمرٍ لا بُدَّ لك منه في معيشتكَ، أمَا يستحي أحدُكم لو نُشرت عليه صحيفتُه التي أملاها صدرَ نهارِهِ أن يرى أكثرَ ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه، ثمّ تلا قولَه تعالى:﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۞ كِرَاماً كَاتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [الانفطار:١٠-١٢].

عباد الله:

ولقد ذكرَ أهلُ العلم أنَّ للكلامِ شروطاً لا يسلمُ المتكلّمُ من الزَلَلِ في حديثه إلاّ بالحفاظ عليها، ولا يَعْرَى كلامُه من النقصِ، ويَسْلَمَ من الخَلَلِ إلاَّ بعدَ أن يستوفيَها، ويتأدَّبَ بها في كلامه:

أولُها: أن يكون الكلامُ لداعٍ يدعو إليه؛ إمّا في جلب نفعٍ أو في دفع ضَررٍ، فالمسلمُ الحقُّ هو من يسألُ نفسَه قبلَ الكلامِ عن الداعي له، فإن وجدَ داعياً للكلامِ تكلَّمَ، وإلاَّ فالصمتُ أولى به من منطقٍ في غيرِ حينهِ؛ لأنَّ الإكثارَ من الكلامِ في غيرِ ذكرِ اللهِ وعبادتِه، أو مصلحَةِ النفسِ والآخرين سببٌ للوقوع في السَقَط، وزيادةِ الهَذَيانِ الذي يذهبُ معه الرُّشدُ، وتُستجلبُ الفضائحُ، فيكونُ القولُ مرذولاً، والرأيُ معلولاً.

قال ﷺ : « أُخْزُنْ لِسَانَكَ إلاَّ مِن خَيْرٍ؛ فَإِنَّكَ بِذَلِكَ تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ ».

[رواه الطبرانيُّ، وابنُ حبّان بنحوه]

قال عمرُ بن عبد العزيز -رضي الله عنه-: (من لم يَعُدَّ كلامَه من عمله كثُرت خطاياه). وفي الأثر: (لسانُ العاقل من وراءَ قلبهِ، فإذا أرادَ الكلامَ رجعَ إلى قلبه فإن كان له تكلَّمَ، وإن كان عليه أمسكَ، وقلبُ الجاهلِ من وراءِ لسانِه، يتكلَّمُ بكلِّ ما عَرَضَ له). ولهذا قيل في منثور الحِكَم: (اعْقُل لسَانَكَ إلاَّ عن حقٍّ توضِّحُه، أو باطلٍ تدحضُه، أو حكمةٍ تنشرُها، أو نعمةٍ تذكرُها).

يموتُ الفتى من عثرةٍ بلسانِه   ولَيْسَ يموتُ المرءُ من عثرة الرِّجْلِ

وثاني شروط الكلام: أن يكون في موضِعه ووقتِه؛ فإنَّ الكلامَ في غيرِ حينِه من القبائحِ التي تضرُّ ولا تنفعُ، فمن عَلِمَ متى يحسُنُ له الكلامُ أدركَ نجاة نفسه ونفعها.

وثالثُها: أن يكون الكلامُ على قدر الحاجة؛ فإنّه إذا زادَ عنها كان هَذَراً، وإذا نقصَ كان عِيّاً وحَصَراً، وكلاهُما شَيْنٌ يجبُ الحذرُ منه؛ فإنَّ مقتلَ الرجل بين فكّيه، وقد قال رسولُ ربِّ العالمينَ ﷺ لمعاذِ بن جبلٍ: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلى وجوهِهم إلاَّ حَصَائِدُ ألسنتِهم ؟! » .[رواه الترمذيُّ، وهو صحيحٌ]

و لله درُّ القائل:

وَزِنِ الكلامَ إذا نطقتَ فإنّما   يُبدي عيوبَ ذوي العيوبِ المنطقُ

وا للهُ عزَّ وجلَّ يكره الانْبِعَاقَ في الكلام؛ وهو التوّسعُ فيه والتكثُّر منه دون فائدةٍ تُرجى أو شرٌّ يُدفع، فنضّر ا للهُ وجهَ امرئٍ أوجز في كلامه فاقتصر على قدر حاجته، وسَلِمَ من الزَّلَل والخطأ لسانُه.

قال الإمامُ مالكُ بن أنسٍ -رحمه ا لله-: (لا خيرَ في كثرة الكلام - يعني في غير ذكر ا لله وعبادته-، واعتبرْ ذلك بالنساء والصبيان، إنّما هم أبداً يتكلّمونَ لا يصمتون).

ولقد قال المصطفى ﷺ : « إنَّ مِن البَيَانِ لَسِحْراً » .[متفقٌ على صحّته]

عباد ا لله:

ورابعُ شروط الكلام:اختيارُ الكلمات والألفاظ التي يتكلّمُ بها المرءُ من أطائبِ الكَلامِ وأنفسِهِ، والبُعْدِ عن البَذَاءَةِ والفُحْشِ في القولِ والمنطقِ؛ لأنَّ اللسانَ عنوانُ صاحبِه، يُترجمُ عن مجهوله، ويُبرهنُ عن محصوله، فهو وزيرُه

الذي يُستدلُّ به على رجحان عقله، وفصاحة لسانه، حتى لقد قال بعضُ السلف: (ما الإنسانُ لولا اللسانُ ؟ هل كان إلاّ بهيمةً مهملةً، أو صورةً مُمثّلةً).

وإنَّ لسانَ المرءِ ما لم تكن له   حَصَاةٌ على عَوراتِـه لدليـلُ

وإنَّ عُظَمَاءَ الخلقِ: لهم الذين يلتزمون في أحوالهم جميعاً ألاّ تبدُرَ منهم كلمةٌ قبيحةٌ، أو لفظةٌ سائبةٌ مغلوطةٌ أو مكذوبةٌ فيكونون بها سفهاءَ أو متطاولين على غيرهم؛ لإنَّ الكلمةَ إذا خرجت من فم الرجلِ ملكته. قال ابنُ عمرَ -رضي الله عنه-: (إنَّ أحقَّ ما طَّهَّرَ الرجلُ لسانَه).

وإنَّ من الناس -عباد الله-: من يعيشُ صفيقَ الوجه، شَرِسَ الطبع، مُنْتِنَ الفَمِ، خبيثَ اللسانِ، لا يحجُزُه عن كلامِ السوءِ حاجزٌ، ولا يعرفُ للحُسْنِ سبيلاً، لسانُه مِهْذارٌ، وفمُه ثَرْثَارٌ، تَعوَّدَ على السِّبَابِ والشَّتْمِ واللَّعْنِ والفُحْشِ والبَذَاءِ، حتى إنَّ الكلمةَ الحَسَنَة لو صَدرت منه لعُدَّت من الغريبِ النادرِ في حياته.

ولقد قال رسولُ الله ﷺ : « المُسْلِمُ مَن سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِن لِسَانِه وَيَدِه» . [رواه مسلم] ، وفي الأثر: (ما أُوتيَ رجلٌ شرّاً من فضلٍ في لسانٍ). قالت عائشةُ -رضي الله عنها-: استأذنَ رجلٌ على رسول الله ﷺ ، فقال: « بِئْسَ أخُو العَشِيْرَةِ هُوْ » . فلّما دخلَ انبسطَ إليه، وألاَنَ له القولَ، فلّما خرجَ قلتُ: يا رسولَ الله ! حينَ سمعتَ الرجلَ قلتَ كذا وكذا، ثم انطلقتَ في وجهه، وانبسطتَ إليه. فقال: « يَا عَائِشَةُ ! مَتَى عَهِدتِنِي

فَاحِشَاً ؟! ، إنَّ مِن شَرِّ الناسِ عِنْدَ ا للهِ تعالى منزِلَةً يَومَ القِيَامَةِ مَن تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ)) .[رواه البخاري]

عباد ا لله:

ومن آدابِ الكلامِ التي يجبُ أن يَزِمَّ بها العاقلُ لسانَه: ألاّ يتجاوزَ في المدح قدرَه، ولا يُسرف في الذَّمِ عن حدِّه، فلا يذكرَ كلمةً يُرضي بها بشراً، ويُسخطُ بها ربَّ البشرِ سبحانه وتعالى. قال عبدُ ا للهِ بن مسعودٍ -رضي ا لله عنه-: (إنَّ الرَّجُلَ ليدخُلَ عَلى السُّلطانِ ومعَهُ دينُهُ، فيخرُجُ وَلَيْسَ معَه ! قيلَ وكيفَ ذَلِكَ ؟! قال: يُرضيه بما يُسخِطُ ا للهَ عزَّ وجلَّ).

قال ﷺ : ((إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ ا للهِ، مَا يَظُنُّ أنَّها تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ ا للهُ بِهَا سَخَطَهُ إلى يَومِ القِيَامَةِ)) .[رواه الترمذيُّ، وهو صحيح]. ولقد قال ﷺ لرجلٍ مدحَ رجلاً آخرَ عنده: ((وَيْحَكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ)) قالها مراراً، ثمَّ قال: ((إنْ كَانَ أحَدُكُمْ لا بُدَّ مَادِحَاً أخَاهُ فَلْيَقُلْ: أَحْسَبُ فُلاَنَاً وَلاَ أُزَكِّي عَلى ا للهِ أحَدَاً)) .[رواه البخاري ومسلم]

ومن أعظم آداب الكلام: أن يُصَدِّقَه الفعلُ؛ لأنَّ مخالفةَ القولِ للفعلِ نفاقٌ، واتِّفاقَهما إيمانٌ صادقٌ، وا للهُ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصفّ:٢-٣]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

** * **

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه، كما يُحبُّ ربُّنا ويرضى، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه ، واعلموا أنّكم ملاقوه، ثـمَّ اعلموا يارعاكم الله:أنَّ طِيْبَ الكلامِ مجالٌ واسعٌ، ومفهومٌ عظيمٌ يشملُ مجالات الخيرِ كلِّها، ولقد أمرَ اللهُ تعالى عبادَه المؤمنين بذلك في غير ما آيةٍ من كتابه الكريم؛ من مثل قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ** ﴾ [البقرة:٨٣]. وقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ**

ا للهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

قال العلاّمةُ القرطبيُّ -رحمه ا للهُ-: (ينبغي للإنسان أن يكونَ قولُه للناس ليّناً، ووجهُه منبسطاً مع البَرِّ والفاجرِ، من غير مُداهَنةٍ؛ لأنّ ا لله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ [طه:٤٤]؛ يعني: لفرعون، فالقائلُ ليس بأفضلَ من موسى وهارون، والفاجرُ ليس بأخبثَ من فرعون، وقد أمرَهما ربُّهما باللين معه).

فانظروا عباد ا لله: كيف أُمرَ النبيّان الكريمان؛ موسى وهارون -عليهما السلام- أن يتلطّفا في القول مع فرعون الذي ادّعى الألوهيةَ من دون ا لله تعالى، وقال للناس: ما علمتُ لكم من إلهٍ غيري ! أنا ربُّكم الأعلى !، فأمر ا للهُ رسوليه إليه أن تكونَ دعوتُهما له بكلامٍ رفيقٍ ليّنٍ سهلٍ رقيقٍ؛ ليكونَ أوقعَ في نفسِه، وأبلغَ في قيام الحُجَّةِ عليه، وأدعى لقبولِه لدعوتِهما.

وكم يحتاجُ ذلك كلُّ مسلمٍ لتربية ودعوة من تحت يده من أهلٍ وزوجةٍ وأولادٍ وطلابَ وموظّفينَ، فهم أولى بالرِّفق واللِّين من فرعونَ الطاغيةِ.

قال ﷺ: « وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ». [رواه مسلم] ، وقال ﷺ : « عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» . قالوا: فإن لم يجد ؟ قال: « فَيَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ، وَيَتَصَدَّقَ» .قالوا: فإن لم يستطعْ، أو لم يفعل ؟ قال: « فَيُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفِ » . قالوا: فإن لم يفعل ؟ قال: « فَلْيَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ » . قالوا: فإن لم يفعل ؟ قال: « فَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَرِّ؛ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ » .[رواه البخاري]

الكلمةُ الطيّبةُ عباد الله: تحفظُ المودّةَ، وتستديمُ الصحبةَ، وتمنعُ كيدَ الشيطان أن يُوهِيَ بينَ الأصدقاءِ والإخوان من المسلمين الحبالَ، ويفسدَ ذاتَ بينِهم؛ ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً﴾ [الإسراء:٥٣]

بل إنَّ طيبَ الكلام حتى مع الأعداءِ مطلوبٌ؛ لأنَّه سببٌ في إطفاء الخصومة، وإخماد الغضبِ مِمَّا يُقرِّبُ القلوبَ، ويُذهبُ غيظَ الصدور؛ ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصّلت:٣٤]

قال طلحةُ بن عمرَ التابعيُّ لعطاءَ بن أبي رباحٍ: (إنّك رجلٌ يجتمعُ عندك ناسٌ ذوو أهواءَ مختلفةٍ، وأنا رجلٌ فيَّ حِدّةٌ، فأقولُ لهم بعضَ القول الغليظ. فقال: لا تفعل ؛ فإنّ الله تعالى يقول: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ ، قال عطاءٌ: فدخلَ في هذا اليهودُ والنصارى، فكيف بالحنيفيِّ ؟! ؛ يعني: المسلم).

الكلمةُ الطيّبةُ -عباد الله-: تغسلُ الضغائنَ المستكينةَ في الجوارح، وتجمعُ الأفئدةَ، وتجلبُ المودّةَ، ولكم في رسول الله ﷺ أُسوةٌ حسنةٌ؛ فقد قال: « لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَو أنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِقٍ » . [رواه مسلم]

قال عمرُ بن الخطاب -رضي الله عنه-: (البرُّ شيءٌ هيّنٌ؛ وجهٌ طَليقٌ، وكلامٌ ليّنٌ).

فكلُّ كلمةٍ -أخي المسلم- لا تضرُّ في الدين، ولا تُسخطُ الربَّ الكريمَ، وتُرضي الجليسَ فلا تبخلْ بها على أخيكَ المسلمِ، يأجُرُكَ الله عليها، وتكون حِجَابًا لكَ من النار.

قال ﷺ : « اتَّقوا النارَ وَلَو بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَن لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » . [متفقٌ عليه] ، وعن أبي المقدامِ، عن أبيه عن جدّه قال: قلتُ للنبيِّ ﷺ : اخبرني بشيءٍ يوجبُ الجنةَ. قال: « عَليكَ بِحُسْنِ الكَلاَمِ، وَبَذْلِ الطَّعَامِ». [رواه البخاري]

فاتّقوا الله عباد الله، واعلموا أنّكم لن تسعوا الناسَ بأموالكم، ولكن يسعُهم منكم بسطُ الوجه، وكفُّ الأذى، وحسنُ الخُلُقِ، وطيبُ الكلام.

ثمَّ اعلموا يا رعاكم الله: أنّه كما أنَّ مجالَ الكلمة الطيّبةِ واسعٌ، فإنَّ مجالَ الكلمة الخبيثة أوسعُ؛ أعظمُه الإشراكُ بالله تعالى، والقولُ على الله بغير علمٍ، وشهادةُ الزورِ، والسحرُ والقذفُ، والشتمُ والسّبابُ، والغيبةُ والنميمةُ، والكذبُ، والمراءُ والجدالُ بالباطل، وتزكيةُ النفوسِ، والخصوماتُ، والغناءُ المحرّمِ، والسُّخريةُ والهمزُ والاستهزاءُ بالمسلمين وبدينهم، كلُّ هذه من أُمّات الخبائث الموجبة للحرمان من رحمة الله، المورثةِ للضغائن والأحقاد بين الناس.

فاتّقوا الله رحمكم الله، واحفظوا ألسنتكم، وطهّروها من الخُبْثِ والخبائث، واجعلوها رطبةً بذكر الله تعالى وطاعته.

هذا صلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم اللهُ تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ

صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّىَ ا للهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)). [رواه مسلم]

اللهُّم صلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد بن عبد ا لله صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين ، وارضَ اللهُّم عن أصحاب نبيّك أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.....



الحياة الزوجية؛ مشاكلُ وحلول

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ با لله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا ا للهَ تبارك وتعالى حقَّ التقوى، وراقبوه في السرِّ والنجوى، واعلموا أنَّكم ملاقوه وإليه الرُّجعى، حاسبوا أنفسَكم، وزنوا أعمالَكم، وتزَّينوا للعرضِ الأكبرِ على ا لله، ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ**﴾ [الحاقة:١٨].

عباد ا لله:

من نِعَمِ ا لله تعالى على عبادِهِ في هذه الحياة: أن يسرَّ لهم الأسَرَ والبيوتات، ومنَّ عليهم بالزوجاتِ الكريمات؛ آيةً من آياتِه الباهرات، ونعمةً من نِعَمِه الظاهرات، سكناً ورحمةً، ولباساً ومودّةً، ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الروم:٢١].

يجدُ الرجلُ في بيته المأوىَ الكريمَ والراحةَ النفسيّةَ بعد عناءِ العملِ والكدحِ والكَلَلِ، لينفضَ عن نفسه غُبار السآمةِ، ويطرحَ عن فؤادِه متاعبَ الحياة، وتجدُ المرأةُ في بيتها -مع زوجها- أملَها المنشودَ الذي تصونُ به عفّتَها، وتحفظُ به كرامتَها، فيترعرعُ في كنفات هذا البيت وينشأُ بين جنباته جيلٌ صالحٌ فريد، في ظلِّ أبوّةٍ حادبةٍ، وأمومةٍ حانيةٍ، بعيداً عن أسبابِ القَلَقِ والتوتُّرِ، وجالبات الشقاءِ ومنغِّصات الحياة.

وهكذا يريدُ الإسلامُ من الأسرِ أن تكونَ قلاعَ خيرٍ ومحبّةٍ ووئامٍ، وحصونَ برٍّ وحنانٍ وسلامٍ، ويطلبُ من ركني الأسرة: الزوجِ والزوجةِ أن

يكونا مثالاً لحُسْنِ التعاملِ، والقيامِ بالحقوقِ والواجبات لكلٍّ منهما وعليه؛ ليُحققّا السعادةَ الزوجيّة المنشودةَ بين كلِّ عروسين، والمؤمّلةِ بين كلِّ زوجين؛ حيثُ تُرفرفُ على الأسرةِ أعلامُ المحبّةِ والهناء، وتُدوّي في جنبات البيت كلماتُ الرّحمةِ والصفاء، بعيداً عن الغشِّ والتدليسِ في الأقوالِ والعواطفِ، فكثيرٌ من الأزواج والزوجاتِ -بل جلُّهم- يطلبُ السعادةَ، ويتلمّسُ الراحةَ في بيته، وينشدُ الاستقرارَ ويبحثُ عن هدوءِ النفسِ وراحةِ البالِ مع زوجه، ويسعى للبعدِ عن أسبابِ القلقِ والشقاءِ والاضطراب ومثيراتِ الإزعاجِ، لا سيَّما في بيتهِ وأسرتهِ، وهذه وتلك لا تتحقَّقُ ولا تندفعُ إلاّ بالإيمانِ الصادقِ بالله تعالى وحدَه، والتوكُّلِ عليه سبحانه، وتفويضِ الأمور إليه جلَّ شأنُه، وقيامِ كلٍّ من الزوجين بما له وعليه تجاه الآخر.

عباد الله:

وفي سبيلِ المحافظةِ على هذه العلاقةِ الزوجيّةِ الكريمةِ، والحياةِ السعيدةِ بين الزوجين، نهى الإسلامُ عن كلِّ ما يكونُ سبباً في فَصْمِ عُرى العلاقةِ بين الزوجين، أو نشرِ العداوةِ بينهما، وأمرَ في مقابلِ ذلك بحُسْنِ العشرةِ، وقيامِ كلٍّ منهما بحقوقهِ وواجباتهِ على الوجهِ الأكملِ، وغضِّ الطّرْفِ عن الهفوات والزّلات، وسترِ العيوبِ والخطيئاتِ قدرَ الطاقة.

فمن يَتَتبّعْ جاهداً كلَّ عثرةٍ يجدْهَا ولا يسلمْ له الدَّهرَ صاحبُ

ورغّبَ سبحانه وتعالى بالإبقاء على الزوجيّة، ونهى عن كلِّ ما يُعرِّضُها للزوال، فأمرَ بالمعاشرةِ بين الزوجين بالمعروف ولو مع كراهةِ أحدِهما الآخرَ؛ حِفْظًا للأسرِ، ومنعاً للتّفكُّكِ، قال تعالى: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىَ أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً** ﴾ [النساء:١٩].

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ : « لاَ يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً؛ إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ، أَوْ قَالَ غَيْرَهُ» . [رواه مسلم]

وبيّنَ المصطفى ﷺ ما جُبلت عليه المرأةُ من الصفات؛ ليكونَ الرجلُ خبيراً بها، بصيراً بحالِها، فلا يطلبَ منها أكثرَ ممّا تُطيقُه، فقال-فيما رواه أبو هريرة-: « اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ؛ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ » .[متفقٌ عليه]

وفي روايةٍ لمسلمٍ قال: « إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسْرُهَا طَلاَقُهَا » .

أيُّها المسلمون:

وحينما يبدو الخَلَلُ في الحياة الزوجيّةِ، وتَعْصِفُ المشاكلُ بالبيتِ، ويظهَرُ النشوزُ من المرأةِ مُتعاليةً على زوجِها، خارجةً عن وظيفتِها

الطبيعيّةِ، مُقصِّرةً في حقوقِ زوجِها، مُتنكّرةً لفضائلِ بعلِها، فإنَّ العلاجَ في مثل هذه الأحوالِ في الإسلام في غايةِ العدلِ والرحمةِ؛ حيثُ أُمِرَ الزوجُ المسلمُ بأن يكونَ حليماً صبوراً مُتأنيّاً، مُتروّياً في الأمور، لا يغتالُه الغضبُ، ولا يدفعُه العَجَلُ، بل يكظمُ غيظَهَ، ويتأنّى في أمره، ويتلطّفُ بأهلِه.

يقولُ الله تعالى: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَآ أَنْفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً** ﴾ [النساء: ٣٤].

فأولُ وسائلِ العلاجِ مع الزوجةِ: الوعظُ والتوجيهُ، وبيانُ الخطأ والتقصيرِ، والتذكيرُ بالحقوقِ والواجبات، والتخويفُ من غضبِ اللهِ ومقتِه، مع سلوك مسلكِ الكياسةِ والأناةِ ترغيباً وترهيباً.

فإن لم تنجحْ هذه الوسيلةُ فقد شرعَ الإسلامُ هجرهَا في المضجعِ، فلا يهجرَ الزوجُ الغُرْفَةَ، أو الفراشَ، وإنَّما يهجرُ المضجعَ؛ فيبيتُ معَها في فِراشٍ واحدٍ، ولا يقربَها، بل يوليَها ظهرَه؛ إظهاراً لرجولتِه وقوّةِ عزيمتِه، فإنَّ ذلكَ له أكبرُ الأثرِ في معالجةِ انحرافِ الزوجةِ إذا وقع، وتقويمِ سلوكِها إذا اعوَجَّ.

فإن لم يُجدِ ذلك معَها فله ضربُها ضرباً غيرَ مُبرّحٍ، استصلاحاً لها وتأديباً. فعن حكَيم بن معاويةَ القُشيريِّ -رضي الله عنه- قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: « أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أَوِ اكْتَسَبْتَ، وَلاَ تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلاَ تُقَبِّحْ، وَلاَ

تَهْجُرْ إلاَّ فِـي الْبَيْـتِ)).[رواه أبو داود، وأحمدُ] قَـالَ أبـو داودَ: وَلاَ تُقَبِّحْ أَنْ تَقُولَ: قَبَّحَكِ اللَّهُ.

عباد الله:

وكلُّ هذه الاجراءاتِ يتّخذُها الزوجُ مع زوجتِه دونَ تدخُّلِ أحدٍ كائناً من كان. فإذا استمرَّ الشقاقُ بـين الزوجـين فقـد أمـرَ الله تعـالى بـالتّدخُّلِ بينهما من أهلِ العـدلِ والإصـلاحِ والإنصـافِ بقولـه تعـالى: ﴿ **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيـدَآ إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ الله بَيْنَهُمَآ إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً خَبِيراً** ﴾ [النساء:٣٥].

كلُّ ذلكَ حِرْصٌ من اللهِ تعالى -الخبيرِ بـأحوالِ عبـاده، الحريـصِ علـى مصالِحِهم ودفعِ الضرَرِ عنهم- على إبقـاء عقـد النكـاح، واستمرارِ الحيـاةِ الزوجيّةِ، وعدمِ وقوعِ الطـلاقِ؛ لأنّـه أبغضُ الحـلالِ إلى الله؛ لما فيـه مـن كسـرٍ للمـرأةِ ، وتشـتيتٍ للأبنـاءِ، وإحـلالِ الشـقاءِ والشِّـقاقِ في الأسـرِ والبيوتاتِ.

فإذا لم تُجْدِ هـذه الطُـرُقُ، وكـان في بقـاءِ الحيـاةِ الزوجيّـةِ ضـرَرٌ علـى الزوجين أو أحدِهما بدون مصلحةٍ راجحةٍ فقد شـرعَ اللهُ الفِـرَاقَ بينهمـا بالطلاق، وجعلَه سبحانه وتعالى في هذه الحالـةِ رحمـةً منـه، يُزيـلُ الضـرَرَ، ويُتيحُ الفرصَةَ للحصولِ على بديلٍ أحسنَ، قـال الله تعـالى: ﴿ **وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ الله كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ الله وَاسِعاً حَكِيماً** ﴾ [النساء:١٣٠].

فا للهُ عزَّ وجلَّ حينَ جعلَ الطلاقَ حقّاً للزوجِ على زوجتِه، والعصمةَ بيده دونها، فإنّه شرعَ قبلَ ذلك من الوسائل العلاجيّةِ والأمور الإصلاحيّة الوقائيّةِ التي يتّبعُها الزوجُ قبلَ إيقاعِ الطلاقِ وهدمِ الأسرة، والتي قد تكونُ بإذن ا لله سبحانه سبباً في علاجِ المشاكلِ الزوجيّةِ بطُرُقٍ وديَّةٍ، وسُبُلٍ إصلاحيّةٍ، بحيثُ لا يلجأُ الزوجُ إلى الطلاقِ إلاّ عندَ العجزِ عن حلِّ تلكَ المشكلات، حيثُ تصبحُ الحياةُ مع الزوجةِ من أصعب الصعب، عندها لا ضرَرَ ولا ضِرَارَ؛ فإنّه يجوزُ للرجلِ استعمالُ حقّه المشروعِ لإنهاءِ العلاقةِ مع زوجته.

فالطلاقُ كلمةٌ لا يشكُّ عاقلٌ من الناس في جدواها ونفعها عندما تُصبحُ الحياةُ بين الزوجين جحيماً لا يُطاقُ، وعيشاً لا راحةَ فيه ولا اطمئنانَ.

أمّا عندَ عدم الحاجةِ إليه فقد نهى الإسلامُ عنه، بل لقد حرّمَ الإسلامُ إفسادَ الزوجةِ على زوجِها بما يدعوه لطلاقها، ومن فعَلَ ذلكَ فإنّ إثمَه عظيمٌ، وعِقابَه أليمٌ، حيثُ تبرّأَ منه الرسولُ ﷺ بقوله: « لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا، أَوْ عَبْدًا عَلَى سَيِّدِهِ » .[رواه الترمذيُّ، وهو صحيحٌ]

أيُّها المسلمون:

فإذا كرِه الزوجُ زوجتَه، ولم يرغب في بقائها معه، فإنَّ ا للهَ عزَّ وجلَّ قد حرَّمَ عليه أن يُمانعَ في طلاقِها من أجلِ أن تفتدي نفسَها منه بمالِها، وأمرَه بطلاقِها من غيرِ أن يأخذَ منها شيئاً، يقولُ ا للهُ سبحانه وتعالى: ﴿ يا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَآءَ كَرْهاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾ [النساء:١٩].

قال ابنُ عبّاسٍ -رضي الله تعالى عنهما-: (هو الرجلُ يكونُ له امرأةٌ، وهو كارهٌ صحبتَها، ولها عليه مهرٌ، فَيَضُرُّها؛ لتفتدي به).

عباد الله:

أمَّا الزوجةُ فقد جعلَ الله سبحانه وتعالى لها حقّاً شرعيّاً في إنهاءِ علاقتِها مع زوجِها إذا لم تستطع العيشَ معَه؛ إمَّا لظُلمِه لها، أو لهضمِه لحقوقِها وعدمِ القيامِ بها، أو لسببٍ شرعيٍّ يبيحُ لها ذلك.

فإذا خافت المرأةُ من زوجِها جفوةً أو إعراضاً فإنَّ الله تعالى في كتابهِ الكريم يُرشدُها إلى العلاجِ الناجعِ بقولِه: ﴿ **وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ الله كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً** ﴾ [النساء:١٢٨].

فالعلاجُ بالصلحِ والمصالحةِ، والتنازلِ عن بعضِ الحقوقِ الماليةِ أو الشخصيّةِ؛ مُحافظةً على عقدِ النكاحِ، ورعايةً للأطفال خيرٌ من الشِّقاقِ والجفوةِ والنشوزِ والطلاق.

فإن لم يُجدِ ذلك معَه فقد شرعَ الله تعالى لها المخالعَةَ لزوجِها على مالٍ تدفعُه له نظيرَ فسخِ عقدِ النكاحِ معها، ﴿ **الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَن**

يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٢٩].

روى البخاريُّ وغيرُه: عن ابنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنه- أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلاَ دِينٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الإِسْلاَمِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟ ». قَالَتْ: نَعَمْ ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « اقْبَلِ الْحَدِيقَةَ، وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً ». وكان قد تزوّجَها، وجعلَ مَهْرَهَا حديقةَ نخلٍ، فأخذَ الحديقةَ وفارقَها.

أيُّها المسلمون:

والإسلامُ عندما أعطى المرأةَ حقّاً في مفارقة زوجِها عند الحاجة إلى ذلك ؛ كسوءِ العشرةِ معه ونحو ذلك، حرّمَ عليها أن تطلبَ من زوجِها الطّلاقَ من غير بأسٍ.

قال رسولُ الله ﷺ : « أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلاَقًا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ » .[رواه الترمذيُّ، وأبو داودَ، وأحمد، وهو صحيحٌ]

فاتّقوا الله عباد الله، الزموا أمرَه، ولا تتعدّوا حدودَه، واهتدوا بهدي رسوله. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات

والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

*** * ***

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه ، واعلموا أنّكم ملاقوه.

عباد الله:

يُخطيءُ كثيرٌ من الأزواج عندما يظنُّ أنَّ التهديدَ بالطلاقِ، أو التلَّفُظُ به هو الحلُّ الصحيحُ، أو الوحيدُ للخلافات الزوجيّة، والمشكلاتِ الأُسَرِيَّةِ،

فلا يعرفُ في المخاطبات سوى ألفاظِ الطلاق، في مدخلِه ومخرجه، وفي أمرِهِ ونهيه، وفي شأنِه كلِّه، وهو بهذا قد اتّخذَ آيات الله هُزُوًا، يأثمُ بفعلِه، ويهدمُ بيتَه بنفسِه، ويخسرُ أهلَه وزوجَه.

نعم أيُّها الإخوةُ ! لقد كثُرَ الطلاقُ اليومَ لمّا تولّى زمامَ الأمور المنزليّةِ أغرارٌ حُدَثاءُ، ظنّوا أنّهم بعقدِ النكاح استعبدوا المرأةَ وملكوها، واسترّقوها، يدخلُ أحدُهم وهو يُطلّقُ، ويخرجُ وهو يُطلّقُ، ويأكلُ بالطلاقِ، ويشربُ بالطلاقِ، تعيشُ زوجتُه معَه في عناءٍ، وتتجرّعُ منه الغُصَصَ والبلاء.

ونسي هؤلاء أنّ العلاقةَ الزوجيّةَ علاقةٌ متينةُ الأبعاد، عميقةُ الجذورِ، تقومُ على الحقوقِ المتبادلةِ بينَ الزوجين. قال الله تعالى: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [البقرة:٢٢٨].

وعن عمرو بن الأحوَصِ الجُشَميِّ -رضي الله عنه- أنّه سمعَ النبيَّ ﷺ في حجّةِ الوداعِ يقول: « أَلاَ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً، أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلاَ وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ ». [رواه الترمذيُّ، وصحّحَه] وقولُه: عوانٌ عندكم؛ أي:

أسيراتٌ في أيديَكم، وهو بيانٌ لضعفِ المرأةِ، وعِظَمِ القيامِ بحقِّها، والترهيبِ من التفريطِ فيه.

أيُّها المسلمونَ:

إنَّ بعضَ الناسِ هداهم الله يتلاعبونَ في الطلاق، فبعضُهم يُطلِّقُ عند أدنى سببٍ، وعندَ أولِ إشكالٍ يقعُ بينه وبين زوجتِه، فيُضرُّ بنفسه، وبزوجتِه. وبعضُهم يتزوّجُ ويُطلِّقُ ويتزوّجُ ويُطلِّقُ؛ تفكُهاً بمحارمِ المسلمين، وتلاعباً بنساءِ العالمِ من غيرِ مُبرِّرٍ للطلاقِ، لأنّه ثريٌّ أو لدافعٍ آخرَ، ومثلُ هذا ينبغي أن يَعلمَ أنَّ فعلَه هذا مكروهٌ على أقلِّ الحالات.

ومن الناس من يجري الطلاقُ على لسانه بسهولةٍ ويسرٍ، وبأدنى مناسبةٍ، فيستعملُه بدلاً من اليمينِ الشرعيَّةِ، فإذا أرادَ أن يحلِفَ على نفسِه أو على غيره قال: عليَّ الطّلاقُ، فإذا انتقضت يمينُه وقعَ في الحرجِ، وصارَ يسألُ عن الحلول التي تُنقذه من هذا المأزقِ الحَرِجِ.

وبعضُهم يتلَفَّظُ بالطلاقِ هازلاً ولاعباً، وقد قال النبيُّ ﷺ : « ثَلاَثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ: النِّكَاحُ، وَالطَّلاَقُ، وَالرَّجْعَةُ » .[رواه أبو داودَ، والترمذيُّ، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، والعملُ على هذا عندَ أهلِ العلمِ من أصحابِ النبيِّ وغيرِهم]

وبعضُ الناس يأخذُه الشيطانُ في لحظةِ غضبٍ قد تكونُ لأمرٍ تافهٍ فيبتُّ زوجتَه بالثلاث دُفعةً واحدةً، وهذا فعلٌ محرَّمٌ عليه.

عباد الله:

لقد رسمَ الإسلامُ للطلاقِ خُطَّةً حكيمةً تُقلِّلُ من وقوعِهِ، وتُجنِّبُ الزوجَ الإضرارَ والضَرَرَ؛ فجعلَ للرجلِ أن يُطلِّقَ زوجتَه إذا لزمَ الأمرُ طلقةً واحدةً أو طلقتين في طُهرٍ لم يُجامعها فيه، ويتركَها حتّى تنقضي عدّتُها، وهي ثلاثُ حيضاتٍ كاملةٍ، ثم إن بدا له في تلك الفترة أن يُراجعَها فله ذلك، وإن انقضت عدّتُها قبل أن يُراجعَها بانتَ منه، ولم تحلَّ له بعدَ ذلك إلاّ بعقدٍ جديدٍ.

وهذا هو طلاقُ السنّةِ الذي أباحه الشارعُ الحكيمُ سبحانه وتعالى: ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ • فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ • تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٢٩]. أي: إذا طلّقتَها واحدةً أو اثنتين فأنتَ مُخيّرٌ فيها ما دامت في العدّةِ، فلكَ أن تردّها إليكَ بقصدِ الإصلاحِ، والإحسانِ إليها، ولكَ أن تتركَها حتّى تنقضي عدّتُها، فتبينُ منكَ بينونةً صُغرى، وتُطْلِقُ سراحَها مُحسناً إليها، لا ظالماً لها من حقّها شيئاً.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ الْعِدَّةَ وَاتَّقُواْ اللهَ رَبَّكُمْ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ • وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لاَ

تَدْرِى لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً ﴾ [الطلاق:١]. أي طلّقوهنَّ وهنَّ طاهراتٌ من الحيض من غير أن يحصلَ منكم جماعٌ لهنَّ في هذا الطُهْرِ.

أمَّا تطليقُ المرأةِ ثلاثاً فهو مُحرَّمٌ، وإذا فعلَه فإنّها تطلُقُ عليه، وتبينُ منه بينونةً كُبرى، ولا تحلُّ له من بعدُ حتّى تنكحَ زوجاً غيرَه بزواجٍ شرعيٍّ، لا على طريقةِ التيسِ المُسْتَعَارِ، وهو أن يتّفقَ مع شخصٍ أن يعقدَ عليها، ثمَّ يُطلّقُها قبلَ الدخولِ بها، فهذا حرامٌ ممنوعٌ شرعاً. وكذلك يحرمُ على الزوجِ تطليقُ زوجتِه وهي حائضٌ، أو في طُهْرٍ جامعَها فيه؛ لأنّها رُبَّما حملت منه، فحصلَ الندمُ.

قال عليُّ بن أبي طالبٍ -رضي الله عنه-: (لا يُطلّقُ أحدٌ للسنّةِ فيندمُ، ولو أنَّ الناسَ أخذوا بما أمرَ اللهُ في الطلاقِ ما اتبعَ رجلٌ نفسَه امرأةً أبداً؛ يُطلّقُها واحدةً، ثم يدعَها ما بينَها وبينَ أن تحيضَ ثلاثاً، فمتى شاءَ راجعَها).

عباد الله:

ومن الأمور التي يجهلُها كثيرٌ من المسلمين أنَّ المرأةَ إذا طُلّقت طلاقاً رجعيّاً، واحدةً أو اثنتين في طُهْرٍ لم يُجامعْها الزوجُ فيه فعليها أن تبقى في بيت الزوج ولا تخرجَ منه ولا تُخرج . بل إنَّ الله تعالى جعلَه بيتاً لها بقوله: ﴿**لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ**﴾ لأنَّ إقامتَها في بيت الزوجِ سببٌ كبيرٌ لمراجعتِها، ومن يدري لعلَّ الله يُحدِثُ بعد ذلك أمراً تجتمعُ به قلوبُهما.

وبعضُ الناس حينما يُطلِّقُ زوجتَه نتيجةً لشقاقٍ أو خِصامٍ يترِكُ أولادَه وبناتِه منها، فلا يُبالي بهم في أيِّ وادٍ هلكوا، وكأنَّهم ليسوا بأولادِه، يعيشونَ الكَفافَ، بل لرُبَّما تكفَّفوا الناسَ، فحرمَهم بذلك من التربيةِ والرِّعايةِ والعِنايةِ والنَفَقةِ، فتشرَّدوا وضاعوا وتخلَّفوا دراسيّاً، نتيجةً لسوءِ حالتِهم الماديَّةِ، وكأنَّهم أيتامٌ لا أبَ لهم يرعاهم، ولا وليَّ لهم يتفقدَّهم، وقد تجتالُهم رفقةُ السوءِ، ثم إذا وقعوا في الجرائم والفواحش وأودعوا السجونَ جعلَ اللَّومَ كلَّه على أمِّهم، وتبرّأَ من المسئوليّة.

عباد الله:

هذه بعضُ الجوانب المهمَّةِ لأحكامِ العلاقةِ الزوجيَّةِ التي فرَّطَ فيها فئامٌ من الناس إلاّ من عصمَ الله، فأينَ الفقهُ في الدين أيُّها المسلمون ؟! لماذا تمتليءُ المحاكمُ بقضايا الزوجيّةِ والخلافاتِ العائليّةِ بين الزوجين وبين أيدينا كتابُ الله هُدىً وشفاءٌ، وسنّةُ رسولِ الله ﷺ . ولماذا تتشتّتُ الأسرُ، ويتفرَّقُ الأبناءُ بسبب الطلاق دون رحمةٍ أو محاسبةٍ ؟! ولماذا يتلاعبُ السفهاءُ والجُهَّالُ بأحكامِ الطلاقِ ؟!

إنَّ السببَ المباشرَ وراءَ هذه الأمورِ وغيرِها ممَّا تئِنُّ منه الحياةُ الزوجيّةُ، وتشتكي منه البيوتُ والأسرُ هو عدمُ الفقهِ في دين الله، وعدمُ تطبيقِه على وفقِ ما أمرَ الله تعالى به ووضَّحَه رسولُه ﷺ .

ألا فاتّقوا الله رحمكم الله، اقيموا حدودَه ولا تتجاوزوها، وحافظوا على بيوتكم وأبنائكم وزوجاتكم، وأصلحوا ذات بينكم، ثمَّ صلّوا

وسلّموا على البشيرِ النذيرِ والسراجِ المنيرِ محمـدِ بـن عبـد ا لله عليـه أفضـلُ الصلاة وأتمُّ التسليم....

ﻫ ﻫ ﻫ

خطر الجدال والمراء والخصومة

●الخطبة الأولى:

إنّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إلـه إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له ، له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، أرسله ربُّهُ هادياً ومُبشِّراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فبلَّغَ البلاغَ الأوفى، وجاهدَ الجهادَ الأعظمَ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم أيُّها الناس ونفسي بتقوى الله تعالى، المنجية من عذابه وسخطه، الموجبة لعفوه ورضوانه، عظّموا أمرَه، واحذروا سخطَه، زِنوا

أعمالَكم، وحاسبوا أنفسَكم، وأعملوا صالحاً، وافعلوا الخيرَ لعلَّكم تُرحمون.

عباد الله:

من اللَّوثاتِ الخبيثةِ والصفاتِ القبيحةِ والسجايا البغيضةِ التي بَدأ سريانُها، وتكاثرُها في أوساط الناس لَّما بَعُدُوا عن الهدي القويمِ والصراطِ المستقيمِ الذي جاءَ به المصطفى ﷺ من عندِ ربِّه سبحانه وتعالى؛ ليُخرجَ الناسَ من الظلمات إلى النور: المراءُ والجِدالُ؛ وهو تردُّد الكلام بين شخصين بقصدِ إبطالِ كلامِ أحدِهما، ومن ثمَّ الاعتراضُ على كلام الغير بإظهارِ النقصِ والغلطِ فيه؛ إمَّا في لفظِه أو في معناه أو في قَصْدِ المتكلِّمِ منه.

والجدالُ والمراءُ عباد الله: مظنَّةُ الضغائنِ والأحقادِ، وقساوةِ القلوبِ وتنافُرِها، وحضورِ الشياطين؛ فإنَّ الشيطان أيسَ أن يعبده المسلمون فعمدَ إلى التحريش بينهم ليتخاصموا فيفسدوا.

الجدالُ: يأكلُ الحسناتِ ، ويورثُ السيئاتِ، وهل يَكبُّ الناسَ في النار على وجوهِهِم إلاَّ حصائدُ ألسنتهم ؟!

عن ابي أُمَامَةَ الباهليِّ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله ﷺ : ((مَا ضَلَّ قَومٌ بَعدَ هُدَىً كَانوا عليه إلاَّ أُوتوا الجَدَلَ ، ثُمَّ تلا قولَه تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨])) . [رواه الترمذيُّ وهو صحيحٌ]

المراءُ والجـدالُ نفعُـه قليـلٌ، وضـررُه عظيـمٌ، لا يُقنـعُ بحـقٍّ ، ولا يُحـقُّ باطلاً، بل يكونُ وسـيلةً لتهييـجِ العـداوةِ بـينَ الإخـوانِ، وتَهْدِيـمِ الرَّوابـطِ الإنسانيَّةِ بينَهم. قال الإمـامُ الأوزاعـيُّ -رحمـه الله-: (إذا أرادَ الله بقـومٍ شَرّاً أَلزَمَهُمُ الجَدَلَ، وَمنَعَهُم العَمَلَ).

وأعظمُ ما يكونُ فسادُ الجدالِ والمِراءِ: إذا كان في الديـنِ؛ فإنَّـه مُحْبِـطٌ للأعمالِ، وصادٌّ عن الحقِّ، حتى قال الفـاروقُ -رضـي الله عنـه-: (إنَّمـا يَهْدِمُ الإسلامَ زلَّةُ عَالِمٍ، وجِدَالُ مُنَافقٍ بالقرآن، وأئمةٌ مُضلّون).

الجدالُ -عباد الله-: يَمْحَقُ الدينَ، ويحرمُ صاحبَه من الوصولِ إلى الحقِّ ومعرفةِ الرُّشدِ، يُنبـتُ الشـحناءَ في صـدورِ الرجـالِ؛ ممَّـا يـورثُ الكراهيـةَ والبغضاءَ بين الناس، ويُفسدُ الصداقةَ بينَهـم، ويحلُّ العقْدَ الوثيقةَ، وأقـلُّ مـا فيه: أن يكون دريئةً للمغالبةِ، والمغالبةُ أقوى أسبابِ القطيعةِ، بل هي سببٌ مباشرٌ للتمادي في الباطلِ والجُرأةِ على الكذب، وهذه كلُّها خصالٌ ذميمـةٌ توجبُ البعدَ والحرمان من الجنّة.

قال ﷺ : « أَنَا زَعِيْمٌ ببيتٍ فِي رَبَضِ الجنَّةِ لِمَنْ تَـركَ المِـراءَ وإنْ كَـانَ مُحِقّاً، وَببيتٍ فِي وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ تَركَ الكَذِبَ وَإنْ كَـانَ مَازِحَـاً، وَببيـتٍ فِي أَعلَىَ الجنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُه » . [رواه أبو داود وهو صحيحٌ]

قال بلالُ بن سعدٍ -رحمه الله-: (إذا رأيتَ الرجلَ لجُوجَاً مُعْجَبَاً برأيِهِ فَقَد تمَّتْ خَسَارتُه).

والإنسـانُ -عبـاد الله-: أكـثرُ شـيءٍ جـدلاً؛ لأنَّ القُـدُرَاتِ الفكريَّـةِ والعقليَّةِ التي زَوَّدَه بها الخالقُ العظيمُ سبحانه وتعالى وفضّله بها علـى كثـيرٍ

مِّمن خلق تفضيلاً تُمكِّنه من استخدامِ أكثر الحِيَلِ الكلاميَّةِ مع المراوغةِ والمخادعةِ بالمكر العظيم والحجّة البالغة، وحين تدفعُه أهواؤه الجامحةُ وشهواتُه الجانحةُ إلى تجاوز حدود الحقِّ والعدل، والخير والفضيلة يظلُّ حرصُه قائماً على أن يظهر أمامَ الناس بمظهر الكمال، فتتولّد عندَه الرغبةُ الشديدةُ بإثبات سلامة تصرُّفه، وصحّةِ منهجه في الحياة، وقد تستبِّدُ النفسُ، وتُغري بالمغالبةِ، وتحملُ صاحبَها على المناوَشَةِ لغيره بالحديث، وتصيُّدِ الشُّبهاتِ التي تَدْعَمُ جانبَه، والعبارات التي تروّجُ حجّته، فيلجأُ إلى التزيين والتبرير بالباطل فإذا وجد مخالفةً أو معارضةً لجأ إلى خُطّة الجدال التي يصنعُ من خلالها ما يصنعُ المقاتلُ، راغباً في الانتصار على خصمه، لا حريصاً على الوصول إلى الحقِّ بالمناظرة الشريفة العفيفة، ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَـذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً** ﴾ [الكهف:٥٤].

الجدالُ -عباد الله-: فطرةٌ فطرَ الله عليها البشرَ، بل إنَّ فِئاماً من الناس قد أُوتوا بَسْطَةً في الألسُنِ، وبلاغةً في الكلامِ، وقدرَةً على الخِصام والجِدالِ؛ فالكلامُ عندَهم شهوةٌ غالبةٌ لا يملُّونَه أبداً، ديدنُهم الجدالُ والمراءُ ولو كانوا يعلمون أنّ الحقَّ مع غيرهم، أُشربت قلوبُهم ونفوسُهم حبَّ الجِدالِ حتى في المُسَلَّماتِ والبَدَهيَّاتِ المعلومةِ، وربَّما تراهنوا وتقارعوا على أمورٍ لا تُحملُ ذلك كلّه، ترى أحدَهم ثرثاراً مُتقعِّراً في كلامِه، يلوي لسانَه للنَّاس ليَّ البقرِ للمرعى بلسانِها، لو قلتَ له: إنَّ الشمسَ في كَبدِ

السماءِ لما صدَّقَ، ولجادلَ وخاصمَ، ولو رفعَ بصرَه إلى السماءِ لأبصرَها، يتّقيه الناسُ ويحذرونَ من مماراتِه في الكلام اتّقاءَ فُحْشِه.

ولقد قال المصطفى ﷺ : «إنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إلى اللهِ: الأَلَدُّ الخَصِمْ». [رواه البخاري].

قال ابنُ عباسٍ -رضي الله تعالى عنهما-: (كفى بِكَ ظُلْمَاً ألاَّ تَزَالَ مُخَاصِمَاً، وَكَفَى بِكَ إِثْمَاً ألاَّ تَزَالَ مُمَارِيَاً).

أمَّا المزاحةُ والمراءُ فدعهُما ... خُلقانِ لا أرضاهُما لصَديقِ
إنِّي بلوتُهما فلم أحمدْهُما ... لمجاورٍ جارٍ ولا لرَفِيْقِ
والجهلُ يُزري بالفتي في قومِهِ ... وعروقُه في الناسِ أيُّ عُرُوقِ

الجدالُ -عباد الله-: عادةُ اليهود والنصارى الذين جادلوا رُسُلَ اللهِ تعالى وأنبياءَه إليهم؛ ليصدُّوا أتباعَهم عن الحقِّ الذي جاءوا به، ويبطلوه، والقرآنُ كلُّه كادَ أن يكون حديثاً عن جدالِ الأممِ لأنبيائِهم ورسلِهم، وما آذوهم به ، وكذَّبوهم فيه، ﴿ **يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ** ﴾ [الأنفال:٦].

ولهذا حرَّم الإسلامُ الجدالَ العقيمَ الذي يُبنى على الباطلِ، ويُدافعُ عنه؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ ، وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ** ﴾ [البقرة:١٩٧]. قال الإمامُ مالكُ بن أنسٍ -رضي الله تعالى عنه-: (الجدالُ في الحجِّ: هو أنَّ قريشاً كانت

تقفُ عندَ المَشْعَرِ الحرامِ بالمزدلفة بقُـزَحْ، وكـانت العـربُ وغـيرُهم يقفـون بعرفةَ، فكانوا يتجادلونَ؛ يقولُ هؤلاء: نحنُ أصوبُ، ويقـولُ هـؤلاء: نحـنُ أصوبُ، فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ * وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحج:٦٧]. فهذا الجدالُ).

ولهذا كره السلفُ كثرةَ الجدالِ، ونهوا عنه، وزَجَروا عن الخوضِ فيـه، وحذّروا من التوسُّع فيه؛ لأنّ التوسُّعَ في الجدالِ من قلّةِ الوَرَعِ؛ فإنَّ المؤمـنَ قليلُ الكلام، كثيرُ الصمت، إلاَّ بذكر الله عـزَّ وجـلَّ، والجـدالَ ليس مـن ذكر الله، وقد قال الحسنُ البصريُّ -رحمه الله- لّما سمع قومـاً يتجـادلون: (هؤلاء ملّوا العبادةَ، وخفَّ عليهم القولُ، وقلَّ ورعُهم فتكلّموا).

بل لقد كان الخلفاءُ والولاةُ يُعزِّرُونَ المجادلين ويؤدِّبونهـم، لا سـيَّما إذا كان جدالُهم في العبادة أو في الأمور الغيبيَّةِ المتعلّقةِ بـالله تعـالى أو بصفاتـه أو باليوم الآخر أو القدر، من الأمور الغيبيّة التي أُمِرَ المسلمون بالإيمـان بهـا دون سؤالٍ وخوضٍ في كيفيَّتِها.

ولقد كان الصحبُ الكرامُ -رضي الله تعالى عنه- من أبعد الناس عـن الجدال والمراء؛ ومّما يوضّحُ ذلك بجلاء: ما فعله الصدِّيقُ -رضي الله عنـه- عندما أتاه الناسُ يقولون: إنَّ محمداً يَزْعُمُ أنّه أُسرِيَ به، وزارَ بيتَ المقدسِ، وعُرِجَ به إلى السماءِ في ليلةٍ وعادَ. فقال: إن كانَ قال ذلك فقد صَدَقَ.

وأعظمُ من ذلك: ما فعلَهُ الصحابـةُ -رضـي الله عنهـم- بقبـاءِ عندمـا أتاهم البشيرُ وهم في صلاة العصر يُصلّون جهةَ بيت المقدس، فأخـبرَهم أنَّ

القبلةَ تحوّلت إلى مكةَ، فأداروا وجوهَهم في الصلاة وأكملوها إلى مكة، ولم يُجادلوا ولم يسألوا.

وهذا هو الواجبُ على المسلم؛ إذا سمعَ كلاماً من مصدرٍ يثقُ به أن يُصدّقه إن كان حقّاً، أو يُعرضَ عنه إن كان باطلاً وكذباً، ويبتعدَ عن المماراة والمجادلة فيه.

قال الحكيمُ لقمانُ لابنه وهو يعضُهُ: (يا بُنيَّ ! لا تُمارينَّ حكيماً، ولا تُجادلنَّ لَجُوجَاً، ولا تُعاشِرَنَّ ظَلوماً، ولا تُصاحبنَّ مُتَّهَماً). وفي منثورِ الحِكَمِ: لا تُمارينَّ حَليماً ولا سَفيهاً؛ فإنَّ الحَليمَ يغلبُكَ والسفيهَ يؤذيكَ.

ويُخطئُ في الفهم -عباد الله- من يظنُّ أنَّ الامتناعَ عن المِراءَ والجدالَ، أو الصمت حين تطاولَ ألسِنَةِ الآخرينَ نوعاً من الضَّعْفِ والهَزيمةِ، كلاّ بل إنَّ ذلكَ تعقُّلٌ وحكمةٌ، وَضَبْطٌ للنفس، وإنْ بَدَا لضعافِ الإيمانِ والعقولِ عكسُ ذلك؛ فقد ذكر الله في صفات عباده المؤمنين أنَّهم ﴿ **وَإِذَا سَمِعُواْ اللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ** ﴾ [القصص:٥٥] ، ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً** ﴾ [الفرقان:٦٣].

ولقد قال المصطفى ﷺ : ((لَيْسَ الشَّدِيْدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيْدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ)) . [متفقٌ عليه]

ولقد أحسنَ من قال:

إذا نَطَقَ السَّفِيْهُ فَلا تُجبْهُ فخيرٌ من إجابتهِ السُّكُوتُ

وإذا بُليتُ بجاهلٍ متحامــــلٍ يجدُ المُحالَ من الأمـــور صـواباً
أوليتُه منّي السُّكُوتَ وربُّمـا كانَ السُّكوتُ عن الجوابِ جَواباً

ثمَّ اعلموا -رحمكم الله-: أنّ الجدالَ له بواعـثُ ومنشّطاتٌ؛ أهمُّها: الغرورُ، والكبرياءُ، والخُيلاءُ، والإعجابُ بالرأي، وإظهارُ العلم، وادّعاءُ المعرفة، وقصدُ الأذى والنَّيلِ من الآخرين، واتّباعُ الأهواء والشهوات والإرادات الباطلة، وتغطيةُ ذلك كلّه بحُجَجٍ كلاميّةٍ مزوّرةٍ يعلم المرءُ من داخل نفسه بطلانها، ولكنّه يدافعُ عنها، ويسترها؛ لضعف نفسه، ودنوِّ همّته، فإنّ الحقَّ أحقُّ أن يُتّبع، وقد كشف الله تعالى ذلك بقوله جلّ شأنُه: ﴿ **بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۞ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ** ﴾ [القيامة:٥-٦].

فاتقوا الله -عباد الله- اتّبعوا الحقَّ، واحذروا الباطلَ، واقتدوا بهدي رسولكم الأمين، وصحابته الكرام.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ ا لله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ ا للهِ ورسولُه صلى ا لله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا ا لله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه ، واعلموا أنّكم ملاقوه، ثـمّ اعلموا يارعاكم ا لله: أنَّ الجدالَ والمراءَ في الغالب مذمومٌ محرّم، ولكنّه ليس على هذا الحكم دائماً فإنَّ الجدالَ المعتدلَ المبنيَّ على العلمِ والبصيرةِ وحُسْنِ الخُلُقِ والرِّفْقِ واللِّيْنِ وحُسْنِ القَصْدِ والدَّعـوةِ إلى الحـقِّ وردُّ البـاطلِ جـدَالٌ ممدوحٌ مرغوبٌ فيه؛ قال ا لله تعالى فيـه: ﴿ **ادْعُ إِلِىَ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَـةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَـمُ بِمَـن ضَـلَّ عَـن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [النحل:١٢٥]. بل إنَّ جدالَ المشـركينَ والكفـارَ والمنافقينَ والمبتدعةَ في سبيل ردِّ زَيْغِهِم وضلالِهم واجبٌ علـى كـلِّ مسـلمٍ ومسلمةٍ؛ فقـد قـال المصطفـى ﷺ : « جَـاهِدُوا المشـركينَ بـأموالِكُم وأنفسِكُم وألسنتِكُم » .[رواه أبو داود والحاكم، وإسناده صحيح]

وإنّما يكون الجدالُ مذموماً محرّماً إذا كان بدون علمٍ وفهمٍ، وقُصِدَ منه الشَّغَبُ والتمويهُ ونُصْرَةُ الباطلِ بعد ظهورِ الحـقِّ وبيانـهِ، وهـذا هـو الـذي ذكره ا لله تعالى عن المشركين في قوله:﴿**كَـذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُـوحٍ وَالأَحْـزَابُ**

مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر:٥].

ولكم عباد الله أن تتصوّروا أحوال المتجادلين من المسلمين في الخصومات؛ الذين يمسون في غضب الله، ويُصبحون في سخطه، يكسبون السيئات، ويخسرون الحسنات، قد أرخوا للشياطين أَزِمَّةَ ألسنتِهم يخوضون بها في بحار الجهل ومستنقعات الرذائل، ممَّن عناهم المصطفى ﷺ بقوله: «إنَّ الله يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ، سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، جِيْفَةٍ بِاللَيلِ، حِمَارٍ بِالنَّهارِ، عَالِمٍ بَأمرِ الدُّنيا، جَاهلٍ بَأمرِ الآخِرَةِ ».[رواه البيهقيٌ وابنُ حبّان، وهو صحيحٌ]

عن وائل بن حُجْرٍ -رضي الله عنه- قال: جاءَ رَجلٌ من حضرموت ورجلٌ من كنده إلى النبيِّ ﷺ ، فقال الحضرميُّ: يا رسولَ الله ! إنَّ هذا قَدْ غَلَبَنِي على أرضٍ كانت لأبي. فقال الكنديُّ: هي أرضي في يدي أَزْرَعُها، ليسَ له فيها حقٌّ. فقال رسولُ الله ﷺ للحضرميِّ: « أَلَكَ بَيِّنَةٌ ؟» قال: لا ! قال: « فَلَكَ يَمِيْنُهُ» . قال: يا رسولَ الله ! إنَّ الرَجلَ فاجرٌ ، لا يُبالي عن ما حلفَ عليه، وليسَ يَتورَّعُ من شيءٍ. فقال: « لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إلاَّ ذَلِكَ ! » . فانطلقَ لَيحْلِفْ، فقالَ رسولُ الله ﷺ لَمَّا أَدْبرَ: « أَمَا لَئِنْ حَلَفَ عَلى مَالٍ لِيأْكُلَهُ ظُلْماً لَيلقَيَنَّ الله وَهُو عَنْهُ مُعْرِضٌ ».[رواه مسلم]

الجدالُ -معاشر المسلمين- فطرةٌ فطر الله عليها البشر، ولكنّه وجّه وأرشدَ إلى الوسائل الكفيلة بتهذيبه للاستفادة منه في الخير الذي قد ينتجُ عنه، وتفادي الشرِّ الذي قد يُفضي إليه، ولهذا نَهى عن الجدالِ بالباطلِ،

والجدال في أمور الدنيا التي قد تورثُ الضَغائِنَ والأحقادَ إلاّ بقدر الحاجـة، وأمر بالجدال بالتي هي أحسنُ للدعوة إلى ا لله، وكسب قلوب الخلق، وردّ الأهواء والباطل.

قال الإمامُ الذهبيُّ -رحمه ا لله-: (إنْ كانَ الجدالُ للوقوف علـى الحقِّ وتقريره كان محموداً، وإن كان الجدالُ في مدافعة الحقِّ أو كـان بغير علـم كان مذموماً، وعلى هذا تُنزَّلُ النصوصُ الواردةُ في إباحتِه وذمِّهِ).

اللهُّم صـلِّ وسلّم على عبدك ورسولك محمد بن عبد ا لله صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين ، وارضَ اللهُّم عـن أصحـاب نبيّـك أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.....

❧ ❧ ❧

اعدلــوا هو أقــرب للتقـــوى

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتـوبُ إليـه ، ونعـوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلـل فـلا هـادي لـه ، وأشـهدُ أن لا إلـه إلاّ الله وحـدَه لا شـريكَ لـه ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلـى آلـه وصحبـه وسـلّم تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُوتُـنَّ إِلاَّ وَأَنْتُـمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُـواْ رَبَّكُـمُ الَّـذِي خَلَقَكُـمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَـا أَيُّهَـا الَّذِيـنَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُـمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله سبحانه وتعالى فإنّها نعمةُ الوصيَّةُ، والموعظةُ البليغةُ لمن التفتَ بكلّه إليها، ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً** ﴾ [الطلاق:٢-٣].

أيُّها المسلمون:

العدلُ أساسُ الشرائعِ السماويّةِ، وسببُ المصالحِ الدنيويَّةِ، تواطأت على حكمه الرسالاتُ الإلهيّةُ، والعقولُ الحكيمةُ، والفِطَرُ السويّةُ. وحُسنُ العدل وحبُّه مستقرٌّ في حنايا النفوسِ المفطورةِ على الخيرِ، فكلُّ نفسٍ تنشرحُ لمظاهر العدل، وتشمئزُّ من مظاهرِ الظلمِ، ما دامت بمعزلٍ عن هوىً يغلبُها، أو شهوةٍ تُطغيها.

ولقد تواترت نصوصُ الكتاب والسنّة على الدلالة القاطعة على أنّ العدلَ دِعامَةُ بناءِ الأمَمِ، ومستقرُّ أساسات الدول والجماعات، وباسطُ ظلال الأمنِ، ورافعُ أبنيةِ العزِّ والمجدِ. فالقسطُ والعدلُ هو غايةُ الرسالات السماويّةِ كلِّها، المنبثقةِ من مشكاةِ التوحيدِ الخالصِ لله تعالى، الذي يُمثّلُ العدلَ في أبهى صوره، ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحديد:٢٥].

والعدلُ في أصلِه: هو وضعُ الشيءِ في موضعِه، وأداءُ الحقوقِ كاملةً غيرَ منقوصةٍ، وأعظمُها في ذلك: حقُّ الله تعالى على العباد؛ أن يعبدوه وحدَه لا يشركونَ به شيئاً، فمن قامَ بهذا الحقِّ، فعبدَ الله وحدَه على وفق ما شرعَ، وأدَّى هذا الحقَّ على وجهِه وقامَ بحقوق اللهِ تعالى فقد قامَ بأعظمِ العدل، ومن جعلَ هذا الحقَّ لغير الله؛ فعبدَ غيرَه، وتعلّقَ بغيره، رغبةً ورهبةً وتألُّها، واستعانةً واستغاثةً، فقد ظلمَ نفسَه، وعدلَ عن العدل، وصدقَ فيه قولُ الله سبحانه: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١].

أي: يعدلون به غيرَه، ويسوونَه بسواه ممّن ليس فيه من أوصافِ الألوهيَّةِ شيءٌ، ولا يملكُ لنفسه ولا لغيره مثقالَ ذرَّةٍ من النفعِ أو الضُّرِ.

فمن أظلمُ ممّن سوّى المخلوقاتِ الفقيرةِ الناقصةِ بالإله الغنيِّ الكاملِ سبحانه وتعالى عمَّا يفعلُ الظالمونَ ويقولون علوّاً كبيراً.

لما نزلَ قولُ الله سبحانه: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوَاْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢]، شقَّ ذلك على الصحابة، فقالوا: يا رسولَ الله! وأيُّنا لم يظلم نفسَه؟! فقال ﷺ: « لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لاِبْنِهِ: ﴿ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ». [رواه مسلم]

عباد الله:

بالعدلِ قامت السمواتُ والأرضُ، فهو أساسُ الاطمئنانِ، ومفتاحُ الحقِّ، وجامعُ الكلمةِ، ومؤلِّفُ القلوبِ، يشتدُّ به أمرُ الضعيفِ، ويقوى

رجاؤه، ويهونُ به أمرُ القويِّ، وينقطعُ طَمَعُه، قد قالها الصدِّيقُ -رضي الله عنه- واضحةً صريحةً لصحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ، ورضي عنهم: (الضعيفُ فيكم قويٌّ عندي حتّى آخُذَ الحقَّ له، والقويُّ فيكم ضعيفٌ عندي حتّى آخُذَ الحقَّ منه).

العدلُ هو الأساسُ الذي أُخْرِجَت عليه هذه الأمّةُ أمّةً وسَطًا ليكونوا شهداءَ على الناس، ويكونَ الرسولُ عليهم شهيداً، ولذلك: أُمِرَت بالعدلِ في حياتِها كلِّها: ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً** ﴾ [النساء:٥٨].

والعدلُ في حقيقته: هو محاسبةٌ للنفس بلا تفريطٍ أو مجاوزةٍ، وتعاملٌ مع البشرِ على مقتضى الشرعِ الحنيفِ، فالإسلامُ عدلٌ كلُّه، وصدقٌ كلُّه، خبرُه صدقٌ وحكمُه عدلٌ، ﴿ **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلِ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [الأنعام:١١٥].

عباد الله:

إنَّ العدلَ أسمى غايةٍ، وأشرفُ وسيلةٍ، وأعظمُ طِلْبَةٍ. والعدلُ مع الله تعالى ومع الناس أعظمُ ما حُفِظَت به المكانةُ، وَنِيْلَت به العزَّةُ والكرامةُ، وَصِيْنَت به الحقوقُ.

قال عمرُ بن عبد العزيز لمحمد بن كعبٍ القُرَظيِّ -عليهما رحمةُ الله-: (صفْ لي العدلَ ! قال: سألتَ عن عظيمٍ، ثمَّ قال: كُن للصغير أباً،

وللكبيرِ ابناً، وللمِثْلِ أخاً، وللنساء كذلك، وعاقبِ النـاسَ بقـدر ذنوبهـم، علـى قـدر احتمـالِهم، ولا تضربـنَّ لغضبـكَ سـوطاً واحـداً فتكـونَ مـن العادينَ).

والعدلُ في الإسلام واسعُ المجال؛ حيثُ شملَ كلَّ ميـادينَ الحيـاةِ، تحقيقـاً للسعادة، ولا عجبَ ، فقد أمرَ ا لله تعالى بالعدلِ حتّى مع الأعداءِ، وحـثَّ على القسطِ مع الجميع الذي تُحفظُ به الحقوقُ، وتُصانُ الكرامـاتُ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءِ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّاً أَوْ فَقَيراً فَا للهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُـواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ا للهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾ [النساء:١٣٥].

عدلٌ في المنهجِ، وعدلٌ في الكلمةِ، وعدلٌ في القولِ والعمل، وهـذا هـو عينُ العدلِ، تلكَ السِّمةُ البارزةُ للإسلامِ الحنيفِ الـذي جـاءَ بـه محمـدُ بـنُ عبد ا لله ﷺ ، وتلك هي القِمَّةُ العُظْمَى، والمُرتقى الصعـبُ الـذي لا يبلغُـه إلاَّ أصحابُ الكمال ؛ الذين رضوا با لله ربّـاً، وبمحمـدٍ ﷺ نبيّـاً ورسـولاً، وبالإسلامِ ديناً ودستوراً وحكَماً، ﴿ **وَإِنْ حَكَمْتَ فَـاحْكُم بَيْنَهُـم بِالْقِسْـطِ إِنَّ ا للهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [المائدة:٤٢].

العدلُ أساسُ المُلكِ، ومعيارُ السعادةِ، ومقياسُ الحضارةِ، إذا سادَ العـدلُ أمّةً من الأمَم حُفِظت الحقـوقُ، ونُصِـرَ المظلـومُ، وولّـت الهمـومُ، وأدبـرت الغمومُ، ولا فرَّطَ فيه مجتمعٌ إلاَّ هُدِّمَ بنيانُه، وقوِّضت أركانُـه، وأنتشـرَ فيـه الفسادُ والخرابُ.

غيابُ العدلِ سببٌ لظهورِ الظلمِ، المؤدي إلى الفسادِ والاستعبادِ والـذُلِّ والقهـرِ. وهـذه كلُّهـا عوامـلُ مهدِّمـةٌ، وأسـبابٌ لانقـراضِ الأُمَـمِ، وزوالِ الشعوب، يصوِّرُ ذلك قولُه ﷺ في خبرِ المرأةِ المخزوميَّـةِ الـتي سـرقت، لّما كلّمَه فيها أسامةُ بن زيدٍ -رضي ا لله عنه-: « أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِـنْ حُـدُودِ اللَّهِ ؟». ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: « إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُـمْ أَنَّهُـمْ كَـانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّـرِيفُ تَرَكُـوهُ، وَإِذَا سَـرَقَ فِيهِـمُ الضَّعِيـفُ أَقَـامُوا عَلَيْـهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَـرَقَتْ لَقَطَعْـتُ يَدَهَـا » .[متفقٌ عليه]

وفي الصحيحِ أنه ﷺ قال: « حَدٌّ يُقَـامُ فِـي الأَرْضِ خَـيْرٌ مِـنْ أَنْ يُمْطَـرَ النَّاسُ أَرْبَعِيْنَ صَبَاحَاً » .

عباد ا لله:

لقد حرَّم ا للهُ تعالى الظلمَ على نفسِه، وجعَلَه بينَ العبادِ مُحرَّماً، فالمسلمُ أخو المسلمِ لا يخذلُه، ولا يظلمُه، ولا يحقرُه، ولا يُسلمُه، ووقفَ المصطفـى ﷺ وهـو يـودِّعُ الأمّـةَ في المجمـعِ العظيـمِ يـومِ عرفـةَ قـائلاً: « إِنَّ دِمَـاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ » . [متفقٌ عليه]

وعندَ البخاريِّ من حديث جابرٍ -رضي ا لله عنه- قال: قال رسولُ ا لله ﷺ: « اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

أما وا للهِ إنَّ الظُّلْــمَ شــؤمٌ ... وما زالَ المسيءُ هو الظلومُ
إلى ديَّانِ يومِ الدين نمضــي ... وعنـدَ ا لله تجتمـعُ الخصـومُ
ستعلمُ في الحسابِ إذا التقينا ... غداً عــندَ الإلـهِ من الملـومُ

أيُّها المسلمون:

كـم في النـاس مـن ظلَمَـةٍ طُغـاةٍ، لم ينـزجروا بوعيدٍ، و لم يخشـوا يـومَ الوعيدِ، ظلموا عباد ا للهِ بانتهاكِ أعراضِهم، وسـلبِ حقوقِهـم، واغتصـابِ أموالِهم ومقدَّراتِهم، جُبلت نفوسُهم على الظلمِ والجبروتِ والطُّغيان، فلـم يُبالوا بأيِّ شخصٍ ظلموه.

واجلِ الطرفَ يمنةً ويسرةً -أخي المسـلمُ- لـترى كثـيراً مـن المظلومـين المغبونين في هذه الحياة، على تفـاوتٍ في درجـاتِ الظلـمِ والغَبْـنِ، يتقلّبـونَ على فرُشِهم، وتسهرُ عيونُهم حينَ ينـامُ الظلمـةُ مـلءَ جفونِهـم، وحـينَ لا يجدونَ من البشرِ نصيراً ولا مُعيناً يرفعونَ أكفَّ الضراعـةِ إلى ا لله، يطلبـونَ منه النصرَ على من ظلمَهم، فنعمَ المولى، ونعمَ النصيرُ.

عند الطبرانيِّ من حديث خُزيْمةَ بنَ ثابتٍ -رضي ا لله عنه- أنَّ رسولَ ا لله ﷺ قال: « اتَّقُوا دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَىَ الغَمَـامِ، فَيَقـُولُ ا للهُ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَو بَعْدَ حِيْنٍ » .

لاتظلمنَّ إذا ما كنتَ مُقتدراً ... فالظلمُ مرتعُه يُفضـي إلى الندَمِ
تنامُ عيناكَ والمظلـومُ منتبـهٌ ... يدعـو عليكَ وعينُ ا للهِ لم تنَـمِ

يجبُ أن يستقرَّ في الأذهان -يا عباد الله- أنَّ الظلمَ حرامٌ، وأنَّ الظالمَ مخذولٌ، والمظلومَ منصورٌ ولو بعدَ حينٍ، وأنَّ دعوتَه مستجابةٌ، فسهامُ الليل لا تُخطيء ولكن لها أمدٌ، وللأمدِ انقضاءُ، وقد تتأخّرُ لحكمةِ الله تعالى ومشيئتِه، وقد ثبت في الصحيح أنّه ﷺ قال: « إنَّ الله لَيُمْلِي للظَالِمِ حتّىَ إذَا أَخذَه لَمْ يُفلِتْهُ، ثمّ قرأ قولَه تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ » [هود:١٠٢].

وقد يكونُ بين المظلومين أشعثُ أغبرُ ذي طِمْرَين باليينِ لو أقسمَ على الله تعالى لأبرَّ اللهُ قَسَمَهُ.

فاتّقوا الله عباد الله، وتحلّوا بالعدل، وابتعدوا عن الظلم، فإنّه سببٌ للهلاكِ والدّمارِ، فقد أهلكَ اللهُ الأمَمَ ودمَّرَ الديّارَ، وأفنى الشعوبَ لّما ظلموا، وتلك سنّةُ الله التي لا تتخلّفُ عن القومِ الظالمين، ﴿ **وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً** ﴾ [الكهف:٥٩]. ﴿ **وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ**﴾ [الأنبياء:١١].

أقول قولي هذا وأستغفرُ الله تعالى فاستغفروه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد:

فاتّقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه ، واعلموا أنّكم ملاقوه.

ثم اعلموا عباد الله:

أنَّ للعدلِ صوراً متعدّدةً، أجلُّها قدراً، وأعظمُها مكانةً: العدلُ في الأقوال؛ فهو الأمنيةُ الغاليةُ، والغايةُ النبيلةُ النفيسةُ في هذه الأيّامِ، فكم حكم الإنسانُ على غيرِهِ بغيرِ عدلٍ؛ إمَّا بغيبةٍ ونميمةٍ فاجرةٍ كاذبةٍ، أو بإلصاقِهِ بالكفرِ والضلالِ والبدعِ التي هو منها بريءٌ نتيجةَ الهوى المُتّبَع، والشُّحَ المُطاع.

ويعظمُ الأمرُ حينَ يكونُ ذلك بقصدِ التجريحِ والتشهيرِ بالمسلمين، **﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىَ وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾** [الأنعام:١٥٢].

يلي ذلك: العدلُ مع الأهلِ؛ لا سيّما الزوجةِ بإعطائها حقوقَها التي شرعَ اللهُ لها، وافيةً كاملةً غيرَ منقوصةٍ، وتوجيهها التوجيهَ الشرعيَّ السليمَ، وتعليمها ما تحتاجُ إليه من أمور دينِها، ويتأكّدُ العدل معها عند

تعدُّدِ الزوجات؛ حيثُ يجبُ على الزوجِ أن يعدلَ في الكِسْوةِ، والنفقةِ، والمبيتِ.

وقد حذَّرَ المصطفى ﷺ من التفرقةِ بين الزوجاتِ والظلمِ لهنَّ؛ حيثُ قال: « مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ » .[رواه أبو داود، وابنُ ماجه، وهو صحيحٌ]

وبيَّنَ ا للهُ تعالى خطورةَ الأمرِ بقولِه: ﴿ **وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ا للهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ [النساء:١٢٩].

وكان المصطفى ﷺ يَقْسِمُ بينَ نسائهِ فيعدلُ، ويعتذرُ عن تعلُّقِ القلبِ بإحداهُنَّ، قائلاً: « اللَّهُمَّ هَذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلاَ تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلاَ أَمْلِكُ » .[رواه أحمدُ، وأهلُ السننِ]

وعند الإمامِ مسلمٍ من حديث عبد ا لله بن عمرو -رضي ا لله عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ؛ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا » .

عباد ا لله:

ومن أهمِّ نواحي العدلِ: العدلُ بين الأولادِ بتربيتِهم التربيةَ السليمةَ، وإبعادِهم عن وسائلِ الهدمِ والفسادِ والانحرافِ وقُرَناءِ السوءِ، وتوفيرِ المعيشةِ الطيّبةِ لهم، مع عدمِ التفضيلِ بينهم في الحُبِّ والعطفِ والعطاءِ، لِما

يُسبِّبه ذلك من أثرٍ سيءٍ في نفوسِهم، يؤدي إلى العداوةِ والحقدِ والخِصامِ بينَهم إضافةً إلى ما فيه من الكبت لهم، والتأثيرِ على مشاعرِهم، ولقد ثبتَ في صحيحِ مسلمٍ : عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا كَانَ لِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا ؟». فَقَالَ: لَا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «فَارْجِعْهُ» .

عباد الله:

لقد حاربَ الإسلامُ الظلمَ بشكلٍ لا نظيرَ له، وندَّدَ بأهلِه، وجعلَ جزاءَهم جهنَّمَ وبئسَ المصيرُ، فحينَ أوجبَ على الأجيرِ القيامَ بعملِه، مُخلصاً فيه، مُتقناً له غيرَ مُتهاونٍ فيه، لم يُهملْ حقَّ الأجيرِ الضعيفِ، بل حَفِظَه من ظُلم صاحبِ العمل وجَوْرِه، وتوّعدَ على من بخسَه منه شيئاً.

قال رسولُ الله ﷺ : « أَعْطُوا الأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ » .[رواه ابنُ ماجه، وهو صحيحٌ]

وعند البخاريِّ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ ».

ومع هذا الوعيدِ الشديد إلاّ أنَّ فئاماً من الناس يستأجرونَ الأجراءَ، فإذا قضوا منهم حاجتَهم منعوا عنهم أجرَهم، وماطلوهم، وظلموهم،

وهضموا حقوقَهم، دونَ مبالاةٍ بهم، فا للهُ الموعدُ، وليعلمنَّ هؤلاءِ أنَّ عاقبةَ الظالمين وخيمةٌ، وجزاءَهم أليمٌ، حينَ القُدومِ على ا لله.

ألا فاتقوا ا لله عباد ا لله، ثم صلّوا وسلّموا رحمكم ا لله على المبعوث رحمةً للعالمين محمد بن عبد ا لله عليه أفضل الصلاة واتّم التسليم...

ﻫ ﻫ ﻫ

تكريم الله تعالى للإنسان

●الخطبة الأولى:

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه، كما يُحبُّ ربُّنا ويرضى، أحمدُه تعالى حمداً يليقُ بجلالِه، وأشكرُه شكراً يوازي نَعْمَاءَه، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريكَ له تعظيماً لشأنه، خلقَ الخلقَ ليعبدوه، وأوجدَهم من عدمٍ ليطيعوه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه وصفيُّه من خلقِه، وخيرتُه من عباده، صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم القيامه.

أما بعد:

فأُوصيكم أيُّها الناس ونفسي بتقوى الله تبارك وتعالى في السرِّ والعَلَنِ، والتمسُّكِ بهديهِ وشرعهِ، والوقوفِ عند حدوده وأوامرِه ونواهيه، اتّقوا الله حقَّ التقوى، واعبدوه حقَّ العبادةِ، مالكم من إله غيرُه، ولا ربَّ لكم

سواه، عظّموا أمرَه، واحذروا من عقابه وسخطه، وتزوّدوا من الأعمال الصالحة لما أمامكم، واحذروا من الغفلةِ والتفريطِ، فالكيِّسُ من دان نفسَه، وعملَ لما بعد الموت، والعاجزُ من أتبع نفسَه هواها، وتمّنى على ا لله الأمانيَّ.

عباد ا لله:

لقد كرَّم ا للهُ تعالى الإنسانَ حين خلقَه بيديهِ، ثمَّ سوّاه ونفخَ فيه من روحه، وجعلَ له السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ، وأسجدَ له ملائكتَه، صوّرَه فأحسنَ صورتَه، وخلقَه في أعدل نظامٍ وأحسنِ صوره، وهداه إلى أنواعٍ من العلم والمعرفة التي يتوصّل من خلالِها إلى تحقيقِ السعادة في الدنيا والآخرة، ومنحَه من العقلِ والإدراكِ والنُطقِ والتمييزِ، وحباه من النِّعَم ما لا يُعدُّ ولا يُحصى، فسخّرَ له ما في السموات والأرض جميعاً منه، واستخلفَه في الأرض ليعمرَها؛ ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٧٠].

قال أبو هريرة –رضي ا لله عنه–: (المؤمنُ أكرمُ على ا لله تعالى من ملائكتِه).

عباد ا لله:

وإنَّ من اللّوثاتِ الجاهليَّةِ، والصفاتِ القبيحةِ التي لا يكادُ يخلو منها عصرٌ ولا مِصْرٌ تعظيمَ الآباءِ والأجدادِ، والتّغنّي بمفاخرِ القبيلةِ، ومآثرِ

العشيرةِ، والتفاخرَ بالأحساب والأنسابِ، والطعنَ فيها، وتصنيفَ الناس بناءً على ذلك؛ فكم نسمعُ من يقولُ: فلانٌ لا أصلَ له، وفلانٌ لا شيءَ، وفلانٌ مسكينٌ وضعيفٌ، وفلانٌ أسودُ، أو أحمرُ، وأنا من أسرةِ كذا، أو كان جدِّي المُحنَّكُ فلان، وأبي الداهيةُ فلان، إلى غير ذلك من الشعاراتِ الجاهليةِ.

ولقد ألغى الإسلامُ مفاهيمَ التفاضلَ الطبقيَّ بين الناس على أساسِ المال والحسبِ، أو الأصلِ والنسبِ، أو الولايةِ والمنصبِ، أو اللونِ والعِرْقِ، وعملَ على تربية المسلمين على ذلك، وغرسِ الميزان الصحيحِ للتفاضلِ في أخلاقِهم الإجتماعيّة.

فالناسُ من جهةِ التمثالِ أكفاءٌ ... أبوهمُ آدمٌ والأمُّ حوّاءُ
فإن يكن لهمُ في أصلِهم نسبٌ ... يُفاخرونَ به فالطينُ والماءُ

ولقد بيّن المصطفى ﷺ أنَّه لا تفاضُلَ بين الناس إلاّ بالتقوى والعملِ الصالح، وأنَّ كلَّ تميُّزٍ أو تفاضُلٍ يُقيمُه الناسُ على غير ذلك مردودٌ باطلٌ؛ روى بانُ خُزيمة وابنُ حبَّانَ عن ابن عمرَ -رضي الله عنهما- قال: خطبَ النبيُّ ﷺ يومَ الفتح، فقال: « أمَّا بعدُ أيُّها الناس: فإنَّ الله قد أذهبَ عنكم عَيْبَةَ الجاهليَّةِ وفخرَها، الناسُ رجلان: مؤمنٌ تقيٌّ كريمٌ على الله، وفاجرٌ شقيٌّ هيّنٌ على الله، ثم تلا ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَىَ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات:١٣] » .

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميّة –رحمه ا لله–: (إنَّ تعليقَ الشرفِ في الدين بمجرَّد النسبِ هو حكمٌ من أحكام الجاهلية الذين اتّبعتهم عليه الرافضةُ وأشباهُهم من أهل الجهل، ولهذا فليس في كتاب ا لله آيةٌ واحدةٌ يُمدحُ فيها أحدٌ بنسبِه، ولا يُذمُّ أحدٌ بنسبِه، وإنّما يُمدحُ بالإيمان والتقوى، ويُذمُّ بالكفرِ والفسوقِ والعصيانِ).

قال أبو هريرة –رضي ا لله عنه–: قِيلَ للنبيِّ ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: « أَتْقَاهُمْ ». فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ : «فَيُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ ». قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: « فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُون ؟! خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا ». [متفقٌ عليه]

عباد ا لله:

وما أكثرَ ما يظهرُ هذا المقياسُ الجاهليُّ على ألسنةِ الناس؛ أعني: احتقارَهم، وازدراءهم لقلّةِ ذاتِ اليدِ، أو طعنٍ في النسبِ أو الصَنْعَةِ، أو المهنة، أو نحو ذلك من مقاييس الدنيا. ولقد قال المصطفى ﷺ : « رُبَّ أشْعَثَ أغْبَرَ مَدْفُوعٍ بالأَبْوابِ لَو أقْسَمَ عَلىَ ا للهِ لأَبَرَّه » . [رواه مسلم]

قد يُدرِكُ الشَّرفَ الفتى ورِداؤه　　　خَلِقٌ وجيْبُ قميصِه مرقوعُ

وعن أبي هريرة –رضي ا لله عنه– أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ، أَوْ شَابًّا، فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَسَأَلَ عَنْهَا أَوْ عَنْهُ، فَقَالُوا :

مَاتَ. قَالَ: « أَفَلاَ كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي؟». قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا أَوْ أَمْرَهُ. فَقَالَ: « دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ ». فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا ».[رواه مسلم، والبخاري بنحوه]

عباد الله:

إنَّ تكريمَ الناس واحترامَهم، وإنزالَهم منازلَهم من أجلِّ ما دعى إليه الإسلامُ، وحثَّ على العناية به؛ قالت عائشةُ -رضي الله عنها-: « أَمَرَنا رسولُ اللهِ ﷺ أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ » .[رواه مسلمٌ، وأبو داود]

نعم عباد الله: إنَّ في الناس كبيرٌ رقَّ عظمُه، وشابَ شعرُه يجبُ توقيرُه واحترامُه ومعرفةُ سبقهِ وقدرهِ، وفيهم صغيرٌ يحتاجُ إلى الرحمة والعطف والحنانِ والتقويمِ في غير عُنفٍ ولا قسوةٍ ولا ازدراءٍ، وفيهم عالمٌ فضلُه على غيره عظيمٌ، يجبُ توقيرُه لعلمهِ، ومعرفةُ قدره واحترامه، وصاحبُ منصبٍ أو جاهٍ أو عملٍ أو ذو مكانةٍ ينتفعُ به المسلمون يجبُ أن تُحفظَ له، كلُّ ذلك ما داموا قائمين بشرع الله تعالى، ممتثلين لأوامرِ الله مُبتعدين عن نواهيه، دون غلوٍّ فيهم، أو إفراطٍ في حقِّهم. قال ﷺ : « لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ » .[رواه أحمدُ والحاكم]

وقال ﷺ : « إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ » .[رواه

أبو داود] وعند الترمذيِّ أنّه ﷺ قال: « مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إلاَّ قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ » .

إنَّ قناعةَ المسلمِ بتكريمِ ا لله تعالى لـه ولغيرِهِ من البشرِ تجعلُـه يُحافظُ على أرواحِ الناس، ويبتعدُ عن إيذائِهم وإرهابِهم؛ لأنّه مطالبٌ بتكريمِ من أكرمَه ا للهُ ورسولُه، فإنَّ من أكرمَه ا للهُ ورسولُه ينبغي ألاَّ يُهانَ، ومن يُهنِ ا للهُ فما له من مُكْرِم.

عباد ا لله:

وإنَّ احتقارَ الناس لصنعتِهم، أو لضعفِهم، أو لمظهرِهم مخالفةٌ صريحةٌ لأمرِ ا للهِ عزَّ وجلَّ بتكريم بني آدمَ، ولقد قال المصطفى ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ » . [رواه أبو داود وابنُ ماجه]

بل هي صفةٌ قبيحةٌ، جالبةٌ لنقمةِ ا لله تعالى، مستوجبةٌ لعذابهِ وسخطِه، وانتهاكٌ واضحٌ لحقوقِ الإنسانِ التي صانَها الإسلامُ له، وهي من سماتِ الكفار والمنافقين والجَهَلة الذين أُمِرَ المسلمونَ بعدم التشبُّه بهم؛ فإنَّ الناس لا يُقاسون بمظاهرِهم، ولا بلباسِهم، ولا بألوانِهم ولا بأبدانِهم، ولا بأنسابِهم، فتلك شعاراتُ الجاهليّةِ الحمقاءِ، ومقاييسُ العصبيّةِ الظلماءِ، وإنَّما يُقاسونَ برجولتِهم، وشجاعتِهم في الحقِّ، وتقواهم للخالق، واستجابتِهم لأمره، وابتعادهم عن نهيه، ولرُبَّما كان رثُّ الثوبِ، ضعيفُ الجسمِ، دميمُ الخِلْقة أعظمَ قدراً عند ا لله تعالى، وأشرفَ مكانةً في

الإسلام، وأشدَّ على أعداءِ ا لله تعالى، وأنصرَ لدين ا لله تعالى، وأحبَّ في قلوب الخلق من جميلِ الصورةِ، فارهِ الثيابِ، بَدينِ الجسم ، و لله درُّ القائل:

ترى الرجلَ النَّحيلَ فتزْدَريهِ وفي أثوابه أسَدٌ هَصورُ

احتقارُ الناس يميتُ القلبَ، ويورثُه العمى والغفلةَ، فلا يرى صاحبُه ما فضَّلَه ا للهُ بهِ على غيرِه من بني آدم، ولا يشكرُ نعمةَ ا لله تعالى عليه، ويا للهِ ! كم من نعمةٍ على العبدِ لم يشكرِ ا للهَ تعالى عليها، فعرَّضَها للزوال، حتى إذا كان يومُ القيامة ندمَ، ولاتَ ساعةَ مندم ﴿**أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطَتُ فِي جَنبِ ا للهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾ [الزمر:٥٦]. ﴿ **وَقَالُواْ مَا لَنَا لاَ نَرَىَ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ** ﴾ [ص:٦٢-٦٣].

قال القرطبيُّ -رحمه ا لله- عند قول ا لله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىَ أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىَ أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوَاْ أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [الحجرات:١١]، قال: (وبالجملة فينبغي ألاَّ يجترِيءَ أحدٌ على الاستهزاءِ بمن يقتحمُه بعينِه إذا رآه رثَّ الحالِ، أو ذا عاهةٍ في بدنِه، أو غيرَ لبيقٍ في محادثتِه، فلعلّه أخلصُ ضميراً، وأنقى قلباً ممّن هو على ضدِّ صفتِه، فيظلمُ نفسَه بتحقيرمن وقّرَه ا للهُ، والاستهزاءِ بمن عظّمَه ا للهُ، ولقد بلغَ بالسلف إفراطُ توقِّيهم وتصوُّنِهم من ذلك أن قال عمرو بن شُرحبيل: لو رأيتُ رجلاً يرضعُ عنزاً

فضحِكتُ منه لخشيتُ أن أصنعَ مثلَ الذي صنعَ. وعن عبد ا لله بن مسعودٍ قال: البلاءُ مُوكَّلٌ بالقول، لو سخرتُ من كلبٍ لخشيتُ أن أُحوَّلَ كلباً).

وقال -رحمه ا لله- عند قوله تعالى: ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٠]، قال: (يُستفادُ من هذا التحذيرُ من السُخريةِ والاستهزاءِ بالضعفاءِ والمساكين، والاحتقارِ لهم، والإزراءِ عليهم، والاشتغالِ بهم فيما لا يعني، وأنَّ ذلكَ مُبعدٌ عن ا لله عزَّ وجلَّ).

وقال المعرورُ بن سُويدٍ-رضي ا لله عنه- قال: « لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلاً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ : يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ ؟! إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ ». [رواه البخاري]

إنَّ تكريمَ الإنسانِ لخادمِه ومن تحتَ يدهِ كما أمرَ الإسلامُ كفيلٌ بأن يقضي على الحقدِ والحسدِ من هؤلاءِ الخدمِ الذين قد تدفعُهم الإهاناتُ المنافيةُ لكرامةِ الإنسانِ إلى ارتكاب حماقاتٍ تصلُ إلى القتلِ والانتحار والانتقام أحياناً. قال أنسٌ بن مالكٍ -رضي ا لله عنه-: « قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَأَخَذَ أَبُو طَلْحَةَ بِيَدِي، فَانْطَلَقَ بِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَنَسًا غُلامٌ كَيِّسٌ فَلْيَخْدُمْكَ. قَالَ: فَخَدَمْتُهُ

فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، مَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا هَكَذَا، وَلاَ لِشَيْءٍ لَمْ أَصْنَعْهُ لِمَ لَمْ تَصْنَعْ هَذَا هَكَذَا)) . [رواه البخاري ومسلم]

وفي روايةٍ لمسلمٍ، قال: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقاً، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: يَا أُنَيْسُ! أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ ؟ قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ! أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللَّهِ)) .

إنَّ احتقارَ الناس وغمطَهم حقوقَهم ممّا حرَّمَه اللهُ ورسولُه ﷺ ، وإنَّ تقديرَ الضعيفِ والمسكينِ، والقيامَ بحقِّه ممّا أوجبَه اللهُ تعالى على المسلمين الذين هم كالجسدِ الواحدِ. ولقد حاول المشركون جاهدينَ في الرسولِ الكريمِ ﷺ أن يطردَ عنه مواليَهم وعبيدَهم الذين كانوا يحتقرونَهم فأسلموا، ولسانُ حالِهم يقولُ ما قاله مشركوا قومِ نوحٍ له: ﴿ **مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ** ﴾ [هود:٢٧] ، فنهاه ربُّه عن ذلك بقوله جلَّ جلالُه: ﴿ **وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ۞ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُواْ أَهَؤُلاَءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾ [الأنعام:٥٢-٥٣].

بارك ا لله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفرُ ا لله فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

*** * ***

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ ا لله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ ا للهِ ورسولُه صلى ا لله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا ا للهَ تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه ، واعلموا أنّكم ملاقوه.

عباد ا للهِ:

إنَّ مقاييسَ البشرِ في تصنيفِ الناسِ، والنظرِ إليهم، وتقويمِهم مقاييسُ فاسدةٌ ما لم تكن مبنيّةً على بصيرةٍ من ا لله سبحانه وتعالى، واحتقارُ الناس، وعدمُ معرفةِ أقدارِهم من الأمراض الاجتماعيّة التي يجبُ أن

تُحاربَ بلا هوادةٍ؛ فإنَّ الناسَ في الإسلام أحدُ رجلين: إمّا رجلٌ مؤمنٌ تقيٌّ يجبُ تقديرُه واحترامُه، والقيامُ بما أوجبَ الله تعالى له من حقوق، وإمّا رجلٌ منافقٌ فاجرٌ كافرٌ يجبُ الحذَرُ منه، وإهانتُه وإذلالُه حتى يؤمنَ با لله وحدَه.

ولا يعرفُ أقدارَ الرجال ويُحافظُ على مكانتِهم، ويقومُ بحقوقِهم على الوجه المطلوب إلاَّ الرجالُ. قال رسولُ الله ﷺ: « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ ». [رواه مسلم]

والمعنى: يكفيه من الشرِّ أن يحقرَ أخاه المسلم؛ فإنَّه إنَّما يحتقرُ أخاه المسلمَ لتكبُّرِه عليه، والكبرُ من أعظمِ خِصالِ الشرِّ التي قال عنها المصطفى ﷺ: « لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ؛ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ ». [رواه مسلم]

قال رجلٌ لعمرَ بن عبد العزيز -رحمه الله-: (اجْعَلْ كبيرَ المسلمينَ عندكَ أباً، وصغيرَهم ابناً، وأوسطَهم أخاً، فأيُّ أولئكَ تُحبُّ أن تُسيءَ إليه؟!).

عن سهل بن سعدٍ الساعديِّ -رضي ا لله عنه- قال: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ لرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: « مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟ ». فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟! ». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا ». [متفقٌ عليه]

فقد صحّحَ النبيُّ ﷺ نظرَ الرجلِ، ووجّهَه ضمناً إلى المقياس الحقيقيِّ الذي تُقاسُ به الفضائلُ، وتُقوّمُ به أقدارُ الناس، وبيّنَ ﷺ أنَّ قيمَ الحياة الدنيا ومفاهيمَها الخاصةَ بها تتلاشى يومَ القيامة، فلا جاه الدنيا ولا نسبُها ولا مالُها ولا مناصبُها تنفعُ عند ا لله تعالى، وإنّما هو الإيمانُ والتقوى والعملُ الصالحُ ابتغاءَ مرضاة ا لله، ولقد قال المصطفى ﷺ : « إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ اقْرَءُوا: ﴿ **فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا** ﴾ » .[متفقٌ عليه]

قال ﷺ : « أَلاَ أُخبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؛ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ، أَلاَ أُخبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؛ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ» .[متفقٌ عليه] ؛ والعُتُلُّ: هو الجافي الشديدُ الخصومةِ، والجَوَّظُ: هو الجموعُ المنوعُ.

واعتبروا رحمكم الله بحالِ النبيِّ ﷺ وصحبهِ، فقد جاعوا أيّاماً وشهوراً وأعواماً، حتى ربطوا الحصى على بطونِهم من الجوع، ولبسوا المُرقَّعَ من الثيابِ، وكان أكثرُهم من الموالي والضُّعفاءُ، فأعزَّهم الله تعالى بالإسلام، ورفعَ مكانتَهم، وأعلى قدرَهم، ورضي عنهم، وبشرَّهم بالجنةِ، و للهِ العزَّةُ ولرسولِه وللمؤمنين.

ثم صلّوا وسلّموا رحمكم الله على المبعوث رحمةً للعالمين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة واتّم التسليم...



ولا تبرّجن تبرُّجَ الجاهلية الأولى

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونستنصرُه ونسترشدُه، ونُثني عليه الخيرَ كلَّه، ونسألُه التوفيقَ لخيري الدنيا والآخرة، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، ومن شرِّ كلِّ عدوٍّ للإسلام وأهلِه، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدهُ لا شريكَ له، حذّرنا من كيد الأعداء، وأمرَنا بالتصدِّي لهجمات الخصوم الألِّداء، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا محمداً عبدُ الله ورسولُه، ومصطفاهُ وخليلُه، سيِّدُ الأنامِ، وبدرُ التمامِ، ومسكُ الختامِ، وقائدُ الجهادِ ضدَّ أعداء الإسلام، حتى حطَّم الله تعالى به الأصنام، وأظهر به الشريعةَ وأبانَ الأحكامَ ، صلواتُ ربيِّ وسلامُه وبركاتُه عليه، وعلى آله السادة الأعلام، وأصحابه البَرَرة الكرام، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم المعاد.

أمَّا بعد:

فيا أيُّها الناسُ اتَّقوا الله تبارك وتعالى واشكروه على أن هداكم للإسلام، وعلَّمَكم الحكمةَ والقرآنَ، وجعلَكم من أمَّةِ خيرِ الأنامِ عليه الصلاةُ والسلامُ.

عباد الله:

لقد كرَّم الله تعالى بني آدمَ، وحملَهم في البرِّ والبحر والجوِّ، ورزقَهم من الطِّيبات، وفضَّلَهم على كثيرٍ ممَّن خلقَ تفضيلاً، فهم بشرٌ مكرَّمون؛ جعلَهم الله تعالى محلاً لهدايتِه، وأهلاً لكرامتِه وتكاليفِه وتشريعاتِه.

الإنسانُ هو المخلوقُ الوحيدُ من بين المخلوقات، صاحبُ العقلِ والإرادةِ، المُتحكِّمُ في رغباتِه، القادرُ على كَبْحِ جِماحِ شهواتِه وأهوائِه. والعقلُ في الإنسان هو سرُّ التكريم، ومنبعُ التفضيلِ.

ولقد قصَدَ الإسلامُ من أتباعِه أن يُقيموا مجتمعاً طاهراً، سياجُه الخُلُقُ، وطابعُه العِفَّةُ، وشعارُه الحشمةُ، ودِثَارُه الهيبةُ، لا تُهاجُ فيه الشهواتُ، ولا تُثارُ فيه الشُّبهاتُ، ولا تُرتكَبُ فيه الموبقاتُ، وكلُّ هذه الخِلالِ لا تتحقَّقُ إلاَّ بالاتِّزانِ العقليِّ الذي يضبطُ النفوسَ، ويحكمُ الضمائرَ، ويقودُ البشريَّةَ إلى الفضائلَ.

لهذا كلِّه فقد جاء الإسلامُ - وهو الدينُ الحنيفُ - بصيانة العرض، والمحافظةِ عليه، وقطْعِ كلِّ السُّبُلِ المؤديَّةِ إلى خدشِه، أو التعدِّي عليه، وَجَعَلَهُ من الضرورات الخمس المحفوظة، وأقامَ الوسائلَ المهمَّةَ، والحواجزَ المنيعةَ للمحافظةِ عليه؛ تكريماً للإنسان.

ومن أهمِّ الوسائلِ المنيعةِ، والحواجزِ العظيمةِ التي شرعَها المولى الكريمُ سبحانه وتعالى لعباده محافظةً على أعراضِهم، وصيانةً لها: الحجابُ؛ فهو السبيلُ العظيمُ الذي يُعكِّرُ على الشيطان مخطَّطاته، ويسدُّ عليه منافذَه وسهامَه القاتلةَ التي يهجُمُ بها على أعراضِ المسلمين، إضافةً إلى ما فيه من تحقيقِ الحمايةِ للمرأةِ المسلمةِ من التعرُّضِ للإيذاء والسَّفَهِ من شياطين الإنس والجنِّ.

قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَآئِهِنَّ أَوْ آبَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِيَ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَآءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُواْ إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور:٣١].

وهاتان الآياتان أعظمُ دليلٍ على وجوب الحجابِ على النساء؛ حيثُ أمرَ الله سبحانه وتعالى نساءَ المؤمنين جميعاً أن يسترنَ جميعَ وجوههنَّ، فلا يُبقينَ منها إلاَّ عيناً واحدةً يُبصرنَ بها الطريق؛ كما فسَّرَ ذلك جمعٌ من الصحابةِ رضي الله عنهم وأرضاهم.

ومعنى قولِه: ﴿ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ : الملاءةُ والعباءةُ والغطايةُ التي تكونُ فوق الثياب، وهذا هو الحجابُ الشرعيُّ المقصودُ من أمرِ الله تعالى، وأمرِ رسولِهِ ﷺ : سترُ وجهِ المرأةِ، وسائرِ بدنِها ستراً كاملاً، لا يبينُ منه شيءٌ؛ فإنَّ وجهَ المرأةِ هو أصلُ جمالِها، ورؤيَتُه من أعظم أسبابِ الافتتانِ بها.

قالت أمُّ المؤمنين؛ أمُّ سلمةَ -رضي الله تعالى عنها-: «لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ﴾ خرجَ نساءُ الأنصارِ كأنَّ على رؤوسهنَّ الغِرْبان من السكينة، وعليهنَّ أكسيةٌ سودٌ يلبسنها». [رواه مسلم]

وقالت عائشةُ -رضي الله عنها-: «يرحَمُ اللهُ نساءَ المهاجرات الأُوَلَ لَمَّا أنْزَلَ اللهُ: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ شَقَقْنَ مُرُطَهُنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا ». [رواه البخاريُّ] قال الحافظُ ابنُ حجر -عليه رحمةُ الله-: (قولُها: فاختمرنَ بِها؛ أيْ: غطَّينَ وجوهَهُنَّ؛ وصفةُ ذلك: أن تضعَ الخِمَارَ على رأسها، وترميه من الجانب الأيمنِ على العاتقِ الأيسرِ، وهو التَّقنُّعُ).

عباد الله:

الحجابُ إلتزامٌ لأمرِ الله تعالى وأمرِ رسولِه ﷺ ، وطاعةٌ لهما؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقَ البشرَ؛ رجالاً ونساءً، وأوجبَ الحجابَ على النساء، وهو العالِمُ بما يُصلحُهن، ويدفعُ عنهن المفاسدَ والشرورَ؛ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧١].

الحجابُ دليلٌ على الفضيلةِ، وقائدٌ إلى الحشمةِ، وحمايةٌ للمجتمعِ من الفاحشةِ والرذيلةِ؛ فقد روى البخاريُّ ومسلمٌ أنَّه ﷺ قال: « مَا تَرَكْتُ بَعْدِيَ فِتْنَةً أضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ ». وعند الإمامِ مسلم: أنَّه ﷺ قال: « فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّساءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيْلَ فِي النِّسَاءِ ».

الحجابُ: مظهرٌ من أهمِّ مظاهر تميُّزِ الأمَّةِ الإسلاميَّة، ومخالفتِها للأُمَمِ الكافرةِ من اليهودِ والنصارى وأشباهِهم، وهو سِمَةٌ للمرأةِ الحُرَّةِ العفيفةِ المُتعفِّفَةِ التي تريدُ الله والدارَ الآخرةَ.

أمَّا التبرُّجُ والسُّفورُ فهما علامةٌ للإماءِ والفاسقاتِ والعاهراتِ.

قال شيخُ الإسلامُ ابنُ تيميَّةَ -عليه رحمةُ الله-: (المرأةُ يجبُ أن تُصانَ وتُحفظَ بما لا يجبُ مثلُه في الرجال؛ ولهذا خُصَّت بالاحتجابِ، وترْكِ إبداءِ الزينةِ، وترْكِ التبرُّجِ، فيجبُ في حقِّها الاستتارُ باللباسِ والبيوت ما لا يجبُ في حقِّ الرجال، لأنَّ ظهورَ النساءِ سببُ الفتنةِ، والرجالُ قوَّامون عليهنَّ... والحجابُ مُختصٌّ بالحرائرِ دونَ الإماءِ؛ كما كانت سنَّةُ المؤمنين في زمنِ النبيِّ ﷺ وخلفائه أنَّ الحُرَّةَ تحتجبُ، والأمةَ تبرُزُ، وكان عمرُ رضي الله عنه إذا رأى أمةً مُخَمَّرَةً ضربَها، وقال: أتتشَبَّهين بالحرائرِ، أيْ لَكَاع. فيظهرُ من الأمةِ رأسُها، ويداها، ووجهُها).

الحجابُ -عباد الله-: طهارةٌ لقلوبِ المؤمنين والمؤمناتِ، وحمايةٌ لهنَّ وسلامةٌ من الإيذاء؛ إذ هو دليلٌ على الهيبةِ والتوقيرِ للمرأة؛ فإنَّ المرأةَ المتحجِّبةَ مُهابَةٌ موقرَةٌ، في مأمنٍ من تطاولِ الفسَقَةِ، وإيذاءِ السُّفَهاء.

قال ﷺ : ((المَرْأةُ عَـوْرَةٌ، فَـإذا خَرَجَـتْ اسْتَشْـرَفَهَا الشَّـيْطَانُ)). [رواه الترمذيُّ، وإسنادُه حسـنٌ] ومعنـى: استشـرَفها الشـيطانُ: أي؛ تطلَّـعَ إليهـا، وتعرَّضَ لها.

قال ابنُ مسعودٍ -رضـي الله عنـه-: (إنَّمـا النسـاءُ عـورةٌ، وإنَّ المـرأةَ لتخرجُ من بيتها وما بها من بأسٍ، فيستشرفُها الشيطانُ؛ فيقولُ لها: إنَّكِ لا تمرِّينَ بأحدٍ إلاَّ أعجَبْتِهِ. وإنَّ المرأةَ لتلبسُ ثيابَها، فيُقالُ لهـا: أيـنَ تُريديـنَ ؟ فتقولُ: أعودُ مريضاً، أو أشهدُ جَنازةً، أو أُصلِّـي في مسـجدٍ، ومـا عَبَـدتِ امرأةٌ ربَّها مثلَ أن تعبُدَهُ في بيتِها).

أيُّها المسلمون:

لقد أدركَ اليهودُ والنصارى وأذنابُهم من المنـافقين والعلمـانيين؛ أعـداءُ الإسلام والمسلمين مكانةَ المرأةَ الحقيقيَّةَ في المجتمع، ودورَها العظيمَ في صُنْعِ الرجال، وتأثيرَها الكبيرَ على الأمـمِ، فـأيقنوا أنَّهـم متـى مـا أفسـدوا المـرأةَ ونجحوا في تغريبِها، وتبرُّجِها وتضليلِها وإفسادِها هانَ عليهم السيطرَةُ علـى المسلمين، والقضاءُ عليهم، وهاهم دعاةُ السُّفورِ، وقادةُ تحريرِ المرأةِ يُنـادون كلَّ يومٍ بتحريرِها وحقوقِها المزعومةِ، وكأنَّ المـرأةَ في الإسـلامِ مـن سَـقَطِ المتاعِ الذي لا يُلتفتُ إليه.

تتعالى صيحاتُهم كلَّ يـومٍ عـبرَ المجـلاّت والجرائدِ والقنواتِ الفضائيّـةِ؛ قائلةً في وقاحةٍ وسفاهةٍ: كيفَ يعيشُ المجتمعُ برئةٍ واحدةٍ والأخرى معطَّلَـةٌ مكبوتةٌ مخنوقةٌ ؟! إلى متى تبقى المرأةُ حبيسةً بين جـدرانٍ أربعـةٍ ؟! أيضـلُّ نصفُ المجتمع مُعطَّلاً ؟! لا يُمكنُ للمجتمـعِ أن يسـيرَ بقـدمٍ واحـدةٍ ؟! إنَّ

العالَمَ العربيَّ المسلمَ المحافظَ مُتخلِّفٌ ورجعيٌّ ! حرِّروا المرأةَ، أطلقوها من قيودِها !

يريدونَ منّا أن نسيرَ على خُطى الغربِ المُلحدِ، وأن نقعَ فيما وقعوا فيه من الضلالِ والانحراف، والانحلالِ الخُلُقيِّ، من حيثُ يريدُ الصالحونَ الإصلاحَ والفضيلةَ قاتلَهم الله أنّى يؤفكون.

وإنَّ المنصفَ ليتساءلُ بصدقٍ وعدلٍ: أين الحريَّةُ المزعومةُ للمرأةِ على أيدي هؤلاء السُّفهاءِ ؟!! وأينَ الحقوقُ التي يُنادونَ بها، ويُصارعونَ من أجلِها ؟!! أهي الضياعُ والسُّفورُ والتبرُّجُ الذي تئنُّ منه المجتمعاتُ المعاصرة؟ أم هي الفضائحُ التي تُعاني منها الأسرُ كلَّ يومٍ ؟ أم هي الزنا والفجورُ والعُهْرُ والفسادُ والمهانةُ التي صارت إليها المرأةُ لَّما تَبِعَت هؤلاء المجرمين، فأصبحت خرَّاجةً ولاّجةً، ضائعةً تائهةً، حالُها كما قيلَ:

ألقاهُ في اليمِّ مكتوفاً وقال له ... إيَّاكَ إيَّاكَ أن تبتلَّ بالماءِ

ماذا جنت المرأةُ – أيُّها المسلمون – من وراءِ هذه الدعواتِ البرَّاقةِ المسعورةِ التي يقودُها دعاةُ الرَّذيلةِ، ومحاربوا الفضيلةِ ؟ هل حقَّقت السعادةَ التي يزعمون ؟ وهل حصلت على الحريَّةِ المصونةِ المضبوطةِ بالضوابطِ الإنسانيِّةِ ؟ وهل حصلت على شيءٍ من حقوقِها التي يُنادونَ بها ؟

كلاّ واللهِ، فلقد أصبحت المرأةُ عند هؤلاء السَّفَلَةِ سلعةً تجاريَّةً، تُعرَضُ كما تُعرَضُ الأزياءُ بثمنٍ وبدون ثمنٍ، تُغلَّفُ بها الصُّحفُ والمجلاَّتُ، مُباحةً جنسيَّاً، تتعاطى الشذوذَ الجنسيَّ في سوق اللَّذاتِ والشهواتِ، يستمتعُ بها السُّفهاءُ على مدارِ اليومِ والليلةِ، ثمَّ يلفظونَها لفظَ القَذاةِ ، ويرمونَها رميَ

النواةِ دونَ كرامةٍ، بل لقد صارت المرأةُ كالإناءِ المكشوفِ، تَلَغُ فيه الكلابُ، وتقعُ عليه الطيورُ، وتتهاوى فيه الفراشاتُ، ولا عجب:

فمن يكُنِ الغرابُ له دليلاً ... يمرُّ به على جِيَفِ الكلابِ

إنَّ وظيفةَ المرأةِ الوحيدةِ؛ هي أن تتزوَّجَ، وتكوِّنَ أسرةً، ومجتمعاً نظيفاً، وأيُّ مجهودٍ تبذلُه بعد ذلك لا قيمةَ له في حياتِها.

نعم ! عبادَ الله: إنَّ وظيفةَ المرأةِ الكبرى، ومهمَّتَها العُظمى في بيتِها، وأسرتِها، وأولادِها؛ فهي مهدُ الرجالِ، ومنبتُ الأبطالِ، وأمُّ العظماءِ، ومدرسةُ القادةِ والأفذاذِ، وكلُّ ما تتحلَّى به من علمٍ ووعيٍ يجبُ أن يكونَ في سبيلِ هذه الوظيفةِ العُظمى، وخدمةً لهذه المهمَّةِ الكبرى، أمَّا الكدحُ في الأسواقِ، والإنفاقُ على الأسرةِ والبيتِ فهو مهمَّةُ الرجالِ الأحرارِ الحريصينَ على سلامةِ أسرِهم، وصيانةِ أعراضِهم من وَلَغِ العابثينَ، وتطاولَ السُّفهاءِ الماجنينَ.

و لم ولن تعرفَ المرأةُ تكريماً كتكريم الإسلام لها، وصيانتِه لحقوقِها؛ ولا يعرفُ الإسلامَ من لم يعرفِ الجاهليَّةَ ؛ فقد كانت المرأةُ عند الرُّومان محكوماً عليها بالإعدام من قبل الزوجِ متى شاء، ثمَّ جاءتِ الحضارةُ اليونانيَّةُ فاعتبرتِ المرأةَ من سقَطِ المتاعِ الذي لا يؤبَه له، ثمَّ اليهوديَّةُ التي احتقرتِ المرأةَ، واعتبرتها من النجاسات التي يجبُ أن يتخلَّصَ منها البشرُ، ثمَّ الطامَّةُ الكبرى؛ النصرانيَّةُ التي حارت في أمر المرأةِ؛ هل هي إنسانٌ له روحٌ، أم هي جسدٌ بلا روحٍ ! ثمَّ الجاهليَّةُ العربيَّةُ قبلَ الإسلام التي

تشاءمت من المرأة حتى جعلتها رقيقاً تُباعُ وتُشترى، وتُسبى وتُدفنُ وهي حيَّةٌ، دونَ أن يكونَ لها رأيٌ أو حقٌّ أو نصيبٌ.

فلمَّا جاء الإسلامُ انتزعَ المرأةَ من الحضيضِ، وارتفعَ بها إلى الحياة الآمنةِ؛ مُعزَّزةً مُكرَّمةً مصونةً، لها ما للرجلِ من الحقوقِ، إلاَّ أنَّ للرجال عليهنَّ درجةً.

جاءت وافدةُ النساء أسماءُ بنتُ يزيدٍ الأنصاريَّةُ -رضي الله عنها- إلى النبيِّ ﷺ فقالت: يا رسولَ الله ! بأبي أنت وأمي إنَّ الله بعثَكَ للرِّجالِ والنساءِ كافَّةً، فآمنَّا بكَ وبإلهك، وإنَّا معشرُ النساءِ محصوراتٌ ومقصوراتٌ ومخدوراتٌ، قواعدُ بيوتِكم، وحاملاتُ أولادِكم، وإنَّكم معشرَ الرجالِ فُضِّلتم علينا بالجُمَعِ والجماعاتِ، وفُضِّلتم علينا بشهودِ الجنائز، وعيادةِ المرضى، وفُضِّلتم علينا بالحجِّ بعد الحجِّ، وأعظمُ من ذلك الجهادُ في سبيل الله، وإنَّ الرجلَ منكم إذا خرجَ لحجٍّ أو عمرةٍ أو جهادٍ جلسنا في بيوتكم؛ نحفظُ أموالَكم، ونُربِّي أولادَكم، ونغزِلُ ثيابَكم، فهل نشاركُكم فيما أعطاكم الله من الخير والجزاء ؟ فالتفت النبيُّ ﷺ بجملتِه، وقال: « هل تعلَمونَ امرأةً أحسنَ سؤالاً عن أمورِ دينِها من هذهِ المرأةِ ؟». قالوا: يا رسولَ الله ! ما ظننَّا أنَّ أمرأةً تسألُ سؤالها. فقال: « يا أسماءُ ! افهمي عنِّي، وأخبري من وراءَكِ من النساءِ أنَّ حُسنَ تبعُّلِ المرأةِ لزوجها، وطلبَها لمرضاتِه، واتِّباعَها لرغَباتِه يعدلُ ذلك كلَّه ». فأدبرت المرأةُ وهي تُهلِّلُ وتُردِّدُ: يعدلُ ذلك كلَّه، يعدلُ ذلكَ كلَّه. [رواه البيهقيُّ]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

*** * ***

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أمّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتّقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه، واعلموا أنّكم ملاقوه.

ثمَّ اعلموا: أنَّ واجبَكم عظيمٌ، ومسؤوليَّتَكم كبرى تجاه ما يُحاكُ ضدَّكم، وضدَّ عقيدتِكم وأخلاقِكم ونساءِكم وأسرِكم، من مؤامراتٍ يقودُها دعاةُ التبرُّجِ والسُّفورِ، وأذنابُ الغربِ وأتباعُهم، واعلموا رحمكم الله، أنَّ التبرُّجَ والسُّفورَ من أعمالِ الجاهليَّةِ التي تشيعُ الفاحشةَ بينَ الناسِ،

وتُعرِّضُ المرأةَ المسلمةَ لطمعِ الطامعينَ، وغمزِ المجرمينَ، ونهشِ الناهشينَ، وسخطِ ربِّ العالمينَ.

ولن يكونَ الحجابُ يوماً ما عثرةً تقفُ في وجه المرأةِ وتمنعُها من القيام بواجبِها، أو الحصولِ على حقِّها، بل هو السبيلُ القويمُ الذي يُمكِّنُها من القيامِ بوظيفتِها بعفَّةٍ وحشمةٍ، وطُهْرٍ ونزاهةٍ، وعلى هذا بايعَ نساءُ الصحابةِ النبيَّ ﷺ ؛ على الحشمةِ، والحياءِ والعفَّةِ، والحجابِ؛ قال عبدُ الله ابن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-: جاءت أُميمَةُ بنتُ رُقَيْقَةَ إلى رسولِ الله ﷺ تُبايِعه على الإسلام، فقال: « أُبايعُكِ على أن لا تُشركي بالله شيئاً، ولا تسرقي، ولا تزني، ولا تقتلي ولدَكِ، ولا تأتي ببهتانٍ تفترينَهُ بينَ يديكِ ورجليكِ، ولا تنوحي، ولا تبرَّجي تبرُّجَ الجاهليَّةِ الأولى». [رواه أحمدُ وغيرُه، وإسنادُه صحيحٌ]

ولقد خرجَ المصطفى ﷺ ذاتَ يومٍ من المسجد، وقد اختلطَ النساءُ مع الرجالِ في الطريقِ، فقال: « استأخرنَ فإنَّه ليسَ لكنَّ أن تحتضنَّ الطريقَ ». فكانت المرأةُ -كما يقولُ راوي الحديث- تلصقُ بالجدارِ حتَّى إنَّ ثوبَها ليتعلَّقُ به من لصوقِها. [رواه أبو داودَ بإسنادٍ حسنٍ]

ثمَّ اعلموا أيُّها المسلمون: أنَّ من يُحاولُ نزعَ حجابِ المرأةِ المسلمةِ، وقيادتَها إلى التبرُّجِ والسُّفورِ والاختلاطِ، أو التقليلَ من شأن الحجابِ، ومكانتِه في الإسلام، أو القولَ بأنَّه من القشورِ التي يجبُ أن تُلغى من حياتنا، أو القولَ بأنه من الأمورِ الخلافيَّةِ؛ تقليلاً لشأنِه هو في الحقيقةِ غاشٌّ

للأمَّةِ المسلمةِ، مُحاربٌ لله تعالى ولرسوله وللمؤمنين، مريضُ القلبِ، ضعيفُ الدينِ والأمانةِ.

فقد فرض الله تعالى الحجابَ، وأمرَ به أمَّهاتِ المؤمنين ونساءَ الصحابةِ الكرامِ رضوانُ الله تعالى عليهم، مع ما عُلِمَ من قوّةِ إيمانِهم، وبُعْدِهم عن الخنا والفجورِ والعصيانِ. فما ظنُّكم -عباد الله- بحالِ المسلمين اليوم مع كثرةِ الفتنِ، والمُغرياتِ بالحرامِ، وبُعدِ الناسِ عن شرعِ اللهِ، وتحكُّمِ الشهواتِ والرَّغباتِ فيهم، وتنافُسِ النساءِ في الخلاعَةِ والمجونِ والفتنةِ، لا شكَّ أنَّ إيجابَ الحجابِ في هذه الأزمنةِ ألزمُ، والحرصَ عليه آكدُ وأوجبُ؛ لسلامةِ المسلمين والمسلمات، وصيانةِ أعراضِهم.

قال ﷺ : « من جرَّ ثوبَه خُيَلاءَ لَم يَنْظُرِ الله إليهِ يومَ القيامَةِ ». فقالت أُمُّ سلَمةَ: فكيفَ يصنعُ النساءُ بذيولهنَّ؟! قال: « يُرخينَ شبراً ». فقالت: إذاً تنكشفُ أقدامهُنَّ ! قال: « فَيُرخينَه ذراعاً لا يزدنَ عليه ». [رواه الترمذيُّ، وابنُ ماجه بسندٍ صحيحٍ]

وعن ابن عمرَ -رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ الله ﷺ : «سيكونُ آخرَ أمَّتي نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، على رؤوسهنَّ كأسنمةِ البُخْتِ، إلعنوهنَّ؛ فإنَّهُنَّ ملعوناتٌ ». [رواه الطبرانيُّ، وهو صحيحٌ]

قال ابنُ عبدِ البرِّ -رحمةُ الله عليه-: (أرادَ النبيُّ النساءَ اللواتي يلبسنَ من الثيابِ الشيءَ الخفيفَ الذي يصفُ ولا يسترُ، فهُنَّ كاسياتٌ بالاسمِ، عارياتٌ في الحقيقةِ).

فتأدَّبوا معاشرَ المسلمين بتأديبِ الله لرسولِه وصحابتِه، وامتثلوا أمرَه، الزموا نساءَكم بالحجاب الذي هو سببٌ للطهارةِ، ووسيلةٌ للنجاةِ والسلامةِ في الدنيا والآخرة، ولا تغترُّوا بما يُروِّجُه دعاةُ السُّفورِ والضَّلالِ وأتباعِهم، فإنَّهم ليسوا أُسوةً كريمةً، ولا قدوةً في الدين والأخلاق حتَّى ينخدعَ المسلمونَ بهم، ويستجيبوا لنعيقِهم وثُغَائِهم، فأسوةُ المسلمين إلى يوم القيامةِ في نبيِّهم محمدٍ ﷺ وصحابتِه الذين أُنزلَ عليهم الحجابُ، وأُمروا به ، وبالبُعدِ عن التبرُّجِ، مع طهارةِ قلبوِهم، ونقاءِ سرائرِهم.

لقد جرَّبَ الغربُ ما يدَّعونَ.

فهاهُم لِما زرعوا يحصدون، حصادَ الهشيمِ.

ترى البنتَ تخرُجُ من بيتِها قُبيلَ البلوغِ.

فترجعُ تحملُ في بطنِها نتاجَ اللِّقاح.

فتُجْهِضُه لتُعيدَ اللِّقاءَ.

وحيناً تدَعْهُ يُلاقي الحياةَ، فتُلقيه في ملجأٍ أو حضانَة.

فيبحثُ عن أمِّهِ أو أبيهِ.

لكي يُطعموه، لكي يرحموه، لكي يمنحوه الحنانَ الكبيرَ، لكي يُرضعوه.

ولكنَّه لا يرى ما يُريدُ.

فينشأُ يحملُ حقداً دفيناً لكلِّ الوجودِ.

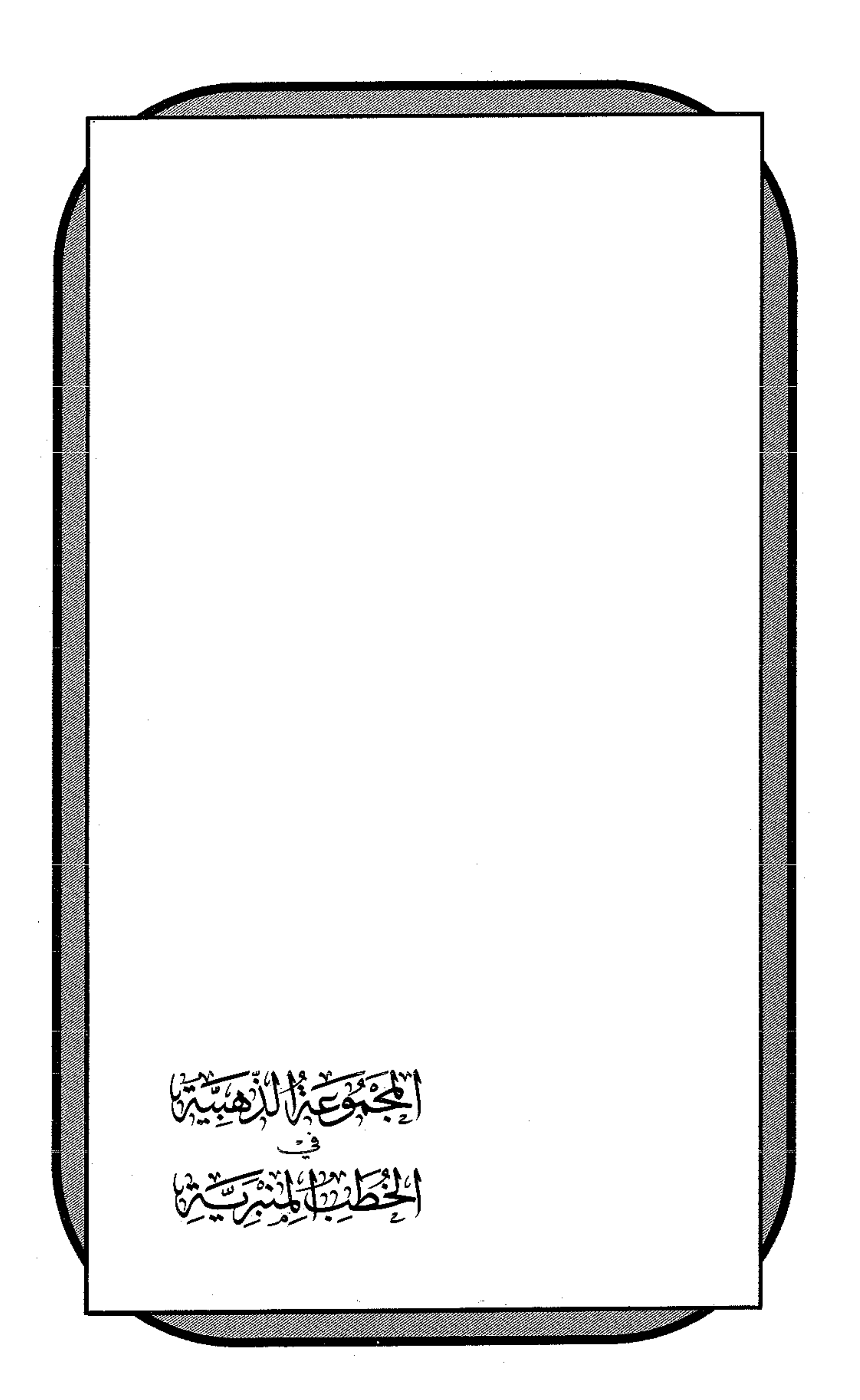
ويخرجُ للكونِ دونَ قيودٍ.

ليقتلَ هذا ، ويسلُبَ هذا، ويغصِبَ تلكَ بدونِ حدودٍ.

أهذي الحقوقُ كما يزعمونَ. فأُفٌّ لهم ولِما يدَّعونَ.

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠]. ﴿وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّىءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ ، فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر: ٤٣]. ﴿ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٢١].

اللَّهمَّ أعزَّ الإسلامَ والمسلمينَ، وأذلَّ أعداءَ الدين.....


المجموعة الذهبية
في
الخطب المنبرية

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

دار طيبة الخضراء

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٥٥٨٩٠٢٧ - فاكس: ٥٥٨٩٧٨٠ - ص.ب: ٦٩٥٨

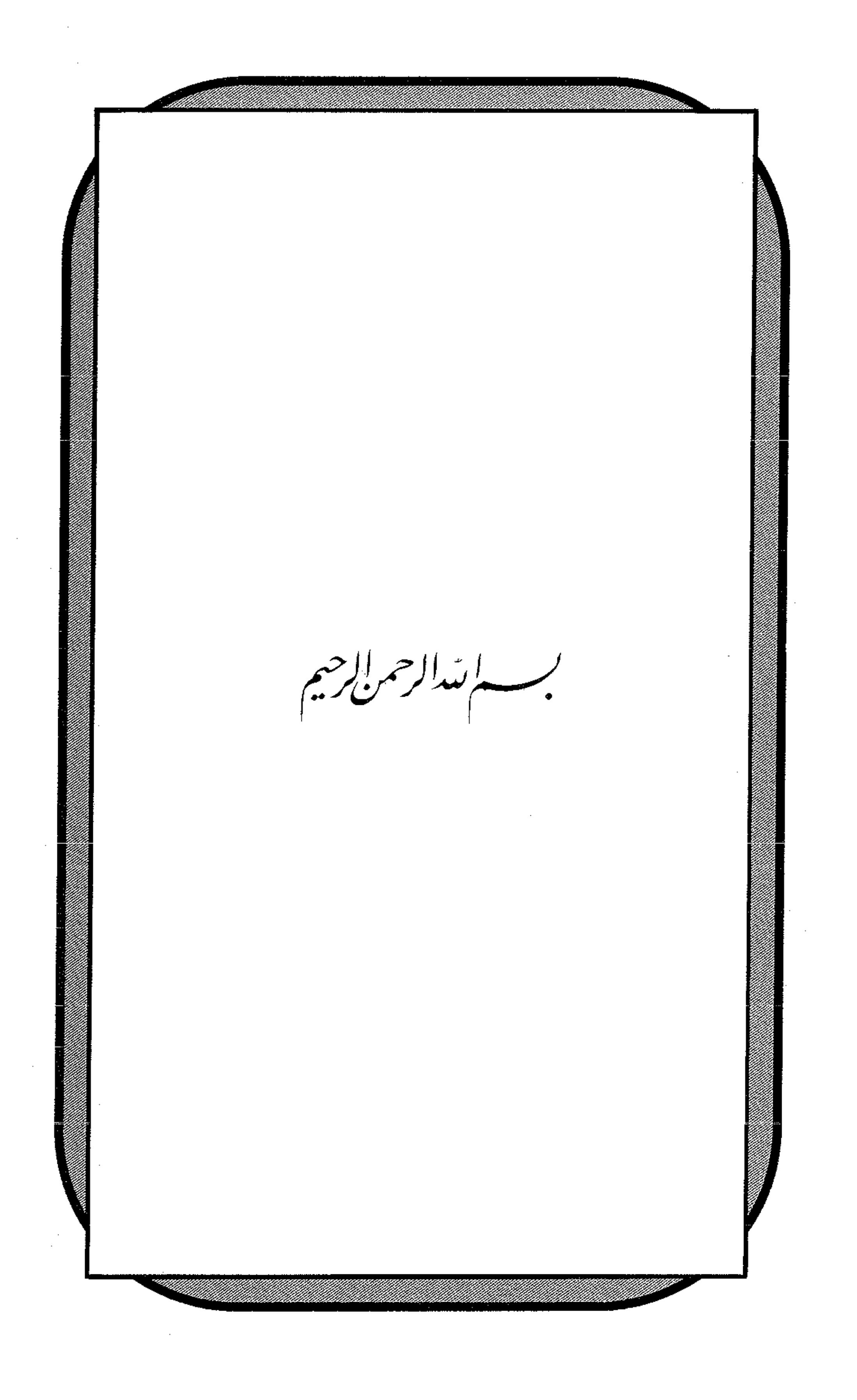
المجموعة الذهبية في الخطب المنبرية

بقلم
ناصر بن محمد بن مشري الغامدي
عضو هيئة التدريس بقسم القضاء
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى بمكة المكرمة

قدم له فضيلة الشيخ
الدكتور سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني
الداعية الإسلامي المعروف

المجموعة الثالثة

دار طيبة الخضراء
مكة المكرمة


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم فضيلة الشيخ
الدكتور/ سعيد بن مسفر بن مفرِّح القحطاني

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم وبارَكَ على نبينا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن خُطبَةَ الجُمُعَةِ من أهم الوسائلِ التربويةِ، والأساليبِ الدعَويَّةِ التي فرضَتْها الشريعةُ، وأوجبَتْ على المسلمِ حضورَها، والحِرصَ عليها، وسماعَها، وحُسْنَ الإنصاتِ إليها؛ باعتبارِها تُمَثلُ الوجبَةَ الإيمانيَّةَ الأسبوعيَّةَ التي يتزودُ بها المسلمُ؛ ليُمارسَ حياتَه العامَّةَ والخاصَّةَ مُستنيراً بهدي الإسلامِ، وتعاليمِه العظيمَةِ التي يتلقاها في كلِّ جُمُعَةٍ.

ولذا أكدَت الشريعةُ على وجوبِ الإنصاتِ إلى الخطيبِ، وعدَمِ الانشغالِ عنه، أو التشاغُلِ بأيِّ شيءٍ حتَّى بمسِّ الحصى؛ فقد جاء في الحديث أنه ﷺ قال: ((وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا)). [رواه مسلمٌ في صحيحه] ؛ وفي روايةٍ لأحمدَ وأبي داود: ((وَمَنْ قَالَ صَهٍ فَقَدْ تَكَلَّمَ وَمَنْ تَكَلَّمَ فَلاَ جُمُعَةَ لَهُ)).

وهذا التأكيدُ بوجوبِ الإنصاتِ يُرتبُ مسئوليَّةً كبرى على الإمامِ والخطيبِ في استغلالِ ذلك الاستعدادِ للتلَقي بإلقاءِ الخُطَبِ الهادفةِ ذاتِ المواضيعِ الهامَّةِ، التي تُعالِجُ قضايا المسلمين ومسائلَهم في أمورِ دينِهم ودنياهم، وما يُصلِحُ أحوالَهم في الدُّنيا والآخرَةِ.

وما هذا الكتابُ الذي ألفَهُ الأخُ الشيخُ/ ناصرُ بنُ محمد بن مشري الغامدي، والذي شرفَني بتقديمِه إلا حلقةٌ من السلسةِ الذهبيةِ التي نظَمَها بنانُه، في أسلوبٍ علمي رَصِيْنٍ، مُدَعَّماً بالأدلَّةِ الشرعيةِ من كتابِ الله عزَّ وجل وسنَّةِ رسولِه ﷺ ، ومشروحاً بكلامِ أعلامِ الأُمةِ وأئمةِ السَّلَفِ، ومُطَعماً بما لذَّ وطابَ من رقيقِ الأشعارِ، وصحيحِ الآثارِ، وبدائعِ الحِكَمِ.

وإنِّي لأرجو أن يَسُد هذا الكتابُ فراغاً في المكتبَةِ الإسلاميَّةِ، وأن يُلَبي حاجةً ماسَّةً يُعاني منها الخُطَباءُ في المساجدِ؛ ليكونَ عوناً لهم على أداءِ مهمَّتِهم.

ولذا فإنِّي أوصي الأئمةَ والخُطَباءَ بالمسارَعَةِ إلى اقتنائه، وإلقائِه، والاستفادةِ من مواضيعِهِ.

كما أدعو للأخِ المؤلفِ بدوامِ التوفيقِ، وأن يُحَققَ اللهُ له ما قصَدَهُ من تأليفِ هذا الكتاب.

وصلى اللهُ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم.

كتبه

د/ سعيد بن مسفر بن مفرِّح القحطاني

مكة المكرمة ١٤٢٠/٩/١٧هـ

المقدِّمة

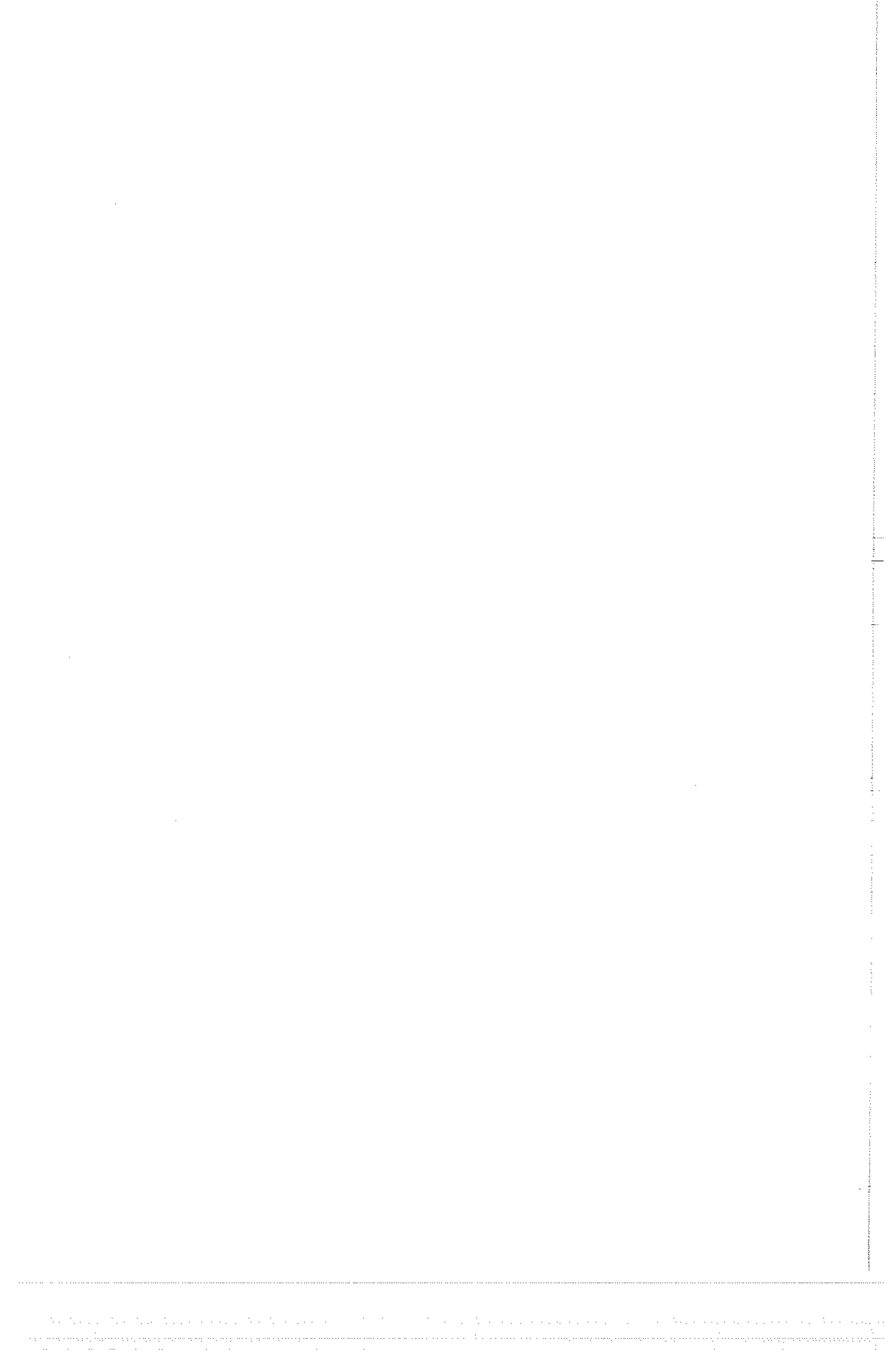
الحمدُ للهِ وحدَهُ، لا رَّادَّ لقضائِه، ولا مُعَقِّبَ لحكمِه، له الفضلُ كلُّه، وبيدِه الخيرُ كلُّه، وإليه يُرجَعُ الأمرُ كلُّه، علانيَتُه وسِرُّه، والصلاةُ والسلامُ على مِن لا نبيَّ بعدَه؛ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ، الذي تَمَّتْ به النِّعمَةُ، وخُتِمَتْ به الرسالةُ، وكَمُلَتْ به الشريعةُ، وعلى آله وصحبه، وتابعيهم على الإيمانِ والسُّنَّةِ إلى يومِ القيامة، أمَّا بعد:

فهذه هي المجموعة الثالثة من كتابي: « **المجموعة الذهبيَّة في الخطب المنبريَّة** » ضَمَّنتُها سِتّاً وعشرين خطبةً في موضوعاتٍ متنوِّعةٍ، تتعلَّقُ بحياةِ المسلمين، وشؤونِهم العامة والخاصَّةِ، وأمورِ دينهم، والخيرَ أردتُ عَلِمَ اللهُ، فإن كان ما فيها صواباً فمن اللهِ وحدَهُ له الفضلُ على ذلك والمِنَّةُ، وإن كان غيرَ ذلك فهو من النفسِ والشيطان، واللهَ أرجو أن يتجاوزَ عمَّا فيها من الخطأ والتقصيرِ والغفلَةِ، وأن يجعلَها خالصةً لوجهه الكريم، لا حظَّ فيها لأحدٍ سِواهُ، وأن ينفعَ بها عامَّةَ المسلمين وخاصَّتَهم، وأن يجعلَها من العلم النافع الذي لا ينقطع أجرُه، فهو سبحانه وتعالى نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير.

وأرجو مِمَّن اطَّلع عليها أن يغفر الزَّلَّةَ، ويُغضي عن الهفوةِ، ويبذُلَ النصيحةَ، وإن لم يجد فيها بُغيَتَه، فليجعلها كالزهرة تُشَمُّ ولا تُعَكُّ، وكالطيبِ يُقبلُ ولا يُردُّ.

أسألُ اللهَ تعالى أن يوفِّقَ المسلمين جميعاً للعملِ بشريعتِه، واتِّباعِ سُنَّةِ نبيِّه ﷺ، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

كتبه
ناصر بن محمد بن مشري الغامدي
مكة المكرمة
١٤٢٠/٩/١٤هـ



وجوب الإخلاص لله والحذر من الرياء

●الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والعاقِبَةُ للمتَّقينَ، ولا عُدوانَ إلاَّ على الظالمينَ، أحمدُه تعالى وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، أمرَ ألاَّ تعبُدوا إلاَّ إيَّاهُ ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمونَ، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا وحبيبَنا محمداً عبدُه ورسولُه ومصطفاهُ وخليلُه، بعَثَهُ الله سبحانه بالهُدى ودينِ الحقِّ ليُظْهِرَهُ على الدينِ كلِّه ولو كَرِهَ المشركونَ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوتِه، واهتدى بهديِه، واستنَّ بسُنَّتِه إلى يومِ الدينِ، وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله تبارك وتعالى حقَّ التقوى وراقِبوه سبحانه وتعالى في السرِّ والنجوى، فبتقواه سبحانه تزكو الأعمالُ، وتُنالُ الحَسَناتُ، وتُقالُ

العَثراتِ، وتُرْفَعُ الدرجاتِ، وتُغفَرُ السيِّئاتِ؛ ﴿ اتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣].

أيُّها المسلمون:

لقد أكرَمَنا الله تعالى بهذا الدينِ القويمِ، والصِّراطِ المستقيمِ الذي أتَمَّ به النِّعْمَةَ، وختَمَ به النُّبوَّةَ، وأكملَ به الرِّسالَةَ، وارتضاهُ سبحانه وتعالى ليكونَ الدينَ الإسلاميَّ، والشريعةَ الإلهيَّةَ للعالمين أجمعينَ؛ أتَمَّهُ وأكملَهُ، وشرَعَهُ وارتضاهُ، وجعلَهُ ناسِخاً لِما قبلَهُ من الأديانِ والرِّسالاتِ؛ ليَقومَ الناسُ بالقِسْطِ، ويعبُدوه وحدَه لا يُشرِكونَ به شيئاً، وبناهُ سبحانه وتعالى على أصلينِ عظيمين، لا بُدَّ من التَّحَلِّي بهما لِمَنْ أرادَ النَّجاةَ والسَّلامَةَ؛ ألا وهُما: الإخلاصُ، والمُتابَعَةُ.

الإخلاصُ للهِ تعالى بإفرادِه بجميعِ أنواعِ العبادَةِ دونَ سِواه. والمُتابَعَةُ للمنْهَجِ الذي شرَعَهُ المصطفى ﷺ وبيَّنَهُ للأُمَّةِ، حينَ ترَكَها على مثلِ البيضاءِ ليلُها كنهارِها، لا يَزيْغُ عنها إلاَّ هالِكٌ؛ ﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

عبادَ الله:

الإخلاصُ للهِ، والمُتابَعَةُ لرسولِه ﷺ هما الشَّرْطانِ العظيمانِ المُهِمَّانِ اللَّذانِ علَّقَ الله قبولَ الأعمالِ عليهما؛ فإنَّ العملَ لا يكونُ مقبولاً إلاَّ إذا أخلَصَ صاحِبُه للهِ فيه، وكان على وِفْقِ ما جاءَ به المصطفى ﷺ .

واعْلَمْ بأنَّ الأجرَ ليسَ بحاصِلٍ ... إلاَّ إذا كانَتْ له صِفَتَـــــانِ
لا بُدَّ من إخلاصِـهِ ونَقـائِـه ... وخلوِّهِ من سـائـرِ الأدرانِ

وقال ابنُ قَيِّمِ الجوزيَّةُ -عليه رحمةُ اللهِ-:

حَقُّ الإلهِ عِبادةٌ بالأمـــرِ لا ... بهوى النفوسِ فذاكَ للشيطانِ
من غيرِ إشراكٍ به شيئاً همـا ... سببَا النَّجاةِ فحبَّذا السبَبَـــانِ
والناسُ بعدُ فمشـــركٌ بإلهِـهِ ... أو ذو ابتداعٍ أو له الوصفـانِ
فلواحِدٍ كُنْ واحِداً في واحِدٍ ... أعني طريقَ الـحقِّ والإيـمـانِ

والإخلاصُ -عبادَ اللهِ- هـو حقيقَـةُ الدينِ، ومِفتـاحُ دعـوَةِ الرُّسُـلِ -عليهم الصلاةُ والسلامُ- يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُواْ الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾ [البيِّنة:٥] ؛ لأنَّ مدارَ الأعمالِ على النيَّاتِ، فكلُّ عملٍ لا يُرادُ بـه وجْـهَ اللهِ فهو باطِلٌ مردودٌ لا ثَمَرَةَ لـه في الدُّنيـا ولا في الآخـرَةِ متـى مـا كـان هـذا العملُ مُفْتَقِراً إلى النيَّةِ؛ فعن عمرَ بنِ الخطَّابِ -رضـي اللهُ عنـه- فيمـا روه الشيخان أنَّه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: « إِنَّمـا الأَعْمَـالُ بِالنِّيَّـاتِ، وإنَّما لكُلِّ امرئٍ ما نوى؛ فَمَنْ كَانتْ هِجْرَتُهُ إلى اللهِ ورسولِه فَهجرتُه إلى اللهِ ورسولِه، وَمَنْ كَانتْ هِجْرَتُه لدُنيا يُصيبُها، أو امرأةٍ ينكِحُهـا فَهجرتُـه إلى ما هاجرَ إليه ».

ذَكَرَ أهلُ العلمِ -رحمهم الله- أنَّ النيَّةَ شُرِعَتْ في الإسلامِ لمعانٍ مهمَّةٍ؛ أولُها: تمييزُ العباداتِ عن بعضِها؛ كتمييزِ صلاةِ الظهرِ عن العصرِ، وتمييزِ الصيَامِ عن الزكَاةِ والحَجِّ، وتمييزِ العباداتِ عن العَادَاتِ؛ كتمييزِ الغُسْلِ من الجَنَابَةِ عن غُسْلِ التنظُّفِ والتبرُّدِ.

وثانيها: تمييزُ رُتَبِ العباداتِ عن بعضِها؛ كتمييزِ النفْلِ عن الواجبِ، والتطوُّعِ عن الفَرْضِ.

وثالثُها: تمييزُ المعبودِ المقصودِ بالعملِ؛ هل هو الله وحده لاشريكَ لَهُ، أم اللهُ وغيرُه. ولقد كان المصطفى ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال: « وَجَّهتُ وَجهِيَ للذي فَطَرَ السَّمَواتِ والأرضَ حَنِيْفاً مُسْلِماً وَمَا أنَا مِنَ المُشركين، إنَّ صَلاتي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ العالمينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأنَا مِنَ المُسْلِمينَ ». [رواه مسلم]

وهذا المَقْصَدُ الأخيرُ هو محلُّ الاهتمامِ، ومَناطُ السَّعادَةِ أو الشَّقاوَةِ، والثَّوابِ أو العِقابِ؛ فقد يعملُ شخصان عملاً واحِداً في الصُّورَةِ، ويتساويانِ في النَّصَبِ والتَّعَبِ، ولكنَّ أحدَهما يُثابُ والآخرَ يُعاقَبُ؛ نَظَراً لاختلافِ القَصْدِ.

ومَحَلُّ النيَّةِ هو القلبُ، والتَّلَفُّظُ بها بِدْعَةٌ لا تجوزُ.

عبادَ الله:

والمسلمُ مأمورٌ بالإخلاصِ للهِ في أعمالِه كلِّها؛ فإنَّ الإخلاصَ للهِ مَطْلَبٌ ضروريٌّ لقبولِ الأعمالِ، والمُجازاةِ عليها بعظيمِ الثوابِ، وجزيلِ

العطايا والهِبَاتِ؛ حيثُ جعلَهُ سبحانه وتعالى شرطاً لا بُدَّ منه لرجاءِ النَّجاةِ والفلاحِ يومِ القيامَةِ؛ يقولُ الله تباركَ وتعالى في مُحْكَمِ التنزيلِ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا﴾ [الكهف:١١٠].

والإخلاصُ للهِ عزَّ وجلَّ معناهُ: أن يعمَلَ الإنسانُ العملَ يبتغي به وجْهَ اللهِ تعالى، لا يُدنِّسَهُ رياءٌ ولا شركٌ ولا سُمْعَةٌ. قال بعضُ السَّلَفِ: (الإخلاصُ إستواءُ أعمالِ العبدِ في الظاهِرِ والباطِنِ).

فالمسلمُ صاحِبُ عقيدَةٍ صافيَةٍ، وأعمالٍ صالِحَةٍ، وعِبادَةٍ خالِصَةٍ؛ لأنَّه يدينُ بالعبوديَّةِ للهِ تعالى الذي يُحاسِبُه على الأفعالِ والأعمالِ والأقوالِ والنيَّاتِ والمقاصِدِ.

والإخلاصُ -عبادَ اللهِ- هو التاجُ على الأعمالِ، ولكنَّه ليسَ ادِّعاءً مُجرَّداً، بل هو حقيقةٌ وانتماءٌ؛ فإنَّ الإنسانَ وإن ادَّعى الإخلاصَ وصَدَّقَهُ الناسُ بذلِكَ فاللهُ تعالى لا تخفى عليه خافيَةٌ.

لذا فقد وجَّهُ المصطفى ﷺ أنظارَ الأُمَّةِ، ولَفَتَ انتباهَها إلى وجوبِ الاهتمامِ بتصحيحِ القلوبِ، وإصلاحِ البواطِنِ، والاهتمامِ بالسَرَّاءِ لأنَّها هي المُعتَبَرَةُ عندَ اللهِ تعالى في الثوابِ أو العِقابِ.

روى الإمامُ مسلمٌ في صحيحِه عن أبي هُرَيرَةَ -رضي اللهُ عنه- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

قال الفُضَيْلُ بنُ عِياضٍ -عليه رحمةُ اللهِ- عندَ قولِه تعالى في أوَّلِ سورةِ المُلْكِ ﴿ الَّذِيْ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ قال: (أخلَصُهُ وأصوَبُه). وفي الصحيحِ من حديثِ أنسِ بن مالكٍ -رضي الله عنه- أنَّه ﷺ قال: « ثَلاَثٌ لاَ يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلاَصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ ». [رواه الترمذيُّ، وغيرُه]

معاشرَ المسلمين:

الرِّياءُ مُحْبِطٌ للأعمالِ، مُنافٍ للإخلاصِ، مُبْطِلٌ للثوابِ، موجِبٌ للمَقْتِ من الكبيرِ المُتعالِ، وهو من كبائرِ الذنوبِ المُهْلِكَةِ التي تسري في عَمَلِ الإنسانِ سَرَيانَ الآكِلَةِ في الجَسَدِ دونَ أن يشْعُرَ بها ويحتاطَ لها، ما لم تَتدارَكهُ رحمةُ اللهِ.

في الصحيحِ أنَّه ﷺ قال: « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ». قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: « الرِّيَاءُ. يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمُ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً ». [رواه أحمدُ]

وعندَ مسلمٍ في الحديثِ القُدسيِّ عن النبيِّ ﷺ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: « أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».

فكلُّ عبادةٍ يؤدِّيها العبدُ للهِ، وكلُّ عملٍ من أعمالِ الخيرِ يفعلُه لا يُقبلُ منه ما لم تكن نيَّتُه الباعثةُ عليه خالصةً للهِ عزَّ وجلَّ، مُبرَّأةً من الشركِ، ومُطهَّرةً من شوائبِ الرياءِ، والرَّغبَةِ في متاعِ الحياةِ الدُّنيا، فالأعمالُ مرتبطةٌ ارتباطاً وثيقاً بالنيَّاتِ والمقاصدِ، والدوافعِ الكامنة وراءَها.

يُحكى أنَّ أبا أُمامةَ الباهليِّ -رضي الله عنه- رأى رجلاً يبكي في المسجدِ، فقال: أنتَ أنتَ !! لو كان هذا في بَيْتِكَ.

ويُروى عن الفضيلِ بنِ عياضٍ -عليه رحمةُ اللهِ- أنَّه قال: (تركُ العملِ من أجلِ الناسِ رياءٌ، والعملُ من أجلِ الناسِ شركٌ، والإخلاصُ أن يُعافِيَكَ اللهُ منهما).

قال الإمامُ النوويُّ -رحمه الله- موضِّحاً ذلك: (والمعنى: أنَّ من عزَمَ على عبادةٍ وترَكَها مخافَةَ الناسِ أن يروه فهو مُراءٍ؛ لأنَّه تركَ العملَ لأجلِ الناسِ، أما لو ترَكَها لِيُصليَها في الخَلْوَةِ فهذا مُستحبٌّ، إلاَّ أن تكونَ فريضةً أو زكاةً واجبةً، أو يكونَ عالِماً يُقْتَدى به فالجَهْرُ بالعبادةِ في ذلك أفضلُ).

أيُّها المسلمون:

والرِّياءُ على درَكاتٍ بعضُها أشدُّ من بعضٍ، فمن أعظمِ الرِّياء إثماً وأكبرِه جُرْماً أن يعمَدَ الإنسانُ إلى عملٍ من الأعمالِ الصالحةِ التي يُبتغى بها وجهُ اللهِ تعالى، ولا يشكُّ الناسُ أنَّ صاحبَها يُريدُ الأجرَ والمثوبةَ من اللهِ، يَعْمَدُ إلى هذه الأعمالِ والعبادات فيتَّخِذَها مَطِيَّةً إلى ما يشتهي من متاعِ الدُّنيا وزَهْرَتِها ، ووسيلةً لتحقيقِ مطامعه الشخصيَّةِ، ولذائذهِ في

الحياةِ، يَخْدَعُ الناسَ مَظْهَرُه الصالِحُ، ويَخفى عليهم باطِنُه الطالِحُ، فإذا خلى بنفسِه أظهرَ مساوئها، وكشفَ أسرارَها، ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً ﴾ [النساء:١٠٨] ؛ ﴿ يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء:١٤٢].

وهذا من أعظمِ أنواعِ الرِّياءِ؛ فقد جاءَ في الصحيحِ عن ثَوبانَ -رضي اللهُ عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « لأَعْلَمَنَّ أَقْوَاماً مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جبَالِ تِهَامَةَ بيضاً، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُوراً ». قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ! صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ ! قَالَ: « أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا ». [رواه ابنُ ماجه]

قال عليٌّ -رضي اللهُ عنه-: (للمُرَائِي ثلاثُ علامَاتٍ: يَكْسَلُ إذا كان وحدَه عن الطاعة، ويَنْشَطُ إذا كان في الناسِ، ويزيدُ في العملِ إذا أُثنِيَ عليه الناسُ ومَدَحوه).

وقال الإمامُ الخَطَّابيُّ عندَ قوله ﷺ فيما رواه البخاريُّ ومسلمٌ: « مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ ». قال: (من عَمِلَ عملاً على غيرِ إخلاصٍ إنَّما يُريدُ أن يراه الناسُ ويسمعوه جُوْزِيَ على ذلك بالتَشْهيرِ بِهِ، والفَضيحَةِ له بينَ الناسِ حتَّى يعلموا ما أخفاهُ، ويَكْشِفوا ما سَتَرَه عن أعيُنِهم).

وكان بعضُ السَّلَفِ إذا قرأوا قولَ الله تعالى: ﴿ **وَبَدَا لَهُمْ مِّنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ**﴾ [الزمر:٤٧] يقولُ: (ويلٌ لأهلِ الرِّياءِ كانوا يعملونَ أعمالاً يرونَها في الدُّنيا حسَنَاتٍ بَدَتْ لهم يومَ القيامَةِ سيِّئاتٌ، يُنادى بهم يومَ القيامَةِ: أيُّها المراؤنَ الفاجِرون ! اذهبوا فخُذوا أجرَكم مِمَّن عملتُم له، فلا أجرَ لكم عندَ اللهِ).

وقال الحَسَنُ البصريُّ -رحمه اللهُ-: (المُرائي يُريدُ أن يَغلِبَ قدَرَ اللهِ فيه، يُريدُ أن يقولَ الناسُ هو صالِحٌ، فكيفَ يقولونَ وقد حلَّ من ربِّهِ محلَّ الأرْدِياءِ ، فلا بُدَّ لقلوبِ المؤمنين أن تعرِفَهُ).

وقال قتادَةُ -عليه رحمةُ اللهِ-: (إذا راءى العبدُ في عملِهِ قال اللهُ عزَّ وجلَّ: يا ملائكتي ! انظُروا إلى عبدي كيفَ يَسْتَهْزِئُ بي!!).

اللَّهُمَّ إنَّا نعوذُبك من الرِّياءِ والنِّفاقِ وسيِّئِ الأخلاق، اللَّهُمَّ طَهِّرْ قلوبَنا من الشركِ، وثَبِّتْها على الطاعَةِ، واعْصِمْها من الزَّلَلِ يا ربَّ العالمين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فيا أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه ، واعلموا أنَّكم ملاقوه.

ثمَّ اعلموا رحمكم الله أنَّ الرِّياءَ خَطَرُه عظيمٌ وشرُّه مُستَطيرٌ، يُطفئُ نورَ العبادَةِ كما يُطفئُ الماءُ النارَ، يَعْمَدُ الإنسانُ إلى عِبادَةٍ من العِبادات، أو طاعَةٍ من الطاعاتِ لا يراهُ فيها حقّاً إلاَّ اللهُ عزَّ وجلَّ، فيَغْدوا على الناسِ يقولُ: عَمِلتُ كذا وكذا، يُريدُ أن يَحْمَدوه على ذلك، ويُثنوا عليه، ولو تيَّقَنَ من فؤادِه أنَّ الحمدَ والثَّناءَ في ذلك إنَّما هو من اللهِ تعالى لما أقبلَ على ذلك العمَلِ ولادَّخَرَهُ عندَ اللهِ سبحانه.

ويَقِفُ الإنسانُ في صلاتِه، فيرَى بعضَ الناسِ يَنظُرُ إليه، فيُطِيلُ رُكوعَها وسجودَها، ويَتَذَلَّلُ فيها تَذَلُّلَ العُبَّادِ حتَّى يَكْسَبَ ثناءَ الناسِ ومَدْحَهم، ولو كان لوحدِه لنقَرَها كما يَنْقُرَ الغُرابُ طعامَه دونَ أن يكونَ للهِ تعالى فيها أدنى تعظيمٍ في قلبِه أو نفسِه.

فويلٌ للمُرائي من ا لله تعالى ! أتْعَبَ نفسَه بالأعمالِ والعِباداتِ، وحَرَمَ نفسَه الأجرَ من ا للهِ؛ لأنَّه التَمَسَ نظرَ الناسِ فيما يُبدي ويُعيدُ، وغابَتْ عنهُ مُراقَبَةُ الواحِدِ القَهَّارِ؛ ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ** ﴾ [الماعون:٤-٧].

كَمْ من مُصَلٍّ لا يُطيلُ — صلاتَهُ لِسوى الطَّمَعْ
مُتَلَهِّياً إمَّا خَلاَ — وإذا بَصُرْتَ بِهِ رَكَعْ
يدعو وجُلُّ دُعائِهِ — ما للفَريسةِ لا تَقَعْ

عبادَ ا للهِ:

وا للهِ لم يَزَلِ المُخْلِصونَ للهِ خائفينَ من الرِّياءِ، يَجْتَهِدونَ في إخفاءِ طاعَتِهم أعظَمَ مِمَّا يحرِصُ الناسُ على إخفاءِ فواحِشِهم، كلُّ ذلك رجاءَ أن تَخلُصَ أعمالُهم الصالِحةُ للهِ، فيَتَقبَّلُها ا للهُ منهم، ويَجْزِيْهم عليها أحسنَ الجزاءِ.

قال الرَّبيعُ بنُ خُثَيمٍ -رحمةُ ا للهِ عليه-: (أدْرَكْتُ أقوماً من السَّلَفِ كان الواحِدُ منهم ينامُ معَ زَوْجَتِه على سريرٍ واحدٍ، يُبَلِّلُ ما تحتَ رأسِه بالدُّموعِ، لا تعلَمُ به زوجتُه. ولقد كان الرَّجُلُ يُصلِّي بجانبِ صاحبِه، فَتَسيلُ دموعُه حتَّى تُبَلِّلَ لِحْيَته، لا يعلَمُ به صاحِبُه).

والإخلاصُ -عبادَ ا للهِ- أُمنيةٌ عزيزةٌ، وخَصْلَةٌ حميدَةٌ متى ما تميَّزَ بها المسلِمُ سارَ في طريقِ النَّجاةِ والفلاحِ، ولا بُدَّ له من مُجاهَدَةٍ صادِقَةٍ حتَّى يُنالَ.

سُئِلَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التَّسْتُريُّ: أيُّ شيءٍ أشدُّ على النفسِ ؟ قال: الإخلاصُ؛ لأنَّه ليسَ لها فيه نصيبٌ.

وقال سُفيانُ الثَّوريُّ: (ما عالَجْتُ شيئاً أشدَّ عليَّ من نيَّتي، إنَّها تَتقلَّبُ عليَّ).

ثمَّ اعلموا رحمكم اللهُ: أنَّ الإخلاصَ يُنافيه أمورٌ خمسَةٌ؛ هي: حُبُّ الدُّنيا والشُّهْرَةِ والشَّرَفِ، والرِّياءُ، والسُّمْعَةُ، والعُجْبُ، فلا بُدَّ لمن أرادَ الإخلاصَ أن يَتَخَلَّصَ منها.

معاشرَ المسلمين:

من الناسِ من دَيْدَنُه مُراعاتُ الناظرينَ، والتَّصَنُّعُ للمخلوقين حتَّى يستعطِفَ القلوبَ النافِرةَ، ويَخْدَعَ العقولَ الواهِيَةَ، فيَظُنُّوه من الصالحينَ، وليسَ منهم، ويَنْدَسُّ بينَ الأخيارِ، وهو ضِدُّهم، وقد ضربَ رسولُ اللهِ ﷺ لهذا وأمثالِه مثَلاً فقال فيما رواه البخاريُّ ومسلمٌ: « الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ » ؛ يُريدُ بذلكَ الْمُتزَيِّنُ بما ليسَ فيه رياءً وسُمْعَةً، فهو بريائِه محرومُ الأجرِ، مَذمومُ الذِّكْرِ؛ لأنَّه لم يقْصِدْ وجْهَ اللهِ تعالى فيؤجَرُ، ولا يخفى على الناسِ فيُحْمَدُ.

والرِّياءُ -عبادَ اللهِ- داءٌ له دواءٌ، وذلك بالخوفِ من اللهِ، ومُجاهَدَةِ النفس على الأعمالِ الصالحَةِ بظَهْرِ الغيبِ، ومَعْرِفَةِ عَظَمَةَ اللهِ سبحانه وتعالى، وأنَّه الْمُسْتَحِقُّ للعبادَةِ دونَ سِواه، وأنَّه هو الذي يُجازي على الأعمالِ، وتَذَكُّرِ الموتِ وسكَراتِه، والقَبْرِ وأهوالِه، واليومِ الآخرِ وأحوالِه

التي يشيبُ لها الوِلْدانِ، ثمَّ بالنَّظَرِ في عاقِبَةِ الرِّياءِ في الدُّنيا والآخِرَةِ، ورضي الله عن عمرَ الفاروقِ حيثُ قال: (فَمَنْ خَلُصَتْ نيَّتُه في الحقِّ ولو على نفسِه كفاه الله ما بينَه وبينَ الناسِ، ومَنْ تَزَيَّنَ بما ليسَ فيه شانَهُ الله).

وهُناكَ جانِبٌ مُهِمٌّ: وهو أنَّ الإنسانَ قد يَذُمُّ نفسَه بينَ الناسِ، يُريدُ بذلك أن يرى الناسُ أنَّه مُتَواضِعٌ، فيرتَفِعُ بذلك عندَهم، ويمدَحونَه به، وهذا من دقائقِ أبوابِ الرِّياءِ التي قد لا يَتَفَطَّنُ لها الناسُ كما ذكرَ الحافِظُ ابنُ رَجَبٍ -عليه رحمةُ اللهِ- وقد نبَّه على هذا السَّلَفُ الصالِحُ؛ فقال مُطَرِّفُ بنُ عبدِ اللهِ: (كفى بالنَّفْسِ إطراءً أن تَذُمَّها على الملأِ كأنَّكَ تريدُ بذَمِّها زينتَها، وذلكَ عِندَ اللهِ سَفَهٌ).

وكَمْ عَمَلٍ جَميْلٍ مَسْتَطابٍ … يُضَيِّعُ أجرَ صاحِبه الرِّياءُ

وإذا أخلَصَ المسلمُ نيَّتَه للهِ تعالى، واجتهدَ في كِتْمانِ الأعمالِ الصالِحَةِ عن الناسِ حَذَراً من الرِّياءِ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يُظْهِرُ حالَه للناسِ، ويُطْلِعُهم على صلاحِهِ فيَحْمَدونَه، ويُثنونَ عليه، ولا حرَجَ عليه عِنْدَها إذا داخلَهُ شيءٌ من السُّرورِ بذلك ما دامَ أنَّه لم يَقْصِدْ ذلك الأمرَ، وهذا من عاجِلِ بُشرى المؤمنِ كما قال أبو الدَّرْداءِ -رضي الله عنه-: يَا رَسُولَ اللهِ أرَأَيْتَ الرَّجُلُ يَعْمَلُ الْعَمَلَ فَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ بِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ ». [رواه أحمدُ، ومسلمٌ]

ألاَ فاتَّقوا الله ربَّكم وأخلِصوا له في العبادَةِ، واحذروا من الرِّياءِ والسُّمْعَةِ تفوزوا وتُفلِحوا، ثمَّ صلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم الله تعالى

بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً)). [رواه مسلم]

❧ ❧ ❧

ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين

●الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، الرحمنِ الرحيمِ، مالكِ يومِ الدينِ، أحمدُه تعالى وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، إلـهُ الأولينَ والآخرينَ، وقيِّومُ السمواتِ والأرضينَ، ربُّ الأربابِ، ومُسَبِّبُ الأسبابِ، وخالقُ خلقِه من تُرابٍ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه، ومصطفاهُ وخليلُه، شرحَ اللهُ صدرَه، وأعلى في العالمينَ قدرَه، وجعلَ الذِّلَّةَ والصَّغَارَ على من خالفَ أمرَه، تركَنا على شريعةِ الإسلامِ الخالدةِ، الواضحةِ السمْحَةِ، التي من تمسَّكَ بها نجا، ومن فرَّطَ فيها غوى، فصلواتُ ربِّي وسلامُه عليه، وعلى آله وصحبهِ، ومن لمنهجِهم اقتفى، وبهُداهُم اقتدى إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

أوصيكم بتقوى الله عزَّ وجلَّ التي لا يقبلُ غيرَها، ولا يرحمُ إلاَّ أهلها، ولا يُثيبُ إلاَّ عليها، فإنَّها النجاةُ والفلاحُ، والعزَّةُ والشرفُ، والسعادةُ والرِّيادةُ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٢].

أيُّها الناس:

العزَّةُ والكرامةُ والشرفُ والإباءُ من الخصال الحميدةِ، والصفاتِ النبيلةِ، التي دعى إليها الإسلامُ، وحثَّ على التَّحلِّي بها، والاتِّصافِ بها، والعنايةِ بها، وتربيةِ أتباعهِ عليها؛ بما شرعَه من عقائدَ وآدابٍ وسُنَنٍ وأخلاقٍ.

والعزَّةُ في مفهومِ الإخلاقِ الإسلاميَّةِ: هي كبرياءُ الإيمانِ في نفسِ المؤمنِ؛ اعتزازاً بربِّهِ ودينِه، وتَمرُّداً على الاستكانَةِ والضَّعفِ، وبُعْداً عن الهوانِ والذُّلِّ، وتعالياً على أباطيل الحياةِ، ومُغْرياتِها؛ فالنفسُ المسلِمةُ المؤمنةُ نفسٌ تتصلُ بالخالقِ العظيم، والنفسُ التي تتصلُ بالعلِّي الأعلى نفسٌ أبيَّةٌ عفيفةٌ عزيزةٌ، لا تعرفُ الصَّغَارَ والضَّعفَ، ولا تلينُ لُمتَجَبِّرٍ ولا لكافرٍ، فَلَها من الله تعالى ظهيرٌ، ويكفيها ذلك شرفاً وكرامةً، وعِفَّةً ونزاهةً.

لقد ربأَ الإسلامُ بأتباعِه عن الهوانِ، وحذَّرَهم من الاستذلالِ والقهرِ والاستضعافِ إلاَّ إليه وله، كلُّ ذلك ليكونوا عباداً لإلهٍ واحدٍ، عزيزٍ قاهرٍ، لا إله إلاَّ هو، سبحانه وتعالى عمَّا يُشركون.

والناظرُ لأحوال من على هذه البسيطة يرى تعدُّدَ مشاربِ الناسِ ومذاهبِهم في البحثِ عن العزَّةِ والكرامةِ، في الشرفِ تارةً، وفي الجاه والمنصب أخرى، وفي المال والثراء كرَّةً، وفي غيرِ ذلك تاراتٍ ومراتٍ.

والعزُّ الحقيقيُّ -عباد الله- إنَّما هو في الإسلام؛ الذي جاء به المصطفى ﷺ ؛ القائل: ((بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)). [رواه احمدُ، ورجالُه ثقاتٌ]

وعزَّةُ النفسِ: هي ارتفاعُها عن مواضِعِ المهانَةِ والذِّلَّةِ، والابتعادُ بها عن مواطنِ الضَّعَةِ والضَّيْمِ، وذلك كلُّه إنَّما يحصلُ بحفظِ ماءِ الوجهِ، وصيانةِ العِرْضِ، والبُعْدِ عن المطامعِ التي تورثُ الهوانَ، والقناعةِ بما قسَمَ الله تعالى للعبدِ وقدَّرَ وقضى.

وجِمَاعُ ذلك كلِّه: تحقيقُ العبوديَّةِ لله الواحدِ القهَّارِ، وطلبُ الرِّفْعَةِ بدينِه، وشرعِه؛ فإنَّ اعتزازَ المسلمِ بربِّه ودينِه ونفسِه المسلمةِ من أعظمِ الوسائلِ المعينَةِ له على الحياةِ الكريمةِ الشريفة، فالله سبحانه وتعالى هو العزيزُ الغالبُ، القويُّ القادرُ، الذي لا يُغْلَبُ، وعزَّتُه سبحانه وتعالى هي المصدرُ لكلِّ عزَّةٍ، فهو عزَّ وجلَّ الذي يَهَبُ العزَّ لمن يشاءُ من عبادِهِ ؛ **﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [آل عمران:٢٦].

والعزَّةُ المستمدَّةُ من ا لله سبحانه وتعالى هي الدائمةُ الـتي لا تـزولُ، ولا يُخالطُها الذلُّ أبداً، وإنَّ من جوامعِ كَلِمِ النبيِّ المصطفى ﷺ : « كُـلُّ عِـزٍّ لَيْسَ بِا للهِ فَهوَ ذُلٌّ ».

نعم عباد ا لله ! إنَّ شرفَ المؤمنِ في تواضُعِه لربِّه والمسلمين، وعـزَّه في تقواه لله تعالى، وحُريَّتَه في قناعتِه بما قسَمَه ا للهُ لـه في هـذه الحيـاة. ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُـهُ وَالَّذِيـنَ يَمْكُـرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُـمْ عَـذَابٌ شَـدِيدٌ وَمَكْـرُ أُوْلَئِـكَ هُـوَ يَبُـورُ** ﴾ [فاطر: ١٠].

قال ابنُ عباسٍ –رضي ا لله تعالى عنهما–: كان رسولُ ا للهِ ﷺ يقـولُ: « اللَّهُـمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْـكَ أَنَبْـتُ، وَبِـكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ أَنْ تُضِلَّنِـي، أَنْـتَ الْحَـيُّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ ». [متفقٌ عليه، واللفظُ لمسلمٍ]

كَانَ المصطفى ﷺ يُصَلِّي فَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ فقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ عَـنْ هَـذَا ؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا ؟ أَلَمْ أَنْهَـكَ عَـنْ هَـذَا ؟ فَـانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَزَبَـرَهُ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بِهَا نَادٍ أَكْثَرُ مِنِّي ! فَأَنْزَلَ ا للهُ ﴿ **فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ** ﴾. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: « فَوَا للهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لأَخَذَتْهُ زَبَانِيَـةُ ا للهِ من ساعتِه ». [رواه الترمذيُّ وأحمدُ، وأصلُه عند مسلمٍ]

لقد استأثرَ ا للهُ تعالى بالعزَّةِ الحقيقيَّةِ، فلا يجدُها إلاَّ من يتـولاَّه سبحانه وتعالى، ويطلبُ عندَه الشرفَ، ويركنُ إلى حماه، ويلجأُ إلى رحمتِه. فـالعزَّةُ والشرفُ ليسا في جمعِ الأموالِ، ولا تكثـيرِ الأولادِ، ولا تحصيلِ المنـاصبِ،

وإنَّما بكونِ المسلمِ عبداً لربِّ الأرضِ والسمواتِ، وأن يكونَ من أولياءِ اللهِ الذين يعملونَ الصالحاتِ، ويجتنبونَ المحرَّماتِ. فعزَّةُ المسلمِ، وشرفُ نفسِه إنَّما هو بالرَّغبَةِ فيما أعدَّه اللهُ لعبادِه، وترويضِ النفوسِ على طاعةِ اللهِ سبحانه وتعالى، والتسليمِ لقدرتِه، وتعظيمِه على من سواه، والإعراضِ عمَّا في أيدي الناس، وإنزالِ الحوائجِ بربِّ العالمين، الكريمِ الوهَّابِ الذي يملكُ قضاءَها.

العزَّةُ -عباد الله- في النزاهةِ عن المطامعِ الدَّنيَّةِ، والبُعْدِ عن مواطِنِ الرِّيَبِ؛ فالطَمعُ ذُلٌّ، والدَّناءَةُ لؤمٌ، وهما أدفعُ شيءٍ للمرؤةِ.

لا تخْضَعنَّ لمخلوقٍ على طَمَعٍ فإنَّ ذلك نقصٌ منكَ في الدينِ
واسترْزِقِ اللهَ ممَّا في خزائنِه فإنَّما هو بينَ الكافِ والنونِ

العزَّةُ -عباد الله-: مظهرٌ من مظاهرِ الرجولةِ والشهامةِ التي تورثُ العِفَّةَ والنزاهةَ، ورسوخَ اليقينِ، والقوَّةَ في الدينِ، والثِّقةَ باللهِ العزيزِ الحميدِ، ممَّا يجلبُ للعبدِ المكارمَ، ويدفعُ عنه المكارهَ.

حجَّ هشامُ بنُ عبدِ الملكِ -الخليفةُ الأمويُّ- فلمَّا كان في الطوافِ حولَ البيت رأى سالمَ بنَ عبد اللهِ بن عمرَ الزاهدَ العالمَ يطوفُ بالبيتِ، وحذاؤه في يديهِ، وعليه عمامةٌ وثيابٌ مُرَّقَعَةٌ باليَةٌ، فقال هشامٌ: يا سالمُ ! أتُريدُ حاجةً أقضيها لك اليومَ ؟. قال سالمٌ: أما تستحيي من اللهِ ؟ تعرضُ عليَّ الحوائجَ وأنا في بيتِ من لا يُعْوِزَني إلى غيرِهِ ! فاحمرَّ وجهُ الخليفةِ، فلمَّا خرجَ من الحرمِ قال: هل تُريدُ شيئاً يا سالمُ ؟ قال سالمٌ: أَمِنْ حوائجِ

الدُّنيا أمْ من حوائجِ الآخرةِ ؟! قال: أمَّا حوائجُ الآخرةِ فلا أملكُها ! ولكن سلْني من حوائجِ الدُّنيا. قال سالمٌ: وا للهِ الذي لا إله إلاَّ هو ما سألتُ حوائجَ الدُّنيا من الذي يملكُها -تباركَ وتعالى- فكيفَ أسألُها منكَ ؟!! ثم انصرفَ، ولسانُ حالِه يقولُ:

أمَتُّ مطامعي فأرَحتُ نفسي ... فإنَّ النفسَ ما طَمِعَتْ تهونُ
وأحييتُ القنوعَ وكان مَيْتاً ... ففي إحيائِهِ عِرْضٌ مصونُ
إذا طَمَعٌ يَحِلُّ بقلبِ عبدٍ ... عَلَتْهُ مَهانَةٌ وعَلاَهُ هُونُ

عن عبد الله بن مسعودٍ -رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لاَ تُرْضِيَنَّ أحَدَاً بسَخَطِ الله، وَلاَ تَحْمَدَنَّ أحَداً عَلَى فَضْلِ الله، وَلاَ تَذُمَنَّ أحَدَاً عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ، فَإِنَّ رِزْقَ اللهِ لاَ يَسُوْقُهُ إِلَيْكَ حِرْصُ حَرِيْصٍ، وَلاَ تَرُدُّهُ عَنْكَ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ، وَإِنَّ اللهَ بِقِسْطِهِ وَعَدْلِهِ جَعَلَ الرَّوْحَ وَالفَرَحَ فِي الرِّضَا وَاليَقِيْنِ، وَجَعَلَ الهَمَّ وَالحَزَنَ فِي السَّخَطِ». [رواه الطبرانيُّ بسندٍ حسنٍ]

وهذا -عباد الله- لا يعني استغناءَ المسلمِ عن مساعدةِ إخوانِه المسلمين؛ فإنَّ الاستغناءَ عن الناسِ كُلِّيَةً نوعُ وَهْمٍ، فلا بُدَّ للإنسانِ من حاجةٍ تُقضى على يدِ غيرِه، لكنَّ الواجبَ عليه أن يطلبَ حاجاتِه من الناسِ بعزَّةِ النفسِ، لا بخضوعِها وعبوديَّتِها لغيرِه من البشرِ؛ فإنَّ الأمورَ تجري بالمقادير، وعليه أن يستغني قَدْرَ طاقتِه عن إنزالِ حوائجِه بالناسِ، فإن دَعَتْهُ الأمورُ إلى ذلك فليَكُنْ بقَدرٍ لا يُذهبُ كرامتَه ويجعَلُه عالَةً على

غيرِه، ثمَّ عليه بعدَ ذلكَ ألاَّ يجحَدَ صنيعَ أهلِ الفضلِ، ولا ينسى معروفَهم؛ فإنَّ من لا يَشْكُرُ الناسَ لا يَشْكُرُ اللهَ.

فإذا استطعتَ يا عبدَ اللهِ ألاَّ يكونَ بينَكَ وبينَ اللهِ ذو نعمةٍ فافعلْ، ولا تكُن عبدَ غيرِك، وقد جعلَكَ اللهُ حُرًّا.

فَمَن تَكُن الدُّنيا مُناهُ وُهمُّهُ ... سَبَتْهُ المُنَى واستعبَدتْهُ المَطامِعُ

قال الفاروقُ -رضي الله عنه-: (أُحِبُّ من الرجلِ إذا سِيْمَ خُطَّةَ خسْفٍ أن يقولَ بملءِ فيهِ: لا !).

عباد الله:

لقد تمَّلت عزَّةُ المؤمنِ في إسلامِه في خُبيبِ بن عديٍّ -رضي الله عنه- الذي أسلمَ، فأخَذَه المشركونَ، فسحبوه إلى مصرَعِه ليقتلوه أو يترُكَ دينَ الإسلامِ، فاستعزَّ بإسلامِه، ورفضَ الخنوعَ والخضوعَ لغيرِ اللهِ تعالى، فقتلوه شهيداً، وهو يُردِّدْ:

ولستُ أُبالي حينَ أُقتَلُ مسلماً ... على أيِّ جَنْبٍ كان في الله مصرَعي

وذلك في ذاتِ الإله وإن يشأ ... يُبارك على أوصال شلو مُمزَّع

إنَّ المسلمَ عزيزُ النفسِ، لا يُمرِّغُ وجهَه في الترابِ لعَرَضٍ زائلٍ، ولا لشهوةٍ جامحةٍ، ولا لهوىً مُتغلِّبٍ بعدَ أن أعزَّه اللهُ بالدين والتوحيدِ، فعَلَتْ

همَّتُه، وارتَفعَ قدرُه، وسما شأنُه عندَ الله تعالى، ﴿ وَ للهِ العِزَّةُ وَلِرَسُوْلِهِ وَلِلمُؤمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِيْنَ لاَ يَعْلَمُوْنَ ﴾ [المنافقون: ٨].

وإذا كانت النفوسُ كباراً　　　تَعِبَتْ في مُرادِها الأجسامُ

دخلَ الحجَّاجُ بنُ يوسفَ الثَّقَفيُّ مكَّةَ مُعتمراً، فلمَّا فرغَ من عمرتِه رأى رجلاً فقيراً، يطوفُ بالبيت، من أهلِ اليمن، فأمرَ جنودَه أن يُقرِّبوه منه، فلمَّا دنا منه، قال له: أَعَرَفْتَني ؟! قال: لا ! قال الحجَّاجُ: مَنْ وَالِيْكُمْ على اليمن ؟ قال: محمدُ بنُ يوسف أخو الحجَّاجِ؛ وظالمٌ مثلُه. قال: أَمَا علمتَ أنِّي أنا أخوهُ ؟! قال: أنتَ الحجَّاجُ ؟! قال: نعم ! قال: بئسَ أنتَ وبئسَ أخوكَ !! قال: كيفَ تركتَ أخي في اليمن ؟ قال: تركتُه بطيناً سميناً ! قال الحجَّاجُ: ما سألتُكَ عن صحَّتِه، إنَّما أسألُكَ عن عدلِه !! قال: تركتُه غَاشِماً ظالماً. قال الحجَّاجُ: أما علمتَ أنَّه أخي ؟! أما تخافُ منِّي؟!! قال: أَتَظُنُّ يا حجَّاجُ أنَّ أخاكَ يعتزُّ بكَ أكثرَ من عزَّتي بالواحدِ الأحدِ ؟!! فأطلَقَه الحجَّاجُ، فجعلَ يطوفُ بالبيتِ لا يخافُ إلاَّ الله.

ومِمَّا زادَني شَرَفاً وَتِيْهاً　　　وَكِدْتُ بأَخمصي أطأُ الثُّريَّا
دخولي تحتَ قولِك يا عبادي　　　وأن صيَّرتَ أحمدَ لِي نبيَّاً

وهذه -عبادَ الله- مواقفُ العُظَماءِ، ونفوسُ الكُبَراءِ؛ الذين بايعَ آباؤُهم وأجدادُهم النبيَّ ﷺ على عزَّةِ النفسِ، والبُعْدِ عن الضَّيْمِ والذُّلِّ؛ فكان أحدُهم يسقطُ متاعُه من على ظهرِ دابتِه، فينزلُ إليه ليأخذَه، لا يسألُ أحداً أن يرفعَه إليه.

وهكذا يجبُ أن يكونَ المسلمُ عزيزَ الجانبِ، مُظْهِراً لدينِه، مُعتزًّا بخالقِه، مُجانباً للباطلِ وقادتِه، لا تلينُ قناتُه، ولا تهونُ عزيمتُه، لأنَّه مُتَّصلٌ بمن يملكُ العزَّةَ والقوَّةَ، واللهُ كافٍ عبادَه، وهو حسبُهم ونعمَ الوكيلُ.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

** * **

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله الواحدِ الأحدِ الفردِ الصمدِ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا رحمكم الله أنَّ المسلمَ الحق يجبُ أن يعتزَّ بدينِه، وبما لديه من مميزاتٍ وخصائصَ أوجدَها له الإسلامُ، لا سيَّما في اللِّباسِ والمظهرِ، والهيئةِ والكلامِ، المتفقِ مع مبادئ الإسلامِ وأهدافِه النبيلةِ السامية، الداعيةِ إلى رِفْعَةِ المسلمِ على غيره من البشر، فلا يرنو إلى التشبه بالكافرين في لباسِهم وأخلاقِهم وأفعالِهم؛ لأنَّها مخالفةٌ لدينِه وشرعِه، واتِّباعَها دليلٌ على ضعفِ نفسِه، ودنوٌّ همَّتِه، وليسَ أضرَّ على العبدِ من التعلُّقِ بغير اللهِ؛ فإنَّ من تعلَّقَ بغيرِ اللهِ وكَلَهُ اللهُ إلى ما تعلَّقَ به، وخَذَلَه من جهتِه، فأعظمُ الناسِ خُذْلاناً من تعلَّقَ بغيرِ اللهِ من البشرِ والمخلوقاتِ، فَوَيْلَهُ ماذا ضيَّعَ، ويا ويحَه ماذا خسرَ فيه وفرط ! فهو كالمُسْتظلِّ من الحرِّ والبردِ ببيتِ العنكبوتِ، وإنَّ أوهنَ البيوتِ لبيتُ العنكبوتِ لو كانوا يعلمون.

وعزَّةُ النفسِ ترجعُ إلى معرفةِ المرءِ بقيمةِ نفسِه، فلا يُوردُها إلاَّ المواردَ التي تليقُ بها، فيشعرُ بكرامةِ نفسِه، ويُشعرُها بما لها من حقوقٍ وواجباتٍ، فلا يسمحُ لمخلوقٍ كائناً من كان أن ينالَ منها مثقالَ ذرةٍ، ولا يسمحُ لنفسِه أن تُقصِّرَ فيما يجبُ للناسِ عليها من حقوق، وهذا كلُّه دليلٌ على احترامِ النفسِ من غيرِ احتقارٍ لأحدٍ.

ولقد نعى اللهُ سبحانه وتعالى على المنافقينِ لجوءَهم إلى الكافرين؛ ابتغاءً للعزَّةِ، وطلَباً للنصْرَةِ التي لا يملكُها إلاَّ اللهُ وحدَهُ، يَهَبُها لمن يشاءُ من

عبادِه؛ ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ للهِ جَمِيعاً﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩].

ثمَّ حذَّرَ المؤمنينَ من صنيعِهم بقولِه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي ا للهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ا للهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ ا للهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَا للهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

وهذا من عدلِ الإسلامِ وشموليَّتِه؛ حيثُ اتَّسمَتْ أخلاقُه بالاتزان والمثاليَّةِ العُظْمى في جوانبِ الحياةِ كلها؛ فالمؤمنُ صفتُه التواضُعُ واللينُ وخفضُ الجناحِ لإخوانِه في العقيدةِ، هَيناً ليِّناً، سمحاً ودوداً، يرفعُ ما بينَه وبين بني ملَّتِه من حواجزَ؛ فيتواضعُ لهم، رحمةً ومحبَّةً وذلةً لإخوانِه المسلمين، وأمَّا مع أعداءِ ا للهِ فإنَّه يكونُ أبيَّاً مُستعلياً، عزيزاً قويَّاً، مُظهراً لقوَّةِ دينِه، ورجولتِه في الحقِّ، وشدَّتِه على أعداءِ ا للهِ.

قال ابنُ مسعودٍ -رضي ا لله عنه-: (ما زلنا أعزَّةً منذُ أسلمَ عمرُ).

وقال طارقُ بنُ شهابٍ -رحمه ا لله-: (خرجَ عمرُ بن الخطابِ إلى الشام، ومعنا أبو عبيدةَ بنُ الجرَّاحِ، فأتوا على مخاضَةٍ وعمرُ على ناقةٍ له، فنزلَ عنها، وخلعَ خُفيه، فوضعَهما على عاتقِه، وأخذَ بزمامِ الناقةِ فخاضَ بها المخَاضَةَ، فقال أبو عبيدة: يا أميرَ المؤمنين ! أنتَ تفعلُ هذا ؟! تخلعُ خُفيْكَ، وتضعُهما على عاتقِكَ، وتأخذُ بزمامِ ناقتِكَ، وتخوضُ بها المَخاضَةَ! ما يسرُّني أنَّ أهلَ البلدِ استشْرَفوكَ. فقال عمرُ: أوْهٍ ! لو يَقُلْ ذا

غَيركَ أبا عبيدةَ جعلتُه نكالاً لأمَّةِ محمدٍ ﷺ ، إنَّا كُنَّا أذلَّ قومٍ، فأعزَّنا الله بالإسلامِ، فمهما نطلبُ العزَّةَ بغيرِ ما أعزَّنا الله به أذلَّنا الله). [رواه الحاكمُ وصحَّحَه، ووافقَه الذهبيُّ]

نعم ! هذا هو الفاروقُ -رضي الله عنه- الذي ارتفعَ ذكرُه في الإسلامِ حتّى إنَّ الشيطانَ ليَفِر من الطريقِ الذي يسيرُ فيه، ولا غروَ في ذلك، فقد كان أعبدَ الصحابةِ وأطْوَعَهم للهِ بعدَ نبيِّهم.

لولا المشَّقَةُ سادَ الناسُ كلُّهُم ... الجودُ يُفْقِرُ والإقدامُ قَتَّالُ

الذُّلُّ في دَعَةِ النفوسِ ولا أرى ... عِزَّ المعيْشَةِ دونَ أن يُشْقَى لها

فاتقوا الله عباد الله، اعتصموا بالله، وألجأوا إليه، فَبِه تُعزَّون، وتُنصرون، وتمسكوا بإسلامكم؛ فإنَّه مصدرُ عزِّكم وفخرِكم، واحذروا من المعاصي والذنوبِ فإنها تُذهبُ عزَّةَ النفوسِ، وتورثُها الذل والمهانةَ، والعز كلُّ العزِّ إنما هو في طاعةِ الله، أبى الله إلاَّ أن يُذِّلَّ من عصاه.

اللهُم صلِّ وسلِّم على عبدكِ ورسولك محمدِ بنِ عبدِ الله صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين ، وارضَ اللهُم عن أصحاب نبيِّك أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.....

❧ ❧ ❧

واحفظوا أيمانكم

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾ [النساء:١] ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

أوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ عزَّ وجلَّ؛ فإنَّها نعمَ الوصيَّةُ والموعظةُ، وبها السعادةُ والفلاحُ، وعليها الفوزُ والنجاحُ، هي الخَلَفُ من كلِّ شيءٍ، وبها النجاةُ من كلِّ شرٍّ، ﴿ **ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً** ﴾ [الطلاق:٥].

أيُّها المسلمون:

من الأمورِ المُقرَّرةِ عند أهل العلم: أنَّ للهِ سبحانه وتعالى أن يُقْسِمَ بما شاءَ من مخلوقاتِه على ما شاءَ منها، وأنَّه لا يجوزُ لمخلوقٍ كائناً من كان أن يحلِفَ أو يُقْسِمَ بغيرِ اللهِ سبحانه؛ حيثُ شرعَ اللهُ للعبادِ أن تكونَ أيمانُهم باللهِ سبحانه وتعالى أو بصفةٍ من صفاتِه، خلافاً لما كان يفعلُه المشركون في جاهليَّتِهم؛ يحلفونَ بالمخلوقات؛ كالكعبةِ، والأصنامِ، والملائكةِ، والملوكِ والعُظَماءِ، والآباءِ والأمَّهات، والشرَفِ، ونحو ذلك.

روى ابنُ عُمرَ -رضي اللهُ تعالى عنهما- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَقَالَ: « أَلاَ إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفاً فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، أَوْ لِيَصْمُتْ ».

[متفقٌ عليه]

وفي لفظٍ: « قَالَ عُمَرُ فَوَاللهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاكِراً وَلاَ آثِراً ؛ أي: حَاكِياً ». [متفقٌ عليه]

عباد الله:

اليمينُ من الوسائلِ المهمَّةِ الدَّالةِ على صدقِ الحالفِ، وتأييدِ ما يقوله من حديثٍ وخبرٍ، يستعملُها الناسُ لإثباتِ صحَّةِ ما يدَّعونَ، ويقولونَ، ويفعلونَ، إضافةً إلى الرَّغْبَةِ في إلزامِ شخصٍ أو نحوه في الانصياعِ لما يقولون.

وهي تأكيدُ المحلوفِ عليه بذكرِ مُعظَّمٍ على وجهِ الخصوصِ؛ وهذا المُعظَّمُ هو الله سبحانه وتعالى.

ولقد ندَبَ الإسلامُ إلى حفظِ الأَيْمان، والبُعْدِ عن كثرةِ الحَلِفِ إلاَّ عندَ الحاجةِ القصوى إلى ذلك؛ لما في كثرةِ الحَلِفِ والأَيْمانِ من امتهانِ لفظِ الجلالةِ، وضعفِ الإيمانِ بالله تعالى، والاستهانةِ به. فحفظُ الأَيْمانِ، وتعظيمُ الحَلِفِ بالله تعالى من تمامِ الإيمان، وكمالِ تعظيمِ الخالقِ سبحانه وتعالى، يحفظُ الإنسانَ من جَرَيانِ لسانه باليمين، وتعوُّدِه عليها ممَّا قد يجرُّه إلى اليمينِ الكاذبَةِ؛ فيَقَعُ في سَخَطِ اللهِ عزَّ وجلَّ؛ قال الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ...﴾ [المائدة:٨٩].

وعن سلمان الفارسيِّ -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُم اللهُ، وَلاَ يُزَكِّيهِم، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْمٌ؛ أُشَيْمِطٌ زَان، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ؛ لاَ يَبِيْعُ إلاَّ بِيَمِيْنِهِ، وَلاَ يَشْتَرِيْ إلاَّ بِيَمِيْنِهِ». [رواه الطبرانيُّ بسندٍ جيِّدٍ، وأصلُه في الصحيحين] ؛ والأُشَيْمِطُ: هو الشيخُ الكبيرُ السنِّ الزاني.

قال الإمامُ الشافعيُّ -رحمه الله-: (ما حلفتُ بالله صادقاً ولا كاذباً)؛ كلُّ ذلك تعظيمٌ لليمين بالله تعالى.

ومع ذلك -عباد اللهِ- فقلّبوا الطَرْفَ يَمْنَةً ويَسْرَةً في أحوالِ الناسِ لترونَ من لا يتكلّمُ بكلمةٍ إلاّ حلفَ عليها، وأقسَمَ باللهِ العظيمِ مرَّاتٍ ومرَّاتٍ؛ وكأنّه غيرُ صادقٍ في قولِه حتّى يحلِفَ للناسِ ليُصدِّقوه. وحدِّثوا ولا حرَجَ عن كثرةِ الحَلِفِ بالله صدقاً وكَذِباً، وامتهانِ اليمينِ بالله؛ ليُحْلَفَ بها في الصغيرِ والكبيرِ من غيرِ حاجةٍ، في أقوالِ الناسِ، ومُبايعاتهم، وحديثِهم، وتعامُلِهم.

ناهيكم -عباد اللهِ- عمَّن تعوَّدوا على الحَلِفِ بغيرِ الله تعالى، وجَعْلِه يميناً مقبولةً لا يحلفونَ إلاّ بها؛ يحلِفُ أحدُهم بالشرَّفِ، والذِّمةِ، وبحَياةِ فلانٍ، وبحَياةِ النبيِّ، وبالأولادِ، وبرَقَبَتِهِ، وبالكعبَةِ، إلى غيرِ ذلك من صورِ الحَلِفِ بغيرِ الله الدَّارجَةِ على أَلْسُنِ الناسِ، والتي يُعظِّمونَ فيها غيرَ اللهِ سبحانه، وقد سمِعَ ابنُ عُمَرَ -رضي الله عنهما- رَجُلاً يَقُولُ لاَ وَالْكَعْبَةِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ لاَ يُحْلَفُ بِغَيْرِ اللهِ؛ فَإِنّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ». [رواه الترمذيُّ، وأبو داودَ، وأحمدُ، وهو صحيحٌ]

وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ حَالِفاً فَلْيَحْلِفْ بالله، أَوْ لِيَصْمُتْ». [متفقٌ عليه]

وعندَ أبي داودَ بسنَدٍ حسنٍ: «مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا».

فلا يجوزُ للمسلمِ أبداً أن يحلِفَ بغيرِ ا لله، أو بغيرِ صفاتِـه وأسمائـه؛ لأنَّ ذلكَ شركٌ يُنافي كمالَ التوحيدِ، وقد يصلُ إلى درَجَةِ الكُفْـرِ بـا لله، وكـلُّ ذلك من كبائرِ المُحرَّماتِ على المسلمينَ، حتّى لـو لم يقصِـدِ الحـالِفُ بغـيرِ ا للهِ تعظيمَ المحلوفِ به، وحتّى لو كان من يحلِفُ به نبيًّا، أو رجُلاً صالحاً أو وليًّا عابداً؛ فإنَّ ذلكَ كلَّه شركٌ محرَّمٌ يجبُ على العبـد البُعْـدُ عنـه، والحَـذَرُ منه.

والحكمةُ في تحريم الحلِفِ بغيرِ ا لله: أنَّ الحَلِفَ يقتضي تعظيـمَ المحلـوفِ به، وحقيقةُ العَظَمَةِ مُختصَّةٌ با لله تعالى، فلا يُضاهى به غيرُه.

وأمَّا الحَلِفُ بالطَّلاقِ، وتعظيمُه في النفوسِ، والحَلِفُ به أكثرَ من تعظيـمِ ا للهِ والحَلِفِ به فهذا من المنكراتِ المشهورةِ المقبولةِ بـين النـاسِ بـلا نكـيرٍ؛ فإنَّ منهم من يُحْلَفُ له با لله مرَّةً وثانيةً وثالثةً فـلا يقبـلُ ولا يُجيـبُ، فـإذا سَمِعَ من يحلِفُ عليه بالطَّلاقِ ارتعدت فرائِصُه، وحَوْقَلَ وأجابَ، وهــذا - عياذاً با لله- دليلٌ على ضَعْفِ الإيمـانِ بـا لله في النفـوسِ، وتعظيـمِ الطَّـلاقِ أكثرَ من تعظيمِ ا لله سبحانه وتعالى، وكفى بذلك إثماً مُبيناً.

وإذا علِمَ المسلمُ أنَّ الحَلِفَ با للهِ أو بأسمائِه أو بصفاتِه هو المشروعُ، وأنَّ الحَلِفَ بغيرِ ا للهِ تعالى كائناً ما كان هو الممنوعُ المُحرَّمُ فإنَّ على من حَلَـفَ بغيرِ ا لله خطأً أن يُكفِّرَ عن ذلك بالتوبةِ إلى ا لله تعالى، والاستغفارِ، والعَزْمِ على عدَمِ العودةِ إليـه، ثـمَّ لِيَقـلْ بعـد ذلـك: لا إلـه إلاَّ ا للهُ؛ فإنَّهـا حسَنَةُ التوحيدِ الماحِيَـةُ لسـيِّئَةِ الشـركِ؛ روى البخـاريُّ ومسـلمٌ مـن حديـثِ أبـي

هريرةَ -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ؛ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: بِاللاَّتِ وَالْعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ؛ فَلْيَتَصَدَّقْ».

قال هذا ﷺ لقومٍ حديثي عهدٍ بجاهليَّةٍ، قد أسلموا وألسنتُهم قد أَلِفَتْ ما كنت عليه من الحَلِفِ باللاَّتِ والعُزَّى من غيرِ قَصْدٍ، فأمرَهم أن يتلَّفظوا بكلمةِ الإخلاصِ كما تلَّفظوا بكلمةِ الشركِ من غيرِ قَصْدٍ؛ لتكونَ هذه بتلك.

عباد الله:

ومِمَّا يجبُ التنبيهُ عليه ما يفعلُه بعضُ مَنْ قلَّ نصيبُهم من الإسلامِ؛ فيحلفونَ بمِلَّةٍ غيرِ الإسلامِ؛ كما يقولُ بعضُهم: هو يهوديٌّ، أو نصرانيٌّ إن فعلَ كذا، أو إن لم يفعلْهُ. وهذا من الألفاظِ البغيضَةِ المُحرَّمَةِ أشدَّ التحريمِ؛ لما في البخاريِّ وأحمدَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلاَمِ فَهُوَ كَمَا قَالَ». وعندَ النسائيِّ وابنِ ماجةَ بسندٍ صحيحٍ: «مَنْ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الإِسْلاَمِ؛ فَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَإِنْ كَانَ صَادِقاً لَمْ يَعُدْ إِلَى الإِسْلاَمِ سَالِماً».

واليمينُ في القضاءِ لها مبلغٌ عظيمٌ، ومكانةٌ رفيعةٌ في إثباتِ الحقوقِ والقضاءِ بالعدلِ بين الناسِ، ويتجلَّى فيها أثرُ الوازعِ الدينيِّ في قلبِ العبدِ، وخشيتَهُ لله تعالى؛ لأنَّ الحقَّ أصبحَ مُعلَّقاً على ذمَّةِ الحالِفِ وضميرِه، ومبْلَغِ إيمانِه وتقواه؛ ولذلك شدَّدَ الإسلامُ في شأنِ الأَيْمانِ في الخصوماتِ، وحثَّ

على التثبُّتِ فيها قبلَ الحَلِفِ، وأوعدَ الحالِفَ كَذِبَاً بالهلاكِ والبوارِ والدَّمارِ في الدُّنيا، والعذابِ والنكالِ في الآخرةِ.

ودلَّت سنَّةُ المصطفى ﷺ ؛ التي هي وحيٌ يوحى إليه من ربِّه سبحانه: على أنَّ اليمينَ الكاذبَةَ كبيرةٌ من كبائرِ الذنوبِ، وأنَّها تغمسُ صاحبَها في الإثمِ ثمَّ في النارِ. قال ﷺ : « مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: « وَإِنْ قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ ». [رواه مسلمٌ وغيرُه]

وعن الأشْعَثِ بن قَيْسٍ -رضي الله عنه- قال: كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ خُصُومَةٌ فِي بِئْرٍ، فَاخْتَصَمْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ». قُلْتُ إِنَّهُ إِذًا يَحْلِفُ وَلاَ يُبَالِي! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَسْتَحِقُّ بِهَا مَالاً وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ ». فَأَنْزَلَ اللهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ، ثُمَّ اقْتَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً** ﴾ إِلَى قولِه تعالى: ﴿ **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾. [متفقٌ عليه، والآيةُ من آل عمران:٧٧]

وعن عبدِ الله بن عمرَ -رضي الله عنهما- قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: مَا الْكَبَائِرُ؟ قَالَ: « الإِشْرَاكُ بِاللهِ ». قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: « ثُمَّ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ». قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: « الْيَمِينُ الْغَمُوسُ ». قُلْتُ: وَمَا الْيَمِينُ الْغَمُوسُ ؟ قَالَ: « الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ ». [رواه البخاريُّ وغيرُه]

ولأجل ذلك -عباد الله- شُرِعَ تغليظُ اليمينِ في القضاءِ والخصوماتِ في مواطنَ منصوصَةٍ عند أهلِ العلمِ، زيادةً في التخويفِ، والزَّجْرِ عن الباطلِ، ونُدِبَ وَعْظُ الحالفِ قبلَ اليمينِ، وتذكيرُه بإثمِ من حلَفَ كاذباً.

ولقد جاءَ في الأثرِ: أنَّ الله تعالى يُعجِّلُ عقوبةَ الكاذبِ إذا حلفَ اليمينَ الغموسَ؛ وهي التي يَحْلِفُ بها صاحبُها على أمرٍ قد مضى، أو ليسْتحقَّ بها مالَ غيره، وهو فيها كاذبٌ؛ فإنَّها تَذَرُ الديارَ بلاقِعَ.

ورى البيهقيُّ في سنَنِه عن أبي هريرةَ -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: « لَيْسَ شَيءٌ أُطِيْعَ اللهَ فيهِ أعجلُ ثَوَابَاً مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْجَلُ عِقَابَاً مِنَ البَغْيِ، وَقَطِيْعَةِ الرَّحِمِ، واليَمِيْنُ الفَاجِرَةُ تَدَعُ الدِّيَارَ بَلاَقِعَ ».

ومن الأمورِ المهمَّةِ -عباد الله-: أنَّ الإنسانَ إذا استحلفَه أحدٌ -لا سيَّما في الخصوماتِ- فإنَّ عليه أن يصدُقَ في يمينِه، ولا يستخدِمُ ألفاظَ التَوْرِيَةِ، أو الألفاظِ الدَّالةِ على نيَّته هو؛ بل يحلِفُ على نيَّةِ المُسْتَحْلِفِ؛ لقولِه ﷺ : « يَمِينُكَ عَلَى مَا يُصَدِّقُكَ عَلَيْهِ صَاحِبُكَ ». [رواه مسلمٌ]

ومن الأمورِ الفاشيَةِ في الناسِ إلاَّ من رَحِمَ ربِّي: الاحتيالُ على مخالفَةِ اليمينِ إذا حلَفَ الحالفُ، ظَنّاً منه أنَّه بهذه الحيلَةِ يسلَمُ من تَبِعَةِ اليمينِ، وهو مخطئٌ آثمٌ، قد جمعَ سوءاً وحَشَفاً. قال الإمامُ ابن قيِّمِ الجوزيَّةِ -عليه رحمةُ اللهِ-: (ومن الحيَلِ الباطلَةِ: لو حَلَفَ لا يأكلُ هذا الرَّغيفَ، أو لا يسكنُ في هذه الدارِ هذه السنةَ، أو لا يأكلُ هذا الطعامَ، قالوا: يأكلُ

الرغيفَ، ويدعُ منه لُقْمَةً واحدةً، ويسكنُ السنَةَ كلَّها إلاَّ يوماً واحداً، ويأكلُ الطعامَ كلَّه إلاَّ القدْرَ اليسيرَ منه، ولو أنَّه لُقْمَةٌ، وهذه حيلةٌ باطلةٌ باردةٌ، ومتى فعلَ ذلك فقد أتى بحقيقةِ الحَنِثِ، وفعلَ نفسَ ما حلَفَ عليه).

﴿ وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ الْسُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:٩٤].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله على إحسانه ، والشكرُ له على توفيقه وامتنانه ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله ، وأصحابه ، وإخوانه ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه ، واعلموا أنَّكم ملاقوه. ثمَّ اعلموا رحمكم الله أنَّ أمرَ اليمينِ عظيمٌ، وضررَها لو كانت كاذبةً كبيرٌ، فاحْفظوا أيمانَكم، وصونوها عن الامتهانِ والكذبِ، واعلموا رحمكم الله أنَّ الله تعالى شرعَ لعبادِهِ كفَّارةَ أيْمانِهم إذا حلفوا؛ رحمةً بهم، وتيسيراً عليهم، ورفعاً للحرَجِ والمشقَّةِ عنهم، وتحلَّةً لأيْمانِهم؛ ﴿ **قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ [التحريم:٢].

ولكن يجبُ على المسلمِ أن يعلمَ أنَّ نقضَ اليمينِ يكونُ واجباً، ومحرَّماً، ومُباحاً، وجائزاً؛ فيكونُ نقضُها واجباً إذا حلفَ على تركِ واجبٍ؛ كمن حلفَ لا يصلُ رحِمَه، أو حلفَ على أن يسرقَ؛ فهنا يجبُ عليه أن ينقضَ يمينَه، ويُكفِّرَ عنها، ويحرمُ نقضُ اليمينِ إذا حلفَ على تركِ مُحرَّمٍ أو فعلِ واجبٍ؛ كمن حلفَ أن يترُكَ المعصيَةَ، فيجبُ عليه الوفاءُ بيمينِه، ويحرُمُ

عليه نقضُها. ويجوزُ نقضُ اليمينِ إذا حلفَ على فعلِ مُباحٍ أو تركِه؛ كمن حلفَ لا يُعطي ولدَه مالاً؛ فله أن يُكفِّرَ عن يمينِه ويُعطي ولدَه مالاً.

قال ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ». [رواه مسلمٌ وغيرُه]

بل نهى المصطفى ﷺ عن الإصرارِ على اليمينِ فيما يتأذّى به أهلُ الحالفِ، ممَّا ليس بحرامٍ قال ﷺ: «وَا للهِ لأَنْ يَلَجَّ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ فِي أَهْلِهِ آثَمُ لَهُ عِنْدَ ا للهِ مِنْ أَنْ يُعْطِيَ كَفَّارَتَهُ الَّتِي فَرَضَ ا للهُ». [متفقٌ عليه]

قال الإمامُ النوَويُّ -رحمه ا لله-: (ومعنى الحديثِ: أنَّه إذا حلفَ يميناً تتعلَّقُ بأهلِه، ويتضرَّرونَ بعدمِ حِنْثِه، ويكونُ الحَنِثُ ليسَ بمعصيَةٍ، فينبغي له أن يحنثَ فيفعلُ ذلك الشيءَ، ويُكفِّرُ عن يمينِه، فإنْ قال: لا أحنثُ، بل أتورَّعُ عن ارتكابِ الحَنِثِ، وأخافُ الإثمَ فيه، فهو مُخطئٌ بهذا القول، بل استمرارُه في عدمِ الحَنِثِ، وإدامَةِ الضَّررِ على أهلِه أكثرُ إثماً من الحَنِثِ).

وذلك -عباد ا لله- معنى قولِ الحقِّ سبحانه: ﴿ **وَلاَ تَجْعَلُواْ ا للهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَا للهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة:٢٢٤].

قال ابنُ عباسٍ- رضي ا لله عنهما-: (لا تجعلنَّ عُرْضَةً ليمينِكَ أن لا تصنعِ الخيرَ، ولكن كفِّرْ عن يمينِك، واصنَعِ الخيرَ).

ومن الآدابِ المُهمَّةِ التي جعلَها الشارعُ الحكيمُ حقّاً من حقوقِ المسلمِ على أخيه: أن يَبَرَّهُ في قَسَمِه، وأن يُطيعَهُ إذا حلفَ عليه؛ حتَّى لا تضيعَ

اليمينُ، ويحنَثَ فيها صاحبُها. قال البراءُ بنُ عازبٍ -رضي الله عنه-: ((أَمَرَنَا النَّبيُّ ﷺ بِإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ)). [رواه البخاريُّ وغيرُه]

واليمينُ التي تدخلُها الكفَّارةُ هي اليمينُ التي يُحلَفُ فيها بالله أو باسمٍ من أسمائِه أو بصفةٍ من صفاتِه، أو بالقرآن، أو بالمُصْحَفِ؛ إذا استوفت شروطاً ثلاثةً: **أولُها**: أن تكونَ مُنعقدَةً؛ بأن يقصِدَ الحالِفُ عقدَها على أمرٍ مُستَقبَلٍ مُمكنٍ؛ لقولِ الباري جلَّ وعلاَ: ﴿**لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ**﴾ ؛ ولغو اليمينِ: هو التَّلفُّظُ بها من غيرِ قصدٍ، وإنَّما جرى على لسانِه هذا، فهو لغوٌ لا كفَّارةَ فيه؛ لما روتْ عائشةُ -رضي الله عنها- موقوفاً: ((اللَّغْوُ فِي الْيَمِينِ: هُوَ كَلامُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ كَلاَّ وَاللهِ وَبَلَى وَاللهِ)). [رواه أبو داود، ومالكٌ، وهو صحيحٌ]

وكذا لو حلَفَ عن قصْدٍ يظنُّ صدقَ نفسِه فبانَ خِلاَفَهُ؛ كما لو حلَفَ على شيءٍ يظنُّه يقعُ على ما حلفَ عليه، فوقعَ على خلافِه، أو حلفَ على غيرِه يظنُّه يُطيعُه، فلم يفعلْ؛ فهي يمينُ لغوٍ لا كفَّارةَ فيها؛ على ما اختارَه جمعٌ من المحقِّقين كشيخِ الإسلامِ ابن تيميَّةَ وتلميذه ابن القيِّمِ، وغيرِهما.

والشرطُ الثاني للكفَّارةِ في اليمين: أن يحلِفَ مُختاراً غيرَ مُكْرَهٍ، ولا ناسٍ، ولا مُجْبَرٍ؛ فإن لم يكن مُختاراً لليمينِ فلا كفَّارةَ؛ لقولِه ﷺ : ((إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)). [رواه ابنُ ماجه]

والثالثُ: أن يحَنَثَ فيها وينقُضَها؛ بأنْ يفعلَ ما حلَفَ على تركِه، أو يترُكَ ما حلفَ على فعلِه مُختاراً ذاكراً ليمينِه، فإنْ حنثَ فيها ناسياً أو مُكْرَهاً فلا إثمَ عليه، ولا كفَّارةَ.

وإنْ استثنى في يمينِه؛ فقال: وا لله لأفعلنَّ هذا إن شاءَ ا للهُ، فلم يفعلْ لم يكن حانثاً ، ولم تجبْ عليه الكفَّارةُ؛ لما صحَّ عن المصطفى ﷺ أنَّه قال: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ إِنْ شَاءَ ا للهُ لَمْ يَحْنَثْ» . [رواه أحمدُ، والترمذيُّ]

فإذا انعقدَتِ اليمينُ، واستكملتْ شروطَها، وحنثَ فيها أو أرادَ أن يحنثَ -إن كان ذلك جائزاً- وجبَتْ عليه الكفَّارةُ؛ وكفَّارةُ اليمينِ فيها تخييرٌ وترتيبٌ؛ فيُخيَّرُ من لزمتْهُ الكفَّارةُ بين إطعامِ عشرةِ مساكينَ، لكلِّ مسكينٍ نصفُ صاعٍ من الطعامِ، من أوسَطِ ما يُطْعِمُ الرَّجلُ أهلَ بيتِه، أو كسوَةِ عشرةِ مساكينَ لكلِّ واحدٍ منهم ثوبٌ يُجزئُه في صلاتِه، أو عتقِ رقَبَةٍ مؤمنةٍ سليمةٍ من العيوبِ؛ فمن لم يستطعْ شيئاً من هذه الثلاثةِ المذكورةِ وجبَ عليه أن يصومَ ثلاثةَ أيَّامٍ مُتتابعاتٍ؛ كفَّارةً ليمينِه.

قال ا للهُ تباركَ وتعالى: ﴿**لاَ يُؤَاخِذُكُمُ ا للهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ ا للهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [المائدة:٨٩]. وقرأَ ابنُ مسعودٍ -رضي ا لله عنه-: (فصيامُ ثلاثةِ أيَّامٍ مُتتابعاتٍ).

ومن هنا -عباد الله- يُخطئُ جُلُّ الناسِ في كفَّارةِ اليمينِ؛ فيظنُّونَ أنَّ كفَّارتَها الصيامُ فقط، أو أنَّهم مُخيَّرونَ بين الصيامِ وبينَ بقيَّةِ أنواعِ الكفَّارةِ، أو أنَّ صيامَ الثلاثةِ أيَّامٍ لا يجبُ أن يكونَ مُتتابعاً، فيُفرِّقونَها كما يشاؤون، ويصومونَ مع قُدرَتِهم على الإطعامِ أو الكسوةِ؛ والصيامُ هنا لا يُجزئُهم، ولا يُبرئُ ذمَّتَهم من كفَّارة اليمينِ؛ لأنَّه لا يصحُّ إلاَّ عندَ العجزِ عن الإطعامِ أو الكسوةِ أو العتقِ.

فاتَّقوا الله أيُّها الناس، وتعلَّموا أمورَ دينِكم، والزموا شرعَه الحنيفَ تفوزوا وتفلحوا، ثمَّ صلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم الله تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً)). [رواه مسلم]

❧ ❧ ❧

استعن بالله ولا تعجز

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله تبارك وتعالى حقَّ التقوى ، وراقبوه في السرِّ والنجوى، وتزودَّوا من الأعمالِ الصالحةِ في الحياةِ الدُّنيا؛ واعلموا أنَّ تقوى اللهِ سبحانه والازديادَ من الأعمالِ الصالحةِ أعظمُ وسيلةٍ للفوزِ في الأخرى، والنَّجاةِ من نارٍ تلَظَّى، فاتَّقوا اللهَ رحمكم اللهُ، سدِّدوا وقارِبوا، واغدوا وروحوا، وتذكَّروا نِعَمَ اللهِ عليكم، وتفريطَكم في جنبِها، وتأهبوا ليوم العرض الأكبر على الله، ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ [الحاقة:١٨].

أيُّها المسلمون:

لا يستطيعُ الإنسانُ العيشَ في هذه الحياةِ المليئةِ بالفِتَنِ، والمحفوفَةِ بالمكارهِ، ولا يستطيعُ تحقيقَ العبوديَّةِ للهِ تعالى على وجهِها الصحيحِ، ولا الخِلاَفَةِ في الأرضِ كما أرادَ اللهُ سبحانه ما لم يكُنْ له مُعينٌ قادرٌ، يلجأُ إليه عندَ الشدائدِ، ويَهْرَعُ إليه عندَ المُلِمَّاتِ، يُسدِّدُه ويوفِّقُه، ويحوطُه ويرعاه، ليقومَ بذلك كلِّه على الوجهِ المطلوبِ.

عن أبي هُريرةَ -رضي اللهُ عنه- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ باللهِ وَلاَ تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ». [رواه مسلمٌ في صحيحِهِ]

لقد بيَّنَ المصطفى صلواتُ ا للهِ وسلامُه عليه في هـذا الحديثِ العظيمِ، المُنبَعِثِ من مشكاةِ النبوَّةِ أنَّ المؤمنَ القويَّ خيرٌ وأحبُّ إلى ا لله من الضعيفِ، ثمَّ أرشدَ إلى الوسيلَةِ العظيمةِ التي تجعلُ المؤمنَ قويّاً أبيّاً، بعيداً عن العجزِ والضَّعْفِ، وهي الاستعانةُ با لله القويِّ العزيزِ، واللُّجوءُ إليه في جميعِ الأمورِ كلِّها، ثمَّ التسليمُ بعد ذلكَ لقضاءِ ا للهِ وقدَرِهِ، والرِّضى به، والحَذَرُ من مداخلِ الشيطانِ التي تقدَحُ في الإيمانِ، وتُنافي التوحيدَ الخالصَ، وتؤدِّي إلى الاعتراضِ على القَدَرِ والقضاءِ، والتَّحَسُّرِ على ما فاتَ وانتهى، ممَّا يزيدُ المرءَ ضَعْفاً إلى ضَعْفِه، وعَجْزاً إلى عجْزِه، وأنَّى له أن يفعلَ أمراً، أو يحصُلَ على شيءٍ لم يكتُبْه ا للهُ له.

قال الإمامُ النوويُّ -رحمه ا للهُ-: (والمعنى: احرص على طاعةِ ا للهِ تعالى، والرَّغْبَةِ فيما عندِه، واطلب الإعانةَ من ا للهِ تعالى على ذلك، ولا تعجزْ، ولا تَكْسَلْ عن طلبِ الطاعةِ، ولا عن طلبِ الإعانةِ).

عباد ا لله:

الاستعانةُ با للهِ تعالى: هي الاعتمادُ على ا للهِ سبحانه في جَلْبِ المنافعِ، ودَفْعِ المضارِّ، وطَلَبِ العونِ من ا لله في كلِّ الأمورِ التي تُلِّمُ بالإنسانِ، مع الثِّقَةِ به في تحصيلِ ذلك.

وتلك هي وسيلةُ السعادةِ الأبديَّةِ، والنجاةِ الأكيدةِ من جميعِ الشرورِ في الدُّنيا والآخرةِ، مع الرَّاحةِ والطُمأنينةِ، وهدوءِ البالِ، والسكينةِ، وراحةِ النفسِ وسعادتِها.

قال ابنُ عباسٍ -رضي الله تعالى عنهما-: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْماً، فَقَالَ: «يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ». [رواه الترمذيُّ، وأحمدُ، وهو صحيحٌ]

والاستعانةُ باللهِ تعالى، واللُّجوءُ إليه، وإظهارُ الضَّعفِ والفقرِ والحاجةِ إليه، والانطراحُ بينَ يديهِ من أبرزِ مظاهرِ توحيدِه وعبادتِه، الدَّالةِ على عَظَمَةِ إيمانِ العبدِ بربِّهِ، وصلاحِ قلبِه، وعَظيمِ صِلَتِه باللهِ. وهي حالةٌ تقومُ بالقلبِ، تنشأُ عن معرفةِ اللهِ سبحانه وتعالى، والإيمانِ التَّامِ بتفرُّدِه بالخلقِ والتدبيرِ والضُّرِّ والنفعِ، والعطاءِ والمنعِ، وانَّ ما شاءَ كانَ، وما لم يشأْ لم يكُنْ، فيوجبُ ذلك كلُّه اعتماداً على اللهِ، واستعانةً به، وتفويضاً إليه، وطُمأنينةً وثقةً به، ويقيناً بكِفَايَتِه لِما توكَّلَ عليه، واستعانَ به فيه.

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ». [رواه البخاريُّ]

قال أبو أُمامةَ -رضي الله عنه-: دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئاً، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! دَعَوْتَ بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئاً. فَقَالَ ﷺ: «أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ؟! تَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّا

نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ الْبَلاَغُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ)). [رواه الترمذيُّ بسنَدٍ حَسَنٍ]

الاستعانةُ باللهِ سبحانه تخليصٌ للضميرِ البشريِّ من الاستذلالِ والضَّعفِ والعَجْزِ، يواجهُ بها العبدُ الأخطارَ والصِّعابَ، ويتغلَّبُ بها على المصائبِ والأحداثِ، ولا غَرْوَ في ذلك فمن كان اللهُ معه فمن يخاف.

والاستعانةُ باللهِ تجمَعُ أصلين عظيمين من أصولِ الدينِ؛ هما: الثِّقَةُ باللهِ، والاعتمادُ عليه؛ فإنَّ التوكُلَ نِصْفُ الإيمانِ والدينِ، والنِّصْفُ الآخرُ هو الإنابَةُ، والدينُ استعانةٌ وعبادةٌ، والإنسانُ محتاجٌ إلى الاستعانةِ باللهِ في فعلِ المأموراتِ، وتركِ المحظوراتِ، والصبرِ على المقدرواتِ كلِّها في الدُّنيا وعندَ الموتِ وبعدَه، من أهوالِ البرْزَخِ، ويومِ القيامةِ، ولا يَقْدِرُ على الإعانةِ على ذلك إلاَّ اللهُ عزَّ وجلَّ، فمن حقَّقَ الاستعانةَ عليه في ذلك كلِّه أعانَه اللهُ، ومن ترك الاستعانةَ باللهِ، واستعانَ بغيرِه وكَلَهُ اللهُ إلى من استعانَ به، فصارَ مخذولاً.

كتبَ الحَسَنُ البصريُّ إلى عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ -عليهما رحمةُ اللهِ- يقول: (لا تَسْتَعِنْ بغيرِ اللهِ فَيَكِلُكَ اللهُ إليه). وقال موسى عليه السلامُ لقومِه: ﴿ **اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوٓاْ إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [الأعراف:١٢٨].

ولهذا كان من أفضلِ ما يُسْأَلُ الرَّبُّ سبحانه وتعالى الإعانةَ على مرضاتِه، وهو الذي علَّمَه النبيُّ ﷺ للصحابيِّ الجليلِ معاذِ بنِ جَبَلٍ -رضي

ا لله عنه- في قوله: ((يَا مُعَاذُ إِنِّي لأُحِبُّكَ !)). فَقَالَ لَـهُ مُعَـاذٌ: بِـأَبِي أَنْـتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ ا للهِ وَأَنَا أُحِبُّكَ. قَالَ: ((أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِـي دُبُـرِ كُلِّ صَلاَةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَـادَتِكَ)).
[رواه أحمدُ، وأهلُ السُّنَنِ]

ولقد كان المصطفى ﷺ من أشدِّ النـاسِ تعلُّقـاً بربِّـه جـلَّ وعـلا، يلجـأُ إليه، ويستعينُ به في جميعِ أحوالِه؛ قال أنسُ بنُ مالكٍ -رضـي ا للهُ عنـه-: كَانَ النَّبيُّ ﷺ إِذَا غَزَا قَالَ: ((اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي، وَأَنْتَ نَصِـيرِي، وَبِـكَ أُقَاتِلُ)). [رواه الترمذيُّ، وأحمدُ] ؛ وَمَعْنَى قَوْلِهِ عَضُدِي: يَعْنِي عَوْنِي.

وكان من دُعائِه صلواتُ ربِّـي وسـلامُه عليـه: ((اللَّهُـمَّ لَـكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِـكَ خَـاصَمْتُ، اللَّهُـمَّ إِنِّـي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ وَالْجِـنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ)). [متفقٌ عليه]

عباد ا لله:

إنَّ تحقيقَ الاستعانةِ با لله تعالى على وجهِهـا المشـروعِ عنـوانُ السعادةِ، ودليلُ الفلاحِ، ورأسُ الخيرِ، وإنَّ المسلمينَ جميعاً يُردِّدونَ في صلاتِهـم قـولَ الحقِّ سبحانه: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ** ﴾ [الفاتحة:٥] ؛ يُردِّدونَ ذلك مـرَّاتٍ ومرَّاتٍ في اليومِ والليلةِ، ولكنَّ القليلَ منهم من يعقِلُ معنى الاستعانةِ بـا للهِ، ويُدرِكُ أنَّها من أعظمِ العباداتِ التي يجبُ إخلاصُها للهِ سـبحانه، ولا يعـني هذا عدمُ الاستعانةِ بالعبادِ فيما يقدِرونَ عليه؛ فإنَّ ا للهَ في عونِ العبدِ ما دامَ

العبدُ في عونِ أخيهِ، ولكنّنا نَلْحَظُ في أوساطِ الناسِ من يُعرِضُونَ عن الاستعانةِ باللهِ، فلا يسألونَه قضاءَ الحوائجِ، ولا تفريجَ الكُرُباتِ، ولا دفعَ المضارِّ والضوائقِ، وهم مع ذلك قد أنزلوا حاجاتِهم بالمخلوقين الضُّعَفاءِ الذين لا يملكونَ كَشْفَ الضُّرِّ عنهم ولا تحويلاً، بل هم عبادٌ للهِ يدعونه، ويبتغونَ إليه الوسيلةَ كغيرِهم من خلقِ الله، فضلاً عن أن يكونوا قد أفضوا إلى ربِّهم، ورقدوا في قبورِهم موتى بلا حِراكٍ.

ناهيكم عبادَ اللهِ عمَّن لا يستعينونَ باللهِ سبحانه إلاَّ على قضاءِ حظوظِهم وشهواتِهم، ولذائذِهم الدُّنيويَّةِ الحقيرةِ.

فاتَّقوا اللهَ أيُّها المسلمون، إيَّاه فاعبدوا، وإيَّاه فاستعينوا، ثمَّ توبوا إليه واستغفروه إنَّه كان للأوابينَ غفوراً.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانِهِ ، والشكرُ له على توفيقِهِ وامتنانِهِ ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريكَ له تعظيماً لشأنه ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله ، وأصحابه ، وإخوانه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه ، واعلموا أنَّكم ملاقوه.

ثمَّ اعلموا رحمكم الله أنَّ الاستعانةَ بالله تعالى من أهمِّ صفاتِ المؤمنين، بها يُحقِّقُ العبدُ العبوديَّةَ الحقَّةَ لله، ويَظْفَرُ بحاجاتِه، ويَسْتَدْفِعُ البلاءَ والمصائبَ، وتحقيقاً لهذه الصِّفَةِ العظيمةِ، فقد شرعَ المصطفى ﷺ الاستخارةَ للمسلمِ في جميعِ أمورِه؛ المُستحبَّةِ، أو المسنونةِ المُتعلِّقةِ بحياتِه ومعيشتِه ومعاملاتِه مع أهلِه ومع الناسِ.

والاستخارةُ هي طلبُ خيرِ الأمرينِ لمن احتاجَ إلى أحدِهما. وهي مشروعةٌ في الأمورِ المُباحَةِ أو المُستحبَّةِ إذا تعارضَ منها أمران، أو خَشِيَ الإنسانُ فيها من الضَّررِ والخَطَرِ. وأمَّا الواجباتُ والمحرَّماتُ والمكروهاتُ فلا يُستخارُ فيها، بل يفعلُ الواجبَ، ويترُكُ المحرَّمَ والمكروهَ.

ولقد قِيلَ: ما خابَ من استخارَ، ولا ندِمَ من استشارَ، ومن أُعطِيَ الاستخارةَ لم يُمنَعِ الخِيَرَةِ.

واستخارةُ المسلمِ لربِّه إذا همَّ بأمرٍ ونحوِهِ دليلٌ على تعلُّقِ قلبه بـا للهِ عـزَّ وجلَّ في جميعِ أحوالِه، وعظيمِ ثِقَتِه بربِّه، وقُرْبه منه، إضافةً إلى ما فيها مـن الرِّضا بقَسْمِ ا للهِ وتقديرِه، وزيادةِ ثوابِ الإنسـانِ عنـدَ ا للهِ، وتعظيـمِ ا للهِ، والثَّناءِ عليه، وهي مَخْرَجٌ للإنسانِ من الحَيْرَةِ والتَرَدُّدِ والشكِّ، ومَدْعـاةٌ إلى الطُمأنينةِ وراحةِ البالِ، ويكفي رِفْعَـةً لهـا أنَّ ا للهَ جـلَّ في عُـلاه هـو الـذي يختارُ للعبدِ، ومن اختارَ ا للهُ له وقاهُ من كلِّ شرٍّ، وحماهُ مـن كـلِّ مكـروهٍ، ويسَّرَ له الخيرَ حيثُ كان.

كَمْ مَرَّةٍ حَفَّتْ بكَ المكَارِهْ   خـَارَ لكَ ا للهُ وأنتَ كَارِهْ

وفي الاسـتخارةِ -عبـادَ ا للهِ- امتثـالٌ للسُّنَّةِ النبويَّـةِ المُطَهَّـرةِ، وتحصيـلٌ لبركتِها؛ فعن جابرِ بنِ عبدِ ا للهِ -رضي ا للهُ عنه- قـال: كَـانَ رَسُولُ ا للهِ ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَمَـا يُعَلِّمُنَـا السُّـورَةَ مِـنَ الْقُـرْآنِ، يَقُولُ: « إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِـالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْـنِ مِنْ غَـيْرِ الْفَرِيضَـةِ، ثُـمَّ لِيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّـي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِـكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِـكَ، وَأَسْـأَلُكَ مِـنْ فَضْلِـكَ الْعَظِيـمِ، فَـإِنَّكَ تَقْـدِرُ وَلاَ أَقْـدِرُ، وَتَعْلَـمُ وَلاَ أَعْلَـمُ، وَأَنْـتَ عَـلاَّمُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْـرَ خَـيْرٌ لِـي فِـي دِينِـي وَمَعَاشِـي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّـرْهُ لِـي، ثُـمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَـذَا الأَمْـرَ شَـرٌّ لِـي فِـي دِينِـي وَمَعَاشِـي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي -أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ- فَاصْرِفْـهُ عَنِّـي وَاصْرِفْنِـي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي. قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ ». [رواه البخاريُّ]

والحكمةُ في تقديمِ الصلاةِ على الدُّعاءِ في الاستخارةِ: أنَّ المُرادَ حصولُ الجمعِ بين خيري الدُّنيا والآخرةِ، فيحتاجُ المسلمُ إلى قَرْعِ بابِ الغنيِّ الحميدِ، القادرِ القاهرِ، ولا شيءَ أنْجَعُ ولا أنْجَحُ من الصلاةِ؛ لِما فيها من تعظيمِ ا للهِ، والثَّناءِ عليه، والقُرْبِ منه.

وإن دعى قبلَ السلامِ من الرَّكعتين أو بعدَه فلا حرَجَ عليه إن شاءَ ا للهُ، إلاَّ أنَّ الدُّعاءَ قبلَ السلامِ أفضلُ، وآكدُ.

وينبغي له بعدَ ذلكَ أن يفعلَ ما ينشرِحُ له صدرُه، ثمَّ يرضى بقضاءِ ا للهِ وقدَرِه، ويُسلِّم لِقَسْمِه وخِيْرَتِه.

وإنَّ أمراً بلغَ بالنبيِّ ﷺ أن يُعلِّمَهُ أصحابَه كما يُعلِّمُهم السورةَ من القرآنِ لهو أمرٌ شريفٌ وعظيمٌ ومباركٌ، يجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يَحْرِصَ عليه، ويتعلَّمَهُ، ويُطبِّقَهُ في حياتِه كلِّها؛ طَلَباً لمرضاةِ ا للهِ وخِيْرَتِه، وتحصيلاً لسُنَّةِ نبيِّه محمدِ بن عبدِ ا للهِ عليه أفضلُ الصلاةِ واتمُّ التسليمِ...

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ والمسلمينَ، وأذِلَّ الشركَ والمشركين....

❧ ❧ ❧

ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه

●الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ أمرَ بطاعَتِه، ونهى عن معصيَتِــه، ودعـا لجنَّتِـه، أحمـدُه تعـالى وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسـولُه المبعـوثُ برحمَتِـه، والمُختـارُ لرسـالَتِه، والدَّاعي إلى شِرْعَتِه صلى الله وسلَّمَ وباركَ عليه وعلى آلـه وصحبـه ومـن دعا بدعوَتِه، واستَنَّ بسُنَّتِه إلى يومِ الدينِ.

أمَّا بعد:

فأوصيكم أيُّها الناسُ ونفسي بتقوى اللهِ سـبحانه، فـاتَّقوا اللهَ رحمكـم اللهُ، فإنَّ تقوى اللهِ نجاةٌ من المهالِكِ، وخروجٌ مـن المضـائِقِ، وسـلامَةٌ مـن المآزِقِ، حَقِّقوا التقوى واقعاً ملموساً في حياتِكم بمراقَبَةِ اللهِ سبحانه وتعـالى

وطاعَتِه وذكرِه وشُكرِه؛ ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ غَنِيًّا حَمِيداً ﴾ [النساء:١٣١] ؛ ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً ﴾ [الطلاق:٥].

أيُّها المسلمون:

يقولُ اللهُ سبحانه وتعالى في مُحْكَم كتابه: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية:٢٣].

اتِّباعُ الهوى سببُ كلِّ بلاءٍ، وأساسُ كلِّ عناءٍ، يورِثُ الشَّقاءَ، ويقودُ إلى الفناءِ ، يُنتِجُ من الأخلاقِ قبائحَها، ويُظهرُ من الأفعالِ فضائحَها، ويجعلُ سِتْرَ المروءَةِ مهتوكاً، ومَدْخَلَ الفتنَةِ مسلوكاً.

وفي التَّحذيرِ من الهوى وما يجرُّه على صاحِبه من ويْلاتٍ ومِحَنٍ تضافَرَتْ نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ للدَّلالَةِ الواضِحَةِ على أنَّ اتِّباعَ الهوى طريقُ المهالِكِ، ومَسْلَكُ الخُسْرانِ في الدَّارين؛ فإنَّ المسلمَ الحقَّ مأمورٌ بأن يكونَ هواه تَبَعاً لِما جاءَ به المصطفى ﷺ ، وبذلك يَكْمُلُ إيمانُه، ويَحْسُنُ إسلامُه؛ فإنَّ أعظمَ ما يوقِعُ الإنسانَ في الخسارَةِ، ويقودُه إلى الهاوِيَةِ اتِّباعُ الهوى وطولُ الأَمَلِ؛ فاتِّباعُ الهوى يصَدُّ عن الحقِّ، وطولُ الأَمَلِ يُنسي الآخرةَ، والعاجزُ من أتبعَ نفسَه هواها، وتَمَنَّى على اللهِ الأمانيَّ.

قال عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ -رضي اللهُ تعالى عنهما-: (الهوى إلهٌ يُعْبَدُ من دونِ اللهِ، ثمَّ تلا قولَه تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ ... الآية ﴾).

إذا أنتَ لم تَعْصِ الهوى قادَكَ الهوى ... إلى كلِّ ما فيهِ عليكَ مَقالُ

عبادَ اللهِ:

الهوى مَلِكٌ غَشومٌ، ومَتَسلِّطٌ ظَلومٌ، وفي منثورِ الحِكَمِ: العقلُ وزيرٌ ناصِحٌ، والهوى وكيلٌ فاضِحٌ.

والمسلمُ العاقِلُ من أشعرَ نفسَه بعواقِبِ الهوى الوخيمَةِ، ونتائجه الوبيلَةِ من شِدَّةِ الضَّرَرِ وقُبْحِ الأثَرِ، وكَثْرَةِ الإجرامِ، وتراكُمِ الآثامِ؛ فإنَّ الجنَّةَ حُفَّتْ بالمكارِه، والنَّارُ حُفَّتْ بالشَّهواتِ والهوى، عندَ ذلك يصيرُ الهوى بالعقلِ مَدحوراً، وبالنفسِ مَقْهوراً، ويحوزُ الإنسانُ الحظَّ الأوفى من ثوابِ اللهِ سبحانه، وثناءِ المخلوقينَ عليه؛ قال اللهُ تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات:٤٠-٤١].

وخيرُ الناسِ من أخرَجَ الشَّهوةَ المُحرَّمَةَ من قلبِه، وعصى هواهُ في طاعَةِ ربِّه؛ فإنَّ اللهَ سبحانه ركَّبَ الملائكةَ من عَقلٍ بلا شهوَةٍ، وركَّبَ البهائمَ من شهوَةٍ بلا عقلٍ، وركَّبَ ابنَ آدمَ من العقلِ والشَّهوةِ، فمن غلبَتْ شهوتُه عقلَه فهو شرٌّ من البهائمِ.

قد يُدْرِكُ الحازِمُ ذو الرأيِ المُنى ... بطاعَةِ اللهِ وعِصْيانِ الهوى

والهوى في أصلِه ميلُ النفسِ إلى ما تُحِبُّ خيراً كان أو شرًّا؛ فإن كان ما تُحبُّه مُخالِفاً شرعَ اللهِ فهو الهوى المذمومُ المُحرَّمُ، وأن كان ما تحِبُّه موافِقاً شرْعَ اللهِ فهوى الهوى الممدوح.

والهوى قد يكونُ في الشُّبهات، وقد يكونُ في الشَّهواتِ، وأعظَمُ ما يكونُ الهوى مذموماً مُفسداً عندما يكونُ في بابِ الشُّبهاتِ.

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ -رحمةُ اللهِ عليه-: (واتِّباعُ الأهواءِ في الدِّياناتِ أعظَمُ من اتِّباعِ الأهواءِ في الشَّهواتِ؛ فإنَّ الأوَّلَ حالُ الذين كفروا من أهلِ الكتابِ والمشركينَ؛ كما قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ **فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [القصص:٥٠]).

قال ﷺ : ((ثَلاَثٌ مُنْجِيَاتٌ: خَشْيَةُ اللهِ تَعَالى فِي السِرِّ وَالعَلاَنِيَةِ، وَالعَدْلُ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ، وَالقَصْدُ فِي الغِنَى وَالفَقْرِ. وَثَلاَثٌ مُهْلِكَاتٌ: هَوَىً مُتَّبَعٌ، وَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ)). [رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ حَسَنٍ]

ومن يُفتِّشُ أحوالَ الناسِ يرى العَجَبَ العُجابَ ممَّن أعماهُم الهوى وأصمَّهم، يرى الأهواءَ تَتجارى بأصحابِها، فلا يمدَحونَ أو يَذُمُّونَ، ولا يتكَلَّمونَ أو يَصمُتونَ، ولا يوالونَ أو يُعادونَ إلاَّ بمقياسِ الهوى الفاسِدِ، والظنِّ الكاذِبِ؛ فكم من مظلومٍ قتَلَهُ صاحِبُ هوىً، وكم من صاحِبٍ خَسِرَ صاحبَه أو فقدَ أخاه بدافِعِ الهوى، وكم من زوجٍ وزوجةٍ تفرَّقا بسببِ الهوى.

فالهوى عندَ كثيرٍ من الناسِ إلهٌ يُعبَدُ من دونِ اللهِ، تعالى اللهُ عن ذلك عُلوّاً كبيراً.

عبادَ اللهِ:

وللهوى مظاهِرُ عديدةٌ وأفعالٌ وأقوالٌ كثيرةٌ تدلُّ على أنَّ صاحِبَها ذو هوىً مُتَّبَعٍ؛ كالتَّعَصُّبِ للأشخاصِ حتّى يجعلَ الإنسانُ ولاءَه وبراءَه لشخصٍ ما يوالي فيه ويُعادي فيه.

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ -رحمه الله-: (ومن نصَّبَ شخصاً كائناً من كانَ -عدا المصطفى ﷺ- فوالى وعادى على موافقَتِه في القولِ والفعلِ فهو من الذين فرَّقوا دينَهم وكانوا شِيَعاً، ولهذا تجدُ قوماً كثيرينَ يُحبُّونَ قوماً لأجلِ أهواءَ، لا يعرفونَ معناها ولا دليلَها، بل يوالونَ على إطلاقِها أو يُعادونَ من غيرِ أن يكونوا هم يعقِلونَ معناها، ولا يعرفونَ لازِمَها ومقتضَاها).

ومن مظاهِرِ الهوى عبادَ اللهِ: التحامُلُ على المُخالِفِ، والتَّشْنيعُ عليه بما يُخرِجُ عن الحدِّ الشرعِيِّ، ويوقِعُ في البغي والعُدوانِ. وهذا مُخالِفٌ للمنهَجِ الإسلاميِّ الفريدِ في التعامُلِ مع المُخالفينَ؛ والذي قال الحقُّ تبارك وتعالى عنه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [المائدة:٨].

ومن مظاهرِه كذلك: الاضطرابُ والتناقُضُ في الآراءِ والمواقِفِ والأحكامِ: فصاحِبُ الهوى قد يعيبُ أمراً ثمَّ يفعلُهُ، وقد يَنْتَقِصُ عملاً ثمَّ يُشيدُ به، وقد يمدَحُ رجلاً لموقِفٍ ثمَّ يَذُمُّهُ لموقِفٍ آخرَ دونَ دِرايَةٍ أو تَعَقُّلٍ، وقد يُسَفِّهُ رأياً لأنَّ قائلَهُ فلانٌ من الناسِ، فإذا قالَ به شخصٌ يُمَجِّدُه عادَ إلى تمجيدِ ذلك الرأي، وكلُّ ذلكَ بمقياسِ الهوى الفاسِدِ.

ويظهَرُ ذلك واضِحاً جليًّا في فسادِ الموازينِ لدى صاحِبِ الهوى؛ فتراهُ يتحاشا أموراً، ويُشَدِّدُ فيها، ثمَّ يفعَلُ ما هو أكبَرُ منها، ويتساهَلُ فيما هو أعظَمُ منها، وما ذاكَ إلاَّ لغَلَبَةِ الجَهلِ وتَحَكُّمِ الهوى فيه.

قال ابنُ الجوزيِّ -عليه رحمةُ اللهِ-: (رأيتُ كثيراً من الناسِ يتحرَّزونَ من رَشَاشِ النجاسَةِ، ولا يَتحاشونَ من الغِيْبَةِ، ويُكْثِرونَ من الصَّدَقَةِ، ولا يُبالونَ بمعاملاتِ الرِّبا، ويَجتَهِدونَ في الليلِ، ويؤخِّرونَ الفريضَةَ عن الوقتِ... في أشياءَ يطولُ عدُّها من حِفْظِ فروعٍ وتَضييعِ أصولٍ، فبَحَثْتُ عن سَبَبِ ذلك فوجَدْتُه في شيئين: أحدُهما: العادةُ. والثاني: غَلَبَةُ الهوى في تحصيلِ المطلوبِ؛ فإنَّه قد يغلِبُ فلا يترُكُ سمعاً ولا بصراً).

ومن مظاهرِ الهوى: تَقَصُّدُ تَتَبُّعِ الزَّلاَّتِ والسَّقَطَاتِ والأخطاءِ التي قد لا يسلَمُ منها بشَرٌ، وتكبيرُها وتشهيرُها، دونَ قَصْدِ النصيحَةِ، بل إنَّ صاحِبَ الهوى ليَفْرِحُ بوقوعِ أخيه في الخطأِ ليَحُطَّ به من قدرِهِ دونَ أن يُفكِّرَ في الاعتذارِ له أو تَلَمُّسَ المعاذيرِ له، أو التَلَطُّفَ في نُصْحِهِ وبيانِ عَيْبِه، والسَّتْرِ عليه؛ لأنَّه ليسَ راغِباً في الخيرِ بل مُتَّبِعٌ لهواه، ومن ثَمَّ فلا

عَجَبٌ أن ترى من يُفْرِطونَ في المدحِ ويُسْرِفونَ في الذَّمِ، ساترينَ أعيُنَهم عن المحاسِنِ والمساوئ. ولا عَجَبٌ أن ترى الجَدَلَ بالباطلِ، وعدَمَ الاعترافِ بالخطأِ، ومُحاولةَ إيجادِ الأعذارِ الوهميَّةِ الكاذبَةِ، والتَّسويغِ للتقصيرِ، وتسفيهِ الطرَفِ الآخرِ، والتطاولِ عليه، ومن ثمَّ يُقَصِّرُ الإنسانُ في مُحاسَبَةِ نفسِه، ويراها بعينِ الكمالِ، ويَعتَذِرُ لها عن تسويفِها وتقصيرِها واتِّباعِها هواها، والإسرافِ في المُباحاتِ، والتقصيرِ في المندوباتِ، وغِشيانِ المكروهاتِ والمُحرَّماتِ، وعدمِ أخذِ النفسِ بالعزائمِ والاحتياطاتِ، وتطلُّعِها إلى مقاماتِ الورَعِ، والمنافسةِ في الخيراتِ.

أعاذَنا اللهُ جميعاً من اتِّباعِ الهوى، وسَدَّدَنا في القولِ والعَمَلِ، إنَّه وليُّ ذلك والقادِرُ عليه.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ اللهَ فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله على إحسانه ، والشكرُ له على توفيقه وامتنانه ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله ، وأصحابه ، وإخوانه ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا اللهَ أيُّها المسلمونَ وافعلوا الخيرَ لعلَّكم تُرحمونَ.

ثمَّ اعلموا رحمكم الله أنَّ الشارعَ الحكيمَ إنَّما نهانا عن الهوى، وحَذَّرَنا منه لِما له من المفاسِدِ والأضرارِ في العاجلِ والآجلِ.

إذا المرءُ أعطى نفسَه كلَّ ما اشتَهتْ ... ولم ينْهَها تاقَتْ إلى كلِّ باطلِ

وساقَتْ إليه الإثمَ والعارَ بالذي ... دعَتْهُ إليهِ مِن حلاوةِ عاجلِ

واتِّباعُ الهوى -عبادَ اللهِ- سبَبٌ لفسادِ الأمورِ، يُصَوِّرُ ذلكَ قولُ اللهِ تعالى: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:٧١] ؛ وقولُه: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن

تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦].

وسَبَبٌ -كذلك- لفسادِ الرأي والفِكرِ، والوقوعِ في التناقُضِ؛ ﴿ **وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾** [الكهف:٢٨].

وسَبَبٌ للتفَرُّقِ والاختلافِ وكَثْرَةِ الشِّقاقِ والنِّزاعِ، والواقِعُ شاهدٌ بذلك مِمَّا يجري بين الناس.

وهو موجِبٌ للعقوبَةِ من الله، وصَادٌّ عن قبولِ الحقِّ واتِّباعِه، ولهذا قال عليٌّ -رضي الله عنه-: (إنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم اثنَتان: طولُ الأَمَلِ، واتِّباعُ الهوى، فأمَّا طولُ الأَمَلِ فيُنسي الآخرةَ، وأمَّا اتِّباعُ الهوى فيَصُدُّ عن الحقِّ).

واتِّباعُ الهوى -كذلك- سبَبٌ للهمومِ والأحزانِ وضِيْقِ الصُّدُورِ؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾** [الجاثية:٢٣].

فالواجِبُ على المسلمِ الناصِحِ لنفسِه الحريصِ عليها الحذرَ من اتِّباعِ الهوى، وأن يجتَهِدَ في مُقاومَتِه عن نفسِه وعن غيرِه بقَدْرِ الاستطاعَةِ؛ بالعلمِ والعدلِ والإخلاص.

عبادَ اللهِ:

صلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم اللهُ تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً)). [رواه مسلم]

فضل برِّ الوالدين والتحذير من عقوقهما

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه، ونستَهديه، ونستغفُره ، ونتوبُ إليه، ونؤمِنُ به ونتوكَّلُ عليه، ونُثني عليه الخيرَ كُلَّهُ، ونعوذُ با لله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده ا للهُ فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ ا لله وحدَه لا شريكَ له، أمرَ بالإحسانِ إلى الوالدينِ وبرِّهِما، وقرَنَ حقَّه بحقِّهما تعظيماً لشأنِهما، وبياناً لفضلِهما، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه وصفيُّهُ من خلقِه، بعثَهُ ا للهُ بالهُدى ودينِ الحقِّ، فبلَّغَ البلاغَ المُبينَ، وأدَّى الرِّسالةَ، ونصحَ الأمَّةَ، وأزالَ بإذنِ ربِّه الغُمَّةَ، صلى ا لله عليه وعلى آله وصحبه الطيِّبين الطاهرين والتابعين ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا الله تبارك وتعالى حقَّ التقوى؛ فإنَّ تقوى الله سبحانه هي العروةُ الوثقى، والسعادةُ الكبرى، والنجاةُ العظمى في الآخرةِ والأولى، راقبوه ولا تنسوه، وأطيعوه ولا تعصوه، واعلموا أنَّكم لديه محضرونَ، وعلى أعمالِكم مُحاسبونَ، وعلى تفريطِكم نادمونَ، ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران:١٨٥]؛ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

أيُّها المسلمون:

برُّ الوالدينِ أمرٌ جُبِلَتْ عليه النفوسُ البشريَّةُ، وحقٌّ دعتْ إليه الفِطْرَةُ الإنسانيَّةُ، وأكَّدتْ عليه الشريعَةُ الإسلاميَّةُ حيثُ قرَنَ الله تباركَ وتعالى حقَّهما بحقِّه، وجعلَ شُكرَهما من شُكْرِه سبحانه في غيرِ ما آيةٍ من كتابه العزيز؛ ﴿ وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [النساء:٣٦]؛ ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾ [الإسراء:٢٣]؛ ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤]؛ ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ

الَّتِيَ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف:١٥].

وما ذاكَ الاهتمامُ وتلكَ العنايَةُ إلاَّ لفضلِهما على أولادِهما؛ فالوالدان بعد اللهِ سَبَبٌ من أسبابِ وجودِ الولَدِ في هذه الحياةِ، ولَهُما عليه حقٌّ عظيمٌ وكبيرٌ؛ إذْ رَبَّيَاهُ صغيراً، وسَهِرا عليه وَليداً، وتَعِبا من أجلِ راحَتِه كبيراً؛ فللَّهِ تعالى نِعمَةُ الخَلقِ والإيجادِ، وللوالدينِ بإذنِ اللهِ نعمَةُ الإيلادِ والتربيَةِ.

يقولُ ابنُ عبَّاسٍ -رضي اللهُ تعالى عنهما-: (ثلاثُ آياتٌ مَقرونَاتٌ بثلاثٍ، لا تُقبَلُ واحِدَةٌ بغيرِ قرينَتِها: ﴿**وَأَطِيْعُوْا اللهَ وَأَطِيْعُوْا الرَّسُوْلَ**﴾؛ فمن أطاعَ اللهَ ولم يُطِعِ الرَّسولَ لم يُقبَلْ منه، ﴿**وَأَقِيْمُوْا الصلاَةَ وَآتُوْا الزَّكَاةَ**﴾؛ فمن صلَّى ولَمْ يُزَكِّ لم يُقبَلْ منه، وقولُهُ تعالى: ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾؛ فمن شكرَ للهِ ولم يشكُرْ لوالديه لم يُقبَلْ منه، فَرِضى اللهِ في رَضا الوالدينِ، وسَخَطُ اللهِ في سَخَطِ الوالدينِ).

أُمَّكَ وأباكَ ثمَّ أدناكَ فأدناكَ. أخرَجَ الشيخان وغيرُهما من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عمرو بنِ العاصِ -رضي اللهُ تعالى عنهما- قال: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ. قَالَ ﷺ: ((فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ ؟)). قَالَ: نَعَمْ ! بَلْ كِلاهُمَا. قَالَ: ((فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ؟)). قَالَ: نَعَمْ ! قَالَ: ((فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا)).

وعندَ الطبرانيِّ بسَنَدٍ جيِّدٍ: أنَّ رجلاً جاءَ إلى النبيِّ ﷺ يستَشيرُه في الجهادِ، فقال ﷺ: «ألَكَ والِدان؟». قال: نعم! قال: «الْزَمْهُمَا فإنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ أقْدَامِهما».

أيُّها الإخوةُ في الله:

إنَّ حقَّ الوالدينِ عظيمٌ، ومعروفَهما لا يُجازى، وبِرَّهُما جاءَ في الإسلامِ مُطلَقاً بدونِ قَيْدٍ أو شَرْطٍ، حتّى ولو كانا مشركين، بل وأبعَدَ من هذا: حتّى ولو جاهداكَ على أن تُشْرِكَ باللهِ شيئاً فلا يَسْقُطُ حقُّ الإحسانِ إليهما، ومُصاحَبَتِهما في الدُّنيا بالمعروفِ؛ ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [لقمان:١٥].

وفي قولِه تعالى: ﴿ **أَن تُشْرِكَ بِي** ﴾ دونَ قولِه: أن تُشْرِكَ باللهِ، إشعارٌ بأنَّ قضيَّتي الشركِ والتوحيدِ حقٌّ من حقوقِ اللهِ سبحانه وتعالى، فلا يَحمِلنَّكَ هذا على التقصيرِ في حقِّهما، وإليَّ المصيرُ أُجازي كُلاًّ منكم على عملِه، أنتَ على بِرِّكَ بهما، وهُما على إشراكِهما بي، ومُجاهَدتِهما إيّاكَ على أن تُشْرِكَ بي ما ليسَ لكَ به علمٌ.

إنَّ حقَّ الوالدينِ عليكَ -أيُّها المسلِمُ- أن تَبَرَّهُما بالإحسانِ إليهما قولاً وفعلاً، والإنفاقِ عليهما ما استطعتَ إلى ذلك سبيلاً، فأنتَ ومالُكَ لأبيكَ، ودفعِ الأذى عنهما كما دَفَعَاهُ عنكَ حالَ الصِّغَرِ، وطاعتِهما في المعروفِ، وتوقيرِهما، وتقدِيْرِهما، والتَّأدُّبِ معهما، ﴿ **فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا**

وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء:٢٣-٢٤].

تُلِيْنُ لَهُما القولَ، وتَبْسُطُ لَهُما الوجْهَ، وتُقَومُ بخدمَتِهما على الوجْهِ اللائِقِ بِهما، ولا تَتَضَجَّرْ منهما عندَ الكِبَرِ والمَرَضِ والضَّعْفِ، ولا تَستَثْقِلْ ذلكَ منهما؛ فإنَّكَ سوفَ تكونُ بمنزلَتِهما يوماً ما، أباً كبيراً، وسوفَ تَبلُغُ من الكِبَرِ عندَ أبنائكَ -إذا قَدَّرَ ا للهُ لكَ البقاءَ- كما بلغاهُ عندَكَ، وسوفَ تحتاجُ إلى بِرِّ أولادِكَ كما احتاجا إلى بِرِّكَ، فإن كُنتَ باراًّ بوالديكَ فأبْشِرْ بالأجرِ من ا للهِ، والبرِّ من الأبناءِ، فمن بَرَّ بوالديهِ بَرَّ بهِ أولادُه، ومن عَقَّ والديهِ عَقَّهُ أبناؤُهُ، والجزاءُ من جِنْسِ العَمَلِ، فكما تَدِيْنُ تُدانُ.

روى الحاكِمُ والطبراني بسنَدٍ صحيحٍ عن أبي هُريرَةَ -رضي ا للهُ عنه- عن النبيِّ ﷺ قال: «عُفُّوا عَنْ نِسَاءِ النَّاسِ تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ، وَبِرُّوا آبَاءَكُمْ تَبرُّكُمْ أبْنَاؤُكُمْ».

ولِعِظَمِ حقِّ الوالدين في الإسلامِ فقد جعلَ المصطفى ﷺ بِرَّ الوالدينِ من أفضَلِ الأعمالِ وأحَبِّها إلى ا للهِ تعالى، وإذا كانت الصلاةُ في الإسلامِ عِمَادَ الدِّينِ، فإنَّ بِرَّ الوالدينِ يلي الصلاةَ في الفضلِ، ويَسْبِقُ الجهادَ في سبيلِ ا للهِ تعالى الذي هو ذِرْوَةُ سَنامِ الإسلامِ.

روى البخاريُّ ومسلِمٌ عن عبدِ ا للهِ بنِ مسعودٍ -رضي ا للهُ عنه- قال: سَأَلْتُ رَسُولَ ا للهِ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: «الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا». قَالَ: قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ». قَالَ: قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ ا للهِ». وفي وصيَّتِه ﷺ لُمعاذِ بنِ جَبَلٍ -رضي ا للهُ عنه- عندَ

الإمامِ أحمدَ بإسنادٍ صحيحٍ قال: أَوْصَانِي رَسُولُ ا للهِ ﷺ بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ؛ قَالَ: «لاَ تُشْرِكْ بِا للهِ شَيْئاً وَإِنْ قُتِلْتَ وَحُرِّقْتَ، وَلاَ تَعُقَّنَّ وَالِدَيْكَ وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَلاَ تَتْرُكَنَّ صَلاَةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّداً؛ فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلاَةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّداً فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ ا للهِ، وَلاَ تَشْرَبَنَّ خَمْراً؛ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ؛ فَإِنَّ بِالْمَعْصِيَةِ حَلَّ سَخَطُ ا للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِيَّاكَ وَالْفِرَارَ مِنَ الزَّحْفِ وَإِنْ هَلَكَ النَّاسُ، وَإِذَا أَصَابَ النَّاسَ مُوتَانٌ وَأَنْتَ فِيهِمْ فَاثْبُتْ، وَأَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ وَلاَ تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدَباً، وَأَخِفْهُمْ فِي ا للهِ».

عبادَ ا للهِ:

إنَّ حقَّ الوالدينِ عظيمٌ، ولَنْ يستَطيعَ أحَدٌ أن يوفِيَهُما حقَّهُما؛ ولا يجزي ولَدٌ والِدَهُ إلاَّ أن يَجِدَهُ مملوكاً فيَشْتَرِيَه، فيُعْتِقَهُ، كما صحَّ بذلك الخبرُ عن سيِّدِ البَشَرِ ﷺ . ولكن سَدِّدوا وقارِبوا، وأكثِروا من الدُّعاءِ لهما بالمغفرَةِ والرَّحْمَةِ من ا للهِ.

جاءَ رجلٌ إلى عمرَ بنِ الخطَّابِ -رضي ا للهُ عنه- فقال: (إنَّ لي أُمّاً بلَغَ منها الكِبَرُ أنَّها لا تقضي حوائِجَها إلاَّ وظهري لها مَطِيَّةٌ، فهل أدَّيتُ حقَّها ؟ فقال له عمرُ: ما أدَّيْتَ حقَّها؛ إنَّها كانت تَصْنَعُ ذلك بكَ وهي تَتمنَّى بقاءَكَ، وأنتَ تصنَعُه وأنتَ تَتمَنَّى فِراقَها، ولكنَّكَ مُحْسِنٌ وا للهُ يُثيبُ الكثيرَ على القليلِ سبحانه).

أيُّها المسلمون:

وَلما خَصَّ اللهُ به الأمَّ من الحَملِ والولادَةِ والإرْضاعِ خَصَّها بزيدِ الوصيَّةِ بِبرِّها؛ جاء في الصحيحين عن أبي هُريرةَ -رضي الله عنه- قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قَالَ: « أُمُّكَ ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: « ثُمَّ أُمُّكَ ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: « ثُمَّ أُمُّكَ ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ: « ثُمَّ أَبُوكَ ».

قال الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ -عليه رحمةُ اللهِ-: (وجاءَ ما يدلُّ على تقديمِ الأمِّ في البرِّ مُطلَقاً، وهو ما أخرجَهُ الإمامُ أحمَدُ والنسائيُّ، وصحَّحَهُ الحاكِمُ من حديثِ عائشةَ -رضي الله عنها- أنَّها سألَتِ النبيَّ ﷺ أيُّ الناسِ أعظَمُ حقّاً على المرأةِ ؟ قال: « زَوْجُهَا». قالت: فقلتُ على الرَّجُلِ ؟ قال: « أُمُّهُ»).

وعندَ الإمامِ أحمَدَ وأبي داودَ عن عمرو بن شُعَيْبٍ عن أبيه عن جدِّه: أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ بَطْنِي لَهُ وِعَاءً، وَثَدْيِي لَهُ سِقَاءً، وَحِجْرِي لَهُ حِوَاءً، وَإِنَّ أَبَاهُ طَلَّقَنِي وَأَرَادَ أَنْ يَنْتَزِعَهُ مِنِّي. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكِحِي » ؛ أي: تتزوَّجي.

إنِّي أُذكِّرُ بِعِظَمِ حقِّ الأُمِّ عليكم أيُّها الأبناءُ فالذِكرى تنفَعُ المؤمنينَ؛ حيثُ ضَيَّعَ كثيرٌ من الأبناءِ مع شديدِ الأسَفِ حقَّ الأُمِّ، وصرَفوه إلى زوجاتِهم، لا سيَّما إذا ابتلى اللهُ أحدَهم بزوجَةِ سوءٍ والعياذُ باللهِ،

فانفَرَدَتْ به عن أُمِّهِ، وفَطَمَتْهُ عن بِرِّها، وَكَرَّهَتْ إليه الإحسانَ إليها، وأمثالُ هؤلاءِ العاقِّينَ كثيرٌ في المُجتَمَعِ لا كَثَّرَهم الله.

الله أكبَرُ ! أُمُّكَ التي حَمَلَتْكَ كُرْهاً، ووَضَعَتْكَ كُرْهاً، ورأتِ الموتَ بعيْنيْها حينَ ولاَدَتِكَ، أرْضَعَتْكَ طعامَها، ورَبَّتْكَ في حِجْرِها، وأزالَتْ عنكَ الأذى بيَمِينِها سُرْعانَ ما تنسى جميلَها العظيمَ، وتَطْمُرَ حقَّها الكبيرَ، وتُطيعُ زوجَتَكَ في عقوقِها.

قال ابنُ عباسٍ -رضي الله تعالى عنهما-: (لا أعلَمُ عَمَلاً أقرَبَ إلى اللهِ -عزَّ وجلَّ مِنْ بِرِّ الوالِدَةِ).

قال أبو موسى الأشعريُّ -رضي الله عنه-: شَهِدَ ابنُ عمرَ-رضي الله عنهما- رجُلاً يمانيَّاً يطوفُ بالبيتِ، حَمَلَ أُمه وراءَ ظهره، يقولُ:

إنِّي لها بعيرُهـــا المُذَلَّلُ إن أُذْعِرَتْ رِكَابُها لَمْ أُذْعَرْ

ثم قال: يا ابنَ عمرَ أتَراني جَزَيْتُها ؟ قال: لا ، ولا بِزَفْرَةٍ واحِدَةٍ !!).

[رواه البخاريُّ في الأدبِ المفرَدِ]

عن ابنِ عمرَ -رضي الله عنهما- قال: كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ أُحِبُّهَا، وَكَانَ أَبِي يَكْرَهُهَا، فَأَمَرَنِي أَبِي أَنْ أُطَلِّقَهَا، فَأَبَيْتُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: « يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ طَلِّقِ امْرَأَتَكَ!». [رواه أبو داودَ، والنسائيُّ، وأحمَدُ، والترمذيُّ، وهو صحيحٌ]

فاتَّقوا الله رحمكم الله، واعلموا أنَّ برَّ الوالدينِ فريضَةٌ لازِمَةٌ، وحقٌّ واجِبٌ، وهو سَبَبٌ لِسَعَةِ الرِّزقِ، وطُولِ العمرِ، وحُسْنِ الخاتِمَةِ؛ فعن عليٍّ -رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ،

وَيُوَسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السُّوءِ فَلْيَتَّقِ ا للهَ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ». [رواه أحمدُ بإسنادٍ حَسَنٍ] ؛ والوالِدانِ أحقُّ الناسِ بالبِرِّ، وأقرَبُهما إليكَ رَحِماً.

أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ ا لله فاستغفروه وتوبوا إليه إنّه هو الغفورُ الرحيمُ.

** * **

● الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه ، والشكرُ له على توفيقه وامتنانه ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ ا للهُ وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ ا لله ورسولُه الداعي إلى رضوانه ، صلى ا لله عليه وعلى آله ، وأصحابه ، وإخوانه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتّقوا ا لله تعالى عبادَ ا للهِ، وامتثلوا أمرَه، واجتنِبوا نهيَه، أوفوا بالعهدِ، واصْدُقوا في الحديثِ، وصِلوا أرحامَكم، وبَرُّوا آباءَكم وأمَّهاتِكم، وأحسِنوا إنَّ ا للهَ يُحبُّ المحسنين.

ثمَّ اعلموا رحمكم ا للهُ أنَّ بِرَّ الوالدينِ واجبٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلِمَةٍ، وأنَّ عقوقَهما من أكبَرِ الكبائرِ، وأعظَمِ الذنوبِ. عن عبدِ ا للهِ بن عمرَ – رضي ا للهُ عنهما– قال: قال ﷺ : «ثَلاثَةٌ لاَ يَنْظُرُ ا للهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، وَالدَّيُّوثُ. وَثَلاَثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى». [رواه النسائيُّ وأحمدُ]

وعن جابرٍ –رضي ا للهُ عنه– قال: خرَجَ عَلَيْنَا رسولُ ا للهِ ﷺ فقال: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِيْنَ ! إِيَّاكُمْ وَعُقُوقَ الوَالِدَيْنِ؛ فَإِنَّ رِيْحَ الجَنَّةِ تُوْجَدُ مِنْ مَسِيْرَةِ ألفِ عَامٍ، وا للهِ لا يَجِدُ رِيْحَهَا عَاقٌّ لِوَالِدَيْهِ». [رواه الطبرانيُّ]

إنَّ أعظَمَ الإساءَةِ أن يُجاهِرَ الأبناءُ بعقُوقِ الوالدينِ اللَّذين كانا يَتطَلَّعانِ إلى البرِّ والصِّلَةِ فإذا بهما يُنْهَرَانِ ويُقْهَرَان، بل وَيُصْفَعَان عندَ الساقطينَ والساقِطاتِ، الذين لا يرجونَ للهِ وقَارا، ورُبَّما وُجِدَ في المُجتَمَعِ من يضرِبُهُما ويَسُبُّهُما ويَشْتُمُهُما –عياذاً با للهِ من انتكاسِ الفِطْرَةِ وعَمَى البصيرَةِ–؛ من أغرارٍ سُفَهاءٍ، شَقَّ عليهم أمرُ الوالدينِ وهو يسيرٌ، وطالَ عليهم عُمُرُهما وهو قصيرٌ، ولما احتجا إليهم عندَ الكِبَرِ جعلوهما أهونَ الأشياءِ عليهم، وقدموا غيرَهما في الإحسانِ والبرِّ والصِّلَةِ، وظلَمَوهما حقَّهما، واستهانوا بِهما، وجَحَدوا معروفَهما، وأنكروا جميلَهما؛ حتَّى صارَ الوالِدانِ على ما بِهما من الكِبَرِ والتعَبِ والهَرَمِ يتَمَنيانِ الموتَ والراحَةَ، ولسانُ حالِهما يقولُ:

غَذوْتُكَ مولوداً وعُلْتُكَ يافِعَاً ... تُعَلُّ بما أُجري عليكَ وتَنْهَلُ

إذا ليلَةٌ ضاقَتْكَ بالسُّقْمِ لم أَبِتْ ... لِسُقْمِكَ إلاَّ شاكِياً أَتَمَلْمَلُ
كأنِّي أنا المَلْدوغُ دونَكَ بالَّذي ... لُدِغْتَ به دوني فَعيْناي تَهْمِلُ
فَلمَّا بلَغْتَ السِّنَّ والغايَةَ التي ... إليها مَدَى ما كُنْتُ فيكَ أُأَمِّلُ
جعَلْتَ جزائي غِلْظَةً وَفَظاظَةً ... كأنَّكَ أَنْتَ المُنْعِمُ المُتَفضِّلُ

إيها المسلمون:

إنَّ عُقوقَ الوالدينِ عقوبَتُه مُعجلَةٌ في الدُّنيا قبلَ الآخرَةِ؛ ففي الحديثِ أنَّه ﷺ قال: «كُل الذنُوبِ يُؤَخِرُ اللهُ مِنْها ما شاءَ إلاَّ عُقوقَ الوَالدِيْنِ فإنَّهُ يُعَجِّلُ لِصَاحِبِه العقوبَةَ قَبْلَ المَماتِ». [رواه الحاكِمُ، وقال: صحيحُ الإسنادِ]

وفي الصحيحِ أنَّه ﷺ قال: «رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ». قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ». [رواه مسلمٌ في صحيحِه] ؛ نعم ! رَغِمَ أنفُ من أدرَكَ والديه عندَ الكِبَرِ أو أحدَهما ثمَّ لم يتَّخِذْ برهما والإحسانَ إليهما طريقاً إلى الجنَّةِ برحمَةِ اللهِ.

وفي أثَرٍ مورودٍ: «إنَّ اللهَ لَيُعَجِّلُ هَلاَكَ العبْدِ إذَا كَانَ عَاقًّا؛ لِيُعَجِّلَ لَه العَذابَ، وَإنَّ اللهَ لَيَزِيْدُ في عُمُرِ العَبْدِ إذَا كَانَ بَارًّا؛ لِيَزِيْدَهُ براً وَخيراً».

وإنَّ من تمامِ البرِّ -عبادَ اللهِ- الترحُّمَ عليهما بعدَ الموتِ، وصِلَةَ الرَّحِمِ التي كانا يَصِلانِها، وكذا أهلِ ودهم؛ فعن أَبِي أُسَيْدٍ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّاعِدِيِّ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ! هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا ؟

قَالَ: « نَعَمِ ! الصَّلاَةُ عَلَيْهِمَا، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لاَ تُوصَلُ إلا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا». [رواه أبو داودَ، وابنُ ماجه، وأحمدُ، وهو صحيحٌ]

اللهُّم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد بن عبد الله صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين ، وارضَ اللَّهُمَّ عن أصحاب نبيِّك أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.....

ما زال جبريل يوصي بالجار

●الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ أمَرَ بالإحسانِ إلى الجارِ ذي القُرْبى والجارِ الجُنُبِ والصَّاحِبِ بالجَنْبِ وابنِ السَّبيلِ، أحمدُه تعالى وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له، قرَنَ عِبادَتَهُ بالإحسانِ إلى الجارِ؛ تعظيماً لحقِّه، وتَنْبيهاً لواجبِه، ﴿**وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً**﴾ [النساء:٣٦]. وأشهدُ أنَّ نبيَّنا وحبيبَنا محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه ومصطفاهُ وخليلُه، بعَثَهُ اللهُ سبحانه بالهُدى ودينِ الحقِّ ليُظْهِرَهُ على الدينِ كلِّه ولو كَرِهَ المشركونَ، فكان رحمَةً للعالمين، عَظَّمَ للجارِ حقَّه، وبيَّنَ مُسْتَحقَّهُ، وكرَّرَ الوصيَّةَ به حتَّى كاد يُورِّثُه مع جارِه، صلى

ا للهُ عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوتِه، واهتدى بهديِه، واستنَّ بسُنَّتِه وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يومِ الدينِ.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا ا لله تبارك وتعالى حقَّ التقوى ، وتزوَّدوا من الأعمالِ الصالحةِ للأخرى، وتأهَّبوا ليوم العرض الأكبر على ا لله، ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ [الحاقة:١٨].

أيُّها المسلمون:

يهدِفُ الإسلامُ إلى إقامةِ مجتمعٍ قويٍّ مُترابِطٍ مُحكمِ البناءِ مُتماسِكِ اللَّبناتِ، سُداه الأخوَّةُ والمحبَّةُ، ولُحْمَتُه التكافُلُ والمودَّةُ، وشِعارُه التراحُمُ والتكاتُفُ، كالبُنيانِ المرصوصِ يشدُّ بعضُه بعضاً، وكالجسَدِ الواحِد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعَتْ له سائِرُ الأعضاءِ بالسَّهَرِ والحُمَّى.

ولكي يتحقَّقُ ذلك المجتمعُ أمرَ ا للهُ تعالى بالإحسانِ إلى الجارِ، وأداءِ حقوقِه، وحِفْظِ واجباتِه، وكفِّ الأذى عنه، ولهذا كان الجارُ الصالِحُ من أسبابِ السعادةِ الدُّنيويَّةِ والأخرويَّةِ كما جاءَ عن نافِعِ بنِ عبدِ الحارثِ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: « مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ: الْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ ». [رواه أحمدُ، والحاكِمُ، ورجالُهُ رجالُ الصحيحِ] ؛ لأنَّ صلاحَ الجارِ أقلُّ فوائدِه أنَّه إن لم يُحسِنْ إليكَ سَيَكُفُّ أذاهُ عنكَ، وإن رآكَ لاهياً نصَحَكَ، أو ناسياً خيراً ذكَّرَكَ، أو جاهِلاً عِلماً أو مُحتاجاً ساعَدَكَ، بِخلافِ جارِ السوءِ؛ فإنَّه يُشغِلُكَ ويُلهيكَ ويُسيءُ إليكَ ويؤذيكَ، ولهذا قال

أبو هُريرةَ -رضي ا للهُ عنه- قال رسولُ ا للهِ ﷺ : « تَعَوَّذُوا با للهِ مِنْ جَارِ السَّوْءِ فِي دَارِ الْمُقَامِ فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ عَنْكَ ». [رواه النسائيُّ، وأحمدُ]

وقد جاءَ الإسلامُ بالحثِّ على الإحسانِ إلى الجارِ وإكرامِه في مواضعَ عديدةٍ من الكتاب والسُّنَّةِ، مِمَّا يدلُّ على عظيمِ العِنايَةِ به والإحسانِ إليه. جاءَ في الصحيحينِ من حديثِ أبي هُريرَةَ -رضي ا للهُ عنه- أنَّه ﷺ قال: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ با للهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ».

وعن عمرو بن العاصِ -رضي ا للهُ عنهما- عن النبيِّ ﷺ قال: « خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ ا للهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ ا للهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ ». [رواه الترمذيُّ، وأحمدُ، والدارميُّ، وهو صحيحٌ]

وعن ابنِ عُمرَ -رضي ا للهُ عنهما- قال: قال ﷺ : « مَنْ أغْلَقَ بَابَهُ دونَ جَارِهِ مَخَافَةً عَلى أهلِهِ ومالِهِ فَليسَ ذلك بمؤمنٍ، وليسَ بمؤمِنٍ من لَمْ يَأمَنْ جَارُهُ بَوَائِقَهُ. أتَدْرِي مَا حَقُّ الجَارِ ؟ إذَا اسْتَعانَكَ أَعَنْتَهُ، وَإذَا اسْتَقْرَضَكَ أقْرضْتَهُ، وَإذَا افْتقرَ عُدْتَ عَلَيْهِ، وَإذَا مَرِضَ عُدْتَهُ، وَإنْ مَاتَ اتَّبعْتَ جَنَازَتَهُ، وَإنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّأتَهُ، وَإنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ، وَلاَ تَسْتَطِلْ عَلَيْهِ بالبنيانِ فَتَحْجبَ عَنْهُ الرِّيحَ إلاَّ بإذْنِهِ، وَلاَ تُؤْذِهِ بقَتَارِ قِدْرِكَ إلاَّ أنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْها، وَإذَا اشْتَرَيْتَ فَاكِهَةً فَأهْدِ لَهُ، وَإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأدْخِلْها سِرًّا، وَ لاَ يَخْرُجْ بها وَلَدُكَ لِيَغِيْظَ بها وَلَدَهُ». [قال المُنذريُّ: رواه الخرائطيُّ، وله شواهدُ في الصحيحِ]

وما زالَ ﷺ يوصي أصحابَه بالجارِ حتّى ظَنُّوا أنَّه سَيورِّثُه؛ لِما كان جبريلُ عليه السلامُ يوصيه بالجارِ.

عبادَ ا للهِ:

لقد حرَّمَ ا للهُ إيـذاءَ الجـارِ في مالِـه أوعِرْضِـه أو دَمِـهِ؛ فعن المِقْـدادِ بنِ الأسوَدِ -رضـي ا للهُ عنـه- قـال: قـال رسـولُ ا للهِ ﷺ لأَصْحابـه: « مَـا تَقُولُـونَ فِـي الزِّنَـا ؟ ». قَـالُوا: حَرَّمَـهُ ا للهُ وَرَسُـولُهُ، فَهُـوَ حَـرَامٌ إِلَـى يَـوْمِ الْقِيَامَةِ. فَقَالَ رَسُولُ ا للهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ: «لأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بعَشْرَةِ نِسْـوَةٍ أَيْسَرُ عَلَيْـهِ مِـنْ أَنْ يَزْنِـيَ بـامْرَأَةِ جَـارِهِ ! ». فَقَـالَ: « مَـا تَقُولُـونَ فِـي السَّرِقَةِ؟». قَالُوا: حَرَّمَهَا ا للهُ وَرَسُولُهُ، فَهِـيَ حَـرَامٌ. قَـالَ: « لأَنْ يَسْـرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ ». [رواه أحمدُ]

حيثُ ضـاعَفَ المصطفى ﷺ جريمـةَ الزِّنـا والسـرِقَةِ في حـقِّ الجـارِ إلى عشرةِ أضعافٍ؛ لأنَّه كان حقًّا عليه أن يحْفَظَهُ في مالِه وعِرْضِـهِ، وقـد أَمِنَـهُ جارهُ فخـانَ الأمانَـةَ، وانتهَـكَ حُرْمَتَـهُ، إضافـةً إلى ارتكـابِ مـا حـرَّمَ ا للهُ ورسولُه ﷺ .

وجاءَ في الصحيحِ عن ابنِ مسعودٍ -رضي ا للهُ عنه- قال: سَأَلْتُ النَّبِـيَّ ﷺ : أَيُّ الذَّنْـبِ أَعْظَـمُ عِنْـدَ ا للهِ ؟ قـال ﷺ : «أَنْ تَجْعَـلَ للهِ نِـدًّا وَهُـوَ خَلَقَكَ». قُلْـتُ: إِنَّ ذَلِـكَ لَعَظِيـمٌ، قُلْـتُ: ثُـمَّ أَيٌّ ؟ قَـالَ : « وَأَنْ تَقْتُـلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَـالَ: « أَنْ تُزَانِـيَ حَلِيلَـةَ جَارِكَ». [متفقٌ عليه]

فـانظروا رعـاكم ا للهُ كيـفَ سـاوى النبيُّ ﷺ بـينَ هـاتين الجريمتـين العظيمتين: الإشراكُ با للهِ تعالى، وجُحودُ ربوبيَّته وأنَّه الخالِقُ الرَّازِقُ، وبـينَ

أن يُزانيَ المسلمُ بامرأةِ جارِهِ أو بنتِه أو أختِه، ويَجْحَدَ حقَّه عليه، وأئتمانَه له، ويالها من مساواةٍ عظيمةٍ؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالى لا يغفرُ أن يُشرَكَ بِهِ، ويغْفِرُ ما دونَ ذلكَ لِمَنْ يشاءُ.

وقد سَجَّلَ لنا تأريخُ الأدبِ العربيِّ محاسِنَ الجوارِ، وكَفِّ الأذى عن الجارِ لا سيَّما في بابِ العِرْضِ الذي كان هو المَثَلُ الأعلى عندَ العربِ: من ذلك ما روى أنَّ مالكَ بنَ أنسٍ مرَّ على امرأةٍ وهو تُغَنِّي، تقولُ:

أَنْتِ أُختِي أو أنتِ حُرْمَةُ جاري ... وَحَقيقٌ عليَّ حِفْظُ الجِوارِ

إنَّ للجارِ إن تَغَيَّبَ غَيْباً ... حافِظاً للمَغِيْبِ والأسرارِ

ما أُبالي أكانَ للبابِ سِتْرٌ ... مُسْبَلٌ أَمْ بَقِي بِغَيْرِ سِتَارِ

فقال مالكٌ: علِّموا أهلَكم هذا وأمثالَه!

ومن أجمَلِ ما قِيْلَ في كَفِّ الأذى عن الجارِ ما أنشَدَه مِسْكِينُ الدَّارِميُّ أو غيرُه:

أقولُ لجاري إذا أتاني مُعاتِباً ... مُدِلاًّ بِحَقٍّ أو مُدِلاًّ بباطِلِ

إذا لم يَصِلْ خيري وأنتَ مُجاوِري ... إليكَ فما شرِّي إليكَ بِواصِلِ

وقبلَه قولُ حاتمِ الطَّائيِّ:

ناري ونارُ الجارِ واحِدَةٌ ... وإليهِ قَبلي تَنزِلُ القِدْرُ

ما ضَرَّ جاراً لي أُجاوِرُهُ ... أن لا يكونَ لِبابه سِتْرُ

أُغْضِي إذا مَا جَارَتي بَرَزَتْ ... حتَّى يُواري جَارَتي الخِدْرُ

أيُّها المسلمون:

إنَّ حُسْنَ الجوارِ بابٌ من أبوابِ الجَنَّةِ، وسوءَهُ بابٌ من أبوابِ النارِ، ولِذا نبَّه المصطفى ﷺ على عِظَمِ خَطَرِ إيذاءِ الجارِ وأثرِه على أعمالِ الخيرِ والقُرُباتِ إلى الله؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فُلاَنَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلاَتِهَا وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ ﷺ: « هِيَ فِي النَّارِ ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ! فَإِنَّ فُلاَنَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلاَتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالأَثْوَارِ مِنَ الأَقِطِ، وَلاَ تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا. قَالَ ﷺ: « هِيَ فِي الْجَنَّةِ ». [رواه أحمدُ، والبَزَّارُ، وابنُ حِبَّانَ، والحاكِمُ، وإسنادُه صحيحٌ]

فأخبرَ ﷺ عن تلكَ المرأةِ أنَّها من أهلِ النارِ لإيذائِها جيرانَها بلسانِها، وإن كانت تقومُ الليلَ، وتصومُ النهارَ، وتَتَصَدَّقُ بمالِها.

وعن أبي هُريرةَ -رضي اللهُ عنه- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: « وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ ! ». قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ ». [رواه البخاريُّ] ؛ والبوايِقُ: هي الشرورُ والمصائبُ.

وحَفِظَ الإسلامُ -أيُّها الإخوةُ- للجارِ جوارَهُ في الدينِ حتَّى لو كان مُشرِكاً؛ لِما تميَّزَ به الإسلامُ من العدلِ والرَّحمَةِ، والبرِّ والإحسانِ التي فاقَتْ كلَّ تصوُّراتِ البشرِ؛ وقد ذكرَ أهلُ العلمِ أنَّ الجيْرَانَ ثَلاَثَةٌ: جَارٌ لَهُ حَقٌّ؛ وهو المُشْرِكُ، لَهُ حَقُّ الجِوَارِ، وَجَارٌ لَهُ حَقَّانِ؛ وهُوَ المُسْلِمُ، لَهُ حَقُّ الجِوَارِ،

وَحَقُّ الإسلاَمِ، وَجَارٌ لَهُ ثَلاَثَةُ حُقُوقٌ؛ وهو مُسْلِمٌ لَهُ رَحِمٌ، لَهُ حَقُّ الجِوَارِ، وَحَقُّ الإِسْلاَمِ، وَحَقُّ الرَّحِمِ.

وهذا أسمى ما يُمكِنُ أن يكونَ عليه التسامُحُ في مُراعاةِ الحقوق.

قال القُرطبيُّ -رحمةُ اللهِ عليه-: (فالوَصاةُ بالجارِ مأمورٌ بها، مندوبٌ إليها، مسلِماً كان أو كافِراً، وهو الصحيحُ).

قالت عائشةُ -رضي اللهُ عنها-: (خِلاَلُ المكارِمِ عشرٌ تكونُ في الرجلِ ولا تكونَ في أبيهِ، وتكونُ في العبدِ ولا تكونُ في سيِّدِهِ، يُسِّمُها اللهُ تعالى لِمَنْ أحبَّ: صِدْقُ الحديثِ، وصِدْقُ الناسِ، وإعطاءُ السائِلِ، والمُكافأةُ بالصَّنائعِ، وصِلَةُ الرَّحِمِ، وحِفْظُ الأمانَةِ، والتَّذَمُّمُ للجارِ، والتَّذَمُّمُ للصاحِبِ، وقِرَى الضيفِ، ورأسُهُنَّ الحياءُ).

ويروى أنَّ رجلاً جاءَ إلى ابنِ مسعودٍ -رضي اللهُ عنه- فقالَ لهُ: إنَّ لي جاراً يُؤذيني ويشتُمني ويُضَيِّقُ عليَّ، فقال: اذهبْ فإنْ هُوَ عصى اللهَ فيكَ، فأَطِعِ اللهَ فيهِ.

والجَارُ لا تَذكُرْ كَرِيمَةَ بيْتِهِ ... واغْضِبْ لابنِ الجارِ إنْ هُوَ أُغْضِبا
احْفَظْ أَمانَتَهُ وكُنْ عِزّاً لَهُ ... أبَداً وعمَّا ساءَهُ مُتَجَنِّبا
كُنْ لَيِّناً للجارِ واحْفَظْ حَقَّهُ ... كَرَمَاً وَلاَ تَكُ للمُجَاوِرِ عَقْرَبَا

أيُّها المسلمون:

إنَّ حقَّ الجارِ كبيرٌ وعَظيمٌ وواسِعٌ؛ فمن حقِّ الجارِ: الإحسانُ إليه بتقديمِ ما هو حَسَنٌ مَرغُوبٌ عندَه من قولٍ أو عَمَلٍ، وتقديمُ العونِ له إن

احتاجَ إليه، وإشباعِه إن كان جائِعاً؛ لما روى أَنَسُ بنُ مالِكٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إلى جَنْبِهِ وهُوَ يَعْلَمُ بِهِ». [رواه الطبرانيُّ والبَزَّارُ، وقال الهيثَميُّ في المَجْمَعِ: إسنادُ البَزَّارِ حَسَنٌ]

ومن حقِّ الجارِ أن تكونَ لَهُ أميناً، ولأسرارِه حافِظاً، ولِعِرْضِه صائناً، مُتودِّداً إليه، حريصاً على مصالِحِه كما تَحْرِصُ على مصالِحِكَ الشخصيَّةِ، تُقابِلُهُ بِبَشَاشَةٍ وَطَلاقَةِ وَجْهٍ، وَلا تَدَّخِرَ وِسْعاً في فعلِ المعروفِ معَهُ.

ومن حقوقِ الجارِ: كَفُّ الأذى عنه بأيَّةِ وسيلَةٍ كانت، وتَفَقدُه في مَرَضِه، وَرِعايَةُ أهلِه في غَيْبَتِه. يروى أهلُ السِّيَرِ: أنَّه كان للنبيِّ ﷺ جارٌ يهوديٌّ شديدُ الأذى برسولِ اللهِ ﷺ، فمَرِضَ يوماً، فافتَقدَ النبيُّ ﷺ أذاهُ، فسألَ عنه، فأخبروه بمَرَضِه، فعادَهُ في مَرَضِه، وتودَّدَ إليه، ودعاهُ إلى الإسلامِ، فأسلَمَ.

وإنَّ من أعظَمِ حقوقِ الجارِ: النُّصْحُ له بالمعروفِ، ودعوتُه إلى سبيلِ الخيرِ والصلاحِ، ونهيُه عن المنكرِ إذا وقعَ فيه.

إنَّ حقّاً على كلِّ مُتَجاورين أن يتواصلا بالمعروفِ، وأن يَتَناصَحا في الدينِ، ويحْذَرا من إيقاعِ الأذيَّةِ فيما بينَهما؛ فإنَّه ما من جارٍ إلاَّ سَيَتَعلَّقُ بجارِه يومَ القيامةِ، يُطالِبُه بحقِّه؛ روى البخاريُّ في الأدبِ المُفْرَدِ عن ابنِ عمرَ -رضي الله عنهما- قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «كَمْ مِنْ جارٍ مُتَعَلِّقٌ بِجارِهِ يَوَمَ القِيَامَةِ يَقولُ: يَا رَبِّ هَذا أغْلَقَ بَابَه دوني، فَمَنَعَ معروفَهُ».

فاتَّقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وقوموا بحقوقِ الجِوارِ كما أمرَ اللهُ تعالى ورسولُه ﷺ ، وأحسِنوا إلى جيرانِكم، وأتَّقوا اللهَ فيهم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله الواحدِ الأحدِ الفردِ الصمدِ ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعلموا رحمكم اللهُ أنَّ حقَّ الجِوارِ في الإسلامِ يدورُ بينَ الإحسانِ إليه، وكَفِّ الأذى عنه، وعَدَمِ الإساءَةِ إليه. وإنَّ ممَّا عمَّت به البلوى في هذه الأزمانِ المُتأخِّرةِ تساهُلَ كثيرٍ من الناسِ في إيقاعِ الأذيَّةِ بجيرانِهم، وعدَمِ المُحافَظَةِ على حقوقِهم، فترى كثيراً ممَّن قلَّ حظُّهم من الدين يتشاجرونَ مع جيرانِهم، ويتَخاصمونَ معهم لأتْفَهِ الأسبابِ من أجلِ حَفْنَةٍ من التُرابِ، أو سِلْعَةٍ من أتْفَهِ الأشياءِ.

ناهيكم عبادَ اللهِ عمَّا يفعلُه الأبناءُ من صورِ الأذى التي لا يخلو منها حيٌّ من الأحياءِ مع شديدِ الأسَفِ؛ فهؤلاءِ الأطفالُ والأبناءُ الذين يُشكِّلونَ تَكْنَةً من تَكَناتِ الإزعاجِ أمامَ المنازِلِ إلى آخرِ الليلِ بما يفعلونَه من لَعِبٍ ولهوٍ وإزعاجٍ، وما يُسبِّبونَهُ من قَلَقٍ وأذى. وتعجَبُ وأنتَ ترى كثيراً من آباءِ هؤلاءِ الأطفالِ لو رأوا ابناً من أبنائِهم يُسَبِّبُ لهم شيئاً من الأذى داخِلَ البيتِ لأقاموا الدُّنيا ولم يُقْعِدوها، ولَضرَبوهم وأدَّبوهم، بينما لا يُبالي ولا يَكْتَرِثُ وهو يرى ما يفعلُه أبناؤه من الوقيعَةِ في أذى جيرانِه، والإساءَةِ إليهم، وإزعاجِهم بشتَّى الوسائِلِ المُختلِفَةِ، وهذا من تبلُّدِ الأحاسيسِ، وجُمودِ المشاعِرِ التي بُلي بها الكثيرُ من الناسِ، فأضاعوا حقَّ الجِوارِ الذي بلَغَ من عِنايَةِ اللهِ به أن كادَ جبريلُ عليه السلامُ يُورِّثُ الجارَ من مالِ جارِه المخصوصِ.

وهؤلاءِ الذين يأتونَ إلى بيوتِ أصدقائِهم بسيَّاراتِهم، وبدلاً من أن ينزلَ أحدُهم ويَطْرُقَ البابَ على صاحِبه فإنَّه يُطْلِقُ صوتَ مُنَبِّه السيَّارةِ على آخرِه، ولا يُبالي بإزعاجِ جيرانِه، وقد يكونَ بينَهم النائمُ، والمريضُ، والمُتْعَبُ، بل والطِّفلُ الصَّغيرُ، وكل ذلك ممَّا ينبغي مُراعاتُه في عمومِ حقوقِ الجارِ.

فيا تُرى ما هو العِلاَجُ المانِعُ من إيذاءِ الجارِ، والمُساعِدُ على القيامِ بحقِّه ؟ إنَّ العِلاَجَ أيُّها الإخوةُ هو ما جاءَ في حديثِ أبي جُحَيْفَةَ -رضي الله عنه- قال: جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ يشكو جارَهُ، فقالَ لَه ﷺ: «اطْرَحْ مَتاعَكَ عَلَى الطَّرِيْقِ». فطَرَحَهُ، فجَعَلَ النَّاسُ يَمُرُّونَ عليْهِ ويَلْعنونَهُ. فجاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ ! لَقِيْتُ مِنَ النَّاسِ. قالَ: «وَمَا لَقِيْتَ ؟». قالَ: يَلْعَنُونَنِي. فقالَ ﷺ: «قَدْ لَعَنَكَ اللهُ قَبْلَ النَّاسِ». فقالَ: إنِّي لا أعودُ، فجاءَ الذي شكَاهُ إلى النبيِّ ﷺ فقالَ: «ارْفَعْ مَتاعَكَ، فَقَدْ كُفِيْتَ». [رواه الطبرانيُّ، والبَزَّارُ، والمُنْذِريُّ، وإسنادُه حَسَنٌ]

وعن أبي هُريرَةَ -رضي اللهُ عنه- قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبيِّ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ، فَقَالَ: «اذْهَبْ فَاصْبِرْ». فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا، فَقَالَ: «اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ». فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ، فَيُخبِرُهُمْ خبَرَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ: فَعَلَ اللهُ بِهِ، وَفَعَلَ، وَفَعَلَ، فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ: ارْجِعْ لاَ تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ. [رواه أبو داودَ، والحاكِمُ، وصحَّحَهُ، وأقرَّهُ الذَّهبيُّ]

فليَتّقِ الله أقوامٌ أضاعوا حقوقَ جيرانِهم، وأوقعوا الأذِيَّةَ بهم، حتَّى إنَّهم ليتعوَّذونَ منهم كلَّ صباحٍ، والعياذُ بالله...

عبادَ الله:

صلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم الله تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ». [رواه مسلم]

كان خلقه القرآن

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ للهِ، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونتوبُ إليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا الله تبارك وتعالى واشكروه على ما هداكم للإسلامِ وجعلَكم من أمَّةِ خيرِ الأنامِ عليه الصلاةُ والسلامُ، راقبوه ولا تعصوه، واعلموا أنَّكم لديه مُحضرونَ، وعلى أعمالِكم مُحاسبونَ، وعلى تفريطِكم نادمونَ.

أيُّها المسلمون:

الآدابُ والأخلاقُ عنوانُ صلاحِ الأممِ والمجتمعات، ومعيارُ فلاح الشعوب والأفراد، ولها الصِّلَةُ العُظْمى بعقيدةِ الأمةِ ومبادئِها، بل إنَّها التجسيدُ العمليُّ لقيم الأمَّةِ ومثُلِها، وعنوانُ تمسُّكها بالعقيدةِ، ودليلُ التزامها بالمنهجِ السليمِ، والصراطِ المستقيمِ، ولا يتمُّ التحليِّ بالأخلاقِ العاليةِ والآدابِ الساميةِ إلاَّ بترويضِ النفوسِ على نبيلِ الصفاتِ وكريمِ السجايا والعادات، تعليماً وتهذيباً، واقتداءً وتقويماً.

ومن شموليَّةِ هذا الدينِ وعظَمَتِهِ: أنَّه دينُ الأخلاقِ الفَاضِلَةِ، والسَّجَايا الحميدَةِ ، والصِّفاتِ النبَّيلةِ، جاءت تعاليمُه وقِيَمُه بالأمرِ بالمحافظةِ على الأخلاقِ الحسَنَةِ في كلِّ أحوالِ المسلمين؛ صغيرِها وكبيرِها، دقيقِها وجليلِها، أفراداً ومجتمعات، وأُسَراً وجماعات، ويكفي لبيانِ ذلكَ أن يَحْصُرَ النبيُّ ﷺ مُهِمَّةَ بعثَتِه ، وهَدفَ رِسَالتِه في إصلاحِ الأَخلاقِ وتهذيبِها بقولِهِ: « إنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ ». [رواه البخاري]

وإنَّما الأممُ الأخلاقُ ما بقيت   فإن هموا ذهبت أخلاقُهم ذهبوا

دينٌ يُشَيِّدُ آيةً في آيةٍ لَبِنَاتُه السُّوراتُ والأضواءُ
الحقُّ فيه هو الأساسُ وكيفَ لا واللهُ مُنْزِلُه هُدىً وضياءُ

إنَّ حُسَنَ الخُلُقِ، وانتشارَ الأخلاقِ الفاضِلَةِ في التعامُلِ بينَ الناسِ لهو أساسُ بِناءِ الأفرادِ والأُسَرِ، وصلاحِ الأُمَمِ والمجتمعاتِ، فمتى تحلَّى الناسُ بالأخلاقِ الفاضِلَةِ والآدابِ الساميَةِ والصِّفاتِ النبيلَةِ رَفْرَفَتْ على المجتمعِ السعادةُ، وعاشَ الجميعُ في ترابُطٍ فريدٍ، وتكاتُفٍ أكيدٍ، وانشرَحَتِ الصُّدورُ، وتيسَّرَتِ الأمورُ.

بذلك جاءَتْ وصيَّته ﷺ لأبي ذَرٍّ وغيرِه فيما رواه الترمذيُّ وصحَّحَه أنَّه ﷺ قال: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». وعندَه رحِمَهُ اللهُ من حديثِ أبي هُريرةَ -رضي الله عنه- أنَّه ﷺ قال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقاً».

بل لقد وَعَدَ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه صاحِبَ الخُلُقِ الحَسَنِ بالأجرِ العظيمِ، والثوابِ الجزيلِ من اللهِ تعالى يومَ القيامَةِ؛ فقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقاً، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ». [رواه الترمذيُّ، وأحمدُ]

وعندَ ابي داودَ وأحمدَ أنَّه ﷺ قال: « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ».

وما وُضِعَ في الميزانِ للعبدِ الصالحِ يومَ القيامةِ أثقلُ من حُسْنِ الخُلُقِ؛ فهو أكثرُ ما يُدخِلُ الناسَ الجنّةَ، ويُبعدُهم عن النارِ؛ قال رسولُ اللهِ ﷺ : « مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ». [رواه الترمذيُّ وأبو دواد، وهو صحيحٌ] ؛ وعندَ الترمذيِّ بسَنَدٍ صحيحٍ من حديثِ أبي هُريرَةَ –رضي اللهُ عنه– قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ. فَقَالَ: « تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ ». وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ. فَقَالَ: « الْفَمُ وَالْفَرْجُ ».

وروى أبو داود من حديثِ أبي أُمامةَ –رضي اللهُ عنه– أنَّه ﷺ قال: « أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ ».

وهذا هو المطلوبُ من المسلمِ أن يعيشَ ذا تعامُلٍ حَسَنٍ وذا خُلُقٍ نبيلٍ مع أهلِهِ وإخوانِهِ؛ لدوامِ المحبَّةِ، وحُسْنِ العِشْرَةِ، ورَفْعِ المنزلَةِ عندَ اللهِ يومَ القيامَةِ؛ فقد ذهبَ حُسْنُ الخُلُقِ بخيري الدُّنيا والآخرَةِ.

قال الحسنُ البصريُّ –رحمه اللهُ–: (حُسْنُ الخُلُقِ: الكرَمُ والبَذْلُ والاحتمالُ). وقال ابنُ المُبارَكِ –عليه رحمةُ اللهِ–: (حُسْنُ الخُلُقِ بَسْطُ الوَجْهِ، وبَذْلُ النَّدَى، وكَفُّ الأذى). وقال الإمامُ أحمدُ –رحمهُ اللهُ–: (هو أن لا تَغْضَبَ، ولا تَحْقِدَ، وأن تحتَمِلَ ما يكونُ من الناسِ، مع بَسْطِ

الوَجْهِ، وكَظْـمِ الغَيْـظِ للهِ، وإظهـارِ الطَّلاَقَـةِ والبِشْـرِ للنـاسِ، والعفـوِ عـن المُخطئِ، وكَفِّ الأذى عن كلِّ مسلمٍ).

وعندَ الحاكمِ بإسنادٍ صحيحٍ من حديـثِ عُقْبَـةَ بـن عـامرٍ -رضـي ا للهُ عنه- قال: قالَ لِي رسولُ ا للهِ ﷺ : « يا عُقْبَةُ ! ألاَ أُخْبِرُكَ بأفضلِ أخلاقِ أهلِ الدُّنيا والآخرةِ ؟! تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وتَعْفوْ عَمَّـنْ ظَلَمَكَ ».

ولقد ضربَ المصطفى ﷺ أروَعَ الأمثِلَةِ في الأخلاقِ الفاضِلَـةِ؛ تَمَسُّـكاً وتوجيهاً قبلَ البعثَةِ؛ كان ﷺ ذا خُلُقٍ نبيـلٍ، وأدبٍ رَفِيْـعٍ حتّـى مـا عُـرِفَ بمكَّةَ أروَعَ ولا أحسَنَ خُلُقاً منه بأبي هو وأمي صلواتُ ا للهِ وسلامُه عليـه؛ فَلَقَّبَهُ قومُه بالصَّادِقِ الأمينِ؛ لِما رأوا من جَلاَلَةِ خُلُقِه، وسُموِّ أدَبِه، وكريمِ صِفاتِه، ونَبْلِ عاداتِه.

وصَدَقَ ا للهُ سبحانه وتعـالى حـينَ أثنـى عليـه في كتابـه العزيـزِ بقولِـه: ﴿**وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ**﴾ [القلم: ٤].

لم يَكُنْ ﷺ فاحِشاً ولا مُتَفَحِشـاً، ولا لَعَّانـاً ولا سَبَّاباً، وكـان أبغـضَ الخُلُقِ إليه الكَذِبُ، وكان من أحسَنِ الناسِ وَجْهاً، وأطيَبِهم خُلُقاً، وما نِيْلَ من حقِّهِ شيءٌ قطُّ فيَنْتَقِمُ من صاحبِه إلاَّ أن يُنْتَهَـكَ شـيءٌ مـن محـارمِ ا للهِ، فيَنْتَقِمُ للهِ سبحانه.

قال عنه أنسُ بـنُ مـالكٍ -رضـي ا للهُ عنـه-: « كـان رسـولُ ا للهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقاً، فَأَرْسَلَنِي يَوْماً لِحَاجَـةٍ، فَقُلْـتُ: وَا للهِ لاَ أَذْهَـبُ ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ ا للهِ ﷺ ! فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى

صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ! فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ! أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟!». قَالَ: قُلْتُ نَعَمْ! أَنَا أَذْهَبُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ أَنَسٌ: وَاللهِ لَقَدْ خَدَمْتُهُ تِسْعَ سِنِينَ مَا عَلِمْتُهُ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، أَوْ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ هَلاَّ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا». [رواه مسلم]

وقال عبدُ اللهِ بنُ الحارثِ -رضي الله عنه-: (ما رأيتُ أحداً أكثرَ تَبسُّماً مِنْ رَسولِ اللهِ ﷺ).

وقال جريرُ بنُ عبدِ اللهِ البَجَلِيِّ -رضي الله عنه-: «مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ وَلاَ رَآنِي إِلاَّ ضَحِكَ». [متفقٌ عليه]

وهذه أمُّ المؤمنين عائشةُ -رضي الله عنها- تُبيِّنُ خُلُقَه العظيمَ، وصِفاتَه النبيلَةَ بقولِها: «كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ». [رواه أحمدُ] ؛ يُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، وَيُغِيْثُ ذَا الحَاجَةِ الْمَلْهُوفِ. [كما رواه البخاريُّ وغيرُه]

وكان ﷺ المثلَ الأعلى في بابِ الأخلاق، والقُدْوَةَ العُظمى في بابِ الآدابِ، يَتخَوَّلُ أصحابَه بالكَلِماتِ الطيِّبَةِ، ويَشْمَلُهم بالابتسامات المُعبِّرَةِ عمَّا يُكنُّه لهم في صدرِه من محبَّةٍ ووفاءٍ، حتَّى لَيَصْدُقُ فيه قولُ القائلِ:

تراهُ إذا ما جئتَهُ مُتَهَلِّلاً ... كأنَّكَ تُعطيه الذي أنت سائلُهُ
ولو لم يَكُنْ في كفِّهِ غيرُ روحِه ... لجادَ بها فليَتَّقِ اللهَ سائلُهُ
هو البحرُ من أيِّ النواحي أتيتَهُ ... فلُجَّتُه المعروفُ والجودُ ساحِلُهُ

أمَّا معَ أهلِه وأزواجه فقد ضربَ ﷺ أرْوَعَ الأمثلَةِ في ذلك؛ حيثُ كان شديدَ المُلاطَفَةِ لأهلِه حتَّى إنَّه ليكونُ في مِهْنَةِ أهلِ بيتِه؛ يَخْصِفُ نعلَهُ، ويُرَقِّعُ ثوبَهُ، ويَحْلِبُ الشاةَ لأهلِهِ، ويَعْلِفُ البعيرَ، ويأكلُ مع الخادِمِ، ويُجالِسُ المساكينَ، ويمشي مع الأرْمَلَةِ واليتيمِ في حاجتيهما.

روى البخاريُّ عن أنسِ بنِ مالكٍ -رضي الله عنه- قال: « إنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ ».

وكان ﷺ يبدأُ من لَقِيَهُ بالسلامِ، ويُجيبُ دعوةَ من دعاهُ ولو إلى شيءٍ يسيرٍ، هَيِّنَ المؤونَةِ، لَيِّنَ العَرَيْكَةِ، كريمَ الطبعِ، جميلَ المُعاشَرَةِ، طَلِقَ الوَجْهِ، بَسَّاماً، مُتواضِعاً من غيرِ ذِلَّةٍ، جواداً من غيرِ سَرَفٍ، رقيقَ القلبِ، رحيماً بكلِّ مسلمٍ، خافِظاً جناحَهُ للمؤمنينَ، لَيِّنَ الجانِبِ لهم، يعودُ مريضَهم، ويَشهَدُ جنازَتَهم، ويَركَبُ الحِمارَ، وكانَ يومَ بني قُرَيْظَةَ على حِمارٍ مَخْطومٍ بحبلٍ من ليفٍ، عليه إكَافٌ من ليفٍ، ودخلَ عليه رَجُلٌ وهو يرتَعِدُ فَرَقاً من هَيْبَتِه، فقال له ﷺ : هَوِّنْ عليكَ ! فإنَّما أنا ابنُ امرأةٍ كانت تأكُلُ القَدِيْدَ بمكَّةَ. [رواه ابنُ هشامٍ]

وهكذا كان صحابتُه من بعدِه -رضي الله عنهم- أذِلَّةً على المؤمنين، أعِزَّةً على الكافرينَ، وقد صَحَّ أنَّهم كانوا يَتبادَحونَ بالبِطِّيْخِ، ورسولُ اللهِ ﷺ جالسٌ؛ أي: يضربُ بعضُهم بعضاً بِقِشْرِ البِطِّيْخِ من بابِ المُزَاحِ، وحُسْنِ العِشْرَةِ رضي الله عنهم وأرضاهم.

وسُئِلَ ابنُ عبَّاسٍ -رضي ا للهُ عنهما-: هل كان أصحابُ رسولِ ا للهِ ﷺ يضْحَكونَ ؟ قال: نعم ! وإنَّ الإيمانَ في قلوبِهم أمثالُ الجبالِ.

ا للهُ أكبَرُ ! أينَ هذا ممَّن الإيمانُ في قلوبِهم لا يُساوي مِثْقالَ ذَرَّةٍ ومع ذلكَ يتكبَّرونَ على عبادِ ا للهِ، ويُسيئونَ العِشْرَةَ حتَّى مع أهلِهم وذويهم، وجوهُهم عابسَةٌ، وصُدورُهم ضَيِّقَةٌ لا تَحتَمِلُ حتَّى الكلِمَةَ الطيِّبَةَ، يعيشُ معَهم أهلُهم في عناءٍ، ويَحْضَونَ منهم بالجَفاءِ، ويَتطَلَّعونَ في شَفَقَةٍ إلى ابتسامَةٍ حانيَةٍ، أو كَلِمَةٍ رحيمَةٍ ، فا للهُ المستعانُ.

عبادَ ا للهِ:

هذا هو منهَجُ الإسلامِ الذي ارتضاهُ ا للهُ تعالى منهَجاً مُتكامِلاً، ودِيناً قويماً، وصِراطاً مَستقيماً، وهذا هو مَنْهَجُ السَّلَفِ الذين فَهِموا الإسلامَ فطَبَّقوه في واقِعِ حياتِهم قولاً وعملاً، ومنهَجاً وسلوكاً، فَهِموا أنَّ كلَّ عَمَلٍ في هذه الحياةِ ولو كان ظاهِرُه الدُّنيا فالإنسانُ مأجورٌ عليه، طالما ابتغى الأجرَ عليه من ا للهِ، وقصَدَ من ورائِهِ الاستعانَةَ به على طاعَةِ ا للهِ، وفي ذلك يقولُ المصطفى ﷺ : « وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ». قَالُوا: يَا رَسُولَ ا للهِ! أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟! قَالَ: « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْراً ». [رواه مسلم]

ألاَ فاتَّقوا اللهَ أيُّها النـاسُ، واستمسِكوا بـالأخلاقِ الفاضلَـةِ، وتعـوَّذوا با للهِ من سَيِّءِ الأخلاقِ؛ فقد كان من دُعائِه ﷺ -كما عندَ النسائيِّ وأبـي داودَ-: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَسُوءِ الأَخْلاَقِ».

بارك الله لي ولكم في القـرآن العظيـم، ونفعنـا بهـدي سـيِّد المرسـلين، أقولُ ما تسـمعون، وأسـتغفرُ الله فاسـتغفروه وتوبـوا إليـه إنَّـه هـو الغفـورُ الرحيمُ.

*** * ***

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا اللهَ عبادَ اللهِ، وتمسَّكوا بالأخلاقِ الفاضلَةِ، والصِّفـاتِ الكريمَـةِ، لا سيَّما مع أهلِكم وذويكم؛ فالأخلاقُ الحسَنَةُ سَـجيَّةُ الأنبيـاءِ والمرسـلينَ،

ووصفُ المؤمنين المتَّقينَ، تزيدُ الشريفَ شرَفًا، وترفَعُ للوَضِيْعِ ذِكراً حتَّى تُبْلِغَهُ مقاماتِ الأنبياءِ ودرَجاتِ الأولياءِ، وما وُصِلَ للمنازِلِ العاليَةِ إلاَّ بالتواضُعِ والتخَلُقِ بالأخلاقِ الفاضلَةِ، ولا أقربَ لقلوبِ الناسِ وألصَقَ بهم من صاحِبِ الأخلاقِ الحَسَنَةِ، ولا أوحَشَ لقلوبِهم وأبعَدَ من صاحِبِ الخُلُقِ السيءِ.

قال ﷺ : «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلاَ عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُهْرٍ». [رواه أحمَدُ]

قال ابنُ رَجَبٍ –رحمه الله–: (حُسْنُ الخُلُقِ من خِصالِ التقوى التي لا تَتِم إلا بها، وإنَّما أفرَدَهُ ﷺ بالذِكْرِ في قولِه: «وَخَالِقِ الناسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»؛ للحاجَةِ إلى بيانِه؛ فإنَّ كثيراً من الناسِ يَظُنُّ أنَّ التقوى هي القيامُ بحق اللهِ دونَ حقوقِ عِبادِه، فَنَص ﷺ على الأمرِ بإحسانِ العِشْرَةِ إلى الناسِ، وكثيراً ما يَغْلِبُ على من يعتَني بالقيامِ بحقوقِ اللهِ والانعكَافِ على مَحَبَّتِه وخشيَتِه وطاعَتِه إهمالُ حقوقِ العبادِ بالكُلِّيةِ أو التقصيرُ فيها، والجمعُ بين القيامِ بحقوقِ اللهِ وحقوقِ عبادِه عزيزٌ جدًّا).

ولقد كانت الأُسوَةُ بنبينا محمَّدٍ ﷺ مِثالاً يُحتَذى، ونِبْراساً يُقْتَفى لا سيما في مجالِ الأخلاقِ والتعامُلِ مع الناسِ. وما ضَعُفَتِ الأمةُ وجانَبَتْ طريقَ الصوابِ وبَعُدَتْ عن الإسلامِ إلاَّ بعد أن ضيَّعَتْ أخلاقَ الإسلامِ التي جاءَ بها المصطفى ﷺ .

يقولُ شوقي:

بنيتَ لهم من الأخلاقِ رُكْنَاً فخانوا الرُّكنَ فانْهَدَمَ اضطرابا

وكان جنابُهم فيها مَهيْباً ... وللأخلاقُ أجْدَرُ أن تُهابا

عباد الله:

علامَ يتكبَّرُ الناسُ والجميعُ من ترابٍ ؟! وعلامَ يتجبَّرُ المتجبِّرون والموتُ مصرعُهم ؟! وبماذا يتعالى بعضُ الناس على بعضٍ، ويُسيئونَ العشرةَ من الصديقِ والحميمِ والقبورُ بعد هذه الدارِ منازلُهم ؟!

كيف يتعالى الإنسانُ ويتكبَّرُ وهو مخلوقٌ ضعيفٌ فقيرٌ ناقصٌ من كلِّ وجهٍ، فأولُه نُطفةٌ مَذِرَةٌ، وآخرُه جيفةٌ قَذِرَةٌ، وبين جنبيهِ يحملُ العَذِرَة ؟!

إنَّ الواجبَ على المسلم أن يتواضعَ لعباد الله تعالى، ويُلينَ لهم جانبَه، ويُحبَّ لهم الخيرَ والنُصحَ في كلِّ حالةٍ من أحوالهم، يحترمُ كبيرَهم، ويحنوَ على صغيرهم، ويوقِّرَ عالِمَهم، ويحفظَ لذي مكانتهم مكانتَه ومنزلتَه.

وهذا لا يُنافي أن يكونَ للمؤمن هيبةٌ يحفظُ بها قدرَه، ويصونُ بها عِرضَه؛ فإنَّ من قلَّتْ هيبتُه قلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ إيمانُه، ومن أكثرَ من الضَحِكِ والمِزَاحَ مع الناس أُستُخِّفَ به، وأجترأَ الناسُ عليه، والسعيدُ من جمعَ بين التواضُعِ والهَيْبَة فلم يتكبَّرْ على عبادِ الله ولم يُفقدْ نفسَه هيبتَها.

وقد كانَ الرسولُ ﷺ على عَظيمِ ما سَمِعْتُم من دَمَاثَةِ خُلُقِه وعظيمِ تواضُعِه حَيَياً مَهِيْبَاً حتَّى قال عنه عمرو بنُ العاصِ -رضي الله عنه-: (والله ما ملأتُ عيني من رسولِ اللهِ ﷺ مَهَابَةً وحياءً منهُ وإجلالاً، ولو سألتموني أن أصِفَهُ لكم لما استَطَعْتُ !).

وهكذا كان صحابتُه من بعِده -رضي الله عنهم- وأتباعُهم الذين فَهِموا معنى الأخلاقِ والتواضُعِ، فطَبقوها واقِعاً ملموساً في حياتِهم، فعاشوا سُعداءَ أصفياءَ، لم يعرِفوا للتّكبُّرِ رواجاً عندَهم، وقد كانوا يملكونَ أسبابَه ودواعيَه.

فهذا على سبيلِ المثالِ -لا الحَصْرِ- عمرُ بن الخطاب -رضي الله عنه- الذي بلغَ من تواضعه وكريمِ خُلُقِه انَّه كان يتناوبُ مع خادمِهِ الركوبَ على دابّةٍ واحدةٍ حين ذهبَ إلى فلسطين فاتحاً، وهو أميرُ المؤمنين، ولمّا جاء دورُه ليمشي صادفَ ذلك ساعةَ الوصولِ إلى بيتِ المقدسِ، وكان في استقبالِهِ القَسَاوِسَةُ والرُّهْبَانُ فأبى الخادمُ أن يركبَ لكنَّ عمرَ أصرَّ على عدالة القسمةِ بينه وبين خادمِهِ، ودخلَ عمرُ فلسطينَ وهو يقودُ زمامَ الناقةِ وعليها خادمُه، فما زادَه ذلك في أَعْيُنِ القومِ إلا إجلالاً وإكباراً حتى سُمِعَ نَشِيْجُهم وبكاؤُهم لعدلِ الإسلامِ ورَحْمَتِهِ وتواضُعِ أبنائه.

ومع ذلك فقد كان -رضي الله عنه- ذا هَيْبَةٍ ووَقَارٍ، حتى قالَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ -رضي الله عنهما-: مَكَثْتُ سنةً كاملةً وأنا أُريدُ أن أسألَ عمرَ بنَ الخطابِ -رضي الله عنه- عن آيةٍ من كتابِ اللهِ فلا أستطيعُ أن أسأَلَه هَيْبَةً له.

ألاَ وصلوا وسلِّموا رحمكم الله على البشيرِ النذيرِ والسراجِ المُنيرِ صاحِبِ الخُلُقِ الرَّفيعِ والأدبِ النَّبيلِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ عليه أفضلُ الصلاةِ واتمُّ التسليمِ...

❧ ❧ ❧

من غشنا فليس منا (الغش ومجالاته)

●الخطبة الأولى:

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيِّباً مُباركاً فيه كما يُحِّبُ ربُّنا ويرضى، أحمدُه تعالى حمداً يليقُ بجلاله وعظمته، وأشكرُه شكراً يوازي فضلَه ونعماءَه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، لا معبودَ بحقٍّ سواه، خلقَ الخلقَ ليعبدوه، وأوجدَهم من عدمٍ ليُطيعوه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه، ومصطفاهُ وخليلُه، شرحَ الله صدرَه، ورفعَ في العالمين ذكرَه، وجعلَ الذِّلّةَ والصغارَ على من خالفَ أمرَه، صلواتُ ربي وسلامُه عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستَّن بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

أوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ تعالى المُنجيَةِ من عذابه وسخطِهِ، الموجبةِ لعفوهِ ورضوانِه، عظِّموا أمرَه، واحذروا سخطَه، واجتنبوا نهيَه، زِنوا

أعمالَكم، وحاسِبوا أنفسَكم، واعملوا صالحاً، وافعلوا الخيرَ لعلَّكم تُرحمون. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٢].

روى الإمامُ مسلمٌ في صحيحِهِ من حديثِ أبي هُريرةَ -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً، فقَالَ: « مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟! ». قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: « أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي ».

أيُّها المسلمون:

الغِشُّ والخِداعُ كبيرةٌ من كبائرِ الذنوبِ الدَّالةِ على ضَعفِ الإيمانِ بالله تعالى، وقِلَّةِ الرَّقابَةِ له والخوفِ منه في السرِّ والنجوى، وهو إلى ذلك عملٌ من أعمالِ المنافقينَ والفاسقينَ المُجرمينَ، التي يظلمونَ بها الناسَ، ويغبنونَهم بها، ويأكلونَ أموالَهم، يُقوِّضُ دعائمَ المُجتمعِ المسلمِ المتكافلِ، ويؤدِّي إلى فُقدانِ الثِّقَةِ بينَ أفرادِه.

وما من أُمَّةٍ وُجِدَ فيها تاجرٌ يغِشُّ أو صانعٌ يُخادِعُ، أو مُربٍّ خائنٌ للأمانةِ أو موظَّفٌ مُخادعٌ إلاَّ ونخَرَ ذلك في كِيَانِها كما تَنْخَرُ السوسُ في الخَشَبِ، وزَعْزَعَ استقرارَها، وقوَّضَ أساسَها حتَّى تنحَّطَّ وتزولَ، ويُردَّدَ

عليها السلامُ في أعزِّ ما تملكُ من مقوِّماتِ العدلِ والأمنِ والسلوكِ والمعاملاتِ، وقبلَ ذلك كلِّه الدينُ الذي به تسودُ، وبه تنتصرُ.

لقد حرَّمَ الله تعالى الغِشَّ بجميعِ صورِه وأنواعِه وألوانِه ومُسمَّياتِه لما يعلمُه سبحانه وتعالى -وهو العليمُ الخبيرُ بمصالحِ عبادِه- من خطورتِه العُظْمى، وآثارِه النكراءِ على المسلمينَ جميعاً، في مُعاملاتِهم، ومعتقداتِهم، وفي أمنِهم وسلوكِهم، ومعاشِهم، ومعادِهم.

قال ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا ».[متفقٌ عليه]

عباد الله:

والنَّهيُ عن الغِشِّ في الشريعةِ الغرَّاءِ قاعدةٌ عظيمةٌ، وأصلٌ جليلٌ من أصولِ المعاملاتِ والبيوعِ، يدخُلُ فيه من المسائلِ ما لا يُحصى؛ من تعاملِ الناسِ مع غيرِهم بيعاً وشراءً، وإجارةً وحديثاً، ونُصحاً ومشورةً.

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ -عليه رحمةُ اللهِ-: (والغِشُّ يدخلُ في البيوعِ بكتمانِ العيوبِ، وتدليسِ السِّلَعِ؛ مثلُ أن يكونَ ظاهرُ المبيعِ خيراً من باطنِه، كالذي مرَّ عليه النبيُّ ﷺ ، وأنكرَ عليه، ويدخلُ في الصناعاتِ؛ مثلُ الذين يصنعونَ المطعوماتِ من الخُبزِ والطَّبْخِ والعدَسِ والشِّواءِ وغيرِ ذلك، أو يصنعونَ الملبوساتِ كالنسَّاجينَ، والخيَّاطينَ ونحوهم، أو يصنعونَ غيرَ ذلك من الصِّناعاتِ، فيجبُ نهيُهم عن الغِشِّ والخيانةِ والكِتمانِ).

عن أبي هُريرةَ -رضي ا للهُ عنه- أنَّ رسولَ ا للهِ ﷺ قال: « لاَ يُتَلَقَّى الرُّكْبَانُ لِبَيْعٍ، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلاَ تُصَرُّوا الإِبِلَ وَالْغَنَمَ، فَمَنِ ابْتَاعَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَحْلُبَهَا؛ فَإِنْ رَضِيَهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ سَخِطَهَا رَدَّهَا وَصَاعاً مِنْ تَمْرٍ ». [متفقٌ عليه]

وعن ابنِ عمرَ -رضي ا للهُ عنهما- : « أنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ النَّجَشِ». [متفقٌ عليه] ؛ والنَّجَشُ: هو الزِّيادةُ في ثمنِ السِّلْعَةِ ممَّن لا يُريدُ شراءَها ليخْدَعَ بها غيرَه، إلاَّ أنَّه قد يكونُ أعمَّ من ذلك؛ فيُطلَقُ على المُخادَعَةِ، والمُعاملَةِ بالمكرِ والاحتيالِ؛ لأنَّ هذا كُلَّه ممَّا يُلْحِقُ الأذى بالمسلمِ، ولقد قال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ -رضي ا للهُ عنه- مرفوعاً: « مَلْعُونٌ مَنْ ضَارَّ مُؤْمِنًا أَوْ مَكَرَ بِهِ ». [رواه الترمذيُّ]

قال الحافظُ ابنُ رَجَبٍ: (فدخلَ على هذا التقديرِ في التناجُشِ المنهيِّ عنه جميعُ أنواعِ المعاملاتِ بالغِشِّ ونحوِهِ؛ وكتدليسِ العيوبِ، وكِتمانِها، وغَشِّ المبيعِ الجيِّدِ بالرديءِ، وغَبْنِ المُسْتَرْسِلِ الذي لا يعرفُ المُماكَسَةَ والمُكاسرَةَ، وقد وصفَ ا للهُ تعالى في كتابِه الكُفَّارَ والمنافقينَ بالمَكْرِ بالأنبياءِ وأتباعِهِم).

عباد ا للهِ:

لقد برَعَ الكثيرُ ممَّن يبيعُ في أسواقِ المسلمين في ضروبٍ شتَّى من النَّصْبِ والاحتيالِ، وتفنَّنوا في أنواعٍ مختلفَةٍ من الغِشِّ والخِداعِ، التي لا

تُراعي حالَ المخلوقين الضُّعَفاءِ ذوي الدَّخْلِ المحدودِ، الذين لا يملكـونَ مـن الأموالِ ما يكفي للتغلُّـبِ علـى صُـوَرِ الغِـشِّ والخِـداعِ المُنتشـرَةِ في البيـوعِ والتجارات، يُخادعونَ اللهَ تعالى كما يُخادِعونَ البشرَ، ولو أتوا الأمرَ عَيَاناً لكان أهونَ، يبيعونَ دينَهم بِعَـرَضٍ مـن الدُّنيـا زائـلٍ، ويغيـبُ عـن وعيهـم حديثُ رِفَاعَةِ بنِ رافعٍ -رضي اللهُ عنه- قال: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى المُصَلَّى فَرأىَ النَّاسَ يَتَبايَعُونَ، فقال: « يَا مَعْشَـرَ التُّجَّـارِ!». فَاسْتَجَابُوا لِرَسُـولِ اللهِ ﷺ ، وَرَفَعُـوا أَعْنَـاقَهُمْ وَأَبْصَـارَهُمْ إِلَيْـهِ. فَقَـالَ: « إِنَّ التُّجَّـارَ يُبْعَثُونَ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ فُجَّـاراً ، إِلاَّ مَـنِ اتَّقَـى اللهَ وَبَـرَّ وَصَـدَقَ». [رواه أحمدُ، والحاكم، وابنُ ماجه، والترمذيُّ، وهو صحيحٌ] ؛ وحديثُ حَكِيْمِ بنِ حِزَامٍ -رضي اللهُ عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتفرَّقَا -أَوْ قَالَ: حَتَّـى يَتَفَرَّقَا- فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَـا مُحِقَـتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا». [متفقٌ عليه] ؛ ولأجلِ ذلك فـلا غَـرْوَ أن يقـولَ الفـاروقُ -رضي اللهُ عنه-: (لا يَبِعْ فِي سُوقِنا إلاَّ مَنْ تَفقَّـه في الدِّيْـنِ). [رواه الترمذيُّ بسنَدٍ حَسَنٍ]

وانظـروا -عبـادَ اللهِ- إلى واقـعِ النـاسِ في المُعـاملاتِ لـترونَ الغِـشَّ، والتَّحَيُّلَ لأكلِ أموالِ الناسِ بالباطلِ، وحـدِّثْ ولا حـرَجَ -أخـي المسـلمَ- عن أنواعٍ شتَّى وصورٍ متعـدِّدَةٍ مـن الابْتِزَازِ للأمـوالِ بـدونِ حـقٍّ، والمكـرِ واللُّصوصيَّةِ المُقنَّعَةِ بقناعِ التعامُلِ المشروعِ، وهي في حقيقتِها أكلٌ للأمـوالِ بالباطلِ والسُّحْتِ والحرامِ.

فمن ذلك: الكَذِبُ في التعريفِ ببضاعتِه، وأنَّها جيِّدَةٌ ورخيصةُ السِّعْرِ، ويدُسُّ الرديءَ في أسفلِها، بل ويحلِفُ أحياناً أنَّ أسفلَها وأعلاَها سواءٌ، وكم يشتري الإنسانُ من الأطعِمَةِ والخُضْرَواتِ والفاكهَةِ ونحوها مُنْخَدِعاً بظاهرِها الحَسَنِ، فيَجِدُ أسفلَها من الرَّديءِ التالِفِ الذي تعافُهُ حتَّى سوائمُ الحيواناتِ.

ومن الغِشِّ المُتَفَشي في الأسواق: أن يقولَ البائعُ: لقد اشتريتُ هذه السلعةَ بكذا، ليَخْدَعَ المُشتري، فيرضى بأن يربَحَ عليه مقداراً قليلاً، وهو كاذبٌ، قد رَبِحَ فيها أضعافَ ثَمَنِها الذي اشتراها به.

أو يبيعُ أحدُهم سلعةً مَعِيْبَةً على أنَّها سليمةٌ لا عيبَ فيها، وبها من العيبِ ما يُزَهِّدُ فيها. ولقد قال المصطفى ﷺ : « لاَ يَحِلُّ لامْرِئٍ يَبِيعُ سِلْعَةً يَعْلَمُ أَنَّ بِهَا دَاءً إِلاَّ أَخْبَرَهُ ». [رواه البخاريُّ تعليقاً بصيغةِ الجَزْمِ، ووصلَه أحمدُ والحاكمُ وغيرُهما]

ناهيكم -عبادَ اللهِ- عمَّن يبيعونَ للمسلمينَ ما حرَّمَ اللهُ تعالى عليهم على أنَّ ذلك من المُباحاتِ التي لا يُشَكُّ فيها، فتجدُ من يبيعُ أفلامَ الفيديو على اختلافِ أنواعِها ومفاسدِها التي هدَّمتْ بيوتاً، وقوَّضَتْ أخلاقاً، ونشرَتِ الفسادَ والفرْقَةَ، وألهَتْ عن طاعةِ اللهِ، والتي أقلُّ ما فيها أن تظهرَ بها النساءُ سافراتٍ، وتُمثَّلُ فيها قَصَصُ الغَرامِ والهُيامِ، ممَّا يصدُّ عن ذكرِ اللهِ وعن الصلاةِ.

وتجدُ من يبيعُ أشرطَةَ الغِناءِ الآثمِ الذي يُنْبتُ النِّفاقَ في القلبِ، والذي هو بريدُ الزِّنا والكُفرِ والفسوقِ. وتجدُ من يبيعُ المجلاَّتِ المُنحَرِفَةِ التي تحملُ

في طيَّاتِها صوراً عاهرةً، وعباراتٍ سافلةً، تُغري بالفاحشَةِ، وتقودُ إلى الرَّذيلةِ، ولكم تَهدَّمَ بها من أُسرَةٍ، وفسدَ بها من شبابٍ، ونشرت من فسادٍ وفواحِشَ.

وتجدُ من يبيعُ الملابسَ العاريةَ، وشِبْهَ العاريَةَ، التي تحملُ الصورَ والكتاباتِ والشِّعاراتِ القبيحةِ، والعبارات البذيئةَ، والتي خُدِعَ بها النساءُ وأشباهُهُنَّ في محلاَّتِ الأزياءِ المختلفَةِ المنتشرةِ في أسواقِ المسلمين.

ويعرِضُ أحدُهم الدُّخانَ المحرَّمَ الخبيثَ في دُكَّانِه بجانبِ ما أحلَّ اللهُ لعبادِه من الطَّيِّباتِ؛ ليبيعَه على الصغيرِ والكبيرِ، والجاهلِ والغافلِ. ناهيكم عبادَ اللهِ عن المحلاَّتِ المُتخَصِّصَةِ في بيعِ لُعَبِ الأطفالِ، والتي تجلِبُ من الألعابِ ما يُسْخِطُ ربَّ العالمينَ سبحانه، من ذواتِ الأرواحِ والموسيقى، والأصواتِ المُفْزِعَةِ، والصُّورِ المُحرَّمَةِ، التي ينخَدِعُ بها البُسَطاءُ من الناسِ، ممَّن لا يعرفونَ الحلالَ من الحرامِ، فيُنفقونَ فيها أموالَهم، ويُفسِدونَ بها أطفالَهم.

كلُّ هذه المخالفاتِ الشرعيَّة الواقعةِ في تجارةِ المسلمين، وفي أسواقِهم يحملُ التُّجَّارَ على جلبِها والتَّفنُّنَ في تكثيرِها وتنويعِها إرضاءُ الناسِ، والبحثُ عن مُتَطلَّباتِهم، وتلبيةُ حاجاتِهم، ولا يُبالونَ بعدَ ذلك بسَخَطِ اللهِ تعالى؛ ولقد ثَبَتَ في الصحيحِ عن المصطفى ﷺ أنَّه قال: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ». [رواه الترمذيُّ]

وعندَ مسلمٍ من حديث أبي هُريرةَ -رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدىً كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً)).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فيا أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، واشكروه على نعمِه وآلائه العُظْمى، وأطيعوه سبحانه وراقبوه في السرِّ والنجوى، واحذروا المحارمَ فإنَّ أقدامَكم على النار لا تقوى، وتزوَّدوا فإنَّ خيرَ الزادِ التقوى.

ثمَّ اعلموا رحمكم الله أنَّ الغِشَّ جريمةٌ عظيمةٌ، لا تصدُرُ إلاَّ من النفوسِ المريضَةِ، وأصحابِ الدناءَةِ، وقليلي المروءَةِ؛ إذْ كيفَ يَغُشُّ المسلمُ أخاهُ المسلمَ، وقد قال المصطفى ﷺ : « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ». [متفقٌ عليه]

أفَيَرْضى هو بالغشِّ لنفسِه، والخديعَةِ لها ؟! لقد أغضَبَ الغاشُّ ربَّه، وتبرَّأ منه نبيُّ الأمَّةِ ﷺ ، وهل بعدَ ذلك من خِزْيٍ وعارٍ ومصيبةٍ ؟ أجارَنا اللهُ.

إضافةً إلى كونِ ذلك تفريطاً في حقِّ المسلمِ على أخيه المسلمِ؛ الذي قال عنه جريرُ بنُ عبدِ الله البَجَليُّ –رضي اللهُ عنه–: « بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ». [متفقٌ عليه]

والنصيحةُ للمسلمينَ: هي إرشادُهم إلى مصالِحِهم، وتعليمُهم أمورَ دينِهم ودُنياهم، وسترُ عوراتِهم، وسدُّ خَلاَّتِهم، ومُجانَبَةُ الغِشِّ والحَسَدِ لهم، وأن يُحِبَّ لهم ما يُحِبُّ لنفسِه، ويكرَه لهم ما يكرَهُهُ لنفسِه.

فلا ينبغي لمن يشتَغِلُ بالتجارةِ والبيعِ والشِّراءِ أن يشغَلَه ذلك عن معادِه؛ فيكونُ عمُرُه ضائعاً، وصَفْقَتُه خاسِرةً، فيُصْبِحُ بذلك ممَّن اشترى الحياةَ الدُّنيا بالآخرَةِ، وباعَ الباقيَةَ بالفانيةِ؛ فإنَّ التاجرَ -أيَّاً كانت تجارتُه- لا يستغني أبداً عن الاعتمادِ على الله في طلبِ رزقِه، يفتَحُ محلَّهُ كلَّ يومٍ، أو يغدو إلى تجارتِه وكسبِه، وهو يرفَعُ أكُفَّ الضَّراعَةِ إلى الله تعالى؛ الرَّازِقِ المُعطي، يبتغي فضلَه، ويسألُ خيرَه وربحَه وتوفيقَه، أَفَيَليقُ به بعدَ ذلك أن يَغُشَّ، ويخونَ، ويُخادِعَ ؟! والنبيُّ ﷺ -كما في الصحيح (عندَ مسلمٍ وغيرِه) - يُحدِّثُ أصحابَه عن الرَّجُلِ يُطيلُ السفرَ، أشعثَ أغبرَ، يَمُدُّ يديه إلى السماءِ؛ يقولُ: يا ربِّ ، يا ربِّ، ومطْعَمُه حرامٌ، وملبَسُه حرامٌ، وغُذِّيَ بالحرامِ، فأنَّى يُستجابُ لذلك.

وليَحْرِصِ التاجرُ على التجارةِ الحلالِ، والبُعْدِ عن الحرامِ والمُتَشابِه، براءَةً لدينِه، وإطابَةً لمَطْعَمِه. قال النُّعمانُ بنُ بشيرٍ -رضي الله عنه-: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «الْحَلالُ بَيِّنٌ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ

وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ ». [متفقٌ عليه]

وكان السلفُ -رضوانُ اللهِ تعالى عليهم- يتّقونَ المُتشابهَ خَشْيَةَ الوقوعِ في الحرامِ؛ فهذا أبو بكرٍ الصديقُ كان له غُلامٌ يُخرِجُ له الخراجَ، وكان أبو بكرٍ يأكلُ من خراجه، فجاءَ يوماً بشيءٍ، فأكلَ منه أبو بكرٍ، فقال له الغُلامُ: أتدري ما هذا ؟! فقال أبو بكرٍ: وما هو ؟ قال: كُنتُ تكَّهَنتُ لإنسانٍ في الجاهليَّةِ، ولم أكُنْ أُحسِنُ الكِهَانَةَ، إلاَّ أنّي خدعتُه، فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلتَ منه. فأدخلَ أبو بكرٍ يدَهُ في فمِهِ، فقاءَ كُلَّ ما في بطنِه. [والقصةُ في البخاريّ]

ثم اعلموا رحمكم اللهُ أنَّ الغِشَّ وإن كان في المعاملاتِ أظهرَ، وفي البِيَاعاتِ أكثرَ إلاَّ أنَّ له صُوراً أُخرى مُتفَشيةً في حياةِ الناسِ؛ فقد قال النبي ﷺ: « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إلا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ». [متفقٌ عليه]

فالوالدُ الذي يُضيِّعُ أطفالَه وأهلَه، ولا يُربيِّهم على أخلاقِ الإسلامِ، يراهم يتركونَ الصلاةَ، ويأتونَ المنكراتِ، ثمَّ لا يَجهَدُ له نُصْحَهُ، ولا يُحيطُهم بتوجيهِه، والزوجُ الذي لا يغارُ على زوجتِه، ولا يأمرُها بالحياءِ والحِشْمَةِ والعفافِ، ولا يحفظُها عن مواطِنِ الرِيَبِ، والموظَّفُ الذي لا يقومُ بعملِه المُكلَّفِ به على الوجهِ المطلوبِ، والمُربيُّ الذي لا يتعلَّمُ منه النشءُ إلاَّ كلَّ مُخلٍّ بالآدابِ والقِيَمِ، كلُّ هؤلاءِ وأشباهُهُم في الحقيقةِ غَشَشَةٌ ومُخادِعونَ ومُضيِّعونَ للأمانةِ، ومُفرِّطونَ في الواجبِ؛ لأنَّهم لم يحوطوا

أعمالَهم وأماناتِهم التي استرعاهم الله تعالى عليها بالنُصْحِ والخيرِ والصلاحِ، وفسادُهم في الأمةِ أعظمُ من فسادِ البائعِ الغاشِّ، والصانعِ المُخادِعِ؛ لأنَّ ضررَهم قد يخفى.

ألا فاتقوا الله تبارك وتعالى أيُّها المسلمون، وصلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم الله تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَاً)). [رواه مسلم]

❧ ❧ ❧

الأعمال المشروعة في عشر رمضان الأخيرة

●الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، والعاقِبَةُ للمتَّقينَ، ولا عُدوانَ إلاَّ على الظـالمينَ، أحمدُه تعالى وأشـكرُه، وأتـوبُ إليـه وأسـتغفرُه، وأشـهدُ أن لا إلـه إلاَّ ا للهُ وحدَه لا شريكَ له، أمرَ ألاَّ تعبُدوا إلاَّ إِيَّاهُ ذلكَ الدِّيـنُ القَيِّـمُ ولكـنَّ أكـثرَ الناسِ لا يعلمونَ، وأشهدُ أنَّ نبيَّنا وحبيبَنا محمداً عبـدُه ورسـولُه ومصطفـاهُ وخليلُه، بعَثَهُ ا للهُ سبحانه بالهُدى ودينِ الحقِّ ليُظْهِرَهُ على الديـنِ كلِّـه ولـو كَرِهَ المشركونَ، صلـى ا للهُ عليـه وعلـى آلـه وصحبـه ومـن دعـا بدعوتِـه، واهتدى بهديِه، واستنَّ بسُنَّتِه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا ا للهَ تبارك وتعالى حقَّ التقـوى ، وتـزوَّدوا مـن الأعمـالِ الصالحـةِ للأخرى، وتأهبوا ليوم العرض الأكبر على ا لله، وتذكَّـروا حـقَّ ا للهِ تعـالى

عليكم؛ أن يُطاعَ فلا يُعصى، وأن يُذكرَ فلا يُنسى، وأن يُشكرَ فلا يُكفرَ؛ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٢].

أيُّها المسلمون:

لقد اقتَضَتْ حِكمَةُ اللهِ تعالى وفضلُه على عِبادِه تخصيصَ بعضَ الأزْمِنَةِ بالفضلِ على غيرها، وتشريفِها، وجَعْلِها مواسِمَ للتجارةِ الرابحَةِ مع اللهِ سبحانه وتعالى، تُضاعَفُ فيها الحسَنَاتُ، وتُقالُ فيها العَثَراتُ، فاختارَ من الساعاتِ الثُّلثَ الأخيرَ من كلِّ ليلةٍ، ينزِلُ فيه من سمائِه على عبادِه، فيَغْفِرُ للمستغفِرين، ويتجاوَزُ عن المذنبين، ويُجيبُ دعوةَ الداعينَ، ويُعْطِي السائلين.

واختارَ من الأيامِ يومَ الجُمُعَةِ؛ فجعَلَهُ عيداً لأهلِ الإسلامِ، يعودُ عليهم كلَّ أسبوعٍ، فيه ساعةٌ مبارَكَةٌ، لا يوافقُ اللهَ تعالى فيها عبدٌ مسلِمٌ يدعوه، ويسألُه إلاَّ أعطاه مسألَتَه، وغفرَ له ذنوبه.

واختارَ من الشُّهورِ شهرَ رمَضَانَ المباركَ الذي أُنزلَ فيه القرآنُ هُدىً للناس وبيِّناتٍ من الهُدى والفُرْقانِ، فجعلَ أوَّلَه رحمةً للعبادِ، وأوسطَه مغفرةً لهم، وآخِرَه عِتقاً لهم من النيرانِ، واختارَ من رمضانَ العشرَ الآواخِرَ منه، فخَصَّها بليلةٍ هي خيرٌ من ألفِ شهرٍ مِمَّا سِواها، من قامَها إيماناً واحتِساباً

غَفَرَ اللهُ تعالى له ما تقدَّمَ من ذنبه، ومن حُرِمَ خيرَها فهو المحرومُ، قد حُرِمَ الخيرَ كلَّه.

أيُّها الناسُ:

ها هو شهرُ رمضانَ المبارَكُ، شهرُ الصيامِ والقيامِ وتلاوةِ القرآنِ، شهرُ الصدَقةِ والجودِ والإحسان يتهيَّأُ للرحيلِ، تصرَّمَتْ أيَّامُه، وانقضَتْ لياليه كغيرِها من الأيامِ والأعوامِ التي مرَّتْ علينا وكأنَّها أضغاثُ أحلامٍ، وأطيافُ سرابٍ. مضى أوَّلُه وأوسَطُه، ولم يَبْقَ منه إلاَّ العشرُ الأواخِرُ التي كان النبيُّ ﷺ يَخُصُّها بمزيدِ الاجتهادِ في الطاعَةِ؛ حتَّى قالت عائشَةُ -رضي اللهُ تعالى عنها-: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ)). [رواه البخاريُّ]

فيا من فرَّطَ فيما مضى من الشهرِ تُبْ إلى اللهِ وارْجِعْ إليه مُقْبلاً خائِفاً، تائباً خاشِعاً، وجِدَّ في طاعَتِه؛ فإنَّ العمرَ قصيرٌ، والسفَرَ طويلٌ، والزَّادَ قليلٌ.

ويا من أحسَنَ فيما مضى من الشهرِ اُثْبُتْ على طاعَةِ اللهِ تعالى، وتزوَّدْ من الصالِحاتِ؛ فإنَّ القبولَ بيدِ اللهِ سبحانه، اللهَ اللهَ في مَضاعَفَةِ المُثابَرَةِ على الطاعةِ، والاجتهادِ في العبادَةِ في زمانٍ مبارَكٍ أدركناهُ، ونحنُ في أوفَرِ صِحَّةٍ وعافيَةٍ، ولنَحْذَرْ من التفريطِ في التجارةِ الرَّابحَةِ مع اللهِ.

من حُرِمَ المغفِرَةَ في رمضانَ متى يُغْفَرْ له ؟ ومن لم يَتُبْ فيه إلى اللهِ من لهوِهِ وغيِّهِ فمتى يتوبُ ؟ ما أعظَمَه من خُسرانٍ، وما أقبحَهُ من تفريطٍ أن

تَمُرَّ علـى العبـادِ مواسِـمُ الخيراتِ، وأزمِنَـةُ العِتْـقِ مـن النـيرانِ ومُضاعَفَـةِ الحَسَناتِ ثمَّ لا يكونوا من المقبولين الذين يغْتَنِمونَهـا فيمـا يُقَرِّبُهـم إلى ا للهِ تعالى.

لقـد كَثُرَتْ أسبابُ المغفِـرَةِ في رمضـانَ؛ مـن صيـامٍ وصدَقَـةٍ، وقيـامٍ واستغفارٍ، وتوبَةٍ، وتلاوَةٍ للقرآن، فيا عَجَباً من حالِ أقوامٍ تمرُّ عليهـم تلـكَ الليالي وهم في غفلَـةٍ عنهـا، لا يَقْـدُرُون لهـا قَـدْراً، ولا يعرِفـونَ لهـا وَزْنـاً، فالمحرومُ حقّاً من فاتَتْهُ المغفِرَةُ والرِّضوانُ في هذه الإيَّامِ، صعَدَ النبيُّ ﷺ المنبرَ فقال: ((إنَّ جِبْرِيْلَ أَتَانِيْ فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَـلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ ا للهُ، قُلْ آمِيْنَ، فَقُلْتُ: آمِيْنَ)). [رواه ابنُ حِبَّان في صحيحه]

وفي حديثِ ابنِ عبَّاسٍ المرفوعِ: ((للهِ في كلِّ ليلَةٍ من شهرِ رمضانَ عندَ الإفطارِ ألفُ ألفُ عتيقٍ من النارِ، كُلُّهم قـد استوجَبوا النـارَ، فـإذا كـانَتْ آخِرُ ليلَةٍ من شهرِ رمضانَ أعتَقَ ا للهُ في ذلك اليومِ بعَدَدِ مـا أعتَـقَ مـن أوَّلِ الشهرِ إلى آخِرِه)). فالشقيُّ -عِياذاً با للهِ- من لم يَكُنْ مـن عُتَقـاءِ ا للهِ مـن النارِ في هذا الموسِمِ العظيمِ المبارَكِ، وهل يرضى المسلِمُ أن يُكتَبَ مَنْ حولَهُ في صُحُفِ الملائِكَةِ من المقبولين، ويبقى هو وحيداً فريداً محروماً من غَنيمَـةٍ عظيمَةٍ فرَّطَ في ثوابِها وفضلِها وكان بإمكانه أن ينالَ أوفرَه وأعظَمَه.

إذا أنتَ لم تزْرَعْ وأبصرْتَ حاصِداً ... نَدِمْتَ على التفريطِ في زَمَنِ البَذْرِ

عبادَ ا للهِ:

لقد كان من هديه ﷺ أن يَخلِطَ أوَّلَ رمضانَ وأوسَطَهُ بالصومِ والقيامِ، فإذا دخلَتِ العشرُ الأواخِرُ عَكَفَ على العبادَةِ، وطوى فِراشَه، واعتَزَلَ نساءَهُ، وإذا كانتْ هذه حالُ المعصومِ ﷺ الذي غفرَ الله له ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تأخَّرَ فكيفَ بالعُصاةِ الذين تلوَّثوا بالذنوب، وتدنَّسوا بالآثامِ ؟! بل كيفَ بالذين ما كَفَتْهُمُ السَّنَةُ في اللهو واللَّعِبِ والمعصيَةِ حتَّى جعلوا لرمضانَ نصيباً وافِراً من الغفلَةِ والعِصْيانِ؛ يبيتونَ على مُحرَّماتٍ ومُنكراتٍ، عن ربِّهم غافِلونَ، وعلى المعصيَةِ مُصرُّونَ، ومن مكرِ اللهِ آمِنونَ، وهل يأمَنُ مكرَ اللهِ إلاَّ القومُ الخاسِرون ؟!

قالت أمُّ المؤمنين عائشَةُ -رضي الله تعالى عنها-: (بلَغَني أنَّ قوماً يقولونَ: إن أدَّينا الفرائِضَ لم نُبالِ أن نزْدادَ من النوافِلِ، ولَعَمْري لا يسألُهم الله إلاَّ عمَّا افترَضَ عليهم، ولكنَّهم قومٌ يُخطِئونَ بالليلِ والنهارِ، وما أنتم إلاَّ من نبيِّكم، وما نبيُّكم إلاَّ منكم، واللهِ ما تركَ رسولُ اللهِ ﷺ قِيامَ الليلِ).

قال الحسنُ البصريُّ -رحمةُ اللهِ تعالى عليه-: (إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ جعلَ شهرَ رمضانَ مِضْماراً لخلقِه، يَسْتَبِقونَ فيه بطاعَتِه إلى مرضاتِه، فسَبَقَ قومٌ ففازوا، وتخَلَّفَ آخرونَ فخابُوا، فالعَجَبُ من اللاَّعِبِ الضَّاحِكِ في اليومِ الذي يفوزُ فيه المُحْسِنونَ، ويَخْسَرُ فيه المُبْطِلونَ).

نعم -عبادَ اللهِ- ها أنتُمْ تعيشونَ في العشرِ الأواخِرِ من رمضانَ، فاجتَهِدوا رحِمَكم اللهُ في الطَّاعَةِ والعبادَةِ لتنالوا المَغْفِرَةَ والرَّحْمَةَ من اللهِ.

لقد كان السلَفُ من أسرَعِ الناسِ إلى الطاعَةِ -مع فضلِهم وشَرَفِهم-؛ «فهذا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه- كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ الله، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَيْقَظَ أَهْلَهُ لِلصَّلاَةِ؛ يَقُولُ لَهُمْ: الصَّلاَةَ الصَّلاَةَ، ثُمَّ يَتْلُو هَذِهِ الآيَةَ ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾». [رواه مالكٌ في الموطَّأ]

بل كان بعضُ السلَفِ في ليالي العشرِ يغتَسِلُ كلَّ ليلَةٍ ليكونَ أنشَطَ له على العبادَةِ، ويَتطَيَّبُ، ويلبَسُ أحسَنَ الثِّيابَ، لِيَخْلوَ مع الله في محرابِه وخَلْوَتِه، يدعو الله ويعبُدُه؛ ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [السجدة:١٦].

وكانت بعضُ نساءِ السلَفِ الصالِحِ تقولُ لزوجِها بالليلِ: قد ذَهَبَ الليلُ، وبينَ أيدِينَا طريقٌ بعيدٌ، وزادُنا قليلٌ، وقوافِلُ الصالِحينَ قد سارَتْ أمامَنا، ونحنُ قد بَقِينَا ، ثمَّ تُنْشِدُ:

يا نائماً بالليلِ كَمْ تَرْقُدْ ... قُمْ يا حبيبي قدْ دنا الموعِدْ
وخُذْ من الليلِ وأوقاتِه ... وِرْداً إذا هَجَعَ الرُّقَّدْ
مَن نامَ حتَّى ينقَضي ليلُه ... لم يَبْلُغِ المنزلَ أو يَجْهَدْ

فأينَ هذا -عبادَ الله- مِمَّن ليلُهم ونهارُهم في سُباتٍ وغَفْلَةٍ، يَتمتَّعونَ ويأكلونَ كما تأكُلُ الأنعامُ، لا بعبادَةٍ يتعَبَّدُون، ولا بذكرٍ يشْتَغِلونَ، ولا بالحقِّ يتواصونَ.

معاشرَ المسلمين:

ومن الأعمالِ الفاضلَةِ التي خصَّ اللهُ تعالى بها هذا الشهرَ أنَّ الاعتكافَ فيه أفضلُ من الاعتكافِ في غيرِه؛ والاعتكافُ: هو لزومُ المسجدِ بنيَّةِ التعبُّدِ للهِ عزَّ وجلَّ. وهو مشروعٌ كلَّ وقتٍ، إلاَّ أنَّه في هذه العشرِ أفضلُ أجراً؛ عن عائشةَ -رضي الله عنها- «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ الله، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ». [متفقٌ عليه]

والاعتكافُ مسنونٌ كلَّ وقتٍ، وليسَ بواجبٍ، وعلى المسلمِ أن يوازنَ بينَه وبينَ أعمالِه وواجباتِه المُكَلَّفِ بها. فإذا خَشِيَ على أهلِه وأولادِه وأعمالِه من الضَّياعِ فلا يُشرَعُ له الاعتكافُ؛ لأنَّه مسنونٌ، وحَفْظَ أهلِه وأولادِه وأعمالِه واجبٌ عليه.

والسُّنَّةُ للمعتكِفِ أن يعتكِفَ في مسجدٍ تُقامُ فيه الجُمُعَةُ، والمرأةُ تعتكِفُ في مُصلاَّها في بيتِها.

ويدخُلُ مُعْتَكَفَهُ قبلَ غروبِ الشمسِ، وعليه أن يشتَغِلَ فيه بالطاعاتِ والذكرِ والتلاوةِ وسائرِ أنواعِ العبادةِ حتَّى يخرُجَ من مُعتكَفِه.

والسُّنَّةُ للمعتكِفِ أن يبتَعِدَ عن المُشغِلاَتِ والمُلْهياتِ، وألاَّ يخرُجَ إلاَّ لِما لا بُدَّ له منه، ولا يعودُ مريضاً، ولا يشهَدُ جَنَازَةً إلاَّ إن كان قد اشترَطَ ذلك في بدءِ اعتكافِه.

ويحرُمُ عليه مباشرَةُ زوجَتِه لقولِه تعالى: ﴿ **وَلاَ تُبَاشِرُوْهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُوْنَ فِي المَسَاجِدِ...** ﴾ [البقرة:١٨٧]. ولا بأسَ بالحديثِ معَهَا إذا زارَتْهُ كما فعلَ النبيُّ ﷺ ، ويُباحُ له أن يتحَدَّثَ مع رفيقِه، أو من يأتيه ما لم يَكْثُرْ ذلك، ولا بأسَ أن يَتَنَظَّفَ ويَتَطَيَّبَ ويَغْتَسِلَ، ويخْرَجَ لقضاءِ حوائِجِه وإحضارِ طعامِه وشرابِه إن لم يكن له من يأتيه به.

ألاَ فاتَّقوا الله أيُّها المسلمونَ، واغتَنِموا ما بقي من أيَّامِ وليالي هذا الشهرَ المبارك في طاعَةِ اللهِ تفوزوا وتُفلِحوا.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله الواحدِ الأحدِ الفردِ الصمدِ ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ لـه ، وأشـهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثـيراً إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا اللهَ أيُّها الناسُ ، واعلموا رحمكم اللهُ أنَّ مِمَّا اختصَّ اللهُ تعـالى به عشرَ رمضانَ الأخيرَةَ أن جعلَ فيها ليلَةَ القدرِ الـتي هـي خيرٌ مـن ألـفِ شهرٍ، والتي قال عنها المصطفى ﷺ : « مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانـاً وَاحْتِسَـاباً غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ». [متفقٌ عليه]

قال الله سبحانه وتعالى مبيِّناً فضلَها: ﴿ **إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّـا مُنذِرِينَ ۞ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۞ أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۞ رَحْمَـةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [الدخان:٣-٦].

وقد ورِدَ عن المصطفـى ﷺ أنَّهـا ليلـةُ إحـدَى وعشـرينَ، وليلَـةُ ثـلاثٍ وعشـرينَ، وليلَـةُ خمسٍ وعشـرينَ، وليلَـةُ سـبعٍ وعشـرينَ، وليلَـةُ تسـعٍ وعشرينَ، وآخرُ ليلةٍ من رمضانَ، في رواياتٍ صحيحةٍ ثابتةٍ.

قال الإمامُ الشافعيُّ -رحمةُ اللهِ تعالى عليه-: (كأنَّ هـذا عنـدي والله أعلَمُ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يُجيبُ على نحو ما يُسألُ عنه؛ يُقـالُ لـه: أنلتَمسُـها في ليلَةٍ كذا ؟ فيقولُ: التَمِسوها في ليلَةِ كذا).

وكونُها ليلَةَ سبعٍ وعشرينَ آكَدُ، لكن لا يُجْزَمُ بذلك، بل الراجِحُ أنَّهـا تنتَقِلُ في أوتارِ العشرِ الأواخرِ من رمضانَ، وعليـه يـدلُّ حديـثُ عائشـةَ -رضي الله عنها- قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُجَاوِرُ فِـي الْعَشْـرِ الأَوَاخِـرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَيَقُولُ: « تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ». [رواه البخاريُّ ومسلمٌ]

فإن ضَعُفَ العبدُ أو عَجَزَ عن قيامِ العشرِ كلِّها فـلا يُغْلَبَـنَّ علـى السبعِ الأواخرِ؛ لما روى ابنُ عمرَ -رضي الله عنهما- قال: قال رسـولُ اللهِ ﷺ : « الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ -يَعْنِي: لَيْلَةَ الْقَدْرِ- فَإِنْ ضَعُفَ أَحَدُكُـمْ أَوْ عَجَزَ فَلاَ يُغْلَبَنَّ عَلَى السَّبْعِ الْبَوَاقِي».[رواه مسلمٌ في صحيحِه]

ويُستحبُّ الدُّعاءُ فيها والإكثارُ من الاستغفارِ والطاعَةِ؛ قالت عائشةُ -رضي الله عنها-: يَا رَسُولَ اللهِ ! أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ الْقَدْرِ مَـا أَقُولُ فِيهَا. قَالَ: « قُولِي اللَّهُـمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَـاعْفُ عَنِّـي». [رواه الترمذيُّ، وابنُ ماجه، وإسنادُه صحيحٌ]

عبادَ الله:

إنَّ ليلَةَ القدرِ ليلَةٌ عظيمَةٌ، تُقَدَّرُ بمـا يزيـدُ علـى ثـلاثٍ وثمـانينَ سـنةً في الفضلِ والخيرِ والبرَكَةِ في العمرِ، وقد أنزلَ اللهُ تعالى في شأنِها سـورةً تُتْلَـى

إلى يومِ القيامَةِ، وذكرَ فيها فضلَها وشرَفَها، وهذا كلُّه ترغيبٌ للمسلمين، وحثٌّ لهم على قيامِها ابتغاءَ مرضاتِ اللهِ، فهي ليلَةٌ طيِّبَةٌ مباركةٌ، وصَفَ النبيُّ ﷺ صَبيْحَتَها بأوصافٍ تُعرَفُ بها، على أنَّه لا يلزَمُ معرِفَتُها، وإنَّما المُهِمُّ هو إحياؤُها بذكرِ اللهِ سبحانه طلَباً لثوابه وفضلِه؛ فمن ذلك: قولُه ﷺ : « صُبْحَةَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ تَطْلُعُ الشَّمْسُ لاَ شُعَاعَ لَهَا كَأَنَّهَا طَسْتٌ حَتَّى تَرْتَفِعَ ». [أخرجه أحمدُ، ومسلمٌ]

وقولُه ﷺ : « لَيْلَةُ القَدْرِ لَيْلَةٌ سَمْحَةٌ طَلْقَةٌ، لاَ حَارَّةٌ وَلاَ بَارِدَةٌ، تُصْبِحُ الشَّمْسُ صَبِيْحَتَها ضَعِيْفَةً حَمْرَاءَ ».[رواه ابنُ خزيمة، والبَزارُ، وهو حسَنٌ]

ومنها قولُه ﷺ : «لَيْلَةُ القَدْرِ لَيْلَةٌ بَلْجَةٌ -يعني: مُضيئَةٌ-، لاَ حَارَّةٌ وَلاَ بَارِدَةٌ، لاَ يُرمَى فِيْهَا بِنَجْمٍ ».[رواه أحمدُ، والطبرانيُّ بسندٍ حسَنٍ]

فحري بالمسلمِ أن يجتَهِدَ في تحرِّي هذه الليلَةِ، وأن يغتَنِمَ أوقاتِ وليالي هذه العشرِ المباركَةِ بالأعمالِ الصالحَةِ، والاستغفارِ والدُّعاءِ وتلاوةِ القرآنِ، جعَلَنا اللهُ جميعاً مِمَّن وُفِّقَ لقيامِ ليلَةِ القدرِ إيماناً واحتساباً فحازَ الأجرَ والمغفِرَةَ والبركَةَ إنَّه سميعٌ قريبٌ مُجيبٌ.

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا * بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [القدر:١-٦].

ألاَ وصلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم الله تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ: « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ». [رواه مسلم]

ﮪ ﮪ ﮪ

البيت الحرام وفريضة الحجّ

●الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، الرحمنِ الرحيمِ، مالكِ يومِ الدينِ، أحمدُه تعالى وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، إلهُ الأولينَ والآخرينَ، وقيُّومُ السمواتِ والأرضينَ، ربُّ الأربابِ، ومُسَبِّبُ الأسبابِ، وخالقُ خلقِه من تُرابٍ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه، ومصطفاهُ وخليلُه، شرحَ اللهُ صدرَه، وأعلى في العالمينَ قدرَه، وجعلَ الذِّلَّةَ والصَّغَارَ على من خالفَ أمرَه، تركَنا على شريعةِ الإسلامِ الخالدةِ، الواضحةِ السمْحَةِ، التي من تمسَّكَ بها نجا، ومن فرَّطَ فيها غوى، فصلواتُ ربِّي وسلامُه عليه، وعلى آله وصحبهِ، ومن لمنهجِهم اقتفى، وبهُداهُم اقتدى إلى يوم الدين.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

أوصيكم بتقوى ا للهِ عزَّ وجلَّ التي لا يقبلُ غيرَها، ولا يرحمُ إلاَّ أهلها، ولا يُثيبُ إلاَّ عليها، فإنَّها النجاةُ والفلاحُ، والعزَّةُ والشرفُ، والسعادةُ والزِّيادةُ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ ا للهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ا للهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٢].

أيُّها المسلمون:

بيتُ ا للهِ المُعَظَّمُ مُلتَقى جموعِ المؤمنينَ، وقِبْلَةُ جميعِ المسلمينَ، تَتَوجَّهُ إليه القلوبُ المؤمنَةُ، وتَفِدُ إليه الجموعُ الخاضِعَةُ من كلِّ فَجٍّ عميقٍ لِيَشْهَدوا منافِعَ لهم.

أَثَرٌ خالِدٌ، وبناءٌ شامِخٌ، ورَمْزٌ للحنيفيَّةِ السَمْحَةِ، رَفَعَ قواعِدَهُ إبراهيمُ الخليلُ وابنُه إسماعيلُ عليهما السلامُ، وما بَرِحَ هذا البيتُ العتيقُ يُطاوِلُ الزَّمانَ، شامِخُ البُنيانِ، ثابتُ الأركانِ، في مَنَعَةٍ من ا للهِ وأَمانٍ، يقومُ بقيامِهِ رُكْنٌ من أركانِ الإسلامِ، تتعاقَبُ الأجيالُ على حَجِّهِ، ويَتَنافَسُ المسلمونَ في بلوغِ رِحابِهِ، ليَعيشوا في أمنِه وأمانِه، وينْهَلوا من خَيْرِه وأرزَاقِهِ، وتلكَ لَعَمْرُ ا للهِ آيةٌ كُبرى، ونِعْمَةٌ عُظْمى من ا للهِ العليِّ الأعلى، الذي جمعَ لهذا البيتِ وأهلِه وقاصديه مَزِيَّتين عظيمتين؛ هما سببُ السعادَةِ والطُمأنينَةِ: ضمانُ الرِّزْقِ، والأمنُ من الخوفِ؛ ﴿ **فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِيَ**

أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش:٣-٤] ؛ مِصْداقاً لقولِ الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [القصص:٥٧] ؛ وقولِه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت:٦٧].

بيتٌ شَرُفَتْ مكانتُهُ، وحُدِّدَتْ معالِمُهُ، وأُسِّسَتْ دعائمُهُ على اختيارٍ من اللهِ واصطفاءٍ؛ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَىَ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص:٦٨].

واختارَهُ سبحانه بعدَ ذلكَ ليكونَ بلَدَ المُقَدَّساتِ، ومَنزِلَ الرَّحماتِ، وجعَلَه أرضاً مُباركَةً، وأعلَنَها حَرَماً آمناً، مَنْزُوعَةَ العُنْفِ والأذى، فأَمِنَ الناسُ فيه على أرواحِهم وممتَلَكاتِهم وأعراضِهم حتَّى من القولِ القبيحِ، واللَّفْظِ الفاحِشِ البَذيءِ؛ ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٩٧].

ولم تَقِفْ هذه الرَّحمةُ والأمنُ عند حدِّ الإنسانيَّةِ، بل تجاوَزَتْ ذلكَ شامِلَةً الطيورَ والحيواناتِ، وهذا من عَظَمَةِ هذا الدينِ القويمِ، والصِّراطِ المستقيمِ.

عبادَ اللهِ:

إنَّ هذا البيتَ الحرامَ قاعِدَةُ التوحيدِ، قامَ عليها بناؤُهُ ليبقى خالِداً عامِراً بإذنِ اللهِ إلى أن يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها، وهو خيرُ الوارثينَ. تتعاقَبُ عليه السِّنونُ، وتَتابعُ عليه الأجيالُ وهو باقٍ كما وضَعَه اللهُ سبحانه وتعالى منارَةً للتوحيدِ، ومَثابَةً للنَّاسِ وأمناً؛ ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَالْقَآئِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحجُّ:٢٦].

ولقد رفَعَ إبراهيمُ القواعِدَ من البيتِ وإسماعيلُ وهما يدعُوانِ اللهَ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧-١٢٨] ؛ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم:٣٥-٣٦].

فاستجابَ اللهُ دعوتَه، وهَوَتِ القلوبُ إلى هذا البيتِ العتيقِ، ورُزِقَ أهلُه من الثَّمَراتِ ما كفاهم وأفاضَ على من سِواهم، وظلَّ بيتُ اللهِ الحرامُ شامِخاً على مَرِّ الزمَنِ، وعِنايَةُ اللهِ تَحْفَظُ له حُرْمَتَهُ، وتُحيطُهُ بالإجلالِ والإكبارِ على مَرِّ الدُّهورِ والأجيالِ.

ولا تزالُ قِصَّةُ أصحابِ الفيلِ شاهِدَةً على حُرْمَةِ البيتِ وعَظَمَتِه، ودليلاً على أنَّ من استنْصَرَ بغيرِ اللهِ ذلَّ، ومن لَجأَ إلى غيرِه ضلَّ؛ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ

عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١-٥].

قال أحدُ الجاهليِّين حينما أرسلَ اللهُ جُنْدَه على أبرَهَةِ الأشْرَمِ:

أينَ المفرُّ والإلهُ الطالِبُ والأشْرَمُ المَغْلوبُ ليسَ الغالِبُ

وهكذا لن يُغْفِلَ اللهُ سبحانه وتعالى عملَ عمرو بنِ لُحَيٍّ الخُزَاعيِّ الذي رآه النبيُّ ﷺ يجرُّ قُصْبَهُ (أمعاءَهُ) في النَّارِ؛ جزاءاً له على ما أحدَثَ في مكَّةَ من تغييرِ دينِ إبراهيمِ الخليلِ بجَلْبِ الأوثانِ إلى جزيرةِ العربِ، وتَسْيِيْبِ السَّوائبِ للأصنامِ.

لقد كانَ النَّهْجُ الذي شرَعَهُ اللهُ في حُرْمَةِ بيتِه الحرامِ سابقاً لكلِّ مُحاولاتِ البشرِ في إيجادِ منطقَةٍ آمنَةٍ، يُلقى فيها السلاحُ، ويأمَنُ فيها المُتخاصِمونَ، وتُحقَنُ فيها الدِّماءُ، ويَجِدُ فيها كلُّ أحدٍ مأواه؛ **﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾** [البقرة:٩٧] ؛ **﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً﴾** [البقرة:١٢٥].

عباد الله:

إنَّ أرضَ مكَّةَ أرضٌ مباركةٌ، لها مَيْزَتُها عن غيرِها من أرضِ اللهِ تعالى؛ إذْ فيها بيتُ اللهِ العتيقِ أوَّلُ بيتٍ وضِعَ للناسِ مباركاً وهُدىً للعالمين، فيه آياتٌ بيِّناتٌ مقامُ إبراهيمَ؛ فهي البلَدُ الأمينُ، مَهْبِطُ الوحي، ومؤئِلُ الإسلامِ، ومَهْدُ الرِّسالاتِ.

ولقد وقفَ النبيُّ ﷺ على مشارفِه وهو يودِّعُه بعيونٍ دامعَةٍ إبَّانَ مُهَاجَرِه إلى المدينةِ قائلاً: «وَاللهِ إنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ». [رواه الترمذيُّ وأحمدُ وهو صحيحٌ]

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلاَّ مَنْ عَرَّفَهَا، وَلاَ يُخْتَلَى خَلاَهُ». فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِلاَّ الإِذْخِرَ؛ فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ. قَالَ: «إِلاَّ الإِذْخِرَ». [رواه البخاريُّ]

وقد رَخَّصَ رسولُ اللهِ ﷺ في قتلِ الفواسِقِ من الدَّوابِ في الحرَمِ بقولِه: «خَمْسٌ فَوَاسِقٌ؛ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْفَأْرَةُ، وَالْعَقْرَبُ، وَالْغُرَابُ، وَالْحُدَيَّا، وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ». [متفقٌ عليه]؛ وفي روايةٍ لمسلمٍ: ذكرَ فيها الحيَّةَ، وقيَّدَ الغرابَ بالأَبْقَعِ.

ويُلحَقُ بهذه الخمسِ قتلُ الأَوْزَاغِ؛ لِما ثبتَ في الصحيحِ أنَّه ﷺ أمرَ بقَتْلِ الأَوْزَاغِ.

عبادَ اللهِ:

ومن فضائلِ مكَّةَ: ما ورَدَ في فضلِ الصلاةِ فيها؛ حيثُ ثبتَ عنه ﷺ في الحديثِ الصحيحِ: أنَّ الصلاةَ في المسجدِ الحرامِ بمئةِ ألفِ صلاةٍ فيما سواه.

ودلَّتِ الأدلَّةُ الصحيحةُ على أنَّ المُضاعَفَةَ تشمَلُ جميعَ ما كان داخِلَ حدودِ الحرمِ، وليسَتْ خاصَّةً ببناءِ المسجدِ نفسِه، ولكنَّ الصلاةَ في المسجدِ الحرامِ بعينِه أفضلُ؛ لِقِدَمِ المكانِ، وكَثْرَةِ الجماعَةِ، وهذا مذهبُ جمهورِ العلماءِ.

كما ثبَتَ في الصحيحِ أنَّ الدَّجالَ لا يدخُلُها هي والمدينةِ، وأنَّ على أبوابِها ملائكةٌ يحرسُونَها منه. كما حرَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى استقبالَ مكَّةَ واستِدْبارَها عندَ قضاءِ الحاجَةِ لِمَنْ كان خارجُها دونَ سائرِ البقاعِ؛ قال ﷺ: «إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلاَ تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلاَ تَسْتَدْبِرُوهَا بِبَوْلٍ وَلاَ غَائِطٍ، وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا». [متفقٌ عليه] ؛ قالَها لأهلِ المدينةِ فيُراعى في ذلك اختلافُ الأماكنِ والجهاتِ.

كما أخبرَ اللهُ سبحانه وتعالى أنَّها أُمُّ القُرى، فالقُرى كلُّها تَبَعٌ لها، وفرعٌ عليها؛ قال سبحانه: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى:٧].

علاوةً على أنَّها قِبْلَةُ أهلِ الأرضِ جميعاً، وأنَّ السِّيئاتِ تُضاعَفُ فيها، وأنَّ من أتى البيتَ الحرامَ يُريدُ الحجَّ فلم يرْفُثْ ولم يَفْسُقْ رجَعَ من ذنوبِه كيومِ ولدَتْهُ أُمُّه (متفقٌ عليه من حديثِ أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه).

ومن مميِّزاتِ هذا البيتِ أنَّه لا يُشْرَعُ الطوافُ بغيرِه على وجْهِ الأرضِ، فلا يُشرَعُ الطوافُ بالقبورِ والأضْرِحَةِ والأشجارِ والأحجارِ، ومن فعلَ ذلكَ أو إعتقدَ شيئاً منه فقد أشركَ باللهِ أو كفرَ.

فهذا البيتُ العتيقُ بُنِيَ لأجلِ التوحيدِ، وقد كان الجاهليُّونَ يعبدونَ الصورَ والحجارةَ التي نصبوها حولَ الكعبَةِ، وفي أطرافِ مكَّةَ على صورةِ رجالٍ صالحينَ مضوا إلى ربِّهم، يُعظِّمونَها من دونِ اللهِ، ويطوفونَ حولَها، ويسجدونَ لها من دونِ اللهِ بحُجَّتِهم السَّقيمَةِ: ما نعبُدُهم إلاَّ ليقرِّبونا إلى اللهِ زُلْفى، فأرسلَ اللهُ نبيَّه محمَّداً ﷺ بالتوحيدِ الذي أضاءَ به الطريقَ، وأوضَحَ به السبيلَ، وترَكَنا على البيضاءِ ليلُها كنهارِها لا يَزِيْغُ عنها إلاَّ هالِكٌ، فطَهَّرَ اللهُ الجزيرةَ من رِجْسِ الأوثانِ والأصنامِ، وسَفَّهَ أحلامَهم، وعابَ آلهتَهم، واقْتَلَعَ الأصنامَ من جذورِها بحكمتِه وروِيَّتِه في مُدَّةٍ وَجيزَةٍ من الزَّمَنِ.

واللهُ عزَّ وجلَّ إنَّما بعثَه صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه بتبليغِ رسالتِه، والدعوةِ إلى التوحيدِ الخالِصِ، وتحريمِ كلِّ صورِ الشركِ، ومَنْعِ المشركينَ من دخولِ البيتِ الحرامِ؛ ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَآءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ [التوبة:٢٨].

وقد بعَثَ المصطفى ﷺ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ في العامِ التاسِعِ من الهجرةِ للحجِّ، فبعَثَ أبو بكرٍ أبا هُريرَةَ، وأمرَه أن يُنادي في الناسِ يومِ النَّحْرِ: ألا يَحُجَّ بعدَ العامِ مُشرِكٌ، وألاَّ يطوفَ بالبيتِ عُرْيانٌ. [متفقٌ عليه]

عباد اللهِ:

ومعَ هذه المكانَةِ العُظْمى للبيتِ الحرامِ، وعلوُّ الشأنِ الواضِحُ في نصوصِ الوحي الشريفِ إلاَّ أنَّه أحجارٌ لا تضرُّ ولا تنفَعُ، ولكنَّ بعضَ المُغفَّلين مِمَّن لا علمَ عندَهم يظنُّ أنَّ للمسلمينَ علاقاتٍ ماديَّةً بأحجارِ الكعبَةِ وجُدرانِها، لا سيَّما الحجرِ الأسوَدِ، وهذا الظَّنُّ لا صحَّةَ له، كيفَ وقد قال الفاروقُ رضي الله عنه: (والله إنِّي لأعلَمُ أنَّكَ حجَرٌ لا تضرُّ ولا تنفَعُ، ولولا أنِّي رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يُقبِّلُكَ ما قبَّلتُكَ أبدًا).

إنَّ التوحيدَ الذي يعمرُ القلوبَ المسلمةَ إنَّما هو يقينٌ خالِصٌ لا يلتَفِتُ إلاَّ للهِ تعالى، ولا يتعلَّقُ إلاَّ باللهِ سبحانه؛ فالله عزَّ وجلَّ جعلَ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قِياماً للناسِ وأمناً، وما الحجرُ الأسوَدُ إلاَّ موضِعُ الابتداءِ، ونُقطَةُ التمييزِ في هذا البناءِ، وعندَه يكونُ تجديدُ العَهْدِ مع اللهِ سبحانه على الإيمانِ والتصديقِ: اللَّهُمَّ إيماناً بكَ لا بالحجرِ الأسوَدِ، وتصديقاً بكتابكَ لا بالخُرافَةِ والدَّجَلِ، ووفاءً بعهْدِكَ وهو التوحيدُ الخالصُ لا الشرك، واتِّباعاً لسُنَّةِ نبيِّكَ محمَّدٍ ﷺ مُحَطِّمِ الأصنامِ.

ثمَّ يأتي بعدَ ذلك التوجيهُ النبويُّ الكريمُ بقراءَةِ سورتي الإخلاص؛ قل يا أيُّها الكافرون، وقل هو الله أحدٌ في ركعتي الطوافِ؛ لتؤكِّدَ على أنَّ العبادَةَ للهِ وحدَه، وأنَّ الطوافَ بالبيتِ إنَّما هو استجابَةٌ لأمرِ اللهِ تعالى، فالتعلُّقُ باللهِ لا بالبيتِ، وما كان هذا الطوافُ ليَتِمَّ بالبيتِ إلاَّ لأنَّ الله عَظَّمَهُ وشرَّفَه وأمرَ بطوافِه.

نَفَعَنِي اللهُ وإيَّاكم بالقرآنِ العظيم، وبهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فيا أيُّها الناس: اتَّقوا الله تعالى واشكروه على عظيمِ نِعَمِه، وجَزيلِ عطائِه، وتزوَّدوا فإنَّ خيرَ الزادَ التقوى.

عبادَ الله:

ولِفَضلِ هذا البيتِ العتيقِ، والحرَمِ الأمينِ أوجبَ الله على الناسِ حجَّهُ، وجعلَه الرُّكنَ الخامِسَ من أركانِ الإسلامِ على المسلمِ الحُرِّ البالِغِ المستطيعِ، وفرَضَه على المسلمينَ في السَّنَةِ التاسعَةِ من الهجرَةِ بقولِه تعالى: ﴿ **وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [آل عمران:٩٧].

فانظروا رحمكم الله كيفَ حكمَ سبحانه وتعالى على من ترَكَ الحجَّ بالكُفْرِ، فمن ترَكَه جاحِداً لوجوبه فلا شكَّ في كُفْرِه بإجماعِ أهلِ العلمِ سلَفاً وخلَفاً، ومن ترَكَه تكاسُلاً أُجْبِرَ عليه، ومن ماتَ قبلَ أن يحُجَّ أُخْرِجَ من تركتِه قدرُ ما يُحَجُّ به عنه.

والحجُّ واجبٌ في العمرِ مرَّةً واحدةً، فمن زادَ فهو تطُّوعٌ -كما رواه الإمامُ أحمدُ وغيرُه-. والمُستَحبُّ للمسلمِ أن يتعَجَّلَ إلى حَجِّ الفريضَةِ متى استطاعَ إلى ذلكَ سبيلاً؛ فإنَّه لا يدري ما يَعْرِضُ له، بل هو واجبٌ عند جمهورِ العلماءِ، ويأثَمُ إن أخرَّه بلا عُذْرٍ؛ لقولِه ﷺ فيما رواه أحمدُ وغيرُه: «تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ -يَعْنِي: الْفَرِيضَةَ- فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لاَ يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ».

قال عمرُ -رضي الله عنه-: (من أطاقَ الحجَّ فلمْ يَحُجَّ فسواءٌ عليه ماتَ يهوديًّا أو نصرانيًّا، ولقد هَمَمْتُ أن أبعثَ رِجالاً إلى هذه الأمْصَارِ،

فَينظروا إلى كلِّ من كان عندَه جِدَةٌ -أي: مَقْدِرَةٌ- فلم يَحُجَّ فيضربوا عليهم الجِزْيَةَ، ما هم بمسلمينَ ، ما هم بمسلمين).

وجاءَتِ السُّنَّةُ النبويَّةُ الشريفَةُ باستحبابِ تكريرِ الحجِّ؛ لِما فيه من الأجرِ والخيرِ والثوابِ؛ قال ﷺ : « مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». [متفقٌ عليه] ؛ وقال ﷺ : « تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ». [رواه الترمذيُّ، والنسائيُّ، وأحمدُ، وسندُه صحيحٌ]

والاستطاعَةُ في الحَجِّ: هي التمَكُّنُ من أداءِ فرائضِه جسميًّا وماديًّا؛ بأن يمكنَهُ الركوبَ، وتحمُّلَ السفرِ، ويجدَ من المالِ بُلْغَتَهُ التي تكفيه ذهاباً وإياباً، بعدَ كِفايَةِ أولادِه ومن تلزَمُه نفقَتُهم، وبعدَ سدادِ ديونِه الحَالَةِ، أو التي ليسَ لها موعِدٌ تُسَدَّدُ فيه، وكان الحَجُّ يُكلِّفُه.

معاشرَ المسلمين:

يا أهلَ حَرَمِ اللهِ ! يا من شرَّفَكم اللهُ بأن جعلَكم من أهلِ بيتِه، ومن حاضِري مسجدِه الحرامِ، وحباكم من الخيراتِ والنِّعَمِ ما يُرَى أثرُه ظاهِراً وباطِناً ! لقد توافَدَ عليكم حُجَّاجُ بيتِ اللهِ من كلِّ فجٍّ عميقٍ، قاصدينَ هذا الحرمَ الطاهِرَ، والأرضَ المباركَةَ، وهم ينظرونَ إليكم على أنَّكم أحفادُ رسولِ اللهِ ﷺ وصحابتِه -رضوانُ اللهِ عليهم-، وينظرونَ إليكم على أنَّكم أهلُ التوحيدِ والإسلامِ، وينظرونَ إلى تصرُّفاتكم وأخلاقِكم على أنها

الصورَةُ المثاليَّةُ للإسلامِ، فدورُكم عظيـمٌ، وواجبُكـم كبـيرٌ في التعـامُلِ مـع هؤلاءِ الحُجَّاجِ على وِفْقِ شرعِ اللهِ الحنيفِ، وتعاليمِ الأُخوَّةِ السَّمْحَةِ، وأن تُسْهِموا في المُحافَظَةِ على هذه الأجواءِ الآمنَةِ، والطُمأنينَةِ السابغَةِ من أجـلِ الطائفينَ والعاكفينَ والرُّكَعِ السجودِ؛ المقيمـين والوافديـن؛ إستجابةً لأمـرِ اللهِ الذي خاطَبَكم بقولِـه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلآ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [المائدة:٢].

وتعظيماً لحُرْمَةِ المكانِ والمشاعِرِ، وانصرافاً لصفاءِ التعبُّدِ والشعائرِ.

فالحجُّ أيُّها المسلمون: ليسَ مجالاً للمُظـاهراتِ الغَوْغَائِيَّـةِ، ولا لحركـاتِ الشَّغَبِ، ولا لِزَعْزَعَةِ الأمنِ، ومن يفعلْ ذلك أو يَهُمَّ به فهو مُجـرِمٌ عنيـدٌ، يريدُ سوءاً وخراباً للبلادِ والعبادِ، ويستحقُّ بُغْضَ اللهِ ونكَالَـه؛ كمـا ثَبَـتَ عنه ﷺ أنَّه قال: « أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلاَثَةٌ: مُلْحِدٌ فِـي الْحَـرَمِ، وَمُبْتَـغٍ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ ». [رواه البخاريُّ] ؛ وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [الحج:٢٥].

وإذا كان الجاهليُّونَ قد حَفِظوا لهذا البيتِ مكانتَه وقُدْسِيَّتَه فأهلُ الإسلامِ أحرى بذلك وأولى؛ إذْ كان الرجلُ في الجاهليَّةِ يلقى عدوَّه بجوارِ البيتِ أحياناً فما يتعرَّضُ له؛ لِحُرْمَةِ المكانِ وشرَفِه، وبذلك أوصَتْ إحدى النساءِ ابنَها بقولِها:

أَبُنَيَّ لا تظلِمْ بمكَّةَ لا الصَّغيرَ ولا الكبيرْ
أَبُنَيَّ من يظلِمْ بمكَّةَ يلْقَ آفاتِ الشُّرورْ
أَبُنَيَّ قد جرَّبْتُها فوَجَدْتُ ظالمَها يبورْ

هذا وصلُّوا وسلِّموا رحمكم الله على المبعوث رحمةً للعالمين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم...

إن الله رفيق يحب الرفق

●الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وليِّ الصالحين، ولا عدوانَ إلاَّ على الظالمينَ، أحمدُه تعالى حمدَ الشاكرين، وأبتهلُ إليه ابتهالَ الخاضعين، وأرجوه سبحانه رجاءَ المذنبينَ، رجاءَ من خضعت له الرِّقابُ، ورَغِمَتْ له الأنوفُ، وذلَّت له النفوسُ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، إله الأولينَ والآخرين، وقيِّومُ يوم الدينِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وصفيُّه من خلقه، إمامُ المتقينَ، والمبعوثُ بالهدى والرَّحمةِ للعالمينَ، صلواتُ ربِّي وسلامُه عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن سارَ على نهجهم، واقتفى أثرَهم إلى يوم الدين.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

أوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ سبحانه وتعالى، ومراقبته في الأمورِ كلِّها، فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ، أوفوا بالعهدِ، وامتثلوا الأمرَ، واجتنبوا النهيَ، ﴿**ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً**﴾ [الطلاق:٥].

أيّها المسلمون:

الإسلامُ دينُ اليُسرِ والرِّفقِ والرَّحمةِ، شريعةُ اللهِ الخالدةُ، وشِرْعَتُه الخاتمةُ، وفطرتُه السابقةُ، وملَّته الناسخةُ التي لا يقبلُ من أحدٍ سواها.

جمعَ اللهُ تعالى في هذه الشريعةِ الإسلاميةِ بين كونها حنيفيَّةً خالصةً، وبين كونِها سمحةً سهلةً؛ فهي حنيفيَّةٌ في التوحيدِ والقصدِ، سمحةٌ في العملِ والعبادةِ. قال اللهُ عزَّ وجلَّ في صفةِ نبيِّ الأمَّةِ ﷺ : ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف:١٥٧].

فهذه الآيةُ الكريمةُ من أقوى الأدلّةِ على أنَّ شريعةَ المصطفى ﷺ أسهلُ الشرائعَ، وأنّه وضعَ عن أمَّتِه كلَّ ثقيلٍ كان في الأمَمِ السابقةِ، فكانت هذه الأمَّةُ أمَّةً وسَطًا، أُريدَ بها اليُسرُ.

قال ابنُ كثيرٍ -رحمه الله-: (إنَّ النبيَّ ﷺ جاءَ بالتيسيرِ والسماحةِ والرِّفقِ، وقد كانت الأممُ التي قبلنا في شرائعِهم ضيقٌ عليهم، فوسَّعَ الله على هذه الأمَّةِ أمورَها، وسهَّلَها لهم). كلُّ ذلك -عباد الله- رفقٌ بالمسلمين، ورحمةٌ بهم، ﴿ **يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [البقرة:١٨٥].

التيسيرُ والرِّفقُ في الإسلامِ سِمَةٌ ظاهرةٌ، تتجلّى في عقائدِه وعباداتِه ومعاملاتِه وأخلاقِه، وما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بينَ أمرينِ إلاَّ اختارَ أيسرَهما ما لم يكن إثماً.

والرجلُ السهلُ من عبادِ اللهِ يُحبُّه الناسُ، ويرغبونَ إليه، لاتّباعِه سنَّةَ نبيِّ الأمَّةِ ﷺ . ومن يسَّرَ على الناسِ أمورَهم يسَّرَ الله له أمورَه.

عن أبي هريرةَ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ». [رواه البخاريُّ في صحيحه]

والمعنى -عبادَ الله-: النَّهيُ عن التشديدِ في الدينِ، بأن يُحمِّلَ الإنسانُ نفسَه من العبادةِ ما لا يحتملُهُ إلاَّ بكُلْفَةٍ شديدةٍ، فالدينُ لا يؤخذُ بالمُغَالبَةِ،

وقد قال المصطفى ﷺ : « دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ». [متفقٌ عليه]

وروى عبدُ اللهِ بنُ عمرو بن العاصِ مرفوعاً: « إنَّ هذا الدينَ متينٌ فأَوْغِلْ فيهِ بِرِفْقٍ، وَلا تُبغِّضْ إلى نفسكِ عبادةَ اللهِ، فإنَّ المُنْبَتَّ لا سفراً قطعَ، وَلا ظهراً أبقى ». [رواه ابنُ المباركِ في الزهدِ، والبيهقيُّ] والمُنبَتُّ: هو المنقطعُ في سفرِه قبلَ وصولِه.

الإسلامُ -عبادَ اللهِ- شريعةٌ وَسَطٌ، وحنيفيَّةٌ سهلةٌ، مبناها على التيسيرِ، ورفعِ الحرَجِ، والبُعدِ عن المشقَّةِ والتكلُّفِ، والتَّنطُّعِ والتَّشدُّدِ والتَّعمُّقِ.

قال أبو موسى الأشعريُّ -رضي اللهُ عنه-: « كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ: بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا ». [رواه البخاريُّ ومسلمٌ]

والتيسيرُ ورفعُ الحَرَجِ مبناهُ على الرِّفقِ بالخلقِ، والرَّحمَةِ بهم، وعدمِ العُنْفِ والمشقَّةِ بهم؛ فالرِّفقُ هو التوسُّطُ والتَّلطُّفُ في الأمرِ كلِّه.

نعم -عبادَ اللهِ- إنَّ الرِّفقَ والأَناةَ والتُّؤَدَةَ من الصفاتِ المحمودةِ في حياةِ البشرِ؛ قال ﷺ : « التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ فِي عَمَلِ الآخِرَةِ ».

[رواه أبو داود، وسندُه صحيحٌ]

والرِّفقُ سببٌ للخيرِ؛ إذْ يتأتَّى معه مــن الأمـورِ مـا لا يتـأتَّى مـع غـيرِه، ويُثيبُ ا للهُ تعالى عليه ما لا يُثيبُ على ما سواه، وهو مـن أقـوى الأسـبابِ الموصلَةِ إلى محبَّةِ ا للهِ سـبحانه وتعـالى ومرضاتِـه، وسـببٌ عظيـمٌ للنجـاةِ في الدُّنيا والآخرةِ.

عن عائشةَ -رضي ا للهُ عنه- قـالت: قـال رسـولُ ا للهِ ﷺ : « إِنَّ ا للهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَـى الرِّفْـقِ مَـا لاَ يُعْطِـي عَلَـى الْعُنْـفِ وَمَـا لاَ يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ ».[رواه مسلمٌ، وغيرُه]

والرِّفقُ لينُ الجـانبِ مـع النـاسِ بـالقولِ والفعـلِ، والأخـذُ بالأسـهلِ في التعاملِ معهم، وهو اليُسرُ في الأمورِ كلِّهـا، والتَّلَطُّـفُ فيهـا، والسـهولةُ في التوصُّلِ إليها. ومن حُرِمَ الرِّفقُ بُلِيَ بالعُنْفِ؛ الذي هو سوءُ الانقيادِ المـؤدي إلى القُبحِ والتطرُّفِ والغلوِّ، المصحوبانِ بالفظاظـةِ في معاملـةِ النـاسِ، وهـذا سببٌ للحرمانِ من الخيرِ بجميعِ أبوابِه؛ قال ﷺ : « مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْـرَمِ الْخَيْرَ». [رواه مسلم]

ولقد امتنَّ ا للهُ تعالى على عبدِه ورسولِه محمدٍ ﷺ بأن جعلَه هيِّناً رفيقاً، رحيماً بالعبادِ، قريباً منهم؛ في قولِه تعالى: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّـنَ ا للهِ لِنـتَ لَهُـمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيـظَ الْقَلْـبِ لاَنفَضُّـواْ مِـنْ حَوْلِـكَ** ﴾ [آل عمران:١٥٩]. قـال قتادةُ: (إيْ وا للهِ، طهَّرَه ا للهُ من الفظاظةِ والغِلْظَةِ، وجعلَـه قريبـاً رحيمـاً،

رؤوفاً بالمؤمنين). ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨].

عن عائشةَ -رضي الله عنها- أَنَّ يَهُودَ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ (يعني: الموتُ عليكم). فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللهُ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ: « مَهْلاً يَا عَائِشَةُ ! عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ ». قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا ؟! قَالَ: « أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟! رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ ».
[رواه البخاريُّ ومسلمٌ]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ رجلاً أتى النبيَّ ﷺ يتقاضاه، فأغلَظَ، فهمَّ به أصحابُه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً، ثُمَّ قَالَ: أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! إِلاَّ أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ. فَقَالَ: « أَعْطُوهُ فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً ». [رواه البخاريُّ]

لقد تمثَّلَ خُلُقُ الرِّفقِ واللينِ في المصطفى صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه فبلغَ مبلغاً عظيماً مُنقطعَ النظيرِ، وكان يُعالجُ به أمَّتَه وسائرَ خلقِ اللهِ تعالى حتّى ملكَ نواصيَهم، واجتمعَت قلوبُهم على محبَّتِه، وتقديمِه على النَّفسِ والمالِ والأهلِ والولدِ.

فالرِّفقُ -عبادَ الله- في الأمورِ كلِّها، والرِّفقُ مع الناسِ، واللِّينُ بهم، والتيسيرُ عليهم من أعظمِ أبوابِ الأخلاقِ الإسلاميَّةِ، بل هي من صفاتِ الكمالِ التي يسودُ بها العُظَماءُ من البشرِ، يُحبُّها الله سبحانه وتعالى، ويُعطي عليها من الأجرِ والثوابِ ما لا يُعطي على غيرِها، وصاحبُ الرِّفقِ قريبٌ من الناسِ، هيِّنٌ سهلٌ، رقيقٌ رحيمٌ، مُحرَّمٌ على النارِ. قال رسولُ الله ﷺ: «حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ». [رواه أحمدُ، وسندُه صحيحٌ]

وعلى الضدِّ من ذلك من خلا قلبُه من الرَّحمةِ، واتَّصفَ بالعُنْفِ في تصرُّفاتِه وأقوالِه، بَعُدَ عنه الناسُ، ونفروا منه؛ فالعُنْفُ ظاهرةٌ خُلُقيَّةٌ خبيثةٌ، يُبغضُها الله سبحانه وتعالى ويمقتُها، وهي سببٌ للهلاكِ في الدُّنيا والعذابِ في الآخرةِ، تنبيءُ عن سوءِ النيَّةِ، وخُبثِ الطويَّةِ، مع ما فيها من الغِلْظَةِ والفظَاظَةِ والقسوةِ.

العُنفُ في معاملةِ الناسِ يورثُ العداوةَ والأحقادَ والرغبةَ في الانتقامِ، بخلافِ الرِّفقِ بهم؛ فإنَّه يؤلِّفُ القلوبَ، ويمتلكُ المودَّةَ والطَوْعَ، والمسلمُ محتاجٌ إلى الرِّفقِ مع أهلِه وولدِه وجيرانِه وإخوانِه وعمومِ المسلمين؛ فإنَّ الرِّفقَ معهم سببٌ للألفةِ وتحقيقِ الأخوَّةِ؛ قال ﷺ: «إِذَا أَرَادَ الله عَزَّ وَجَلَّ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ». [رواه أحمدُ، وهو صحيحٌ]

وما كان العُنْفُ بينهم إلاَّ تقطَّعتْ حبالُ الصِّلَةِ، وفسدتْ علائـقُ المحبَّـةِ والأُخوَّةِ. نعم -عبادَ الله- الرِّفقُ بالمسلمين لا سيَّما الجاهلُ ومن في حُكْمِه بابٌ عظيمٌ من أبوابِ التأليفِ بين القلوبِ في الإسلامِ؛ فعن أبـي هريـرةَ -رضي الله عنه-: أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْـهِ النَّـاسُ لِيَقَعُـوا بِـهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ -أَوْ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ-؛ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ». [متفقٌ عليه]

بارك الله لي ولكم في القـرآن العظيـم، ونفعنـا بهـدي سـيِّد المرسـلين، أقولُ ما تسـمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبـوا إليـه إنَّـه هـو الغفـورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فيا أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه ، وتذكَّروا أنَّكم ملاقوه. ثمَّ اعلموا رحمكم الله أنَّ الرِّفقَ واللِّينَ، والتيسيرَ في الإسلامِ من أجلِّ ما دعى إليهِ الشرعُ الحنيفُ، وأمرَ به اللهُ عزَّ وجلَّ ورسولُه ﷺ ، وإنَّ أولى الناسِ بالرِّفقِ الدُّعاةُ إلى اللهِ تعالى، والمعلِّمون والمرَّبونَ؛ فإنَّ هؤلاءِ جميعاً لا يملكونَ التأثيرَ في الناسِ ما لم يتحلَّوا بخُلُقِ الرِّفقِ الذي يستولي على القلوبِ، ويملكُها، فمتى كان الداعيَةُ إلى الله تعالى والمعلِّمُ والمرَّبي؛ أباً كان أو غيرَه متى كان رفيقاً في تعاملِه، حليماً في تصرُّفاتِه، ليِّناً سهلاً مع الناسِ، ذا أناةٍ وحكمةٍ ملكَ القلوبَ، وانقادت له النفوسُ، وتأثَّرت به في أخلاقِها وأفكارِها، ومتى فقدوا ذلك وكانوا على الضدِّ منه نفرت عنهم النفوسُ، واستوحشت منهم القلوبُ، وكره الناسُ ما هم عليه.

ورفقُ الولاةِ والمسئولين بمن تحت أيديهم، والشفَقَةُ عليهم حكمةٌ رفيعةٌ من السياسةِ الناجحةِ ، وسببٌ للامتثالِ والطاعَـةِ؛ فإنَّ العُنْفَ من هؤلاءِ يورثُ الكراهيَـةَ والتذمُّرَ والتضجُّرَ والخروجَ عن الطاعةِ وفسادَ أمرِ الجماعةِ، من أجلِ ذلك أمرَ المصطفى ﷺ بالرِّفقِ بهم، وحذَّرَ من العُنفِ منهم، والتشديدِ على من تحتَ أيديهم، وكان يبتهلُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ – كما روت عائشةُ رضي الله عنها– فيقول: « اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِـيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ ». [رواه مسلمٌ]

وعن عائذِ بن عمروٍ أنَّه دخلَ على عُبيدِ اللهِ بن زيادٍ، فقال: « أيْ بُنيَّ! إنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: « إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ ». فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ ». [رواه مسلمٌ، وأحمدُ] والرِّعاءُ: جمعُ الراعي، والحُطَمَةُ: هو الذي يشتدُّ على رعيَّته؛ فيسوقُها سوقاً عنيفاً بلا رحمةٍ ولا حكمة، بل بالعسفِ والضربِ، حتَّى يحطِمَ بعضُها بعضاً، ويقتلَ بعضُها بعضاً.

وهذا الحديثُ العظيمُ مثَلٌ من جوامعِ كَلِمِ المصطفى ﷺ ، ضرَبَه لكلِّ راعٍ عنيفٍ قاسٍ على رعيَّته، شديدٍ لا رحمةَ في قلبه ولا شفقةَ، سواءٌ أكان وليَّ أُسرَةٍ أو صاحبَ منصبٍ أو ذا سلطانٍ؛ صَغُرت دائرتُه أم كَبُرَت، فهو خالٍ من اللِّينِ، بعيدٌ من الرحمَةِ، يقسُو على رعيَّتِـه، ويشتدُّ عليهم عسْفاً

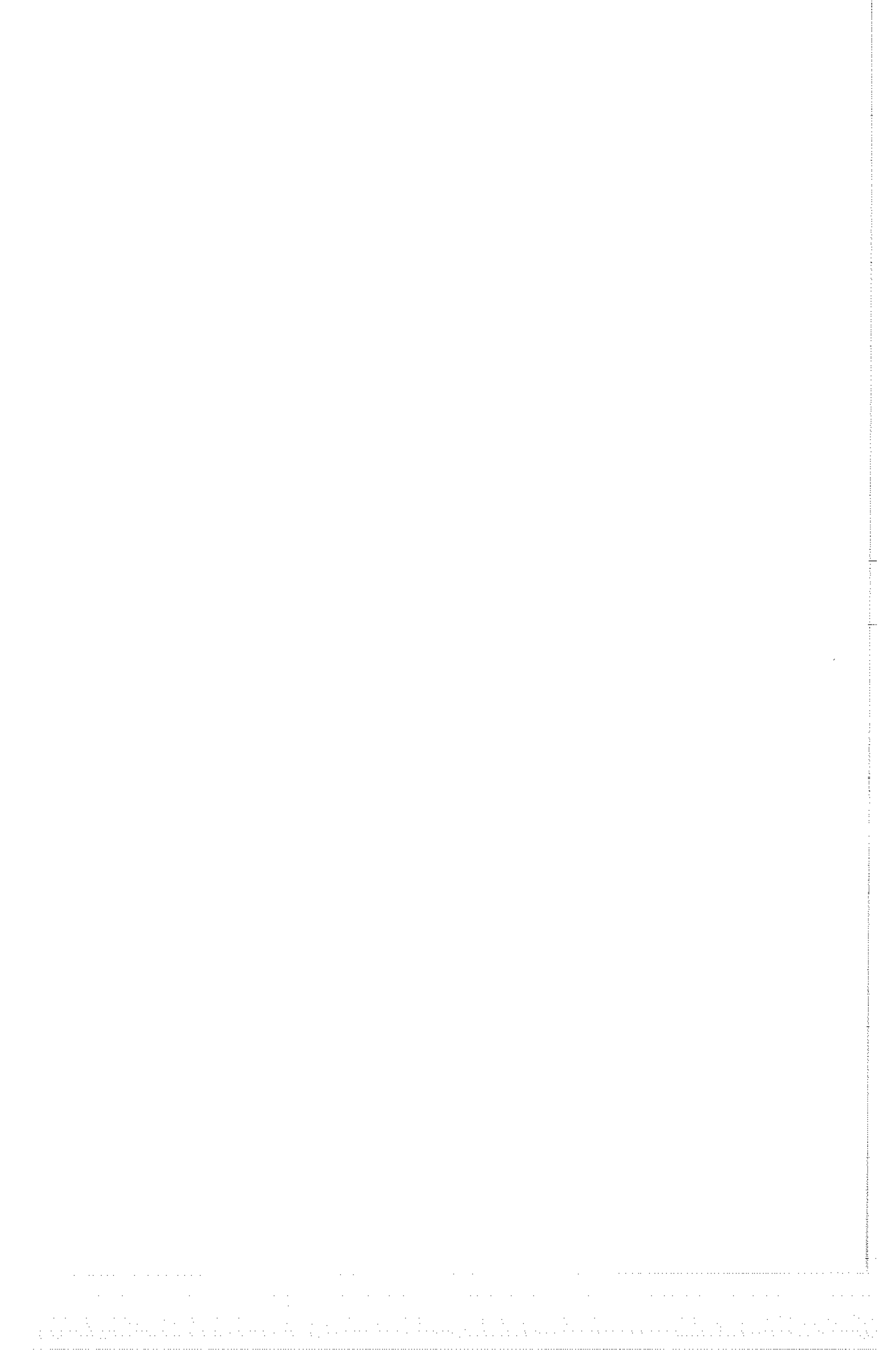
بهم وإحراجاً. وهذا الدُّعاءُ منه ﷺ مُستجابٌ، وهو تأكيدٌ لسنَّةِ اللهِ في عبادِه القاضيَةِ بأنَّ الجزاءَ من جنسِ العملِ.

عباد الله:

وليسَ المرادُ من الرِّفقِ الذي نادى به الإسلامُ، وحثَّ عليه الشرعُ الحنيفُ اللِّينَ مع الضَّعْفِ والخَوَرِ، بل هو رِفقٌ بعزَّةٍ وتكريمٍ، وليسَ المرادُ به كذلك اللِّينَ في المواقِفِ كلِّها، التي قد يتطلَّبُ بعضُها من الشدَّةِ والقسوةِ ما يُحقِّقُ المصالحَ، وتُحفَظُ به الكرامةُ والدِّيانَةُ والشريعةُ، وإنَّما هو حسنُ السياسة والرِّعايةِ، كما قال معاويةُ بن أبي سُفيانَ -رضي الله عنه-: (إنَّ بيني وبينَ الناسِ خيطاً، إن أمهلوه شددتُ، وإن شدُّوه أمهلتُ).

وكان صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه من أرفقِ الناسِ، وألينِهم وأرحمِهم، لكنَّه إذا انتُهِكَتْ حُرماتُ اللهِ، أو اعتُدِيَ عليها لم يَقُمْ لغَضَبه قائمةٌ، كما صحَّ بذلك الحديثُ عن عائشةَ -رضي الله عنه-.

صلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم اللهُ تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ». [رواه مسلم]



ولا تسرفوا إنه لا يحبُّ المسرفين

●الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ على إحسانِه وتوفيقِه، والشُكرُ له على فضلِه وامتنانِه، أحمدُه تعالى وأشكرُه، وأتوبُ إليهِ وأستغفرُه، وأُثني عليه الخيرَ كلَّهَ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، تعظيماً لشأنِه، وإقراراً بعبوديَّتِه وربوبيَّتِه وألوهيَّتِه وكمالِه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، ومصطفاهُ وخليلُه، الدَّاعي إلى رِضوانِه، والمُبلِّغُ للناسِ رسالاتِه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعِه، ومن سارَ على نهجِهم واتّبعَ أثرَهم إلى يومِ القيامةِ وسلَّمَ تسليماً كثيراً مُباركاً فيه.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا ا لله تبارك وتعالى حقَّ التقوى ، وتزوَّدوا من الأعمالِ الصالحةِ للأخرى، وتأهبوا ليوم العرض الأكبر على ا لله، احذروا سخطَه، وابتعِدوا عن أليمِ عقابِه، واعبُدوا ربَّكم، وافعلوا الخيرَ لعلَّكم تُرْحمون.

أيُّها المسلمون:

حُسْنُ الإنفاقِ، وترشيدُ الاستهلاكِ، والاقتصادُ في المعيشَةِ من أهمِّ الوسائلِ التي تملِكُ بها الأُممُ عِزَّتَها، وتحفظُ سيادَتَها، وتستقيمُ أحوالُها، وتُحقِّقُ أهدافَها.

الاقتصادُ والتوسُّطُ في شئونِ المسلمِ كلِّها؛ بَدَنيَّةً كانت أم نفسيَّةً، في المطعَمِ والمشربِ، والمَلْبَسِ والمَرْكَبِ، والمَسْكَنِ والمعيشَةِ، وكلِّ ما يتعلَّقُ بالرَّغَبَاتِ والآمالِ التي يسعى المسلمُ إليها في حياتِه ومعاشِهِ، في مَسْلَكٍ وَسَطٍ، ومَنْهَجٍ عَدْلٍ، لا يَجْنَحُ إلى رهبانيَّةٍ مُغْرِقَةٍ، ولا إلى ماديَّةٍ بهيميَّةٍ جَشِعَةٍ، كلُّ ذلك من أبرَزِ وسائلِ السعادةِ والرَّاحةِ والاطمئنانِ، والعيشِ الحميدِ في الدُّنيا والآخرَةِ.

وإنَّ من الأمورِ التي تهدِمُ اقتصادَ الأفرادِ والجماعاتِ، وتقودُ إلى الفقرِ والمجاعاتِ، وتورثُ الخِزْيَ الهوانَ والنَّدَاماتِ: الإسرافُ والتبذيرُ، فهو قرينُ الكُفْرِ، وبريدُ الكَذِبِ والنِّفاقِ، وسَببُ الهلاكِ والدَّمارِ والفناءِ في الدُّنيا؛

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه:١٢٧].

الإسرافُ من قبائحِ الذنوبِ والعاداتِ، وهو شِعارُ من لا يرجونَ للهِ وَقاراً، ولا يَحْتَرمونَ نِعَمَ اللهِ عزَّ وجلَّ، ولا يَقْدُرُونَها حقَّ قَدْرِها، وهو من الصِّفاتِ الجالِبَةِ لِغَضَبِ اللهِ ونِقْمَتِهِ، يُنافي كمالَ الإيمانِ، ويقودُ إلى طاعةِ الشيطانِ ومعصيَةِ الرَّحمن، يَمْنَعُ محبَّةَ اللهِ سبحانه وتعالى، وهو سببٌ لدخولِ النيرانِ، والحِرْمانِ من الجنَانِ؛ لِما فيه من مُشابَهةِ الشيطان في الإفسادِ وإضاعَةِ المالِ الذي به قِوامُ حياةِ الناسِ، وحِفْظُ معاشِهم، والذي تواطأت الشرائعُ السماويَّةُ، وأجمَعَ الرُّسُلُ قاطِبةً على وجوبِ حِفْظِه والعنايَةِ به، والتَّحْذيرِ من إضاعَتِه.

قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ». [متفقٌ عليه] ؛ ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً ۞ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾ [الأسراء:٢٦-٢٧] ؛ ﴿ يَابَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف:٣١].

قال أنسُ بنُ مالكٍ -رضي اللهُ عنه-: أَتَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي ذُو مَالٍ كَثِيرٍ، وَذُو أَهْلٍ وَوَلَدٍ

وَحَاضِرَةٍ، فَأَخْبِرْنِي كَيْفَ أُنْفِقُ، وَكَيْفَ أَصْنَعُ ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « تُخْرِجُ الزَّكَاةَ مِنْ مَالِكَ؛ فَإِنَّهَا طُهْرَةٌ تُطَهِّرُكَ، وَتَصِلُ أَقْرِبَاءَكَ، وَتَعْرِفُ حَقَّ السَّائِلِ وَالْجَارِ وَالْمِسْكِينِ ». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَقْلِلْ لِي ! قَالَ: «فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ، وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ». فَقَالَ: حَسْبِي! يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا أَدَّيْتُ الزَّكَاةَ إِلَى رَسُولِكَ فَقَدْ بَرِئْتُ مِنْهَا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « نَعَمْ ! إِذَا أَدَّيْتَهَا إِلَى رَسُولِي فَقَدْ بَرِئْتَ مِنْهَا، فَلَكَ أَجْرُهَا وَإِثْمُهَا عَلَى مَنْ بَدَّلَهَا ». [رواه أحمدُ، والطبرانيُّ في الأوسطِ. وقال الهيثميُّ في المجمعِ: ورجالُه رجالُ الصحيحِ].

عباد الله:

الإسرافُ والتبذيرُ داءٌ قتّالٌ، يُنبتُ أخلاقاً مرذولةً، تقودُ المجتمعَ إلى هُوَّةِ الدَّمارِ والضَّياعِ، ويُنتجُ من الصِّفاتِ قبائحَها؛ من الجُبْنِ والبُخلِ، والإمساكِ عن البَذْلِ في وجوهِ الخيرِ، وقلّةِ الأمانةِ، وكم هدَمَ من مجتمعاتٍ، وقوَّضَ من دولٍ وجماعاتٍ كانت عامرةً قائمةً؛ ﴿ **وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً** ﴾ [الإسراء:١٦].

وتصفَّحوا طيَّاتِ التأريخِ، وانظروا كم في الأُمَمِ الماضيةِ المُجاورةِ من حولنا من بيوتٍ كانت عامرةً، وأُسراً كانت غنيَّةً، فاستَسْلَمَتْ للشَّهواتِ، وغلبَ عليها الإسرافُ والتبذيرُ، ففَسَدَتْ أحوالُها، وتَلِفَتْ أموالُها، وتقوَّضتْ تلكَ البيوتُ، وافتقرَتْ تلكَ الأُسَرُ، فحلَّ النَّكَدُ واللؤمُ والنَّدمُ

والحسرَةُ بها، ولاتَ ساعةَ مَنْدَمٍ، وإذا وقعَ الغنيُّ في الفقرِ بعدَ الغِنى تجرَّعَ مرارةَ الهوانِ، وغَصَّ بحَسَراتِ النَّدَمِ، وتجلَّى فيه قولُ الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً** ﴾ [الإسراء:٢٩].

إذا كُنتَ في نِعْمَةٍ فارْعَها ... فإنَّ المعاصي تُزيلُ النِّعَمِ
وحُطْها بِطاعةِ ربِّ العِبَادِ ... فَربُّ العِبادِ سريعُ النِّقَمِ

والإسرافُ -عبادَ اللهِ- معصيةٌ عظيمةٌ من معاصي الجاهليَّةِ الأولى المقوتَةِ، التي أُمرَ المسلمونَ بالبُعْدِ عنها، والحَذَرِ منها، ومن مشابَهتِها؛ فقد كانوا ينحرونَ الإبلَ، ويُبذِّرونَ أموالَهم في الفخْرِ والسُّمْعَةِ والخُيَلاءِ، ويُسرِفونَ في الحروبِ والقتالِ، وأنواعٍ من المعاصي والموبقاتِ التي نهى اللهُ عزَّ وجلَّ المؤمنينَ عنها جميعاً في كتابه العزيزِ، وعلى لسانِ رسوله الأمينِ.

﴿ **وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً** ﴾ [الأسراء:٢٦-٢٧] ؛ وقال رسولُ اللهِ ﷺ : «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلاَ مَخِيْلَةٍ». [رواه البخاريُّ تعليقاً، والنسائيُّ وابنُ ماجةَ موصولاً بسندٍ حَسَنٍ]

وَقالَ ابْنُ عَبَّاسٍ-رضي اللهُ تعالى عنهما-: (كُلْ مَا شِئْتَ وَالْبَسْ مَا شِئْتَ مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ سَرَفٌ أَوْ مَخِيْلَةٌ). [رواه البخاريُّ]

والإسرافُ: هو مجاوزةُ الإنسانِ الحدَّ في كلِّ فعلٍ يفعلُه، وإن كان ذلكَ في الإنفاقِ أشهرَ، وهو التبذيرُ المنهيُّ عنه.

ويخطيءُ في الفهمِ من يظنُّ أنَّ الإسرافَ إنَّما هو في المالِ فقطْ، بل الإسرافُ يتناولُ أمورَ الإنسانِ كلِّها؛ فكلُّ فعلٍ يصدرُ من الإنسانِ مُتجاوزاً فيه الحدَّ والوَسَطَ فهو فيه مُسْرِفٌ.

قال عطاءُ بنُ أبي رباحٍ -رحمه الله- في معنى قولِ اللهِ سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلاَ تُسْرِفُوَاْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ [الأعراف:٣١] ؛ قال: (نُهوا عن الإسرافِ في كلِّ شيءٍ). وقال إيَاسُ بنُ معاويةَ -عليه رحمةُ اللهِ-: (ما جاوزتَ به أمرَ اللهِ فهو سَرَفٌ).

وأعظمُ أنواعِ الإسرافِ خَطَراً وأشدُّها إثماً الإسرافُ في الذنوبِ والعِصْيَانِ، وغِشْيَانِ المحارمِ بلا رقيبٍ ولا حسيبٍ ولا رادعٍ ولا خوفٍ من اللهِ سبحانه؛ ﴿ **وَلاَ تُطِيعُوَاْ أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ** ﴾ [الشعراء:١٥١-١٥٢] ؛ ﴿ **وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ [يونس:١٢].

وعلى من أسرفوا على أنفسِهم في معصيَةِ اللهِ تعالى أن يَخْشَوا عِقابَه، ويخافوا سَخَطَهُ ونِقْمَتَهُ وبَطْشَهُ، ويتوبوا إليه، ويستغفروه، ويلَظُّوا بطاعتِهِ

قبلَ فواتِ الأوان؛ ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزُّمر:٥٣].

عباد الله:

لقد جَنَحَ كثيرٌ من الناسِ إلى الإسرافِ والبَذَخِ والتَّبذيرِ، والتفاخُرِ بأنواعِ المآكلِ والمشارِبِ، والمراكِبِ والمساكِنِ بدافعِ التَّرَفِ أحياناً، وحُبِّ الظُّهورِ والسُّمْعَةِ والمُباهاةِ أحياناً، ومُجاراةِ الناسِ أحياناً أخرى.

والإسرافُ في الإنفاقِ هو البلاءُ العظيمُ، والدَّاءُ الخطيرُ الذي تشكو منه المجتمعاتِ بمرارةٍ، وتتوجَّعُ منه الأُمَمُ بحرارةٍ؛ إذْ نرى الطَّبَقيَّةَ المُتفشيِّةَ في أوسَاطِ الناسِ، والتي تؤذِنُ بحلولِ نِقْمَةِ اللهِ وسَخَطِهِ؛ فبيوتٌ تموتُ من التُّخْمَةِ، وتعيشُ حياةَ التَّرَفِ المُغْرِقِ؛ إسرافٌ وإنفاقٌ لا حدودَ له، وتَفَنُّنٌ في المآكلِ والمشاربِ، واللِّباسِ والمراكبِ والمساكنِ، وأُناسٌ يموتون جوعاً، ويتسلَّلونَ لِواذاً إلى أماكنِ الفَضَلاتِ والقِماماتِ ليجدوا من الطعامِ المرميِّ فيها ما يسدُّونَ به جوعَتَهم، ويُقيمونَ به أَوَدَهم، وقد لا يجدون ما يسترونَ به سؤاتِهم وأجسادِهم.

لَّما نزلَ قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر:٧]. قال الزُّبَيْرُ بنُ العَّوامِ -رضي الله عنه-: يَا رَسُولَ اللهِ! فَأَيُّ النَّعِيمِ نُسْأَلُ عَنْهُ وَإِنَّمَا هُمَا الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ، وَالْمَاءُ ؟! قَالَ: « أَمَا إِنَّهُ سَيَكُونُ ». [رواه الترمذيُّ بسَنَدٍ حَسَنٍ] ؛ ثمَّ روى أبو هُريرةَ عنه ﷺ أنَّه قال: « هَذَا وَالَّذِي

نَفْسِي بِيَدِهِ مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظِلٌّ بَارِدٌ، وَرُطَبٌ طَيِّبٌ، وَمَاءٌ بَارِدٌ ››. [رواه الترمذيُّ، وإسنادُه صحيحٌ]

وقال رسولُ الله ﷺ : ‹‹ مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاَتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ ››. [رواه أحمدُ، والترمذيُّ، وابنُ ماجه، وهو صحيحٌ]

وهذا الحديثُ العظيمُ أصلٌ جليلٌ جامعٌ لأصولِ الطبِّ والسلامةِ، فقد قال ابنُ ماسَوَيْهِ الطبيبُ العربيُّ المسلمُ لَمَّا قرأَ هذا الحديثَ: (لو استعملَ الناسُ هذه الكلماتِ لسَلِموا من الأمراضِ والأسقامِ، ولتعَطَّلَتْ عياداتُ الأطبَّاءِ، ودكاكينُ الصيادلَةِ).

وقال بعضُ السَّلَفِ: (جَمَعَ اللهُ الطِّبَّ كلَّه في نِصْفِ آيةٍ : ﴿ **وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوَاْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ [الأعراف:٣١]).

قال ابنُ عمرَ -رضي الله عنهما-: تَجَشَّأَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ‹‹ كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شِبَعاً فِي الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ››. [رواه ابنُ ماجةَ، والترمذيُّ، وأبو نُعيمٍ في الحِلْيَةِ، وسندُه حسنٌ]

وعن نافعٍ مولى ابنِ عمرَ -رضي الله عنهم- قال: كَانَ ابْنُ عُمَرَ لاَ يَأْكُلُ حَتَّى يُؤْتَى بِمِسْكِينٍ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَأَدْخَلْتُ رَجُلاً يَأْكُلُ مَعَهُ، فَأَكَلَ كَثِيراً، فَقَالَ: يَا نَافِعُ ! لاَ تُدْخِلْ هَذَا عَلَيَّ ! سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ :

«الْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعىً وَاحِدٍ، وَالْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ». [رواه البخاريُّ، وغيرُه]

قال جابرُ بنُ عبدِ اللهِ -رضي اللهُ عنه-: (رأى عمرُ بنُ الخَطَّابِ لحماً مُعلَّقاً في يدي، فقال: ما هذا يا جابرُ ؟! قلت: اشتهيتُ لحماً فاشتريته ! فقال عمرُ: أفَكُلَّما اشتهيتَ يا جابرُ اشتريتَ ؟! أما تخافُ هذه الآيةِ يا جابرُ ؟! ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠]).

أيُّها المسلمون:

إنَّ على المسلمِ أن يتَّقِ اللهَ عزَّ وجلَّ، وأن يبتَعِدَ عن التبذيرِ في الإنفاقِ، وأن يصونَ نعمَةِ اللهِ عن رميِها في النِّفاياتِ، وأن يعودَ بفضلِ مالِه على المُحتاجينَ من إخوانِه المسلمين، وأن يكونَ أسْوَتُه محمداً ﷺ ؛ الذي ماتَ وما ملأَ بطنَه من الشعيرِ، عاشَ مع الفقراءِ والمساكينِ، يجوعُ يوماً ويشبَعُ يوماً، حتَّى لَقْيَ ربَّه سبحانه، وهو الذي ملَكَ من الدُّنيا الكثيرَ، وأَعطى عطاءَ من لا يخافُ الفقرَ، وتلكَ هي القناعةُ الحقيقيَّةُ التي قِيلَ عنها:

هي القناعةُ فالْزَمْها تَكُنْ مَلِكاً ... فيها النعيمُ وفيها راحةُ البَدَنِ
وانظُرْ لِمَنْ ملَكَ الدُّنيا بِإجْمَعِها ... هل راحَ منها بغيرِ القُطْنِ والكَفَنِ

اجتمعَ مالكُ بنُ دينارٍ ومحمدُ بنُ واسعٍ -عليهما رحمةُ اللهِ تعالى- وهما من ساداتِ التابعين، فتذاكرا العيشَ، فقال مالكٌ: ما شيءٌ أفضلُ من أن يكونَ للرَّجلِ غَلَّةٌ يعيشُ فيها. فقال محمدٌ: طوبى لمَنْ وجدَ غَداءً ولم

يَجِدْ عشاءً ، ووجدَ عشاءً و لم يَجِدْ غداءً، وهو عن ا للهِ راضٍ، وا للهُ عنه راضٍ.

بارك ا لله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ ا لله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

** * **

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله كما أمرَ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ ا للهُ وحده لا شريكَ له، إرْغاماً لمن جحدَ به و كفرَ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ ا للهِ ورسولُه سيِّدُ البشرِ، والشافِعُ المُشَفَّعُ في المحشَرِ، صلى ا لله عليه وعلى آله وصحبه السادةِ الغُرَرِ، والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقَبَ المساءُ والبُكَرِ وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعلموا رحمكم الله أنَّ مجاوزةَ الحدِّ والإسرافَ في كلِّ شيءٍ من شئونِ الإنسانِ يضُرُّ بمصالحِ الدُّنيا والآخرةِ، ويُفسِدُ البَدَنَ، ويُذْهِبُ صحَّتَه وقوَّتَه؛ فالإسرافُ في النومِ والسَّهَرِ، والأكلِ والشُّربِ، والحركَةِ والرِّياضةِ، والخَلْوَةِ والمُخالَطَةِ، وغيرِ ذلك من أنواعِ الإسرافِ الممنوعِ، والتجاوزِ الممقوتِ.

والإسلامُ صراطٌ مستقيمٌ، قامَ على العدلِ والتوَّسُّطِ، فهو لا يدعو إلى الرَّهبانيَّةِ والغلوِّ، والملابسِ الرَّديئَةِ، والهيئَةِ المُستنكرَةِ، وليس فيه لجوءٌ إلى المُرَقَّعاتِ مع وجودِ غيرِها ممَّا هو خيرٌ منها، وارتداءِ الخِرَقِ البالياتِ مع تحصيلِ أفضلَ منها، بل هو دينٌ وسَطٌ عدلٌ، يلبسُ فيه المرءُ ما يجِدُ، ويأكلُ ممَّا أنعمَ اللهُ به عليه، ويركبُ ما تيسَّرَ له، ويسكُنُ ما سَمَحت به ظروفُ معيشتِه، غيرُ مُفْرِطٍ ولا مُفرِّطٍ، ولا مُتكلِّفٍ ما ليسَ مِلْكَهُ؛ فإنَّ اللهَ تعالى إذا أنعمَ على عبدٍ من عبادِه أحبَّ أن يرى أثَرَ نعمتِه عليه ظاهراً؛ ﴿ **يَابَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوَاْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف:٣١-٣٢].

ولكن على المسلمِ أن يعتَدِلَ في ذلك ويتوسَّطَ؛ فإنَّ الإنفاقَ ضربانِ: ممدوحٌ ومذمومٌ؛ فأمَّا الممدوحُ: فهو الذي يُكسِبُ صاحبَه العدالةَ؛ وهو بذْلُ ما أوجبَتِ الشريعةُ بذْلَه؛ كالصدَقَةِ المفروضَةِ، والإنفاقِ على النفسِ والعيالِ ومن تحت اليَدِ. والمذمومُ ضربان: إفراطٌ؛ وهو التبذيرُ والإسرافُ. وتفريطٌ؛ وهو التقتيرُ والإمساكُ، وكلاهما منهيٌّ عنه. وخيرُ الأمورِ الوَسَطُ والاعتدالُ.

قال عليٌّ -رضي الله عنه-: (ما أنفقتَ على نفسِكَ وأهلِ بيتِكَ في غيرِ سَرَفٍ ولا تبذيرٍ، وما تصدَّقتَ به فهو لكَ، وما أنفقتَ رياءً وسُمْعَةً فذلك حظُّ الشيطانِ).

وقال الإمامُ ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةُ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ [الفرقان:٦٧] ؛ قال: (أيْ: ليسوا بمبذِّرينَ في إنفاقِهم؛ فيصرِفونَ فوقَ الحاجَةِ، ولا بُخلاءَ على أهليهم؛ فيُقصِّرونَ في حقِّهم فلا يكفونَهم، بل عدلاً خياراً، وخيرُ الأمورِ أوسطُها، لا هذا ولا هذا).

عباد الله:

وإنَّنا في إجازةٍ صيفيَّةٍ، وموسمٍ للاحتفالاتِ، والمناسباتِ والزواجاتِ، والناسُ يُسرِفون في الموائدِ، ويتغالونَ في التكاليفِ للزواجِ وفرشِ البيوتِ،

وتجهيزِ العرائسِ، وإقامَةِ الزِّيجاتِ مِمَّا يندى له جبينُ كلِّ مسلمٍ غيورٍ على أمَّتِه ومجتمعِه، وعلى نِعْمَةِ اللهِ من الزَّوال.

يبعثُهم على ذلك: مُجاراةُ الناسِ ومُراءَاتُهم، وتحكُّمُ النساءِ وأشباهِهنَّ.

ويقبُحُ ذلك حينَ يصدُرُ من الفقراءِ والعالةِ؛ الذين يتكفَّفونَ الناسَ ويستدينونَهم، ويتكلَّفونَ ما لا يُطيقونَ، ويتنافسونَ على ما لا يقدرونَ، ويتحمَّلونَ من الديونِ ما لا يستطيعونَ وفاءَه؛ طَمَعاً في المظاهرِ الكذَّابةِ، وتلبُّساً بما ليسَ فيهم، وتقليداً لما يفعلُه الآخرون.

ويأخُذُكَ الحُزْنُ والألمُ وأنت ترى شباباً وشابَّاتٍ في ريْعَانِ شبابِهم تعْقِدُ عليهم الأُمَّةُ آمالَها، وترجو منهم النُّهوضَ بها يُفنونَ أوقاتِهم ويُبذِّرونَ أموالَهم في اللَّهَثِ وراءِ الأزياءِ والموديلاتِ والموضاتِ، في شتَّى مناحي الحياةِ، وكماليَّاتِ المعيشَةِ، يتغالونَ في اللِّباسِ والمراكِبِ، والمطاعِمِ والمشارِبِ، ويُسرِفونَ في الملابسِ العاريَةِ وشِبْهِ العاريَةِ التي تعُجُّ بها دورُ الأزياءِ، ومحلاَّتُ الملابسِ والأقمشةِ والحُليِّ والمصوغاتِ والمصنوعاتِ؛ ليستروا بذلكَ نقْصَهم، ويدفِنوا عوارَهم بانْهِماكِهم في المُحَقَّراتِ، وولُوغِهم في السَّفَاسِفِ والشَّهواتِ، حتَّى صارَ ذلكَ هَوَساً يبرأُ منه العُقَلاءُ والأتقياءُ.

ولقد قال المصطفى ﷺ : «شِرَارُ أُمَّتِيْ الَّذِيْنَ غُذُّوا بِالنَّعِيْمِ، يأكُلونَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ، ويَلْبَسُونَ أَلْوَانَ الثِّيَابِ، ويَتَشَدَّقُونَ في الكَلاَمِ». [رواه البزارُ في مُسنَدِهِ]

فاتّقوا الله أيُّها المسلمونَ، واحذروا الإسرافَ، والْزَموا الوَسَطَ والاعتدالَ، واشكروا الله على نِعَمِه العظيمةِ عليكم، فبالشُّكرِ تدومُ النِّعَمِ. ثمَّ صلُّوا وسلِّموا رحمكم الله على المبعوث رحمةً للعالمين محمد بن عبد الله عليه أفضلُ الصلاةِ واتمُّ التسليم...

۞ ۞ ۞

حدث الإسراء والمعراج، وأثره في الدعوة

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفُره ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

أوصيكم ونفسي بتقوى ا لله عزَّ وجلَّ فإنّها وصيةُ ا لله تعالى للأولين والآخرين من خلقه : ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ ا للهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ ا للهُ غَنِيّاً حَمِيداً** ﴾ [النساء:١٣١]. تقوى ا للهِ هي النجاةُ والفلاحُ، والسعادةُ والاطمئنانُ، هي الخلفُ من كلِّ شيءٍ، والداعي إلى كلِّ خيرٍ، والعاصم من كلِّ سوءٍ ، ﴿ **ذَلِكَ أَمْرُ ا للهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ا للهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً** ﴾ [الطلاق:٥].

أيُّها المسلمون:

تظَلُّ السيرَةُ النبويَّةُ مَنْبَعاً عَذْباً، ومَوْرِداً صافياً، ينْهَلُ منه المسلمونَ في كلِّ حينٍ، وفي كلِّ مكانٍ، يلتَمِسُونَ العِبَرَ والدروسَ في سيرَةِ خيرِ البريَّةِ وصاحِبِ الرسالةِ النبيِّ المعصومِ ﷺ .

ونعيشُ اليومَ مع آيةٍ باهرَةٍ، ومعجزَةٍ ظاهرةٍ، وحَدَثٍ عظيمٍ، مع مُعْجزَةٍ من مُعْجزاتِ المصطفى ﷺ التي كان ا للهُ عزَّ وجلَّ يؤيِّدُه بها بين الحينِ والآخرَ؛ مع الإسراءِ والمِعْرَاجِ.

بعدَ عشرِ سنواتٍ من الدَّعوَةِ ابتدَأت بتلَقي الوحيِ في غَارِ حِراءٍ، ومَضَتْ تَشُقُّ طريقَها في قلوبِ الفتيانِ من قريشٍ، وفي عالمِ الجنِّ على يَدِ وفْدِ جنِّ نَصيبين، وتتَجاوَبُ أصداؤُها في قبائلِ العربِ كلِّها من خِلالِ

لقاءاتِ الرَّسولِ ﷺ مـع وُفـودِ العـربِ في أسـواقِهم، ومواسِـمِهم، وتَصِـلُ بتابعيها إلى بلادِ النَّجاشـيِّ في الحَبَشَـةِ، فتُثْمِـرُ الإسـلامَ والحِمايَـةَ والدعـوةَ والنُّصْرَةَ.

وكان المشركونَ في مكَّةَ يبُثُّونَ سمومَهم ودِعَايَتَهم في كـلِّ مكـانٍ ضـدَّ الدَّعوةِ الجديدةِ، ويؤلِّبونَ العربَ على حَـرْبِ رسـولِ اللهِ وأتباعِـه، ورَمْيِـهِ بالكِهانَةِ مرَّةً، وبالسِّحْرِ أُخرى، وبالجنونِ ثالثةً، ويُطاردونَـه هـو وأصحابَـه أينما حلوُّا وحيثُما ذهبوا.

وشاءَت إرادةُ اللهِ سبحانه وتعالى أن يَتوفَّى عمَّـهُ أبـا طـالبٍ، وزوجَـهُ خديجَةَ، وقد كانا له سَنَداً وقوَّةً، يُدافعانِ عنــه، ويواسـيانِه، ويُعزِّيانِـه علـى مُصابه في قومِه، وتكذيبِهم له، وعداوَتِهم له؛ يُصوِّرُ ذلك قولُـه ﷺ : «مَـا نَالَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شيئاً أكرَهُهُ حتَّى تُوفِّيَ عمِّي أبو طالبٍ». [رواه ابـنُ هشـامٍ في السيرة]

وفي ظِلِّ هذه الظروفِ القاسيَةِ اشتدَّ الأذى على الرَّسولِ ﷺ وصحابَتِـه حتَّى ضاقَتْ عليهم الأرضُ بما رَحُبَتْ، والرَّسولُ ﷺ مع ذلك صـابرٌ لأمـرِ اللهِ، لا تـأخُذُه في اللهِ لومـةُ لائـمٍ، يدعـو إلى الإســلامِ، ويُبلِّـغُ عــن اللهِ رسالاتِه؛ يقومُ ﷺ في جُنْحِ الظلامِ، ويرفَعُ يديهِ إلى الحــيِّ القيـومِ، ويقـولُ: «اللَّهُمَّ اهْدِ قومي واغْفِرْ لهم فإنَّهم لاَ يَعْلَمونَ». [رواه البخاريُّ ومسلمٌ]

وكان الله سبحانه وتعالى مع نبيِّه يؤيِّدُه بالآياتِ، ويُعَزِّيه بالوحي بينَ الفَيْنَةِ والأُخرى، ويُسَلِّيْه بقَصَصِ الأنبياء والرُّسُلِ السابقين، الذين منهم من لَبِثَ في قومِه ألفَ سَنَةٍ إلاَّ خمسينَ عاماً، ولم يؤمنْ معَه إلاَّ اثنا عشرَ رجُلاً.

قال ﷺ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الأَنْبِيَاءُ اللَّيْلَةَ بِأُمَمِهَا فَجَعَلَ النَّبِيُّ يَمُرُّ وَمَعَهُ الثَّلاثَةُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الْعِصَابَةُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، حَتَّى مَرَّ عَلَيَّ مُوسَى مَعَهُ كَبْكَبَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَعْجَبُونِي، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلاَءِ ؟ فَقِيلَ لِي: هَذَا أَخُوكَ مُوسَى مَعَهُ بَنُو إِسْرَائِيلَ. قَالَ: قُلْتُ: فَأَيْنَ أُمَّتِي ؟ فَقِيلَ لِيَ: انْظُرْ عَنْ يَمِينِكَ ! فَنَظَرْتُ، فَإِذَا الظِّرَابُ قَدْ سُدَّ بِوُجُوهِ الرِّجَالِ، ثُمَّ قِيلَ لِيَ: انْظُرْ عَنْ يَسَارِكَ فَنَظَرْتُ فَإِذَا الأُفُقُ قَدْ سُدَّ بِوُجُوهِ الرِّجَالِ، فَقِيلَ لِي: أَرَضِيتَ ؟! فَقُلْتُ: رَضِيتُ يَا رَبِّ ! رَضِيتُ يَا رَبِّ!». [رواه أحمدُ]

وذاتَ ليلَةٍ جلَسَ ﷺ في بيتِ أُمِّ هانئٍ بنتِ عمِّه أبي طالبٍ -رضي الله عنها-، فصلَّى العِشاءَ الآخرةَ، ثمَّ نامَ عندَها، فأَذِنَ الله سبحانه وتعالى له بالإسراءِ والمِعْرَاجِ، فأتاه جبريلُ عليه السلامُ بالبُراقِ؛ وهو دابَّةٌ بيضاءُ طويلةٌ، فوقَ الحمارِ ودونَ البَغْلِ، يَضَعُ حافِرَه عندَ مُنتهى طَرْفِهِ.

فرَكِبَ عليه المصطفى ﷺ حتَّى أتى بيتَ المقدِسِ، فربَطَه بالحَلَقَةِ التي يربُطُ بها الأنبياءُ، ثمَّ دخلَ المسجدَ، فلمَّا دخلَ وجدَ فيه إبراهيمَ وموسى وعيسى في نفرٍ من الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ، فأمَّهم وصلَّى بهم ركعتين؛ وفي هذا دلالَةٌ على فضلِه ﷺ على سائرِ الأنبياءِ والرُّسُلِ.

ثمَّ جاءَه جبريلُ عليه السلامُ فشَقَّ صدرَه ﷺ واستخرَجَ قلبَه وغسَلَه، وهذه هي المرَّةُ الثانية؛ فالمرَّةُ الأولى كانت في باديَةِ بني سَعْدٍ، وهو طفلٌ صغيرٌ يرعى البَهَمَ مع أطفالِ جيرانِ أُمِّه من الرَّضاعَةِ حليمَةِ السَّعْديَّة.

ثمَّ جاءَه بإناءٍ فيه خَمْرٌ، وآخرَ فيه لَبَنٌ، فاختارَ ﷺ اللَّبَنَ، فقال له جبريلُ: «اخترتَ الفِطْرَةَ».

ثمَّ عُرِجَ به تلكَ الليلَةَ من بيتِ المقدِسِ إلى السماءِ الدُّنيا، فاسْتَفْتَحَ له جبريلُ، ففُتِحَ له، فوجدَ آدمَ أبا البشرِ عليه السلامُ، وكان جالساً تُعرَضُ عليه أرواحُ ذُرِّيَّتِه من بني آدمَ، فيقولُ لبعضِها إذا عُرِضَتْ عليه خيراً، ويقول: روحٌ طيِّبَةٌ خرَجَت من جَسَدٍ طيِّبٍ. ويقولُ لبعضِها: روحٌ خبيثَةٌ خرَجَتْ من جَسَدٍ خبيثٍ.

ثمَّ لم يَزَلْ جبريلُ يسْتَفْتِحُ له كلَّما دخلَ سماءً حتَّى بلغَ السماءَ السابعَةَ، فرأى الجنَّة والنارَ، وعُرِجَ به إلى سِدْرَةِ المُنتهى، ورأى ما فيها من عجائبِ الخلقِ، وبدائعِ الصُّنْعِ؛ ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم:١٨].

بعدَ ذلك عُرِجَ به إلى الجبَّارِ جلَّ جلالُه، فدَنا منه حتَّى كان قابَ قوسينِ أو أدنى، فأوحى إلى عبدِه ما أوحى إليه. والصحيحُ عندَ أهلِ العلمِ والمُحدِّثينَ: أنَّه ﷺ لم يرَ ربَّه تلكَ الليلَةَ؛ لِما روى مسلمٌ في صحيحِه عن مَسْرُوْقٍ قال: كُنْتُ مُتَّكِئاً عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: «يا أَبا عَائِشَةَ! ثَلاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ. قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ. قَالَ: وَكُنْتُ

مُتَّكِئاً فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ! أَنْظِرِينِي وَلاَ تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ** ﴾ ؛ ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى** ﴾. فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: « إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ؛ رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطاً مِنَ السَّمَاءِ سَادّاً عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ». فَقَالَتْ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ ؛ أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ** ﴾ ... الحديثُ».

ثمَّ فرضَ اللهُ عليه الصلواتِ خمسينَ صلاةً في اليومِ والليلَةِ، فلمَّا رجعَ إلى موسى عليه السلامُ قال له: ارْجِعْ إلى ربِّكَ فسئَلْهُ التَّخفيفَ؛ فإنِّي قد بلوتُ بني إسرائيل، وإنَّ قومَكَ لا يُطيقونَ ذلك. قال رسولُ اللهِ ﷺ - كما في روايَةِ مسلمٍ-: « فَلَمْ أزَلْ أذْهَبُ بينَ ربِّي وموسى، حتَّى خَفَّفَها اللهُ خمسَ صلواتٍ ». قال موسى: اذْهَبْ إلى ربِّكَ فسئَلْهُ أن يُخَفِّفَ فيها. فقال ﷺ : « إنِّي رَجَعَتُ إلى ربِّي حتَّى استَحْيَيْتُ منه ». فَفُرِضَتْ الصلواتُ الخمسُ، والحَسَنَةُ بعَشْرِ أمثالِها، فكانت خمساً في الفعلِ، وخمسينَ في الأجرِ.

كان المصطفى ﷺ رحيماً بأمَّتِه، شَفيقاً عليهم، واللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ؛ ﴿ **لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ**

أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

حرِصَ ﷺ أن تكونَ شريعته سَمْحَةً سَهْلَةً مُيَسَّرَةً، ولكم أن تتصوَّروا الحالَ لو تركَها النبيُّ ﷺ خمسينَ صلاةً و لم يسألْ ربَّه التخفيفَ على أُمَّتِه أَكَانَ المسلمونَ يُحافِظونَ عليها ؟ خمسُ صلواتٍ في اليومِ والليلَةِ، ونحنُ بينَ مُضيِّعٍ لها، ومُفَرِّطٍ في بعضِها وا لله المستعانُ، فكيفَ لو كانت خمسينَ صلاةً في الفعلِ؛ ولكنَّها الشريعَةُ السَمْحَةِ والدينُ اليُسْرُ؛ ﴿ **وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُواْ بِا للهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ**﴾ [الحج:٧٨].

وفي تلكَ الليلَةِ رأى النبيُّ ﷺ ما يهولُ الفؤادَ من أحوالِ العُصاةِ من أُمَّتِه؛ فقد رأى رجالاً من أمَّتِه لهم مشَافِرُ كمشافِرِ الإبلِ، في أيديهم قِطَعٌ من نارٍ كالأفهارِ يقذفونها بأفواهِهِم، فتخرُجُ من أدبارِهم، فقال: من هؤلاءِ يا جبريلُ ؟ قال: هؤلاءِ أَكَلَةُ أموالِ اليتامى ظُلماً؛ ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً**﴾ [النساء:١٠].

ثمَّ رأى رجالاً لهم بطونٌ لم يرَ مثلَها قطُّ في طريقِ آلِ فرعونَ إلى النارِ، يمرُّونَ عليهم كالإبلِ المهيومَةِ حينَ يُعرَضونَ على النارِ فيَطَؤنَهم، لا

يقدِرونَ على أن يتحوَّلوا من مكانِهم ذلك. قال: من هؤلاءِ يا جبريلُ ؟ قال: هؤلاءِ أَكَلَةُ الرِّبا ؛ ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥].

ورأى رجالاً بين أيديهم لحمٌ سَمينٌ طيِّبٌ إلى جنبه لحمٌ غَثٌّ مُنتِنُ الرائحةَ، يأكلونَ من الغَثِّ المُنْتِنِ، ويتركونَ السمينَ الطيِّبَ. فقال: من هؤلاءِ يا جبريلُ ؟ قال: هؤلاءِ الذين يتركونَ ما أحلَّ اللهُ لهم من النِّساءِ، ويذهبونَ إلى ما حرَّمَ عليهم منهُنَّ، وهم الزُّناةُ، والعياذُ باللهِ.

ورأى نساءً مُعلَّقاتٍ بِثُدِيِّهِنَّ. فقال: من هؤلاءِ يا جبريلُ ؟ قال: هؤلاءِ اللاتي أدخلنَ على أزواجِهنَّ من ليسَ من أولادِهم؛ أيْ: بالزِّنا. [وهذه الرِّوايات في الصحيح؛ رواها ابنُ هشامٍ في السيرة، وابنُ سعدٍ في الطبقات، وإسنادُها صحيحٌ]

وبعدَ ذلك عادَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى الأرضِ؛ إلى مكَّةَ من ليلَتِه، ورجعَ كما كانَ في فراشِه في بيتِ أمِّ هانئ. قالت: فلمَّا كان قُبَيْلِ الفجر أيْقَظنا رسولَ اللهِ، فلمَّا صلَّى الصبحَ، وصلَّينا معه، قال: يا أُمَّ هانئ ! لقد صلَّيتُ معَكم العشاءَ الآخرَةَ كما رأيتِ بهذا الوادي، ثمَّ جئتُ المقدِسَ فصلَّيتُ فيه، ثمَّ قد صلَّيتُ صلاةَ الغداةِ معكم الآنَ كما ترينَ.

فقامَ لِيَخْرُجَ، فأخَذتْ بطرَفِ ردائه فقالت له: يا نبيَّ الله! لا تُحدِّثِ الناسَ بهذا فيُكذِّبوكَ ويؤذوكَ. قال: والله لأُحَدِّثهموه. فخرَجَ على الناسِ، ثمَّ دَنا من الكعبَةِ حتَّى جلَسَ عندَ الحِجْرِ مهموماً حَزيناً ساكتاً.

قال ابنُ كثيرٍ -رحمه الله-: (وقد عايَنَ في تلكَ الليلَةِ من الآياتِ والأمورِ التي لو رآها غيرُه لأصبحَ مُندَهِشاً أو طائشَ العقلِ، ولكنَّه ﷺ أصبحَ واجماً؛ أيْ: ساكِناً، يخشى إن أخبرَ قومَه بما رأى أن يُبادروا إلى تكذيبه).

وهو جرَّبَ معَهم قبلَ ذلكَ؛ فقد كانوا يسألونَه المُعْجزاتِ والآياتِ التي تُثْبتُ نبوَّتَه، فإذا أيَّدَهُ الله بها كذَّبوه، ورموهُ بالسِّحرِ والكِهانَةِ، سألوه مرَّةً أن يَشُقَّ لهم القمرَ، قال: فإن حدَثَ ذلك أتؤمنونَ بي؟ قالوا: نعم! فرفَعَ يديه إلى السماءِ، ودعى الله أن يَشُقَّ القمرَ، فانشَّقَ القمرُ فِلْقَتين، فلمَّا رآوه كذَّبوه، وقالوا: ما هذا إلاَّ سِحْرٌ، سَحَرَنا محمَّدٌ، سَحَرَنا محمَّدٌ؛ قال الله تعالى: ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرِ * وَإِن يَرَوْاْ آيَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ * وَكَذَّبُواْ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مّسْتَقِرٌّ * حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِي النُّذُرُ**﴾ [القمر:١-٤].

والله سبحانه وتعالى قد أخَذَ عليه العهدَ أن يُبلِّغَ الرِّسالةَ إلى الناسِ ولو نالَه الأذى الشديدُ، وحسابُه على الله، وهو ناصرهُ ومُعينُه؛ ﴿ **يَـا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَـآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [المائدة:٦٧].

فلم يكُنْ أمامَه ﷺ إلاَّ إخبارُهم؛ علَّهم أن يُصَدِّقوه، ويؤمنوا به، وبينما هو جالسٌ في المسجدِ جاءَهُ أبو جَهْلٍ -عليه من الله ما يستحقُّه- فرآه مهموماً واجماً، قال: مالكَ يا محمَّدُ، هل من خَبَرٍ ؟! قال: نعم ! فقال: وما هو ؟ قال: إنِّي أُسْرِيَ بي الليلَةَ إلى بيتِ المقدسِ. قال: إلى بيتِ المقدس ؟!! قال: نعم ! فأخذَ أبو جَهْلٍ يسْخَرُ ويهزأُ ويقولُ: نَشُدُّ الرِّحالَ إلى بيتِ المقدِسِ الشَّهرَ والشَّهرين لا نَصِلُهُ، وتَصِلُهُ أنتَ في بِضْعِ ساعاتٍ ! ولم يعلَم هذا المشرِكُ المُعانِدُ أنَّ الله سبحانه وتعالى على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّ قُدرتَه لا تَخْضَعُ لعقولِ البشرِ وقياساتِهم، فهو العليُّ العظيمُ، المُتصرِّفُ في الكون كيفَ يشاءُ، إذا قضى أمراً فإنَّما يقولُ له كُنْ فيكونُ.

فأخَذَ أبو جَهْلٍ يُنادي في الناسِ حتَّى اجتمعوا من نواديهم؛ ليَسْمعوا هذا الخبرَ الجديدَ، وهذا الهُراءَ الذي جاءَ به محمَّدٌ -كما يُزْعُمُ أبو جَهْلٍ-، فلمَّا اجتمعوا قال أبو جَهْلٍ: هيَّا يا محمَّدُ أخبِرْ قومَكَ بما أخبرتني به، فقَصَّ عليهم رسولُ اللهِ ﷺ خبرَ ما رأى في ليلَتِه تلكَ، وأنَّه أتى بيتَ المقدِسَ وصلَّى فيه. فطارَ الناسُ بين مُكَذِّبٍ ومُصدِّقٍ، وارتَدَّ كثيرٌ ممَّن أسلَمَ، ولم يُصَدِّقْهُ إلاَّ نفرٌ قليلٌ.

وهذا من حِكْمَةِ اللهِ تعالى؛ لأنَّ الدَّعوةَ تتعرَّضُ لمرحَلَةٍ جديدةٍ من الكِفَاحِ، تحتاجُ إلى رجالٍ صادقينَ ثابتينَ، مُقْتَنِعين بالإسلامِ، فكانَ هذا بلاءً مُبيناً ليُمَحِصَّ اللهُ الذينَ آمنوا ويمحقَ الكافرينَ.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً﴾ [الإسراء: ٦٠].

أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله ربِّ العالمين، ولا عُدوانَ إلاَّ على الظالمين، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، إلَهُ الأولينَ والآخرينَ، وقيُّومُ يومِ الدينِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه، المبعوثُ إلى العالمينَ أجمعينَ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فيا أيُّها الناس: اتَّقـوا ا لله تبـاركَ وتعـالى واشـكروه وأطيعـوه وراقبـوه، أنيبوا إليه وأعتصموا بحبلِه، وآمنوا بما جاءَ به رسـولُه ﷺ ، واعلمـوا أنَّكـم ملاقوه.

عبادَ ا لله:

ما إن سَمِعَ بعضُ الناسِ خبرَ الإسراءِ والمِعْراجِ حتَّى انطلَقَ إلى أبي بكـرٍ -رضي ا للهُ عنه- فقالوا: أمَا سَمِعتَ ما قالَ صاحِبُكَ ؟! قال: ومـا قـالَ ؟ قالوا: يقولُ إنَّه البارِحَةَ أتى بيتَ المقـدِسَ فصلَّـى فيـه ! قـالَ: أَوَقـالَ لكـم ذلكَ ؟ قالوا: نعم ! قال: إذنْ فقد صدَقَ !

ثمَّ جاءَ إلى رسولِ ا للهِ ﷺ والمشركونَ حولَهُ، وقـال: يـا رسـولَ ا للهِ ! إنِّي أعرِفُ بيتَ المقـدسَ، فَصِفْـهُ لي. قـال رسـولُ ا للهِ ﷺ : فَرُفِـعَ لي بيـتُ المقدِسَ حتَّى نظرتُ إليه، وجعلَ ﷺ يَصِفُهُ لأبـي بكـرٍ، وأبـو بكـرٍ يقـولُ: صدَقتَ أشهدُ أنَّكَ رسولُ ا للهِ، حتَّى انتهى. فقال رسولُ ا للهِ ﷺ له: أنتَ يا أبا بكرٍ الصِّدِّيقُ، فسَمَّاهُ يومَها الصِّدِّيقَ.

أمَّا المشركونَ فبُهِتوا، وجعلوا يقولونَ: وما آيةُ ذلك يا محمَّـدُ ؟ فإنَّـا لم نسمَعْ بمثلِ هذا قَطُّ ! قال: « آيةُ ذلكَ: أنِّي مرَرتُ بِعِيرِ بني فُلانٍ بـوادي كذا وكذا، فأنْفَرَهـم حِسُّ الدَّابَةِ، فَنَدَّ لهم بعيرٌ، فَدَلَلْتُهم عليـه، وأنـا موجِّـهٌ إلى الشـامِ، ثـمَّ أقبلـتُ حتَّـى إذا كنـتُ بِضَجْنـان مـرَرْتُ بعـيرِ بـني فـلانٍ

فوجَدتُ القومَ نياماً، ولهم إناءٌ فيه مـاءٌ، قـد غَطَّوا عليـه بشـيءٍ، فكَشَـفتُ غِطاءَهُ، وشَرِبْتُ ما فيه، ثمَّ غَطَّيْتُهُ كما كان. وآيةُ ذلـك: أنَّ عِـيْرَهـم الآنَ تُصَوِّبُ (أي: تَقْرُبُ) من البيضاءَ؛ ثَنِيَّةِ التنعيمِ، يَقْدُمُها جَمَلٌ أَوْرَقٌ، عليه غِرارتان؛ إحداهُما سوادءُ، والأُخرى بَرْقاءُ ». [رواه ابنُ هشامٍ في السيرة]

قالوا: يا محمَّدُ ! ومتى يقدُمونَ ؟ قـال: « يـومَ الأربعـاءَ ». فلمَّـا كـان ذلكَ اليومُ و لم يَقْدُموا حتَّى أوشَكَتِ الشمسُ على الغروبِ، فقامَ ﷺ فدعا ا للهَ، فحَبَسَ الشمسَ حتَّى قَدِموا كمـا وصَـفَ، فـابْتَدرَ المشـركونَ الثنيَّـةَ فوافَاهم الجملُ الأَوْرَقُ الذي وصفَ لهم، وسألوهم عـن الإنـاءِ فأخـبروهم أنَّهم وضعوه مملوءاً ماءً، ثمَّ غَطَّوه، وأنَّهم هبُّوا -يعني: استيقَظوا- فوَجدوه مُغَطَّىً كما هو، وليسَ فيه ماءٌ، وسألوهم عن البعـيرِ الـذي شـرَدَ، فقـالوا: صدَقَ وا للهِ، لقد أنفَرَنا في الـوادي الـذي ذكـرَه، ونَـدَّ لنـا بعـيرٌ، فسَـمِعْنا صوتَ رَجُلٍ يدعونا إليه حتَّى أخذناه. [رواه ابنُ هشامٍ في السيرة]

تلـكَ هـي أحـداثُ قصَّـةِ الإسـراءِ والمِعْـراجِ مُلَخَصـةٌ تحمـلُ في طيَّاتِهـا الآياتِ العظيمةَ، والمعجزاتِ الكبيرةَ، بعضُها أعظَمُ من بعـضٍ، ولكـن أيـنَ القلوبُ الرشيدةُ.

لقـد كـانت وَقْعَـةُ الإسـراء والمعـراجِ أكـبرَ برهـانٍ لتصديـقِ النـبيِّ ﷺ والإيمانِ به من كُفَّارِ مكَّةَ، ولكنَّ الهدايَةَ بيَدِ ا للهِ سبحانه وتعالى، ولو علـمَ ا للهُ فيهم خيراً لأسمَعَهم.

عبادَ الله:

ومعَ عِظَمِ هذه القصَّةِ وما حَمَلتْ من الدُّروسِ والعِبَرِ إلاّ أنَّها لا تعدو أن تكونَ تسليَةً للرسولِ الكريمِ ﷺ ، وآيـةً لكُفَّـارِ مكَّـةَ لعلَّهـم يتَّقـونَ أو تُحْدِثُ لهم ذِكْراً، وقد اعتادَ بعضُ الناسِ في القرونِ المتأخِّرَةِ على الاحتفالِ بها، وإقامَةِ الأفراحِ ليلَتَها، وزيادةَ العبادةِ فيها ، والاعتمار ونحو ذلك، وهذه بِدْعٌ مُنْكَرَةٌ لم يفعلْها من وقَعَتْ له وهو النبيُّ ﷺ فضلاً عن القرون المفَضَّلَةِ من الصحابَةِ والتابعين ومن بعدَهم. إضافةً إلى أنَّ تحديدَ زمنٍ معيَّنٍ للإسراءِ والمعراجِ لم يَثْبُت من طريقٍ صحيحٍ يُحتَجُّ به.

فعلى المسلمين أن ينتَبهوا لهذا فإنَّ الدينَ مبناهُ على الاتِّباعِ والاقتداءِ لا على الابتداعِ والادِّعاءِ.

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١].

هذا وصلُّوا وسلِّموا رحمكم الله على المبعوث رحمةً للعالمين محمد بن عبد الله عليه أفضلُ الصلاةِ واتمُّ التسليم...

❧ ❧ ❧

بل الرفيق الأعلى

●الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي أرسلَ رسولَه بالهدى ودين الحقِّ؛ ليُظهره على الدين كلِّه ولو كره المشركون، أحمدُه تعالى حمداً يليقُ بجلاله وعظمته، وأشكرُه سبحانه شكراً يوازي فضلَه ونعماءَه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، لا معبودَ بحقٍّ سواه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه، ومصطفاهُ وخليلُه، شرحَ الله صدرَه، ورفعَ في العالمين ذكرَه، وجعلَ الذِّلَّةَ والصَّغَارَ على من خالفَ أمرَه، صلواتُ ربي وسلامُه عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستَّن بسنته إلى يوم الدين.

أمَّا بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا الله تبارك وتعالى حقَّ التقـوى ، وتـزودّوا مـن الأعمـالِ الصالحـةِ للأخرى، وتأهبوا ليوم العرض الأكبر على الله، ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَـىَ مِنكُمْ خَافِيَةٌ** ﴾ [الحاقة:١٨].

أيُّها المسلمون:

إنَّ أعظمَ نعمةٍ امتنَّ اللهُ تعالى بها على البشرية جمعاء هي بعثـةُ الحبيـب المصطفى؛ محمد بن عبد الله ﷺ ، بعثَه اللهُ سـبحانه علـى حـين فـترةٍ مـن الرسل، قد أظلمت على الناس الدنيا، وعمّت الوثنيَّـةُ، وفشـت المصـائبُ، واستُبيحت المحرَّماتُ، وعُبِدت الأحجارُ والأشجارُ، فجاءت نبوَّةُ المصطفى ﷺ كالغيثِ بعدَ طولِ الجَدْبِ، وكـالفرَجِ بعـد عمـومِ الشـدَّةِ والـلأْواءِ، وكالقمر يطلعُ على الدنيا بعد ظلامٍ ومتاهاتٍ عظيمةٍ.

قال اللهُ عزَّ وجلَّ - مصوِّراً عِظَمَ هذه النعمةِ على الناس -: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِـهِ وَيُزَكِّيهِـمْ وَيُعَلِّمُهُـمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَإِن كَـانُواْ مِـن قَبْـلُ لَفِـي ضَـلالٍ مُّبِـينٍ**﴾ [آل عمران:١٦٤].

وجَدَهم ضُلاَّلاً فهداهـم اللهُ علـى يديـه، ومتفرِّقـينَ فجمعَهـم اللهُ بـه، وعالةً فأغناهم اللهُ به، تآلفت عليه القلوبُ، واجتمعَـت عليـه الصفـوفُ، وتوحَّدت به الكلمةُ.

يقولُ جعفرُ بنُ أبي طالبٍ -رضي الله عنه- وهو يذودُ عن المهاجرين الأولين إلى الحبشةِ، أمامَ ملكِها النجاشيِّ: (كُنَّا قوماً أهلَ جاهليَّةٍ، نعبدُ الأصنامَ، ونأكلُ الميتةَ، ونأتي الفواحشَ، ونقطعُ الأرحامَ، ونُسيءُ الجوارَ، ويأكلُ منَّا القويُّ الضعيفَ، فكُنَّا على ذلكِ حتى بعثَ الله إلينا رسولاً منَّا، نعرفُ نسبَه وصدقَه وأمانتَه وعفافَه، فدعانا إلى اللهِ؛ لنوحِّدَه، ونعبُدَه، ونخلعَ ما كُنَّا نعبدُ نحنُ وآباؤنا من دونه؛ من الحجارةِ والأوثانِ، وأمرَنا بصدقِ الحديثِ، وأداءِ الأمانةِ، وصلَةِ الرحمِ، وحُسْنِ الجوارِ، والكفِّ عن المحارمِ والدماءِ، ونهانا عن الفواحشِ، وقولِ الزورِ، وأكلِ مالِ اليتيمِ، وقذفِ المحصناتِ، وأمرَنا أن نعبدَ الله وحدَه لا نُشركُ به شيئاً، وأمرَنا بالصلاةِ والزكاةِ والصيام....) [رواه ابنُ هشام في السيرة]

كانت هذه حالُ العربِ قبلَ البعثَةِ، ونعمةُ اللهِ وفضلُه عليهم ببعثَةِ سيِّدِ المرسلين، وخاتَمِ الأنبياءِ، صلواتُ الله وسلامُه عليه.

واستمرَّت دعوةُ النبيِّ المصطفى ﷺ ثلاثاً وعشرينَ عاماً، من الجهادِ لرفعِ رايةِ التوحيدِ، وقَمْعِ الشركِ، ومحاربةِ الأوثانِ؛ أعوامَ صبرٍ، وجهادٍ، وتضحيَةٍ، امتزَجت فيها النَّعْمَاءُ بالبأساءِ، والشدَّةُ بالرخاءِ، والانتصارُ بالأذى، حتّى بلَّغَ الرسالةَ، ومحى آثارَ الوثنيَّةِ، وطَهَّرَ الجزيرةَ العربيةَ من أدرانِ الشركِ والجاهليَّةِ، ونصحَ الأمَّةَ، وكَمُلَت به الشريعةُ، وتمَّتِ النعمةُ على البشريَّةِ، يؤيدُه في ذلك ويُناصرُه - بعدَ اللهِ سبحانه - أصحابُه الكرامُ - رضوانُ اللهِ تعالى عليهم -؛ الذين ضحَّوا بالأهلِ والمالِ والولَدِ

فِي سبيلِ الإسلام، ابتغاءَ الجَنّةِ التِي عرضُها السمواتُ والأرضُ، أعدَّها الله تعالى للنبيِّين والصِّديقين والشهداءِ والصالحينَ وحَسُنَ أولئك رفيقاً.

أحبُّوه حتى على أنفسِهم وأهليهم، ونصروه حتى على آبائهم وبنيهم وإخوانِهم وعشيرَتِهم، يُفدُّونَه بأرواحِهم، ويُدافعونَ عنه بما استطاعوا من قوّةٍ، وما أوتوا من طاقةٍ.

وبعدَ ثلاثٍ وعشرينَ سنةً من هذه النعمَةِ والبطولةِ، وما كادت أعيُنُ الصحابةِ تكتحلُ برؤيَةِ رسولِ اللهِ ﷺ وقد اطمئنَّ إلى نصرِ اللهِ له، وانتشارِ الإسلامِ، حتى فُجِعَ المسلمونَ بكارثةٍ عظيمةٍ، وفُتِنوا بمصيبةٍ دهياءَ، وخطبٍ جَلَلٍ؛ كدَّرَ على صحابتِهِ ما نعموا به من الانتصار، وما نالوا من الفوزِ والظهورِ، والعاقبةِ الحسَنَةِ.

إنَّها مصيبةٌ عظيمةٌ؛ أجهَشت نفوساً، وأبكَت عيوناً، وأدمَت قلوباً، وفَتَنت أقواماً، وأذِنَت بعدها بالفِتَنِ والبلايا؛ إنَّها مصيبةُ فَقْدِ النبيِّ ﷺ.

عباد الله:

حجَّ النبيُّ ﷺ في العامِ العاشرِ من هجرَتِه حجَّةَ الوداعِ؛ التي اجتمعَ له فيها من الصحابة الكرام قُرابَة مئةِ ألفٍ أو يزيدون؛ اجتمعوا له في صعيد المشاعرِ المقدَّسةِ، يتسابقون إلى خدمَتِه، ويتنافسون في القربِ منه، والسماعِ منه، والاستجابةِ له، وتنفيذِ أوامرِه؛ في أبهى صورةٍ عرفَها التأريخُ من صورِ الحبِّ والولاءِ، والسمعِ والطاعةِ.

وكان ﷺ بينَ الفَيْنَةِ والأُخرى يودِّعُهم قائلاً: « اسمعوا منِّي؛ فلعلِّي لا ألقاكم بعدَ عامي هذا». ثمَّ أنزلَ اللهُ تعالى عليه، وهو في عرفاتٍ قولَه تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الأِسْلاَمَ دِيناً** ﴾ [المائدة: ٣].

وفي أوسَطِ أيَّامِ التشريقِ أُنزلت عليه سورةُ النصرِ، فعرفَ أنَّه الوداعُ، وأنَّه نُعِيَت إليه نفسُه؛ ﴿ **إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابَا** ﴾ [النصر: ١-٣].

ورجعَ النبيُّ ﷺ من الحجِّ، وفي أوائلِ صفرَ من العامِ الحادي عشرَ للهجرة النبويَّةِ خرجَ صلواتُ اللهِ تعالى وسلامُه عليه إلى شهداءِ أُحدٍ، فصلَّى عليهم؛ كالمودِّعِ للأحياءِ والأمواتِ جميعاً، ثمَّ انصرفَ إلى المنبرِ، فقال: « إِنِّي فَرَطُكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، إِنِّي وَاللهِ لأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ خَزَائِنَ مَفَاتِيحِ الأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ بَعْدِي أَنْ تُشْرِكُوا وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا؛ يعني: الدُّنيَا ». [رواه البخاريُّ، ومسلمٌ بنحوه]

وخرجَ ليلةً إلى البقيعِ، فاستغفرَ لهم، ودعا لهم وودَّعَهم؛ فعن أَبي مُوَيْهِبَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: « بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَقَالَ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لأَهْلِ الْبَقِيعِ، فَانْطَلِقْ مَعِي، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ قَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ

الْمَقَابِرِ، لِيَهْنِ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّاكُمُ اللَّهُ مِنْهُ، أَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ؛ يَتْبَعُ أَوَّلُهَا آخِرَهَا، الآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الأُولَى، قَالَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ ! إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ، وَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَنَّةِ، قَالَ قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي! فَخُذْ مَفَاتِيحَ الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ. قَالَ: لاَ وَاللهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ ! لَقَدِ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَنَّةَ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لأَهْلِ الْبَقِيعِ، ثُمَّ انْصَرَفَ. فَبُدِئَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قَضَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ حِينَ أَصْبَحَ ». [رواه أحمدُ بسندٍ جيِّدٍ]

وفي اليوم التاسعِ والعشرين من شهرِ صفرَ من العامِ الحادي عشرَ للهجرة شهدَ رسولُ الله ﷺ جنازةً بالبقيعِ، وفي الطريقِ - وهو راجعٌ - أخذَه صُداعٌ شديدٌ، وأصابَتْهُ الحُمَّى حتى إنَّ الصحابةَ ليجدونَ سَوْرَةَ الحُمَّى فوقَ العِصابةِ التي تعصِبُ رأسَه.

وثَقُلَ برسولِ الله المرضُ، فجعلَ يسألُ أزواجَه: أينَ أنا غداً ؟ ففهمنَ مرادَه، وأذِنَّ له أن يكونَ حيثُ شاءَ، فانتقلَ إلى بيتِ عائشةَ -رضي الله عنها-.

وقبلَ خمسةِ أيَّامٍ من الوفاةِ اشتدَّ به الوجعُ والحُمَّى حتى أُغميَ عليه، فقال: « هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ؛ لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ ». قَالَتْ عائشةُ: فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ

طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقِرَبِ حَتَّى جَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْنَا: أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ، قَالَتْ: وَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَصَلَّى لَهُمْ وَخَطَبَهُمْ ». [رواه البخاريُّ]

وكان ممَّا قالَه ﷺ في خطبتِه تلكَ: « لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ؛ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا ». [رواه البخاريُّ ومالكٌ]

ثمَّ عرضَ نفسَه للقصاصِ؛ ليتحلَّلَ من مظالمِ العبادِ قبلَ القدومِ على اللهِ سبحانه وتعالى – قائلاً-: « مَنْ كُنْتُ جَلَدتُ لَه ظَهراً فهذا ظَهري فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ، وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضَاً فهذا عِرْضي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ ».

ثمَّ نزلَ، فصلَّى الظهرَ، ثمَّ رجعَ، قال أبو سعيدٍ الخُدريِّ -رضي الله عنه- جَلَسَ رسولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنبَرِ، فَقَالَ: « إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ ». فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ ! يُخبِرُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا!! فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلاَّ خُلَّةَ الإِسْلامِ، لاَ يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلاَّ خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ ». [رواه البخاريُّ وغيرُه]

وقبلَ الوفاةِ بأربعةِ أيَّامٍ قال ﷺ : « ائْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ». قَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الْوَجَعُ، وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللهِ

حَسْبُنَا، فَاخْتَلَفُوا، وَكَثُرَ اللَّغَطُ، قَالَ: « قُومُوا عَنِّي، وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ ». فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ كِتَابِهِ. [رواه البخاريُّ]

ثمَّ أوصى ﷺ بثلاثٍ: بإخراجِ اليهودِ والنصارى من جزيرة العربِ وألاَّ يبقى فيها دينان، وبإجازةِ الوفودِ بنحوِ ما كان يُجيزُهم به، وبإنفاذِ جيشِ أُسامةَ بن زيدٍ إلى الشمال.

وكان ﷺ مع اشتدادِ المرضِ به يُصلِّي بالناسِ حتى زادَ به الوجعُ، ولم يَعُدْ قادراً على الخروجِ إلى المسجدِ، فأرسلَ إلى أبي بكرٍ -رضي الله عنه- قائلاً: « مُروا أبا بكرٍ فَلْيُصلِّ بالناسِ ». فصلَّى بهم أبو بكرٍ العشاءَ وثلاثةَ أيَّامٍ قبلَ وفاتِه ﷺ ، ثمَّ أعتقَ غِلمانَه، وتصدَّقَ بسبعةِ دنانيرَ كانت عنده، ووهبَ المسلمينَ أسلحتَه.

ثمَّ جاءت ساعةُ الاحتضارِ، وبشَّرَ ابنتَه فاطمةَ -رضي الله عنها- بأنَّها سيِّدةُ نساءِ العالمين في الجنة، وأنَّها أولُ أهلِه لحوقاً به، وكانت ترى ما به من الكَرْبِ الذي يغشاه، فتقولُ: واكَرْبَ أبتاهُ. فيقولُ لها: « ليسَ عَلَى أبيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَومِ ». [رواه البخاريُّ]

ودعا ﷺ أزواجَه، فوَعَظَهُنَّ، وَذَكَّرَهُنَّ، وأوصى الناسَ بقولِه – فيما رواه أحمدُ وغيرُه عن أنسٍ قال -: « كَانَتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ: الصَّلاَةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، حَتَّى جَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُغَرْغِرُ بِهَا صَدْرُهُ وَمَا يَكَادُ يُفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ ».

وبدأ احتضارُ المصطفى صلواتُ ربِّي وسلامُه عليه، فأسندته عائشةُ إليها، وكانت تقولُ: إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ؛ دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ! فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ! فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ - يَشُكُّ عُمَرُ رَاوِي الحَدِيْثِ- فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ. [رواه البخاريُّ وغيرُه]

نعم عباد الله ! رَفَعَ المصطفى ﷺ يدَه ، وشَخَصَ بصرُه إلى السماء، وتحرَّكت شفتاهُ، وأصغت إليه عائشةُ وهو يقولُ: « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأَعْلَى ». [رواه البخاريُّ ومسلمٌ والترمذيُّ]

ثمَّ مالت يدُه، ولَحِقَ بالرفيق الأعلى ضُحى يومِ الاثنين؛ الثاني عشرَ من ربيع الأول، سنةَ إحدى عشرةَ للهجرة، صلواتُ ربِّي وسلامُه عليه، وجزاه عن الإسلامِ والمسلمين خيرَ ما جزى نبيَّاً عن قومِه، جزاءَ ما جاهدَ وأُوذيَ وصبرَ.

بلغَ الخبرُ المسلمين؛ فكان كالصاعقة على نفوسِهم، أظلمت عليهم الدُّنيا، وضاقت عليهم الأرضُ بما رَحُبَتْ، واستوحشت لهم المدينةُ فما هي

بالتي يعرفون، ولا يُلامونَ !! فقد غاب عن الدُّنيا أكملُ إنسانٍ، وأعظمُ بشرٍ عاشَ فيها، وسارَ على تُربَتِها، ورُزِئَ المسلمونَ بوفاتِه؛ وتلك لعمرُ الله مصيبةٌ لا يعدلُها مصيبةٌ، وخطبٌ جَلَلٌ، وفاجعةٌ دهياء؛ لقد غاب عنهم سيِّدُ ولدِ آدمَ أجمعين؛ أعظمُ القادةِ والمربِّينَ والدُّعاةِ، أعظمُ حاكمٍ عرفته الدُّنيا، وأحسَّ به التأريخُ، وأكبرُ عالمٍ دَرَجَ على وجهِ الأرضِ، وأرحَمُ مخلوقٍ عَرَفتهُ البشريَّةُ؛ إنَّه خاتمُ الأنبياءِ والمرسلين، وخليلُ ربِّ العالمينَ وكَفَى؛ الذي كان يَصِلُ الرَّحِمَ، ويَقري الضيفَ، ويَكسِبُ المعدومَ، ويُحاربُ الشركَ، ويُعينُ على نوائبِ الدهرِ.

يقولُ أنسُ بن مالكٍ -رضي الله عنه- خادمُهُ ﷺ : « فَشَهِدْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْماً قَطُّ كَانَ أَحْسَنَ وَلاَ أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ، وَشَهِدْتُهُ يَوْمَ مَاتَ فَمَا رَأَيْتُ يَوْمًا كَانَ أَقْبَحَ وَلاَ أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ ﷺ ». [رواه أحمدُ والدارميُّ والبيهقيُّ بنحوه]

لم يُصدِّقْ بعضُ الصحابة الخبرَ، ووقفَ عمرُ بن الخطابِ -رضي الله عنه-؛ وقد أخرجَه الخبرُ عن وعيه؛ يقولُ: (إنَّ رجالاً من المنافقين يزعمونَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد مات، وإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ما ماتَ، ولكنَّهُ ذهبَ إلى ربِّه كما ذهبَ موسى بنُ عِمْرانَ، فغابَ عن قومِه أربعينَ ليلةً، ثمَّ رجعَ إليهم بعدَ أن قِيْلَ قد مات، واللهِ لَيَرْجعنَّ رسولُ اللهِ ﷺ ، فَلَيَقْطَعَنَّ أيدي رجالٍ وأرجُلَهم يزعمونَ أنَّه ماتَ).

وأقبلَ أبو بكرٍ -رضي الله عنه- من مسكنِه بالسُّنْحِ حتى نزلَ، فدخلَ المسجدَ، فلم يُكلِّم الناسَ حتى دخلَ على عائشةَ، فتَيَمَّمَ رسولَ اللهِ وهو مُغْشَىً بثوبٍ حَبرَةٍ، فكشفَ عن وجهِهِ، ثمَّ أكبَّ عليه، فقبَّلَه وبكى، ثمَّ قال: (بأبي أنتَ وأمِّي، لا يجمعُ الله عليكَ موتَتين، أمَّا الموتَةُ التي كُتِبَت عليكَ فقد مِتَّهَا). ثمَّ خرجَ فقال: اجلسْ يا عمرُ ! فلم يجلس، فأقبلَ الناسُ على أبي بكرٍ، فقال: (أمَّا بعد: من كان منكم يعبدُ محمداً فإنَّ محمداً قد ماتَ، ومن كان منكم يعبُدُ الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموتُ)، ثمَّ تلا قولَ الله تعالى: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾ [آل عمران:١٤٤].

قال ابنُ عباسٍ -رضي الله عنهما-: (والله لكأنَّ الناسَ لم يعلموا أنَّ الله تعالى أنزلَ هذه الآيةَ حتّى تلاها أبو بكرٍ، فتلَّقاها الناسُ منه كلُّهم، فما أسمعُ بشراً من الناسِ إلاَّ يتلوها).

أمَّا عمرُ فما أن سَمعَ أبا بكرٍ تلى الآيةَ حتّى هوى إلى الأرضِ ما تُقلُّهُ رجلاهُ، وعَلِمَ أنَّ النبيَّ ﷺ قد ماتَ.

وجاءت التعزيةُ من كلِّ مكانٍ، وسَمعوا قائلاً يقولُ: (إنَّ في الله عزاءً من كلِّ مصيبةٍ، وخَلَفاً من كلِّ هالكٍ، ودَرَكاً من كلِّ فائتٍ، فثِقوا، وإيَّاهُ فارجوا، فإنَّ المُصابَ مَن حُرِمَ الثوابَ). [رواه الشافعيُّ في مسندِه]

أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وليِّ الصالحينَ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فيا أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه، واعلموا أنَّكم ملاقوه.

ثمَّ اعلموا رحمكم الله أنَّ أعظمَ من فُقِدَ، وأحقَّ من رُثِيَ خاتمُ الأنبياءِ والرسلِ؛ محمدُ بنُ عبد اللهِ ﷺ، وتلكَ قضيَّةٌ مهمَّةٌ في حياةِ المسلمينَ

جميعاً، فالمسلمُ الحقُّ من يستَشْعِرُ هذا الحادثَ العظيمَ في حياة المسلمينَ دائماً وأبداً، ويعلمُ يقيناً أنَّ مُصابَهُ بالنبيِّ ﷺ لا يعدِلُه مُصابٌ أبداً، فلقد كان لوفاتِه ﷺ وَقْعُ الصاعِقَةِ في نفوسِ صحابتِه، وفي نفوسِ المؤمنينَ به إلى قيام الساعَةِ، فإذا أُصيبَ أحدٌ بفَقْدِ قريبٍ له أو عزيزٍ عليه فَلْيَذكُرْ مُصابَهُ بالنبيِّ ﷺ ؛ فإنَّ ذلكَ مِمَّا يُخفِّفُ عليه المصيبةَ، ولا تُخرجُه المصيبةُ - مهما كانت - عن حدودِ الشرعِ، والغلوِّ، والتَّبجيلِ، والإطراءِ الزائدِ عن حدِّه، فلن يكون المفقودُ أبداً مثلَ محمد بن عبد اللهِ الذي نهى عن إطرائهِ والغلوِّ فيه، وبيَّنَ أنَّ ذلك من الشركِ، وهو فعلُ اليهودِ والنصارى؛ المغضوبِ عليهم والضَّالينَ.

ولن يكون حُبُّه لفقيدِه أعظمَ من حُبِّ أبي بكرٍ الصديق لرسولِ اللهِ ﷺ ، ومع ذلك فقد كان أثبتَ الصحابةِ، وأرضاهم لقدر اللهِ في رسولِه.

روى الدَّارِمِيُّ بسنَدِه عن عطاءٍ -رحمه الله- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: « إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ».

وإذا ذكَرتَ مُصيبةً تَسْلوا بها   فاذْكُرْ مُصَابَكَ بالنبيِّ محمَّدِ

عبادَ اللهِ:

إنَّها إشاراتٌ ومقتطَفاتٌ من اللَّحَظاتِ الأخيرةِ في حياةِ النبيِّ العظيمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ ، ولكنَّها مليئةٌ بالعبرِ والعِظَاتِ حتى لَيصدُقُ فيه قولُ القائلِ:

وكانت في حياتِكَ لي عِظَاتٌ   وأنتَ اليومَ أوعظُ مِنكَ حَيًّا

لقد ذاقَ طَعمَ الموتِ -بأبي هو وأمِّي- ﷺ ليكـونَ ذلـك يقينـاً جازمـاً بأنَّ كُلَّ من عليها فانٍ ومُفارقٌ إلاَّ من تفرَّدَ بالبقاءِ سبحانه وتعالى؛ الأحـدُ الذي لا يزولُ، والحيُّ الذي لا يموتُ، من كَتَبَ الموتَ على العبيـدِ وتعـالى هو أن يَبيدَ؛ ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ* وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧].

واسْمَعْ إلى خطابِ ربِّه له بقولِه تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ* ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر:٣٠-٣١]. ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٤].

فعلى كلِّ مسلمٍ أن يُدْرِكَ أنَّ هذه الحياةَ معبرٌ لا مقرٌّ، فليَتزَوَّدْ من معبرِهِ لمقرِّه، وليَستَعِدَّ لساعةِ الموتِ بالأعمالِ الصالحةِ.

وكان صلواتُ اللهِ تعالى وسلامُه عليه حتّى وهو يُصارِعُ سكراتِ الموت التي ما سَلِمَ منها حريصاً على تحقيقِ التوحيـدِ، وقَمْعِ صورِ الشركِ والوثنيَّةِ، ينهى عن اتِّخاذِ قبرِهِ وثناً يُعبَدُ من دونِ اللهِ، لم تَفُتْـهُ الصلاةُ مع المسلمين، مع اشتدادِ الألمِ به، وزيادةِ الوَجَعِ عليه، وهو القـائلُ - كمـا في الصحيحين-: « إِنِّي أُوعَـكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُم ». وهـو المُبشَّرُ بالجنَّةِ، المغفورُ له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخَّرَ؛ ليكـونَ ذلـكَ حُجَّـةً علـى المتواكلـينَ علـى رحمـة الله تعـالى، المخدوعـينَ بإمهـالِ الله لهـم، ووعْـدِهِ

بالمغفرةِ لعبادِه، المفرِّطين في الصلواتِ بدونِ عُذْرٍ، بل لو أصابَ أحدَهم زُكامٌ لرفعَ عن نفسِه التكليفَ حتّى يُشفى منه.

ناهيكم -عباد الله- عمَّن يزعمونَ أنَّهم وصلوا إلى درجَةِ رفْعِ التكليفِ عنهم، فلا عبادةَ، ولا صلاةَ، وهم من أولياءِ الله، وكذبوا والله، ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال:٣٤].

لقد كان المصطفى ﷺ -وهو يُنازِعُ سكراتِ الموتِ- حريصاً على التحلُّلِ من مظالمِ العباد قبلَ أن يصيرَ إلى الله سبحانه في يومٍ ليس ثَمَّ دينارٌ ولا دِرْهَمٌ، وإنَّما هي أعمالُ العبادِ؛ إمَّا الحسناتُ، وإمَّا السيِّئاتُ. فليَتّقِ الله من لم يُبالوا بحقوقِ الناسِ، يضربونَ هذا ، ويشتمونَ ذاك، ويغتابونَ هذا، ويأكلونَ مالَ ذاك، ويسفكونَ دمَ أولئكَ، وليَعْلَموا أنَّ الله تعالى لهم بالمرصاد، وأنَّ من اقتطعَ حقَّ امرئٍ مسلمٍ لقيَ الله تعالى وهو عليه غضبان.

وعُرِضَتْ على المصطفى ﷺ الدنيا بكنوزِها وأموالِها، وشهواتِها ولذائذِها، فرَفَضَها، واختارَ لقاءَ ربِّه، وجوارَ الرفيقِ الأعلى، ومن أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ الله لقاءَه.

خرجَ ﷺ من الدُّنيا وما يملكُ منها إلاَّ سلاحَه، ودِرْعَاً مرهونةً في طعامٍ، وبَغْلَتَه التي يُجاهدُ عليها، وهو الذي أُعطيَ مفاتيحَ خزائنِ الأرضِ، ودانتْ له العربُ والعَجَمُ، وهكذا العُظَماءُ الذين لا يشترونَ بعهدِ الله،

وما أعدَّ الله لهم ثمناً قليلاً فانياً، يرجونَ من اللهِ جنَّةً عظيمةً؛ فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ.

وقام شاعرُه حسَّانُ بن ثابتٍ -رضي الله عنه- يرثيه بالدموع قبلَ القصيدِ، ويصِفُ حالَ الصحابةِ بعدَ فَقْدِ نبيِّهم؛ وهو يقولُ:

لقد غيَّبوا حِلمَاً وعِلْماً ورحمةً ... عشيَّةَ عَلَّوهُ الثرى لا يُوسَّدُ
وراحوا بحُزْنٍ ليسَ فيهم نبيُّهم ... وقد وهَنَتْ منهم ظهورٌ وأَعْضُدُ
يُبكُّونَ من تبكي السمواتُ يومَهُ ... ومن قد بكتْهُ الأرضُ فالناسُ أَكْمَدُ
وهل عَدَلَتْ يوماً رَزِيَّةُ هالكٍ ... رَزِيَّةَ يومٍ ماتَ فيه محمَّدُ
فَبَكِّي رسولَ اللهِ يا عينُ عَبْرَةً ... ولا أعرِفَنْكِ الدَّهرَ دَمْعُكِ يَجْمُدُ
وما لكِ لا تبكينَ ذا النِّعْمَةِ التي ... على الناسِ منها سابغٌ يَتَغَمَّدُ
فجودي عليه بالدموعِ وأعْولي ... لفقدِ الذي لا مِثْلُه الدَّهْرَ يُوجَدُ
وما فقدَ الماضونَ مِثْلَ محمَّدٍ ... ولا مِثْلُهُ حتّى القيامةِ يُفْقَدُ

هذا وصلُّوا وسلِّموا رحمكم الله على المبعوث رحمةً للعالمين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة واتمُّ التسليم...

وقفات مع الصحابي الجليل الطفيل ابن عمرو الدوسيِّ

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ للهِ ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفُره ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ با للهِ من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده ا للهُ فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ ا للهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى ا للهُ عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا ا للهَ تبارك وتعالى حقَّ التقوى، أطيعوه ولا تعصوه، وراقبوه ولا تنسوه، واتَّقوا يوماً تُرجعونَ فيه إلى ا للهِ، يومَ يُنفَخُ في الصورِ، ويُبعَثُ من في القبورِ، ويَظْهَرُ المستورُ، يومَ تُبلى السرائرُ، وتُكشَفُ الضَّمائرُ، ويتميَّزُ

البَرُّ من الفاجر؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ ا للهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ا للهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٢].

أيُّها المسلمون:

تصوغُ العقيدةُ الإسلاميةُ رجالَها صياغةً فذَّةً، في صورة من يرى الناسَ في سيرتِهم مرآةً صادقةً عن الإسلامِ، يتمثَّلُ فيها عُمْقُ الإيمانِ با للهِ تعالى، وعظيمُ البلاءِ في سبيلِ نُصْرَةِ دينه، والتضحية في سبيله بالنفس والمال والأهل والجاه.

ولقد كان صحابةُ رسولِ ا للهِ ﷺ، ورضي ا لله تعالى عنهم خيرَ البشرِ على الإطلاقِ بعدَ الأنبياءِ والرسلِ عليهم الصلاة والسلام، أسلموا فحَسُن إسلامُهم، وابتُلوا بالسرَّاءِ والضرَّاءِ والشدَّةِ والرَّخاءِ حتى كانوا خيرَ المؤمنين الذين حملوا لواءَ الدعوةِ إلى ا لله بكلِّ إخلاصٍ وأمانة، ويتسابقونَ إلى تنفيذِ أوامرِ ا للهِ ورسولِه، ولو كان فيها ما تكرَهُهُ النفوسُ وترْغَبُ في سواه، ويتنافسونَ في الجهادِ في سبيلِ ا للهِ تعالى، وتقديمِ النفوسِ المؤمنةِ الدَّاخِلَةِ في دينِ ا لله تعالى، ابتغاءً لمَرْضاةِ ا لله وموعودِه، حتى صدَقَ فيهم قولُ الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ا للهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ا للهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ ا للهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

أيُّها المسلمون:

والطُّفيلُ بنُ عمروِ الدَّوسيُّ صحابيٌّ جليلٌ، وداعيَةٌ إلى الإسلامِ عظيمٌ، من أوائِلِ المؤمنينِ با للهِ ورسولِه، الذين حملوا رسالةَ هذا الدينِ؛ دعوةً وصبراً، وجهاداً وتَضْحِيَةً.

كان الطُّفيلُ بنُ عمروِ الدوسيُّ سيِّدَ قبيلَةِ دَوْسٍ بزهرانَ في الجاهليَّةِ، وشريفاً من أشرافِ العربِ المعروفينَ، وواحِداً من أصحابِ المروءاتِ المعدودينَ، لا تنزِلُ له قِدْرٌ عن نارٍ، ولا يُوْصَدُ له بابٌ أمامَ طارِقٍ، يُطْعِمُ الجائِعَ، ويُؤَمِّنُ الخائِفَ، ويُجيرُ المستجيرَ، وهو إلى تلكَ الصِّفاتِ كلِّها أديبٌ أريبٌ، وشاعرٌ لبيبٌ، مُرْهَفُ الحِسِّ، رقيقُ الشُّعورِ، بصيرٌ بحلو البيانِ ومُرِّه.

شاءَتْ إرادةُ اللهِ العزيزِ الحكيمِ أن يكونَ هذا الرَّجلُ من السابقينَ إلى الإسلامِ، وإذا أرادَ اللهُ تعالى هِدَايَةَ عبدٍ من عِبادِه يسَّرَ له سُبُلَ الهِدايَةِ، وقادَه إلى مرضاتِه.

غادرَ الطُّفيلُ بنُ عمروٍ منازِلَ قومِه في تِهامَةَ مُتوجِّهاً إلى مكَّةَ، ورحى الصِّراعِ دائرةٌ بين الرَّسولِ الكريمِ ﷺ وكُفَّارِ مكَّةَ؛ كلٌّ يُريدُ أن يكْسَبَ لنفسِه الأنصارَ، ويَجْتَذِبَ لحِزْبِه الأعوانَ؛ فالرَّسولُ ﷺ يدعو لربِّه، وسلاحُه الإيمانُ والحقُّ، واللهُ تعالى مؤيِّدُه ونصيرُه، وكُفَّارُ مكَّةَ يُقاومونَ دعوتَه بكلِّ سِلاحٍ، ويصدُّونَ الناسَ عنه بكلِّ وسيلَةٍ، وسلاحُهم الافتراءُ

والكَذِبُ والزُّورُ، ونصيرُهم أصنامٌ وأوثانٌ لا تضرُّ ولا تنفعُ، بل هي إلى الخُذْلَانِ أقربُ.

وشتَّانَ شتَّانَ بينَ الداعيينِ والنصيرينِ، شتَّانَ شتَّانَ بينَ من يستمدُّ النصرَ والقوَّةَ من ربِّ الأرضِ والسمواتِ، مالكِ المُلْكِ، الذي لا يُعجزُهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، إذا قضى أمراً فإنَّما يقولُ له كُنْ فيكونُ، وبينَ من تعلَّقَ بإحجارٍ وأشجارٍ أوْهَى من بيتِ العنكبوتِ، يَقْصِدُها في الرَّخاءِ، وتعْجَزُ أن تُقدِّمَ له عوْناً في الشِّدَةِ.

ودخلَ الطُّفيلُ بنُ عمروٍ مكَّةَ فوجدَ نفسَه يدخُلُ في معرَكةٍ غريبةٍ عجيبَةٍ على غيرِ أُهْبَةٍ ولا استعدادٍ، ويخوضُ غِمَارَها من غيرِ قَصْدٍ ولا رَغْبَةٍ مُسْبَقَةٍ، فهو لم يَقْدُمْ لمكَّةَ لهذا الغرضِ، ولا خَطَرَ على قلبِه أمرُ محمَّدٍ وقُريشٍ قبلَ ذلكَ على بالٍ، ولكنَّها حِكْمَةُ اللهِ ومشيئتُه وتقديرُه.

حدَّثَ الطُّفيلُ قال: قَدِمتُ مكَّةَ فما إن رآني سادةُ قُريشٍ حتَّى أقبلوا عليَّ، فرَحَّبُوا بي أكرمَ ترحيبٍ، وأنزلوني فيهم أعزَّ منزلٍ، ثمَّ اجتمعَ إليَّ سادتُهم وكُبَرَاؤُهم فقالوا: يا طُفيلُ ! إنَّكَ قدِمتَ بلادَنا، وهذا الرَّجلُ الذي يَزْعُمُ أنَّه نبيٌّ قد أفسَدَ أمرَنا، وفرَّقَ شملَنا، وشتَّتَ جماعَتنا، ونحنُ إنَّما نخشى أن يحِلَّ بكَ وبزَعَامَتِكَ في قومِكَ ما قَدْ حلَّ بنا، فلا تُكلِّمِ الرَّجلَ، ولا تسمعنَّ منه شيئاً؛ فإنَّ له قولاً كالسِّحْرِ، يُفرِّقُ به بين الولَدِ وأبيهِ، وبينَ الأخِ وأخيهِ، وبينَ الزوجِ وزوجتِهِ.

قال الطُّفيلُ: فوا للهِ ما زالوا بي يَقُصُّونَ عليَّ من غرائبِ أخبارِه، ويُخوِّفونَني على نفسي وقومي بعجائبِ أفعالِه، حتّى أجمَعتُ أمري على ألاّ أقْتَرِبَ منه، ولا أُكلِّمَه أو أسمعَ منه شيئاً.

وتلكَ لعمرُ ا للهِ حَلْقَةٌ يسيرةٌ من سِلْسِلَةِ كيدِ المشركينَ لرسولِ ا للهِ ﷺ، وترَبُّصِهم به الدَّوائِرَ؛ فقد رموه بالسِّحرِ والكِهَانةِ والدَّجَلِ، واتَّهموه بالكَذِبِ واختلالِ العقلِ، وحاشاهُ ﷺ أن يكونَ كذلكَ، وهو خليلُ ربِّ العالمينَ سبحانه، فكلُّ ذلك ظُلْمٌ منهم وبُهْتانٌ.

وظُلْمُ ذوي القُرْبى أشدُّ مَضَاضَةً ... على النفسِ من وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

قال الطُّفيلُ: ولَمَّا غدوتُ إلى المسجدِ للطَّوافِ بالكعبةِ، والتَّبَرُّكِ بأصنامِها التي كُنَّا إليها نَحُجُّ، وأيَّاها نُعَظِّمُ، حشَوتُ في أُذُنيَّ قُطْناً؛ خَوْفاً من أن يُلامِسَ سمعي شيءٌ من قولِ محمدٍ، لكنِّي ما إن دَخلتُ المسجدَ حتَّى وَجَدْتُه قائماً يُصلِّي عندَ الكعبَةِ صلاةً غيرَ صلاتِنا، ويَتَعبَّدُ عِبادةً غيرَ عِبادَتِنا، فأَسَرَني منظرُه، وهَزَّتْني عِبادتُهُ، ووجَدتُ نفسي أدنو منه، وأبى ا للهُ إلاَّ أن يَصِلَ إلى سمعي بعضٌ مِّمَّا يقولُ، فسَمِعْتُ كلاماً حَسَناً، وقُلْتُ في نفسي: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا طُفيلُ ! ... إنَّكَ لرَجُلٌ لبيبٌ شاعرٌ، وما يخفى عليكَ الحَسَنُ من القبيحِ، فما يمنَعُكَ أن تَسْمَعَ من الرَّجلِ ما يقولُ؛ فإن كان الذي يأتي به حَسَناً قَبِلْتَه، وإن كانَ قبيحاً تركتَه.

قال الطُّفيلُ: ثمَّ مَكَثْتُ حتّى انصرَفَ رسولُ ا للهِ ﷺ إلى بيتِه، فتَبِعْتُه حتَّى إذا دخلَ دارَه دخلتُ عليه، فقلتُ: يا محمَّدُ ! إنَّ قومَكَ قد قالوا لي

عنكَ كذا وكذا، فوا للهِ ما بَرِحُوا يُخوِّفونَني من أمرِكَ حتَّى سَدَدتُ أُذُنيَّ بِقُطْنٍ لئلاَّ أسمعَ قولَك.

ثمَّ أبى ا للهُ إلاَّ أن يُسمِعَني شيئاً منه، فوجدتُه حَسَناً، فَاعْرِضْ عليَّ أمرَكَ، فعرَضَ عليَّ أمرَه، وقرأَ لي سورةَ الإخلاصِ والفَلَقِ، فوا للهِ ما سَمِعْتُ قولاً أحسَنَ من قولِه، ولا رأيتُ أمراً أعدلَ من أمرِه. عندَ ذلكَ بَسَطْتُ يديَّ له، وشَهِدتُ أنْ لا إلَه إلاَّ ا للهُ وأنَّ محمَّداً رسولُ ا للهِ، ودَخَلتُ في الإسلامِ.

وهكذا خرَجَ الطُّفيلُ بنُ عمروٍ الدَّوسيُّ من ظُلُماتِ الجَهلِ والوَثَنيَّةِ إلى نورِ التوحيدِ والهدايَةِ، ليكونَ شُعْلَةً إيمانيَّةً في يدِ النبيِّ ﷺ ، وداعِيَةً إلى الإسلامِ في قومِه، وسفيرَ التوحيدِ إلى بَلَدِه.

وأصبحَ عابدُ الأصنامِ قِدْمَاً حُمَاةَ البيتِ والرُّكْنِ اليَمانِ

أسلمَ رضي ا للهُ عنه، وما كان ا للهُ ليَرْزُقَهُ الإيمانَ لولا رحمتُه وفضلُه سبحانه، ثمَّ كيدُ المشركينَ وحِقْدُهم على الرسولِ الأمينِ ﷺ ، وعلى دينِه ودعوتِه.

لقد دخلَ الطُّفيلُ بنُ عمروٍ مكَّةَ للتجارةِ، ولم يَخْطُرْ على بالِه الإسلامُ، ولا أمرُ محمَّدٍ وما يدعو إليه، ولكنَّ المشركينَ جعلوا يُحذِّرونَه من الالتقاءِ بمحمَّدٍ، والسَّماعِ منه، فأوقعَه ا للهُ تعالى في الخيرِ الذي حذَّروه منه.

وإذا أرادَ ا للهُ نشرَ فضيلةٍ طُوِيَتْ أتاحَ لها لسانَ حَسُودِ
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورَت ما كان يُعرَفُ طيبُ عَرْفِ العودِ

﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ا للهُ وَا للهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٤].

أسلَمَ الطُّفيلُ -رضي ا للهُ عنه- وحَسُنَ إسلامُه، وأقامَ بمكَّةَ زَمَناً يتعلَّمُ فيه أمورَ الإسلامِ، ويحفَظُ ما تيسَّرَ له من القرآنِ، ولَمَّا عَزَمَ على العودةِ إلى قومِه، قال: يا رسولَ ا لله ! إنِّي امرؤٌ مُطاعٌ في عشيرتي، وأنا راجعٌ إليهم وداعيهم إلى الإسلامِ، فادْعُ ا للهَ أن يجعلَ لي آيةً تكونُ لي عوناً فيما أدعوهم إليه. فقال ﷺ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْ له آيةً ».[رواه ابنُ سعدٍ في الطبقات، وابنُ هشامٍ في السيرةِ]

وكان إسلامُ الطُّفيلُ في مكَّةَ، بعدَ رجُوعِ النبيِّ ﷺ من الطائفِ عَقِبَ دعْوَةِ ثَقيفٍ إلى الإسلامِ، ورَفْضِهم الإيمانَ برسالتِه، في السَّنَةِ العاشرةِ من البعثَةِ.

وخرجَ الطُّفيلُ إلى قومِه، حتَّى إذا كان في موْضِعٍ مُشْرِفٍ على منازِلِهم وقعَ نورٌ فيما بينَ عينيه مثلُ المصباحِ، فقال: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ في غيرِ وجْهي؛ فإنِّي أخشى أن يظُنُّوا أنَّها عقوبةٌ وَقَعتْ في وجهي لمفارَقَةِ دينِهم. قال: فتحوَّلَ النورُ فوقَعَ في رأسِ سوطي، فجعلَ الناسُ يتَرَاءَونَ ذلكَ النورَ في سوطي كالقنديلِ المُعلَّقِ، وأنا أهْبِطُ إليهم من الثَّنيَّةِ، فلمَّا نزلتُ أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً، فقلتُ: إليكَ عنِّي يا أبَتِ، فَلَسْتُ منكَ ولستَ منِّي ! قال: ولِمَ يا بُنيَّ ؟! قلتُ: لقد أسلمتُ، وتابَعتُ دينَ محمَّدٍ ﷺ . قال: أيْ بُنيَّ ديني دينُكَ. فقلتُ: اذهبْ واغْتَسِلْ وطَهِّرْ ثيابَك، ثمَّ تعالَ حتَّى

أُعلِّمكَ ما عُلِّمتُ. فذهبَ أبوه فاغْتَسَلَ وطَهَّرَ ثيابَه، ثمَّ جاءَ فعـرَضَ عليـه الإسلامَ، فأسْلَمَ.

قال الطُّفيلُ: ثمَّ جاءَتْ زوجتي، فقلتُ: إليكِ عنِّي فلستُ منْكِ ولستِ منِّي ! قالتْ: ولِمَ ؟! فقلـتُ: فـرَّقَ بيـني وبينَـكِ الإسـلامُ ، فقـد أسـلَمْتُ وتابعْتُ دينَ محمَّدٍ ﷺ . قالتْ: فديني دينُكَ. قلتُ: فـاذْهبي فتَطَهَّـري مـن ماءِ ذي الشَّرى (صنمِ دوسٍ) واغْتَسلي. ففعَلَتْ، ثمَّ جاءَتْ فعرَضْتُ عليها الإسلامَ، فأسْلَمتْ.

وعرَضَ علـى أُمِّـه الإسـلامَ فلـم تُسْـلِم. وقـامَ الطُّفيـلُ يدعـو قومَـه إلى الإسلامِ، ويُرغِّبُهم فيما جاءَ به محمَّدٌ ﷺ ، ويُبيِّنُ لهم ضلالَ ما يعبدونَه من دونِ اللهِ من الأوثانِ والأصنامِ التي لا تضرُّ ولا تنفَعُ، ولكنَّ دوساً تعاصَتْ على الطُّفيلِ وتعامَتْ عمَّا يدعوهـا إليـه مـن الهُـدى والنـورِ، وشَغَلَهم لهوُ الحياةِ، ومتاعُ الدُّنيا، ولم يَسْتَجبْ له إلاَّ أبو هُريرةَ عبدُ الرحمنِ بـنُ صَخْـرٍ الدَّوسـيُّ -رضـي اللهُ عنـه-، فهَجَـرَ قومَـه، ولسـانُ حالِـه يتلـو قـولَ اللهِ سبحانه: ﴿ **لاَّ تَجِدُ قَوْمـاً يُؤْمِنُـونَ بِـاللهِ وَالْيَـوْمِ الآَخِـرِ يُـوَآدُّونَ مَـنْ حَـآدَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آبَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَـئِكَ كَتَبَ فِـي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْـهُ وَيُدْخِلُهُـمْ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِن تَحْتِهَـا الأَنْهَـارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْـهُ أُوْلَـئِكَ حِـزْبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِـزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [المجادلة:٢٢].

أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فيا أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه، وأنيبوا إليه واستغفروه.

عباد الله:

رَجَعَ الطُّفيلُ بنُ عمرٍو الدَّوسيُّ -رضي الله عنه- إلى النبيِّ ﷺ بعدَ أن مَكَثَ طويلاً في أرضِ قومِه، يدعوهم إلى الإسلامِ، فلم يأتِ معه إلاَّ أبو هُريرةَ -رضي اللهُ عنه-، فلمَّا قَدِمَ على النبيِّ ﷺ قال له: «ما وراءَكَ يا طُفيلُ ؟!». فقال: قلوبٌ عليها أكِنَّةٌ وكُفرٌ شديدٌ، لقد غَلَبَ على دَوْسٍ الفُسوقُ والعِصْيانُ، والزِّنا، والرِّبا، فادْعُ اللهَ عليهم !

فقام ﷺ فتوضأ وصلَّى، ورفعَ يديه إلى السماءِ يدعو ، فلَّما رآه أبو هُريرةَ خافَ على قومِه أن يدعو عليهم فيَهْلَكوا، فقال: واقوماهُ ! ولكنَّ الرَّحيمَ الودودَ الرَّؤوفَ ﷺ لم يكُنْ ليدعو عليهم بالهلاكِ وهو المبعوثُ رحمةً للعالمينَ، بل جعلَ يقولُ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْساً وأتِ بها». ثمَّ الْتَفَتَ إلى الطُّفيلِ وقال: «اِرْجِعْ إلى قومِكَ، وَارْفُقْ بِهم، وَادْعُهُم إلى الإسلامِ».

فخرَجَ الطُّفيلُ إلى قومِه، فلم يَزَلْ بأرضِهم، يدعوهم إلى الإيمان بالله ورسولِه، حتَّى هاجرَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى المدينَةِ، ومَضَتْ بدرٌ وأُحُدٌ والخَنْدَقُ، فقَدِمَ على رسولِ اللهِ ومعَهُ ثمانونَ بيتاً من دَوْسٍ أسلَموا وحَسُنَ إسلامُهم، فَسُرَّ بهم رسولُ اللهِ ﷺ أعظَمَ سُرورٍ، وأسْهَمَ لهم مع المسلمينَ في غنائمِ خيْبَرَ.

ولم يَزَلِ الطُّفيلُ بنُ عمروٍ وقومُه مع الرَّسولِ في كلِّ غزْوَةٍ يغزوها في سبيلِ اللهِ، حتَّى فتحَ اللهُ عليه مكَّةَ، فاستأذنَ الرسولَ ﷺ في أن يَهْدِمَ صَنَمَ قومِه ذي الكَفَّين، ويُحرِقَهُ، فبعَثَه ﷺ إليه في سريَّةٍ من قومِه، وأوصاه قائلاً: « افْشِ السلامَ، وابْذُلِ الطَّعامَ، واسْتَحي من اللهِ كما يَسْتَحيي الرَّجلُ ذو الهيْئَةِ من أهلِه، وإذا أسأتَ فأحْسِنْ، إنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السيئاتِ، ذلك ذكرى للذاكرين ».

فخرجَ الطفيلُ مُسْرعاً حتَّى هَدَمَ ذا الكفين، وجَعَلَ يحشو النارَ في جوفِه ويقولُ:

يا ذا الكَّفِّينِ لَسْتُ مِنْ عُبَّادِكَا
ميلادُنا أقدَمُ مِنْ مِيْلادِكَا
إنِّي حَشَوتُ النَّارَ في فؤادِكا

فلمَّا أحرَقَ الطُّفيلُ صنَمَ قومِه بانَ لمن بقي ممن تمسَّكَ بوثنيَّتِه أنَّه ليسَ على شيءٍ فأسلموا جميعاً، وانتهى أمرُ الشركِ في دَوْسٍ إلى أن يشاءَ اللهُ، وخرَجَ بقومِه حتَّى وافى بهم رسولَ اللهِ ﷺ في الطائفِ.

وتمضي الأيامُ، وينتقِلُ المصطفى ﷺ إلى الرَّفيقِ الأعلى، وترتدُّ قبائلُ العرَبِ عن الإسلامِ، فينفِرُ الطفيلُ بنُ عمروٍ في طليعَةِ جيشِ المسلمينَ لحرْبِ المُرْتدين الذين انحازوا إلى مُسيلمةِ الكذابِ، وارتدُّوا على أدبارِهم

كافرينَ، وبينما هو في الطريقِ إلى اليمامَةِ ومعه ابنُه عمرو، رأى في المنامِ رؤياً عجيبةً غريبةً، فقال لأصحابِه: إني رأيتُ رؤياً فعبِّروها لي. فقالوا: وما رأيتَ ؟ قال: رأيتُ أنَّ رأسي قد حُلِقَ، وأنَّ طائراً خرَجَ من فمي، وأنَّ امرأةً أدخلَتني في بطنِها، وأنَّ ابني عمراً جعلَ يطلُبني حثيثاً لكنَّه حِيْلَ بيني وبينَه. قالوا: خيراً إن شاءَ الله.

فقال: أمَّا أنا فقد أولتُها؛ أمَّا حَلْقُ رأسي فذلك أنَّه يُقطَعُ، وأمَّا الطائرُ الذي خرَجَ من فمي فهو روحي، وأمَّا المرأةُ التي أدخلتني في بطنِها فهي الأرضُ تُحفَرُ لي فأُدفَنُ في جوفِها، وإني لأرجو أن أُقتلَ شهيداً، وأما طلَبُ ابني لي فهو أنَّه يطلُبُ الشهادةَ التي سأحظى بها - إذا أذِنَ الله- لكنَّه يُدرِكُها فيما بعد.

وفي معرَكةِ اليمامةِ أبلى الصحابي الجليلُ الطُّفيلُ بنُ عمرو الدوسي أعظمَ البلاءِ حتَّى خرَّ صريعاً شهيداً على أرضِ المعرَكَةِ.

وأمَّا ابنُه عمرو فما زالَ يُقاتِلُ حتَّى أثْخَنَتْه الجِراحُ، وقُطِعَتْ كفه اليُمنى، فعادَ إلى المدينَةِ مُخلفاً على أرضِ اليمامةِ أباهُ ويدَهُ، ثمَّ استُشْهِدَ في معرَكَةِ اليرموكِ في عهدِ عمرَ بن الخطابِ -رضي الله عنهما-.

عباد الله:

هذه بعضُ أخبارِ ذلكم الصحابيِّ الجليلِ، سفيرِ رسولِ اللهِ ﷺ، وشهيدِ معرَكَةِ حروبِ الردَّةِ على أرضِ اليمامَةِ، الذي كان من الفُرْسانِ

الأبطالِ ومن السابقين إلى الإسلامِ إيماناً ودعـوةً، والذيـن مثلـوا بدايـةَ المـد الإسلامي الكبيرِ، الذي حملوا به رايَةَ الجِهادِ، وانداحَ بها في أربَعَـةِ أركـانِ الأرضِ، وهـم يُردِّدونَ:

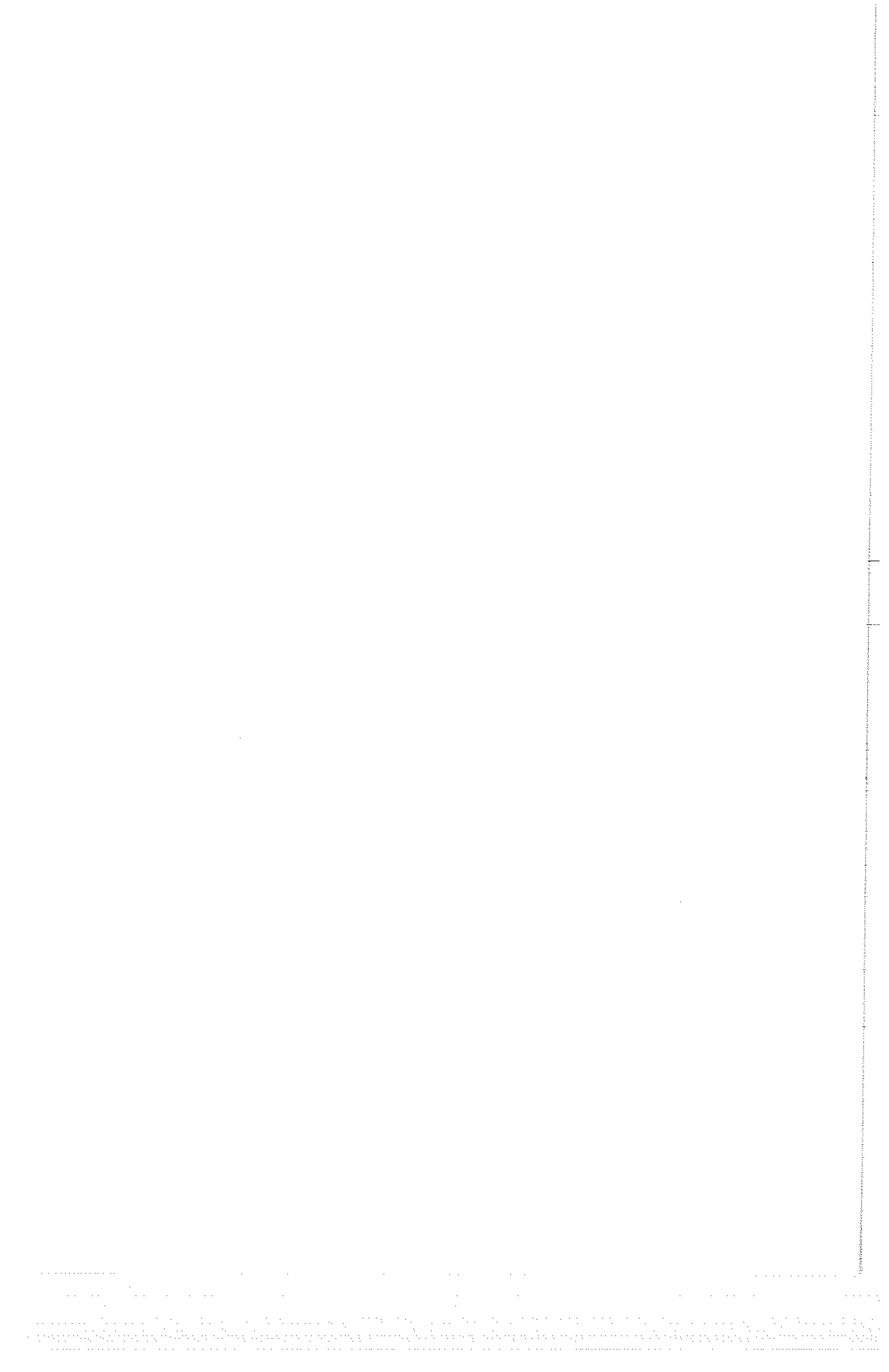
نحنُ الذينَ بايَعوا محمَّداً على الجِهادِ ما بقينا أبـداً

وإنَّه لجديرٌ بالمسلمينَ جميعاً أن يكونَ لهـم في خَـبَرِه عِظَـةٌ، وفي قَصَصِـه عِبْرَةٌ، حِينَ ترَكَ الباطِلَ وجنودَه، وأقبلَ على الحقِّ يسألُ عنه، ويبحَثُ عنه؛ ليُميِّزَ بين الحقِّ والباطلِ ببَصَرِه وبصيْرَتِه، وحـينَ رجـعَ إلى قومِـه داعيـاً إلى الله ورسولِه؛ فنَبَذَ أباهُ وزوجَه حتَّى أسـلَما، وتـركَ أُمـه وعشـيرَتَهُ بعـدَ أن كَذبوا، وحينَ خرَجَ في أوائِلِ صفوفِ المسلمينَ المُقاتلينَ للمُرْتَدينَ بعدَ وفاةِ النبيِّ ﷺ ، ليكونَ شهيداً في سبيلِ الله.

لقد صدَقَ اللهَ فصَدَقَهُ الله، وحقَّقَ الإيمانَ والتوحيدَ في حياتِه ومسيرَتِه، وطلَبَ الشَّهادةَ فنالَها، فرضي اللهُ عنـه وأرضـاهُ، وجَمَعَنـا بـه في مُسـتقرِّ رحمَتِـه ودارِ كرامتِـه مـع الذيـن أنعـمَ اللهُ عليهـم مـن النبيـين والصديقـين والشُّهَداءِ والصالحينَ وحَسُنَ أولئكَ رفيقـاً، ذلـكَ الفضـلُ مـن اللهِ وكفـى باللهِ علمياً.

اللهُمَّ أعِزَّ الإسلامَ والمسلمينَ، وأذِلَّ الشركَ والمشركينَ....

ꕥ ꕥ ꕥ



من القصص النبوي : جُرَيْجٌ العَابِدُ

●الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ العظيمِ في قَدْرِه، العزيزِ في قَهْرِه، العالِمِ بحالِ العبدِ في سِرِّه وجَهْرِه، أحمَدُه تعالى وأشكرُه على جزيلِ نِعَمِه، وعَظيمِ فَضلِه، وأستغفرُه وأتوبُ إليه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالبرِّ إلى الخلقِ في بَرِّه وبحرِه، صلواتُ ربِّي وسلامُه عليه وعلى آلهِ وصحبِه وتابعيهم على الإيمانِ والسُّنَّةِ.

أما بعد:

فأوصيكم أيُّها الناسُ ونفسي بتقوى اللهِ تعالى في سرِّكم وجَهْرِكم، عظِّموا أمرَه، واحذروا نهيَه، وتقرَّبوا إليه بالأعمالِ الصالحَةِ؛﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران:١٠٢].

أيُّها المسلمون:

القَصَصُ لونٌ من الأدبِ الرُّوحي الرفيعِ الذي تلَذُّ به النفوسُ، وتَعْشَقهُ الآذانُ، وتَطْرَبُ له القلوبُ، ويُقبِلُ عليه الناسُ، ويولَعونَ به؛ لِقُرْبه من واقعِهم البشريِّ، يجدُ فيه الناسُ العِظَةَ والعِبْرَةَ، والتَّفكُّرَ والاصطبارَ، والتَّأسيَّ والاقتداءَ، ويحمِلُ في طيَّاتِه الزادَ الرُّوحيَّ، والبَلْسَمَ الشافي للدُّعاةِ والمصلحينَ والمُرَّبينَ، فيسري في قلوبِ المؤمنين وأرواحِهم حامِلاً في أحداثِه وكلِماتِه المواعِظَ والفوائدَ، والتوجيهَ للتي هي أقْوَمُ، والرَّدْعَ عن الآثامِ والمفاسِدِ؛ ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوَاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ الأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوَاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم:٩].

ويحتلُّ القَصَصُ القرآنيُّ وصحيحُ السُّنَّةِ المكانَةَ العُظْمى في ذلك التوجيه والاعتبار والتسليَةِ؛ فهو صِدقٌ كلُّه، وحقٌّ كلُّه؛ إن هو إلاَّ وحيٌ يُوحى، يحكي أخباراً وقَعَتْ للأُمَمِ الخاليةِ، والقرونِ الماضيَةِ، بلا نَقصٍ أو زيادَةٍ؛ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً﴾ [الكهف:١٣] ؛ ﴿ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَىَ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف:١١١].

والقَصَصُ الذي هذا شأنُهُ له الأثرُ العظيمُ في تقويمِ النفوسِ، وتهذيبِ الطِّباعِ، واستِلْهَامِ العِبَرَ والعِظَاتِ؛ فالبشرُ هم البشرُ، مُتاشبهونَ في الحياةِ،

ومُتقَاربونَ في الطِّبَاعِ، ومُتَشَاكِلونَ في التَّصرُّفَاتِ؛ إستقامةً وانحرافاً، وطُغْياناً وعَدْلاً، وقُرْباً من اللهِ وبُعْدًا.

وكان من رحمةِ اللهِ تعالى بنبيِّهِ محمَّدٍ ﷺ أن قَصَّ عليه من أخبارِ الأنبياءِ مع أقوامِهم من قبلِه ما كانَ عَزَاءً له بعدَ عَزَاء، وتَسْلِيَةً لنفسِه، وتَثْبيتاً لفؤادِه. وأمرَه أن يَقُصَّ على الناسِ ما أوحاهُ اللهُ إليه من قَصَصِ الأنبياءِ والأُمَمِ السابقَةِ؛ ليَتفكَّروا في أحوالِ الغابرينَ، ويتأسَّوا بالصالحينَ؛ ﴿ **لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً** ﴾ [طه:١١٣] ؛ ﴿ **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الأعراف:١٧٦].

عبادَ اللهِ:

ومن القَصَصِ الحديثيِّ العظيمِ الذي قَصَّهُ المصطفى ﷺ على أصحابه: ما حدَّثَ به أبو هُريرَةَ -رضي اللهُ عنه- عن النبيِّ ﷺ قال: « لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلاَّ ثَلاَثَةٌ: عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ؛ وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابِداً، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً، فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ! فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاَتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاَتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ ! فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاَتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاَتِهِ، فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ ! فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلاَتِي، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاَتِهِ، فَقَالَتِ: اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُومِسَاتِ -يَعْنِي: الزوَانِي-. فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجاً وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ

بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ ! قَالَ: فَتَعَرَّضَتْ لَـهُ، فَلَـمْ يَلْتَفِـتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِياً كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ قَالَتْ: هُوَ مِـنْ جُرَيْـجٍ. فَـأَتَوْهُ، فَاسْتَنْزَلُوهُ، وَهَدَمُـوا صَوْمَعَتَهُ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ ! فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ ؟! قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْـكَ ؟! فَقَـالَ: أَيْـنَ الصَّبِيُّ ؟ فَجَـاءُوا بِـهِ. فَقَـالَ: دَعُونِـي حَتَّـى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ، فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَـالَ: يَـا غُـلاَمُ مَـنْ أَبُـوكَ ؟! قَـالَ: فُـلاَنٌ الرَّاعِـي ! قَـالَ: فَـأَقْبَلُوا عَلَـى جُرَيْـجٍ يُقَبِّلُونَـهُ وَيَتَمَسَّـحُونَ بِـهِ، وَقَـالُوا: نَبْنِـي لَـكَ صَوْمَعَتَـكَ مِـنْ ذَهَـبٍ ؟ قَـالَ: لاَ ! أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَـانَتْ، فَفَعَلُـوا... الحديـث». [رواه مسلمٌ، والبخـاريُّ مختصراً]

عبادَ الله:

لقد كان جُرَيْجٌ أحدَ عُبَّادِ بني إسرائيلَ الصـالحين، حُبِّبَـتْ إليـه العبـادَةُ والخَلْوَةُ لها، حتَّى اتَّخذَ لنفسِه صَوْمَعَةً يَعْبُدُ الله فيهـا علـى طريقَـةِ الرَّهْبَنَـةِ التي ابتَدعَها أهلُ الكتابِ و لم يُكْتُبْهـا الله عليهـم، لكـنَّ بعضَهـم لم يرعَهـا حقَّ رِعايَتِها، غيرَ أنَّ جُرَيْجاً كان ممَّن حَفِظَ عبادَتَهُ ورعاها.

جاءتْهُ أُمُّه يوماً لزيارتِه ومُحادَثَتِه، فنادَتْهُ، وكـان يُصلِّـي، فلـم يُجبْهـا، وآثرَ الاستمرارَ في صلاتِه؛ لِما يَجِـدُ مـن حـلاوَةِ المُناجـاةِ والاتِّصـالِ بـا للهِ تعالى. ثلاثَ مرَّاتٍ تَتَكَرَّرُ عليه أُمُّهُ، تُريدُ الجلـوسَ معـه، والأُنـسَ بحديثِـه،

وهو لا يُلقي لها بالاً، وكان الواجبُ عليه أن ينصَرِفَ من صلاتِه ويُجيبُ أُمَّهُ؛ لأنَّ ذلكَ أولى من صلاةِ النافِلَةِ، إلاَّ أنَّه عَقَّها.

وعقوقُ الوالدينِ من أكبرِ الكبائرِ، فقد قَرَنَ اللهُ سبحانه وتعالى بِرَّهما بطاعَتِه؛ ﴿ **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوٓاْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً** ﴾ [الإسراء:٢٣].

و قال ﷺ : ((ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، وَالدَّيُّوثُ. وَثَلاَثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى)). [رواه النسائيُّ، والبزَّارُ، وقال الهيثميُّ في المجمَع: ورجالهما ثِقات. وأحمدُ في المسند]

لقد أغضَبَ جُرَيْجٌ أُمَّهُ، فتعرَّضَ لدعوتِها عليه، ودعوةُ الوالدينِ على أبنائِهما مُستجابَةٌ؛ قال رسولُ اللهِ ﷺ : ((ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لاَ شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ)). [رواه الترمذيُّ، وابنُ ماجة، وأحمدُ، وإسنادُه حَسَنٌ]

فدَعَتْ عليه أن لا يُميتَهُ اللهُ حتَّى يُرِيَهُ وجوهَ الزَّواني. وإذا شاءَ اللهُ شيئاً هيَّأَ له أسبابَهُ حتَّى يقعَ؛ فالصِّراعُ بين الحقِّ والباطلِ قائمٌ منذُ خَلَقَ اللهُ آدمَ وإبليسَ إلى قيامِ الساعَةِ، في مُحاولاتٍ عاتِيَةٍ من شياطينِ الإنسِ والجنِّ لِصَدِّ الناسِ عن عبادَةِ اللهِ وطاعتِه، وإغرائِهم بالفاحشَةِ والمعصيَةِ، وقيادَتِهم إلى الغفْلَةِ والإعراضِ؛ ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ [ص:٨٢-٨٣] ؛ ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن**

يَقُولُوٓاْ آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ا للهُ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٢-٣].

وأعظَمُ الفِتَنِ على الإطلاقِ فِتَنُ الشَّهواتِ والإغراءاتِ؛ وقلَّ من تعرَّضَ لشيءٍ منها فصبَرَ إلاَّ من عَصَمَهُ ا للهُ عزَّ وجلَّ. فالفتنَةُ أشدُّ من القتلِ؛ ولهذا فقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «إنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنِ، إنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهاً». [رواه أبو داودَ]

تَحَدَّثَ بنو إسرائيلَ عن عِبادَةِ جُرَيْجٍ وصلاحِه ووَرَعِهِ، فقامَتْ بَغِيٌّ من البغايا، كانت مغرورةً بنفسِها، مُدِلَّةً بجمالِها، يتَحَدَّثُ الناسُ عن حُسْنِها، فهوَّنَتْ أمرَه، وقَلَّلَتْ من شأنِه، وزَعَمَتْ أنَّها لو تعرَّضَتْ له لفَتَنَتْهُ عن عِبادَتِهِ.

والسَّاقِطونَ في أوحَالِ الرَّذيلَةِ يَظُنُّونَ أنَّ البشرَ جميعاً كمن عرفوا، من أهلِ الفِسْقِ، وعُبَّادِ الشَّهواتِ. نعم! يظنُّ أعداءُ ا للهِ والغافِلونَ عنه وعن ما أعدَّه لعبادِه من النَّعيمِ والأجرِ الذين يتَّبعونَ الشَّهواتِ، والذينَ لم يَتذَوَّقوا طعمَ الطاعَةِ، وحلاوَةَ الإيمان، ولَذَّةَ الخَشْيَةِ للهِ، يَظُنُّونَ أنَّ عِبادَ ا للهِ جميعاً مثْلَهم؛ لا يرجونَ للهِ وَقَاراً، ولا يخافونَ يوماً تَتَقَلَّبُ فيه القلوبُ والأبصارُ، إذا خلوَ بمحارِمِ ا للهِ انتَهَكوها، يَظُنُّونَ أنَّ أولياءَ ا للهِ تعالى مثلَهم؛ رَضُوا بالحياةِ الدُّنيا واطأنُّوا بها، ليسَ فيهم من يستعلي على مُتَعِ الدُّنيا الزائِلَةِ، وليسَ عندَهم من الدين والتُّقى والصَّلاحِ ما يَعْصِمُهم من

الوقوعِ في الرَّذيلَةِ، والوُلوغِ في الفاحشَةِ. ولا عَجَبٌ، فكلٌّ ينْضَحُ بما فيه، ويَنْظُرُ بعين طَبْعِهِ.

والذي نفسُهُ بغيرِ جمالٍ | لا يرى في الوجودِ شيئاً جميلاً

ومَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ ضريرٍ | يَجِدْ مُرًّا به الماءَ الزُّلالا

لقد جاءَ كُفَّارُ مكَّةَ إلى المصطفى ﷺ بعدَ أن صَدَعَ بدعوتِه إلى التوحيدِ، يحملونَ من الإغراءاتِ والترغيباتِ ما لا يَصْبِرُ أمامَه على مبدئِه إلاَّ صَفْوَةُ الخلقِ. جاءوه يوماً فقالوا: يا محمَّدُ ! إن كُنتَ جئتَ بهذا الحديثِ تَطلُبُ مالاً جمعنا لك من أموالِنا حتَّى تكونَ أكثرَنا مالاً، وإن كُنتَ إنَّما تَطلُبُ الشَّرفَ فينا سوَّدْناكَ علينا، وإن كُنتَ تُريدُ مُلْكاً ملَّكْناكَ علينا، وإن كُنتَ تُريدُ النِّساءَ فاخْتَرْ أيَّ نساءِ قريشٍ شئتَ فَلْنُزَوِّجْكَ عشراً، وإن كان هذا الذي يأتيكَ رِئْيَاً من الجنِّ تراه قد غَلَبَ عليكَ، بَذَلْنا أموالَنا في طَلَبِ الطِّبِّ حتَّى نُبْرِئَكَ منه، أو نُعْذَرَ فيكَ.

فقال ﷺ : « ما بي ما تقولونَ ! ما جئتُ بما جئْتُكم به أطْلُبُ أموالَكم، ولا الشَّرَفَ فيكم، ولا المُلْكَ عليكم، ولكنَّ الله بعثَني إليكم رسولاً، وأنزلَ عليَّ كتاباً، وأمَرَني أن أكونَ لكم بشيراً ونذيراً، فَبَلَّغْتُكم رسالاتِ ربِّي، ونَصَحْتُ لكم، فإنْ تَقْبَلوا منِّي ما جئتُكم به فهو حَظُّكم من الدُّنيا والآخرَةِ، وإنْ تَرُدُّوه عليَّ أصْبِرْ لأمرِ اللهِ حتَّى يَحْكُمَ الله بيني وبينكم ». [رواه ابنُ هشامٍ في السيرَةِ، والبيهقيُّ في الدلائلِ، وسَنَدُه صحيحٌ]

وحَفَلَ تأريخُ المسلمينَ بإغراءاتٍ عظيمَةٍ، أسْقَطَتْ بشراً كبيراً، وصَدَّتْ عن سبيلِ اللهِ كثيراً، وصَبَرَ فيها من عبادِ اللهِ من يرجُونَ اللهَ واليومَ الآخِرَ.

حَدَّثَ الإمامُ الذَّهَبِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- في السِّيَرِ بسَنَدِهِ عن أبي رافِعٍ قال: « وجَّهَ عمرُ بنُ الخَطَّابِ جيشاً إلى الرُّومِ، فأسَروا عبدَ اللهِ بنَ حُذَافَةَ السَّهْمِيَّ، فذَهَبوا به إلى مَلِكِهِم، فقالوا: إنَّ هذا من أصحابِ محمَّدٍ. فقال: هلْ لَكَ أن تَتَنَصَّرَ وأُعطِيكَ نِصفَ مُلْكِي ؟ قال: لو أعطيتَني جميعَ ما تَمْلِكُ، وجميعَ مُلْكَ العربِ ما رَجَعْتُ عن دينِ محمَّدٍ طَرْفَةَ عينٍ. قال: إذاً أقْتُلُكَ ! قال: أنتَ وذاكَ ! فأمرَ به فَصُلِبَ، وقال للرُّماةِ: ارموه قريباً من بَدَنِه، وهو يعرِضُ عليه ويأبى، فأنزَلَهُ، ودعا بقِدْرٍ، فَصُبَّ فيها الماءُ حتَّى احترَقَتْ، ودعا بأسيرينِ من المسلمين، فأمرَ بأحدِهما فأُلقِيَ فيها، وهو يعرِضُ عليه النَّصرانيَّةَ ويأبى، ثمَّ بكى -رضي الله عنه- فَقِيْلَ للمَلِكِ: إنَّه يبكي ! فظنَّ أنَّه قد جَزِعَ، فقال: رُدُّوه ، ما أبكاكَ ؟ فقال: قُلتُ هي نفسٌ واحِدَةٌ تُلقى الساعَةَ، فتَذْهَبُ، فكُنتُ أشتهي أن يكونَ لي بعَدَدِ شعَري أنْفُسٌ تُلقى في النارِ في اللهِ !! فقال المَلِكُ: هلْ لكَ أن تُقَبِّلَ رأسي وأُخَلِّي عنكَ ؟ قال: وعن جميعِ أُسارى المسلمين ؟! قال: نعم ! فقَبَّلَ رأسَه، وقَدِمَ بالأُسارى على عمرَ بنِ الخَطَّابِ، فأخبرَه بذلكَ، فقال عمرُ: حقٌّ على كلِّ مسلمٍ أن يُقَبِّلَ رأسَ عبدِ اللهِ بنِ حُذافَةَ السَّهْمِيِّ، وأنا أبدأُ بذلكَ، فقبَّلَ رأسَه ».

ويا للهِ كم من شهواتِ الدُّنيا التي أذَلَّتْ أعناقاً، واسْتَرَقَّتْ نفوساً، وأضَلَّتْ أقواماً. غيرَ أنَّ الموقِفَ الذي يجبُ أن يكونَ عليه المسلمونَ دائماً أمامَ شهوَاتِ الدُّنيا، وإغراءاتِ أصحابِها هو موقِفُ سيِّدِ الدُّعاةِ وإمامِ العُبَّادِ جميعاً؛ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ حينَ قال لعمِّه أبي طالبٍ: « يا عَمِّ ! واللهِ لو وَضَعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يساري على أن أتْرُكَ هذا الأمرَ حتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أو أهْلَكَ فيه ما ترَكْتُه ». [رواه ابنُ هِشامٍ في السيرة]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

*** * ***

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه، كما يُحبُّ ربُّنا ويرضى، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا ا للهَ عبادَ ا للهِ وقوموا بحقِّــه، واعبـدوه حقَّـاً في السـرِّ والنجـوى، واعلموا أنَّكم ملاقوه.

أيُّها المسلمون:

وتمضي تلكَ البَغِيُّ مع الشيطانِ إلى جُرَيْجٍ العابِدِ، فَتَعْرِضُ نفسَها عليـه، كلُّ ذلكَ بمشيئَةِ ا للهِ تعالى ثمَّ بدعوةِ أُمِّه عليه، ولكنَّه لم يلْتَفِـتْ إليهـا، و لم يَنْشَغِلْ بها، بل عَصَمَه ا للهُ تعالى مـن هـذه الفِتْنَـةِ العظيمـةِ الـتي قـال عنهـا المصطفى ﷺ : « مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ».
[متفقٌ عليه]

وبَلَغَ الأسى والحُزْنُ والغَضَبُ بهذهِ المرأةِ البَغِيِّ مبلَغَـهُ؛ حيـثُ خَسِـرَتْ المعركَـةَ مـع هـذا العـابِدِ، وكـانت قـد تَعَهَّـدَتْ للقـومِ بِفِتْنَتِه وإيقاعِــه في حبائِلِها، فلمَّا رَجَعَت خائبةً خاسِرَةً، شـقَّ عليهـا ذلـكَ، فَمَكَـرَتْ لِجُرَيْـجٍ مَكراً عظيماً؛ حيثُ رأتْ راعياً يأوي إلى صَوْمَعَتِه، فذَهَبَتْ إليـه، وأمْكَنَتْـهُ من نفسِها، فلمَّا زَنى بها، وحَمَلَتْ منه ووَضَعَتْ، زَعَمـتْ أنَّ الغُـلامَ مـن جُرَيْجٍ، فهو الذي زَنى بها، وصلاحُهُ وعبادَتُهُ التي يُظْهِرُها إنَّما هي كَـذِبٌ ونِفاقٌ !!

وكمْ يأسى الناسُ ويألمونَ عندما يَثِقُونَ بعبادِ ا للهِ، ومن يتَلَبَّسونَ بالتُّقى والصلاحِ ثمَّ ينْكَشِـفُ حـالُهم ويَتَبيَّـنُ أنَّهـم مُخـادِعونَ مُـراؤنَ، يَتَلبَّسـونَ

بالزُّهْدِ والعبادَةِ ليأكلوا أموالَ الناسِ بالباطلِ، ويَهْتِكوا حُرُماتِهم، وقد وَثِقوا بهم، وأطمأنّوا إليهم.

غيرَ أنَّ هذه الحالَ بحمدِ اللهِ نادرةٌ في عبادِ اللهِ المتقينَ، وهي إلى المنافقين أقرَبُ.

جاءَ أهلُ القريَةِ إلى جُرَيْجٍ والغَضَبُ يغلي في عروقِهم، وأنزلوه من صَوْمَعَتِه، وأمروه بترْكِ التَعَبُّدِ الكاذِبِ، فلم يَسْمَعْ لندائِهم، ولم يَدْرِ ما الخبرُ ، فقد كان ماضياً في صلاتِه وعبادَتِه. فهَدَموا صَوْمَعَتَهُ، وأخَذوا يَضْرِبونَه ! فسألَهم: ما الأمرُ ؟! فأخبروه.

لقد كان جُرَيْجٌ صادِقاً في عبادَتِه، واثِقاً من استقامَتِه، فلمَّا اجتَمَعَتِ الجموعُ الثائرةُ طلَبَ منهم مُهْلَةً يُصَلِّي فيها، ويدعو ربَّه كَشْفَ الكَرْبِ الذي ألَمَّ به، فلمَّا فَرَغَ من صلاتِه جاءَ إلى الغُلامِ الذي لم يَمْضِ على ولاَدَتِه إلاَّ ساعاتٌ، وطَعَنَهُ في بَطْنِه بأُصْبُعِه، وخاطَبَهُ قائلاً: من أبوكَ ؟! والناسُ ينظرونَ في صَمْتٍ مُعْجَبينَ ! كيفَ يُخاطِبُ من كان في المَهْدِ صَبِيًّا. فأنْطَقَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ الذي أنْطَقَ كلَّ شيءٍ، ليكونَ آيةً من آياتِ اللهِ، ودلائِلِ قُدْرَتِهِ، وعظيمِ سُلْطانِه، فنَطَقَ الغُلاَمُ بكلامٍ مسموعٍ واضحٍ مفهومٍ، وقال: أبي فُلانُ الراعي ! فانْكَشَفَ مَكرُ البَغِيِّ، ونَصَرَ اللهُ هذا العبدَ الصالِحَ، وحَفِظَهُ من أن يُفْتَنَ في دينِه، وأبانَ للناسِ أنَّه عابدٌ صالِحٌ، وأنَّهم أخطأوا في إيذائِه، وتسرَّعوا في تصديقِ التُّهْمَةِ؛ ﴿ **وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ** ﴾ [فاطر:٤٣].

عبادَ اللهِ:

لقد أفادَ هذا الحديثُ فيما أفادَ: أنَّ عُقوقَ الوالدينِ عظيمٌ، وأنَّ عُقوبَتَه مُعَجَّلَةٌ في الدُّنيا قبلَ الآخرَةِ، وأنَّ دعوَةَ الوالدينِ على أولادِهما مُسْتَجابَةٌ، وأنَّ اللهَ يُنْجِي العبدَ المؤمنَ بصلاحِهِ وتُقاهُ، ويَحْفَظُهُ بحفظِهِ إيَّاهُ، وقيامِه بأمرِه.

أفادَ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قادِرٌ على ما يشاءُ، وأنَّ المُتَقينَ والصالحينَ يَفِرُّونَ إلى اللهِ سبحانه ويلجَأونَ إليه عندَ حُلولِ الضَّوائقِ بهم، وأنَّ اللهَ تعالى قد جعلَ لِبَعْضِ عبادِه من الثباتِ واليَقينَ وحُسْنِ الظَنِّ به تعالى والثِّقَةَ بنصرِه ما يَجْعَلُه يواجِهُ الأمورَ العظيمَةَ والمصائبَ الكبيرةَ بشجاعَةٍ ورباطَةِ جأشٍ.

أفادَ الحديثُ فيما أفادَ: أنَّ أهلَ الفُجورِ والضَّلاَلِ وعُبَّادِ الشَّهواتِ يسْعَونَ دائماً لتشويه صَفْحَةِ الصالحينَ والأخيارِ، وإلْصَاقِ التُّهَمِ بهم، والكَذِبِ والافتراءِ عليهم، ولكنَّ الصالحينَ إذا صَبَروا وآمنوا وثَبَتوا كان ذلكَ ابتلاءً من اللهِ تعالى لهم، يَخْلُفَهم به عاقِبَةً حميدةً، وذِكْراً حَسَناً، ورِفْعَةً في الدرَجَاتِ، وقد يؤيِّدُهم بالكراماتِ الظاهِرَةِ؛ نُصْرَةً من اللهِ تعالى لهم، وهو سبحانه يكونُ مع عِبادِه المتقينَ مؤيِّداً ونصيراً حتَّى يَنْصُرَهم، ويُخْرِجَهم من المِحَنِ مَرْفوعي الرأسِ، موفوري الأجرَ، ولسانُ حالِهم يقولُ:

يا واهِبَ الآمالِ أنـــتَ حَفِظْتَني فَمَنَعْتَني
وعَدا الظَّلومُ عليَّ كـــي يَجْتَاحَني فَحَمَيْتَني
فانقـادَ لي مُتَخَشِّعاً لَّما رآكَ نَصَرْتَني

افادَ الحديثُ فيما أفادَ: أنَّ من عادى وليَّاً من أوليـاءِ ا للهِ، أو أَلْحَقَ بـه الضَّرَرَ والأذى فإنَّ ا للهَ تعالى يَفْضَحُه على رؤوسِ الأشهادِ، ويَجْعَلُـه عِبْرَةً للمُعْتَبرين، ولكنَّ ذلك قد يتأخَّرُ لِحكْمَةٍ وتقديرِ إلاهيٍّ، إلاَّ أنَّ سُنَّةَ ا للهِ لا تَتَخلَّفُ ولا تَتَغيَّر.

قال ﷺ : ((إنَّ ا للهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِـالْحَرْبِ، وَمَـا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْـتَرَضْتُ عَلَيْـهِ، وَمَـا يَـزَالُ عَبْـدِي يَتقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّـذِي يَسْـمَعُ بِـهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَـا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَـيْءٍ أَنَـا فَاعِلُـهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْـرَهُ مَسَـاءَتَهُ)). [رواه البخاريُّ وغيرُه]

وروى الإمامُ أحمَدُ في الزُّهْدِ بإسنادِه عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ قـال: ((إنَّ ا للهَ تعالى قال لموسى عليه السلامُ حـينَ كلَّمَـه: اعْلَـمْ أنَّ مـن أهـانَ لي وليَّـاً أو أخافَه فقد بارَزَني بالمُحارَبَةِ، وبادأني، وعرضَ نفسَـه ودعـاني إليهـا، وأنـا أسرَعُ شيءٍ إلى نُصْرَةِ أوليائي، أَفَيَظُن الذي يُحـارِبُني أن يقـومَ لي، أَوَيَظُـن الذي يُعازُّني أن يُعْجزَني، أمْ يَظُـن الـذي يُبـارِزُني أن يَسْبِقَني أو يفوتَـني، كيفَ وأنا الثائرُ لهم في الدُّنيا والآخِرَةِ، فلا أَكِلُ نُصْرَتَهم إلى غيري)).

وإن لم يكُن المُنْقَطِعونَ لعبادَةِ ا للهِ وطاعَتِه، والمُشْتَغِلونَ بذِكَرِه وتَسْبيحِه أوليـاءَهُ فمـن يكونـوا إذاً ؟! ﴿ **أَلآ إِنَّ أَوْلِيَـآءَ ا للهِ لاَ خَـوْفٌ عَلَيْهِـمْ وَلاَ هُـمْ**

يَحْزَنُونَ ۞ الّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَىَ فِـي الْحَيـاةِ الدّنْيَـا وَفِـي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ا للهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

ألاَ وصلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم ا للهُ تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليـه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ إِنَّ ا للهَ وَمَلاَئِكَـتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُـواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [الأحـزاب:٥٦]. وقـال ﷺ : « مَـنْ صَلَّـى عَلـيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّىَ ا للهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَاً ». [رواه مسلم]

ꕥ ꕥ ꕥ

وإذا الموءودة سئلت (فضل تربية البنات)

●الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ الذي أرشدَ الخلقَ إلى أكملِ الآدابِ، وفتحَ لهم من خزائنِ رحمتِه وجودِه كلَّ بابٍ، أنارَ أبصارَ المؤمنين، فأدركوا الحقائقَ، وسعوا في طلبِ الثوابِ، وأعمى بصائرَ المعرضينَ عن طاعتِه، فأصبحَ بينهم وبين نورِهِ وفضلِه حجابٌ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له ، الملكُ العزيزُ الوَّهابُ، ربُّ الأربابِ، ومُسبِّبُ الأسبابِ، وخالقُ خلقِه من تُرابٍ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، ومصطفاهُ وخليلهُ، بعثه الله بكريم السجايا وأكملِ الآداب، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا الله تبارك وتعالى حقَّ التقوى ، وراقبوه سبحانه في السرِّ والنجوى، واحذروا المعاصي فإنَّ أقدامكم على النارِ لا تقوى، وتزوَّدوا من الأعمالِ الصالحةِ للأخرى، واعلموا أنَّ خيرَ الزادِ التقوى، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران:١٠٢].

أيُّها المسلمون:

الأولادُ هِبَةُ اللهِ تعالى للآباءِ، يُسرُّ الفؤادُ بمشاهدتِهم، وتَقرُّ العينُ برؤيتِهم، وتبتهجُ النفوسُ بمحادثتِهم، هم ريحانةُ الألبابِ، وزهرةُ الحياةِ، وثمرُ الفؤادِ، وزينةُ العمرِ؛ ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً** ﴾ [الكهف:٤٦].

جاءَ الحسنُ والحسينُ يسعيَان إلى النبيِّ ﷺ ، فضمَّهما إليه، وقال: « إنَّ الْوَلَدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ ». [رواه ابنُ ماجة، وأحمدُ] والمعنى عباد الله: أيْ من أجلِهم يبخلُ الإنسانُ ويجْبُنُ.

الأبناءُ ثمارُ القلوبُ، وعِمادُ الظهورِ، وربيعُ الأفئدةِ، ومُتْعَةُ الأبصارِ؛ ولهذا حرصَ الإسلامُ على السَّعي في طلبِ الولدِ حينَ شرعَ النكاحَ الصحيحَ، ثمَّ أرشدَ في النكاحِ إلى اختيارِ الزوجةِ الولودِ الودودِ، التي تُنجبُ بإذنِ الله وفضلِه من الأولادِ ما يكونُ زيادةً للأمَّةِ، وتكثيراً لها؛

لقولِه ﷺ : « تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ؛ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُـمُ الأُمَـمَ ». [رواه أبو داود، والنسائيُّ، وغيرُهما]

ولا تزالُ هذه حقيقةً قائمةً إلى يومِ القيامةِ، لم يطرأ عليها ما يُنقصُها أو يُغيِّرُها.

والبشرُ -عبـاد الله- لهـم مشـاربُ شتَّى في هـذه الحيـاة، ولهـم أمـانيُّ ورَغَبَـاتٌ، يُريـدونَ شـيئاً، ولكـنَّ الله يُريـدُ أمـراً آخـرَ ؛ لحكمـةٍ ومقصـدٍ عظيمين، لا يعلمُهما إلاَّ الله وحدَهُ، وهو الفَعَّالُ لما يُريدُ.

ولقد بُليَتِ المجتمعاتُ الجاهليَّةُ عبرَ الأزمانِ بصفـاتٍ وسـجايا، توارثهـا الخلفُ عن السلفِ، تقليداً ومُشاكلةً على حدِّ قـولِ الحقِّ سبحانه وتعـالى عنهم: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَآءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٣].

عاداتٌ وتقاليدُ استحكمت علـى القلـوبِ، وسـيطرت علـى النفـوسِ، حتَّى صارت شعاراً متبوعاً، ولو لم يرضَ بها الفاعلُ:

من معشَرٍ سنَّتْ لهم آباؤهم ... ولكلِّ قـومٍ سُنَّةٌ وإمامُهـا

يُقدِمُ المرءُ فيها على ما يفعلُه الآباءُ والأجدادُ، وأفرادُ العشيرةِ، ولو كان يعتقدُ في قرارةِ نفسِه أنَّ الحقَّ خلافُه، ولسانُ حالِه يقول:

وهل أنا إلاَّ من غُزَيَّةٍ إن غَوَتْ ... غويتُ وإن ترْشُدْ غُزَيَّةُ أرشُـدِ

عباد الله:

ومن العاداتِ الجاهليَّةِ اللَّعينةِ التي سـجَّلَها القـرآنُ الكريـمُ وصمَـةَ عـارٍ على جبينِ الجاهليَّةِ العربيةِ إلى يومِ القيامةِ، والـتي جـاءَ الإسـلامُ بتحريمِهـا،

والتَّحذيرِ منها، ليرفعَ العربَ من وَهْدَتِها، ويسمو بهم عن الوقوعِ في حمأتِها عادةُ وأدِ البناتِ، وقتلِهنَّ؛ التي كانت مُتَفشيَّةً في أوساطِ الناسِ إبَّانَ مبعثِ الحبيبِ المصطفى ﷺ .

أيُّها المسلمون:

لقد كانت البنتُ في جاهليَّةِ العربِ التي محاها الإسلامُ بعدَ ظهورِ نورِ الرِّسالةِ المحمديَّةِ مُهانَةً ذليلةً، في الأسرةِ والمجتمعِ، لا حقَّ لها ولا كرامةَ، لا يُعتدُّ بها في رأيٍ ولا وجودٍ. استعبدَها الرِّجالُ في ذِلَّةٍ وامتهانٍ، إن سألت لا تُجابُ، وإن طلَبتْ لا تُعطى، وإن احتِيْجَ إليها فللسقي والاحتطابِ، والتقاطِ النوى، وتغذيَةِ الكلابِ، فإن تسامت مكانتُها عن ذلك قليلاً فلإبرادِ غلَّةِ الشهوةِ في ازورارٍ، ونظراتٍ شزراءَ، وكأنَّها بهيمةٌ من البهائمِ المُهملَةِ، أو قطعةٌ من سَقَطِ متاعِ البيتِ.

يقولُ الفاروقُ -رضي الله عنه-: (كُنَّا في الجاهليَّةِ لا نعتدُّ بالنساءِ، ولا نُدخلُهنَّ في شيءٍ من أمورِنا، بل كُنَّا ونحنُ بمكةَ لا يُكلِّمُ أحدُنا امرأتَه، إذا كانت له حاجةٌ سَفَعَ برجليْها، فقضى منها حاجتَه، فلمَّا جاءَ الإسلامُ أنزلَهُنَّ حيثُ أنزلَهُنَّ، وجَعلَ لُهُنَّ حقَّاً). ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [البقرة:٢٢٨].

كانت المرأةُ في الجاهليَّةِ إذا خرَجت من بطنِ أمِّها إلى الدُّنيا اسودَّتْ وجهُ أبيها، واغتاظتْ نفسُه، وتقاذفتْهُ الهمومُ والتساؤلاتُ من كلِّ جانبٍ؛ أَيُمْسِكُها على هُونٍ أمْ يدُسُّها في الترابِ ؟!!

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۞ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل:٥٨-٥٩].

إنَّها عقولٌ تائهةٌ، فارقَها رُشدُها لطولِ عهدِها بنورِ الوحيِ، وهدي الأنبياءِ، لرجالٍ صَنعَتْهُمُ الوثنيَّةُ، وربَّتهُمُ الكِهانَةُ، فغَمَّ صفاءُ أصولِها، فأصبحت فصاحةُ ألسنتِها، وكرمُ أيديها، وشجاعةُ أبدانِها بروقاً تومضُ ولا تُضيءُ، وتُرعِدُ ولا تُمطرُ.

بل كانتِ المرأةُ تُهجَرُ إذا انجبَتِ البنتَ، فيهجرُها زوجُها كراهةً لها ولما أتَتْ به، فتبيتُ تُقلِّبُ كفَّيْها حيرةً، وتُساءِلُ نفسَها: ما ذنبُها إذا كان اللهُ هو الذي قدَّرَ لها ذلك ؟! وما الجُرْمُ الذي ارتكبته حتَّى تُهجرَ ؟! وهل تستطيعُ أن تخلُقَ ما في رحِمِها ذكراً ؟! ولسانُ حالِها يقولُ:

ما لأبي حمزةَ لا يأتينا ... ينامُ في البيتِ الذي يلينا
غضبانَ ألاَّ نلِدَ البنينا ... تاللهِ ما ذلك في أيدينا

وبهذا -عبادَ اللهِ- نُدركُ إلى أيِّ مدىً انحطَّ أهلُ الجاهليةِ؛ فامتهنوا كرامةَ المرأةِ، وأهدروا إنسانيَّتَها، بل جَمَحَتْ بهم حماقةُ الجاهليَّةِ، فشذُّوا عن سواءِ السبيلِ، وانطلقَ أحدُهم إذا بشَّرَه البشيرُ بالأنثى يخبِطُ في مهامِه الحياةِ، ويَهيمُ في دروبِها، يخبطُ خَبْطَ العُشَراءِ، مُسوَدًّا وجهُه من الهمِّ والحُزنِ والضيقِ والكراهيَةِ لقضاءِ اللهِ وقدَرِه وقَسْمِه، يكظُمُ غيْظَه ويُصارعُ غمَّه، وكأنَّها بليَّةٌ أو نازلةٌ يضيقُ بها ذَرْعًا، وما علمَ أنَّ الأنثى هِبَةُ اللهِ له كالذَّكرِ، وأنَّه لا يملِكُ أن يُصوِّرُ في رَحِمِ امرأتِه ذكراً ولا أنثى،

ولا يستطيعُ أن ينفُخَ فيه الرُّوحَ، ولا يدري ما سيولدُ لـه إلاَّ بعـدَ خروجـِه من بطنِ امرأتِه.

حتَّى انتهى بهم الأمرُ إلى دفنِ بنـاتِهم وهُـنَّ أحيـاءٌ؛ خشيَةَ الوقـوعِ في العارِ كما يزعمونَ، أو خشيَةَ الوقوعِ في السبي، وأخذِها عُنْوةً من الأعداءِ، أو خشيَةَ الفقرِ والإملاقِ، وكلُّ هذه الأعـذارُ أوهـى وأقبـحُ مـن الأفعـالِ، فهي أمورٌ تجري بقضاءِ ا للهِ وتقديرِه، ولن يُصيبَ العبدَ إلاَّ ما كتبَ ا للهُ له أو عليه، والرِّزقُ بيدِ ا للهِ وحدَه، ولذا وبَّخَهم ا للهُ على صنيعِهم في القـرآنِ الكريمِ بقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُـمْ وَإِيَّـاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً** ﴾ [الإسراء: ٣١].

وكان الوأدُ يتمُّ في صورةٍ قاسـيةٍ؛ إذْ كـانت البنـتُ تُدفنُ وهـي حيَّـةٌ، وكانوا يتفنَّنون في هذا بشتَّى الطرقِ؛ فمنهم من كـان إذا ولـدت لـه بنـتٌ تركَها حتَّى تكونَ في السادسةِ من عمرِها، ثمَّ يقولُ لأمِّها طيِّبيهـا وزيِّنيهـا حتَّى أذهبَ بها إلى أحمائها ! وقد حفرَ لها بئراً في الصحراءِ، فـإذا بلـغَ بهـا البئرَ قال لها: انظري فيها، ثمَّ يدفعُهـا دفعـاً، ويُهيـلُ عليهـا الـترابَ. وعنـدَ بعضِهم كانت الوالدةُ إذا جاءَها المخاضُ جلست فـوقَ بئرٍ محفـورةٍ، فـإذا كان المولودُ بنتاً رمتْ به فيها، ورَدَمتْهـا، وإن كـان ابنـاً قـامت بـه معهـا. وبعضُهـم إذا نـوى ألاَّ يَئِـدَ ابنتَـه أمسـكَها مُهانـةً ذليلـةً إلى أن تقـدِرَ علـى الرَّعي، فيُلبسها جُبَّةً من صوفٍ أو شعرٍ، ويُرسلُها في الباديةِ ترعى له إبلَه.

إنَّهـا قلـوبٌ قاسـيةٌ، جفَّـتْ مـن الرَّحمَـةِ والشـفقَةِ، فـأصبحتْ صلـدةً كالحجارةِ الصَّماءِ التي لا يُرى فيها أثرُ الرِّيحِ على كـثرةِ تعاقُبِهـا. مشـاهدُ

مُتكرِّرةٌ ينْدى لها الجبينُ الإنسانيُّ، وتقشعرٌ منها النفوسُ السويَّةُ، والجاهليُّ الصَّلْفُ ذو القلبِ القاسي والنفس الخبيثةِ يدفنُ وليدتَه الضَّعيفةَ بدونِ ذنبٍ وجُرْمٍ ، ويُهيلُ عليها الترابَ وكأنَّها ليست من لحمِهِ ودمِه.

حدَّثَ الفاروقُ -رضي الله عنه-؛ وهو يعجبُ بعدَ إسلامِه من بلادةِ الذهنِ، وقلَّةِ الإحساسِ؛ أنَّه ذهبَ في الجاهليَّةِ ليدفنَ بنتاً له، فوضعَها، وجلسَ يحفرُ لها، فكانت تنفُضُ الغبارَ عن لحيتِه وهو يحفرُ، فلمَّا فرغَ دفنَها.

وحدَّثَ قيسُ بنُ عاصمٍ بعد إسلامِه -وكان هو الذي سنَّ للجاهليَّةِ وأدَ البناتِ- حدَّثَ بينَ يدي رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه وأدَ من بناتِه اثنتي عشرةَ في الجاهليَّةِ. فقال ﷺ : « مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ ». ثمَّ أمرَه أن يُعتِقَ بكلِّ واحدةٍ منهنَّ جاريةً مؤمنةً. [رواه عبدُ الرَّزاقِ في المصنَّف]

﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير:٨-٩]. قال قتادةُ: (كان أحدُهم يغذو كلبَه، ويئِدُ ابنتَه).

والقرآنُ الكريمُ وهو يُشنِّعُ بهذه العادةِ الجاهليَّةِ المقيتَةِ، ويُقبِّحُها، وينهى عن الوأدِ أشدَّ النهي وأعظَمه، يجعلُه موضوعاً من موضوعاتِ الحسابِ والمساءَلَةِ يومَ القيامةِ، ويذكرُه في سياقِ الهولِ الهائجِ المائجِ من أحداثِ يومِ القيامةِ في سورةِ التكويرِ وكأنَّه حدثٌ كونيٌّ عظيمٌ من أحداثِ يومِ القيامةِ العظيمةِ، ويقولُ: إنَّ الموءودةَ ستُسألُ عن وأدِها، فكيفَ بوائدِها ؟! وعندَ السؤالِ لن يكونَ للقاتلِ عُذْرٌ يعتذرُ به؛ لأنَّ المقتولةَ ليسَ لها ذنبٌ، فيكونُ قتلُه لها بغيرِ حقٍّ، وعندئذٍ يحيقُ عليه

العذابُ. قال رسولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ، وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ ». [متفقٌ عليه]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

*** * ***

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله على إحسانِه، والشكرُ له على توفيقه وامتنانه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنِه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه الدَّاعي إلى رضوانِه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وإخوانِه، وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم القيامة.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله -عبادَ الله- واعلموا رحمكم اللهُ أنَّ عادةَ وأدِ البناتِ قضيَّةٌ قديمةٌ أكلَ عليها الدَّهرُ وشربَ، وأبطلَها الإسلامُ، وحرَّمها تحريماً عظيماً، وجعلَ للبنتِ مثلَ ما للذكرِ من الحقوقِ والتكاليفِ والواجباتِ على الأبوينِ، من رعايةٍ وتربيةٍ، وتوجيهٍ وإصلاحٍ، بل زادت عنايةُ الإسلامِ وترتيبُه الثوابَ والأجرَ على تربيةِ البناتِ في كثيرٍ من نصوصِ الوحي الشريفِ.

ولكنَّ هذه النعرةَ الجاهليَّةَ بدَتْ تبرُزُ في حياةِ الناسِ من جديدٍ، في هذه الأعصارِ المتأخِّرَةِ؛ حيثُ يُصابُ أحدُهم بالأسى والضيقِ والاكتئابِ حينما يرزقُه اللهُ تعالى بنتاً، وتلك لعمرُ اللهِ بدايةُ عادةِ الجاهليَّةِ المقيتَةِ، التي آلت بهم إلى وأدِ البناتِ.

بل وصلَ الحالُ ببعضِهم إلى هُجْرانِ زوجتِه المسكينةِ أو تطليقِها من غيرِ ذنبٍ إلاَّ أنَّها ولدت له بنتاً. ويغيبُ عن وعي هذا الجاهليِّ الجديدِ أنَّ الأمرَ بيدِ اللهِ سبحانه وتعالى وحدَهُ، فهو الذي يخْلُقُ الأطفالَ في الأرحامِ، ويعلمُ ما فيها؛ **﴿ للهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُورَ ۞ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾** [الشورى:٤٩-٥٠]. **﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾** [القصص:٦٨].

وإنَّ الأبَ بنظرتِه القاصرةِ قد يرى أنَّ الذكرَ خيرٌ له من الأنثى، ولكنَّه لا يدري ما سيكونُ عليه أمرُه من الفسادِ والضَّلالِ الذي قد يلحقُه ضررُه عندَ الكِبَرِ، ولكم رأينا من أبناءٍ كانوا وبالاً على آبائهم وفضيحةً لهم بين الناس، ممَّا يتمنَّى المرءُ المسلمُ معه الموتَ ولا أنه أنجبَ ذلك الولدَ يوماً ما. وقد قال الله تعالى لنبيِّهِ نوحٍ عليه السلامُ عن ابنِه الذي كفرَ: ﴿ **قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [هود:٤٦].

وفي المقابلِ قد يتشاءَمَ الأبُ من البنتِ لكنَّه لا يدري ما سيكونُ عليه أمرُها من الصلاحِ والتُّقى والبرِّ به والنفعِ له حالَ الكِبَرِ، ولقد ضربَ الله تعالى في كتابه العزيزِ النماذجَ الإيمانيَّةِ الرائعةِ لبعضِ النساء اللاتي هُنَّ أفضلُ من كثيرٍ من الذكورِ؛ ﴿ **وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ** ﴾ [التحريم:١١-١٢].

﴿ **وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة:٢١٦].

واعلموا رحمكم الله أنَّ تربيةَ البناتِ، والإحسانَ إليهنَّ، والإنفاقَ عليهنَّ، والشفقةَ والرَّحمةَ والكفالةَ والرِّعايةَ لهنَّ على منهجِ الله سبحانه

وتعالى سبيلٌ إلى الرِّضوانِ، ووقايةٌ من حُمَمِ النيرانِ، فقد حدَّثت عائشةُ –رضي الله عنها– قالت: جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَحَدَّثْتُهُ، فَقَالَ: «مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئاً فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ». [متفقٌ عليه]

وعنها –رضي الله عنها– أَنَّهَا قَالَتْ: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلاَثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: « إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ ». [رواه مسلمٌ في صحيحه]

وعن ابنِ عباسٍ –رضي الله تعالى عنهما– قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: « مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا، وَلَمْ يُهِنْهَا، وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا – قَالَ: يَعْنِي الذُّكُورَ– أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ». [رواه أبو داود، وأحمدُ، والحاكمُ، وقال: صحيحُ الإسنادِ]

وعن أنسِ بن مالكٍ –رضي الله عنه– قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ ». [رواه مسلمٌ، والترمذيُّ]

وأيُّ أجرٍ وثوابٍ أعظمُ وأكبرُ من أن يُحشرَ الأبُ المُربي لبناتِه التربيةَ الحسنةَ، الصابرُ على بلائهنَّ وتعَبِهنَّ مع المصطفى ﷺ في الدخولِ إلى الجنَّةِ بفارقٍ يسيرٍ، هو ما بين الأصبعِ السَّبابة والوسطى.

اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ والمسلمينَ، وأذلَّ الشركَ والمشركينَ.....

۞ ۞ ۞

تسمية المواليد؛ آدابٌ وأحكامٌ

●الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ أكرَمنا بدينِه، وأعزَّنا بطاعتِه، وجعلَنا من خيرِ أمَّةٍ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، في السماءِ ملكُه، وفي الأرضِ سلطانُه، وفي البحرِ عظمتُه، عزَّ جاهُه، وتقدَّست أسماؤُه، ولا إله غيرُه، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، وصفيُّه من خلقِه، وأمينُه على وَحْيِه، بعثَه الله بينَ يدي الساعةِ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى اللهِ بإذنِه وسراجاً منيراً، فبلَّغَ الرسالةَ، وأدَّى الأمانةَ، ونصحَ الأمَّةَ، وجاهدَ في اللهِ حقَّ جهادِه، فصلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتقوا الله تبارك وتعالى حقَّ التقوى؛ فإنَّ تقوى اللهِ سبحانه هي العروةُ الوثقى، والسعادةُ الكبرى، والنجاةُ العظمى في الآخرةِ والأولى، راقبوه ولا

تنسوه، وأطيعوه ولا تعصوه، واعلموا أنَّكم لديه محضرونَ، وعلى أعمالِكم مُحاسبونَ، وعلى تفريطِكم نادمونَ، ﴿ **فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [آل عمران:١٨٥].

أيُّها المسلمون:

تسميةُ الأبناءِ من الأمورِ المهمةِ التي شملتها عنايةُ الإسلامِ وشموليَّتِه بالتوجيهِ والرِّعايةِ؛ لمكانتِها، وعظيمِ دلائلِها، وشدَّةِ آثارِها على الأفرادِ والمجتمعاتِ.

فالاسمُ عنوانُ المسمَّى، ودليلٌ عليه، وهو زينةٌ للمولودِ، وشعارٌ له يُدعى به في الآخرةِ والأولى، وهو إلى ذلك تنويهٌ بالدينِ، وإشعارٌ بأنَّه من أهلِ ملَّةِ الإسلامِ، ثمَّ هو بعدَ ذلك رمزٌ يُعبِّرُ عن هُويَّةِ والدِه، ومعيارٌ دقيقٌ لديانتِه، وتأدُبِه بآدابِ الإسلامِ، وله عندَ الناسِ اعتباراتٌ ودلائلُ؛ فهو عندَهم كالثوبِ؛ إن قَصُرَ شانَ، وإن طالَ شانَ، ولذا دَرَج على الألسنةِ من قديمٍ: لكلِّ مُسمَّىً من اسمِه نصيبٌ.

وقلَّ إن أبصرت عيناكَ ذا لقَبٍ ... إلاَّ ومعناهُ في اسمٍ منه أو لقَبِ

فالاسمُ للمولودِ -عبادَ اللهِ- زينةٌ له، تُعرِّفُه بما يُميِّزه عن غيره على وجهٍ يليقُ بكرامتِه آدميًّا معصوماً مسلماً. وهو أولُ صفةٍ تواجه المولودَ إذا خرجَ من ظلمَةِ الرَّحمِ، لتُميِّزُه في بني جنسِه، وتُدخلُه في ديوانِ الأمَّةِ المسلمةِ. واسمعْ إلى قولِ الحقِّ سبحانه وتعالى عن نفسِه: ﴿ **وَللهِ الأَسْمَآءُ الْحُسْنَىَ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيَ أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ**

يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠]. فهو تنبيهٌ من العليمِ الخبيرِ إلى عنايةِ الإسلامِ بالتسميَةِ وأهميَّتِها. ثمَّ اسمعْ إلى خطابِ الله تعالى لنبيِّه زكريا -عليه السلامُ-: ﴿ **يَا زَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً** ﴾ [مريم:٧].

إنَّ تسميَةَ المولودِ في الإسلامِ حقٌّ شرعيٌّ للأبِ وحدَه، لا يُنازعُه فيه أحدٌ، يُسميِّه في يومِ ولادتِه، أو بعدَ ثلاثةِ أيَّامٍ منها، أو في اليومِ السابعِ؛ كما جاءتِ السنَّةُ النبويَّةُ الكريمةُ بهذا؛ وبه يُعلمُ أنَّ التسميَةَ هي أولُ فعلٍ يقومُ به الأبُ مع مولودِه ممَّا له صفةُ التوارُثِ والاستمرارِ.

وإنَّ حُسنَ اختيارِ أسماءِ المواليدِ في الإسلامِ من الواجباتِ الشرعيَّةِ التي تدلُّ على مدى ارتباطِ الأبِ المسلمِ بهديِ النبيِّ ﷺ ، ومدى سلامَةِ تفكيرِه من أيِّ مؤثِّرٍ يصرفُه عن طريقِ الرُّشدِ والاستقامةِ والإحسانِ إلى مواليدِه بالأسماءِ الحُسنى، ويربطُه بعدَ ذلك بهدي الشريعَةِ وآدابِها، وفيه اشباعُ نفسِ المولودِ بالعزَّةِ والكرامةِ؛ فإنَّه حينَ يَشِبُّ عن طَوْقِه، ويبلُغُ سنَّ التمييزِ والتساؤلاتِ يبدأُ هذا السؤالُ على لسانِه: على من سميتني يا أبتاه ؟ ولماذا اخترتَ لي هذا الاسمَ ؟ وما معناه ؟ وحينئذٍ يقعُ الأبُ في غَمْرَةِ السرورِ إن كان أحسنَ الاختيارَ، أو يقعُ في ورْطَةٍ أمامَ ابنِه القاصرِ عن سنِّ البلوغِ، فتنكشفُ ضحالةُ الأبِ ويظهرُ سُخْفُ عقلِه، فكأنَّ الأبَ من أوَّلِ مراحلِ تربيتِه لابنِه يُلبسُه لباساً أجنبيَّاً عنه، ويضعهُ في وعاءٍ لا يُلائمه، وهذا انحرافٌ عن سبيلِ الهُدى وطريقِ الرَّشادِ.

ومن الطريفِ في ذلك: ما رواه يحيى بنُ سعيدٍ أنَّ عمرَ بـن الخطـاب -رضي ا للهُ تعالى عنه- قال لرجلٍ: ما اسْمُكَ ؟ قال: جمرة! قال: ابـنُ مـن ؟ قال: ابنُ شهابٍ! قال: مِمَّن ؟ قال من الحُرْقَةِ ! قال: اينَ مسـكَنُكَ ؟ قـال: بحرَّةِ النارِ ! قال: بأَيِّتِها ؟ قال: بذاتِ لظى ! قال عمـرُ: أدرك أهلَـكَ فقـد هلكوا واحترقوا ! قال: فأتاهم، فألفاهم قـد احـترقَ عـامَّتُهم. [رواه مـالكٌ في الموطأ، وعبدُ الرزاق في المصنَّف]

وإنَّ المرءَ ليعجَبُ -عبادَ ا للهِ- من أسماءِ فئامٍ من الناس؛ الغريبةِ البذيئةِ، وكأنَّهم ينحتونَ الأسماءَ من الذهبِ والفضَّةِ، أو يشترونَها بغالي ما يملكونَ، أو كأنَّه مضيَّقٌ عليهم في بابِ الأسماءِ، أو كـأنَّ الأسمـاءَ الحسـَنَةَ تُعـدُّ علـى الأصابعِ.

ولقد كان من هديه ﷺ استحبابُ الاسمِ الحسـنِ الـذي يبعـثُ علـى الفـألِ والبركَـةِ، وكراهيَـةُ الاسـمِ الخبيـثِ الـذي يبعـثُ علـى التشـاؤمِ أو الطِيَرَةِ، فإذا سمعَ اسماً قبيحاً غيَّرَه إلى حسَـنٍ. روى ابـنُ عمـرَ -رضـي ا للهُ عنه-: أنَّ بِنْتاً يُقالُ لها عاصيـةُ سَـمَّاها رسـولُ ا للهِ ﷺ جَمِيْلَـةَ. [رواه مسلم وغيرُه]

وعندَ أبي داودَ: أَنَّ رَجُلاً يُقَـالُ لَـهُ أَصْـرَمُ كَـانَ فِـي النَّفَـرِ الَّذِيـنَ أَتَـوْا رَسُـولَ ا للهِ ﷺ ، فَقَـالَ رَسُـولُ ا للهِ ﷺ : « مَـا اسْـمُكَ ؟ » قَــالَ: أَنَــا أَصْرَمُ. قَالَ: « بَلْ أَنْتَ زُرْعَةُ ».

وروى البخاريُّ في صحيحه عن عبد الحميدِ بن جُبيرِ بن شُعْبَةَ قال: جَلَسْتُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، فَحَدَّثَنِي أَنَّ جَدَّهُ حَزْناً قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: « مَا اسْمُكَ ؟ » قَالَ: اسْمِي حَزْنٌ. قَالَ: « بَلْ أَنْتَ سَهْلٌ!» قَالَ: مَا أَنَا بِمُغَيِّرٍ اسْماً سَمَّانِيهِ أَبِي ! قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: فَمَا زَالَتْ فِينَا الْحُزُونَةُ بَعْدُ !

إنَّ للأسماءِ -عبادَ ا للهِ- آثارُها المُهمَّةُ التي تلحقُ الأمَّةَ أبداً في سلوكِها وأخلاقِها، على حدِّ قولِ النبيِّ ﷺ: « مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ». [رواه مسلمٌ في صحيحه]

وهو دليلٌ على مدى تأثيرِ الغزوِ الفكريِّ على الأمَّةِ، ومدى تأثيرِ العُجْمَةِ عليها، ومُداخلَةِ الثقافاتِ الوافدةِ لها، ممَّا يُعطي الصورةَ الكاملةَ الكافيةَ عن حالِ الأمَّةِ المغلوبَةِ بعُقْدَةِ التقليدِ والتبعيَّةِ والغلَبَةِ على أمرِها.

ولذا فقد ضَبطَتِ الشريعةُ الإسلاميَّةُ تسميَةَ مواليدِ المسلمين بضوابطَ شرعيَّةٍ أدبيَّةٍ مهمَّةٍ، من أبرزِها: أن لا يكونَ الاسمُ محرَّماً؛ حيثُ اتَّفقَ أهلُ العلمِ على أنَّه يحرُمُ كلُّ اسمٍ مُعبَّدٍ لغيرِ ا للهِ تعالى، من شمسٍ أو وَثَنٍ أو بشَرٍ أو غيرَ ذلك، من مثلِ عبدِ الرسولِ، وعبدِ النبيِّ، وعبدِ الحسينِ، وعبدِ الكعبةِ، وأضرابِها من الأسماءِ المُعبَّدَةِ لغيرِ ا للهِ تعالى.

وقد غيَّرَ النبيُّ ﷺ كلَّ اسمٍ مُعبَّدٍ لغيرِ اللهِ تعالى وجدَه في المسلمين بعد بعثَتِه، ليكونَ ذلك تشريعاً إلى يومِ القيامةِ في تحريمِ الأسماءِ المُعَبَّدَةِ لغيرِ الله تعالى.

ومن ذلك -عبادَ اللهِ- الغَلَطُ في التَّعبيدِ لأسماءٍ يُظنُّ أنَّها من أسماءِ الله، وليسَتْ كذلك؛ كعبدِ المقصودِ، وعبدِ السَّتَّارِ، وعبدِ الموجودِ، وعبدِ المعبودِ، فأسماءُ اللهِ تعالى توقيفيَّةٌ، أثبتتِ السُّنَّةُ الصحيحةُ منها تسعةً وتسعينَ اسماً فقط، لا يجوزُ الزيادةُ عليها بدون نصٍّ من كتابٍ أو سُنَّةٍ.

كما اتَّفقَ أهلُ العلمِ على تحريمِ التَّسمِّي بأسماءِ اللهِ تعالى؛ كالرَّحيمِ، والجَبَّارِ، والرَّحمنِ والخالقِ؛ قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ **رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً** ﴾ [مريم:٦٥].

ومن الأسماء المحرَّمَةِ -عبادَ اللهِ- التسميَةُ بالأسماءِ الأعجميَّةِ؛ المولَّدةِ للكافرين والخاصةِ بهم؛ لما فيها من التشبُّهِ بأعداءِ اللهِ تعالى ممَّن غضِبَ اللهُ عليهم من اليهودِ والنصارى والشيوعيين وغيرِهم من أُمَمِ الكفر، تلك الأسماءُ الأعجميَّةُ المرفوضَةُ لغةً وشرعاً، والتي قد بلغَ الحالُ من شدَّةِ الشَّغَفِ بها والتسابقِ إليها والفتنَةِ بها في زمانِنا مبلغاً عظيماً في حياةِ المسلمين، على حينِ غَفْلَةٍ من بعضِ المسلمين، وجهلٍ من بعضِهم الآخرَ، وتخاذُلٍ من الآمرين بالمعروفِ، والناهين عن المنكرِ، وكم وقعَ في حبائلِها من أُناسٍ يُشارُ إليهم؛ فيُلتَقَطُ اسمُ الكافرِ من أوروبَّا وأمريكا وغيرِها من

بلادِ الكفرِ، ثمَّ يُسمَّى به المولـودُ المسـلمُ، وهـذا مـن أشـدِّ مواطـنِ الإثـمِ، وأسبابِ الخُذلانِ؛ من مثل: بُطْـرُس، وجُـورجُ، وديانـا، وروز، وسـوزان، وغيرِها ممَّا يطولُ تعداده.

ولكم يقعُ المسـلمُ في الحَيْرَةِ عندمـا يُشاهِدُ أطفـالاً مـن أصـلابِ آبـاءٍ مسلمين، وأسماؤهم ليست من دينِ الإسلام في شيءٍ، فيَقَعُ المرءُ في الحـيرَةِ؛ أهذا مسلمٌ أم كافرٌ، وإذا كان مسلماً فلِمَ هـذا الاسـمُ الكـافرُ ؟!، وليـسَ للصبيِّ من ذنبٍ في ذلك، ولكنَّها جنايةُ الأبِ المسلمِ الـذي سعى لتغريـبِ ابنِه عن أبناءِ المسلمين.

وهذا التقليدُ للكافرين في التَّسـمِّي بأسمـائهم إن كـان عـن مجـرَّدِ هـوىً وبلادةِ ذِهْنٍ فهو معصيَةٌ كبيرةٌ، وإثمٌ عظيمٌ، وإن كان عن اعتقادِ أفضليَّتِها على أسماءِ المسلمين فهذا خطرٌ عظيمٌ يُزلزِلُ أصلَ الإيمانِ، وفي كِلتا الحالتين تجبُ المُبادرةُ إلى التوبةِ منها، وتغييرُها شرطٌ في التوبة منها.

أيُّها المسلمون:

ومن الأسماءِ المحرَّمةِ كلُّ اسمٍ فيه دعوى ما ليسَ للمُسمَّى، فيحمـلُ مـن التَّزكيَةِ، والدعوى، والكذِبِ ما لا يُقبلُ بحالٍ. ومنه ما ثبتَ عن المصطفـى ﷺ أنَّه قال: « أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ رَجُلٍ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ لاَ مَلِكَ إِلاَّ اللهُ ». [رواه مسلمٌ، والبخاريُّ بنحوه]

وفي معناه: التَّسمِّي بقـاضي القضاةِ، وحـاكمِ الحُكَّامِ، وسيِّدِ النـاسِ، ونحوهم.

وروى سَمُرَةَ بن جُندُبٍ -رضي الله عنـه- أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قـال: «لاَ تُسَمِّيَنَّ غُلاَمَكَ يَسَاراً، وَلاَ رَبَاحاً، وَلا نَجِيحاً، وَلاَ أَفْلَحَ؛ فَإِنَّكَ تَقُولُ أَثَمَّ هُوَ؟ فَلاَ يَكُونُ ، فَيَقُولُ لاَ !». [رواه مسلمٌ، وغيرُه]

كما يحرُمُ من الأسماءِ ما أشارَ إليه العلاَّمةُ ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةِ -عليه رحمةُ اللهِ- بقوله: (التَّسميَةُ بأسمـاءِ الشياطين؛ كخِنْزَبْ، والولهـان، والأعـورِ، والأجْدَعِ). وقد وردت السُّنَّةُ النبويَّةُ بتغييرِ كلِّ اسمٍ محرَّمٍ إلى اسمٍ حسنٍ جائزٍ.

عباد الله:

ويُكرَه شرعاً تسميَةُ المولودِ بما تنفِرُ منه القلوبُ لمعانيها أو ألفاظِها، ولما تُثيرُه من سُخْريَةٍ وإحراجٍ وتأثيرٍ على أصحابِها، فضلاً عـن مُخالفـةِ هـدي النبيِّ ﷺ القـاضي بتحسـينِ الأسمـاءِ؛ كحـربٍ ، ومُـرَّةٍ، وخِنْجَـرٍ، وهُيـامٍ، وسُهامٍ، ورُحابٍ، ونادِيَةٍ، ونحوها في سلسلةٍ يطولُ سردُها، بُليَ بها النـاسُ في أعقابِ الزمن، فهذه الأسماءُ لا تخلو من معانٍ قبيحـةٍ يجبُ علـى المسلمِ البُعدُ عنها، ومخالفتُها، وقديماً هجا أحدُ الأعرابِ رجلاً بقوله:

أَمِنْ عَوَزِ الأسماءِ سمَّوكَ خَنْجراً   وشرُّ سِمـاتِ العالمينَ الجوامِدُ

ولذا عباد الله ترونَ الأبناءَ ما إن يبلغوا أشُدَّهم حتّى يسعوا جاهدين في تغييرِ مثل هذه الأسماءِ التي ابتلاهم بها آباؤهم.

كما يُكرَه -عبادَ الله- التَّسميَةُ بتلكَ الأسماءِ التافهَةِ الهَمَلِ؛ كزوزو، وفيفي، أو تلك الأسماءِ الغراميَّةِ الرِّخْوَةِ؛ كأحلام، وأريج، وتغريد، وفاتن، وهُيام، ونحوها.

كما يُكرَه تعمُّدُ التَّسميَةِ بأسماءِ الفُسَّاقِ الماجنين من الممثّلين والمطربين وعُمَّارِ خَشَباتِ المسارحِ باللهْوِ الباطلِ، ممَّا وقعَ فيه كثيرٌ من ضِعافِ الإيمانِ والنفوسِ؛ الذين ما إن يروا مسلسلةً فيها نسوةٌ خليعاتٌ ، أو ممثّلين سوافِلَ إلاَّ سارعوا مُتهافتينَ إلى تسميَةِ مواليدِهم عليها، ممَّا نُلاحظُهُ كثيراً في أسماءِ المواليد في هذه الأيامِ التي زادت فيها عنايةُ الناسِ بالأفلامِ والمسلسلاتِ.

ويكرَه -كذلك- تسميَةُ المسلمِ أبناءَه بأسماءِ الفراعنَةِ والجبَابرَةِ؛ كفرعونَ، وقارونَ، وهامانَ، أو بأسماءِ الحيواناتِ المشهورةِ بالصفاتِ المُسْتَهجَنَةِ؛ كحَنَش، وحِمار، وقُنْفُذ، ونحوها. أو بالأسماءِ المضافةِ إلى كلمةِ الدينِ أو الإسلامِ؛ كنورِ الدين، وسيفِ الإسلام، وشمسِ الدين. وكذا التّسمِّي بأسماءِ الملائكةِ؛ كجبريل، وملاك، ونحوها؛ لما فيه من مضاهاةِ المشركين في جعلِهم الملائكةِ بناتِ الله، تعالى الله عمَّا يقولون علوّاً كبيراً، وكذا التَّسميَةُ بأسماءِ سورِ القرآنِ الكريم؛ طه، وياسين، ونحوها.

فاتّقوا الله تباركَ وتعالى أيُّها المسلمون، والتزموا بهدي الإسلامِ في تسميَةِ مواليدكم، واحذروا من التغريبِ والمشابهةِ لأسماءِ الكافرين.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

تنبيه: غالبُ هذه الخُطبة مُلخَّصةٌ من كتابِ: تسميةُ المولودِ آدابٌ وأحكامٌ؛ للعلاَّمةِ الشيخ: بكر ابن عبدِ الله أبو زيد حفظَه الله؛ ونبَّهتُ هنا على ذلك من بابِ الأمانةِ العلميَّةِ التي تقضي بذكرِ الفضلِ لأهلِه، ولأنَّ الكتابَ فريدٌ في بابِه، ولا يحتاجُ إلى زيادةٍ عليه، وإرشاداً لمن أرادَ التوسُّعَ في ذلك بقراءةِ الكتاب.

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله الواحدِ الأحدِ الفردِ الصمدِ ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأشهدُ أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ لـه ، وأشـهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثـيراً إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فـاتَّقوا الله أيُّهـا النـاسُ ، واعلمـوا رحمكـم اللهُ أنَّ الأبنـاءَ زينـةُ الحيـاةِ الدُّنيا، وهم نعمةٌ عظيمةٌ على العبدِ تستحقُّ الشـكرَ العظيـمَ للهِ عـزَّ وجـلَّ الذي أنعمَ بها على العبدِ وحرمَها آخرين، واستعجلَ بها له وأبطأَ بها على آخرين، واستدامها له وسلبَها آخرين، فلـه الحمـدُ علـى نعمـه، لا يُحصـي العبدُ ثناءً عليه، هو كما أثنى على نفسه.

ولهذه النعمةِ العظيمة آدابٌ مهمَّةٌ: أولُها العقيقةُ عن المولودِ، وهي حـقٌّ له على أبيه؛ لما روى الإمامُ أحمدُ وأهلُ السُّـنَنِ عـن سَـمُرَةَ بـن جُنـدُبٍ – رضي اللهُ عنه– قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ : « الْغُلاَمُ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ، يُذْبَـحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ، وَيُسَمَّى، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ ».

قال الترمذيُّ: (هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، والعملُ على هذا عندَ أهلِ العلمِ؛ يستحبُّونَ أنْ يُذبَحَ عن الغُلاَمِ العقيقةُ يومَ السابعِ، فإن لم يتهيـأ يـومَ

السابعِ فيومَ الرابعَ عشرَ، فإن لم يتهيأ عقَّ عنه يومَ حادٍ وعشرينَ، وقالوا: لا يُجزئُ في العقيقةِ من الشاةِ إلاَّ ما يُجزئُ في الأُضحيَةِ).

والسُّنَّةُ في العقيقةِ عن الذكرِ شاتانِ مُتكافئتان، وعن الأُنثى شاةٌ، وتكونُ مثلَ الأُضحيةِ في السنِّ والتوزيعِ والإجزاءِ، تُقطعُ أشلاءً مع المفاصلِ، فلا يُكسرُ عظمُها؛ تفاؤلاً بالسلامةِ.

والتهنئةُ بالمولودِ مُستحبَّةٌ بأيِّ دُعاءٍ صالحٍ نافعٍ؛ لما رُويَ عن الحسنِ أنَّ رجلاً هنَّأَهُ في مولودٍ فقال: لِيَهْنِكَ الفارسُ ! قال: وما يُدريكَ أنَّه فارسٌ أو حِمارٌ ؟! قال: وما أقولُ ؟ قال: قُلْ: بورِكَ في الموهوبِ، وشكرتَ الواهِبَ، وبلغَ أشُدَّه، ورُزِقتَ برَّه.

ثم على الأبِ بعدَ ذلكَ أن يختارَ لابنِه -ذكراً كان أو أُنثى- الاسمَ الحسنَ الذي يكونُ عذباً في اللِّسانِ، مقبولاً للأسماعِ، يحملُ معنىً شريفاً كريماً، ووصفاً صادقاً، خالياً ممَّا دلَّت الشريعةُ على تحريمِهِ أو كراهتِه، خفيفاً على الألسُنِ في النُطْقِ والنِّداءِ، مُلائماً لأهلِ طبقتِه وملَّتِه وأهلِ مرتبتِهِ.

وللأسماءِ الحسنةِ -عبادَ اللهِ- رُتَبٌ في الأفضليَّةِ؛ فأحبُّ الأسماءِ إلى اللهِ عبدُ اللهِ وعبدُ الرَّحمنِ كما ثبتَ في الصحيحِ، وأمَّا ما يُروى عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: ((خيرُ الأسماءِ ما عُبِّدَ وحُمِّدَ)). فهو حديثٌ ضعيفٌ لا تقومُ به حُجَّةٌ على المُرادِ، وبابُ الفضائلِ والقُرَبِ مبناهُ على الصحيحِ لا على الضعيفِ.

ثمَّ يليها في المرتبةِ التَّسميَةُ بالتعبيدِ لأيٍّ من أسماءِ اللهِ الحُسنى؛ كعبدِ العزيزِ، وعبدِ الملِكِ، وعبدِ الرَّحيمِ ونحوها ممَّا ثبتَ شرعاً أنَّه من أسماءِ اللهِ تعالى. يلي ذلك: التَّسميَةُ بأسماءِ أنبياءِ اللهِ ورُسُلِه -عليهم الصلاةُ والسلامُ- فهم ساداتُ بني آدمَ، وأخلاقُهم أشرفُ الأخلاقِ، وأعمالُهم أزكى الأعمالِ، فالتَّسميَةُ بأسمائِهم تُذكِّرُ بهم وبأوصافِهم وأحوالِهم، وقد سمَّى النبيُّ ﷺ ابنَه إبراهيمَ فقال: « وُلِدَ لِيَ اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ». [رواه مسلمٌ وغيرُه]

ثمَّ التَّسميَةُ بأسماءِ الصالحينَ من المسلمينَ؛ فقد ثبتَ في حديثِ المُغيرةِ ابنِ شُعبةَ -رضي اللهُ عنه- عن النبيِّ ﷺ : « إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ ».[رواه مسلمٌ]

وصحابةُ رسولِ اللهِ هم رأسُ الصالحينَ في هذه الأمَّةِ، وهكذا من تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ. ولقد كان للصحابةِ -رضوانُ اللهِ تعالى عليهم- نظرٌ لطيفٌ في هذه البابِ؛ فهذا الصحابيُّ الجليلُ الزُّبيرُ بنُ العوَّامِ -رضي اللهُ عنه- يُرزَقُ تسعةً من الولدِ، فيُسمِّيهم جميعاً بأسماءِ بعضِ شُهداءِ بدرٍ.

ثمَّ يأتي من الأسماءِ بعد ذلكَ ما كانَ وصفاً دقيقاً للإنسانِ، يحسُنُ به بين الناسِ، ولا يكونُ محلاً للسُخْرِيَةِ والاحتقارِ والازدراءِ.

والأمرُ سهلٌ أيُّها المسلمون؛ فما على الأبِ الذي رزقَه اللهُ بأبناءٍ إلاَّ أن يُعبِّدَ أسماءَهم لأيِّ اسمٍ من أسماءِ اللهِ تعالى، أو يُسمِّيهم بأسماءِ الأنبياءِ

والصالحين، أو يستشيرُ عالماً يَثِقُ برأيه وعلمِه، كما كان الصحابةُ رضي الله عنهم يأتونَ بأبنائهم لرسولِ اللهِ ﷺ حتّى يُسمِّيَهم.

ألا فاتقوا الله تبارك وتعالى أيُّها المسلمون ، وصلُّوا وسلِّموا على من أمركم الله تعالى بالصلاة والسلام عليه فقال عزّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : « من صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً صلَّى اللهُ عليه بها عشراً ». [رواه مسلم]

والنصح لكل مسلم

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفُره ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾ [النساء:١] ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أما بعد:

فاتّقوا ا للهَ تبارك وتعالى أيُّها المسلمونَ، حقّقوا التقوى واقِعاً ملموساً في حياتِكم، خوفاً من ا للهِ تعالى، ومُراقَبةً له في جميعِ الأمورِ، واستعداداً للرَّحيلِ والقُدومِ على ا لله تعالى؛ ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ ا للهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ا للهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً ﴾ [الطلاق:٥].

أيُّها المسلمون:

يَهْدِفُ الإسلامُ من خِلالِ توجيهاتِه وآدابه وقِيَمِه ونُظُمِه إلى إقامَةِ المُجتَمعِ الآمنِ المُطْمئِنِّ المُتكاتِفِ المُتعاضِد؛ مَثَلُه كمَثَلِ الجَسَدِ الواحِدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجَسَدِ بالحُمَّى والسَّهَر.

وفي سبيلِ تحقيقِ هذه الغايَةِ النبيلَةِ جاءَتِ الشريعَةُ الإسلاميَّةُ بمقاصِدَ عظيمةٍ، وغاياتٍ كريمَةٍ من أهمِّها وأجلِّها حِفْظُ الضَّروراتِ الخمسِ: الدينِ، والنفسِ، والعقلِ، والمالِ، والعِرْضِ، ووَضَعَتِ الشريعةُ في سبيلِ ذلك الزَّواجرَ الرَّادِعَةَ، والوسائلَ المانِعَةَ من الاعتداءِ على هذهِ الضَّروراتِ التي بها قِوامُ الحياةِ، وحِفْظُ المُجتَمعاتِ من القَلَقِ والفوضى والاضطرابِ.

ولذلك كلِّه فقد حرَّمَ الإسلامُ الاعتداءَ على أيٍّ من هذه الضَّروراتِ بأيِّ نوعٍ من أنواعِ الاعتداءاتِ، فصَانَ حُرْمَةَ المسلمِ، وحَرَّمَ دَمَهُ مالَهُ وعِرْضَهُ؛ قال ﷺ: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ ا للهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ا للهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا

ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ)). [متفقٌ عليه من حديثِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما]

وروى الإمامُ مسلمٌ وغيره من حديثِ جابرٍ -رضي الله عنه- في حَجَّةِ الوداعِ أنَّه ﷺ قال: ((كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ)).

بل شَرَعَ الإسلامُ العقوباتِ الزاجرَةَ، والحدودَ الرَّادِعَةَ لِحِفْظِ هذه الضَّروراتِ؛ فشَرَعَ القِصاصَ والمُحاربَةَ والقَطْعَ والتعزيرَ والرَّجْمَ والجلدَ لكلِّ من هتَكَ عِرْضَ أخيه المسلمِ باعتدائه على إحدى هذه الضَّروراتِ مِمَّا هو مبسوطٌ في مواضِعِه من كُتبِ أهلِ العلمِ.

أيُّها المسلمون:

ومن هذه الضَّروراتِ ضرورةٌ عظيمَةٌ تساهلَ الناسُ بها، وأكثروا من الوقوعِ فيها؛ تَجْرِيحاً وتعديلاً، ألاَ وهي عِرْضُ المسلمِ الذي أمرَ المولى اللَّطيفُ الخبيرُ بحفظِه وصيانَتِه، وعَدَمِ ذكرِ المسلمِ لأخيه المسلمِ في غَيْبَتِه إلاَّ بخيرٍ؛ سلامَةً للصدورِ، وصفاءً للقلوبِ، وجَلْبَاً للمودَّةِ في النفوسِ، لذلكَ جاء الإسلامُ الحنيفُ بالبديلِ عن الانتقادِ المذمومِ، والغَيْبَةِ والنميمَةِ وهو النصيحَةُ بين المسلمين.

والإنسانُ بطبعِه لا يسلَمُ من الخَطأِ والزَّلَلِ في كثيرٍ من التصرُّفاتِ، فكانَ الواجبُ على أخيه المسلمِ إذا رأى منه هَفْوَةً أو تقصيراً أو زَلَّةً أو

أبصرَه واقعاً في خطأٍ أن يذهبَ إليه ناصِحاً مُرشِداً، ولن يُعْدَمَ بإذنِ اللهِ أُذُناً صاغيَةً، ونفساً راضيَةً، ولساناً شاكراً.

روى الإمامُ مسلمٌ في صحيحِه عن تميمِ بنِ أوسٍ الدَّاريِّ -رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « الدِّينُ النَّصِيحَةُ ». قُلْنَا: لِمَنْ ؟ قَالَ: « للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ ».

قال الحسنُ البصريُّ -رحمه اللهُ-: (قال بعضُ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ : والذي نفسي بيدِه إن شئتم لأُقْسِمنَّ لكم باللهِ: إنَّ أحبَّ عبادِ اللهِ إلى اللهِ الذين يُحبِّبونَ اللهَ إلى عبادِه، ويُحبِّبونَ عبادِه إليه، ويسعونَ في الأرضِ بالنصيحَةِ).

ولذلكَ فقد قال أبو بكرٍ المُزَنيُّ -عليه رحمةُ اللهِ-: (ما فاقَ أبو بكرٍ رضي اللهُ عنه أصحابَ محمَّدٍ ﷺ بصومٍ، ولا صلاةٍ، ولكن بشيءٍ كان في قلبِه. والذي كان في قلبِه: الحبُّ للهِ عزَّ وجلَّ، والنصيحَةُ في خلقِه).

أيُّها المسلمون:

والنصيحَةُ بين المسلمين ذاتُ مجالاتٍ واسعَةٍ من إرشادِهم إلى مصالِحِ دينِهم ودنياهم، وكفِّ الأذى عنهم، وتعليمِهم ما يجهلونَ من دينِهم، وإعانتِهم قولاً وفعلاً؛ سَتْراً للعوراتِ، وسَدّاً للخَلاَّتِ، ودَفْعاً للمَضَرَّاتِ، وجَلْباً للمصالحِ والمنافِعِ، أمراً بالمعروفِ، ونهياً عن المُنكَرِ، توقيراً للكبيرِ، ورحمةً بالصَّغيرِ. يَقترِنُ بذلك: رِفْقٌ وإخلاصٌ وشَفَقَةٌ عليهم، وتَخَوُّلُهم بالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ، ومُجادلَتُهم بالتي هي أحسَنُ، وتَرْكُ غِشِّهم وحَسَدِهم،

وأن يُحِبَّ لهم ما يُحِبُّ لنفسِه من الخيرِ، ويكرَه لهم ما يكرَهُ لنفسِه من المكروهِ، والذَبُّ عن أموالِهم وأعراضِهم.

قال الفُضيلُ بنُ عِياضٍ -رحمه الله-: (ما أدرَكَ عندنا من أدرَكَ بكَثْرَةِ الصلاةِ والصيامِ، وإنَّما أدرَكَ عندنا بِسَخَاءِ الأنفُسِ، وسلامَةِ الصُّدورِ، والنُّصْحِ للأمَّةِ).

عباد الله:

وإنَّ ممَّا يؤسَفُ له: أنَّ المسلمينَ تهاونوا في القيامِ بحقِّ النَّصيحَةِ لبعضِهم البعضِ، وخاصَّةً في أمورِ الآخرَةِ، وذلك حينَ قَصَروا اهتماماتِهم على مصالِحِ الدُّنيا وزخارفِ الحياةِ، التي فُتِنوا بها والله المُستعانُ.

ولقد كَثُرَ في الأقاربِ والجيرانِ والإخوةِ والأصحابِ من وقَعَ في معصيَةِ الله، وتهاونَ بأوامرِ الله، وأضاعَ فرائضَ الله لَمَّا قَلَّتِ النصيحَةُ بين المسلمينَ، وأصبَحَ حالُ الجيِّدِ من الناسِ كما قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [المائدة:١٠٥] ؛ ولقد قال الصِّديقُ -رضي الله عنه-: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ... ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ، وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ وَلاَ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ اللهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ »». [رواه أحمدُ وابنُ ماجه]

عبادَ الله:

إنَّ التناصُحَ المحمودَ بين المسلمينَ من أهمِّ عوامِلِ نُصْرَةِ المسلمِ لأخيه المسلمِ، وعَدَمِ خُذْلانه الذي عَنَاهُ المصطفى ﷺ حينَ قال: « انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُوماً، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِماً كَيْفَ أَنْصُرُهُ ؟! قَالَ: « تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ ». [رواه البخاريُّ وغيرُه]

بل إنَّ النصيحَةَ من أهمِّ حقوقِ المسلمِ على أخيه المسلمِ؛ روى الإمامُ مسلمٌ في صحيحِه من حديثِ أبي هُريرَةَ -رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ ». قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ». ومعنى: فَسَمِّتْهُ: أيْ ادعُ له بالرحمةِ إذا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ.

وفي الصحيحين عن جريرِ بنِ عبدِ اللهِ البَجَليِّ -رضي الله عنه- قال: « بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ».

وذكرَ الحافِظُ أبو القاسِمِ الطَبَرانيُّ بإسنادِه: « أنَّ جريرَ بنَ عبدِ اللهِ أمرَ مولاَهُ أن يشتري لـه فرَسَاً، فاشترى لـه فرَسَاً بثلاثمِئةِ دِرْهَمٍ، وجاءَ به وبصاحِبِه لِيَنْقُدَهُ الثمنَ، فقال: جريرٌ لصاحِبِ الفرَسِ: فَرَسُكَ هذا خيرٌ من ثلاثمئةِ دِرْهَمٍ ! أَتَبيعَهُ بأربعمئةِ دِرْهَمٍ ؟! فقال الرجلُ: ذلكَ إليكَ يا أبا عبدِ

الله! فلم يَزَلْ يَزيدُه مئةً فمئةً وصاحِبُه يرضى، وجريرٌ رضي الله عنه يقولُ: فَرَسُكَ خيرٌ، إلى أن بَلَغَ ثمانمئةِ دِرْهَمٍ، فاشتراه بها. فقيلَ له في ذلك: فقال: إنِّي بايَعتُ رسولَ اللهِ ﷺ على النُّصْحِ لكلِّ مسلمٍ)).

اللهُ أكبرُ! بمثلِ هذا كانت أخلاقُ القومِ التي سادوا بها العالَمَ رضي اللهُ عنهم وأرضاهم.

ومن أعظَمِ أنواعِ النَّصيحَةِ بين المسلمين: أن ينصَحَ المسلمُ لِمَن استشارَه في أمرٍ من الأمورِ؛ فقد روى الإمامُ أحمدُ عن حَكِيْمِ بنِ أبي يزيدٍ عن أبيه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: ((دَعُوا النَّاسَ فَلْيُصِبْ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا اسْتَنْصَحَ رَجُلٌ أَخَاهُ فَلْيَنْصَحْ لَهُ)). [ورواه البخاريُّ تعليقاً بصيغَةِ الجَزْمِ في كتاب البيوع]

وأعظَمُ من ذلك: أن ينصَحَ له في غَيْبَتِه، وذلك بنُصْرَتِه، والدِّفاعِ عنه؛ فإنَّ ذلكَ دليلٌ على صِدْقِ النصيحَةِ؛ في الحديثِ أنَّه ﷺ قال: ((إنَّ مِنْ حَقِّ المسلمِ على المسلمِ أنْ يَنْصَحَ لَهُ فِي غَيْبَتِهِ)).

معاشرَ المسلمين:

إنَّنا بحاجَةٍ إلى نَصَحَةٍ يملكونَ قلوباً تحترِقُ على واقِعِ المسلمين، وعلى أوضاعِ الأُمَّةِ في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، يعطِفونَ على إخوانِهم في العقيدَةِ، تحقيقاً لقولِ الحقِّ سبحانه وتعالى: ﴿ **أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح:٢٩] ؛ وأن يكونوا لبعضِهم كالبُنيانِ المرصوصِ، يشدُّ بعضُه بعضاً؛ فإنَّ تركَ التناصُحِ بينَ المسلمينَ مُصيبَةٌ من أعظَمِ المصائبِ، وإنَّما

أُخِذَ بنو إسرائيلَ ولُعِنوا على لسانِ داودَ وعيسى بنِ مَرْيَمَ بـأَنَّهم كـانوا لا يتناهونَ عن مُنكَرٍ فعلوه، بل كان الرجلُ منهم يرى أخاهُ علـى المُنْكَـرِ فـلا يأمرُهُ ولا ينهاه، ورُبَّما أمرَه ونهاهُ فلم يَسْتَجِبْ لـه، فلـم يَمْنَعْـهُ ذلـكَ أن يكونَ جليسَهُ وشَرِيبَهُ في الغَدِ، وهو مُقِرٌّ على مَعصيتِه، فضرَبَ اللهُ قلـوبَ بعضِهم ببعضٍ، وضـربَ عليهـم الذِّلَّـةَ والمَسْكَنَةَ، وحَقَّـتْ عليهـم اللَّعْنَـةُ؛ ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىَ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْـنِ مَرْيَـمَ ذَلِـكَ بِمَا عَصَوْاْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُـوهُ لَبِئْـسَ مَـا كَـانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:٧٨-٧٩].

وإذا تَهَيَّبَتِ الأُمَّةُ أن تقولَ للظالِم يا ظالِمْ فقد تُوِدِّعَ منها.

وقد ذكرَ اللهُ أصحابَ القريَةِ إذْ جاءَها المرسلونَ، فكذَّبوهم؛ ﴿وَجَـآءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَـالَ يَـا قَـوْمِ اتَّبِعُـواْ الْمُرْسَـلِينَ ۞ اتَّبِعُـواْ مَـن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ ۞ وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّـذِي فَطَرَنِـي وَإِلَيْـهِ تُرْجَعُـونَ ۞ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَـنُ بِضُـرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّـي شَـفَاعَتُهُمْ شَـيْئاً وَلاَ يُنقِذُونَ ۞ إِنِّيَ إِذاً لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِـينٍ ۞ إِنِّـيَ آمَنـتُ بِرَبِّكُـمْ فَاسْـمَعُونِ ۞ قِيـلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَـالَ يَـا لَيْـتَ قَوْمِـي يَعْلَمُـونَ ۞ بِمَـا غَفَـرَ لِـي رَبِّـي وَجَعَلَنِـي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس:٢٠-٢٧].

قال قتادةُ -رحمه اللهُ-: (نَصَـحَ لقومِـه، فجعلَـوا يرْجُمونَـه بالحجـارَةِ وهو يقولُ: اللَّهُمَّ اهْدِ قومي فإنَّهم لا يعلمونَ. فلم يَزَالـوا بـه حتَّـى قتلـوه، فعليه رحمةُ اللهِ).

وقال ابنُ عبَّاسٍ -رضي اللهُ عنهما-: (نَصَحَ لقومِه حيًّا وميِّتاً).

فاتَّقوا ا للهَ أيُّها المسلمونَ، قوموا بحقِّ النصيحَـةِ لإخوانِكـم في العقيـدَةِ، فنحنُ بحمدِ ا للهِ في مُجتَمَعٍ مُتراحِمٍ، يَقبـلُ النصيحَـةَ، ويرجِـعُ عـن الخطـأ، ولكن أينَ الناصحونَ ؟

ولكم في رسولِ ا للهِ ﷺ أُسوَةٌ حَسَـنَةٌ؛ فقـد نَصَـحَ لقومِـه، واسـتعذَبَ العذابَ في سبيلِ ذلكَ ممَّا لا يخفى عليكم، وهكذا كان صحابتُه من بعـدِهِ، والتابعونَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، ينصحونَ بعضَهم، ويُذكِّرونَ بعضَهم بسبُلِ الخيرِ والصلاحِ.

﴿لَّيْـسَ عَلَـى الضُّعَفَـآءِ وَلاَ عَلَـى الْمَرْضَـى وَلاَ عَلَـى الَّذِيـنَ لاَ يَجِـدُونَ مَـا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ للهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِـنِينَ مِـن سَـبِيلٍ وَا للهُ غَفُـورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١].

أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ ا للهَ فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّـه هـو الغفـورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ للهِ أكرَمَنا ببعْثَةِ سيِّدِ المُرسلينَ، وجَعَلنا من خيرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للعالمينَ، أحمَدُه تعالى وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، شرَعَ لنا ديناً قويماً، وهدانا إليه صراطاً مُستقيماً، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه كَشَفَ اللهُ به الغُمَّةَ، وأتَمَّ به النِّعْمَةَ، وخَتَمَ به النُّبوَّةَ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وسلَّم تسليماً كثيراً.

عبادَ اللهِ:

اتَّقوا اللهَ تعالى حقَّ التقوى، وقوموا بحقِّ النصيحَةِ فيما بينَكم كما أمرَ اللهُ، وعليكم رحمَكم اللهُ أن تأخُذوا بآدابِ النصيحَةِ؛ فإنَّ ذلك أحرى بالقبولِ وتحقيقِ الخيرِ، وهذا هو المقصودُ، فإنَّ للنصيحَةِ آداباً شرعيَّةً ينبغي أن تُراعى:

من تلَطُّفٍ في القولِ، ولِيْنٍ في العبارَةِ، وإخلاصٍ وصِدْقٍ، وأهمُّ شيءٍ في ذلكَ: أن لا تجرَحَ شعوراً، ولا تَكْشِفَ عورةً، ولا تُسبِّبَ ضَغِيْنَةً، وذلك بأن تكونَ على انفرادٍ وإسرارٍ، دونَ تشْهيرٍ وإعلانٍ أمامَ الناسِ؛ لأنَّ النصيحَةَ على رؤوسِ الأشهادِ فضيحَةٌ مذمومةٌ، وإنَّما كانت النصيحَةُ واجبةً سِرًّا لأنَّ من وعَظَ أخاهُ علانيَةً فقد شانَه، ومن وَعَظَهُ سِرًّا فقد زَانَهُ،

وإبلاغُ المجهودِ من المسلمِ فيما يَزِينُ أخاهُ أحرى من القَصْدِ فيما يَشِيْنَهُ؛ فإنَّ من سَتَر مسلماً سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنيا والآخرَةِ.

قال بعضُ السَّلَفِ: (كان من كان قبلَكم إذا رأى الرجلُ من أخيهِ شيئاً يأمرُهُ في رِفْقٍ، فيؤجَرُ في أمرِه ونهيِه، وإنَّ أحدَ هؤلاءِ يَخْرِقُ بصاحبِه، فَيَسْتَغْضِبُ أخاهُ، ويَهْتِكُ سِتْرَهُ).

وقال الحسنُ البصريُّ: (المؤمنُ شُعبَةٌ من المؤمنِ، وهو مِرآةُ أخيه؛ إن رأى منه ما لا يُعْجِبُهُ سَدَّدَهُ وقوَّمَهُ ونصَحَهُ السِرَّ والعلانيَةَ).

وقال أحدُ السَّلَفِ: (من وَعَظَ أخاهُ فيما بينَه وبينَه فهي نصيحَةٌ، ومن وَعَظَهُ على رؤوسِ الناسِ فإنَّما وَبَّخَهُ، فالمؤمنُ يَسْتُرُ ويَنصَحُ، والفاجرُ يَهْتِكُ ويَفْضَحُ).

و للهِ دَرُّ الإمامِ الشافعيِّ حين قال:

تعمَّدني بنُصْحِكَ في انفرادِ ... وجَنِّبني النصيحَةَ في الجماعَةْ
فإنَّ النُّصْحَ بينَ الناسِ نوعٌ ... من التوبيخِ لا أرضى استماعَهْ
فإنْ خالفْتَني وعصيتَ أمري ... فلاَ تَجْزَعْ إذا لم تُعْطَ طاعَةْ

كما أنَّ على الناصِحِ أن لا ييأسَ من الاستجابةِ فإنَّ نوحاً عليه السلامُ نصحَ لقومِه ألفَ سَنَةٍ إلاَّ خمسينَ عاماً فما استجابَ له من قومِه إلاَّ بضْعَةَ عشرَ رجُلاً، فالهدايَةُ بيدِ اللهِ سبحانه وتعالى، يهدي من يشاءُ إلى صِراطٍ مستقيمٍ، وما عليكَ البلاغُ.

كما أنَّ عليه أن يُنوِّعَ الوسائلَ، ويُعَدِّدَ الأساليبَ؛ فإنَّ ذلكَ أبلَغُ في النُّصْحِ.

وعليه أن يصبرَ على الأذى في سبيلِ دعوتِه ونُصْحِهِ؛ فإنَّه طـرَقَ سـبيلاً لم يَطْرُقْهُ أحدٌ إلاَّ نالَـهُ مـن البـلاءِ والأذى علـى قـدرِ صـبرِه ودعوتِـه؛ مـن كَلِماتٍ جارِحَةٍ، وعباراتٍ بذيئَةٍ، فعليه بالصبرِ في سبيلِ ذلـك، وعـزاؤه في رسـولِ اللهِ ﷺ ؛ فقـد شُـجَّ جبينُـه، وأُدمِيَـتْ قدمـاه، وكُسِـرَتْ رَبَاعِيَّتُـه، ووضِعَ سلاَ الجزورِ على ظهرِه وهـو قـائمٌ يُصلّـي، وأُخْـرِجَ مـن عشـيرَتِه، وحُورِبَ في سبيلِ دعوتِه، ونالَ صحابتَه مـن الأذى مـا لا يخفـى، فصَـبروا على ما كُذِّبوا وأُوذوا حتَّى أتاهم نصرُ اللهِ، ولا مُبَدِّلَ لكلماتِ اللهِ.

أيُّها المسلمون:

صلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم اللهُ تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قولـه عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّـواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : ((مَنْ صَلَّـى عَلَـيَّ صَـلاَةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً)). [رواه مسلم]

اللهُم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد بن عبد الله صلاةً وسلاماً دائمين إلى يـوم الديـن ، وارضَ اللهُـم عـن أصحـاب نبيِّـك أجمعـين وعـن التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.....

❧ ❧ ❧

الكذب ؛ مظاهره ، ودوافعه، ومفاسده

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله تباركَ وتعالى وأشكروه على ما أكرَمَكم به من هذا الدينِ القويمِ، والصراطِ المستقيمِ، الذي لا لَبْسَ فيه ولا اعوجاج، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢٠]. ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢].

عباد الله:

المُتأمِّلُ لما ثبَتَ في الصحيحينِ من حديثِ ابنِ مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقاً، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً». يجدُه خيرَ توضيحٍ لحقيقتين عظيمتين، وضربينِ من الأخلاقِ مُتَضَادَّين؛ حقيقةِ الصِّدْقِ، وحقيقةِ الكَذَبِ، وما تقودُ إليه كلٌّ منهما، وما تدفعُ إليه من نتائجَ وآثارٍ.

الكَذِبُ من قبائحِ الذنوبِ، وفواحِشِ العيوبِ، بريدُ الكُفْرِ، وعلامَةُ النِّفاقِ، ودليلُ الضَّلالِ، والقائدُ إلى الفجورِ. قال رسولُ اللهِ ﷺ : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ؛ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ».

[متفقٌ عليه]

والكَذِبُ هو الإخبارُ عن الشيءِ على خلافِ ما هو عليه، عمداً كان أو سهواً. وهو من كبائرِ الذنوبِ التي تُذْهِبُ المروءَةَ والجمالَ والهَيْبَةَ، وتؤدِّي بصاحبِها إلى النارِ، وتورثُ الفسادَ في الدينِ والدُّنيا، وهو من أعظَمِ وسائلِ دَمَارِ الأُمَمِ والأفرادِ؛ فإنَّ الأُمَمَ المُكَذِّبَةَ لرُسُلِ اللهِ عزَّ وجلَّ قد لاَقَتِ المصيرَ المحتومَ من الدَّمَارِ والهلاكِ، ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ [آل عمران:١٣٧].

قال عليُّ ابنُ طالبٍ -رضي اللهُ عنه-: (أعظَمُ الخطايا عندَ اللهِ اللِّسانُ الكَذُوبُ، وشرُّ النَّدامَةِ ندامَةُ يوم القيامَةِ).

الكَذِبُ -عبادَ اللهِ- عَمَلٌ مَرْذولٌ، وصِفَةٌ ذَميمَةٌ، فهو من خِصَالِ النِّفاقِ، وشُعَبِ الكُفْرِ، بل إنَّ الكُفَرَ نوعٌ من أنواعِه، وهو من الأسبابِ العظيمَةِ في رَدِّ القولِ، ونَزْعِ الثِّقَةِ من الكاذِبِ، والنَّظَرِ إليه بعينِ الخِيَانَةِ، إضافةً إلى كونِه دليلاً على ضَعَةِ النَّفْسِ، وحَقَارةِ الشأْنِ؛ فالكَذَّابُ مَهِينُ النَّفسِ، بعيدٌ عن عزَّتِها المحمودَةِ، يَقلِبُ الحقائقَ؛ فيُدني البعيدَ، ويُبعِّدُ القريبَ، ويُقَبِّحُ الحَسَنَ، ويُحَسِّنُ القبيحَ.

قال مالكُ بنُ دينارٍ -عليه رحمةُ اللهِ-: (الصِّدقُ والكَذِبُ يَعْتَرِكانِ في القلبِ حتَّى يُخْرِجَ أحدُهما الآخرَ).

لا يَكْذِبُ المرءُ إلاَّ من مهَانَتِه | أو فِعْلَة السَّوءِ أو مِنْ قِلَّةِ الأَدَبِ

الكَذِبُ جماعُ كلِّ شرٍّ، وأصلُ كلِّ ذمٍّ؛ لسوءِ عواقِبِه، وخُبْثِ نتائجِه؛ فهو يُنتِجُ النميمةَ التي تُنتِجُ البغضاءَ التي تؤولُ إلى العداوَةِ، وليسَ مع العداوَةِ أمْنٌ ولا راحَةٌ؛ ولذلك قِيْلَ في منثورِ الحِكَمِ: من قلَّ صِدْقُهُ قلَّ صديقُهُ، والكَذَّابُ لِصٌّ؛ لإنَّ اللِّصَّ يسْرِقُ مالَكَ، والكَذَّابَ يسْرِقُ عقلَكَ، فلو لم يَتْرُكِ العاقِلُ الكَذِبَ إلاَّ مروءةً لكان حقيقاً بذلك، فكيفَ وفيه المأثَمُ والعارُ.

﴿ **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِّلْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾ [الزمر: ٦٠].

قالت عائشةُ -رضي الله عنها-: « مَا كَانَ خُلُقٌ أَبْغَضَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْكَذِبِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْكَذِبَةَ فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَحْدَثَ مِنْهَا تَوْبَةً ». [رواه أحمدُ، والترمذيُّ، وإسنادُه صحيحٌ]

بل إنَّ الكَذِبَ من الأمورِ المُنافيَةِ للإيمانِ؛ إذْ هو مِكْيالُ الشيطانِ الذي يدورُ عليه الجَوْرُ والظُّلمُ وأكلُ أموالِ الناسِ حراماً بالباطلِ.

قال رسولُ اللهِ ﷺ : « يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلاَّ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ ». [رواه أحمدُ، وهو حَسَنٌ]

وسُئِلَ ﷺ : « أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا ؟ فَقَالَ: نَعَمْ ! فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلاً ؟ فَقَالَ: نَعَمْ ! فَقِيلَ لَهُ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّاباً ؟ فَقَالَ: لاَ ! ». [رواه مالكٌ في الموطَّإ]

قال ابنُ قيِّمِ الجوزيَّةُ -رحمه الله-: (إيَّاكَ والكَذِبَ؛ فإنَّه يُفسِدُ عليكَ تصوُّرَ المعلوماتِ على ما هي عليه، ويُفسِدُ عليكَ تصويرَها وتعليمَها للنَّاسِ، فإنَّ الكاذِبَ يُصَوِّرُ المعدومَ موجوداً، والموجودَ معدوماً، والحقَّ باطِلاً، والباطِلَ حقّاً، والخيرَ شرّاً، والشرَّ خيراً، فيُفسِدُ عليكَ تصويرَه وعِلمَه عقوبةً له، ثمَّ يُصَوِّرُ ذلكَ في نفسِ المُخاطَبِ، ولهذا كان الكَذِبُ أساسَ الفجورِ، كما أخبرَ الصادِقُ المصدوقُ ﷺ).

إخوةَ الإسلامِ:

لقد استَرْسلَ الناسُ في الكَذِبِ - إلاَّ من رَحِمَ الله- بل إنَّ بعضَهم ليَعْتَبِرُهُ مندُوحةً وذكاءً، وأَجِلِ الطَّرْفَ يَمْنَةً ويَسْرَةً في واقعِ الناسِ لترى مظاهِرَ الكَذِبَ الصُّرَاحَ المُتَفشيِّةَ في البشرِ، والتي يندى لها الجبينُ؛ من كَذِبٍ على اللهِ ورسولِه، وهو أعظَمُ أنواعِ الكَذِبِ، وأشدُّها خطَراً وضَرَراً؛ كمن يُفتي الناسَ بغيرِ علمٍ، ويقولُ على اللهِ تعالى وعلى رسولِهِ ﷺ الكَذِبَ؛ ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىَ عَلَى اللهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [الأنعام:١٤٤] ؛ ﴿ **إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ** ﴾ [النحل:١٠٥] ؛ ﴿ **وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا**

تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:١١٦-١١٧].

وقال ﷺ : ((لاَ تَكْذِبُوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ)). [متفقٌ عليه] ؛ قال الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ: (ولا ريبَ أنَّ تعمُّدَ الكَذِبَ على اللهِ ورسولِه في تحليلِ حرامٍ أو تحريمِ حلالٍ كُفْرٌ مَحْضٌ).

ومن مظاهِرِ الكَذِبَ: الكَذِبُ في البيعِ والشِّراءِ؛ كمن يُنَفِّقُ سِلْعَته بالأيْمانِ الكاذِبَةِ، أو يَغُشُّ الناسَ بجوْدَةِ بضاعَتِه؛ فقد قال المصطفى ﷺ : ((الْحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ)). [متفقٌ عليه] ؛ وقال ﷺ : ((ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ، فَيَقُولُ اللهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ)). [متفقٌ عليه]

ومن مظاهِرِ الكَذِبِ: الكَذِبُ لإفسادِ ذاتِ البيْنِ؛ فإنَّ من الناسِ -عِيَاذاً باللهِ- من لا يهدأُ له بالٌ، ولا يَقِرُّ له قرارٌ حتَّى يُفْسِدَ ذاتَ البَيْنِ، ويُفرِّقَ شملَ المُتحابِّين، فتراهُ يَختَلِقُ الأقاويلَ، ويَنْسُجُ الأباطيلَ ليُفْسِدَ بينَ الناسِ، ويَحْمِلَهم على القَطِيْعَةِ والتباغُضِ، ولكم تَقطَّعَتْ روابطٌ، وتَفَصَّمَتْ

علاقاتٌ، وتخاصَمَ أرْحامٌ بسبَبِ ذلك، وهذا هو البَلِيَّةِ العُظْمى، والرَّزِيَّةُ الكُبْرى التي لا يقومُ بها إلاَّ دنيءُ النفسِ حقيرُ الشأنِ.

قال رسولُ اللهِ ﷺ: « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ؛ لاَ يَخُونُهُ، وَلاَ يَكْذِبُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْتَقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ». [رواه الترمذيُّ بسَنَدٍ حَسَنٍ، وأصلُه عندَ مسلمٍ]

إذا ما المرءُ أخطأَهُ ثلاثٌ فَبِعْهُ ولو بكَفٍّ من رَمَادِ
سلامَةُ صَدرِه والصِّدقُ منه وكِتْمانُ السرائِرِ في الفؤادِ

كَتَبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيز -رحمه الله- إلى بعضِ عُمَّالِه يقولُ: (إيَّاكَ أن تستعينَ بكَذوبٍ؛ فإنَّكَ إنْ تُطِعِ الكَذوبَ تَهْلَكْ).

عِبادَ اللهِ:

ومن مظاهرِ الكَذِبِ المُتَفَشِّيَةِ في الناسِ: الكَذِبُ لإضحاكِ السامعينَ، وتَشْويقِهم بالأباطيلِ؛ فكم ترى من يَكْذِبُ في المجامعِ والمجالِسِ، ويأتي بالغرائبِ، ويُغْرِبُ في العجائبِ، ويسوقُ من القَصَصِ ما لا يخْطُرُ ببالٍ، ومن الأحاديثِ والحكاياتِ ما لا يُشْبِهُهُ الخيالُ بقَصْدِ استظرافِ الناسِ له، وأعجابِهم بما عندَه ؛ ويغيبُ عنه حديثُ المصطفى ﷺ حينَ قال: « يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، يَأْتُونَكُمْ مِنَ الأَحَادِيثِ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ، لاَ يُضِلُّونَكُمْ، وَلاَ يَفْتِنُونَكُمْ». [رواه مسلم]

قال معاويَةُ بنُ حَيْدَةَ -رضي الله عنه-: سَمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ». [رواه أهلُ السُّنَنِ، وأحمدُ، والحاكمُ بسَنَدٍ حَسَنٍ]

وروى البخاريُّ وغيرُه مرفوعاً: «لاَ يُؤْمِنُ الْعَبْدُ الإِيمَانَ كُلَّهُ حَتَّى يَتْرُكَ الْكَذِبَ فِي الْمُزَاحَةِ، وَيَتْرُكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ صَادِقاً».

ومن مظاهرِ الكَذِبِ: الكَذِبُ للمُفاخَرَةِ في إظهارِ الفضلِ على الأقرانِ؛ كمن يدَّعي العلمَ، ويُظْهِرُ الفضلَ، ويتشدَّقُ بكَثْرَةِ الأعمالِ الخيريَّةِ، والإحسانِ إلى الناسِ، وهو خالٍ من ذلكَ كلِّه؛ ولا يدري أنَّ المصطفى ﷺ قال: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ». [رواه البخاريُّ ومسلمٌ]

وأعْظَمُ منه الكَذِبُ على المُخالفينَ تشَفِّياً منهم، ونِكَايَةً بهم؛ فيُلْصِقُ بهم التُّهَمَ، ويُغْري بهم أصحابَ المناصِبِ وأربابَ الولاياتِ، ويكذِبُ عليهم لإلحاقِ الأذى بهم، وقد يكونُ ذلك مقروناً بحَسَدٍ حتَّى يَصْرِفَ الناسَ عنهم، ويُشَكِّكَهم في إخلاصِهم وصدقِهم وجَدَارتِهم، وهذا لا حِيْلَةَ فيه، إلاَّ أن يَتَغَمَّدَه الله بالموتِ، ويَرْحَمَ الناسَ منه، و للهِ درُّ القائلِ:

لي حِيْلَةٌ في من يَنِـ ـمُّ وليسَ في الكذَّابِ حِيْلَةْ
من كانَ يَخْلُقُ ما يقـ ـولُ فحيْلَتي فيه قليلهْ

ومن أقبَحِ مظاهرِ الكَذِبِ: الكَذِبُ للتَّخلُّصِ من المواقفِ المُحْرَجَةِ على حدِّ قولِهم؛ كمن يكذِبُ على والديه أو مُدرِّسيه أو مسئوليه خوفاً من

العقابِ، وحَذَراً من العِتَابِ، أو يكذِبُ لتسْويغِ الأخطـاءِ، وتـبْريرِ الكَسَـلِ والتقصيرِ والإساءَةِ، أو يَكذِبُ لاستدرارِ العَطْفِ وكَسْبِ المؤيِّدِيـنَ، كمـن يسألُ الناسَ ويستَجْدِيَهم، فتراه يُظْهِرُ الفقرَ والفاقَةَ، ويوهِمهم بأنَّ الديـونَ قد رَكِبَتْهُ ولم يقدِرْ على سدادِها، أو أنَّه مريضٌ أو يعولُ أُسْرَةً ونحـو ذلـك من الدَّجَـلِ، ويغيـبُ عـن وعيـهِ قـولُ المصطفـى ﷺ : « مَـنْ سَـأَلَ النَّـاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَـثُّراً فَإِنَّمَـا يَسْـأَلُ جَمْـراً فَلْيَسْـتَقِلَّ أَوْ لِيَسْـتَكْثِرْ ». [رواه مسلم] ؛ وقولُه ﷺ : « وَلاَ يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إلاَّ فَتَحَ ا للهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ». [رواه أحمد، والترمذيُّ]

ومن ذلك: الكَذِبُ تملُّقـاً لأربـابِ الـثراءِ وأصحـابِ الجـاهِ والمنـاصبِ؛ فيَتَزَلَّفُ إليهم، ويمدَحُهم بما ليسَ فيهم، ويَخْلَعُ عليهم مـن الصِّفـاتِ مـا لا يستحقُّونَ، مع علمِه أنَّهـم أقـلُّ مـن ذلـك، ولكنَّـه يَتَملَّقُهـم لنيـلِ مـالٍ أو حَظْوَةٍ أو منصِبٍ. ومنه الدَّجَلُ الإعلاميُّ المنتشرُ في الأوساطِ الـذي تُعـاني منه المجتمعاتُ المسلمةُ اليومِ، والـذي يقلِـبُ الحقـائقَ، ويُلبِّـسُ علـى النـاسِ فيرفَعُ الأقْزَامَ، ويَضَعُ الأعلامَ، ويُغْري بالرَّذيلَةِ، ويُـزْري بالفضيلَـةِ؛ فيـا للهِ كم أفسَدَ من عقولٍ، وكم قَلَبَ من حقائقَ، وكم برَّأَ مـن مفسِـدٍ مُجْـرمٍ، ونالَ من مُصْلِحٍ بريئٍ.

ومن صورِ الكَذِبِ ومظاهره -عبادَ ا للهِ-: الكَذِبُ على الأولادِ ترهيبـاً وترغيباً؛ قال عبـدُ ا للهِ بـنُ عـامرٍ -رضـي ا للهُ عنـه-: دَعَتْنِـي أُمِّـي يَوْمـاً،

وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا، فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ ! فَقَالَ لَهَا رسولُ اللهِ ﷺ : «وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ ؟ ». قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْراً ! فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئاً كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ ».

[رواه أحمدُ، وأبو داودَ]

فلْيَتَنبَّهِ الآباءُ والأُمَّاتُ إلى هذا؛ فإنَّهم يرونَ هذه الكِذْباتِ مخرَجاً مع أولادِهم، ولا يشعرونَ بما تجنيه على الأبناءِ من الفسادِ والإفسادِ، والتعويدِ على الكذِبِ، والواجبُ تربيَةُ الأولادِ على الصِّدقِ، وحثُّهم عليه، وتعويدُهم عليه، وتحذيرُهم من الكَذِبِ.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ اللهَ فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❊❊ ❊ ❊❊

● الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه ، والشكرُ له على توفيقه وامتنانه ، وأشـهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله ، وأصحابه ، وإخوانه ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله تعالى عبادَ اللهِ، وامتثلوا أمرَه، واجتنِبوا نهيَه، أوفوا بالعهدِ، واصْدُقوا في الحديثِ، وأحسِنوا إنَّ اللهَ يُحبُّ المحسنين.

ثمَّ اعلموا أنَّ الكَذِبَ لؤمٌ وخِسَّةٌ، ودنَاءَةٌ وضَعْفٌ؛ فإنَّ الرجلَ لا يَكْذِبُ أبداً، ولقد بلغَ من حِرْصِ السَّلَفِ على تَحَرِّي الصِّدق والبُعدِ عن الكَذِبِ أنَّهم كانوا يعُدُّون زَلاَّتِ ألسنَتِهم، لقِلَّتِها أو نُدْرَتِها:

فهذا الأحنَفُ بنُ قيسٍ -رحمه الله- يقولُ: (ما كَذَبْتُ منذُ أسْلَمْتُ إلاَّ مرَّةً واحِدةً؛ فإنَّ عمرَ سألَني عن ثوبٍ: بِكَمْ أخَذْتَهُ ؟ فأسْقَطْتُ ثُلُثي الثَّمَنِ !).

وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: (ما كَذَبتُ كَذْبَةً منذُ شَدَدتُ عليَّ إزاري). وكان بعضُ السَّلَفِ يقولُ: (والذي لا إله إلاَّ هو لو نادى مُنادٍ: الكَذِبُ حلالٌ ما كَذَبْتُ أبداً).

وعن أبي بُرْدَةَ بن عبدِ اللهِ بنِ أبي بُرْدَةَ قال: (كان يُقالُ: إنَّ رِبْعِيَّ ابنَ حِرَاشٍ -رضي اللهُ عنه- لم يكذِبْ كَذِبَاً قطُّ، فأقبَلَ ابناهُ من

خُرَاسانِ، قد ناجَلاَ، فجاءَ العريفُ إلى الحَجَّاجِ، فقال: أيُّها الأميرُ ! إنَّ الناسَ يَزْعُمونَ أنَّ رِبْعِيَّ بنَ حِرَاشٍ لم يكذِبْ قطُّ، وقد قَدِمَ ابناهُ من خُرَاسانِ، وهما عاصيَان. فقال الحَجَّاجُ: عليَّ بهِ ! فلمَّا جاءَ قال: أيُّها الشيخُ ! قال: ما تشاءُ ؟ قال: ما فعلَ ابناكَ ؟! قال: المُسْتَعانُ ا للهُ! خلَّفتُهما في البيتِ. قال: لا جَرَمَ، وا للهِ لا أسؤوكَ فيهما، هما لكَ).

وقد نُقِلَ عن السَّلَفِ أنَّ في المعاريضِ مَنْدوحَةً عن الكَذِبِ، وإنَّما أرادوا بذلك أن يورِّيَ الإنسانُ ويَقْصِدُ شيئاً آخرَ إذا اضْطُرَّ إلى الكَذِبِ، فأمَّا إذا لم تكُنْ له حاجةٌ وضرورةٌ فلا يجوزُ التعريضُ ولا التصريحُ بالكَذِبِ أبَداً، ولكنَّ التعريضَ أهونُ.

ومن أمثِلَةِ التعريضِ ما فعلَ الصِّديقُ -رضي ا للهُ عنه- عندما كان يسيرُ خلفَ النبيِّ ﷺ يومَ الهجرَةِ، فتلْقَاهُ العربُ وهم يعرِفونَ أبا بكرٍ ولا يعرِفونَ رسولَ ا للهِ، فقالوا: يا أبا بكرٍ ! من هذا ؟ قال: هادٍ يهديني السَّبيلَ ! فظَنُّوا أنَّه يعني هِدايَةَ الطريقِ، وهو إنَّما يُريدُ هِدايَةَ سبيلِ الخيرِ والإيمانِ، فَصَدَقَ في قولِه، وورَّى عن مُرادِه.

ثمَّ اعلموا عبادَ ا للهِ أنَّ للكَذِبِ بواعِثَ كثيرةً تدفَعُ صاحِبَ النفسِ الدَّنيئَةِ إليه، وتوقِعَهُ في حبائِلِه، أهمُّها: قِلَّةُ الخوفِ من ا للهِ تعالى، وعَدَمُ مُراقَبَتِه في كلِّ دَقيقَةٍ وجَليلَةٍ، ومُحاولَةُ تغييرِ الحقائقِ وإبدَالِها لِرَغْبَةٍ في الزِّيادَةِ أو النُّقْصَانِ، أو التفاخُرِ أو التَّكَسُّبِ ومسايَرَةُ المجالسِ، ولَفْتُ أنظارِ

الناسِ بِقَصَصٍ ومعلوماتٍ كاذبَةٍ بُغْيَةَ الإغْرابِ في الحديثِ والرِّواياتِ، وعدَمُ تَحَمُّلِ المسئوليَّةِ، ومُحاولَةُ الهَرَبِ من الحقائقِ في الأَزَمَاتِ والمواقِفِ، والتَّعَوُّدُ على الكَذِبِ منذُ الصِّغَرِ، وهذا من سوءِ التربيَةِ؛ لأنه منذُ نعومَةِ أظفارِه يرى والدَه يكذِبُ، وأُمَّهُ تكذِبُ، وكذا من حولَه، فينشأُ في هذا المجتمعِ كَذَّاباً، لا يعرِفُ للصِّدقِ طريقاً.

والأدهى من ذلك والأمرُّ أن يكونَ الكَذِبُ مُباهاةٌ، ويُعتبَرُ من أنواعِ الذكاءِ وسُرْعَةِ البَديْهَةِ وحُسْنِ التَّصَرُّفِ.

والكَذِبُ -معاشِرُ المسلمينَ- هو الكَذِبُ أيَّاً كان نوعُه والدَّافِعُ إليه، مُحرَّمٌ كلُّه، لم يُستْثَنَ منهُ إلاَّ ما رواه الإمامُ أحمدُ عن أسماءَ بنتِ يزيدٍ قالت: قال ﷺ: « أَيُّهَا النَّاسُ ! مَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى أَنْ تَتَابَعُوا فِي الْكَذِبِ كَمَا يَتَتَابَعُ الْفَرَاشُ فِي النَّارِ، كُلُّ الْكَذِبِ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلاَّ ثَلاَثَ خِصَالٍ؛ رَجُلٌ كَذَبَ عَلَى امْرَأَتِهِ لِيُرْضِيَهَا، أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ فِي خَدِيعَةِ حَرْبٍ، أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ امْرَأَيْنِ مُسْلِمَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا ».

ولأجلِ ذلك: ذكرَ بعضُ أهلِ العلم أنَّ الكذِبَ أنواعٌ خمسةٌ: أوَّلُها: الكذِبُ المُحرَّمُ، وهذا هو الأصلُ في الكَذِبِ؛ لقُبْحِه، وما وردَ لأهلِه من ذَمٍّ وتوَعُّدٍ بالعقابِ الأليمِ؛ وهو ما لا نفعَ فيه شرعاً. وثانيها: الكذِبُ المكروهُ؛ وهو ما كان لجَبْرِ خاطِرِ الوالدِ أو الزوجَةِ. وثالِثُها: الكَذِبُ المندوبُ إليه؛ وهو ما كان لإرهابِ أعداءِ اللهِ في الجِهادِ، كإخبارِهم

بكَثْرَةِ عَددِ المسلمين وعُدَدِهم. ورابعُها: الكذِبُ الواجبُ؛ وهو ما كانَ لتخْليصِ مسلمٍ أو مالِه من هلاكٍ. وخامسُها: المُباحُ؛ وهو ما كان لإصلاحِ ذاتِ البينِ بينَ الناسِ. ولو نظرتَ إليها جميعاً وجدتَها مُحققّةً النفعَ، لا فسادَ فيها ولا ضررَ، ولذلك أجازَ أهلُ العلم الكذِبَ فيها.

وعلى المسلمِ -عبادَ اللهِ- أن يستيقِنَ بِحُرْمَةِ الكذِبِ، وشدَّةِ عِقابِه، وأن يعملَ جاهِداً على تعويدِ نفسِه على تحمُّلِ مسئوليَّةِ لسانِه، وقولِ الحقِّ ولو على نفسِه، ومُحاسَبَةِ نفسِه، وتربيَةِ أولادِه وأهلِه على الصِّدق.

وصلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم اللهُ تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً)). [رواه مسلم]

غضُّ البصر؛ فضائل وأحكام

●الخطبة الأولى:

اللَّهُمَّ إنَّا نحمدُكَ ونستعينُكَ ونستهديكَ، ونتوبُ إليكَ ونستغفرُكَ، ونُثني عليكَ الخيرَ كُلَّه، نشكرُكَ اللَّهُمَّ ولا نكفُرُكَ، ونخلعُ ونترُكُ من يَفْجُرُكَ، اللَّهُمَّ إيَّاكَ نعبدُ، ولكَ نُصلِّي ونسجدُ، وإليكَ نسعى ونَحْفِدُ، نرجو رحمتكَ ونخشى عذابكَ، لكَ الحمدُ كُلُّه، وإليكَ يُرجَعُ الأمرُ كُلُّه، علانيتُه وسِرُّه، لكَ الحمدُ حتَّى ترضى، ولكَ الحمدُ إذا رضيتَ، ولكَ الحمدُ بعدَ الرِّضى، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له، عزَّ جارُه، وجلَّ ثناؤُه، وتقدَّست أسماؤُه، في السماءِ مُلْكُهُ، وفي الأرضِ سُلطَانُهُ، وفي البحرِ عَظَمَتُهُ، وفي كُلِّ شيءٍ له آيةٌ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وخِيْرَتُهُ من خلقِه، أرسلَه ربُّه بالهُدى ودينِ الحقِّ ليُظهِرَهُ على الدينِ كُلِّهِ، صلى الله وسلَّمَ وباركَ عليه وعلى آله وصحبه وأتباعِهِ أجمعينَ.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

أوصيكم ونفسي بتقوى ا للهِ عزَّ وجلَّ، في السِرِّ والعَلاَنيَةِ، والخوفِ منه خوفاً يحملُ على الطاعةِ، ويُباعِدُ عن المعصيَةِ، والاستعدادِ لموعودِه، والرِّضا بقضائه، والحَذَرِ من الغفلَةِ والسِّنَةِ؛ ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ ا للهَ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ ا للهُ غَنِيّاً حَمِيداً﴾ [النساء:١٣١].

أيُّها المسلمون:

يقولُ ا للهُ تباركَ وتعالى في مُحكَمِ كتابِه: ﴿ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ ا للهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣٠-٣١].

عبادَ ا للهِ:

البصرُ من أجلِّ نِعَمِ ا للهِ سبحانه وتعالى على عبادِه التي أمرَهم بحفظِها، وشُكرِ ا للهِ عليها، والتَّفكُّرِ من خلالِها في بديعِ صُنْعِ ا للهِ في ملكوتِ السمواتِ والأرضِ وعجيبِ خلقِه، وعظيمِ قُدرتِه؛ ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك:٢٣]. ﴿ قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

وغَضُّ البصرِ عمَّا حرَّمَ ا للهُ على العبدِ النظرَ إليه من أعظمِ الطاعاتِ للهِ تعالى ورسولِه ﷺ ، وهي صفةٌ عظيمةٌ من أبرَزِ صِفاتِ المؤمنينَ المُتَّقينَ؛ فإنَّ البَصَرَ هو البابُ الأكبَرُ إلى القلبِ، وأعْمَرُ طُرُقِ الحواسِ إليه، وبحَسَبِ ذلك كَثُرَ السُّقوطُ من جهتِه، ووجَبَ التَّحذيرُ منه، حيثُ جعلَ ا للهُ سبحانه وتعالى العينَ مِرْآةً للقلبِ، فإذا غضَّ العبدُ بصرَهُ عن الحرامِ وكُلِّ ما يخشى منه الفتنَةَ غضَّ القلبُ شهوَتَه عن المُحرَّماتِ والشهواتِ، وإذا أطلقَ بصرَهُ إلى الفِتَنِ والشهواتِ، أطلَقَ القلبُ شهواتِه وتوارَدَتْ عليه شُبُهاتُه. قال المصطفى ﷺ : « النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيْسَ ».

[رواه الحاكمُ]

نعم -عبادَ ا للهِ- النَظَرُ سهمٌ من سِهامِ إبليسَ المسمومةِ، وحَبائلِه الموبوءَةِ التي أهلَكَ بها العبادَ، وصرَفَ بها الناسَ عن طريقِ الاستقامَةِ والفلاحِ، وأوقعَهم في الرَّذائلِ والموبقاتِ والآفاتِ، فالنَّظَرُ إلى المُحَرَّماتِ هو مبدأُ المعصيَةِ، وبريدُ الزِّنى، يفعلُ بالقلبِ ما يفعلُه السَّهْمُ في الرَّمِيَّةِ فإن لم يقتُلها جرَحَها وأدماها.

كُلُّ الحَوادِثِ مَبْدَاها مِنَ النَّظَرِ ... وَمُعظَمُ النَّارِ مَنْ مُسْتَصغَرِ الشَّرَرِ
كمْ نَظْرَةٍ فَتَكتْ في قَلبِ صَاحِبِها ... فتْكَ السِّهامِ بِلاَ قوسٍ ولا وَتَرِ
والمرءُ ما دامَ ذا عينٍ يُقلِّبُها ... في أعْيُنِ الغِيْدِ موقوفٌ على الخَطَرِ
يسُرُّ مُقْلَتَهُ ما ضرَّ مُهْجَتَهُ ... لا مرحَباً بسرورٍ جاءَ بالضَّرَرِ

عبادَ ا للهِ:

وفتنةُ النَّظَرِ إلى المُحرَّماتِ؛ من الأجانبِ، والمناظرِ، والشهواتِ أصلُ الفِتَنِ، وسببُ الآفاتِ، ومنبعُ الشهواتِ المُحرَّمَةِ، فالنَّظرُ رائدُ الشهوةِ ورسولُها، وحِفْظُهُ أصلُ سلامَةِ القلبِ وحِفْظِ الفرجِ؛ فإنَّ بينَ العينِ والقلبِ منفذاً وطريقاً واتِّصالاً، فإذا خرَجَتِ العينُ وخَرِبَتْ خَرِبَ القلبُ وفسَدَ، وصارَ مُستنقعاً للشَّهواتِ، ومحطّاً للرذائلِ، خالياً عن معرفَةِ ا للهِ ومحبَّتِهِ، والإنابَةِ إليهِ، والأُنسِ به، والسُّرورِ بقُرْبه.

عن عبدِ ا للهِ بن عبَّاسٍ -رضي ا لله عنهما- قال: مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : « إِنَّ ا للهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ؛ فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ ». [متفقٌ عليه]

إنَّ إطلاقَ البصرِ من أهمِّ أسبابِ شيوعِ الفاحشَةِ في المجتمعاتِ؛ فإنَّه يُحرِّكُ الشهوةَ الكامنَةَ في القلبِ حتَّى تعتصرَهُ الحسراتُ على الظَّفرِ بِمَا يُريدُ.

وكُنتَ متى أرسلتَ طَرْفَكَ رائداً ... لقلبِكَ يوماً أتعبتكَ المناظِرُ
رأيتَ الذي لا كُلُّه أنتَ قادِرٌ عليه ... ولا عن بعضِهِ أنتَ صابِرُ

ومن أجلِ هذه المفاسِدَ المُترتِّبَةِ على النَّظَرِ إلى المُحرَّماتِ فقد أُمِرَ المسلمونَ بغضِّ أبصارِهم، وقصْرِها على المُباحِ، فعن عُبادةَ بنِ الصامتِ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((اضْمَنُوا لِي سِتّاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ؛ اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ)). [رواه أحمدُ، والحاكمُ، وهو صحيحٌ]

وغضُّ البصرِ المأمورُ به شرعاً: هو أن يُغْمِضَ المسلمُ بصرَه عمَّا حرَّمَ اللهُ عليه، فإن وقعَ على حرامٍ صرفَه سريعاً. قال جريرُ بنُ عبدِ اللهِ -رضي اللهُ عنه-: ((سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي)). [رواه مسلمٌ في صحيحه]

وغضُّ البصرِ واجبٌ على كُلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء:٣٦].

وهو مرتبةٌ عُظمى، لا يستطيعُ تحقيقَها والوقوفَ عندَ حدودها إلاَّ من وفَّقَهُ اللهُ تعالى وسدَّدَهُ وثبَّتَهُ على دينِه وطاعتِه. قال ابنُ مسعودٍ -رضي اللهُ عنه-: (حِفظُ البصرِ أشدُّ من حِفظِ اللِّسانِ، وما من نظرةٍ إلاَّ وللشيطانِ فيها مَطْمَعٌ، والإثمُ حَوَّازُ القلوب)؛ يعني بذلك: أنَّه يغلبُها حتَّى ترتكِبَ ما لا يَحْسُن.

ليسَ الشُّجاعُ الذي يحمي مَطِيَّتَه يومَ النِّزالِ ونارُ الحربِ تشتعِلُ

لكنَّ من غَضَّ طَرْفاً أو ثنى قدَماً ... عنِ الحرامِ فذاكَ الفارسُ البَطَلُ

قال ابنُ كثيرٍ عندَ قولِه تعالى: ﴿ قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ ؛ (هذا أمرٌ من اللهِ تعالى لعبادِه المؤمنينَ أنْ يغُضُّوا من أبصارِهم عمَّا حرَّمَ اللهُ عليهم، فلا ينظروا إلاَّ إلى ما أباحَ لهم النَّظرَ إليه، وأن يُغْمِضوا أبصارَهم عن المحارِمِ؛ لأنَّ النَّظرَ داعيَةٌ إلى فسادِ القلبِ، فلهذا أمرَ اللهُ بحِفْظِ الأبصارِ كما أمرَ بحِفْظِ الفروجِ).

وقال ابنُ عبَّاسٍ في معنى قولِ اللهِ تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر:١٩] ؛ قال: (هو الرَّجلُ ينظرُ إلى المرأةِ الحسناءِ تمرُّ به، أو يدخُلَ بيتاً هي فيه، فإذا فُطِنَ له غضَّ بصرَه، وقد عَلِمَ اللهُ أنَّه يَوَدُّ لو اطَّلَعَ على فرجِها، ولو قَدِرَ عليها، لو زَنى بها).

وأنا الذي اجْتَلبَ المَنِيَّةَ طَرْفُهُ ... فَمَنِ المُطالَبُ والقَتيلُ القاتِلُ ؟!

عباد الله:

غَضُّ البصرِ زكاةٌ للقلبِ، وطهارةٌ للنفسِ، وراحةٌ للبدَنِ، وصَوْنٌ للفرجِ عن الحرامِ، وتَجَنُّباً للوقوعِ في الزَّلَلِ والمعصيَةِ، يورثُ حلاوةَ الإيمانِ، ونوراً في القلبِ، وفَراسَةً صادقةً، وقوَّةً وشجاعةً، وثباتاً في النَّفسِ.

ومن اللَّطائفِ الجميلةِ: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ عقَّبَ آياتِ غَضِّ البصرِ بقولِه تعالى: ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ

وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ا للهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ا للهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَا للهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيمٌ﴾ [النور:٣٥]. وفي ذلك دليلٌ عظيمٌ على أنَّه سبحانه وتعالى يجزي العبدَ على عملِه بما هو من جنسِه؛ فلمَّا منعَ العبدُ بصرَه أن ينفُذَ إلى ما لا يحلُّ، أطلقَ ا للهُ نورَ بصيرتِه، وفتحَ عليه بابَ المعرفَةِ والعلمِ، ولا غروَ في ذلك فمن تركَ شيئاً للهِ عوَّضَه ا للهُ خيراً منه.

قال بعضُ السلَفِ: (من حَفِظَ بصرَه أورَثَه ا للهُ نوراً في بصيرتِه).

ولقد كان السلفُ رضوانُ ا للهِ تعالى عليهم يكرهونَ فضولَ النَّظرِ. قال الإمامُ وكيعٌ: (خرجنا مع سُفيانَ الثَّوريِّ في يومِ عيدٍ، فقال: إنَّ أوَّلَ ما نبدأُ به في يومنا هذا غضُّ أبصارِنا).

بل لقد كان العربُ في جاهليَّتِهم -مع جهلِهم وضلالِهم وكُفْرِهم- يرونَ غضَّ البصرِ أدباً رفيعاً، وخُلُقاً عظيماً، يُفاخِرونَ به، حتَّى قال شاعرُهم عنترَةُ بنُ شدَّادٍ:

وأغُضُّ طَرْفي إن بَدتْ لِيَ جارتي حتَّى يُوارِيَ جارتي مثواها

فكيفَ بالمسلمينَ الذين يرجونَ من ا للهِ ما لا يرجوا أولئكَ.

بارك ا للهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ ا للهَ فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● **الخطبة الثانية:**

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واحـذَروا مـن سَخَطِهِ وأليـمِ عِقابِـه، ثـمَّ اعلمـوا رحمكم الله أنَّ تَخْلِيَةَ البصرِ وإطلاقَه من قيـدِ الخـوفِ والمُراقبَـةِ حتَّـى يقـعَ على كلِّ ما يراه فلا يرعَوي عـن حـرامٍ، ولا يقـفُ عنـدَ حـدٍّ بريـدُ الزِّنـا، وسببٌ لفسادِ القلبِ والخُلُقِ، وقائدٌ ورسولٌ إلى الحرامِ والإثمِ، فكم جـرحَ النَّظرُ من قلـبٍ، وأوقـعَ في غفْلَـةٍ، وأشـعلَ نـارَ فتنَـةٍ، ورُبَّ نظْـرَةٍ زرعَـتْ شهوةَ ساعةٍ أورَثَتْ حُزناً طويلاً، وخسارةً أبديَّةً، ونـاراً تلظَّـى لا يصلاهـا إلاَّ الأشقى الذي كذَّب وتولَّى.

وهذا كلُّه دليلٌ على قِلَّةِ حياءِ الإنسانِ، وفَقْدِ حِشمَتِه؛ فـإنَّ النـاسَ لهـم أعيُنٌ، وللناظرِ عوراتٌ، ومن تتبَّعَ عورةَ امرئٍ مسلمٍ تتبَّعَ اللهُ عورتَه حتَّـى يفضحَهُ ولو في جوفِ دارِه.

عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ -رضي الله عنه- قـال: قـال رسـولُ اللهِ ﷺ : «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَـاتِ». قَـالُوا: يَـا رَسُـولَ اللهِ! مَـا لَنَـا بُـدٌّ مِـنْ مَجَالِسِنَا؛ نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ : «فَـإِذَا أَبَيْتُـمْ إِلاَّ الْمَجْلِـسَ

فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ ». قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ ؟ قَالَ: « غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ». [متفقٌ عليه]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: « مَنِ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَئُوا عَيْنَهُ ». [متفقٌ عليه] وعن بُريدَةَ -رضي الله عنه- أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: « يَا عَلِيُّ لاَ تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَإِنَّ لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ» . [رواه أبو داودَ، والترمذيُّ، وسندُه حسنٌ]

قالها ﷺ لعلي بنِ أبي طالبٍ -رضي الله عنه- مع علمِه بكمالِ زُهدِه وورَعِه، وعِفَّةِ باطنِه، وصيانَةِ ظاهرِه، يُحذرُه من النظرِ إلى الحرامِ، ويؤمنُه من الخطَرِ الحاصلِ به؛ لئلا يدعي الأمنَ والسلامَةَ في القصْدِ كل بطَّالٍ، فيغْتر بالعصمَةِ، ويأمنُ من الفتنَةِ.

فأينَ هذا -عبادَ اللهِ- ممَّن أنعمَ اللهُ عليه بنعمَةِ البصرِ، في وقتٍ حرمَ منه الكثيرَ من الناسِ، يُطلقونَ أبصارَهم ليلاً ونهاراً في المُحرماتِ؛ من نساءٍ كاسياتٍ عارياتٍ، ومجلاَّتٍ خليعةٍ، وأفلامٍ فاضحةٍ، وقنواتٍ فاسدةٍ، وأجهزةٍ مُختلفةٍ، يتتبعونَ الرذائلَ والمفاسدَ والمُحرماتِ. بل أينَ هذا ممَّن يقصدونَ الأسواقَ مأوى الشياطينَ لتَجَمعِ النساءِ وأشباههن للنظرِ إلى الفتنِ وما لا يحلُّ، في زمنٍ كَثُرَت فيه الفواحِشُ، وانتشرت فيه المحنُ والشبُهاتِ والشهوات.

أهكذا تُشكَرُ نعمةُ اللهِ ؟! أما يخشى الذين يُصرون على الشهواتِ، والنظرِ إلى الحرامِ من عقوبةِ اللهِ تعالى وانتقامِه منهم ؟! أما يخشونَ من العمى، وطمسِ البصرِ والبصيرةِ ؟!

ألا فاتقوا الله تبارك وتعالى أيُّها المسلمون ، وغُضوا أبصارَكم عن الحرامِ، واشكروا اللهَ على عظيمِ نعمَهِ، وترادُفِ مِنَنِه، ثم صلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم اللهُ تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ». [رواه مسلم]

❧ ❧ ❧

ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾ [النساء:١] ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

اتَّقوا الله تباركَ وتعالى واشكروه؛ فإنَّ تقواه سبحانه وتعالى هي العروةُ الوُثْقَى، والسعادةُ الكبرى، والنجاةُ العُظْمى، في الآخرة والأولى، ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾ [الطلاق:٥].

أيُّها المسلمون:

من حَسَناتِ شريعَةِ الإسلامِ الغَرَّاءِ سعيُها لصلاحِ الأفرادِ والمُجتَمعاتِ، ومُحارَبَةِ الفواحِشِ والسيِّئاتِ، وإقامَةِ المُجتَمعِ الإسلاميِّ النظيفِ في بُعْدٍ عن الجرائمِ الأخلاقيَّةِ المُفسِدَةِ، مُحافَظَةً على الأعراضِ والأنسابِ، وصِيَانَةً للفروجِ والدِّماءِ؛ حيثُ ربَطَ اللهُ سبحانه وتعالى فلاحَ المؤمنينَ وصلاَحَهم بحِفْظِ فروجهم، وصيانَةِ أعراضِهم؛ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المعارج:٢٩-٣٠].

أيُّها الناسُ:

وهُناكَ جريمَةٌ من أقبَحِ الجرائمِ وأشدِّها شَنَاعَةً، ومن أَمْقَتِ الذنوبِ إلى اللهِ تعالى، وأكْثَرِها بَشَاعَةً، ما عُصِيَ اللهُ سبحانه بعدَ الشركِ بهِ بأعظَمَ ولا أقبَحَ منها، وهي من أخطَرِ الجرائِمِ على المجتَمعاتِ البشريَّةِ، ما انتشَرَتْ في أُمَّةٍ إلاَّ أهلَكَتْها ودَمَّرَتْها، ولا فَشَتْ في مُجْتَمَعٍ إلاَّ قَوَّضَتْ أركانَهُ، وهَدَّمَتْ بُنْيَانَهُ، من أفْحَشِ الفواحِشِ، وأكبَرِ الفضائِحِ، تَقْتُلُ الرجولَةَ، وتُذيْبُ الحُرِيَّةَ، وتَهْتِكُ الأعراضَ، وتُبَدِّدَ الأموالَ، وتؤدِّي إلى اختلاَطِ

الأنسابِ، وتُفْسِدُ الأخلاقَ، وتُفضِي بالأمَّةِ إلى الفَنَاءِ، وتَدْعوها إلى الشِّقاقِ والعَناءِ، وتُوقِعُ في أنواعٍ كثيرةٍ من البلايا والأمراضِ.

تِلْكُمْ عبادَ اللهِ هي جريمَةُ الزِّنا، والعياذُ باللهِ.

معاشِرَ المسلمين:

الزِّنا انْتِكاسٌ في الفِطَرِ، وفَسادٌ للقلوبِ، وسَببٌ لإيجابِ الذُّلِّ والعارِ والشَّنَارِ، وصاحِبُه مُتوعَّدٌ بالعقوبَةِ في الدُّنيا قبلَ الآخرَةِ، والواقِعون في الزِّنا جراثيمُ مُفْسِدَةٌ، وأعضاءُ مسمومَةٌ في المجتَمعِ تُؤْدِي به إلى دَرَكِ المَهالِكِ، وتقودُه إلى الهُوَّةِ السحيقَةِ التي لا فلاحَ بعدَها ولا نُهوضَ؛ هم في الحقيقَةِ أصحابُ نفوسٍ ضعيفَةٍ، وإراداتٍ سافِلَةٍ، وقلوبٍ غافِلَةٍ، قد أسَرَتْها الأهواءُ والشُّبهاتُ، واسْتَحْكَمَتْ عليها الشَّهَواتُ والدَّنايا دونَ رادِعٍ من دينٍ أو خُلُقٍ أو مروءَةٍ، أو حتَّى رُجُولَةٍ.

الزِّنا -عبادَ اللهِ- سَبَبُ البلايا، وطريقُ التعاسَةِ والعَناءِ، يُفْني الأُمَمَ، ويُهْلِكُ الدِّيارَ، ويُبَدِّدُ المَمالِكَ، ويَقضي على الأخلاقِ. قال اللهُ تعالى واصِفاً حالَه، ومُبيِّناً ضَرَرهُ وفسادَه ومصيرَه: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُواْ الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً** ﴾ [الإسراء:٣٢].

وفي الصحيحِ عن ابنِ عُمرَ -رضي اللهُ عنهما- قال: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمِ الَّذِينَ مَضَوْا،

وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ إِلاَّ جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ ». [رواه ابنُ ماجه]

وعن ابنِ عبَّاسٍ -رضي اللهُ عنهما- مرفوعاً: « مَا ظَهَرَ الْغُلُولُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلاَّ أُلْقِيَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ، وَلاَ فَشَا الزِّنَا فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلاَّ كَثُرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ، وَلاَ نَقَصَ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ قُطِعَ عَنْهُمُ الرِّزْقُ، وَلاَ حَكَمَ قَوْمٌ بِغَيْرِ الْحَقِّ إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الدَّمُ (يعني: كَثُرَ القَتْلُ)، وَلاَ خَتَرَ (يعني: نَقَضَ) قَوْمٌ بِالْعَهْدِ إِلاَّ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْعَدُوَّ ». [رواه مالكٌ في الموطأ، وقال ابنُ عبدِ البَرِّ: مِثْلُهُ لا يُقالُ بالرأي، وصحَّحه الألبانيُّ]

اللهُ أكبَرُ لكأنَّ المصطفى ﷺ بين الناسِ اليومَ ليَرى الأمراضَ التي لم تكن معلومَةً من قَبْلُ، والتي عَجزَ الطِّبُّ على ما وصلَ إليه من تَقَدُّمٍ ورُقيٌّ أن يَجدَ لها عِلاجاً؛ كالهِرْبِزِ، والزُّهْرِيِّ، والسيَلاَنِ، والإيْدَزِ، ويرى الموتَ والهلاكَ وقد فشى في الناسِ، وأفناهم.

قال ابنُ مسعودٍ -رضي اللهُ عنه-: (ما ظَهَرَ الرِّبا والزِّنا في قريَةٍ إلاَّ أَذِنَ اللهُ بإهلاكِها).

وقال الإمامُ أحمَدُ -رحمةُ اللهِ عليه-: (لا أعلَمُ بعدَ قَتْلِ النفسِ شيئاً أعظَمُ من الزِّنا).

فالزِّنا -عبادَ الله- يجمَعُ خِلاَلَ الشرِّ كلِّها؛ من قِلَّةِ الدينِ، وذَهابِ الوَرَعِ، وفسادِ المروءَةِ، وقِلَّةِ التوفيقِ والبصيرَةِ، وانعدَامِ الغَيْرَةِ، وفُقْدانِ الحياءِ، فليسَ بعدَ مفْسَدَةِ القَتْلِ أعظَمُ من مَفْسَدَتِه، ولهذا شُرِعَ فيه القَتْلُ على أشْنَعِ الوجوهِ وأصعَبِها؛ الرَّجْمُ بالحِجَارَةِ حتَّى الموت؛ لو بَلَغَ الرَّجُلَ أنَّ امرأتَه ماتَتْ أو قُتِلَتْ لكانَ أسهَلَ عليه من أن يَبْلُغُهُ أنَّها زَنَتْ، والعِياذُ با للهِ.

قال ابنُ قيِّم الجوزيَّةِ -رحمه الله-: (ولَمَّا كانَتْ مَفْسَدَةُ الزِّنا من أعظَمِ المَفاسِدِ، وهي مُنافيَةٌ لِمَصْلَحَةِ نِظامِ العالَمِ في حِفْظِ الأنسابِ، وحِمايَةِ الفروجِ، وصِيَانَةِ المُحَرَّماتِ، وتَوقِّي ما يُوقِعُ أعظَمَ العداوَةِ والبَغْضاءِ بينَ الناسِ من إفسادِ كلٍّ منهم امرأةَ صاحبه وابنتِه وأُختِه وأُمِّه، وفي ذلك خرَابُ العالَمِ، كانَتْ تَلِي مَفْسَدَةَ القَتْلِ في الكِبَرِ، ولهذا قَرَنَها الله سبحانه بها في كتابه وعلى لسانِ رسولِه ﷺ ؛ فقال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَـهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً**﴾ [الفرقان:٦٨-٦٩] ؛ وفي الصحيحين من حديثِ ابنِ مسعودٍ-رضي الله عنه- قال: سَأَلْتُ النَّبيَّ ﷺ : أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ ؟ قال ﷺ : ((أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدّاً وَهُوَ خَلَقَكَ)). قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ : ((وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ)). قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ ؟ قَالَ: ((أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ)). [متفقٌ عليه] ؛ فقَرَنَهُ الله بالشِرْكِ وقَتْلِ النفسِ،

وجعلَ جزاءَ ذلكَ الخُلودَ في العَـذابِ المُضاعَفِ المُهـينِ، ما لم يرفَعِ العبدُ موجِبَ ذلكَ بالتوبَةِ والإيمانِ، والعملِ الصالحِ).

أيُّها المسلمون:

ولَمَّا كان الزِّنا وخَيْمَ العاقِبَةِ، قَبيْحَ الخاتِمَةِ اهتَمَّ الإسلامُ بحمايَةِ المُجْتَمَعِ من شرورِه وآثامِهِ، فأقامَ في طريقِ الزِّنا الحواجزَ الكثيرَةَ المَنيعَةَ، الـتي تحمي المسلِمَ من الانْزِلاَقِ إلى وَهْدَتِهِ، والوقوعِ في حَمْأَتِهِ.

وقد جاءَتِ الشريعَةُ الإسلاميَّةُ بسَدِّ الذَرائِعِ الموصِلَةِ إلى وقوعِ جريمَةِ الزِّنا بصورَةٍ فريدَةٍ، لم تَتَحَقَّق في الجرائِمِ الأخرى كلُّ ذلك مُحافَظَـةً على الأعراضِ، وحِمَايَةً للفروجِ، ومَنْعاً لاختلاَطِ الأنسابِ.

ومن هذه الذَّرائعِ التي سعى الإسلامُ لسَدِّها تَحَفُّظـاً من وقوعِ جريمَةِ الزِّنا: أمْرُ الشَّبابِ بالزَّواجِ لتحصينِ فروجِهم، وإعفافِ نفوسِهم بـالحلالِ؛ فقد روى البخاريُّ ومسلمٌ عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ -رضي الله عنه- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ». والباءَةُ: هي المَقْدِرَةُ على الجماعِ، وتكاليفِ الزَّواجِ.

وأمرَ سبحانه وتعالى بِغَضِّ البَصَرِ مـن المرأةِ والرَّجُلِ عن الحرامِ؛ من صورٍ وأفلامٍ، ومُسَلْسَلاتٍ، ومَنَاظِرَ مُحَرَّمَةٍ؛ ﴿ **قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل**

لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ...﴾ [النور: ٣٠-٣١].

فإنَّ النظَرَ سَهْمٌ مسمومٌ من سِهامِ إبليس، وكُلُّ الحوادِثِ مَبْدؤها من النَّظَرِ؛ فإنَّ النظرَةَ تَتْبَعُها الخَطْرَةُ، ثمَّ الخُطْوَةُ، ثمَّ الخَطِيْئَةُ. فمن أطْلَقَ نظرَهُ إلى ما حرَّمَ اللهُ أورَدَ نفسَه مواردَ السوءِ والهلاكِ؛ يقولُ المصطفى ﷺ: «يَا عَلِيُّ لاَ تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَإِنَّ لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ». [رواه الترمذيُّ، وأحمدُ، وأبو داود]؛ والمقصودُ بالنَّظْرَةِ الأولى: ما كان على فَجْأَةٍ من غيرِ قَصْدٍ.

ومن آفاتِ النَّظَرِ: أنَّه يورِثُ الحَسَراتِ والزَّفَراتِ والحُرُقاتِ، فيرى العبدُ ما ليسَ قادِراً عليه، ولا صابِراً عنه، وهذا من أعظَمِ العذابِ.

وكُنْتَ متى أرْسَلْتَ طَرْفَكَ رائِداً لقَلْبكَ يوماً أتْعَبَتْكَ المناظِرُ
رأيتَ الذي لا كُلُّه أنْتَ قادِرٌ عليه ولا عن بعضِه أنتَ صابِرُ

أيُّها المسلمون:

ومن هذه الذَّرائعِ التي سَدَّها الإسلامُ، وسعى في إغلاقِها: التبَرُّجُ؛ حيثُ أمرَ اللهُ تعالى نساءَ المسلمين بالحِجابِ؛ وهو سَتْرُ وجوهِهِنَّ وأجسامِهِنَّ عن الرجالِ؛ صيانَةً لهُنَّ وللرِّجالِ من الوقوعِ في الفاحشَةِ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي

إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَآءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١] ؛ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [الأحزاب:٥٩].

وها أنتم تُلاحِظون -رعاكم الله- انتشارَ الرَّذيلَةِ، وإقصاءَ الفضيلَةِ لَمَّا خرَجَتِ المرأةُ إلى الأسواقِ والمُنتَدَياتِ، كاسيَةً عاريَةً، بلا حِجابٍ شرعيٍّ، مُستَجيبَةً لدُعاةِ السُّفورِ والتبرُّجِ الذين يُنادونَ بهَدْمِ الحِجابِ، ويسعونَ لإسقاطِ المجتمعِ المسلمِ في مُستنقعاتِ الرَّذيلَةِ.

والعجيبُ أنَّ المرأةَ في هذه الأيامِ تلبَسُ أفْخَرَ ثيابِ الزينَةِ، وتَتَطَيَّبُ بأفخَرِ أنواعِ الطيبِ عندَ خروجِها من منزلِها إلى الأسواقِ وغيرِها، مِمَّا يدعو إلى الفاحِشَةِ، وكفى بذلك إثماً مُبيناً.

ومِمَّا يزيدُ في الأمرِ أنَّ المرأةَ في بيتِها تكونُ بأقْبَحِ صورةٍ، لا تُقابِلُ زوجَها إلاَّ بثيابِ المطبَخِ، ذاتِ الروائحِ الكريهَةِ المعروفَةِ، فإذا خرَجَتْ تزَيَّنَتْ وتعطَّرَتْ، وهذا من انتكاسِ المفاهيمِ، والله المُستعانُ؛ فإنَّ الأولى بالمرأةِ أن تَتَجَمَّلَ وتَتزَيَّنَ لزوجِها لا لغيرِه.

كما منعَ الإسلامُ خُلوَّ الرَّجُلِ بالمرأةِ التي ليستْ له محرمَاً؛ لأنَّ ذلك سَبَبٌ لإغراءِ الشيطانِ بهما، وإيقاعِهما في الفاحِشَةِ، مهما ظنَّا بأنفسِهما من التُّقى والدينِ.

في الصحيحين من حديث ابنِ مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يخطُبُ يقُولُ: «لاَ يَخلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إلاَّ وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلاَ تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ». فَقَامَ رَجُلٌ، فقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ! إنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَإنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ».

وما عانَتِ المُجْتَمعاتُ من انتشارِ الفواحِشِ، وفُشوِّ الجرائمِ الخُلُقيَّةِ إلاَّ يومَ قلَّ الحياءُ، وعُدِمَتِ الغَيْرَةُ، فوجِدَ الاختلاطُ المُحَرَّمُ، والخَلْوَةُ بالأجنبيَّةِ التي ليستْ من المحارمِ، لا سيَّما مع السائقين والخَدَمِ في البيوتِ؛ وكثيراً ما نُشاهِدُ رُوكوبَ المرأةِ مع الرجلِ الأجنبيِّ عنها في السيارةِ خاليَيْنِ، كما يفعلُه بعضُ أصحابِ سيَّارات الأجرَةِ، وبعضُ الذين يستَقْدِمونَ السائقينَ لنسائِهم وبناتِهم.

وحُقَّ للغَيْورِ أن يتساءَلَ: أينَ الغَيْرَةُ -عبادَ اللهِ-، وأينَ الرُّجُولَةُ والشَّهامَةُ أيُّها المسلمون ؟؟! أفلاَ يَغَارُ المسلِمُ على عِرْضِهِ ؟! أَفَلاَ يَغَارُ الرَّجُلُ -إن كانَ رَجُلاً في الحقيقةِ- على ابنَتِهِ وزوجَتِه وأُختِهِ حتَّى يَدَعَها تذْهَبُ مع السائِقِ وحدَها حيثُ شاءَتْ ؟!

وآخرونَ يأتونَ بالخادِماتِ إلى البيوتِ، يعْمَلْنَ فيها أمامَ أبنائِهم مِمَّن بلغوا السابعَةَ عشرةَ من العُمُرِ أو أقلَّ أو أكثرَ دونَ خَجَلٍ أو حياءٍ أو التزامٍ بآدابِ الحِجابِ والحِشْمَةِ.

أو يأتونَ بالمُدَرِّسينَ لبناتِهم، مِمَّن هُنَّ في المَتوسِّطَةِ أو في الثانويَّةِ ، أو حتَّى في الجامعَةِ، فيخلونَ بِهم في غُرَفِ المَنْزِلِ، وقد توَقَدَتْ نارُ الشَّهوَةِ في

البنتِ قبلَ الأستاذ؛ لِما تراهُ يوميًّاً من مُثيراتِ الشَّهَوةِ، وداعياتِ الفاحِشَةِ وقد يَقَعونَ في الفاحِشَةِ، ويَزْنُونَ ببناتِهم في بيوتِ آبائِهنَّ، فإلى الله المُشتكى، وقد خابَ من استرعى الذئبَ الغَنَمَ.

كلُّ هؤلاءِ وأمثالُهم إنَّما هم في الحقيقةِ دَيُّوثون سَفَلَةٌ، يُعارِضونَ شرعَ الله وفِطْرَتَهُ، ويقولون بِلسانِ حالِهم لقد كَذَبْتَ يا رسولَ اللهِ حينَ أخبرتَ أنَّه ما خلى رجلٌ بامرأةٍ إلاَّ وكان الشيطانُ ثالِثَهُما، ووَقَعا في الفاحِشَةِ، وحاشاه ﷺ عن ذلك فهو المعصومُ الذي لا ينْطِقُ عن الهوى، إن هو إلاَّ وحيٌّ يوحى.

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن المُغِيْرَةِ -رضي الله عنه- قال: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ -رضي الله عنه-: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلاً مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: « أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ ؟!! وَاللهِ لأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ، وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ ».

عبادَ الله:

أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

❋❋ ❋ ❋❋

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيرا.

أمَّا بعد:

فيا أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه ، واعلموا أنَّكم ملاقوه.

أيُّها المسلمون:

ومن الذَّرائعِ الموصِلَةِ إلى جريمة الزِّنا، والتي حارَبَها الإسلامُ وحرَّمها: سفرُ المرأةِ بدونِ محرمٍ؛ لأنَّ ذلك ضيَاعَاً لها، وغِياباً عن الرَّقيبِ من أوليائِها والغيورين عليها، وهي المرأةُ الضعيفةُ التي سَرْعان ما تخضَعُ لافتراس الذئاب البشريَّةِ رغبةً أو رهبةً. في الصحيحين من حديثِ أبي هريرةَ - رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لاَ يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ عَلَيْهَا».

كم يحزُّ في النفسِ -عبادَ اللهِ- من مُنطَلَقِ الغَيْرَةِ الإسلاميةِ أن نُشاهِدَ كثيراً من بناتِ المسلمين ونسائِهم يُسافِرنَ بدون محرَمٍ بحُجَّةِ إكمال الدراسة أو التدريس والوظيفةِ، أو لزيارَةِ أهلِها ونحو ذلك. ويزدادُ الطينُ

بلَّةً حينَ يكونُ سفرُ المرأةِ بدون محرَمٍ إلى بلادِ الكُفرِ والإباحيَّةِ، فحينئذٍ قُلْ على الفضيلَةِ السلامُ، وعلى الحياءِ العَفَاءُ. وما أكثرَ ما نُشاهِدُ في المطاراتِ -غالباً- من يُودِّعُ زوجَتَه أو ابنَتَه أو اختَه لتُسافِرَ وحدَها، ويستقبلَها قريبُها الآخرُ في مطارٍ آخر، أو لا يستقبلُها أحدٌ، ومع أنَّ هذا محرَّمٌ لا يجوزُ؛ فإنَّه من المُحتَمَلِ ألاَّ تُسافرَ الرِّحلَةُ، أو أن تتأخَّرَ، أو تَهبطَ في غيرِ المدينَةِ التي توجَّهت لها لسبَبٍ أو لآخر، فكيفَ يكونُ حالُ هذه المرأةِ التي سافرَتْ لوحدِها من غيرِ محرَمٍ، والله المستعانُ!

في الصحيحين عن ابنِ عبَّاسٍ -رضي الله تعالى عنهما- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ فقالَ: « لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلاَ تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ ». فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: « انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ ».

أيُّها المسلمون:

وحرَّمَ الإسلامُ سماعَ الغِناءِ؛ لأنَّه بريدُ الزِّنا، وما داوَمَ عبدٌ سماعَه إلاَّ طمسَ الله تعالى على قلبِه، وأعمَى بصيرَتَهُ فلم يُبالِ به في أيِّ أوديَتِه هلكَ.

قال ابنُ قيِّم الجوزيَّةُ -عليه رحمةُ اللهِ-: (فَلَعَمْرُ اللهِ كم من حُرَّةٍ صارَتْ بالغِناءِ من البَغَايا، وكم من حُرٍّ أصبحَ به عبداً للصبيانِ والصبايا، وكم من غَيُورٍ تبدَّلَ به قُبْحاً بين البرايَا، وكم من مُعافىً تعرَّضَ له فأمسى وقد حلَّتْ به أنواعُ البلايا، وكم جرَّعَ من غُصَّةٍ، وأزالَ من نِعْمَةٍ، وجَلَبَ

مـن نِقْمَـةٍ، وكـم خبَّـأ لأهلِـه مـن الآمٍ مُنتظَـرَةٍ وغُمـومٍ مُتوقَّعَـةٍ، وهمـومٍ مُستَقْبَلةٍ).

وقد نهى الإسلامُ عن الجلوسِ في الطرُقاتِ لئلاَّ تقعَ العينُ على حرامٍ فَيُفتَنَ القلبُ، وتقعَ الفاحشَةُ؛ روى الإمامُ مسلمٌ في صحيحه أنَّه ﷺ قال: ((إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ)). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ)). قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ ؟ قَالَ: ((غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَمِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ)).

بل لقد جاءَ الإسلامُ بأسمى من ذلك وأعظَم في سبيلِ مُكافحَةِ هذه الجريمَةِ الشَّنْعَاءِ، والفِعْلَةِ النَّكراءِ (الزِّنا) فأمرَ المسلِمَ إذا رأى امرأةً على حِينِ غَفْلَةٍ منها أو منه، فأعجَبَتْهُ أن يذهبَ إلى امرأتِه فيُجامِعُها؛ فإنَّ ذلك يُزيلُ ما في قلبه؛ عن جابرٍ -رضي الله عنه- قال: سمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: ((إِذَا أَحَدُكُمْ أَعْجَبَتْهُ الْمَرْأَةُ، فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ فَلْيَعْمِدْ إِلَى امْرَأَتِهِ فَلْيُوَاقِعْهَا؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ)).

معاشرَ المسلمين:

كلُّ هذه الأمورِ حرَّمَها الإسلامُ، ونهى عنها من أجلِ المُحافَظَةِ على أعراضِ المسلمين وعَدَمِ تَلَطُّخِها بالزِّنا والرذيلَةِ، فإذا وقعَتِ الفاحِشَةُ –لاسمحَ اللهُ– فإنَّه ينبغي أن تُحارَبَ بلا هَوَادَةٍ، وتُكافحَ بلا رَأفةٍ؛ ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ**

إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِا للهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور:٢].

إنَّ الزِّنا جريمةٌ عظيمةٌ، تَئِنُّ منها الفضيلةُ، ويبكي منها العفافُ، وما عُصِيَ ا للهُ تعالى بعدَ الشركِ به بذنبٍ أعظَمَ من نُطْفَةٍ يضَعُها الرجلُ في فرجٍ لا يحلُّ له.

ولِقُبْحِ الزِّنا جعلَه من أُوتيَ جوامِعَ الكَلِمِ ﷺ مُنافياً للإيمان، فإذا قارَفَ العبدُ جريمَةَ الزِّنا خرَجَ منه الإيمانُ، لا يعودُ إليه حتَّى يُقْلِعَ عنها، ويتوبَ إلى ا للهِ منها؛ فعن أبي هريرةَ -رضي ا للهُ تعالى عنه- أنَّه ﷺ قال: « لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ». [متفقٌ عليه]

وعنه -رضي ا للهُ عنه- قال: قال رسولُ ا للهِ ﷺ : « إِذَا زَنَى الْعَبْدُ خَرَجَ مِنْهُ الإِيمَانُ فَكَانَ فَوْقَ رَأْسِهِ كَالظُّلَّةِ، فَإِذَا خَرَجَ مِنْ ذَلِكَ الْعَمَلِ عَادَ إِلَيْهِ الإِيمَانُ ».[رواه أبو داود، والترمذيُّ، والحاكمُ، وهو صحيحٌ]

وقد روى البخاريُّ في صحيحِه عن عمرو بن ميمونٍ الأوديِّ قال: «رَأَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قِرْدَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهَا قِرَدَةٌ قَدْ زَنَتْ فَرَجَمُوهَا فَرَجَمْتُهَا مَعَهُمْ». وهذا يدلُّ على استِقْباحِ هذه الجريمَةِ حتَّى عندَ الحيَواناتِ التي لا تعقِلُ، فكيفَ بالمسلم الذي كرَّمَه ا للهُ وميَّزَهُ على سائرِ خلقِه ؟؟!

يقول الإمامُ الشافعيُّ -رحمه ا للهُ- مُنفِّراً من الزِّنا ومُبيِّناً عواقِبَه:

عِفُّوا تَعِفُّ نساؤُكم في المَحْرَمِ ... وتجنَّبوا ما لا يليقُ بمسلِمِ

إنَّ الزِّنا دينٌ فإن أقرَضتَهُ ... كان الوفا من أهلِ بيتِك فاعْلَمِ

من يَزْنِ يُزْنَ بهِ ولو بجِدارِهِ ... إن كُنْتَ يا هذا لبيباً فافْهَمِ

من يَزْنِ في بيتٍ بألفي دِرْهَمِ ... في بيتِه يُزنَى بغيرِ الدِّرْهَمِ

يا هاتِكاً حُرَمَ الرِّجالِ وقاطِعاً ... سُبُلَ المودَّةِ عِشْتَ غيرَ مُكَرَّمِ

لو كُنتَ حُرّاً من سُلالَةِ طاهِرٍ ... ما كُنتَ هَتَّاكاً لحُرْمَةِ مسلمِ

فاتقوا اللهَ -عبادَ اللهِ- الزَموا طاعةَ اللهِ، وابتعِدوا عن معصيَتِه.

وأنتم أيُّها الآباءُ! إنَّ مسئوليَّتِكم تِجاه بناتِكم وأبنائِكم عظيمَةٌ جدُّ عظيمَة في السعي لحفظِهم، وتربيَتِهم التربيةَ الحسنَةِ، بعيداً عن مُثيراتِ الفواحِشِ والبلايا. وتزويجِ الشبابِ والشابات حالَ بلوغِهم، وتذليلِ العقَباتِ الكأداءِ، وإزالَةِ العراقيلِ الموضوعَةِ في طريقِ الزواجِ؛ بتخفيفِ المهورِ، وقِلَّةِ التكاليفِ التي لا طائِلَ من ورائِها.

وليسَ عيباً أن يَخطِبَ الرجلُ لابنَتِه أو أختِه صاحِبَ الدينِ والخُلُق، فقد خَطَبَ عمرُ بنُ الخَطَّاب -رضي اللهُ تعالى عنه- لابنَتِه، وخَطَبَ سعيدُ ابنُ المُسَيِّب وهو من سادات التابعين لابنتِه، ولسنا بأفضلَ من هؤلاءِ وغيرِهم، والسعيدُ من وُعِظَ بغيرِه، والحِكْمَةُ ضَالَّةُ المؤمنِ.

عبادَ الله:

صلُّوا وسلِّموا على من أمرَكم الله تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿ **إِنَّ الله وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً** ﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً)). [رواه مسلم]

وما نرسلُ بالآياتِ إلاّ تخويفاً

●الخطبة الأولى:

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، الرحمنِ الرحيمِ، مالكِ يومِ الدينِ، أحمدُه تعالى وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، إلهُ الأولينَ والآخرينَ، وقيِّومُ السمواتِ والأرضينَ، ربُّ الأربابِ، ومُسَبِّبُ الأسبابِ، وخالقُ خلقِه من تُرابٍ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه، ومصطفاهُ وخليلُه، شرحَ اللهُ صدرَه، وأعلى في العالمينَ قدرَه، وجعلَ الذِّلَّةَ والصَّغَارَ على من خالفَ أمرَه، تركَنا على شريعةِ الإسلامِ الخالدةِ، الواضحةِ السمْحَةِ، التي من تمسَّكَ بها نجا، ومن فرَّطَ فيها غوى، فصلواتُ ربِّي وسلامُه عليه، وعلى آله وصحبِه، ومن لمنهجِهم اقتفى، وبهُداهُم اقتدى إلى يومِ الدينِ.

أما بعد: فيا أيُّها الناس:

أوصيكم بتقوى الله عزَّ وجلَّ التي لا يقبلُ غيرَها، ولا يرحمُ إلاَّ أهلَها، ولا يُثيبُ إلاَّ عليها؛ فإنَّها النجاةُ والفلاحُ، والعزَّةُ والشرفُ، والسعادةُ والرِّيادةُ، وبها الخلاصُ من الفتنُ، والسلامةُ من الإحَنِ، والخروجُ من المضائق؛ ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٥٥].

عباد الله:

الإعراضُ عن الطاعاتِ والغفلةُ عنها، والتنكُّرُ للوعظِ، والوقوفُ أمامَ الحقِّ وعدمُ الإذعانِ لَهُ، والإعراضُ عن المحاسبةِ مع كثرةِ المعاصي والفواحِشِ كبيرةٌ من كبائرِ الذنوبِ، وقبائحِ الخصالِ التي تستوجبُ غضبَ الله ونِقْمَتَه، وإهلاكَه وعذابَه؛ ﴿ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً﴾ [الجن:١٧] ، ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى* وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه:١٢٤-١٢٧].

قومُ سبإٍ كانوا أعظمَ ملوكِ الدُّنيا وأهلِها؛ اتِّساعٌ في الأرزاقِ، ووفرةٌ في الزروعِ والثِّمارِ، وجمالٌ في البلادِ، فلمَّا أعرضوا عن ذكرِ اللهِ تعالى وعن عبادتِه، وكذَّبوا رسلَه، وعبدوا الأوثانَ والأندادَ والشمسَ من دونِ الله غيَّرَ اللهُ حالَهم، وأزالَ نعمتَهم، وأرسلَ عليهم أضعفَ خلقِه؛ فأرةً صغيرةً نقضتْ سدَّ مأرب، فاجتاحَهم سيلُ العَرِمِ، وأغرقَ ديارَهم، ودَّكَ حصونَهم، وأتلفَ أموالَهم ومحاصيلَهم، فذُلُّوا بعدَ عزَّةٍ، وضعفوا بعدَ قوَّةٍ، وتفرَّقوا بعدَ اجتماعٍ وأُلْفةٍ، وخافوا بعدَ أمنٍ ومنَعَةٍ؛ ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُواْ لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجْزِي إِلاَّ الْكَفُورَ**﴾ [سبأ:١٥-١٧].

قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ -رحمه الله-: (فهذا الذي صارَ إليه أمرُ الجنَّتين بعدَ الثِّمارِ النَّضيجةِ، والمناظرِ الحسنَةِ، والظِّلالِ العميقةِ، والأنهارِ الجاريَةِ؛ تبدَّلت إلى شجرِ الأراكِ، والطَّرْفاءِ والسِّدرِ ذي الشوكِ الكثيرِ، والثَّمَرِ القليلِ، وذلك بسببِ كُفْرِهم وشركِهم بالله، وتكذيبِهم الحقَّ وعدولِهم عنه إلى الباطلِ).

وقبلَهم -عباد الله- أُمَمٌ وأُمَمٌ، وأفرادٌ وجماعاتٌ هلكوا؛ قصَّ اللهُ تعالى علينا أخبارَهم في كتابِه العظيمِ؛ لنعتبرَ ونتَّعِظَ، ونحذَرَ من سُنَّةِ الله تعالى في الظالمين والكافرين والمُعرضينَ عن شرعِه؛ بدءاً من قومِ نوحٍ الذين

أغرقَهم الله تعالى بالطوفان الذي علا الجبالَ، وعمَّ الأرضَ جميعاً، ثمَّ عادٍ الذين أرسلَ الله تعالى عليهم الرِّيحَ العقيمَ؛ ﴿ **مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ** ﴾ [الذاريات:٤٢]، ثمَّ ثمودٍ الذين أخذَتهم الصَّيحةُ ﴿ **فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ* كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِّثَمُودَ** ﴾ [هود:٦٧-٦٨] ، ثمَّ قومِ لوطٍ الذين قُلِبَت عليهم قُراهم وهم مُصبحين؛ ﴿ **فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ** ﴾ [الحجر:٧٤] ، ثمَّ فرعونَ، وقارونَ، وهامان؛ ﴿ **فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ﴾ [العنكبوت:٤٠].

إنَّها سُنَّةُ اللهِ تعالى الماضيةُ في الأمَمِ الغافلةِ المُعرضَةِ عن الله، المُقصيةِ لشرعِه، المُنتهكَةِ لحدودِه، ولن تجدَ لسُنَّةِ اللهِ تبديلاً؛ ﴿ **وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً** ﴾ [الكهف:٥٩]. ﴿ **وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الأنفال:٣].

عن جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ التابعيِّ قال: (لَمَّا فتحَ المسلمونَ قُبْرُصَ، فُرِّقَ بينَ أهلِها، فبكى بعضُهم إلى بعضٍ، فرأينا أبا الدَّرْداءِ -رضي الله عنه- جالساً وحدَه يبكي، فقلتُ: يا أبا الدَّرْداءِ ! ما يُبكيكَ في يومٍ أعزَّ اللهُ فيه الإسلامَ وأهلَه ؟! فقال: ويحكَ يا جُبَيْر ! ما أهونَ الخلقِ على اللهِ إذا

أضاعوا أمرَه، بينما هي أُمَّةٌ قاهرةٌ ظاهرةٌ، لهم الملكُ تركوا أمرَ الله، فصاروا إلى ما ترى).

إذا كُنتَ في نعمَةٍ فارْعَها ... فإنَّ المعاصي تُزيلُ النِّعَمِ
وحُطْها بطاعةِ ربِّ العبادِ ... فربُّ العبادِ سريعُ النِّقَمِ

قال بعضُ السلفِ: (جزاءُ المعصيَةِ: الوَهَنُ في العبادةِ، والضيقُ في المعيشَةِ، والتَّعسُّرُ في اللَّذَّةِ. قيلَ: وما التَّعسُّرُ في اللَّذَّةِ ؟ قال: لا يُصادفُ لذَّةَ حلالٍ إلاَّ جاءَه من يُنغِّصُه إيَّاها).

أيُّها المسلمون:

والبلادُ التركيَّةُ بلادٌ مسلمةٌ، مغلوبةٌ على أمرِها، دخلَها الإسلامُ في مطلعِ القرن الخامسِ الهجريِّ، وظلَّتْ قُرابَةَ ثمانيَةَ قرونٍ مُتتابعةٍ محكومةً بالإسلامِ الصحيحِ، جنَّةُ الدُّنيا، تنعُمُ بالخيراتِ، والأمنِ ورغَدِ العيشِ، بل كانت إلى وقتٍ قريبٍ عاصمةَ الدَّولةِ الإسلاميةِ العثمانيَّةِ؛ التي امتدَّ سلطانُها ليشملَ البلادَ الإسلاميَّةَ جميعاً في عصرٍ من عصورِ التأريخِ الإسلاميِّ الزاهر.

ولم تزَلْ منصورةً مُسدَّدةً حتّى خرجَ الشقيُّ العلمانيُّ الملحدُ مصطفى كمال أتاتورك؛ الذي قاد الدولةَ المسلمةَ التركيَّةَ إلى هُوَّةٍ سحيقةٍ من الظَّلالِ والباطل، تحقيقاً لرغباتِ اليهودِ والنصارى؛ حيثُ أمرَ بإلغاءِ الأذانِ في المساجدِ، وتحويل أياصوفيا؛ أعظمَ مسجدٍ في تركيَّة إلى كنيسةٍ، ومُحاربةِ الإسلامِ، ونزعِ الحجابِ، ممَّا أدَّى في النهايةِ إلى سقوطِ الدولة

واندراسِ سلطانِها، وخضوعِها للنكباتِ المتلاحقَةِ، وعلى الرَّغْمِ من ذلك فلم تستَفِدْ الحكوماتُ التركيَّةُ المُتعاقبةُ من مصيرِ أسلافِها، بل نشرتِ العلمانيَّةَ، ودافعت عنها، وفصلتِ الدينَ عن الدولةِ، وأباحتِ الخمورَ والمخدِّراتِ، وقنّنتِ الدَّعارةَ العلنيَّةَ، وأمرت بنزعِ الحجابِ، وتطاولت على شرعِ الله، وحاربتِ المسلمينَ، ورمتْهم بالتطرُّفِ والإرهابِ، وأودعتْهم السجونَ والمعتقلاتِ؛ حتّى أصبحَ الناسُ في ظلامٍ دامسٍ، وبُعدٍ عن الله تعالى، لا يُعرَفُ فيهم معروفٌ، ولا يُنكَرُ منكرٌ.

ثمَّ هاهي النهايةُ؛ لحظاتٌ قلائل؛ تتعرَّضُ تلكَ البلاد -التي حاربت شرعَ اللهِ، وأمنت مكرَه، وغفلت عن سنَنِ الله الماضيةِ في الأمَمِ الخاليةِ- لهزَّةٍ أرضيَّةٍ في أقلَّ من خمسٍ وأربعينَ ثانيةً تقضي على أكثرَ من ثلاثينَ ألفَ مواطنٍ، وحوالي ثلاثمئةٍ مصابين، علاوةً على الخسائر الماديَّةِ الأخرى؛ من تدمير المساكن، وسقوط المباني والمتاجر، وخرابِ الطبيعةِ.

عباد الله:

لقد دلَّت نصوصُ الوحيِ الشريفةُ على أنَّ هذه الزلازلَ والبراكينَ والفيضاناتِ المدمِّرةَ التي تتعاقبُ على كثيرٍ من بلادِ العالم كغيرِها من الكوارثِ تُصيبُ العبادَ بسببِ ذنوبِهم ومعاصيهم وبُعْدِهم عن الباري جلَّ وعلا؛ ﴿**وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: ٣٠] ؛ ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾ [الروم: ٤١].

وما نزلَ بلاءٌ إلاَّ بذنبٍ، ولا رُفِعَ إلاَّ بتوبةٍ، وكم من دولةٍ مُجاورةٍ كانت جنَّةَ الدُّنيا؛ جمالاً، ونعيماً، تنكَّبت عن صراطِ الله المستقيمِ، وابتعدت عن شرعِه، فأخذَها اللهُ من حيثُ لا تحتسبْ، وبدَّلَ أمنَها خوفاً، ونعيمها فقراً ومجاعةً.

قال كعبُ بنُ مالكٍ -: (إنَّما تُزْلزَلُ الأرضُ إذا عُمِلَ فيها بالمعصيَةِ؛ فترْعُدُ فرَقَاً من الرَّب جلَّ جلالُه أن يطَّلِعَ عليها). ﴿ **وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً** ﴾ [الإسراء:٥٩].

قال قتادةُ -رحمه الله-: (إنَّ اللهَ تعالى يُخوِّفُ الناسَ بما شاءَ من الآياتِ؛ لعلَّهم يعتبرونَ، ويذكرونَ، ويرجعونَ، ذُكِرَ لنا أنَّ الكوفةَ رُجفَتْ على عهدِ ابنِ مسعودٍ فقال: يا أيُّها الناسُ إنَّ ربَّكم يسْتَعْتِبَكم فأعْتِبوه. وهكذا رويَ أنَّ المدينةَ زُلْزِلَتْ على عهدِ عمرَ بن الخطابِ -رضي الله عنه- مرَّاتٍ، فقال عمرُ: أحْدَثْتُم والله، لئن عادت لأفعلنَّ وأفعلنَّ).

لقد كثرَ وقوعُ الزلازل والفيَضاناتِ المُدَمِّرَةِ المُروِّعَةِ، التي دمَّرتِ العمرانَ البشريَّ، وأهلكتِ الناسَ في سنينَ مُتقاربَةٍ، وهذه ولا شكَّ عقوباتٌ عاجلةٌ على ما يرتكبه الناسُ في أنحاءِ المعمورةِ من كُفْرٍ وعصيانٍ وتمرُّدٍ على شرعِ الله ودينِه، وإنَّ كثرَةَ الزلازلَ والفتنِ وانتشارِ القتلِ في أنحاء العالمِ ممَّا هو واقعٌ في هذه الأعصارِ دليلٌ على قُرْبِ قيامِ الساعةِ، وهو نذيرٌ صادقٌ للعبادِ بالرجوعِ إلى اللهِ تعالى، وتحكيمِ شرعِه، والتوبةِ الصادقةِ

إليه قبلَ أن يأتيَ بعضُ آياتِ ربِّك؛ ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيَ إِيمَانِهَا خَيْراً ﴾ [الأنعام:١٥٨].

قال رسولُ الله ﷺ : « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ؛ وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ؛ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ ». [رواه البخاريُّ، وأحمدُ]

﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل:٤٥-٤٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعَنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

*** * ***

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فيا أيُّها الناس: اتقوا الله تعالى واشكروه وأطيعوه وراقبوه ، واعلموا أنَّكم ملاقوه.

ثمَّ اعلموا عبادَ اللهِ أنَّنا حينَما نُذكِّرُ بما أصابَ المسلمين في تركيا، أو غيرها من البلادِ المنكوبةِ في أنحاءِ العالمِ ليسَ فرحاً بما أصابَهم، ولا تشفِّياً وإنَّما نسوقُ ذلكَ للعبرةِ والعِظَةِ والتذكيرِ بمصيرِ الأمَمِ عندما تُحاربُ اللهَ، وتُقصي شرعَه، وتفشو فيها المنكراتُ بلا حسيبٍ ولا رقيبٍ. وفي بعض الآثارِ أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: (من عصاني وهو يعرفُني سلَّطتُ عليه من لا يعرفُه).

لقد كسفَتِ الشمسُ على عهدِ النبيِّ ﷺ فخرجَ إلى المسجدِ مُسْرِعاً فَزِعَاً، يجرُّ رداءَهُ، يخشى أن تكونَ الساعةُ، فصلَّى بالناسِ، وأخبرَهم أنَّ الكسوفَ آيةٌ من آياتِ اللهِ تعالى التي يُخوِّفُ بها عبادَه، وأنَّه قد يكونُ سببُ نزولِ عذابٍ بالناسِ، وأمرَ بما يُزيلُه؛ قائلاً: « إِنَّ هَذِهِ الآيَاتِ الَّتِي يُرْسِلُ اللهُ لاَ تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّ اللهَ يُرْسِلُهَا؛ يُخَوِّفُ

بِهَا عِبَادَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئاً فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ ».

[متفقٌ عليه]

وتقولُ عائشةُ -رضي الله عنها-: « كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ: « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ ». قَالَتْ: وَإِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَخَرَجَ وَدَخَلَ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: لَعَلَّهُ يَا عَائِشَةُ كَمَا قَالَ قَوْمُ عَادٍ: ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا** ﴾ ». [رواه مسلم]

نعم -عبادَ الله-: إنَّ حدوثَ الزلازلِ مليءٌ بالعبرِ والعِظَاتِ والتذكيرِ بقدرةِ الله الباهرةِ، عندما يأذنُ لهذه الأرضِ المُتماسكةِ أن تتحرَّكَ لثوانٍ أو دقائقَ معدودةٍ، مُنتجةً الدَّمارَ والهلاكَ والرُّعْبَ؛ علَّ الناسَ يتوبونَ إلى ربِّهم، ويُقلعونَ عن معاصيهم، ويستغفرون من ذنوبهم، ويعتبرونَ بما أصابَهم.

وإنَّ بعضَ الغافلينَ يتغافلونَ عن قدرةِ الله وعظمَتِه؛ فينسبونَ هذه الظواهرَ الكونيَّةَ إلى ظواهرَ طبيعيَّةٍ لها أسبابُها المعروفةِ، من تحرُّكِ القشرةِ الأرضية، وضعفِ غلافِها، إلى آخرِ ما هُنالِكَ من أقوالِ المُغفَّلين، زاعمينَ أنَّه لا علاقةَ لها بأفعالِ الناسِ، ومعاصيهم، حتَّى طمأنوا البُسَطاءَ من الناسِ، وجعلوا هذه الأمورَ من الأحداثِ الطبيعيَّةِ التي لا تُحدِثُ فيهم خوفاً، ولا

لديهم عِبْرَةً واتِّعاظاً؛ وصدقَ اللهُ العظيم حين قال: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف:١٠٥].

والحقُّ -عبادَ اللهِ-: أنَّ حدوثَ الزلازلِ والبراكينَ والكسوفَ والخسوفَ وغيرِها من الآيات الكونيَّةِ ظواهرُ لها أسبابُها المعلومةِ عند كثيرٍ من الناسِ، ولكنَّ الأمرَ المُهمَّ في ذلك: من هو الذي يملكُ أن يُجريَ مثلَ هذه الظواهرَ في لحَظاتٍ مُفاجئةٍ، مُخلِّفةً وراءَها الدَّمارَ والهلاكَ ؟ أليسَ هو اللهُ وحدَه ؟! بلى واللهِ، وهل يستطيعُ العبادُ بما أُوتوا من علمٍ وقوَّةٍ أن يمنعوا حدوثَها ؟! ولماذا يُجري اللهُ تعالى هذه الآياتِ العظيمةَ ؟ أليسَ تخويفاً للعبادِ، وتذكيراً لهم عندَ الغفلةِ والإعراضِ والبُعْدِ عن اللهِ ؟!!.

إنَّها أحداثٌ عظيمةٌ مُقدَّرةٌ من اللهِ تعالى على من يشاءُ من عبادِه بسببِ ذنوبِهم ومعاصيهم، أوَليسَ الذي أجراها بقادرٍ على أن يُهلكَ من على هذه الأرض في لحَظَاتٍ معدودةٍ، إذاً فلماذا يستنكفُ العبادُ عن شِرْعَة اللهِ، ومنهاجِه، ويبتعدوا عنه، ويأمنوا مكرَه وعذابَه، وهو سبحانه وتعالى مُسبِّبُ الأسبابِ، ومُصرِّفُ الأحداثِ، وكلُّ شيءٍ يجري بتقديره ومشيئته، ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف:٩٦-٩٩].

قال أحدُ السلفِ: (من الأمن لمكر ا للهِ إقامةُ العبدِ على الذنوبِ يتمنّى على ا للهِ المغفرةَ).

أيُّها المسلمون:

لقد فشَت بيننَا المنكراتُ بلا نكيرٍ، وضُيِّعتِ الصلواتُ، وهُجِرت المساجدُ، وظهرَ التبرُّجُ والسُّفورُ والتطاولُ على شرعِ ا للهِ في الحجابِ والحشمَةِ والعفافِ، وتطبيقِ حدودِ ا لله وأوامرِه، وكَثُرَ تعاطي المخدِّراتِ والرشوَةِ والرِّبا والغشِّ والتزويرِ، والفجورُ في الخصوماتِ، وارتفعت أصواتُ المزاميرِ الشيطانيَّةِ، والأغاني الخليعةِ في كثيرٍ من البيوتِ، وعُرِضَت فيها الأفلامُ الخبيثةُ، وكَثُرَت الغيبَةُ والنميمةُ والمعاصي في أوساطنا ومجتمعاتنا.

دخلَ المصطفى ﷺ فَزِعاً على زينبَ بنتِ جَحْشٍ -رضي ا لله عنها- وهو يقولُ: « لاَ إلهَ إلاَّ ا للهُ ! وَيْلٌ للعَرَبِ مِنْ شرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ؛ فُتحَ اليومَ مِنْ رَدمِ يَأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذه ، وحلّق بين أصبعيه ، الإبهامَ والتي تليها ». فقلتُ يا رسولَ ا لله: أنهلِكُ وفينا الصالحون ؟! قال: « نعم إذا كَثُرَ الخَبَث ».[رواه البخاري ومسلم]

فاتقوا ا للهَ عبادَ ا لله، وانظروا إلى تَخَطُّفِ الناسِ من حولِكم، والكوارثَ والمِحَنِ التي تُصيبُ البلادَ المُجاورةَ يوميًّا، واعلموا أنَّكم لستُم بأفضلَ منهم إلاَّ بمقدارِ تمسُّكِكم بشرعِ ا للهِ، ومُحافظتِكم على دينِه، والبُعْدِ عن معصيَتِه، وقديماً قِيلَ: إيَّاكِ أعني واسْمَعي يا جاره !

وليَكُـنْ زلـزالُ تركيَّـةَ الـذي أقـضَّ المضـاجعَ، وهـدمَ المسـاكنَ، وأيتـمَ الأطفالَ، وأرملَ النساءَ، وفرَّقَ بين الرِّجالِ في لَحَظاتٍ كانوا قبلها في أمـنٍ وسكينَةٍ ونِعَمٍ، ليَكُنْ موعظَةً وعبرةً لكلِّ دولةٍ أو مجتمـعٍ أو فـردٍ يحيـدُ عـن صـراطِ اللهِ المسـتقيم، ويَلَـغُ في الشـهواتِ ، ويتطـاولُ علـى شـرعِ اللهِ، ويُخالفُ أمرَه، ويعصي رسلَه.

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُـرَى وَهِـيَ ظَالِمَـةٌ إِنَّ أَخْـذَهُ أَلِيـمٌ شَـدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]. ﴿ وَلَيَنصُـرَنَّ اللهُ مَـن يَنصُـرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَـوِيٌّ عَزِيـزٌ * الَّذِيـنَ إِنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَـاةَ وَأَمَـرُواْ بِـالْمَعْرُوفِ وَنَهَـوْاْ عَـنِ الْمُنْكَرِ وَللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [الحج:٤٠-٤١].

اللهُمَّ صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد بن عبد الله صلاةً وسلاماً دائمين إلى يـوم الديـن ، وارضَ اللهُّـم عـن أصحـاب نبيّـك أجمعـين وعـن التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.....



يا حسرتنا على ما فرطنا فيها

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أما بعد:

فأوصيكم أيُّهـا النـاسُ ونفسـي بتقـوى ا للهِ تبـارك وتعـالى؛ فإنَّهـا نِعْـمَ الوصيَّةُ، وسبيلُ النَّجاةِ، وطريقُ الفلاحِ، اتَّقوا ا للهَ حقَّ التقوى، وراقِبـوه في السرِّ والنَّجوى، واستعدُّوا لِلقائِه، وتزودوا من الأعمـالِ الصالحـةِ وأعلمـوا أنَّ خيرَ الزادِ التقوى.

أيُّها المسلمون:

لقد أوجَدَنا ا للهُ في هذه الحياةِ الفانيَةِ لغايَةٍ عُظْمى، وهَـدَفٍ نبيـلٍ، هـو عبادتُه سبحانه وتعالى، واستَخْلَفنا في هذه الحياةِ لنعمُرَها بطاعتِه ومرضاتِه، وخلقَ الموتَ والحياةَ ليبلُوَنا أيُّنا أحسَنُ عملاً.

الحيـاةُ فُرْصَـةٌ عظيمـةٌ للطاعَـةِ، وميـدانٌ فسـيحٌ للعبـادةِ، وزَمَـنٌ صـالحٌ للمسارَعَةِ في الخيراتِ؛ إنَّها أعمارٌ تجري، ولَحَظـاتٌ تسـيرٌ، وزَمَـنٌ يمضـي بخيرِه وشرِّه، وحُلوِه ومُرِّه، أمْهَلَ ا للهُ فيها البشرَ سَنواتٍ من العمرِ عديـدةً، لِيَنْظُـرَ كيـفَ يعملـونَ، ثـمَّ يَهْجُـمُ عليهـم بعدَهـا هـاذِمُ اللَّـذاتِ، ومُفـرِّقُ الجماعاتِ، لينتهي بذلـك سِـجلُّ الحَسَـناتِ والسيِّئاتِ إلاَّ مـا شـاءَ ربـيِّ، ويرتَهِنُ كلُّ عبدٍ بما قدَّمَ في أيامِ عُمُـرِه؛ ﴿ **كُـلُّ نَفْـسٍ ذَآئِقَـةُ الْمَـوْتِ وَإِنَّمَـا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّـارِ وَأُدْخِـلَ الْجَنَّـةَ فَقَـدْ فَـازَ وَمَـا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [آل عمران:١٨٥].

الموتُ هو الخَطْبُ الأفْظَعُ، والأمرُ الأشْنَعُ، والكأسُ التي طَعْمُها أكرَه وأبْشَعُ، وهو منتهى أمَلِ الإنسانِ في هذه الحياةِ، فضَحَ اللهُ به الدُّنيا فلم يَدَعْ لذي لُبٍّ فرَحاً، كَدَّرَ على أهلِ النَّعْمَاءِ صَفْوَهم، وأقَضَّ مضَاجعَهم، وفَرَّقَ جَمْعَهم، وقَطَعَ لذَّاتِهم، الموتُ هو الحادِثُ الأقْطَعُ للرَّاحاتِ، والأهْدَمُ للَّذاتِ، والأجْلَبُ للكريهاتِ.

نسيرُ إلى الآجالِ في كُلِّ لَحْظَةٍ وأيَّامُنا تُطوى وَهُنَّ مراحِلُ
ولم أرَ مِثلَ الموتِ حقَّاً كأنَّه إذا ما تَخَطَّتْهُ الأمانيُّ باطِلُ
وما أقْبَحَ التفريطَ في زَمَنِ الصِّبا فكيفَ به والشَّيبُ للرأسِ شاعِلُ

عباد الله:

إنَّ استغلاَلَ الأوقاتِ بالتوبَةِ والطَّاعَةِ ومُحاسبَةِ النَّفسِ من أجلِّ ما يجبُ على المسلمِ الناصِحِ أن يعْتَني به؛ فإنَّ مُحاسَبَةَ النفوسِ في الدُّنيا تُهَوِّنُ عليها الحسابَ يومَ القيامَةِ.

قال مالِكُ بنُ دينارٍ -رحِمَهُ اللهُ-: (رَحِمَ اللهُ عبداً قال لنفسِه: ألَسْتِ صاحِبَةَ كذا ؟ ألَسْتِ صاحِبَةَ كذا ؟ ثمَّ ذمَّها، ثمَّ خطَمَها، ثمَّ ألزَمَها كتابَ اللهِ تعالى، فكانَ له قائداً).

أخي المسلمُ:

إنَّكَ تموتُ وحدَكَ، وتُبْعَثُ وحدَكَ، وتُحاسَبُ وحدَكَ، ولو أنَّ الناسَ كلَّهم أطاعوا اللهَ وعصيتَ أنتَ لم تَنْفَعْكَ طاعتُهم، ولو عصَوا اللهَ

وأطَعْتَ أنتَ لم تَضُرُّكَ معصيَتُهم، فتَفكَّرْ في مصيرِكَ، واعْمَلْ لنفسِكَ قبلَ أن تندَمَ، ولا تَغْتَرَّ بالدُّنيا؛ فإنَّ صحيحها يَسْقَمُ، وجديدَها يبلى، ونعيمَها يفنى، وشبابَها يَهْرَمُ. واعلمْ أنَّكَ ستَتوقَّفُ يوماً ما عن هذه الحياةِ، وستُصْبِحُ خَبَراً من الأخبارِ، كالأُمَمِ الفانيَةِ، فماذا قدَّمتَ للدَّارِ الآخرةِ التي هي دارُ القرارِ والنَّعيمِ المقيمِ أو العذابِ المُهينِ.

كان بعضُ السَّلَفِ يبكي على نفسِه ويقولُ: (ويْحَكَ يا فُلانُ ! من ذا الذي يُصلِّي عنكَ بعدَ الموتِ ؟ من ذا الذي يصومُ عنكَ بعدَ الموتِ ؟ من ذا الذي يُرْضِي ربَّكَ بعدَ الموتِ ؟ ثمَّ يقولُ: أيُّها الناسُ ! ألاَ تبكونَ وتنوحونَ على أنفسِكم باقي حياتِكم).

أيُّها المسلمون:

ومن الصِّفاتِ التي فَطَرَ اللهُ البشرَ عليها: النَّدَمُ؛ وهو على ضَرْبين: أحدُهما: النَّدَمُ المحمودُ؛ وهو النَّدَمُ في حالِ الحياةِ على التَّفْريطِ في طاعةِ اللهِ وعبادَتِه، أو النَّدَمُ على الوقوعِ في المعصيَةِ، وهذا النوعُ من النَّدَمِ هو النافِعُ الذي يوقِظُ الإنسانَ من غَفْلَتِه، ويُنبِّهُهُ من سَهْوِهِ ورَقْدَتِهِ، فيرْجِعُ إلى اللهِ سبحانه وتعالى تائباً نادِماً، مُنْكَسِراً ذليلاً، مُتقرِّباً إلى اللهِ تعالى بأنواعِ الطاعاتِ والقرُباتِ التي تُقرِّبُه من ربِّه وتَحُطُّ عنه الخطايا، وترفَعُ له الدرجاتِ.

وهذا النَّدَمُ في أصلِه توبةٌ وإنابَةٌ يؤجَرُ الإنسانُ عليها أعظَمَ الجزاءِ؛ فقد قال المصطفى ﷺ : « النَّدَمُ تَوْبَةٌ ». [رواه أحمدُ وغيرُه، وإسنادُه صحيحٌ]

قال الحسَنُ البصريُّ -رحِمَهُ اللهُ- عن التوبَةِ النَّصوحِ: (هي أن يكونَ العبدُ نادِماً على ما مضى، مُجْمِعاً على أن لا يعودَ فيه).

وهذه حالُ نفوسِ المؤمنينَ؛ فإنَّها نفوسٌ لوَّامةٌ، مُنيبةٌ تائبَةٌ، تلومُ صاحِبَها وتؤنِّبُه على فعلِ المعاصي والسِّيئاتِ، أو التقصيرِ في الطاعاتِ والصالحاتِ.

دخلَ إبراهيمُ بنُ أدْهَمَ على بعضِ أصحابِه يعودُه في مرضِه، فجعلَ يَتَنَفَّسُ ويتأسَّفُ ! فقال له إبراهيمُ بنُ أدْهَمَ: على ماذا تَنَفَّسُ وتتأسَّفُ ؟! فقال: ما تأسُّفي على البقاءِ في الدُّنيا، ولكن تأسُّفي على ليلةٍ نمتُها، ويومٍ أفْطَرْتُهُ، وساعَةٍ غَفَلتُ فيها عن ذكرِ اللهِ تعالى.

قال ﷺ : ((لَوْ أَنَّ عَبْداً خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى أَنْ يَمُوتَ هَرَماً فِي طَاعَةِ اللهِ لَحقَّرَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَلَوَدَّ أَنَّهُ يُرَدُّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزْدَادَ مِنَ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ)). [رواه أحمَدُ بسَنَدٍ حَسَنٍ]

عبادَ اللهِ:

وثاني أنواعِ النَّدَمِ -حيثُ لا ينْفَعُ النَّدَمُ- عندَ حلولِ هاذِمِ اللَّذَّاتِ، أو يومِ العرضِ على اللهِ، وهذا هو ندَمُ المنافقينَ والعُصاةِ والمُذْنبينَ والكافرينَ، نعوذُ باللهِ من حالِ أهلِ النارِ.

قال اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ * وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**

﴿ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَآ إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة:١٢-١٤] ؛ ﴿ وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام:٢٧-٢٨].

قال قتادةُ: (وا للهِ ما تمنَّى أن يرجِعَ إلى أهَلٍ ولا إلى عشيرةٍ ، ولا بأن يجمَعَ الدُّنيا، ويقضي الشَّهواتِ، ولكن تمنَّى أن يرجِعَ فيعملَ بطاعةِ ا للهِ عزَّ وجلَّ، فَرَحِمَ ا للهُ امرءاً عَمِلَ فيما يتمنَّاه الكافرُ إذا رأى العذابَ في النَّارِ).

نعم –عبادَ ا للهِ– إنَّها الحَسَراتُ والنَّدَمُ والآهاتُ المُتلاحِقَةُ التي تصْدُرُ من العُصاةِ والمنافقينَ والكافرينَ حينَ يرونَ العذابَ، ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ فيُجيبُهم ا للهُ سبحانه وتعالى بقولِه: ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر:٣٧] ؛ ﴿ قَالَ اخْسَئُواْ فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون:١٠٨].

إنَّه النَّدَمُ والحسْرَةُ على التَّفريطِ في الأعمالِ الصالحَةِ، والتهاونِ بالواجباتِ، النَّدَمُ على مُجالَسَةِ المنافقينَ والفاسقينَ، النَّدَمُ على معاصٍ أُرْتُكِبَتْ في جَنْبِ ا للهِ، النَّدَمُ على النَّظَرِ إلى ما حرَّمَ ا للهُ، النَّدَمُ على سَماعِ المُحرَّماتِ، والنَّدَمُ على الحَسَدِ والحِقْدِ والكَراهيَةِ للمسلمينَ، النَّدَمُ على السُّخْرِيَةِ والاستهزاءِ بالصالحِينَ، والغِيْبَةِ والنميمَةِ وسوءِ الظَّنِّ بالمسلمين،

النَّدَمُ على الأوقاتِ الخاليَةِ من ذِكْرِ اللهِ وطاعتِه، والحَسْرَةُ على المعاصي والسيِّئاتِ التي ارتكَبَها العبدُ في الدُّنيا حيثُ لا يراهُ إلاَّ اللهُ، فوجَدَها في كتابٍ لا يُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاَّ أحصاها؛ ﴿ **وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً * اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً** ﴾ [الإسراء:١٣-١٤] ؛ ﴿ **أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطَتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [الزمر:٥٦-٥٨].

إنَّه مشْهَدُ الخِزْيِ والعارِ، والاعترافِ بالخَطيئةِ والتَّقصيرِ، والإقرارِ بالحقِّ الذي جَحَدوه، وإعلانِ اليقينِ بما شَكُّوا فيه، ثمَّ الالتجاءُ إلى اللهِ بطلَبِ العَوْدَةِ إلى الأرضِ؛ لإصلاحِ ما فاتَ في الحياةِ الأولى، وهم ناكِسوا رؤوسِهم خَجَلاً وخِزياً عندَ ربِّهم الذي كانوا يكفرونَ بِلقائهِ في الدُّنيا؛ ولكنَّها أُمنيَةٌ خاسِرةٌ خائبَةٌ، قِيْلَتْ في لَحْظَةِ الضِّيقِ والحَرَجِ، ليسَ لها في القلبِ من رصيدٍ؛ ﴿ **حَتَّىَ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠].

قال أبو هُريرةَ -رضي اللهُ عنه-: (إذا وُضِعَ الكافِرُ في قبرِه، فيرى مقعَدَهُ من النَّارِ، قال: ربِّ ارْجِعُونِ أتوبُ وأعملُ صالحاً. فيُقالُ له: قد

عُمِّرتَ ما كُنتَ مُعَمَّراً. فيُضَيَّقُ عليه قبرُه ويلتئمُ، فهو كالمنهوسِ ينامُ ويَفْزَعُ، تهوي إليه هوَّامُ الأرضِ وحيَّاتُها وعقاربُها).

نعم -عبادَ الله- يسألونَ الرَّجعَةَ إلى الدُّنيا ليعملوا غيرَ عملِهم الأوَّلَ، وقد عَلِمَ الله سبحانه وتعالى أنَّه لو ردَّهم إلى الدُّنيا لعادوا لِما نُهوا عنه، وإنَّهم لكاذِبونَ، فلا يُجيبُهم إلى سؤالِهم؛ لأنَّهم قد عاشوا في الدُّنيا أعماراً كافيَةً، فلو كانوا مِمَّن ينتَفِعُ بالحقِّ لانتفعَوا به فيها.

ولهذا فقد روى البخاريُّ في صحيحِه عن أبي هُريرَةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً».

﴿ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً ۞ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ۞ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۞ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۞ فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۞ وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ۞ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ [الفجر: ٢١-٣٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقولُ ما تسمعون، وأستغفرُ الله فاستغفروه وتوبوا إليه إنَّه هو الغفورُ الرحيمُ.

۞۞ ۞ ۞۞

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ ا للهُ وحده لا شريك له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ ا للهِ ورسولُه صلى ا لله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا ا للهَ عبادَ ا للهِ، واعلموا رحمكم ا للهُ أنَّ الحياةَ الدُّنيا فُسْحَةٌ عظيمةٌ للعملِ، وفُرْصَةٌ كبيرةٌ للازديادِ من الصالحاتِ، فتَزَوَّدوا لِما أمامَكم قبلَ ساعَةِ النَّدَمِ.

عن أبي هُريرَة -رضي ا للهُ عنه-: أنَّ رسولَ ا للهِ ﷺ قالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إِلاَّ نَدِمَ». قَالُوا: وَمَا نَدَامَتُهُ يَا رَسُولَ ا للهِ ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ مُحْسِناً نَدِمَ أَنْ لاَ يَكُونَ ازْدَادَ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً نَدِمَ أَنْ لاَ يَكُونَ نَزَعَ». [رواه الترمذيُّ]

فهذه الدُّنيا مَزرَعَةٌ للآخرةِ، والمحسِنُ فيها يتمنَّى زيادَةَ الإحسانِ؛ رِفْعَةً في الدَّرَجاتِ، وعُلوّاً في المقاماتِ، والمسيءُ فيها سيَندَمُ على تفريطِه في التوبَةِ، ودخولِه على ا للهِ عزَّ وجلَّ بذنوبٍ لم يَتُبْ منها، ولكن لا يَنفَعهُ النَّدَمُ بعدَ فواتِ الأوانِ؛ ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ**

آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُوَاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام:١٥٨].

قال سُفيانُ الثَّوريُّ –رحمةُ اللهِ عليه–: (أشدُّ الناسِ حَسْرَةً يومَ القيامَةِ ثلاثةٌ: رجلٌ كان له عبدٌ، فجاءَ يومَ القيامَةِ أفضلُ عملاً منه، ورجلٌ له مالٌ، فلم يتَصدَّقْ به، فماتَ، فورِثَهُ غيرُه، فتَصدَّقَ منه، ورجلٌ عالِمٌ لم ينتفِعْ بعلمِه، فعلَّمَ غيرَه فانتَفَعَ به).

ولقد أدرَكَ السَّلَفُ –رِضوانُ اللهِ تعالى عليهم– قيمةَ الحياةِ الدُّنيا، وما فيها من لَذَّةِ الطاعَةِ والعبادَةِ والمُناجاةِ، فكانوا يجتَهِدونَ في حياتِهم بأنواعٍ شتَّى من العباداتِ والطاعاتِ، ويبكي بعضُهم عندَ موتِه قائلاً: يصومُ الصائمونَ ولستُ فيهم، ويَذْكُرُ الذاكرونَ ولستُ فيهم، ويُصلِّي المُصَلُّونَ ولستُ فيهم.

اللهُم صلِّ وسلِّم على عبدكِ ورسولِك محمد بن عبد الله صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين ، وارضَ اللهُم عن أصحاب نبيِّك أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.....

ازهد في الدنيا يحبك الله

●الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله ، نحمدُه ، ونستعينُه ، ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ با لله من شرورِ أنفسِنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحدَه لا شريكَ له ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء:١] ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب:٧١-٧٢].

أما بعد:

فاتَّقوا ا للهَ عبادَ ا للهِ فـإنَّ تقـوى ا للهِ تبـارك وتعـالى هـي الـزادُ المُبَلِّـغ، والطريقُ الموصِلُ إلى جنَّاتِ النعيم، فبها النجاةُ، وعليها الفلاحُ، وبها الفـوزُ وعليهـا السـلامةُ؛ ﴿أَلآ إِنَّ أَوْلِيَـآءَ ا للهِ لاَ خَـوْفٌ عَلَيْهِـمْ وَلاَ هُـمْ يَحْزَنُـونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىَ فِي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وَفِي الآَخِـرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ا للهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

أيُّها الناسُ:

يقولُ ا للهُ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَـا كَمَـآءٍ أَنزَلْنَـاهُ مِـنَ السَّـمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِـهِ نَبَـاتُ الأَرْضِ مِمَّـا يَـأْكُلُ النَّـاسُ وَالأَنْعَـامُ حَتَّـىَ إِذَآ أَخَـذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَـا وَازَّيَّنَـتْ وَظَـنَّ أَهْلُهَـآ أَنَّهُـمْ قَـادِرُونَ عَلَيْهَـآ أَتَاهَـآ أَمْرُنَـا لَيْـلاً أَوْ نَهَـاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّـلُ الآيَـاتِ لِقَـوْمٍ يَتَفَكَّـرُونَ﴾ [يونس:٢٤] ؛ ﴿وَمَا هَـذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ لَهْـوٌ وَلَعِـبٌ وَإِنَّ الـدَّارَ الآَخِـرَةَ لَهِـيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٦٤].

لقد تتابعَتْ آياتُ القـرآنِ الكريـمِ وأحـاديثُ المصطفـى الأمـينِ ﷺ في الدَّلالَةِ على التَّزْهيدِ في الدُّنيا، والإخبارِ بخِسَّـتِها وقِلَّتِهـا، وسُـرْعَةِ فنائِهـا، والزَّجْرِ عن الانْغِمَاسِ فيها، والتَّرغيبِ في الآخرةِ الباقيَـةِ، دارِ النعيـمِ المُقيـمِ الذي لا يزولُ ولا يحولُ؛ ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَـنِ اتَّقَـىَ وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [النساء:٧٧].

قال جابرُ بنُ عبدِ اللهِ -رضي الله عنه-: مَرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بالسُّوقِ دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟». فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ ؟! قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ ؟». قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَياً كَانَ عَيْباً فِيهِ لأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ ؟! فَقَالَ: «فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ». [رواه مسلم]

وعن سهلِ بنِ سعدٍ عن النبيِّ ﷺ قال: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِراً مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ». [رواه الترمذيُّ، وهو صحيحٌ]

عبادَ الله:

الدُّنيا غَمٌّ لا ينقَطِعُ، وحُلُمٌ لا ينتَهي، لا تصفو لشارِبٍ، ولا تُبقي لصاحِبٍ، ولا تخلو من فِتْنةٍ، ولا تُخلي من مِحْنَةٍ، كثيرةُ التغييرِ، سريعَةُ التنكيرِ، شديدةُ المَكْرِ، دائِمَةُ الغَدْرِ؛ إمَّا مُصيبَةٌ موجعَةٌ، أو فِتنَةٌ مُفْجعَةٌ، الأيامُ فيها تُطوى، والأعمارُ تفنى، والأبدانُ تبلى، والليلُ والنهارُ يتراكَضانِ كالبريدِ، يُقرِّبانِ البعيدَ، ويَخلِقانِ الجديدَ، وفي ذلك ما يُلهي عن الشهوَاتِ، ويُرَغِّبُ في الباقياتِ الصالِحات.

نَهارُكَ يَا مَغْرورُ سَهوٌ وغَفْلَةٌ ... وليلُكَ نومٌ والأسَى لكَ لازمُ
تُسرُّ بما يفنى وتَفْرَحُ بالمُنى ... كما سُرَّ باللَّذاتِ في النومِ حالِمُ
وشُغْلُكَ فيما سوفَ تَكْرَهُ غِبَّهُ ... كذلك في الدُّنيا تعيشُ البهائِمُ

الدُّنيا -عبادَ اللهِ-: ظِلُّ الغَمَامِ، وحُلُمُ النِّيَامِ، فمن عرَفَها ثمَّ طلَبَها فقد أخطأَ الطريقَ، وحُرِمَ التوفيقَ. لقد غرَّتْ أقواماً فعَمِلوا فيها بغيرِ الحقِّ ففَاجَأهم الموتُ، فخلَّفوا ما لَهُمْ لِمَنْ لا يحمَدُهم، وصاروا لِمَنْ لا يَعْذُرُهم. أينَ الأُمَمُ والقرونُ، والأجيالُ التي تعاقَبَتْ على هذه الدُّنيا من ملوكٍ ورؤساءٍ، ورُعَاةٍ وسُوقَةٍ، الذين ملَكوا هذه الدُّنيا ما بينَ راغِبٍ فيها وزاهِدٍ، فلا الرَّغِبُ فيها اسْتَبْقَتْ، ولا عن الزَّاهِدِ فيها كَفَّتْ، وكم من مُسْتَقْبِلٍ يوماً وليسَ يسْتَكْمِلُه، ومُنْتَظِرٍ غداً وليسَ من أَجَلِهِ، وغَافِلٍ وليسَ يُغْفَلُ عنهُ، فالسعيدُ من اعتَبَرَ بأمْسِهِ، واسْتَظْهَرَ لنفسِه، والشَّقِيُّ من جَمَعَ لغيرِهِ، وبَخِلَ على نفسِه.

هي الدَّارُ دارُ الأذى والقَذَى ... ودارُ الفَنَاءِ ودارُ الغِيَرْ
فلو نِلْتَها بِحَذَافِيْرِها ... لَمِتَّ ولَمْ تَقْضِ منها الوَطَرْ
أيَا مَنْ يُؤَمِّلُ طُولَ الخُلُودِ ... وطُولُ الخُلُودِ عَلَيْهِ ضَرَرْ
إذا مَا كَبِرْتَ وَبَانَ الشَّبابُ ... فلاَ خيرَ في العيشِ بعدَ الكِبَرْ

أيُّها الناسُ:

والزُّهدُ في الدُّنيا مقامٌ شريفٌ من مقاماتِ السالكينَ إلى اللهِ تعالى، يُريحُ القلبَ والبَدَنَ من هُمومِ الحياةِ ومتَاعِبِها وأحزانِها، وهو شِعارُ الأنبياءِ والرُّسُلِ والأولياءِ والأصفيَاءِ للهِ من خلقِهِ.

قال عمرو بنُ العاصِ -رضي اللهُ عنه-: (ما أبعدَ هَدْيَكم عن هَدْيِ نبيِّكم، إنَّه كان أزْهَدَ الناسِ في الدُّنيا، وأنتم أرغَبُ الناسِ فيها).

وحقيقَةُ الزُّهْدِ في الدُّنيا: إنَّما يكونُ بالرِّضا عن اللهِ عزَّ وجلَّ، والثِّقَةِ بموعودِهِ، وما أعدَّهُ لعبادِهِ، وأن تهونَ عندَ العبدِ مصائبُ الدُّنيا في جَنْبِ ثوابِ اللهِ سبحانه، وأن يستوي عندَه حامِدُه وذامُّهُ في الحقِّ.

وهذه الصِّفاتُ والخِصالُ لا تَتَحَقَّقُ إلاَّ بالنَّظَرِ إلى الدُّنيا بعينِ الزَّوالِ، فَتَصْغُرُ في عينِ العبدِ لِيَسْهُلَ عليه الإعراضُ عنها، واستقلاَلُها واحتقارُها وارتفاعُ هِمَّتِهِ عنها، فيَتْرُكُ ما لا يَنْفَعَهُ في الآخرَةِ، ويَتَزَوَّدُ من النافِعِ ليومِ معادِهِ، ويَتْرَكُ ما يخافُ ضرَرَهُ في الآخرَةِ؛ ليَأمَنَ يومَ الفَزَعِ الأكبَرِ، يومَ يُعْرَضُ على اللهِ تعالى لا تخفى منه خافِيَةٌ.

جاءِ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ ، فقال: يَا رَسُولَ اللهِ ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ ».[رواه ابنُ ماجةَ بسَنَدٍ حسَنٍ]

وقال ﷺ : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً، وَقَنَّعَهُ اللهُ». [رواه الترمذيُّ، وهو صحيحٌ]

قال إبراهيمُ بنُ أدهَمَ: (الزُّهدُ في ثلاثَةِ أصنافٍ: فرضٌ، وفضلٌ، وسلامَةٌ؛ فأمَّا الزُّهْدُ الفرضُ: فالزُّهدُ في الحرامِ، والزُّهدُ الفضلُ: الزُّهدُ في الحلالِ، وزُهدُ السلامَةِ: الزُّهدُ في الشُّبُهاتِ).

ولقد ضلَّ فئامٌ من الناسِ الطريقَ، وجانبوا الصوابَ، وأخطأوا في مفهومِ الزُّهدِ الحقيقيِّ في هذه الحياةِ، فظنُّوا أنَّ الزُّهدَ فيها: هو العُزوفُ عنها كُلِّيَّةً، والانقطاعُ عمَّا فيها، والتَّقَشُّفُ في المَلْبَسِ والمأكَلِ والمَشْرَبِ والمَسْكَنِ، والإعراضُ عن التَّكَسُّبِ والعَمَلِ، وهذا في حقيقَتِه غُلوٌّ ودَرْوَشَةٌ

وليسَ بزُهْدٍ؛ إذِ الزُّهدُ الحقيقـيُّ المطلوبُ شـرعاً حالـةٌ تقـومُ بقلـبِ العبدِ المسـلِمِ، تحمِلُـهُ علـى الرَّغْبَـةِ فيمـا عنـدَ ا للهِ سبحانه وتعـالى، والبُعْـدِ عـن الانْغِمَاسِ في شَهَواتِ الدُّنيا الفانِيَةِ، والانْخِدَاعِ بِلَذَائِذِها الزَّائِلَةِ، فلا يَفْـرَحُ العبدُ بما أتاهُ من الدُّنيا، ولا يَحْزَنُ على ما فاتَهُ منها، ولا ينسـى الاسـتعدادَ والعملَ للدَّارِ الباقيَةِ.

ولا يُنافي الزُّهدَ أبداً جَمْعُ المالِ واكتِسابُهُ، والتَّنَعُّمُ بمـا أحلَّـهُ ا للهُ لعبـادِهِ في هذه الحياةِ دونَ إسـرافٍ أو مُجـاوَزَةٍ؛ فـإنَّ الإنسـانَ لا بُـدَّ لـه في هـذه الحياةِ مِمَّا يُصْلِحُ شأنَهُ، ويُقيمُ حياتَهُ في غِنَىً عن النـاسِ، ولا يَتِـمُّ ذلـكَ إلاَّ بالإخْذِ من الدُّنيا بقَدَرٍ يصونُ به عِرْضَهُ، ويحمي به نفسَـه، ويُقيـمُ بـه أَوَدَهُ ومن تحتَ يدِه؛ ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَآ آتَـاكَ ا للهُ الـدَّارَ الآخِـرَةَ وَلاَ تَنـسَ نَصِيبَـكَ مِـنَ الدُّنْيا** ﴾ [القصص:٧٧] ؛ ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ا للهِ الَّتِـيَ أَخْـرَجَ لِعِبَـادِهِ وَالْطَّيِّبَـاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأعراف:٣٢].

قال رسولُ ا للهِ ﷺ : « الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا لَيْسَـتْ بِتَحْرِيـمِ الْحَـلاَلِ وَلاَ إِضَاعَةِ الْمَالِ، وَلَكِنَّ الزَّهَادَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ لاَ تَكُونَ بمَا فِي يَدَيْكَ أَوْثَقَ مِمَّا فِي يَدَيِ ا للهِ، وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَـةِ إِذَا أَنْـتَ أُصِبْـتَ بِهَـا أَرْغَـبَ فِيهَا لَوْ أَنَّهَا أُبْقِيَتْ لَكَ». [رواه الترمذيُّ، وابنُ ماجه، وأحمدُ مرفوعاً وموقوفـاً علـى أبـي ذرٍّ رضي ا للهُ عنه]

قال سُفيانُ الثَّوريُّ -رحمه الله-: (الزُّهدُ في الدُّنيا: قِصَرُ الأملِ، ليسَ بأكلِ الغليظِ، ولا بِلُبْسِ العباءِ، ولقد كان من دعاءِ السَّلَفِ: اللَّهُمَّ زَهِّدنَا في الدُّنيا، ووسِّعْ علينا منها، ولا تَزْوِهَا عنَّا فتُرَغِّبْنَا فيها).

ولهذا قال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلَ -رحمةُ اللهِ عليه-: (الزُّهدُ في الدُّنيا قِصَرُ الأَمَلِ، واليأسُ مِمَّا في أيدي الناسِ).

عبادَ اللهِ:

والناسُ في الدُّنيا على قِسمينِ: **أوَّلُهما**: من يُنكِرُ أن يكونَ للعبادِ بعدَ هذه الدُّنيا دارٌ للثَّوابِ والعِقابِ؛ مِمَّن قال اللهُ تعالى فيهم: **﴿ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾** [يونس:٧-٨].

ومن هذا حالُه ينظُرُ إلى الدُّنيا على أنَّها دارٌ لَنْ يلقى بعدَها أفضلَ منها، فتراهُ في الدُّنيا غارِقاً في اللَّذَّاتِ، مُنْغَمِساً في الشَّهَواتِ، لا يؤمِنُ بفَناءِ هذهِ الدَّارِ، ولا بالجَنَّةِ أو النارِ، قد صَدَقَ فيه قولُ خالِقِه سبحانه وتعالى: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَّهُمْ﴾** [محمد:١٢].

وثاني أقسامِ الناسِ في الدُّنيا: من يُقِرُّ بدارٍ بعدَ الموتِ، جعلَها اللهُ للثَّوابِ والعِقابِ، وهؤلاءِ هم أتباعُ الرُّسُلِ والأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ، ولا يَخرُجونَ عن أقسامٍ ثلاثَةٍ: **أوَّلُهم**: ظالِمٌ لنفسِه، تائِهٌ مع زَهْرَةِ الحياةِ الدُّنيا وزينَتِها، حتَّى صارَتْ أكبرَ همِّه، لها يَغْضَبُ ويرضى،

وعليها يُوالِي ويُعادي، وهم أهلُ اللَّهو والغفلَةِ واللَّعِبِ والزِّينَةِ والتَّفاخُرِ والتكاثُرِ، مِمَّن غرَّتهم الحياةُ الدُّنيا ببَريقِها وسرابِها وزينتِها، فلم يعرفوا المقصودَ منها، ولا من إيجادِهم فيها، ولم يُدْرِكوا أنَّها مَنْزِلُ سَفَرٍ يَتَزَوَّدُ منها العِبادُ لِما بعدَها، ثمَّ يُؤخَذوا على غَفْلَةٍ، ويَنتَهوا في لَحْظَةٍ.

حُكْمُ المَنِيَّةِ في البَرِيَّةِ جَارِ ... ما هذه الدُّنيا بِدارِ قَرارِ
بيْنَا يُرى الإنسانُ فيها مُخْبِراً ... حتَّى يُرَى خَبَراً من الأخبَارِ
طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنتَ تُرِيْدُها ... صَفْواً من الأقْذَارِ والأكْدَارِ
وَمُكَلِّفُ الأيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِها ... مُتَطَلِّبٌ في الماءِ جَذْوَةَ نَارِ
العيْشُ نَومٌ والمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ ... والمرءُ بينَهما خَيَالٌ سَارِ

وثاني أقسامِ النوعِ الثاني -عبادَ اللهِ-: مُقتَصِدٌ على نفسِه، أخَذَ المُباحَ من الدُّنيا، وأدَّى واجباتِها، لكنَّه توسَّعَ في التَّمَتُّعِ بشهَواتِها ومَلاذِّها من الأنعامِ والحَرْثِ والخيلِ المُسَوَّمَةِ والذَّهبِ والفِضَّةِ، وقد ذهبَ جمهورُ أهلِ العلمِ إلى أنَّ هؤلاءِ لا عِقابَ عليهم في ذلكَ ما داموا يتَمتَّعونَ بالمُباحاتِ، إلاَّ أنَّهم إذا أكثَروا من ذلك فهم على خَطَرٍ من نَقْصِ نعيمِهم ودرَجَاتِهم في الآخرَةِ بِقَدْرِ توسُّعِهم في الدُّنيا.

قال ابنُ عمرَ -رضي الله عنهما-: (لا يُصيبُ عبدٌ من الدُّنيا شيئاً إلاَّ نقصَ من درَجاتِه عندَ اللهِ، وإن كان عليه كريماً).

وقال عمرُ -رضي الله عنه-: (لولا أنْ تَنْقُصَ حَسَناتي لخالَطْتُكم في لِيْنِ عَيْشِكم، ولكنِّي سَمِعْتُ اللهَ عيَّرَ قوماً فقال: ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي**

حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف:٢٠]). ومن ثَمَّ قال الفُضيلُ بنُ عِيَاضٍ -عليه رحمةُ اللهِ- لأخٍ لَهُ: (إن شِئْتَ اسْتَقِلَّ من الدُّنيا، وإن شِئْتَ اسْتَكْثِرْ منها فإنَّما تأخُذُ من كِيْسِكَ).

قال رسولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرْضَاكُمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَوُّفاً لَهُ عَلَيْهِ ». [رواه أحمدُ، والترمذيُّ، والحاكِمُ، وهو صحيحٌ]

وأمَّا ثالثُ الأقسامِ: فهم السابقونَ بالخيراتِ بإذنِ اللهِ تعالى، الذين فَهموا مُرادَ اللهِ سبحانه من إيجادِ الدُّنيا، وعَمِلوا بمُقتضى ذلك، فَعَلِموا أنَّ اللهَ جلَّ شأنُه إنَّما أسكَنَ عِبادَه في هذهِ الدارِ لِيَبْلُوَهم أيُّهم أحسَنُ عملاً، **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾** [هود:٧]. وجعلَ ما في الدُّنيا من البهْجَةِ والنُّضْرَةِ مِحْنَةً لِيَنْظُرَ من يَقِفُ منهم معَهُ، ويرْكَنُ إليه، ومن ليسَ كذلِكَ؛ **﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُم أَحْسَنُ عَمَلاً* وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾** [الكهف:٧-٨].

ومن ثَمَّ جعلوا همَّهم التَّزَوَّدَ من الدُّنيا للآخرَةِ التي هي دارُ القرارِ، واكتَفوا من الدُّنيا بما يكفي المُسافِرَ في سَفَرِه، لكنَّهم لم يُحَرِّموا طَيِّباتِ ما أحلَّ اللهُ لعبادِه، يأكلونَ من الطَّيِّباتِ، ويَلْبَسونَ من اللِّباسِ، ويَتزَوَّجونَ النِّساءَ، ويَنامونَ ويقومون من الليلِ، ويُفطِرونَ ويصومونَ، ويَمشونَ في الأسواقِ للكسبِ والعَمَلِ؛ مُقْتَفينَ في ذلك آثارَ نبيِّهم صلواتُ اللهِ وسلامُه

عليه الذي ارْتَسَمَتْ على كَلِماتِه نَظْرَتُــه العَميقـةُ الصحيحـةُ للدُّنيـا: حـينَ دَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ، وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ ا للهِ! لَـوِ اتَّخَذْتَ فِرَاشاً أَوْثَرَ مِنْ هَذَا ! فَقَالَ ﷺ : ((مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إلاَّ كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَاسْـتَظَلَّ تَحْـتَ شَـجَرَةٍ سَـاعَةً مِـنْ نَهَارٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا)). [رواه أحمدُ، والترمذيُّ، وهو صحيحٌ]

بارك ا لله لي ولكم في القـرآن العظيـم، ونفعنـا بهـدي سـيِّد المرسلين، أقولُ ما تسـمعون، وأسـتغفرُ ا لله فاسـتغفروه وتوبـوا إليـه إنَّـه هـو الغفـورُ الرحيمُ.

*** * ***

● الخطبة الثانية:

الحمدُ لله على إحسانه ، والشكرُ له على توفيقه وامتنانه ، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه الداعي إلى رضوانه ، صلى الله عليه وعلى آله ، وأصحابه ، وإخوانه ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلَّم تسليماً كثيراً.

أمَّا بعد: فيا أيُّها المسلمون:

اتَّقوا الله، واعلموا رحمكم اللهُ أنَّ الدُّنيا دارُ عَمَلٍ لِمَنْ عَمِلَ فيها بطاعَةِ اللهِ، وميدانٌ فَسيحٌ للطاعةِ، والمُسارَعَةِ بالخيراتِ، والذَّمُّ الذي تواطأتْ عليه نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ وعباراتِ السَّلَفِ الصالِحِ ليسَ راجعاً إلى الدُّنيا نفسِها، بليلِها ونهارِها المُتَعاقِبانِ إلى يومِ القيامَةِ، فإنَّ الدُّنيا فُرْصَةٌ عظيمةٌ للتجارةِ الرابحَةِ مع اللهِ سبحانه، والمُسارَعَةِ إلى الفوزِ بالجنَّةِ والنَّجاةِ من النارِ، جعلَها اللهُ سبحانه وتعالى خِلْفَةً لِمَنْ أرادَ أن يَذَّكَرَ أو أرادَ شُكُوراً، فيها يكسَبُ العبدُ الحسَناتِ، ويَتَقرَّبُ بالصالِحاتِ، وما فازَ أهلُ الجنَّةِ بعدَ رحمَةِ اللهِ وكرَمِهِ وعَفوِهِ إلاَّ بما قَدَّموه لأنفسِهم في أيَّامِ الدُّنيا الخالِيَةِ، وما تَحَسَّرَ أهلُ النارِ ، وطُرِحوا فيها إلاَّ لِما أضاعوا من أوقاتٍ، وفَرَّطوا في لَحَظاتِ الدُّنيا حتَّى جاءَهم الأجَلُ، فلو تراهم في النارِ حينَ يُسألونَ: ﴿ **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ**

الْمِسْكِينَ ۞ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَآئِضِينَ ۞ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۞ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ [المدثر:٤٢-٤٧].

قال مُجاهِدٌ -رحمه الله-: (ما مِنْ يومٍ إلاَّ يقولُ: ابنَ آدمَ قد دخلْتُ عليكَ اليومَ، ولن ارْجِعَ إليكَ بعدَ اليومِ، فانْظُرْ ماذا تعمَلُ فِيَّ، فإذا انقضى طُوِيَ ثمَّ يُخْتَمُ عليه، فلا يُفَكُّ حتَّى يكونَ اللهُ هو الذي يَفُضُّه يومَ القيامَةِ، ولا ليلَةٌ إلاَّ تقولُ كذلكَ).

إنَّما الدُّنيا إلى الجَنَّةِ والنَّارِ طريقْ والليالي متْجَرُ الإنسانِ والأيامُ سُوقْ

والذَّمُّ الوارِدُ على الدُّنيا -عبادَ اللهِ- إنَّما يرجِعُ إلى أفعالِ بَني آدمَ فيها حينَ تقَعُ على غيرِ الوجهِ الذي تُحمَدُ عاقِبَتُه، فَتَضُرُّ ولا تَنْفَعُ، وتُورِثُ الغفلَةَ والإعراضَ عن عبادَةِ اللهِ سبحانه.

سَمِعَ عليُّ بنُ أبي طالِبٍ -رضي اللهُ عنه- رجُلاً يَذُمُّ الدُّنيا ويَسُبُّها، فقال: (إنَّها لدارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَها، ودارُ عافيَةٍ لِمَنْ فَهِمَ عنها، ودارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ منها، مسْجِدُ أحبَّاءِ اللهِ، ومَهْبِطُ وحْيِهِ، ومُصَلَّى ملائِكَتِه، ومَتْجَرُ أوليائِه، اكتَسَبوا فيها الرَّحْمَةَ، ورَبِحوا فيها الجَنَّةَ، فمن ذا يَذُمُّ الدُّنيا وقد آذَنَتْ بِفِراقِها، ونادَتْ بعيْبِها، ونَعَتْ نفسَها وأهلَها، فَمَثَّلَتْ ببلائِها البلاءَ، وشَوَّقَتْ بسرورِها إلى السُّرورِ، فَذَمَّها قومٌ عندَ النَّدامَةِ، وحَمِدَها آخرونَ، حَدَّثَتْهم فصَدَّقوا، وذكَّرَتْهم فذَكَروا، فيا أيُّها الْمُغْتَرُّ بالدُّنيا الْمُغْتَرُّ بغرورِها متى استلامَتْ إليكَ الدُّنيا ؟ بل متى غَرَّتْكَ ؟ أَبِمَضاجِعِ آبائِكَ من الثَّرَى ؟ أم بِمَصارِعِ أُمَّهاتِكَ من البِلَى ؟ كم قَد

قَلَّبْتَ بكفَّيْكَ، ومَرَّضْتَ بيَديْكَ، تَطْلُبُ له الشِّفاءَ، وتسألُ له الأطِّبَاءَ، فلم تَظْفَرْ بحاجَتِكَ، و لم تُسْعَفْ طِلْبَتَكَ، قد مَثَّلَتْ لكَ الدُّنيا بمَصْرَعِه مصْرَعَكَ غَداً، ولا يُغني عنكَ بُكاؤكَ، ولا يَنْفَعْكَ أحِبَّاؤك).

قد نادَتِ الدُّنيا على نفسِها لو كان في العالَمِ من يَسْمَعُ
كم واثِقٍ بالعُمْرِ أفْنَيْتُه وجامِعٍ بَدَّدْتُ ما يَجْمَعُ

فاتّقوا ا للهَ عبادَ ا للهِ، وانظروا إلى الدُّنيا نظرَ الزَّاهِدِ فيها، المُفَارِق لها، واغْتَنِموا غَفْوَةَ الزَّمانِ، وفُرْصَةَ الإمكانِ، وخُذوا من أنفُسِكم لأنفسِكم، وتَزَوَّدوا من يومِكم لِغَدِكم، ولا تكونوا مِمَّن يقولُ في الدُّنيا بقولِ الزَّاهِدِينَ، ويعمَلُ فيها بعمَلِ الرَّاغِبينِ، فإنْ أُعْطِيَ منها لم يَشْبَعْ، وإن مُنِعَ منها لم يَقْنَعْ، يَعْجَزُ عن شُكْرِ ما أُوتي، ويُبغِضُ الزِّيادَةَ فيما بَقي، وينهى الناسَ ولا ينتَهي، ويأمرُ بما لا يأتي، يُحِبُّ الصالِحينَ ولا يعمَلُ بعَمَلِهم، ويُبْغِضُ الطَّالِحينَ وهو منهم.

عن الضَّحَّاكِ بنِ مُزَاحِمٍ -رضي ا للهُ عنه- قال: جاء رجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ ا للهِ ! من أَزْهَدُ النَّاسِ ؟ فقال ﷺ : « مَنْ لَمْ يَنْسَ القَبْرَ والبِلَى، وَتَرَكَ أَفْضَلَ زِيْنَةِ الدُّنيا، وَآثَرَ مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى، وَلَمْ يَعُدَّ غَداً مِنْ أَيَّامِهِ، وَعَدَّ نَفْسَهُ مِنَ المَوْتَى ». [رواه ابنُ أبي الدُّنيا، وابنُ أبي شيبة]

﴿ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه:١٣١].

وصلُّوا وسلِّموا -عبادَ اللهِ- على من أمرَكم اللهُ تعالى بالصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في قوله عزَّ من قائلٍ: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب:٥٦]. وقال ﷺ : ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)). [رواه مسلم]